



شوال ١٣٨٩ هـ

كانون الثاني « يناير » ١٩٧٠ م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي		
	في جميع البلاد العربية	١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الأقطار	١٢٠٠ قرش سوري
	أو ما يعادلها	جنيه وعشر شلنات
	« «	ثلاث دولارات

وإذا طُلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تُضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتّاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

كلمة الدكتور حسني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

في الاحتفال بمرور خمسين عاماً على تأسيسه

سيادة الوزير ، زملائي الأفاضل ، سيداتي سادتي :

باسم مجمع اللغة العربية بدمشق ، يسعدني أن أرحب بالسيدات والسادة شهود هذا اليوم التذكاري الذي نحتفل فيه بمرور خمسين عاماً على تأسيسه . وأخص بالشكر الإخوان والزملاء الذين تجشموا عناء السفر ، ممثلي مجمعي القاهرة وبغداد ، فأهلاً بكم جميعاً وسهلاً . لقد طوقتم عنقنا منة كريمة باستجابتكم دعوتنا آملين أن تتاح لنا فرصُ مشاركتكم في مثل هذه المناسبة البهيجة .

إننا نلتقي اليوم وقد مر على تأسيس المجمع خمسون سنة لنحتفل بهذه الذكرى السعيدة .

ويحمل هذا اللقاء الذي يجمع بين ممثلي عدد من أقطار اللغة العربية أسمى المعاني : معاني الإصرار على أن اللغة كانت وستظل أقوى الروابط التي تشد أبناء الأمة العربية بعضهم إلى بعض ، ومعاني الاعتزاز بهذه اللغة وتأكيد العزم على أن تظل لها مكانتها الأولى بين مقومات الوجود العربي على لسان العرب وأفئدتهم ، في أذهانهم وثقافتهم ، في مدارسهم وجامعاتهم ، في حياتهم اليومية والفكرية على السواء .

لقد أنشئ المجمع من أجل هذه الغاية السامية : غاية خدمة اللغة العربية ومد آفاقها وإحلالها مكانتها بعد أن ألجأتها ظروف سياسية جائرة أو ظروف اجتماعية قاهرة إلى التراجع والانزواء .

ولم يكن بين يدي المجمع كل ما يساعده على ذلك ، وعلى مدى هذه العقود من السنين لم توفر له الوسائل التي يحتاج إليها ، بل إنه جابه في بعض العهود صعاباً جمة اعترضت طريقه وحاولت أن تفتنه عن غاياته . غير أنه كان له من إيمانه القوي ومن إدراكه العميق لأثره في حياة الجماعة العربية والحفاظ على شخصيتها وتوجيه خطاها ، ما عصمه عن أن يضل أو يزل أو يجبن .

وعلى حين تصارعت في الوطن العربي الآراء والمذاهب ، واختلفت الأفكار والأنظار وتعاقبت موجات إثر موجات من الدعوات ، بينها السليم والمنحرف ، والمصيب والمخطئ — بينما كان كل ذلك يخطف نظر العربي ويحاول أن يغريه — ظل المجمع يلتزم الغاية الجوهرية التي أنشئ من أجلها يعمل لها بدؤوب ، ويخطو نحوها بصبر ، ويؤصل لها في صمت وإصرار حيث كان أعضاؤه هنا في الإدارة أو هناك في التدريس ، في هذا الجانب من المعرفة أو ذاك ، قد أخلصوا أنفسهم وعلمهم ووقتهم له ، لا يصرفهم عن ذلك صارف ولا تنال منهم العوائق والمثبطات .

★ ★ ★

ولقد أعطى ذلك الدؤوب والصمت والعمل الصابر المؤمن ثمراته الطيّبة ، واستطاع المجمع أن يفعل الكثير مما سأعرض عليكم طرَفاً موجزاً منه . ولكن أبرز الذي استطاع أن يفعله — وهو منقطع إلى محاريبه — أنه أكد في أذهان الناس وقلوبهم على السواء ، أن اللغة العربية ليست شيئاً من الأشياء

التي يمكن أن تؤخذ أو أن تترك ، ليست هذا البدْع الذي يمكن أن نقبل عليه أو أن ننصرف عنه ، ليست بقية من الماضي ولا أطلالاً من أطلاله ، وإنما هي هذا الجوهر الخالص الذي يصون حياة هـذا المجتمع العربي من أن يذوب ، والذي يحفظ وجوده من أن يتبدد ، والذي يمد هذا الوجود بأسباب أصالته وتميزه . إن المجمع أقر في أذهان الناس وقلوبهم — وسط كل العواصف السياسية والاجتماعية التي مرّ بها الوطن وبعيداً عن التلون بها — أن العربية هي طريق هذا الجيل من الناس إلى وجوده السليم الصحيح المتفرد .

ومن هنا كان في عقيدة المجمعيين أن ترسيخ هـذه الأصول بالطرق المختلفة التي لجأ إليها المجمع والأعمال الكثيرة التي حققها ، كان أقوى الأسس التي اعتمدت عليها الحركة الاستقلالية والحركة القومية في أطراف الوطن العربي ، وأن كل جهد يبذله المجمع في ذلك إنما هو من حياة الأمة العربية بمثابة حجر الأساس من البناء ، لا تراه العين ولكن البناء كله يقوم عليه .

★ ★ ★

أيها السادة :

اسمحوا لي أن أعود بكم في رحلة قصيرة سريعة نصف قرن إلى الوراء لنشهد كيف حدد المجمعيون الأوائل غاياتهم ووسائلهم . كيف نظروا إلى عملهم وكيف كانت ترتسم من أمام أعينهم مهات المجمع وأهدافه ، وهم بعد نواة صغيرة في أول طريقها إلى التشكل .

لقد استطاع هؤلاء المجمعيون ببصيرتهم النافذة أن يضعوا من أمامهم أهدافاً أربعة أعلنوها في بيان التأسيس ، بعضها أهداف آنية سريعة وبعضها أهداف متأنية متجددة : في الأهداف السريعة كان إنشاء المكتبات الوطنية

والاهتمام بها وإنشاء دار الآثار والعمل على إغنائها وتنميتها ، وفي الأهداف البعيدة المتجددة كان إنشاء المجلة وكان العمل اللغوي والفكري في آفاقه المختلفة .

وإنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن أعلن هنا بكل تواضع أن المجمع عمل — على ضيق ذات يده وضعف حيلته — في هذه الساحات من أجل هذه الأهداف كلها وأنه حقق من الغايات أضعافَ أضعافِ ما كان يملك من وسائل أو مخصصات .

★ ★ ★

في الساحة الأولى : كان من أهداف المجمع أن تكون هناك مكتبة وطنية في كل بلد ، تجمع ما في أرض الوطن من مخطوطات ، وما يحتاج إليه البحث والدرس من مطبوعات لتكون هذه المكتبة عوناً للعلماء والدارسين في شتى العلوم وفيما يعود — بخاصة — إلى اللغة العربية والتاريخ العربي والثقافة الإسلامية .

ولقد وفق المجمع إلى تحقيق ذلك . لم يكن في الوطن كله مكتبة عامة حافلة ، واليوم تقوم المكتبة الوطنية التي تعودنا أن نطلق عليها اسمها التاريخي (المكتبة الظاهرية) صرحاً شامخاً . فيها ما يزيد على مائة ألف كتاب ، بعد أن لم يكن فيها إذ بدأت أكثرُ من أربعة آلاف كتاب ، معظمها هدية الأعضاء وفيها ثروة ضخمة من التراث المخطوط لا تقدر برقم . وعلى مناضدها المتواضعة وفي غرفها التي تحمل من روائح الماضي الشيء الكثير تعلمت أجيال ، ونشأ باحثون ، ونبغ علماء وشعراء وكتاب ومؤلفون . ولعله من النادر أن تشهد باحثاً من باحثينا اليوم لم يكن له في الظاهرية مقعد يفيء إليه ويطمئن عنده ، أو لم تكن الظاهرية له مكتبته ورفده . لقد كانت قاعاتها بمثابة الجامعة الأولى قبل أن تتسع الجامعة وأن تنشأ فروعها

الجديدة ، وكانت كذلك انموذجاً للمكتبات الوطنية الأخرى التي نشأت في حلب واللاذقية وغيرهما . بل كان بعض الراحلين من المجمعيين هم الذين تولّوا إنشاء هذه المكاتب . والحركة الفكرية تسجل للمرحوم الرئيس الراحل **الأمير مصطفى الشهابي** أنه هو الذي أنشأ دار الكتب الوطنية في حلب حين كان محافظاً لحلب ، وأنه هو الذي أنشأ دار الكتب الوطنية حين كان محافظاً للاذقية .

إننا من غير المكتبات الوطنية لا نستطيع أن نحقق شيئاً ذا بال في الحياة الفكرية . ولقد كان للمجمع في ذلك فضله الكبير وأثره الواضح .

★ ★ ★

وفي الساحة الثانية : نفذ المجمعيون إلى الثروة الأثرية ، أدركوا أن روح الوطن تتجسد في هذه الآثار ، وأن هذا الوطن في جملته متحف أثري للذي تعاقب عليه من حضارات ، وقام فيه من مدنيات . إنه قطعة رائعة من تاريخ البشرية زاهية ، ملونة . وبذلك كان من أهدافهم أن يمنوا بهذه الثروة جمعاً لها وتفتيشاً عنها ، وحفاظاً على ما ظهر منها ونبشاً عما بطَن .

ومن هنا كانت دار الآثار في بداية الأمر جزءاً من مجمعنا . إنها نشأت في رحابه وربت في أحضانه ومن هذه البذرة الأولى كان بعد ذلك ما ترون من هذين المتحفين الرائعين النادرين في دمشق وفي حلب . بل إن مؤتمرات الآثار العربيـــة التي عقدت في العواصم العربية مدينة للمجمع العلمي ، لأنه كان هو بدايتها الأولى ، ولأنها كانت من أهدافه التي بشر بها ثم سعى لها وعمل من أجلها . بل ان جزءاً كبيراً من الحركة الأثرية مدين للمجميين أنفسهم . وكلنا يتطلع بفخر إلى أمين سر المجمع **الأمير جعفر الحسني الجزائري** الذي كان محافظاً للآثار ومسؤولاً عنها خلال خمس وعشرين سنة .

وفي الساحة الثالثة : أدرك المجمعيون أن مجلة علمية تصدر عنهم هي التي تستطيع أن تصل فيما بينهم وبين العلماء في أرض الوطن ، وفيما بينهم وبين العلماء خارج أرض الوطن . وأنها هي التي تستطيع أن تكون منبرهم الذي ترتفع فوقه أصواتهم وتنتقل منه أفكارهم ، ولذلك هدف المجمع إلى إنشاء مجلته . ولم يستطع في السنتين الأوليين تحقيق هذه الأمنية الغالية ، ولكنه وفق إلى إصدار العدد الأول في سنة ١٩٢١ ثم والى إصدارها ولا يزال ، مجلة ورسالة ومنارة وميدان بحث ، قد لا يعرفها بعض الناس في الأقطار العربية ويقدرونها حق قدرها ، كما يعرفها ويقدرها المستعربون والمستشرقون والباحثون في الأقطار العربية والأجنبية ، وأولئك وهؤلاء يتابعون أعدادها ويرقبون ما ينشر فيها ، وتلتقي عليها أبحاثهم وأقلامهم ويتبادلون على صفحاتها أفكارهم وتؤدي مهمة الرسول الأمين الذي يسعى بين يدي العلماء بالجديد من المعرفة والطيب من القول والرأي .

وهل يستطيع الانسان أن يفي هذه المجلة حقها ؟ حسبها أنها كانت هذه السفارة الدائبة النشيطة ، وإذا كانت قد توقفت مرتين عن الصدور لأسباب مادية ، فقد كان توقفها تعبيراً آخر سلبياً عن المكانة التي كان لها في نفوس العلماء ، ولست أبالغ إذا أنا قلت إن هذه المجلة حملت أكبر العبء في مجال التراث العربي والفكر العربي والثقافة العربية ، وإن اسمها كان بطاقة التعارف بين العلماء ، وإنها حملت اسم هذا الجزء من الوطن إلى كل مكان ، يوم كانت القوى الغاشمة المسيطرة تحول بين هذا الوطن وبين أن يذكر .

وفي الساحة الرابعة :ساحة الثقافة اللغوية والفكرية كان من أهداف المجمع الأولى والرئيسية على ما جاء في بيانه الأول : (النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم

والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد) .

إنما ندرك الأعباء الثقال والطرق المتشعبة التي تتبدّى من خلال هذا الهدف . وقد يحس المرء بشيء من الإشفاق حين يرى أن قطراً صغيراً كهذا القطر ، كان يتصدى وحده لمثل هذه المهمات الضخمة التي تنوء بها كواهل مؤسسات كبرى .

ولكن الصفة الأولى التي تميز بها عمل المجمع ، أعني العمل الدائب المتصل ، يسرت له بعض الصعوبات ، والإيمانَ الذي تميز به المجمعيون سهل له تمهيد أجزاء من الطريق . لقد عمل المجمعيون في خدمة اللغة العربية عملاً فريداً لم ينقطع ، ففي أعقاب الحرب العالمية الأولى — وكانت العربية محجوبة باللغة التركية بعيدة عن الحياة العامة ودوائر الدولة كلها — تألفت أول حكومة عربية برئاسة حاكم عسكري سوري ، وواجهت هذه الحكومة في تصريف أمور الدولة مشكلة اللغة أول ما واجهت . كان الأتراك قد نزحوا جنوداً وموظفين ، أما أبناء البلاد فقد نشأوا على استعمال التركية في العمل الرسمي وعلى استعمال العربية المشوبة بالتركية في الحياة اليومية ، وكان للتركية سيطرتها على الألسنة ذلك أنها حين استعارت كثيراً من الألفاظ العربية وأخضعتها للنطق التركي أو للصيغ التركية شوهت هذه الألفاظ أو باعدت بينها وبين أصلها العربي . فكان لا بد أمام ذلك كله من حركة إحياء ، وكان لا بد للحكومة من أن تستعين على ذلك بفئة من الفضلاء كانوا يتقنون العربية ويحافظون على صفائها . وهكذا أنشأت هذه الحكومة العسكرية الأولى ، شعبة الترجمة والتأليف ثم آلت هذه الشعبة أن تكون بعد ، ديوان المعارف ، فهذا المجمع الذي نحتفل بمرور خمسين عاماً على إنشائه .

وقد حقق المجمع في هذا المجال ما يُشبه الطفرة أو المعجزة ، وانما ساعده على ذلك أصالة هذا الشعب وصفاء عروبته . فحلت العربية محل التركية عن طريق سلسلة من التدابير : الدروس الليلية باللغة العربية على موظفي الحكومة ، والمصطلحات التي اقترحها المجمع لمؤسساتها الإدارية . وأسفر ذلك كله عن إرساء استعمال العربية السليمة في مرافق الدولة كلها دون استثناء ، وقُضي في نحو متصـــل متدرج ، على الرطانة التي كانت تسود الكلام ، والعجمة التي كانت تسود الكتابة .

وتجاوز العمل ، لغة الدولة إلى لغة الحياة ولغة العلم ، فوضعت أسماء لمسميات حديثة العهد في حياتنا الحضارية ، ومصطلحات في شتى الشؤون العلميـة والفنية . واجتازت هذه المسميات والمصطلحات امتحان الزمن ومرت من مصفاته الدقيقة التي أكسبتها الطلاوة والذوق وحسن الجَرْس في السمع والوقع في الأذن ، لتبقى بعد ذلك أبداً ينتفع بها الناس ويتفاهمون .

لقد كان المجمعيون أو من حولهم من إخواننا الجامعيين هم الذين وضعوا كل هذه الآلاف من المصطلحات في نطاق الطب والصيدلة والفيزياء والكيمياء والرياضيات والحقوق أو أحيوها وأتاحوا بذلك للغة العربية أن تحقق أبرز أهدافها ، أعني حققوا لها أن تكون لغة العلم والمعرفة .

وسيظل التاريخ اللغوي والقومي يذكر باعتزاز أن المجمعيين وإخوانهم من الجامعيين طاردوا خرافة ضعف اللغة العربية عن أن تكون لغة العلم . وظهروا على الناس بطوائف ضخمة من الكتب العلمية في كل ضروب المعرفة ، وكانوا مع الزمن على سباق فنجحوا في هذا السباق ، وأكدوا عن هذا الطريق أن لغة الثقافة لا يمكن أن تكون اللغة المفروضة من خارج الحياة العربية ، فاللغة المفروضة (كالأعضاء المزروعة) مرفوضة أو منتهية إلى الرفض ، وما لم تكن لنا لغتنا فلن تكون لنا ثقافتنا الأصيلة .

إلى جانب ذلك كله عني المجمع بإحياء التراث ونشر الكنوز الثمينة من المخطوطات . انه اختار من ذلك طائفة صالحة آتت أكلها في ميدانين : أولهما إغناء الثقافة اللغوية ، والآخر تصحيح مسار الدراسات الأدبيـــة والتاريخية عن طريق إمدادها بمصادرها الأولى والرئيسية .

وفي سلسلة الكتب التي أصدرها المجمع نستطيع أن نلمح ثلاث مجموعات كبرى : المجموعة التاريخية والمجموعة اللغوية والمجموعة الأدبية . وفيها كلّها عيون من التراث الذي أضحى أصلاً ومرجعاً في الدراسات الفكرية الجديدة ، وأنتم في غنى عن تعداد أسمائها الكثيرة ، ولعل في زيارتكم لدار المجمع ما يتيح الاطلاع عليها .

★ ★ ★

وبعد ، فقد قلت ان هدف المجمع أن تكون العربية لغة الحياة ولغة المعرفة وبخاصة لأننا نعيش في زمن وطأت فيه قدما الإنسان أديم القمر بعد أن حلّق في الفضاء ، وتوصل إلى استبدال قلب عليل بآخر صحيح ، وما إلى ذلك من المستجدات التي تتطلب أسماءً لها ، وعلى ذلك عمل المجمع ويعمل . ولكننا نلاحظ بين الحين والحين دعوات تشكيك متصلة في هذا القطر أو ذاك وراء هذه الحجة أو تلك ، ومن المؤسف أن تكون سورية العربية ذاتها قد تأثرت بذلك بعض التأثر حين خطر على بال بعض أولي الأمر تدريسُ الطب باللغة الأجنبية في جامعة حلب انسياقاً مع حملة إثارة واسعة تذكرونها ، بعد ما كانت سورية تفخر أشد الفخر وتعتز أقوى الاعتزاز بنجاح تدريس الطب باللغة العربية بمئات المؤلفات التي صدرت عن الكليات العلمية المختلفة باللغة العربية ، وكانت هذه المؤلفات في مادتها وإخراجهـا مثلاً رصيناً للتأليف الجامعي ، وكنا بهذا وذاك نرجو أن تكون التجربة الرائدة في الأقطار العربية الأخرى .

إننا نتمنى أن تلتقي المجامع العلمية والهيئات الثقافية في الوطن العربي على قرار نهائي في هذا الوضوع يجعل العربية لغة المعرفة في كل فروع الجامعة وأن تتخذ لذلك كل الوسائل الممكنة . ان هذا القرار هو الذي يجعل النصوص الدستورية التي تعتبر العربية لغة رسمية في الأقطار المختلفة نصوصاً نافذة لا مهملة أو ميتة . وان مثل هذا القرار هو الذي يقطع الطريق على كل حملات التشكيك الهادفة .

وليس ما نقوله طفرة كما قد يظن ولا عَداء للغات الأجنبية ، فليس هنالك من ينكر ضرورة الاتصال ، أقوى الاتصال ، باللغات الأجنبية ، ولكننا نريده اتصال الأقوياء بالأقوياء لا اتصال الضعفاء بالأقوياء .

وليس ما نقوله بِدْعاً من الأمر ، وإذا كنا نتنكر للتاريخ ونتجاهل الماضي ، فإننا لا نستطيع أن ننكر الحاضر وأن نجهله ، وفي الحاضر الواقع أمثلة حية في الشرق الناهض : في اليابان وفي الصين . وفي الغرب الناهض ، تعطي مثل هذا القرار كلّ مؤيداته السليمة الحقة .

بل إن في جوارنا في المنطقة المحتلة من فلسطين مثلاً آخر ، أين هم الذين ينكرونه ويتجاهلونه انه مثل يواجهنا ويتحدانا حين يعمل على إحياء اللغة العبرية التي أوشكت أن تندثر ، ليجعل منها لغة الحياة والعلم .

أيها السادة ، ولكن مثل هذه الخطوة الفاصلة تقتضينا شيئاً آخر أحب أن ألقي به باسم مجمع دمشق ، ذلك هو إحساسنا جميعاً وإدراكنا بأن الحاجة أضحت أشد ما تكون إلحاحاً على **تعاون المجامع** والتقائها التقاءً فعالاً متحركاً منتجاً يقوم على مخطط موضوع ومنهج مرسوم .

وإذا كان لم يئن الأوان لصهر المجامع العربية في **مجمع واحد** لدونه عربية موحدة تمتد من الخليج إلى المحيط فلا أقل من أن نعمد — في أضعف

الإيمان — إلى تمكين **الاتحاد بين المجامع** وتنسيق العمل بينها وبين المؤسسات والهيئات المماثلة في صورة ، إليكم خطوطها الكبرى :

١ — أن **تتفرغ فئة من العلماء** بشؤون اللغة وما يتصل بها من ترجمة المسمّيات والمصطلحات في كل قطر عربي ، ويكون اختيار هذه الفئة بعيداً عن كل اعتبار غير الاعتبار العلمي ، ويضمن لها وسائل العمل وكرامة العيش وبحبوحة المخصصات ، ويوكل إليها أداء ما يطلُبُه منها اتحاد المجامع .

٢ — **أن تتوزع الأعمال** بين المجامع والمؤسسات المماثلة دفعاً للازدواج والتكرار وتوفيراً للجهود .

٣ — أن **تلتقي المجامع** مرتين في السنة على الأقل ، لمناقشة ما انتهت إليه اللجان المتفرعة وإقراره .

٤ — أن يكون للدول العربية **تشريع خاص** يجعل إتقان العربية شرطاً في نوال الدرجات الجامعية العلمية والتعليمية .

٥ — هذا ويخجلني أن أذكر مطلباً هو من نافلة القول : ذلك أن نعود **بالغَيرة على العربية** عملاً وتشريعاً إلى ما قبل خمسين سنة ، ومحاربة التشكيك بها أو ازدرائها أو تجاوزها ، في كل دوائر الدولة ومؤسسات الإعلام والدعاية والدواوين وفي الإذاعة والصحافة والإذاعة المرئية في اللافتات والعناوين والأسماء وما إليها .

وبعد ، فاسمحوا لي أيها السادة أن نذكر قبل إنهاء هذه الكلمة أولئك المجمعيين الأوائل وأن ننحني بخشوع أمام ذكراهم ، ونحن نحتفل بعيد المجمع الذهبي ، أمام ذكرى **الرؤساء** الأساتذة الثلاثة **محمد كرد علي** مؤسس المجمع **وخليل مردم بك والأمير مصطفى الشهابي** وأمام ذكرى الأعضاء : الشيوخ

طاهر الجزائري وسليم البخاري ومسعود الكواكبي وعبد القادر المبارك وعبد القادر المغربي وأمين سويد والأساتذة الياس قدسي وأنيس سلوم وسليم عنحوري وعبد الله رعد ومتري قندلفت ومحمد البزم وسليم الجندي ومعروف الأرناؤوط وفارس الخوري ، والدكتورين جميل الخاني ومرشد خاطر والأستاذ عز الدين التنوخي .

واسمحوا لي أيضاً أن أشيد بصورة خاصة بالأساتذة الذين شاركوا في أعمال المجمعين في القاهرة ودمشق : **محمد كرد علي وعبد القادر المغربي والأمير مصطفى الشهابي وعيسى اسكندر المعلوف** . فقد كانوا نواة هذا التفاعل العميق بين القطر الشقيق الكبير الجمهورية العربية المتحدة وهـــذا القطر الصغير سورية .

أجزل الله ثوابهم وعوّض العربية ما خسرته بفقدهم .

أيها السادة :

ختاماً ، نتمنى أن يكون كلُّ يوم من السنوات المقبلة أغنى عملاً وأوفر إنتاجاً ونأمل أن تكون السلطات عوناً لنا على كل ما نتمنى تجاوباً منها مع الغايات البعيدة ، ووفاء منها لحركة القومية العربية المعاصرة في أغلى جانب من جوانبها .

وشكراً لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدكتور حسني سبح

قصيدة الأستاذ شفيق جبري

في الاحتفال بمرور خمسين عاماً على تأسيس

مجمع اللغة العربية بدمشق

شرد البيانُ فما أطيق بيانا ... فاكتمْ جراحك وادفنِ الأشجانا
ما للقوافي إن دعوتُ شرودها ... شمختْ وما ألقتْ إليَّ عنانا
هل راعها شيب يجلّل مفرقي ... أفما أمتّع بالشباب جَنانا
هوّن عليك فما تمرّد خاطري ... إلاّ أتاني طائعاً مِذْعانا
أفلا تحرّكني شدائد أمةٍ ... هانت فسلْها هل تحسّ هوانا
هل كنت أبخل بالدموع على الحمى ... أفلم يقرّح دمعي الأجفانا
أفلم يجدني في المسرّة والأسى ... زمناً أُسرّ وأزمناً أسوانا
لو كنت دون الله أعبد جنّة ... لعبدت منه مفاوزاً وجِنانا
قلبي وروحي والهوى ولهيبه ... فاضتْ عليه محبَّة وحَنانا
وطني ولم أؤمن بغير ترابه ... وأرى التراب يزيدني إيمانا !

★ ★ ★

كم عبقريّ في ظلام قبوره ... نفض القبور ومزّق الأكفانا
فكأنه عين تضاحك أعيناً ... وكأنه أذن شجت آذانا
دانٍ يدور مع الليالي حسنه ... يزداد في دورانها إحسانا
هذا فتى الفتيان زينة طيّئ ... غنّى فهزّ غناؤه الفتيانا
أعلى الممالك ما بناه سحرُه ... سحرُ البيان يشيّد البنيانا
رسم الطعانَ على السطور خياله ... أفلا نرى بين السطور طعانا

فكأننا والحرب تذكو نارها نَصْلى وقد حميَ الوغى النيرانا
لولا أبو تمّامَ والشعر الذي روّى القلوب ونضَّر الأذهانا
ما كان هزمُ الروم نصب عيوننا حيناً يقصّ من الرّدى أفنانا
فانعمْ بما خلقت لنا آياته خلقتْ لسلطان الحمى سلطانا !

★ ★ ★

لله درُّ عصابة من طيّىء أعطتْ فكان عطاؤها تهتانا
أعطتْ ديار العرب من إلهامها غرراً تدور مع السنين حسانا
أمّا سقاك البحتريُّ خموره أفما تظلّ بخمره نشوانا
دخل القصورَ على الملوك منادماً فجلا لأعيننا بها الأزيانا
فاذا لقيتَ رُخامها وكأنّه حبكُ الغمامِ فقد لقيتَ عيانا
فترى القوافيَ من رفيف سقوفها درّاً يضيء ولؤلؤاً وجُمانا
من كلّ أسود كالليالي حالكٍ أو كلّ أبيض يخطف الأعيانا
وترى الزُجاج على السقوف كأنه لججٌ تموج فتغرق الحيطانا
صورُ القصورِ ومعجزات خطوطها برقتْ وكان بريقها فتّانا
ما زال بالإيوان يحبُك وصفه حتى تراه أنطق الإيوانا
يروي لزائره روائع فنّه فيظن أنّ له فماً ولسانا
كسيت الحضارة شعره ألوانها فتكاد تلمح عيننا الألوانا !

★ ★ ★

أرأيت قومك فاغترفْ من بحرهم درجوا وكانوا للهدى عنوانا
تاج الذي ملأ الأنامَ دويّه يمسي ويصبح مائجاً غضبانا
عشق الحروب فهل ترى في شعره إلاّ حساماً صارماً وسنانا

فكأنّ من حمر الدماء مدادَه ... وكأنّه أملى بهـــا الديوانا
تجري الدماء على عنيف بيانه ... بحراً يجـــرّ ورآءه كثبانا
قتلى وجرحى والسيوف تنوشهم ... لم تبـــقِ من أركانهم أركانا
نظم القريضُ لآل حمدان العُلى ... فكأنه أحيا لهـــم حمدانا
لولا بنو حمدان والسيف الذي ... أعلى العروبةَ في الربوع وصانا
لحتْ جيوش الروم سحر لسانها ... وتخرّمتْ أعلاجهم عدنانا
فافخر بشاعرهم ورتّلْ شعره ... أفلا تراه للعلى ممـــوانا !

★ ★ ★

زحف الزمانُ ولم تزل أوطاننا ... نهبَ العدوّ يمثر الأوطانا
تلك الضغائن لا يزال سعيرها ... طيّ الحشا ، من يطفئ الأضغانا
قالوا : السلام، فهل رأيت سلامهم ... هدموا البيوت وشتّتوا النسوانا
إن لفّت الأمّ الرؤوم وليدها ... في الحضن ليلاً زلزلوا الأحضانا
أو رامت الأطفالُ نوماً هادئاً ... حُرموا الكرى وتخيّلوا الشيطانا
لم تســـلم الأديان من أيديهم ... نقموا فمسّوا بالأذى الأديانا
في كل يومٍ صيحة من جرمهم ... تعلو السماء فتخـرق الأعنانا
لا القدس آمنة ولا حرم الهدى ... أين الأمان ، فهل تحسّ أمانا
عجباً لقومٍ كالنعامة في الوغى ... واليوم أضحوا في الوغى فرسانا !
ضربتْ عليهم في البريّة ذِلّة ... ما بال ذِلّتهم غـــدتْ طغيانا
ويل الضعيف إذا تملّى قوّة ... ألفيتـــه في ضعفه ثعبانا
فانهض صلاح الدين وانظر عصبةً ... حرنوا وزادهم الغرور حِرانا
كنت الوحيد ضمان أمّة يعرب ... ضاعت ديارك من يكون ضمانا !

★ ★ ★

لولا « الفداء » وعاصفات رياحه فوق الحصون تهدّم الأحصانا

لولا دمٌ تنـدى فلسطين به وترى التراب بدفقـه ريّانا

لم يرتفع للعرب رأس في الورى يوماً ولا اختلج العدوّ وهانا

الجمجمات وقد يدوّي صوتها هيهاتَ دفعُ دويّه العدوانا !

★ ★ ★

يا ساقياً والخمر ملء كؤوسه اطرحْ كؤوسك واسقني الألحانا

قد عشتُ في ظلّ القوافي حقبةً أجد الشباب بظلّهـا فينانا

ما هاجني إلا صدى إيقاعها أمسي وأصبح بالصدى سكرانا

خمسون عاماً في مراس زمامها حتّى استكان لي الزمام ولانا

جرّبت من مضض الهوى لذّاته وبلوت منه نواعماً وخشانا

ما راقني إلاّ البيان وسحره فاملأ كؤوسك إن سقيتَ بيانا

وأدرْ عليّ الشعر إن غنّيته حتّى أسلّ بوقعه الأحزانا

فيه العزاء وفيه كلّ مسرّةٍ تُروي بعذب معينها الظمآنا !

★ ★ ★

أكرم بقوم أورثوا تاريخهم لغـةً تظلّ على العلى برهانا

لغـة تفيض نعومة وصلابة تحكي النسيمَ وتشبه المرّانا

حيناً ترقّ كأنّها نَسَم الصّبا فوق الخمائل ينشر الريحانا

ويموج حيناً كالخضمّ عبابها فيـكاد يجرف موجه الشطآنا

لغة الأسنّة والصوارم والقنا كانت لنار جحيمها ميدانا

مرّتْ بها الأزمان وهي منيعة لا ترهب الأحداث والأزمانا

كم نازعت لغة الغزاة بيانها — طار الغزاة مع الهواء دخانا
وتطاولت في الخافقين غصونها — ترعى مواكب يعربَ الأغصانا
قد صبَّها الرحمان في قرآنه — أفلا ترى من سحرها القرآنا

★ ★ ★

فاحمل لمجمعها (١) التحية انه — لم يأل فيها حيطة وصيانا
لغة الورى عنْوان رفعة شأنهم — فاكتب لرفعة شأنك العلوانا
لو جُرّد الإنسان من نعمائها — أفكان دون نعيمها إنسانا
صقل الزمان لنا حسان وجوهها — أفما نعمنا بالحسان زمانا
فالهجْ بنصرتها وخذ بلوائها — حتى تحلّ من السماء مكانا !

شفيق جبري

(١) مجمع اللغة العربية بدمشق .

كلمة الدكتور

ابراهيم بيومي مدكور

الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة

في الاحتفال بمرور خمسين عاماً على تأسيس مجمع دمشق

سيدي الرئيس ، ساداتي !

أحمل إليكم تحية مجمع شقيق ، يقدر ما لمجمعكم من فضل السبق ، ويتمنى له دوام السداد والتوفيق . وأحمل إليكم تحية المجمعيين جميعاً الذين يعتزون باخوتكم ، ويعتدّون بزمالتكم ، وكم كان يود الدكتور طه حسين رئيس مجمع القاهرة ، والأستاذ زكي المهندس نائب الرئيس أن يشتركا في حفلكم هذا ، لولا ظروف صحية قعدت بهما ، وهما يبعثان إليكم بأطيب الأماني ، وأصدق التهاني ببلوغ مجمع دمشق عامه الخمسين .

يحق لمجمعكم أن يباهي بأنه أبو المجامع العربية الحديثة القائمة ، ولد في أخريات العقد الثاني من هذا القرن ، وسار على الدرب يشق الطريق ويذلل الصعاب . ولدت قبله في مصر مجامع أخرى في أخريات القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، ولكن لم يقدر لها حياة ولا بقاء ، وقد جاء تلبية لحاجة ماسة ، واستجابة لوعي جديد ، وحمل رسالة لم يحملها مجمع آخر ، فاضطلع بها في صبر وجلد ، ورعاها في حماس ورغبة ، وكأنما أريد به إلى جانب خدمة اللغة ، أن يقوم على نفائس الماضي جميعها في العلوم والآداب

والفنون . فطلب إليه أن يجمع الكتب مخطوطة كانت أو مطبوعة ، ويؤسس لها داراً عامة ، وأن يجمع الآثار القديمة عربية كانت أو غير عربية ، وينشئ لها مُتْحفاً خاصاً . مهمة ولا شك شاقة ومتنوعة ، وربما تنوء بها هيئات مختلفة ، ولكنه أبى إلا أن يضطلع بها ، وقد بذل في سبيلها ما وسعه ، وجمع لسورية تراثاً يعتد به .

والكتب الإسلامية ، فيما عدا ما يقتنيه الأفراد ، موزعة من قديم بين دور العلم والمساجد والتكايا ، إن في الشام أو في غيرها من البلاد العربية . فكانت معرضة للضياع ، وقد تسرب منها ما تسرب . وفي أخريات القرن الماضي أريد هنا تركيزها وجمعها في مكتبة عمومية بالمدرسة الظاهرية تحت إشراف لجنة خاصة تابعة لدائرة الأوقاف . وقد غذيت بمكتبات دمشق الفرعية ، وتوافر لديها نحو ٢٥٠٠ مجلد . وما إن أنشئ المجمع العلمي حتى ضمت هذه المكتبة إليه ، وسميت « دار الكتب العربية » ، ووقف عليها بناء الظاهرية . وأخذ المجمع في ترتيب شئونها ، وتزويدها بأنفس المطبوعات والمخطوطات ، فوضع نظاماً لدخولها والاستعارة منها ، وحاول ترتيب كتبها وفهرستها . وبعث البعوث شرقاً وغرباً لجمع الكتب والمخطوطات شراء أو استهداء ، وعلى رأسها بعثة إلى القاهرة عام ١٩٢٤ ، وقد عادت ومعها نحو ١٦٠٠ مجلد من الكتب النفيسة . واستنسخ الكتب العربية النادرة من مكتبات أوربا أو صورها . وأشرف على دار الكتب نفر من أعضائه ممن لهم خبرة واسعة في المراجع والكتب العربية ، وتولى إدارتها بعض من تخصص في فن المكتبات ، فنهضوا بها نهضة ملحوظة ، وأصبحت تشتمل على نحو عشرة آلاف مخطوط ، وما يزيد على مائة ألف كتاب مطبوع ، وهي دون نزاع مكتبة سورية الكبرى .

★ ★ ★

وكانت آثار الشام عرضة للسلب والنهب في العهد التركي ، تواردت عليها في النصف الثاني من القرن الماضي بعثات أوربية للحفر والتنقيب ، فأخذت منها ما أخذت ، ونقل منها الحكام الأتراك إلى الآستانة ما نقلوا . ولم يتنبه إليها إلا في عهد الحكومة العربية ، فأمر بانشاء مُتْحف لها مقره المدرسة العادلية . وقد ألحق بالمجمع العلمي ، الذي قضى نحو عشرين عاماً يرتب أموره ويسهر عليه ، ولم يتردد في أن يستعين ببعض الخبراء ، وكون لجنة لدراسة مشكلة الآثار في سورية بوجه عام ، وأوفد مدير المُتْحَف السيد الأمير جعفر الحسني أمين المجمع اليوم إلى باريس لدراسة نظام المتاحف ، فحمل معه آراء نافعة ، وبعث في المُتْحف حياة جديدة . وقد جمعت الآثار المبعثرة في أماكن متفرقة ، وبذلت عناية خاصة في حفظها ، ونظم أمر الحفر والتنقيب ، وأسهم الانتداب الفرنسي في ذلك بعض الشيء ، وحاول حماية الآثار السورية من السلب والنهب ، ولم يلبث المتحف الشاب أن تحول إلى دار آثار زاخرة بتحفها ونفائسها ، وسُلّم في عام ١٩٣٧ إلى مديرية الآثار العامة ، وأصبح مؤسسة مستقلة مالياً وإدارياً .

★ ★ ★

وقد سلك مجمع دمشق في خدمة اللغة مسلكاً لم تجاره فيه المجامع العربية الأخرى كثيراً ، فحاول إصلاح لغة الدواوين التي كانت قد طغت عليها التركية ، وطلب إلى دوائر الحكومة أن تقفه على ما تحتاج إليه من ألفاظ وعبارات ، وأرسلت إليه قوائم شتى حرص على مراجعتها مع مندوب من الدائرة المختصة . فعدل ألفاظاً ومصطلحات . وأصلح تعابير واستعمالات ، وطلب إلى رؤساء الدواوين ورجال الصحافة ، أن يستعملوا مقترحاته ، فيقربوها إلى الناس ، ويزيدوهم بها إلفا ، وعُني باللغة في معاهد التعليم ، فحاول

أن يطورها ، وأن يجعلها ملائمة للعصر وحاجاته ، إنْ في المدرسة الثانوية أو في الجامعة ، وراقب لغة الكتب المدرسية ، فلم يكن يسمح بتدريس كتاب إلا إذا وافق عليه . ووضع مشروع كلية الآداب لنشر اللغة الفصحى والآداب العربية ، ولم يتردد في أن يسهم في إعداد طلاب هذه الكلية ، بتزويدهم بعض الدروس التمهيدية في علوم الأدب واللغة . .

ولم يقنع بخدمة اللغة في هذا المجال الخاص ، بل أبى إلا أن يمتد نشاطه إلى المجال الشعبي . فأعد قاعة للمحاضرات العامة ، دعا إليها الرجال والنساء ، ونظم فيها محاضرات دامت نحو خمسة وعشرين عاماً ، توقفت حيناً ، ونشطت حيناً آخر . وفي هذه القاعة العامرة ألقي بضع مئات من المحاضرات العامة ، اضطلع بها نفر من كبار الباحثين رجالاً ونساءً ، بين سوريين ، وعرب ، ومستعربين . وفيها أدب ولغة ، أخلاق ودين ، تاريخ وحضارة ، اقتصاد وسياسة ، علم وفلسفة ، وقد نشر قدر كبير منها ، ولا يزال زاداً صالحاً للباحثين والدارسين .

واستن سنة حسنة في تكريم كبار الأدباء والشعراء ، فأقام مهرجانين عظيمين لمرور ألف عام على وفاة المتنبي وأبي العلاء . وقد سارت بهما الأمثال ، وأسهم فيهما عدد غير قليل من الأدباء والشعراء العرب والمستعربين ، ومثلت فيهما البلاد العربية على اختلافها . وإلى جانب هذين المهرجانين الكبيرين أقام عدة حفلات للتأبين أو للتكريم ، وكان في تأبينه وتكريمه سمحاً لا يتقيد بجنس أو وطن ، بل لعل نصيب غير السوريين منها أعظم من السوريين أنفسهم . فأبّن طاهر الجزائري ، وأحمد كمال المصري ، ومحمد رشيد رضا ، ومحمود شكري الألوسي ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، وكرّم وأبّن أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ، وكرّم الشاعر المصري محمد الهراوي . وامتد تكريمه إلى

بعض شباب الناشئين من أبناء سورية ، تشجيعاً لهم ، وحثاً لغيرهم أن يسيروا على نهجهم ، وقد أضحوا اليوم في مقدمة الشعراء والأدباء ، وأذكر من بينهم الأستاذين زكي المحاسني وأنور العطار .

ورأى تفشي الأغلاط اللغوية والنحوية في الصحف والمطبوعات ، فأراد تداركها ، واستحدث ما سمّاه « عثرات الأقلام » وتلك سنة أخرى تذكرنا بما أخذ به بعض اللغويين المعاصرين ، أمثال أحمد العوامري والدكتور مصطفى جواد . فكان يجمع الأغلاط الشائعة ، دون ذكر لأسماء من وقعوا فيها ، ثم يحاول تصحيحها بعد تثبت ومراجعة ، وينشر التصحيح في الجرائد المحلية تباعاً ، وأفسح المجال للتعليق والرد ، فأثار بذلك حركة أدبية ولغوية نافعة . وحرص على أن يسجل تصحيحاته في مجلته ، وتوافر له بذلك نحو ثلاثين مقالة ، فيها درس وبحث ، وتحقيق وتحرير ، وقد قاده هذا إلى أن أصبح « شبه دار للفتوى اللغوية » ، فكانت توجه إليه أسئلة عن بعض الكلمات الغريبة والمصطلحات الفنية ، وما كان يتردد في الإجابة عنها .

ومجلة المجمع من أعماله الخالدة ، بدأ في إخراجها عام ١٩٢١ ، ثم استمر يرعاها ويسهر عليها حتى الآن . توقفت عن الظهور مرتين ، ولكنها استطاعت أن تستعيد نشاطها وقوتها . أريد بها في البداية أن تكون شهرية ، ثم أخرجت كل شهرين ، وأضحت أخيراً ربع سنوية ، واستقرت على هذا الوضع ، وبدت في مظهر وحجم ثابت تقريباً . وتعد اليوم بين الباحثين من المصادر التي يرجع إليها ، فيها أدب ولغة ، تاريخ وآثار ، وفيها تعريف بالمخطوطات ونقد لأشهر المؤلفات ، وبخاصة ما اتصل منها بالإسلام وحضارته .

أما في عالم النشر والتحقيق فقد أخرج نفائس يعتدّ بها ، عهد بها إلى محققين أعلام أغلبهم من أعضائه ، فروّوا فيها ، وتثبتوا من أصولها ، وجلوا غامضها ، ثم أخرجت في ثوب أنيق جذاب . فيها أدب ولغة ،

علم وفلسفة ، ويدور معظمها حول التاريخ . وتاريخ دمشق بوجه خاص . فأخرج المجمع ما عثر عليه من أجزاء نشوار المحاضرة للتنوخي ، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي الدمشقي ، وفضائل الشام ودمشق للرَبَعي ، وأمراء دمشق للصفدي . ويهدي المجمع مطبوعاته إلى جميع الجامعات والمعاهد والمؤسسات الثقافية المعنية بالعربية وآدابها ، ولا يبخل بها على كبار المشتغلين بالأدب واللغة من عرب ومستعربين ، وهم يرقبونها دائماً في شوق ورغبة .

★ ★ ★

سيداتي ، سادتي !

إن بلدكم في عروبته لجدير بمجمعكم هذا ، وإن مجمعكم في ماضيه وحاضره لخليق بكل تأييد وتعزيز . لقد مرّ بأيام مزدهرة ، وهو أهل لأن تزدهر أيامه دائماً . وهو ولا شك وسيلة ناجعة من وسائل تطوير اللغة والنهوض بها ، وخدمة ضرورية لسلسلة نهضاتكم الثقافية والعلمية ، وهمزة وصل بينكم وبين المجامع العربية الأخرى .

وقد تساءلنا عن ضرورة إنشاء مجمع موحد للبلاد العربية جميعها ، أو عن قيام اتحاد يضم المجامع المختلفة . وكل عمل ثقافي في سبيل الوحدة نافع ومفيد ، ولكنني أعتقد أننا ، حتى بوسائلنا الحاضرة ، نستطيع أن نسير باللغة في طريق الوحدة العلمية والحضارية ، إنْ تلاقينا وتبادلنا الفكرة واللفظ الدال عليها ، ولقاؤنا اليوم خير شاهد على ذلك . ولا أكتمكم أني شعرت بأنا إلى حد ما منفصلون ثقافياً ، فمطبوعاتنا غير متبادلة في يسر ، ولقاءاتنا العلمية قليلة ، وما أجدرها أن تسمو إلى مستوى لقاءاتنا الأدبية . وأظنكم تتفقون معي على أن لغة الأدب لا عزلة فيها ولا فرقة ، فلم لا تكون لغة العلم مثلها ؟

وإني باسمي واسم مجمع القاهرة أشكر لكم أن أتحتم لنا فرصة هذا اللقاء ، أشكر للسادة وزير التعليم العالي ، ورئيس المجلس الأعلى للعلوم ، ورئيس جامعة دمشق ما شملونا به من عناية ورعاية . أما المجمع الشقيق والسيد رئيسه فهم منا وإلينا ، غمرونا بفضلهم وأسبغوا علينا عطفهم ، وشعب سورية كله مضياف كريم .

★ ★ ★

إن صلة مجمع القاهرة بمجمع دمشق وثيقة من قديم ، فمن بين أعضائه العشرين المؤسسين كان ثلاثة من أعضاء مجمعكم العلمي العربي ، وهم رئيسه الأول محمد كرد علي ، وشيخه الجليل عبد القادر المغربي ، ولغويه الكبير عيسى اسكندر المعلوف . ولقد أبلوا في مجمع القاهرة بلاءً حسناً ، وغذوه بغذاء متصل ، ولهم في محاضره ومجلته ملاحظات قيمة ، وبحوث دقيقة ، ودراسات ممتعة . ثم جاء على أثرهم رئيس مجمعكم الراحل الأمير مصطفى الشهابي ، وكان أميراً حقاً في قوله وعمله ، نعمنا بصحبته ، وأفدنا من درسه وبحثه ، وهو من نعرف وثوقاً في اللغة ، وحجة في علوم النبات والزراعة ، وعمدة في وضع المصطلح العربي وحسن اختياره .

وفي عام ١٩٦٠ أضحى مجمع القاهرة ومجمع دمشق فرعين لأم واحدة هي العربية ، يسهران عليها ، ويتضافران على خدمتها والنهوض بها لكي تستعيد مكانتها بين اللغات العالمية الكبرى . وإن إخاء على هذا النحو ليبقى على الدهر ، وسيوطد أركانه دائماً وحدة الهدف ، وصدق العزيمة والثقة المتبادلة .

ابراهيم بيومي مدكور

كلمة الدكتور

عبد الرزاق محي الدين

رئيس المجمع العلمي العراقي

في افتتاح الحفل بالعيد الذهبي لمجمع اللغة العربية في دمشق

في مساء ٥ من تشرين الثاني ١٩٦٩

في هذه المناسبة الرائعة ، مناسبة الاحتفال بمرور خمسين عاماً على قيام المجمع العلمي العربي — مجمع اللغة العربية في دمشق — تتزاحم على الذهن شخوص فكر ، وجهود رجال . ما أدري كيف أفرق بينها ؛ لأعطي للفكر مقدارها ، وللرجال حظوظها من العمل على تحقيق تلك الأفكار .

الأفكار ذاتها لولا مبدعوها لن يتم لها ظهور ، والرجال ذاتهم لولا أفكارهم لن يقوم لهم وجود متميّز ، فهي بهم تولد ، وهم بها يعرفون ويتميزون .

الأمة الناطقة بالضاد يتجاوز تعدادها عشرات الملايين في كل عصر ، ولكن الذين فكّروا فيها حين عبّروا بها لا يتجاوزون المئين . وهي بهؤلاء ومنهم تستمد النماء والقدرة على البقاء . وهم بمقدار ما تنمو صالحة للبقاء أو قادرة عليه يستمدون البقاء ، والطاقة على امتداد ذكراهم في الحياة .

ولأمر ما نعت أعضاء المجامع بالخالدين ، إيماءاً إلى خلودهم بخلود اللغة والفكر ، وذلك لارتباطهم العضوي باللغة والأفكار .

الشام منذ القديم كانت إحدى رافدات هذه اللغة . في عهد الغساسنة كانت مأثورة في قصيدة « للنابغة » أو قصيدة « لحسان » ، أو نقيضة لجرير ، أو خمرية للأخطل ، أو خطبة لخليفة ، أو رسالة لوالٍ أو أمير .

ثم عادت إحدى راضمات هذه اللغة يوم بدأت الرواية فالجمع فالتأليف ، وكان لما أنشأ أبناؤها وجموا وألّفوا الأثر الخطير في حياة العربيـــة . واستمرت مع التاريخ رافدة تمدّ اللغة بنتاج أبنائها الأصيل ، وسترفده لنتاج الأقطار العربية الأخرى ، ترويه وتجمعه وتصنفه ، وتعود به كتاباً جامعاً ، وبحثاً قيّماً نافعاً ، وهي في حالتي العطاء والأخذ تضرب أحسن الأمثلة لخدمة العربية .

ظلت الشام على مدى التاريخ مرتاداً للشاعر العربي ، يجد فيها ما يجوّد قريحته ، ويرهف حسّه ، ويكسبه من طيبها وصفائها طيباً وصفاءاً وتجليّا . وكانت كذلك للباحث العربي ، يلقى في فضل خيراتها ، وأروقة جوامعها ، وخزائن كتبها ، وأعلام شيوخها ، ما يكفل مؤنته ويشبع رغبته ، وما يعود به واحداً من أبنائها الأعلام الأثيرين .

حين يضطر ابنها إلى الهجرة عنها مراغماً أو راغباً ، يحمل معه من روحها ونزوعها العربي ما يكون مصدر إشعاع في دار هجرته ، فلم تفتأ أن تتحول نقلة الجسم إلى نقلة الروح والفكر واللسان ، كل ذلك لأصالة نفسه ، واعتزازه بروحه ولسانه العربيين ، ولم يمض طويل وقت حتى نرى آثار هجرته في طلابه وفي مريديه ، وفي وعي الأمة التي هاجر إليها بوجه عام .

يوم دخلت العربية في طور سباتها العميق ، وأغفى أبناؤها على صمت الفكر ، وخفوت الحسّ ، واستعجام اللسان ، كانت « الشام » تتململ ضيقاً بالمهاد الذي شدّت إليه ، وتجفو جنوبها المضطجع الذي مدّت عليه ، وتحلم باليقظة كلما خطف بارق نهضة ، وأومضت طلائع فجر .

حين لاحت بشائر نهضة لغوية وفكرية في مصر ، في أواخر القرن الماضي ، وأوائل هذا القرن نفر أبناء منها يشاركون في أسباب دعمهـا وتقويتها ، يعينونها بكل ما أوتوا من فضل وطاقة ، وتعينهم بكل ما أوتيت

من بسطة وحول ، وكان لتلك الهجرة الأثر الواضح فيا بلغته النهضة اللغوية والفكرية في مصر ، وفي الأقطار العربية الأخرى .

حين أوشك ليل الظلمة أن ينحسر جانب منه عنها وعن الأقطار العربية ، هبت « الشام » تحسر بقيّة جوانبه ، وتلملم أطراف مضاربه ، وتنفخ ببوق العربيّة لتبعث الأمّة من مرقدها وتعيد إليها يقظتها وحسها ولسانها العربي المبين .

حين نبتت فيها نابتة حكم عربي ، بعد لم ترسخ جذوراً ، ولم تورق فروعاً ، بادر أبناء منها إلى الفصحى يهدون طريقها إلى الأقلام والألسنة والدواوين ، بإقامة مجمعها اللغوي المتيد ، ولقد وفّى هذا المجمع الأمانة في ظروف لو قدّر لغيره أن يمرّ بها ما كان يقوى على البقاء بله الوفاء .

وكانت جهود أعضائه الأوائل ـ رحمهم الله ، وكتب ما قدّموا وآثارهم ـ بما أصّلوا وفرّعوا ، واستنبطوا واستدركوا ، واصطلحوا وتواضعوا من بعض أسباب ما نشهد من حركة لغوية في أقطارنا العربية .

هذه المناسبة تقتضينا حميد الذكرى لأولئك الأعلام المجاهدين الذين نذروا نفوسهم لإرساء هذا الصرح المتيد ، أول ما بدأت الدولة العربية تبني نفسها في الشام ، في إدراك واع للترابط الوثيق بين قيام دولة وبعث لغة ، وهو تقدير على حتميته كان قد خفي على كثير من المسؤولين أوان ذاك ،

لقد وقف الرئيس الراحل « محمد كرد علي » ورصفاؤه المؤسسون في العقد الأول من عمر المجمع يعمل باصرار ارتدت معه المعوّقات والمثبطات ، ولقد كان بعض تلك المعوقات والمثبطات يبدو معقولاً مبرّراً لولا إصرار تلك الفئة المجاهدة على تفنيد تلك الذرائع ومصادرتها بذرائع أقوى حسماً عند مواجهة الآراء .

وإذا كان المجمع العلمي العربي قد أدّى بوفاء مهمته في تلك الظروف المستعصية ، فهو جدير الآن بأن يؤدي دوراً جديداً في حياة اللغة يتجاوز ما أدّاه في تلك الظروف . إنه يعيش الآن عهداً أطوع مواتاة ، وأقوى

استجابة إلى خدمة اللغة والفكر . إن الوعي العربي هنا ليهيء له أو يجب أن يهيء له كل الوسائل التي تعينه على مواصلة عمله بنشاط وجديّة تجيء في مقدمة ما يمارسه هذا القطر العربي من نشاط في مختلف شؤون الحياة .

إن مجمع اللغة العربية هنا بما يتحلى به أعضاؤه الأعلام من مزايا ، ثم بما يزخر به هذا القطر من كفايات أدبية وعلمية لجدير بأن يتسع لأكثر مما اتسع له حتى الآن .

إن الظروف الثقافية التي تعيشها الأمة العربية لتستدعي مجامعها أن تكون بمستوى حاجات الأمة وتطلعاتها ، ولن تكون كذلك ما دامت تعيش الكفاف ، وتحيا الجفاف .

ورجائي ـ بل أقول ويقيني ـ في أن سورية العربية ستكون لمجمعها المتيد في طليعة أقطارنا رعاية وإيثاراً ، بخاصة وهي تلتزم العربية لغة علم وفن ، وتبشر بذلك ، وتدعو إليه بقية الأقطار .

لقد شبّ عمرو عن الطوق ، وتجاوزت مهمّات المجامع حدودها الأولى . كان في طليعة مهامها أن تبرئ لغة الدواوين والصحف مما علق بها من خطأ أو دخيل ، وأن تصلح الأساليب ، وتنفي عنها الصنمة والتكلف ، وقد بلغت العربية المستعملة نصيباً يكبر على هذه الحاجة ويرتفع عنها .

كان من مهامها مواجهة ما سمي يومئذ بالدعوات التجديدية ، التي ظهر لها دعاة ومشايعون ، مثل الدعوة إلى إحلال العامية محلّ الفصحى ، بحجّة أنها أقرب إلى نفوس المواطنين ، وأيسر في التعبير عما في تلك النفوس ، وكدعوى عجز العربية عن استيعاب ما جدّ في شؤون الحياة ، وتخلّفها في الميدان الحضاري ، لهذا فهي جديرة بالإغفال ، أو جديرة بقبول الدخيل ، قبولاً يتسع لأن تطغى الدخيلة على الأصيلة . وكدعوى الضيق باعراب أواخر الكلم ، وعجز المتحدث والكاتب عن أن يفي التزاماتها إلا بجهد كبير .

تلك وسواها قضايا واجهت رجال الفكر الحريصين على الحفاظ على هذه اللغة . ورجال المجامع بخاصة واجهوها بما كسر من حدتها ، وضعّف من حجتها ، وماتت أو كادت أن تموت إلى غير رجعة .

لقد آمن رجال العلم في غالبيتهم ، وعلى اختلاف معارفهم ومدارسهم بقدرة هذه اللغة على البقاء والوفاء ، وشارك كثير منهم مشاركة جادّة وقيّمة في عضوية المجامع اللغوية ، بما وضعوا أو تواضعوا عليه من مصطلحات ، وعاد أكثر من جامعة يولي العربية مكاناً في تدريس العلوم ، والمكان الأوّل في تدريس العلوم الإنسانية .

ومع أننا ما نزال في بداية الطريق ، وأمامنا أشواط بعيدة في هذا المضمار ، إلا أننا وضمنا خطواتنا على الطريق السويّ ، وتخلصنا من نزعة الخوف والتهيب من أن نسير عليها ، وقد كان الخوف أسلمنا إلى العجز ، واتهام لغتنا بالقصور .

إن المجامع اللغوية كانت تبدو لجمهرة العلميّين وكأنها مؤسسات تعمل لتبعث الحياة في موات أكبر الظن ألاّ تعود له حياة ، وكانت المجامع ذواتها تعمل بأمل ضعيف في قدرتها على إحياء هذا الكائن حياة فاعلة ومنفعلة ، وغالب ما كانت ترجوه المحافظة على ما فيه من رمق حياة .

أما الآن فقد اختلفت النظرة أيّما اختلاف فجمهرة العلماء ينظرون إلى مجامع اللغة في رجاء موثّق بجدواها ، وبضرورة قيامها على ما يواجهون من مشاكل التعبير . وهذا الاتحاد العلميّ العربيّ المنعقد في دمشق الآن خير شاهد على ذلك . فقد شهدناه يوزع جهده بين فكرة اهتدى إليها ، ولفظة مواتمة تصلح وعاءاً لما اهتدى إليه ، والهيئات الفنية والمؤسسات الشعبية تلجأ إلى المجامع اللغوية ، تستعين بها لسدّ حاجتها ، وتستفتيها بما تصالحت عليه من مواضعات .

هذا الوعي العام الذي انتشر في أقطار العربية ليهيّئ للمجامع اللغوية ظروف عمل موائمة ما كانت تتهيأ قبل عقود من السنين .

ويجيء في تعداد المهيئات للقدرة على مواجهة هذه الظروف عدة أمور :

في طليعتها توثيق الروابط بين الجامعات والمجامع توثيقاً تحدده طبيعة الصلة العضوية بين الفكرة والعبارة ، والمفهوم والمنطوق .

يتلو ذلك توثيق الروابط بين المجامع والمجتمعات توثيقاً تقرره وتحدده طبيعة الصلة العضوية بين اللغة والمتحدثين بها ، فاللغة تراد لهم ، ويحسن أن تنتزع منهم ما كانت استعمالاتهم سليمة موافقة لأصول العربية ، ويجب أن توائم مشاربهم وأذواقهم متى أردنا لها صفة الذيوع والبقاء .

ثم توثيق الروابط بين المجامع اللغوية العربية توثيقاً تحدده أيضاً طبيعة الصلة بينها ، وهي صلة لو أغفلت ولم تعط نصيبها من الإحكام لم يعد أيّ مسوّغ لتعددها بل يكون تعددها وتكثرها ضرراً على العربية ، وسبباً من أسباب البلبلة والضياع .

مما عيبت به العربية في القديم كثرة الألفاظ المترادفة على معنى واحد ، وكثرة الألفاظ المشتركة بين معاني مختلفة ، يصل الخلاف بينها إلى حدود التضاد ، بحيث يكون اللفظ للشيء وضدّه ، بل ولنقيضه أحياناً .

هذه الظاهرة اللغوية ستكرر في عصرنا حين تتعدد المجامع اللغوية ، وحين ينفرد كل منها بعرف واصطلاح ، وسيقال يوماً عن لغتنا المعاصرة : هذه لغة شامية ، وذاك مصطلح مصريّ ، وتلك عراقيـة وهلمّ جرّا في تعداد بقية الأقطار حين تنشأ فيها مجامع ومواضعات .

أيّها السادة :

لقد كنا ننقسم قبائل وبطوناً وأفخاذاً فانقسمت لغتنا ، وتعدّدت لهجاتها ، واختلفت مفاهيم مفرداتها ، ونحن الآن ـ والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه

سواه - تنقسم أقطاراً أشرفنا أن نبلغ بها عدد القبائل والبطون والأفخاذ ، فإذا قبلنا للغتنا أن تعدد تعدد هذه الأقطار فالضياع لها كل الضياع .

نحن نعيش الترادف والاشتراك والتضاد والتناقض أحياناً في حياتنا السياسية فجدير بالمجامع أن تلغي ذلك في حياتنا اللغوية .

لست بسبيل أن أضع صورة كاملة للتخطيط والتنسيق ، ولكني انوّه بضرورة التنسيق ، تاركاً وضع الصورة الكاملة إلى المجامع الثلاثة ، منوّهاً بأن المجمع العلمي العراقي يهمّه ويسرّه أن يتم التناسق في اطراد نبلغ به حدود التوحيد .

وفي رأيي المتواضع أن يكون هناك مجمع لغوي واحد ، تمتدّ له في الأقطار العربية المهيأة لذلك وحدات يرتبط بها وترتبط به ارتباطاً وثيقاً ، فيما تخطط له من أعمال ، ثم يكون لها مؤتمر دوري واحد فيما تستصدر من مقررات .

أستأنف أيها السادة الأعلام تهنئة للشعب العربي في سورية بأعياده العلمية ومثلها للشعب العربي في كل مكان بأعياد سورية الحبيبة له ، العزيزة عليه ، وتحية تقدير إلى القوامين على إدارة أسبوع العلم فيها ، وإبلاغه هذا المستوى من التخطيط والتنسيق .

وأنتم يا سادتي الأعلام رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق ويا أعضاءه أقدم لكم باسم المجمع العلمي العراقي وباسمي أطيب التمنيات ، وأصدق الدعوات في أن يكلل الله جهودكم بتوفيق منه ، وأن يمدّكم بحوله وعونه حتى تبلغوا بمجمعكم ما تتمنون ونتمنى له إنّه وليّ التوفيق .

عبد الرزاق محيي الدين

المتحف الوطني بدمشق

في عيده الذهبي

كلمة ألقيت بمناسبة الاحتفال بالعيد
الذهبي الخمسيني لمجمع اللغة العربية
والمتحف الوطني بدمشق في مدرج جامعة
دمشق في ١٩٦٩/١٠/٥ .

عندما ذرّ قرن الاستقلال سنة ١٩١٩ ، وفي الأيام الأوائل لهذا الحدث العظيم في حياة هذا البلد ، نشأت عدة مؤسسات علمية وطنية هامة ، منها متحف دمشق ، وكان اسمه إذ ذاك « دار الآثار الوطنية » .

إن دلّ هذا الحدث على شيء ، فهو يدل على نضج الطبقة الواعية وعلى عمق تفكيرها في ذلك الوقت المبكر ، ويشير إلى أن البلاد العربية التي عاشت مدة طويلة في عهد الانحطاط ، سادرة في طريق الخمول والركود ، لم تفقد أصالتها ، فإنّ جذوة ضئيلة من أصول الحياة ، وبصيصاً ضعيفاً من النور ، ما لبثا أن توهّجا في الوقت المناسب ، وأصبحا قبساً يستضاء بهديه .

صحيح أن عوامل كثيرة أرادت لهذا النور أن ينطفئ ، لكن أصالة هذه الأمة وتعلقها بالماضي المجيد ، أمدّت هذا النور بالحياة ، وهيأت له الاستمرار ، وجعلته أكثر توهجاً وتألقاً .

غرست نواة المتحف في المدرسة العادلية الكبرى بدمشق ربيبةً للمجمع العلمي العربي . رعاها المجمع العلمي ، وهيأ لهـا ـ على قدر ما لديه من

إمكانات ـ جميع أسباب الحياة ، وحماها من صروف الزمن . شبّت هذه المؤسسة الصغيرة ، وترعرعت ، وبلغت سن الرشد ؛ وكان لا بد لها من أن تشق طريقها في الحياة ، فانفصلت عن أمها إلى بناء جديد ، هو البناء الحالي ؛ ولكن وشائج القربى وخيوط المحبـــة ، لا تزال تربط بين هاتين المؤسستين : المجمع ورجاله ينظرون من بعيـد إلى هذه المؤسسة الفتية ، يتتبعون خطواتها ، ويكلؤونها بعين الحب والحنان ، ويفخرون بازدهارها . المتحف الذي نما ، وأصبح المديرية العامة للآثار والمتاحف ، لا يزال يعترف بأبوّة المجمع العلمي ، وهو ينظر إليه بكل إجلال ، يحترم ذكرى أولئك الرجال البررة ، أعلام الفكر في فجر النهضة الجديدة ، ويقدّر خلفاءهم الذين يتابعون السير في الطريق ، يحملون مشعل الفكر ، ليتمموا الرسالة .

استقر المتحف الوطني ببنائه الجديد سنة ١٩٣٦ ، وقد كان مخطط البناء قابلاً للتوسع على مراحل ، وقد ضمت إليه بالتدريج الأبنية التالية : أعيد في جواره الغربي إنشاء قسم من قصر الحير الغربي المكتشف في البادية ، وأنشئت مكاتب الإدارة إلى غربي القصر في الوقت نفسه ، ودشن هذا العمل سنة ١٩٥٠ . أنشئ الجناح الغربي سنة ١٩٥٣ وهو مؤلف من قبو وثلاث طبقات ؛ ضمّ إليه في سنة ١٩٦٠ رواق هام كان مطلاً على ملعب كرة السلة المجاور ، وأخيراً أنشئ امتداد الجناح الغربي سنة ١٩٦١ ، وهو يضم في نهايته قاعة المحاضرات والمكتبة .

وصل المتحف الوطني بتوسعه إلى غايته ، وأصبح مؤلفاً من أربعة فروع مصنفة حسب التسلسل الزمني :

١ ــ فرع الآثار السورية القديمة لحفظ الآثار منذ فجر التاريخ حتى الغزو اليوناني في القرن الرابع قبل الميلاد .

٢ ـ فرع الآثار السورية من العهود الكلاسيكية (اليونانية الرومانية والبيزنطية) .

٣ ـ فرع الآثار العربية الإسلامية .

٤ ـ فرع الفن الحديث .

عُنيَ القائمون على المتحف بتصنيف الآثار حسب المبادئ العلمية ، كما عُنوا بعرضها حسب أحدث الأساليب المتحفية .

★ ★ ★

ازدهر المتحف الوطني بفضل رعاية الدولة ورجال الفكر وتعاون القائمين عليه ، وأصبح ـ بحمد الله ـ وجه البلد الناصع ، وسجل تاريخه الخيِّر ، حتى غدا قبلة الأنظار ، تهوي إليه أفئدة المختصين من العرب والأجانب على السواء ؛ ولكن مع ذلك فاننا نشعر أن متحفنا الفتي ، لا يزال في بداية الطريق ، وإنا نتطلع دوماً إلى تلافي عيوبه ، واستكمال نواقصه ، وإيجاد المجال الحيوي الجديد لتوسيعه ، ولا يكون هذا طبعاً إلا بانشاء متحفين جديدين ، يستقل فيهما فرع الآثار القديمة وفرع الفن الحديث . وقد وضعنا هذا المشروع في خطتنا الخمسية الثالثة ، وكلنا رجاء أن يتحقق هذا المشروع في المستقبل القريب ، حتى تظل هذه المؤسسة سائرة في طريق التقدم والازدهار .

★ ★ ★

إذاً ، هذه النواة التي غرسها رجال الفكر منذ خمسين عاماً ، وتعهدها في أول نشأتها المجمع العلمي ، قد نبتت نباتاً حسناً وأزهرت وأثمرت .... يعود الفضل في ذلك إلى رجل عظيم بعلمه وخلقه وإخلاصه لوطنه العربي الكبير ، تولَّى أمر هذه المؤسسة منذ ولادتها ، فأحسن قيادتها ، وسهر على تنميتها بروح عالية ، بذل جهوداً كبيرة ، حتى غطَّى بأتعابه قصور

الوسائل والامكانات التي وضعت تحت تصرفه . ظل هذا الرجل مثابراً صابراً متجلداً ، حتى استطاعت هذه المؤسسة أن تقف على قدميها . لم يكن هذا الرجل يعمل في نطاق المتحف فحسب ، بل وقع عليه أعباء أخرى خارج المتحف : فهو الذي كان يعنى بالأبنية الأثرية ، ويسعى إلى ترميمها ، يراقب تجارة الآثار ويحدّ ـ ما استطاع ـ من تهريب الآثار ، يتعاون مع السلطات من أجل حفظ تراث الأمة المنقّب عنه ، وقد استطاع ـ باخلاصه وتفانيه أن ينقذ آثاراً هامّة ذهبت إلى الغرب أو إلى طريق الغرب ، فاستعادها ، وهي الآن من أهم محتويات متحف دمشق . . هذه الأعمال الكبيرة وغيرها كثير . . . . جعلت هذا المتحف الصغير ينقلب إلى مؤسسة كبيرة في عهد الاستقلال التام سنة ١٩٤٦ هي « مديرية الآثار العامّة » . سهر هذا الرجل نفسه على رعايتها في أول نشأتها ، واضطلع بأعبائها ، فترة من الزمن . . . لذا لا يصح أن نحتفل بعيد هذه المؤسسة الذهبي ، دون أن نحتفل ونشيد بجهود هذا الرجل الكبير . . . . واسمحوا لي الآن أن أذكر اسمه بوضوح ، ذلك هو الأستاذ جعفر الحسني ، أطال الله عمره .

هذا الرجل الكبير ، عندما شعر أن هذه المؤسسة أصبحت قوية ، تستطيع أن تسير في طريقها التقدمي ، أسلمها إلى أيدٍ أمينة شابّة ، وانعطف إلى المؤسسة الأم ، وهي « مجمع اللغة العربية » يثابر على عمله حتى الآن ، ولكنه لا زال يرمق من بعيد مؤسستنا الناشئة ، ويرنو إليها بقلبه .

ظلت مؤسستنا التي أصبح اسمها منذ سنة ١٩٥٩ « المديرية العامة للآثار والمتاحف » تتابع بجدّ السير الحثيث في سبيل تدارك النواقص وتلافي النقائص ، وكان عهد الدكتور سليم عادل عبد الحق ، ذلك الرجل النشيط الدؤوب . . . مليئاً بالاحداثات والمنجزات ، ولا زالت هذه المؤسسة تسير في طريقها التقدمي حتى الآن .

لا أريد أن أشير هنا إلى جميع أوجه النشاط ، وإنما أكتفي بالنظر إلى مساعي مؤسستنا الناشئة في مجال المتاحف فقط :

١ — اكتمل تقريباً المتحف الوطني ، ونحن نرغب في إنشاء متحفين جديدين — كما ألمعنا سابقاً — ، ولقد أعدنا النظر في تنظيم المتحف وتنسيقه بمناسبة انعقاد المؤتمر التاسع للآثار الكلاسيكية بدمشق في الشهر الماضي ، وكان بقاعته الشامية وحديقته الغناء مقرّاً المؤتمر . لقد كان المتحف مفاجأة سارّة لكل من لا يعرفه سابقاً ، وقد أعرب المؤتمرون عن إعجابهم وسرورهم العميق ، بأن عاشوا أياماً في ردهات هذا المكان الجميل ، حتى أن بعضهم راق له أن يسميه « جنة العلماء » .

٢ — أنشئ متحف التقاليد الشعبية والصناعات الوطنية القديمة في قصر العظم بدمشق سنة ١٩٥٣ ، ويعتبر من أهم متاحف الشرق الأوسط من نوعه ، وأكثرها غنى وجمالا .

٣ — ٥ — أنشئ متحف حماة في قصر العظم بحماة ، ومتحف تدمر الجديد ، ومتحف طرطوس ، ودشنت هذه المتاحف الجديدة سنة ١٩٦٠ .

٦ — متحف حلب القديم الذي كان أسس سنة ١٩٣١ ، هدم ، وأنشئ متحف على أحدث أسلوب ، تسلمنا بناءه سنة ١٩٦٧ ، ونظمنا جزءاً منه في خلال السنتين الماضيتين ، واحتفلنا منذ أيام بتدشينه . ويدلّ ما أنجز منه حتى الآن ، أنه بداية طيبة ، تبشّر بمستقبل عظيم لهذا المتحف المرموق . وقد عبر العلماء المؤتمرون عن إعجابهم به ، واعتبروه أحدث متحف صنّف ونُظّم حسب أحدث الأساليب المتحفية في العالم .

٧ — متحف السويداء لا يزال نواة لمتحف ستكون له أهميته في المستقبل .

٨ — ٩ — أنشئ في أحد أبراج قلعة بصرى الشام متحف صغير ، يمثّل حياة المنطقة ونشاطها في المجالين الاجتماعي والاقتصادي ؛ وأعيد إنشاء دارة شهبا من أجل فسيفسائها الرائعة ، ستكون متحفاً للبلدة .

١٠ — مددنا يد العون لمتحف دمشق الحربي عند إنشائه سنة ١٩٥٩ ، ونحن مستمدون لبذل أي جهد في مساعدة المتاحف التي تفكر الدولة في إنشائها .

١١ — نحن الآن في سبيل تنظيم متحف جديد في المدرسة الجقمقية بدمشق ، سيمثّل فيه تطور التعليم وتطور الكتابة والخط العربي ، وسيكون — إن شاء الله — متحفاً هامّاً ، يسدّ بعض الفراغ في هذا الموضوع .

★ ★ ★

وهنا لا بدّ لي من أن أشير إلى أن هذا القرن الذي نعيش فيه هو عصر المتاحف : لقد أدركت الأمم الراقية أن كل وجه من وجوه النشاط أو أي مظهر من مظاهر الحضارة يجب أن يبرز في متحف خاص ، يكون ملاذاً للباحثين وممهداً للطلبة الناشئين . لذا كان تعدد وتنوع في المتاحف ؛ نعدّ منها : المتحف الأثري ، والمتحف التاريخي ، ومتحف التاريخ الطبيعي ، والمتحف الاتنوغرافي ، والمتحف الصحي ، والمتحف الزراعي ، والمتحف الصناعي ، والمتحف الفلكي ، والمتحف الحربي ، ومتحف الأحياء المائية ، والمتحف البلدي ، ومتحف تطور العلوم ، ومتاحف الفنون التطبيقية ، ومتاحف الفنون التشكيلية . . . إلى ما هنالك من متاحف متنوعة . . . . فلربما أنشئ متحف لكل فرع من فروع العلوم ولكل ضرب من ضروب الفنون ! إن كل دولة ، حتى وكل مدينة ، تباهي بمتاحفها ، ترعاها وتهيئ لها جميع أسباب الحياة والازدهار ، ذلك لأن المتاحف بحفظها على التراث ، وبدأبها على الدراسة والبحث وإشاعة العلم والثقافة لجميع المواطنين ، هي

مراكز إشعاع ، وسجلات أمينة لمدنيَّة الأمة ، فهي تشكل ما يمكن أن نسميه « خميرة الحضارة المستمرَّة » ، فبدونها تضعف جذور الحضارة ، وتذوي أزهارها ، وتتراجع الأمة إلى الوراء ، فمن يرضى لأمته التراجع ؟ .

★ ★ ★

وأخيراً أحبّ قبل أن أتخلى عن مكاني هذا أن أهمس في أذن بعض المؤسسات ، فأذكّرهم بواجبهم نحو إنشاء المتاحف اللائقة التي يجب أن تفتح إلى الجمهور وتكون مدارس علمية عملية ، فأتساءل : أين **المتحف الصحي** الذي أنشئت نواته سنة ١٩٣٢ في وزارة الصحة ثم اختفى ؟ أين **متحف التاريخ الطبيعي** الذي كان يجب أن ينشأ منذ نشأت كلية الطب ثم كلية العلوم ؟ هل يبقى **المتحف الزراعي** محصوراً في دار صغيرة ، لا يجد فيها مجال الانتعاش ؟ هل تظل البلاد دون **متحف علمي** ، يبيّن فيه تطور الأدوات والآلات العلمية منذ القديم حتى أيام الذرة واكتشاف القمر والكواكب ؟ . كيف نريد أن يتعلم شبابنا حسياً وعملياً ، حتى نستطيع أن نجاريَ بهم ركب الحضارة ، ونشغل مكاننا بين الأمم المتقدمة ؟ إن تراثنا القديم يحضّنا ويحثّنا على ألا نركن إلى التغني بالماضي ، ونستريح على أنقاضه ، دون أن نعمل للحاضر وللمستقبل . لقد كنا سابقين ، فسُبقنا ، وكنا متفوقين ، فغُلبنا على أمرنا . إن آثارنا القديمة ومعانيها الكامنة في أحشائها تستنهضنا من جديد فلننهض ، ولنسر بسرعة تعوّض علينا ما فات ، وذلك حسب خطَّة مستمرة محكمة ، ثم نسأل الله السداد والتوفيق .

محمد أبو الفرج العش

الاصطلاحات الفلسفية

- ٣٤ -

(غ)

الغامض

في الفرنسية	Obscur
في الانكليزية	Obscure
في اللاتينية	Obscurus

الفكرة الغامضة (Idée obscure) ضد الفكرة الواضحة (Idée claire) وقد عرف (ديكارت) الفكرة الواضحة بقوله : إنها الفكرة الحاضرة المتجلية لذهن منتبه . وفرق (لوك) بين الفكرة البسيطة والفكرة المركبة فقال إن الفكرة البسيطة تكون غامضة في حالتين :

١ — أن يكون الأثر الذي تتركه صورة الشيء في الحواس ضئيلاً أو تكون الحواس المدركة لتلك الصورة ضعيفة .

٢ — أن تكون الذاكرة عاجزة عن حفظ دقائق الشيء حتى اذا استعادت صورته جاء خافت الضياء ، حائل اللون بتأثير الزمان .

أما الفكرة المركبة فلا تكون غامضة إلا إذا كانت مؤلفة من صور بسيطة غامضة ، أو كانت الصور البسيطة التي تتألف منها غير محددة العدد غير واضحة الترتيب .

وبين (ليبنيز) أن الفكرة تكون واضحة إذا كانت كافية للدلالة على الشيء أو معرفته ، وتكون غامضة إذا لم تكن كذلك ، فإذا كنت أبحث عن شيء ثم عرض لي ذلك الشيء فلم أتبينه فمعنى ذلك أني لا أعرف بوضوح عن أي شيء أبحث .

وبين (بيرس) أن الفكرة تكون غامضة إذا كان صاحبها لا يعرف العناصر التي تتضمنها ، ولا الأفعال والنتائج المترتبة عليها .

وللتمييز بين الأفكار الواضحة والأفكار الغامضة أثر تربوي هام يظهر في طريقة (هربارت) وهي توجب على المعلم أن يبدأ بالاطلاع على حالة تلاميذه العقلية ، وأن يصحح أفكارهم الخاطئة ، وأن يحدد الغرض المراد بلوغه ، وأن يربط ذلك الغرض باهتمام الطالب وشوقه ، وأن يقسم الصعوبات ، وأن لا ينتقل من مسألة إلى أخرى إلا بعد تحققه أن الطلاب قد فهموها ، وأن يقدم الأمور الحدسية على الأمور النظرية ، وأن ينتقل من المحسوس إلى المعقول تارة ، ومن المعقول إلى المحسوس أخرى حتى يصل إلى المطلوب .

ومعنى ذلك كله أن الغموض (Obscurite) ليس أمراً نسبياً تابعاً لدرجة استعداد الطالب للفهم ، وإنما هو أمر موضوعي ناشئ عن سوء الغرض وعدم مناسبة الألفاظ للمعاني ، وفقدان التسلسل والترتيب والتنسيق .

ومذهب الغموض أو مذهب التعمية (Obscurantisme) هو المذهب الذي يمنع السلطات الحاكمة من نشر المعرفة العلمية ، وما يتبعها من تفكير منطقي لخوفها على نفسها من تفتح الأفكار .

الغاية

في الفرنسية	Fin
في الانـكليزية	End . purpase
في اللاتينية	Finis

الغاية ، ما لأجله وجود الشيء ، وتطلق على الحد النهائي الذي يقف العقل عنده ، والتام أو الـكمال المراد تحقيقه ، والمصير المراد بلوغه . وقد تطلق كذلك على الغرض ويسمى علة غائية ، وهي ما لأجله إقدام الفاعل على فعله ، وهي ثابتة لـكل فاعل يفعل بالقصد والاختيار . وتنقسم إلى غاية قريبة وغاية بعيدة ، وغاية قصوى ، ويقابلها الوسيلة .

وقد تطلق الغاية على كل مصلحة أو حكمة تترتب على فعل الفاعل من حيث إنها على طرف الفعل ونهايته ، وتسمى فائدة أيضاً ، فهما أي الغاية والفائدة متحدتان ذاتاً ، مختلفتان اعتباراً . والفرق بين الغاية بمعنى الغرض والغاية بمعنى الفائدة أن الثانية أعم من الأولى لوجودها في الأفعال الاختيارية وغير الاختيارية ، على حين أن الغاية بمعنى الغرض لا توجد إلاّ في الأفعال الاختيـارية . والدليل على ذلك أن بعض الفلاسفة قد يطلقون الغاية على ما يتأدى إليه الفعل ، وإن كان غير مقصود بالاختيار ، وهـكذا يثبتون للقوى الطبيعية غايات مع أنه لا شعور لها ولا قصد . مثال ذلك قولهم : إن غاية وجود الأسنان قضم الطعام ، وغاية وجود المعدة هضمه .. الخ .

وقد فرق (كانت) بين الغائية الداخلية والغائيـة الخارجيـــة (Finalité interne) (Finalité externe) فأطلـق الأولى على العلاقات المشتركة بين الأجزاء والـكل كما في جسم الـكائن الحي ، وأطلق الثانيـة

على العلاقة التي يكون فيها أحد الموجودات وسيلة لتحقيق مصلحة غيره ، كالحيوان الأهلي بالنسبة إلى الإنسان .

وجملة القول إن للغاية معنيين (أحدهما) هو القول ان الغاية نهاية الفعل في الزمان ، وحده الأقصى في المكان ، وهي بهذا المعنى ضد الابتداء ، و (الآخر) هو القول إن الغاية هي الغرض الذي من أجله يقدم الفاعل على الفعل ، والجهة التي يتوجه إليها في حركته ونزوعه ، وهي بهذا المعنى ضد الوسيلة .

والغاية بذاتها (Fin en soi) عند (كانت) هي الغاية الموضوعية الثابتة وهي ضرورية ومطلقة بخلاف الغاية الشخصية أو الفردية التي من أجلها تقدم الإرادة على الفعل ، فهي نسبية ومتغيرة . مثال ذلك ان الإنسان من حيث هو موجود بالفعل يمكن أن يكون له غايات متغيرة ، إلا أنه من حيث طبيعته المثالية يجب أن يكون له غاية واحدة مطلقة وضرورية .

وعالم الغايات (Régne des fins) عند (كانت) أيضاً مقابل لعالم الطبيعة ، وهو مؤلف من قوانين موضوعية تنسق علاقات الموجودات العاقلة . إن من خصائص العقل أن يتصور الغايات ، فاذا كان هذا العقل غير خاضع لشرط أمكن اعتبار الموجود العاقل غاية بذاته . ويطلق اسم عالم الغايات على العالم الذي يكون فيه كل موجود عاقل غاية بذاته شريطة أن يضع شريعته بنفسه ، وأن يحترم الكرامة الإنسانية في شخصه ، وفي أشخاص بني الإنسان جميعاً ومعنى ذلك كله أن عالم الغايات هو العالم الذي يحدد واجبات أفراده تحديداً موضوعياً ، وهو عالم مثالي إلا أن (كانت) يزعم أنه يمكن تحقيق هذا العالم تحقيقاً عملياً بطريق الحرية .

والغائي (Final) هو المنسوب إلى الغاية تقول العلة الغائية أي العلة التي من أجلها وجد الشيء . مثال ذلك ان العلة الغائية لفرض الضرائب تحصيل المال الذي تحتاج إليه الدولة ، وان العلة الغائية لتعليم العلوم تثقيف العقل وزيادة سيطرة الإنسان على الطبيعة ، ومن قبيل ذلك أيضاً قولهم غائية الفكر وغائية التطور .

والعلة الغائية مقابلة للعلة الفاعلة ، والفرق بينهما كما بينا سابقاً أن العلة الفاعلة متقدمة على المعلول بالزمان على حين أن الغاية متأخرة في الوجود عن الوسيلة ، وإن كانت متقدمة عليها بالتصور . وهي كما قيل علة تمامية لا يمكن تحقيقها بالفعل إلا بعلل فاعلة . قال (غوبلو) : « إن معنى الغائية لا يضيف إلى مسألة الاستقراء أي توضيح بل يضيف إليها شبهة جديدة ، إذ كيف يعقل أن تكون الوسيلة علة الغاية وأن تكون الغاية في الوقت نفسه محدثة للوسيلة ، فالغائية مبنية على السببية كما أن الاستقراء ضروري للتأويل الغائي ، فلا يعقل إذن أن تكون الغاية أساساً لأمر لا تقوم هي نفسها إلاّ عليه . » ومعظم الفلاسفة الذين يقولون بالعلل الغائية يذهبون إلى أن كل ظاهرة من ظواهر هذا العالم جزء من مخطط عام وضعه صانع حكيم أو عقل مدبر . وسبب ذلك أنهم رأوا أن بعض ظواهر الطبيعة تعمل على تحقيق غاية واحدة ، وأن بعضها الآخر قد رتب ترتيباً محكماً في نظام معقول متفق مع حاجة كل موجود ، كأن كل شيء في العالم بقدر ، وكأن الغاية القصوى بهذا النظام تحقيق الخير في الوجود . وقد أسرف بعضهم في تعليل الظواهر الطبيعية بالأسباب الغائية حتى نسبوا إلى الطبيعة مقاصد وغايات لا وجود لها إلا في أذهانهم .

ومبدأ الغائية (Principe de finatité) هو القول ان العالم خاضع لنظام ثابت وان لكل شيء فيه غاية ، وإن الغايات الجزئية مرتبطة فيه بغاية

كلية . وللفلاسفة إزاء هذا المبدأ موقفان : أحدهما موقف القائلين بضرورته للعلم ، والآخر موقف القائلين بعدم الحاجة إليه إلاّ في الأفعال البشرية .

ويطلق اصطلاح المذهب الغائي (Finalisme) على كل نظرية فلسفية تعلل ظواهر الوجود بالأسباب الغائية ، فاذا اقتصر هذا التعليل على تفسير ظواهر الحياة فقط سمي المذهب الغائي بالمذهب الحيوي (Vitalisme) وإذا عم جميع ظواهر الوجود سمي بمذهب الغائية الكلية ، (Téléologie) . والمراد بالغائية الكلية أن العالم بأسره جملة من العلاقات بين الغايات والوسائل ، وقد يراد به أيضاً علم الغايات الإنسانية (Science des fins humaines) ويشمل نظرية العدالة ونظرية السعادة .

الغريزة

في الفرنسية Instinct

في الانكليزية Instinct

في اللاتينية Instinctus

الغريزة مجموع معقد ومحدد من ردود الفعل الخارجية والوراثية المشتركة بين جميع أفراد النوع والمتعلقة بغرض معين لا يشعر به الفاعل ، وقد تطلق على الملكة الطبيعية التي تصدر عنها صفات ذاتية ، أو على النظر المتعلق بالقلب .

وقد أطلق (رومانس) اسم الغرائز الابتدائية (Instincts primaires) على الغرائز الناشئة عن بنية الكائن الحي الخاضعة لقانون الاصطفاء الطبيعي ، وأطلق اسم الغرائز الثانوية (Instincts secondaires) على الغرائز التي تصدر عنها الأفعال اللاإرادية التي هبطت إلى حظيرة اللاشعور بعد أن كانت في الأصل مصحوبة بالوعي .

والغريزة من الناحية النفسية مختلفة عن الميل ، والفرق بينها أن بعض الأفعال التي تصدر عن الغريزة مباشرة ليست بالضرورة وسائل لتحقيق غرض معين ، على حين أن الميل إنما وجد لغرض معين ، وإن كان لا يشترط فيه أن تكون الوسائل المؤدية إلى تحقيقه متوافرة لدى الفاعل .

وقد تطلق الغريزة مع ذلك على الفعل المناسب لغرض معين شريطة أن يكون تلقائياً غير مكتسب بالتربية والتجربة والفكر . مثال ذلك بعض الأفعال الصادرة عن المواهب الفردية أو الملكات الطبيعية ، كموهبة الإحساس بالإيقاع (Rythme) أو ملكة التصرف في الأمور تصرفاً حسناً .

والغريزة عند بعض الفلاسفة هي الطبيعة المقابلة للعقل . حتى لقد زعم (برغسون) أن الغريزة والعقل نمطان متوازيان من أنماط الفعل والمعرفة ، وقد أدّى التطور إلى تنوعها ، وإلى اختصاص كل منها بفعل معين ، فالغريزة مختصة بوظائف الحياة ، والعقل مختص باستعمال الأدوات غير المضاة .

وقد فرق (فرويد) بين غريزة الحياة وغريزة الموت ، فقال : إن غريزة الحياة مؤلفة من (الليبيدو) « Libido » وهو الطاقة الحيوية ، أو الغريزية الباحثة عن اللذة ولا سيا اللذة الجنسية المؤدية إلى بقاء الحياة . أما غريزة الموت فهي مؤلفة من الأفعال العدوانية الهدامة المؤدية إلى إرجاع الحياة إلى المادة الجامدة .

والغريزي هو المنسوب إلى الغريزة تقول : الحرارة الغريزية ، والميول الغريزية . الخ .

الغضب

في الفرنسية	Colère
في الانكليزية	Anger , choler

الغضب انفعال نفساني مقارن لغريزة الكفاح والمقاتلة ، وهو المظهر الايجابي لغريزة الدفاع عن النفس أو لغريزة حفظ البقاء .

وللغضب درجات مختلفة أدناها العتب والموجدة ، وفوق ذلك السخط والغيظ والتلظّي والتضرم والتلهب والفوران والهيجان الشديد .

وقد عرفه القدماء بقولهم انه حركة للنفس مبدؤها إرادة الانتقام ، وأطلقوا اصطلاح القوة الغضبية على القوة التي يكون بها الغيظ والحنق والنجدة والإقدام على المكاره والتسلط والترفع وضروب الكرامات (راجع (تهذيب الأخلاق لمسكويه ص ١٥) .

أما المحدثون فيقولون إن الغضب إرادة انتقام صادرة عن شعور المرء بضرر أو ألم أو احتقار أو إهانة يلحقها به غيره .

الغير والغيرية

في الفرنسية	Autre, altruisme . altérité
في الانكليزية	Other ....
في اللاتينية	Alter ....

الغيرية (Alterité) مشتقة من الغير (Autre) وهـو كون كل من الشيئين غير الآخر ، وقيل كون الشيئين بحيث يتصور وجود أحدهما مع عدم

الآخر . ويقابلها العينية (Le même) وهي كون المفهوم من الشيء عين المفهوم من الآخر .

والغيرية غير الاثنينية ، لأن الاثنينية هي كون الطبيعة ذات وحدتين ، ويقابلها كون الطبيعة ذات وحدة أو وحدات .

ولفظ (غير) في علم النفس مضاد للفظ (أنا) . فكل ما كان موجوداً خارج الأنا أو مستقلاً عنها كان غيرها . ونحن نطلق على هذا الشيء الخارجي اسم اللاأنا ويطلق لفظ الغيرية في أيامنا هذه على مذهب الإيثار (Altruisme) ، ويقابله مذهب الأنانية (Egoïsme) ، وهو يطلق في علم النفس على الميل الطبيعي إلى الغير . أما في علم الأخلاق فيطلق على المذهب القائل بوجوب تضحية المرء بمصالحه الخاصة في سبيل الآخرين .

والغير مرادف للسوي ، ويطلق على الأعيان الخارجية من حيث تعيناتها .

(يتبع) جميل صليبا

مراجعات

سيظلّ هذا العلم بين الناس والعافية رداؤه ما تعاقب العلماء عليه يعمقونه ويحققونه ، وما تعقّبَ النقاد ما ينشر منه ويذاع ـ ولا سيما تراثه القديم ـ يصلحون ما أفسد النساخ منه ومسخوه ، وينفون عنه ما تلبس به من تحريف وتصحيف وزيغ ، ويردّون كل شيء من ذلك إلى نصابه الصحيح .

ولقد أحسنت هذه المجلة الرصينة الإحسان كلّه حين فتحت لأقلام النقاد باب الاستدراك والتصحيح على مصراعيه ، وجعلت وُكدها التحقيق ، حتى انفردت بين المجلات العربية بهذه الخصلة أو كادت ؛ وحين التزمت في ذلك مَهْيَعَ الصدق والصراحة ، وأدت أمانة العلم غير مُوَارِبة ، فملأت مجلداتها الأربعة والأربعين خلالَ نصف قرن بأروع الآثار النافعة في مجال النقد ، وتصفية التراث من الشوائب التي شوهته ، وتوجيه الأقلام نحو التماس الصحة وتحري الصواب فيما تخطّه من شيء ، وكان ما قدمته من ذلك من أهم العوامل التي ارتقت بتحقيق العلم وإصلاح البيان في العصر الحديث .

وأشهد ، وأنا فخور ، أنني قد أفدت من إدماني قراءة هذه المجلة الخالدة علماً كثيراً ، وبصراً بالتحقيق نافذاً ، واقتبست من كتّابها خصلة احترام « الحرف » احتراماً أشبهَ التقديسَ ، ومن التقديس ما يخيّل أنه تشدّد وجمود أحياناً ، وهما من الخصال الذميمة . . ولكنهما في العلم محمودان ومطلوبان ، وإن يكونا ثقيلين على قلوب المُخِفّين وضعاف المُنّة فيه .

ولقد عرض لي في الجزء السابق من هذه المجلة ـ وأنا أتابع الاستفادة مما نُشر فيه من دراسات ممتعة ، وتحقيقات أصاب بها كتابها الأفاضل بالغ التوفيق في تقويم الاعوجاج وتصحيح الانحراف وأجزلوا بها النفع ـ أشياء من النحو واللغة والبلدان والعروض في نصوص نُقِدت ، وأخرى حكيت ، جرى الاجتهاد في تصحيح المنقود منها مجرى وجدتُني أذهب إلى خلافه ، ورُوي المحكيّ منها على غير ما أعلمه من جهة صوابه . وكل ذلك متعلّق بالتراث خاصةً ، لا يتجاوز إلى غيره .

ولما كان المجهود الذي أنفق في تدوينه عظيماً في نفسي ، رأيت من قدره ـ والرأي شركة بين طلاب الحق ـ أن أمنحه العناية التي يستحقّها ، فأُناقِل كتابه الأفاضل ما بدا لي في شأن « الحروف » التي وقفت عندها فيما حققوه ، بما لا يخرج عن نطاق المراجعة إلى النقد المتعسف مما يربأ أمثالنا بأنفسهم عنه ، ولعلّهم لا يجدون غضاضة في ذلك ، عسى أن يتم بهذه المناقلة تصحيح ما نقدوه ، وتقويم ما رووه ، إن أدرك الرأي فيها حظّه من السداد .

— ١ —

في نقد تحقيق كتاب « الجوهرتين » من تأليف أبي محمد الحسن بن أحمد ابن يعقوب الهَمْدانيّ الملقب نفسه بلسان اليَمَن ، الذي نشر نصه العربي وترجمه إلى اللغة الألمانية المستشرق فون كريستوفر تولّ Von Christopher toll في أبسالة سنة ١٩٦٨ م ـ وهو نقد بالغ الخطورة في تقويم نصوص هذا الكتاب الجليل ، صَحَّحَ فيها ٢٢٨ تحريفاً وتصحيفاً ـ جاء ما يأتي :

١ — (ص ٥٥٨) صوّب الناقد الفاضل عبارة الجوهرتين : « فيا له بيتاً » بقوله : « فيا له بيت » .

والذي أعلمه من النحو ومستعمل كلام العرب ، يقف إلى جانب الأصل ، يؤيّده ، ويرفض ضده . ذلك أنّ هذا النداء وما وليه من اللام والضمير جاء على معنى التعجب . والعرب تنصب الاسم الذي يجيء بعده ، وإن شاءت جرّته بحرف الجرّ « مِنْ » ، لا تفعل غير ذلك . وقد عقد سيبويه لهذا باباً خاصاً في « الكتاب » سمّاه : « باب ما ينتصب انتصاب الاسم بعد المقادير » ، وبدأه بالتمثيل له من كلام العرب فقال : « وذلك قولك : ويحه رجلاً ، ولله درّه رجلاً ، وحسبك به رجلاً ، وما أشبه ذلك . وإن شئت قلت : ويحه من رجل ، ولله دره من رجل ، وحسبك به من رجل ، فتدخُلُ « من » ها هنا كدخولها في « كم » توكيداً ، وانتصب « الرجل » لأنه ليس من الكلام الأول ، وعمِل فيه الكلام الأول ، فصارت الهاء بمنزلة التنوين . ومع هذا أيضاً أنك إذا قلت : « ويحه » ، فقد تعجبت وأبهمت من أي أمور الرجل تعجبت ، وأي الأنواع تعجبت منه ، فاذا قلت : « فارساً » و « حافظاً » ، فقد اختصصت ولم تبهم ، وبينت في أي نوع هو ... »(١) .

وعرض سيبويه لهذا التعبير نفسه : « يا له » في موضع آخر من كتابه ، فيما سماه « باباً من الاختصاص يجري على ما جرى عليه النداء » ، قال : « ومما جاء ــ وفيه معنى التعجب ، كقولك : « يا لك فارساً » ــ قولُ شريح ابن الأحوص الكلابيّ :

تمنّاني ليلقـــاني (لَقيطٌ) أ (عامِ) لك (ابنَ صعصعةَ بنِ سعد)

وإنّما دعا لهم تعجباً ، لأنه قد تبين لك أن المنادى يكون فيه على معنى « أفْعِلْ به » ، يعني : « يا لك فارساً »(٢) .

(١) الكتاب (لسيبويه) : ٢٩٩/١ ، بولاق ، ١٣١٦ هـ .
(٢) الكتاب ٣٢٩/١ .

وزاد الشنتمري هذا توضيحاً في تفسيره البيت [١] . وكذلك أبو العباس المبرّد في « الـكامل » [٢] .

والنحاة الخالفون أدخلوا هذا فيما سموه « التمييز » ، ونعتوه بتمييز النسبة ، لأنّ الاسم فيه يفسر جملة مبهة تحتمل أشياء كثيرة ، وقسموه قسمين : محوّلاً ، وغير محوّل ، وعدّوا هذا من غير المحول عن شيء ، ومثلوا له بمثل ما قدمت من أمثلة سيبويه .

ومنه قول أبي الطيب المتنبي في قصيدة مشهورة ، يذكر فيها خروجه من مصر إلى العراق :

فيا لك ليلاً على (أعْكُشٍ) أحَمَّ البلادِ خفيَّ الصُّوَى
وردنا (الرُّهَيْمَةَ) في جوزه وباقيه أكثرُ ممّا مضى [٣]

وفي التبيان : « ليلاً : نصب على التمييز ، وأحمَّ وخفيَّ : صفتان لِـ « ليلاً » ... » [٤] .

وقد أورد ياقوت البيت في (أعكُش) في « معجم البلدان » ، وجاء في طبعته : « ليل » في موضع « ليلاً » ، وهو من تحريف النساخ ، فلا يغترّ به .

٢ — (ص ٥٥٩) قول الناقد الفاضل :

« ومثل قول (التأبَّطَ) خبرٌ ما نابَنَا مصمئلّ » . وهذا شطر بيت من قصيدة تأبَّطَ شرّاً ، التي أولها :

(١) تحصيل عين الذهب (على هامش « الكتاب ») : ٣٢٩/١ .
(٢) الـكامل ٢٠٨/٢ ط . التقدم الأهلية ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
(٣) ديوان المتنبي ٤٩٨ تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام .
(٤) التبيان (المعروف بشرح العكبري لديوان المتنبي) : ٢٨/١ .

إنّ بالشِّعب الذي دون (سَلْعٍ) لقتيلٌ دَمُهُ ما يُطَلُّ » .

وفيه أمرانِ : نسبة الشعر إلى تأبَّطَ شرّاً ، ورفع « قتيل » .

أ ـــ فأما الشعر ، فان نسبته إلى تأبط شراً هي في موضع شكّ قديم عند علماء الشعر ، لا يجوز أن تغفل الإشارة إليه والتنبيه عليه في أي مورد يساق . ومن أقدم العلماء الذين شكوا في نسبته إلى تأبط شرّاً أبو عثمان الجاحظ ، وذلك إذ يقول وهو يورده في كتاب الحيوان : « وقال تأبط شرّاً ، إن كان قالها »(١) ، وساق المقطوعة ثمانية أبيات ليس بينها هذا البيت . وجزم شرّاح ديوان الحماسة لأبي تمام بتوليد هذا الشعر . وحكوا ذلك عن خلف الأحمر ، واستدلوا عليه بدليلين : دليلٍ تعبيري ، ودليل تاريخي جغرافي . فأما الدليل التعبيري ، فقوله فيه : « جَلّ حتى دَقّ فيه الأَجَلُّ » ، قال النَّمَرِي : « إن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا » . وأما الدليل التاريخي الجغرافي ، فذلك أن القائل ذكر في الشعر (سَلْعاً) ، وهو جبل بالمدينة : مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام . قال أبو الندى : « وأين تأبط شرّاً من سلع ؟ ! وهو إنما قتل في بلاد هُذَيْل ، ورُمي به في غار يقال له (رخمان) ! » . وبمثل هذا استدل ياقوت في مقدمة معجم البلدان على توليد هذا الشعر .

ب ـــ وأما رفع « قتيل » ، وهو اسم « إنّ » متأخر ، فخطؤه من البديهيات التي لا تستدعي البسط والاستدلال ، وليس يعرف من رواية البيت في مصادر الشعر إلاّ انتصاب هذا اللفظ فيه على وَفْق سَنَن كلام العرب .

٣ ـــ (ص ٥٦٠) صوّب الناقد الفاضل : « يملان مكة » بقوله : « بِمِمْلاة مكة » ، وضبط باء الجرّ وميم مملاة بكسرتين .

---

(١) الحيوان ٦٨/٣ تحقيق عبد السلام هارون .

والتصحيح سديد ، ولكن ضبط « معلاة » بكسر الميم غير سديد ، لأنه مخالف لما نصّ عليه اللغويون والعلماء بالبلدان من ضبطه بالفتح .

قال ياقوت في معجم البلدان : « المَعْلاة ، بفتح الميم ثم السكون : موضع بين مكة وبدر ، بينه وبين بدر الأثيل . والمَعْلاة : من قرى الخرج باليمامة » [١] .

وقال الزبيدي في تاج العروس : « (والمَعْلاة) كَمَسْعاةٍ : (كسب الشرف) ، والجمع المعالي ، (و) المعلاة : (مقبرة مكة في الحَجُون) مشهورة ، (و) المَعْلاة : (قرية باليمامة) من قرى الخرج ، (و) أيضاً : (موضع قرب بدر) بينهما بريد الأثيل [٢] ، جاء ذكره في كتب السير » [٣] .

— ٢ —

وفي مقالةِ : « وصف الطبيعة في شعر الصنوبري » جاء ما يأتي :

١ — (ص ٥٧٢) قولُ الصنوبري :

كم غدا نحو دير زَكّى من قلـــبٍ صحيح فراحَ وهو حزينُ

وتعليق المجلة عليه : « ضبط المؤرخون كلمة « زَكّى » بالزاي المفتوحة مع الكاف المفتوحة المشددة ثم ألف مقصورة ، أو ألف ممدودة ، وكلاهما صحيح « الديارات للشابشتي ص ١٣٩ كوركيس عواد » ، والبيت مضطرب الوزن » .

---

(١) معجم البلدان ٨/٩٩ ط . السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م .

(٢) كذا ، ويكشف صوابه بالرجوع إلى نص « ياقوت » قبله . وينظر « الأثيل » في معجم البلدان ١/١١٢ ، ومعجم ما استعجم ١/١٠٩ و ٣/٨٣٦ .

(٣) تاج العروس (ع / ل / و) .

وَيَرِدُ على هذا :

أ ــ أن الكتب المعتمدة التي إليها الرجوع في الضبط وتحرّي الصحة ، لا تذكر في ضبط « زَكَّى » هذا غير القصر .

قال ياقوت : « دير زَكَّى ، بفتح أوله ، وبتشديد الكاف ، مقصور : هو دير بالرُّها ... ودير زَكَّى : قرية بغُوطة دمشق معرُوفة »[١] .

وقال البكريّ : « دير زَكَّى ، بفتح الزاي ، وتشديد الكاف ، وإسكان الياء : اسم أعجمي »[٢] . وعنى بالياء الألف المقصورة ، لأنها تكتب بصورة الياء فيما جاوز الثلاثي .

وقال الزبيدي : « ودير زَكَّى ، بفتح فتشديد مقصوراً : أحد الديور[٣] . ذكره أبو عبيد »[٤] .

ب ــ أن التعليق على الديارات (ص ١٣٩) لم يذكر المدّ في « زَكَّى » ، وإنما ذكر كتابة النساخ له بصورة الألف أيضاً « زَكَّا » . قال :

« [زَكَّى] : يكتبه بعضهم « زكى » بدون تنقيط الياء ، أو « زكا » ، بتشديد الكاف في الحالتين . وكل ذلك مقبول . واللفظة سريانية بمعنى عفيف ،

---

(١) معجم البلدان ٤/١٤٢ ــ ١٤٣ .

(٢) معجم ما استعجم ٢/٥٨٢ .

(٣) اقتصر الزبيدي نفسه في (د / ي / ر) على : أديار ، وكذلك الصحاح ، ولسان العرب ، وتهذيب اللغة ، والمحكم . وجمعه الشابشتي « ديارات » ، وسمى به كتابه ، وكذلك ابن فضل العمري في المسالك والممالك ١/٢٥٤ ، وقال ياقوت في معجم البلدان ٤/١١٩ : دِيَرَة « القول في ذكر الدِّيَرَة » ، ونقل عن الفراء جمع الدير على ديرة ، وأديار ، وديران ... ولم يذكر بينها الديور .

(٤) تاج العروس (ز / ك / ى) .

بارّ ، طاهر . وقد وهم الزبيدي (التاج ٣/٢٢١) في ضبط هـذا الاسم بقوله : « دير زكى كملى بالرها » ، فليصحح » .

على أن هذا التعليق فيه ما فيه ، ولا بُدّ من التنبيه على أوهامه :

ـ إنه يذكر اختلاف النساخ في رسم « زَكّى » ، ولا يذكر المعتمد من كلام العلماء في ضبطه . على أن هذا قد سبق إليه أحمد زَكي باشا ـ طيب الله ذكراه ـ في تعليقاته على « المسالك والممالك » لابن فضل الله العمريّ ، فقال بلفظ موجز مُغْنٍ : « يكتبون أيضاً : دير زَكّا »[١] .

ـ قوله : « بدون تنقيط الياء » لا معنى له ، لأن هذه الياء ألف مقصورة تكتب بصورة الياء ، والألف المقصورة لا تنقط بالبداهة ، والعلماء لا يقولون فيه « بدون تنقيط الياء » ، وإنما يقولون : مقصور .

ـ قوله : « وكل ذلك مقبول » ، هو غير مقبول ، والنساخ لا يقررون اللغة ، وإنما يقررها العلماء . وقواعد الرسم تنص على كتابة المقصور الذي جاوز ثلاثة أحرف بهيأة الياء لا الألف ، في تفاصيل لا تورد في مثل هذا الموضع .

ـ نَصّ الزبيدي في تاج العروس (٣ / ٢٢١ د / ي / ر) : « ودير ركى كملىّ بالرها . ودير ركى : قرية بدمشق » فيه تصحيف « زكى » المتكررة بالراء المهملة ، وقد أورده التعليق على الشابشتي بالزاي خلافاً للمطبوع ، وكان عليه أن يتنبّهَ له وينبّه عليه . وفيه أيضاً تشديد ياء « علىّ » ، وهو من الطبع ، وليس من المؤلف ، وعندي أنه كان في الأصل « علّىٰ » مضعف الفعل الثلاثي « عَلاٰ » بدلالة ضبطه له في موضعه (ز / ك / ى) على نحو ما قدمته . فالتعجل إلى توهيمه دون أن يعلل كلامه بمثل هذا ، ودون أن يعطف نص على نص ، ليس بمَرْضِيّ .

---

(١) المسالك والممالك ١/٢٦٥ تحقيق أحمد زكي باشا .

ب ــ قول تعليق المجلة : « والبيت مضطرب الوزن » ، صحيح . وقد ورد على صورته المختلّة هذه في كل من معجم البلدان ، والديارات ، والمسالك والممالك . وفطن لاختلال وزنه أحمد زكي باشا ــ رحمه الله ــ في تعليقاته على المسالك والممالك ، فعلق عليه يقول : « الشعر يستقيم بقول : دير زَكَّاءَ »[1] . يعني بمدّ « زَكَّى » على الضرورة ، لا على أنّ « زَكَّاء » لغة ثانية في الكلمة ، فان ذلك شيء لم يقل به قائل . ومدّ المقصور جائز في الشعر ، وهو من (ضرورات الزيادة) التي أباحها العلماء مع الكراهة ــ بخلاف قصر الممدود ــ وذلك حين لا تكون للشاعر مندوحة عن ارتكابه كما تقرر في موضعه ، وبسطه شيخنا علامة العراق الحجة السيد محمود شكري الآلوسي ــ رحمه الله ــ في « الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر » .

٢ ــ وورد في مقالة « وصف الطبيعة في شعر الصنوبري » أيضاً بيت الصنوبري (ص ٥٧٣) :

وكان اللهو عندي كابن أمي ... فصرنا بعد ذاك كملتين

وتعليق المجلة عليه : « في الديارات (ص ١٤٠) : لعلتين ، وربما كان الصحيح : فصرنا بعد ذلك علتين » .

وأقول : إن الحرف في الجملة ، أي حرف كان ، إنما يتعين إيراده بحسب سياق الكلام ودلالة الغرض . وإذا كان هذا مسلَّماً ، وهو كذلك ، فالذي يتعين من هذه الوجوه الثلاثة في البيت إنما هو اللام مع الكلمة « عَلَّتَيْن » كما ورد في « المسالك والممالك » وفي « الديارات » . أما الكاف ، فإيرادها هنا مغاير لقصد الشاعر وغرضه ، ولا عبرة بورودها في نص « معجم البلدان » ، فهي من التصحيف الشائع المنتشر في طبعته ، ولا اتّهم مؤلفه به ، فإنه محقق ثبت وعالم بمصادر الكلام وموارده لا يخفى عليه

(١) المسالك والممالك ١/٢٦٨ .

مثل هذا . وكذلك يكون الشأن عند تجريد الكلمة من الكاف إن لم يكن أكثر إيغالاً في البعد عما أراده الشاعر . وبيان ذلك أن الصنوبري في هذا البيت وصف لهوه وإمعانه فيه وشدة تعلقه به أيام شبابه ، ثم ارعواءه عنه حين علت به السنّ ، فأخبر عن الجانب الأول أن اللهو كان عنده إبّانَ شبابه بمنزلة أخيه لأمه وأبيه ، فهو لا يفارقه ولا يملّه . وقلت : بمنزلة أخيه لأمه وأبيه ، وهو لم يقله ، وإنما قال : «كابن أمّي» ، اعتماداً على القرينة : قرينة السياق ، وكفى بها شاهدةً على إرادته ذلك ، ولم يَضِرْه أنه ضاق به الوزن فلم يتح له أن يقول كما قال المتنبي في بيته المشهور :

وآنف من أخي لأبي وأمي   إذا ما لم أجده من الكرام

وأخبر عن الجانب الآخر بعزوفه عن اللهو ، وقلة احتفائه به ، وصيرورته منه إلى ما يصير إليه ابنتَا الضَّرَّتين من انصراف نفس كل منهما عن الآخر بما ينتقل إليها من أميها من عدوى التباغض والتباعد والجفاء . والتقابل بين الأخوين لأب وأم والأخوين لأمين مختلفين ، هو وحده الذي يقتضيه سياق البيت دون غيره . وليس من التصور في الذهن أن يجعل الصنوبري نفسه في الشطر الأول شقيقاً ، ثم يجعلها في الشطر الثاني امرأة ضَرَّةً بعد ذلك ! فهذا أمر يرفضه التقابل في البيت .

وفي مثل سياق الصنوبري يقول شاعرٌ ـ وهو في لسان العرب :

أفي الولائم أولاداً لواحـــدة   وفي المآتم أولاداً لِعَلاّت (١) ؟

والعرب تقول : هما أخوان من عَلَّة ، وهما ابنا عَلَّةٍ : أي أماهما شتى والأب واحد ، وهم بنو العَلاّت ، وهم من عَلاّت ، وهم إخوة من عَلَّة وعَلاّت ، كل هذا من كلامهم . وإذا اختلفت الآباء وكانت الأم واحدة ، فأبناؤهم الأخياف . وإذا كانوا لأب وأم ، فهم بنو الأعيان .

---

(١) لسان العرب (ع / ل / ل) .

٣ — وجاء في هذه المقالة (ص ٥٧٤) هذا البيتان :

وكأنّ محمرّ الشقيق إذا تصوّب أو تصعّدْ
أعلام ياقوت نُشرن على رماح من زبرجد

وهما من مجزوء الكامل المُرَفّل عند العروضيين ، والصواب أن يكتبا :

وكأنّ محمرّ الشقيـ قِ إذا تصوّب أو تصعّدْ
أعلامُ ياقوت نُشِرْ نَ على رماح من زبرجد

وهذا البيت :

وبدا النرجس البديع كأمـ ثال عيون ترنو إليها عيون

وهو من البحر الخفيف ، وحقه أن يكتب :

وبدا النرجس البديع كأمثا لِ عيون ترنو إليها عيون

ويلحق بهذا كتابة بيت الشاعر في بحث « شعر الوقوف على الأطلال » (ص ٥١٣) :

وظباء كأنهن أباريقُ لجين تحنو على الأطفال

وهو من البحر الخفيف أيضاً ، وصحة كتابته :

وظباء كأنهن أباريـ قُ لجين تحنو على الأطفال

— ٣ —

وفي تقريظ كتاب « مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين » ، جاء :

١ — قول البحتري ، يصف دمشقَ (ص ٦١٩) :

أمّا دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفى مطريها بما وعدا
يمشي السحاب على أجبالها فِرقاً ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلست تبصر إلا وادياً خضِراً أو يانعاً خضِلاً أو طائراً غرِدا

وصحة البيت الأول :

أما دمشق فقد أبدت محاسنَها وقد وفى [لك] مطريها بما وعدا

وصحة البيت الثاني :

يُمْسِي السحاب ... ...

في مقابلة « يُصبح » في الشطر الثاني .

ورواية البيت الثالث في ديوان البحتري [١] ، وفي معجم البلدان [٢] :

فلست تبصر إلا واكفاً خَضِلاً أو يانعاً خضِراً أو طائراً غَرِدا

وهذه الأبيات ، من أحد عشر بيتاً وجهها البحتري إلى المتوكل على الله العباسي : خصه منها بخمسة أبيات ، وخص « داريّا » ببيت ، و « دمشق » بخمسة . وهي من الشعر العربي الأصيل الذي لا تبلى جِدّته ولا تزايله الحلاوة كما لا تبلى جِدّة « دمشق » ، ولا يزايلها الأنق والظَّرْف واللطف ما كَرّ عليها الجديدان .

ومَنْ مِن المتنكّرين لحسنه وروعته يحسن أن يداني هذا السهل الممتنع ، والحلو العَذْب :

العيش في ليل « داريّا » إذا بَرَدا والراحُ نمزجها بالماء من « بَرَدى »

أما « دمشقُ » فقد أبدت محاسنها وقد وفى لك مطريها بما وعدا

إذا أردتَ ، ملأت العين من بلد مستحسَنٍ ، وزمانٍ يُشبه البلدا

يُمْسِي السحاب على أجبالها فِرَقاً ويصبح النبت في صحرائها بَدَدا

فلستَ تبصر إلا واكفاً خَضِلاً أو يانعاً خَضِراً أو طائراً غَرِدا

كأنّما القيظُ ولّى بعد جيئته أو الربيعُ دنا من بعدِ ما بَعُدا

---

(١) ديوان البحتري ١/١١ ط . الجوائب .

(٢) معجم البلدان (دمشق) ٤/٧٨ .

٢ — وفي هذا التقريظ (ص ٦٢٣) نقد المقرظ الفاضل هذا البيت :

ولو أن ألف امرئ طافوا بحاناتها قصد النجاة رأيت الألف ناجينا

فقال : « وهذه الواو – يعني واو « ولو » — من خطأ الطبع ، لا يستقيم الوزن إلا بحذفها » .

وأقول : إن البيت ما انفك مختل الوزن ، وتمام استقامته أن يقال « بحانتها » بالإفراد ، ولست أدري : أكانت الكلمة في الكتاب المقرظ « حاناتها » أم كانت فيه « بحانتها » فتسربت إليها الألف الثانية في النقل ؟ وما أكثر ما يحدث من مثل هذا ؟ وسبحان من تنزّه عن السهو ، وتفرّد بالكمال !

(بغداد) محمد بهجة الأثري

***

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ١٦ —

رقم المصطلح — رقم المصطلح

7635 Kraurosis vulvae — ٧٦٣٥ لَطَع (ضمور الفرج)

وأقر مجمع اللغة ترجمته باللَّطَع الفرجي ، وجاء في التعريف : مرض يحدث فيه ضمور وانكماش وجفاف الفرج ويبس ما حوله .

ولا أرى لفظة لَطَع وحدها ولا (ضمور الفرج) تفيان بالمعنى المطلوب [1] .

7636 Kyste — ٧٦٣٦ كُيَيْس

وأقر مجمع اللغة كِيس [2] .

---

(١) في اللسان : اللَطَع تقشر في الشفة وحمرة تعلوها ، واللطع أيضاً رقة الشفة وقلة لحمها وهي شفة لطعاء ولثة لطعاء قليلة اللحم ، وفي تهذيب الأزهري بياض في الشفة من غير تخصيص بباطن . والأطع الذي ذهبت أسنانه من أصولها وبقيت أسناخها في الدُردر ، ويكون ذلك في الشاب والكبير ، إلى أن قال : واللطعاء اليابسة الفرج وهي المهزولة وقيل هي الصغيرة الجهاز وقيل القليلة لحم الفرج والاسم من كل ذلك اللَّطع .

(٢) الصفحة ١٤ من الجزء الثالث من المصطلحات العلمية (مصطلحات علم الأحياء ١٩٦٤) ، وقد عدل عن استعمال كُيَيس .

٧٦٤٣ كُيَيْس المقاومة ، بزيرة لحائية Kyste de résistance 7643
chlamidospore

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الثانية ببوغ [١] « كلاميدي » — بوغ حرشفي ، موضحاً اللفظة بقوله « وهي أبواغ مغلَّفة » .

٧٦٤٥ كيس آحي ، عُقْدة Kyste synovial, ganglion 7645

وأقر مجمع اللغة كيس زلالي ، وأرجح ترجمة اللفظة الثانية بعُجرة ، لأن المقصود منها الورم المتكون من غمد أحد الأوتار [٢] بعد ما خصصت اللجنة اللفظة المذكورة ترجمة للعقدة الحقيقية (اللفظة ٦١٤٩ وما يليها) دفعاً للالتباس .

L

٧٦٤٩ سَقوط ، مَرور ، رجراج Labile 7649

وما تعنيه اللفظة كما جاء في معجم لاروس ، صفة الشيء الذي : مهيأ للسقوط والهبوط (الهاش) سريع العطب وقليل الثبات (وتستعمل اللفظة في الكيمياء للدلالة على صفة بعض المركبات غير الثابتة composée labile) .

أقول ولعلّ المعنى الأخير هو الأقرب للمدلول الطبي . لذا أرجح أن تكون ترجمة اللفظة : قَصِف [٣] وسَقوط .

---

(١) انظر الصفحة ٥٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) وقد جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم نفسه عقدة غمد الوتر ، الورم الكيسي . وجاء في معجم ستيدمان (Stedman's) في تعريف (ganglion) : ورم تحت الجلد ، تجمع من الخلايا العصبية ، انتباج كيسي منحصر ذو صلة بغمد الوتر وناجم عن انغلاق فتق الغشاء الزلالي (المصلي) لغمد الوتر .

(٣) في اللسان : القَصْف الكسر ، والقصف مصدر قصفت العود أقصفه قصفاً إذا كسرته ، قَصِف العـود يَقْصَف قصفاً وهو أقصف وقَصِف اذا كان خواراً ضعيفاً وكذلك الرجل ، والخ .

7650 Labilité ٧٦٥٠ سقوطية ، هرورية

وأرجح قصف وسقوطية .

7652 Labrium ٧٦٥٢ شُفَيْهة تحتانية

وأقر مجمع اللغة شفة سفلى وجاء في الشرح : أحد أجزاء الفم تحصر اللحيين بينها وبين الفكين في الحشرات .

7655 Labre ٧٦٥٥ شُفَيْهة فوقانية

وأرجح شفة عليا أو علوية .

7660 Lacs, anse ٧٦٦٠ شِراك ، عُرْوة

ولهذه اللفظة دلالتان : الواحدة جراحية والثانية بيطرية . وقد جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي الإشارة إلى الأولى فقط (١) ولم يأت على ذكر الدلالة الثانية . في الحالة الأولى تشير اللفظة إلى قطعة من القماش أو الغزي المتين لسحب أحد الشرايين أو جره ، وفي الحالة الثانية تشير اللفظة إلى الحبل الطويل الذي يوثق به الحيوان (كالخيل والبقر) لرميه أرضاً بغية إجراء توسط جراحي فيه .

لذا أرجح ترجمة اللفظة بأنشوطة وحبالة أو الأُحبول (٢) . أما لفظة عقدة فقد سبق للجنة أن استعملتها ترجمة للفظة (ganglion) (اللفظة ٦١٤٩ وما يليها) .

---

(١) (gauze fillet) ومعناها عِصابةمن الغزي (loop of gauze) ومعناها أنشوطةمن الغزي .

(٢) في اللسان : الأنشوطة عُقْدة يسهل انحلالها مثل عُقْدة التِكّة . والحِبالة المِصْيدة مهما كانت ، وحَبَل الصيد حَبْلاً واحتبله أخذه وصاده بالحبالة أو نصبها له وحَبَلته الحِبالة عَلِقَتْه وجمعها حبائل . والأُحبول الحِبالة .

٧٦٦١ شَبَكَة للتقليب 7661 lacs pour la version

وأرجح أنشوطة أو حبالة ، ويعنى باللفظة ما يستعمله المولد من قطعة القماش أو الغزي لأجل إدارة الجنين أو تقليبه .

٧٦٦٢ إرضاع ، دَرّ 7662 Lactation

وأرجح تكوّن اللبن [١] ، إرضاع . أما لفظة در فلها معناها الآخر [٢] .

٧٦٦٦ فَجْوِي 7666 Lacunaire

٧٦٦٧ فَجْوة 7667 Lacune

وأقر مجمع اللغة في القاهرة ترجمة (lacune) بجَوْبة [٣] ومنه ترجمة لفظة (lacunar abcess) خراج جوبي ، وجاء في الشرح : خراج في الجوبات الغدية في المبال ناتج عن الجونوكوك أو الجراثيم القيحية المصاحبة له .

٧٦٧٣ جُذام باطني داء الكيسات المُذَنَّبة 7673 Ladrerie,cysticercose

أفضل الاستغناء عن لفظة جذام باطني في ترجمة هذه اللفظة التي كانت تستعمل قديماً وقد بطل استعمالها في الطب البشري خاصة ، إذ لا صلة لها بالجذام الحقيقي [٤] . أما اللفظة الثانية فقد أقر مجمع اللغة في القاهرة ترجمتها

---

(١) كما جاء في معجمي لاروس وستيد مان (Stedman's) .

(٢) في اللسان : در اللبن والدمع ونحوهما يدِرّ ويدُرّ دراً ودُروراً ، وكذلك الناقة إذا حُلبت فأقبل منها على الحالب شيء كثير قيل درت ، وإذا اجتمع في الضرع والعروق وسائر الجسد قيل در اللبن ، والدِرّة بالكسر كثرة اللبن وسيلانه

(٣) في اللسان : جابَ الشيء جوباً واجتابه خرقه وكلُّ مجوّف قطعتَ وسطه فقد جُبْتَه وجابَ الصخرة جوباً نقرها . وجاء فيه أيضاً : والجَوْبة فَجْوة ما بين البيوت والجوْبة الحفرة .

(٤) سبق لي أن اقترحت ترجمة اللفظة بحصبة الخنزير ترجمة لـ (porc measel) الانكليزية (انظر الصفحة ٢٢٧ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة) .

بداء البرقانة المثانية لأن اشتقاق اللفظة من المثانة لا من الكيس (كما جاء في جميع المعاجم الأفرنجية) لذا عرفها مجمع اللغة بيرقانة لبعض الديدان الشريطية تشبه (المثانة) .

7675 Lagophtalmie ٧٦٧٥ عَيْن الأَرْنب

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بشَلَح العين [١] وجاء في التعريف : عدم قدرة الجفنين على الإغماض التام ، كما أن المجمع أقر ترجمتها أخيراً بالعين الأرنبية ، وجاء في التعريف : عجز الجفن العلوي عن تغطية العين عند انغماضها وتصاحب شلل العصب الوجهي .

7678 lait acidifié ٧٧٧٨ لَبَنٌ مُحمَّض ، حَرَب

وأرى الاقتصار على لَبَن مُحمَّض ، وليس للفظة حَرَب أن تفي بالمعنى المطلوب [٢] .

7679 lait albumineux ٧٦٧٩ لَبَن آحيني

لَبَن زلالي كما أقره مجمع اللغة .

7684 lait écrémé, lait maigre ٧٦٨٤ لَبَنٌ مَقْشوٌ، لَبَن هزيل

وأرجح لَبَن متزَبَّد أو لَبَنٌ مَخيض [٣] أو لا دسم

(١) وجاء في تعريف الشَلَح في المعجم الوسيط : عجز الجفنين عن الاغماض التام . ولم أعثر في المعاجم التي بين يدي على دلالة لفظة الشَلَح على هذا المعنى . ولعلّ مجمع اللغة قد عدل عنها عندما أقر بين مصطلحات علم الرمد سنة ١٩٦٥ العين الأرنبية ترجمة لـ (lagophthalmos) .

(٢) في اللسان : الصَّرْب والصَّرَب اللبن الحقين الحامض ، وقيل هو الذي قد حُقن أياماً في السقاء حتى اشتد حمضه ، واحدته صربة وصَرَبة .

(٣) في االلسان : القَشْي هو القشْر ، وقشا العود يقشوه قشواً قشره وخرطه والفاعل قاش والمفعول مقشو .
وتزبّد الزُبدة أخذها ، وكل ما أخذ خالصه فقد تُزُبِّد .
اللبن المخيض الذي اخذت زبدته .

٧٦٨٥ لَبَن كامل ، صرف ، غير مَقْشو — 7685 lait entier, non écrémé

وأرجح مَحْض(١) أو لبن مَحْض غير مُتَزبِّد .

٧٦٨٦ لَبَن مُبَخَّر ، لبن مُجنَّس — 7686 lait évaporé, lait homogénéisé

وأرى أن يقتصر على لَبَن مُجانَس شأن الحال في الترجمتين الانكليزية والألمانية من المعجم الأصلي ، ولأن تبخير اللبن يعني إضافة البَخور إليه (٢) .

٧٦٨٨ لَبَن مؤنَّس — 7688 lait humanisé

وأفضل لَبَنٌ مُسْتَبْشر أو مستأنَس .

٧٦٩٣ إلبان — 7693 Laitage

وما يقصد من هذه اللفظة بعض أنواع الطعام المصنوعة من اللَّبَن . وأرجح ترجمتها بتَلْبينة بصيغة المفرد أو تلبنيات بصيغة الجمع (٣) .

٧٦٩٨ ترأرؤ — 7698 Lamdacisme

وما تعنيه اللفظة نوع من اضطراب اللفظ بحيث يردد المصاب به حرف اللام أو يستبدل الراء به ، لذا أرى أن تترجم باللُّثْغة اللامية تمييزاً لها من اللثغات الأخرى (٤) .

---

(١) في اللسان المَحْض اللبن الخالص بلا رغوة ، ولبن محض خالص لم يخالطه ماء حلواً كان أو حامضاً ولا يسمى اللبن محضاً إلا إذا كان كذلك .

(٢) في اللسان : وتبخَّرَ بالطيب ونحوه تدخَّن ، والبخور بالفتح ما يتبخر به ويقال بخِّر علينا من بَخور العود أي طيِّب .

(٣) في اللسان : التلبينة حساء يعمل من دقيق أو نخالة ويجعل فيها عسل ، سميت تلبينة تشبيهاً باللبن لبياضها ورقتها .

(٤) في اللسان : اللُّثْغة ان تعدل الحرف الى حرف غيره ، والألْثغ الذي لا يستطيع أن يتكلم الراء ، وقيل هو الذي يجعل الراء غيناً أو لاماً والخ .

7709 lame porte - objet صُفيحة حاملة المادة ٧٧٠٩

وأفضل صُفيحة حاملة شيء .

7711 Lamelle, couvre - objet صُفيحة ساترة المادة ٧٧١١

وارجح صفيحة فقط أو صفيحة ساترة .

7712 lamelles fenêtrée صُفيحة مُثَقَّبة منوفذة ٧٧١٢

والصحيح الغشاء المثقوب كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (١) .

وما تعنيه اللفظة الغشاء المبطن والرقيق في الشرايين (٢) .

7713 Laminaire لمينَرية ٧٧١٣

وجاء رسم اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي: لاميناريه وفي مصطلحات علم التوليد لمجمع اللغة العربية في القاهرة اللمنارية ولعلّ لا مينارية أفضل .

7718 Lampe à filament de carbone, lampe à incadescence مِصْباح ذو خُيَيط من الفحم مصباح ذو تأجج ٧٧١٨

وأرجح مصباح متوهج فحمي كما جاء في الترجمة الانكليزية المعجم الأصلي (٣) .

7719 lampe de mercure à arc مصباح زِئبقي ذو قوس ٧٧١٩

وأرجح مِصباح ذو قوس زئبقي .

7723 Lancette مِبْزَغ ٧٧٢٣

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مِبْضع وفي موضع آخر مِفْصَد ومِبَطّ .

7724 Langouste جراد البَحْر ، سجَل أو سُلَج ٧٧٢٤

جاءت ترجمة اللفظة في معجم الألفاظ الزراعيـة جراد البحر وجراد بحري ، الأولى في المفردات والثانية في حياة الحياة الكبرى . وجاءت ترجمة

(١) Fenestrated membrane

(٢) انظر لفظة (fenestrated membrane) في (Stedman's medical dictionairy)

(٣) carbon incadescent lampe .

اللفظة الانكليزية في المعجم الأصلي (spiny lobster) كَرَكند الشائك (جراد البحر) في معجم الحيوان للمعلوف (١) كما أن معجم شرف ذكر في ترجمة (lobster - fish) أربيان ـ (زلمطان أو سلطَمون بحري) انكوش (دوزي) .

هذا ولم أجد في المعاجم العربية التي بين يدي ما يشير إلى دلالة سجَل أو سُلج على المعنى المطلوب (٢) .

٧٧٢٦ لِسان وَسِخ ، مُنتَشّى ، كَثيف كَتِن

7726 Langue chargée, couverte épaisse, saburrale

وأفضل لسان كَتِن ، كثيف ومُتّسخ ، مُطلّى .

٧٧٣١ لِسان أسود زَغب ، تقوّب اللّسان

7731 langue noire villeuse, glossophytie

وما تعنيه اللفظة الثانية (كما جاء في معجم لاروس) علة تصيب اللسان تتصف بالاسوداد وضخامة الحليمات . ولا أرى لفظة تقوب اللسان تفي بالمعنى المطلوب (٣) وأرجح ترجمتها بضخامة حليمات اللسان الإسودادي .

---

(١) ويرى أمين المعلوف صاحب معجم الحيوان أن لفظة كركند معربة من كركينوس باليونانية ومعناه السرطان وهو من تعريب العامة وشائع في سواحل البحر المتوسط ويفضل الانتصار على هذه اللفظة في الترجمة .

(٢) في اللسان : السُّلَج بالضم والتشديد نبت رخو من دِق الشجر ، وقيل السلَّجان ضرب منه وقال أبو حنيفة السُّلّج شجر ضخام كأذناب الضباب ، أخضر له شوك وهو حَمْضٌ .

ولم أجد في لسان العرب في مادة سجل ما يشير إلى دلالة اللفظة على حيوان أو نبات ، وجاء في معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا : السُلّج أصداف بحرية فيها شيء يؤكل .

(٣) في اللسان : وتقوبت وتقوب من رأسه مواضع أي تقشر . والأسود المتقوب هو الذي سلخ جلده من الحيّات .

7732 langue de perroquet لِسان الببغاء، لِسان كالشواء ٧٧٣٢
langue rôtie (dans la
fièvre typhoïde)

وأرجح لسان الببغاء، اللسان المحمَّص (في الحمى التيفية) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [١] .

7734 lanoline hydratée, صوفين مائي، وسَمُ الصُّوف ٧٧٣٤
graisse de laine, graisse دَسَمُ الزوفى المصفَّى
de suint purifiée

سبقت ملاحظتي على هذه اللفظة (الصفحة ٦٥٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة).

أما الزُّوفى فقد جاء رسمها بالألف في معجم الألفاظ الزراعية ولا أرى أي صلة للزوفا اليابس باللانولين وما إليه [٢] . وكذلك رسمتها اللجنة في ترجمتها لفظة hysope (اللفظة ٦٩٧٥) .

7736 Loparatomie فتح البطن ٧٧٣٦

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : شق البطن .

---

(١) (baked tongue) .

(٢) جاء في ترجمة لفظة (hysope ou hyssope) في معجم الألفاظ الزراعية : زوفا ، أشنان داود وجاء في الشرح : هو الزوفا اليابس في المفردات أما الزوفا الرطب فليس بنبات . نبات معمّر بري طبي من الفصيلة الشفوية ، لورقه رائحة عطرية وطعم حريف وهو يؤكل تابلاً .
وجاء في مفردات ابن البيطار : زوفا رطب وهو الدسم الموجود في الصوف . وفي تاج العروس : زوفى كطوبى نبات بجبال القدس والخ ، وزوفى أيضاً الدسم الموجود في الصوف .

٧٧٣٩ تليّك الدم 7739 Laquage du sang

٧٧٤٠ ملّيك 7740 Laqué , ée

وما تعنيه اللفظة هو انحلال هيموغلوبين الكريات الحمر وصبغها بلازمة الدم أو مصله بلون أحمر . لذا أفضل ترجمة اللفظة الأولى بدم لـكي أو كالك (١) والثانية بملكوك .

٧٧٤١ شخنزير (شحم الخنزير) 7741 Lard

وأرى أن يكتفى بشحم اطلاقاً وشحم الخنزير بالتخصيص كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية المرحوم الأمير مصطفى الشهابي : شحم ج شحوم والقطعة شحمة . تطلق الكلمة الفرنسية على شحم يتكون تحت جلد بعض الحيوانات القاسيات الجلد ولا سيما الخنزير .

أقول وينطبق هذا التعريف على ما جاء في معجم لاروس في تعريف اللفظة المذكورة .

٧٧٤٥ دُماع سيلان الدمع اللاإرادي 7745 Larmement, épiphora, écoulement involontaire des larmes

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بدَمَعان ودَمَع أو ذرف الدمع وتخصيص الدُّماع (٢) ترجمة لـِ (épiphora) ، وقد أقره مجمع اللغة .

٧٧٤٥ تاثبة 7745 Larve

وأقر مجمع اللغة يَرَقانة . وفي معجم الألفاظ الزراعية : برقانة ، دعموص (ج دعامص ودعاميص) شكل تكون فيه بعض الحيوانات كالحشرات عند

(١) في اللسان : وجلد ملكوك مصبوغ باللّك .

(٢) في اللسان : والدُّماع بالضم ماء العين من عِلّة أو كِبر وليس الدَّمعَ وقال :

يا من لعينٍ لانني تُهْماعا قد ترك الدَّمْعُ بها دُماعا

خروجها من البيضة قبل بلوغها الشكل الكامل . وهي من اليرقان أي دود الزرع الذي ينسخ فيصبح فراشاً ، ولها في الجراد أسماء كالسروة والدبّاة أو كالقَمَصة فالخُبْشية فالبُرْ نة .

7746 Larvé , ée ٧٧٤٦ خَفِيّ ، مقمَّص

وأرجح مقنَّع لأن اللفظة سابقة أصل لاتيني تعني القِناع(masque)، ويوصف بها المرض أو الداء الذي تكون أعراضه ناقصة فيُخيل كأنه مرض آخر . وسبق للجنة أن استعملت سابقة (crypte) للدلالة على الاختفاء (اللفظة ٣٦٠٩) ولا أرى مجالاً لاستعمال مقمَّص في هذا المعنى(١) .

7751 Laryngofissure , laryngotomie totale ٣٧٥١ شق الحَنْجرة، خزع الحنجرة الشامل

وأقر مجمع اللغة في القاهرة ترجمة اللفظة الأولى بالشق الدرقي وجاء في الشرح : وفيه يشق الغضروف الدرقي في الخط الأوسط ، واللفظة الثانية باستئصال الحنجرة .

7760 Lateral , le ٧٧٦٠ جانبي

وأقر مجمع اللغة وحشي، وأرى أن تحصر اللفظة الأخيرة ترجمة لِ(externe) .

7764 Lathyrisme ٧٧٦٤ داء الجُلُبان

وأقر مجمع اللغة في القاهرة ، اللاثيرية وجاء في الشرح : التسمم بنبات الجلبان أبو قرن واسمه العلمي (لاثيرس سيسيرا lathyrus cicera) .

7766 Laudanum be Sydenham ٧٧٦٦ لوَدَنم سيدنهام

وجاء رسم اللفظة في مصطلحات الطب الشرعي التي أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة : َلاْوداَنمْ ــ صبغة الأفيون .

---

(١) في اللسان : وتقمّص قميصه لبسه وإنه لحسن القِمّصة ويقال قمّصته تقميصاً أي ألبسته فتقمص أي لبس .

٧٧٦٨ غار كَرَزي — 7768 Laurier - cerise

كرز غاري كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية، وجاء في التعريف : جَنَبة للتزيين من الفصيلة الوردية .

٧٧٦٩ دِفْلَى (غار وردي) — 7769 laurier - rose

وفي معجم المصطلحات الزراعية : دِفْلَى ، حَبْن ، حَبِين ، آء ، ألاء . وجاء في الشرح : كلها صحيحة والأولى من دفنة اليونانية ، جُنيبة حمراء الزهر للتزيين من الفصيلة الدفلية . وهي مبذولة في الشام ولا سيما حول الأنهار في البقاع الغربية .

٧٧٧٣ رَحْضة ، حُقْنة شرجية — 7773 Lavement, clystère, injection rectale

٧٧٧٤ رَحْضة طعامية ، مغذية — 7774 lavement alimentaire, nutritif

٧٧٧٥ رَحْضة للبقاء للحفظ — 7775 lavement à garder

وأري الاقتصار على لفظة حقنة وحدها أو حقنة شرجية ، وليس للفظة رحضة (١) أن تدل على المعنى المقصود . ويكتفى باستعمال الرحض المعوي ترجمة لِ (entéro - clyse) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٤٩٨٣) .

وعليه أرى أن تكون ترجمة الألفاظ كما يلي : حُقْنة ، حقنة طعامية ، مغذية وحقنة مُحتَبسة .

٧٧٧٩ مُحين — 7779 Lécithine

وأفضل تعريبها لسيتين .

(١) في اللسان : الرّحض الغسل، رحض يده والاناء والثوب وغيرها يرحَضها ويرحُضها رحضاً غسلها .

في اللسان : والحُقْنة دواء يُحقن به المريض المُحتقِن واحتقن المريض بالحقنة ,

7781 Légal , le ٧٧٨١ شَرْعي

وأقر مجمع اللغة : قانوني .

7783 Légumes ٧٧٨٣ خُضَر ، خُضراوات

جاء في معجم الألفاظ الزراعية ترجمة للفظة (légume) بصيغة المفرد مايلي :

(١) بَقْلة ، خُضرة ، خضراء ، وجاء في التعريف : وهي البقول والخُضَر ، والخضروات ولها أسماء أخرى . في اللسان مثلاً : الخُضارة البقول الخ جملة النباتات العشبية التي يغتذي الإنسان بها أو بجزء منها دون تحويلها صناعياً .

(٢) سِنْفة ، قَرْن ، حُبْلة ، وجاء في التعريف : ثمرة نباتات الفصيلة القرنية كالفول واللوبيا والحمص أي بمعنى (gousse) .

وما كان منها بصيغة الجمع فقد ترجمت ببقول .

7786 Legumineuses ٧٧٨٦ قطانيّات ، بقليات

وجاءت ترجمتها في معجم الألفاظ الزراعية : قَرْنيّات ، سِنْفيَّات ، قطانيّات ، وجاء في الشرح : ولا تقل بقليات لأن اللفظة الفرنسية منسوبة إلى (légume) بمعنى سِنْفة وقرن وحبلة لا بمعنى بقلة ، انظر كلمة (légume) ، وقد أقر مجمع مصر القرنيات بناء على اقتراحي . فصيلة نباتية مهمة من ذوات الفلقتين تشمل القطاني وكثيراً من نباتات العلف كالفول والحمص والعدس واللوبيا والفاصوليا والكرسنة والبيقة والجلبان والفصفصة والبرسيم وبعض النباتات الطبية كالسَّنا والقِيلْقِيل وبعض نباتات التزيين ، والخ .

7787 Lemnisque ٧٧٨٧ لِفافة ملتوية

وأفضل عِصابة أو رِفادة .

7790 Lenticône ٧٧٩٠ جسم بلوري مخروط

وأرجح العدسية أو الجسم البلوري على هيئة المخروط ، وهو تشوه خلقي يبدو فيه السطح الأمامي أو السطح الخلفي فيما ندر ناتئاً شبه مخروطي .

٧٧٩٣ عَدَسية (بصريات) 7793 Lentille (optique)

وترجمها مجمع اللغة بعَدَسة تارة وبعدسية وبلورية أخرى . وأرجح عدسية على عدسة (الطبقة العدسية تقديراً) كالبلورية (الطبقة البلورية) أو الجسم البلوري .

٧٧٩٤ عدسية مُقَرِّبة،إيجابية،مزدوجة التقبب، زجاجات مقببة لامّات 7794 lentille convergente, positive , biconvex , verres convexes convergents

وأرجح عدسية مقربة موجبة ، ثنائية التحدب ، بلورات محدَّبة مقربات .

٧٧٩٥ عَدَسية مُبَعِّدة ، سلبية ، مزدوجة التقعير ، زجاجات مقعَّرة ، مُفَرِّقات 7795 lentille divergente , négative, biconcave, verres concaves divergents

وأفضل : عدسية مُبعِّدة ، سالبة ، ثنائية التقعُّر ، بلورات مقعرة ، مبعدات . هذا وأقرّ مجمع اللغة ترجمة (divergence) بالانفراج [١] .

٧٧٩٧ جَهَم العظام 7797 Leontiasis ossea

وأقر مجمع اللغة : داء الأسد ، وجاء في الشرح : صنف من الجذام يصيب عظام الوجه والجمجمة فيتجهم ويتخذ صاحبه سمة الأسد [٢] .

(١) راجع الصفحة ٦٢ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) سبقت الاشارة إلى هذه اللفظة (الصفحة ٦٥٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة) .

في اللسان الجَهْم والجَهيم من الوجوه الغليظ المجتمع في سماجة ، وقد جَهُم جُهُومة وجَهامة . وجَهَمه يجهَمُه : استقبله بوجه كريه ، إلى أن قال ورجل جَهْمُ الوجه أي كالح الوجه ، تقول منه جَهَمْت الرجلَ وتجهّمتُه إذا كلحتَ في وجهه . وقد جَهُم بالضم ، جهومة إذا صار باسر الوجه . ورجل جهم الوجه وجَهِيمُهُ :غليظه، وفيه جهومة . ويقال للأسد جَهْم الوجه .

7799 Lèpre anesthésique, nerveuse, systématisés — ٧٧٩٩ جُذام خَدَري ، عصبي نظامي

وأرجح جذام بطلان الحس (١) عصبي ومرتّب (٢) .

7801 lèpre tuberculeuse, tubéreuse — ٧٨٠١ جُذام سُلّي ، حدبي

وأفضل جُذام دَرَني لكي لا يلتبس بداء السل المعروف ، وحدبي .

7802 Lépride — ٧٨٠٢ جُذامية

وأفضل اندفاع جُذامي أو جذاميات .

7802 Leptoméninge — ٧٨٠٢ السَّحايا الرقيقة (العنكبوتية والأحنون)

وأقر مجمع اللغة السحايا الرقيقة وجاء في الشرح ؛ وتشمل الحنون والشمّية(٣).

7809 lésion dégénérative — ٧٨٠٩ آفة مُتَدنّية ، حُؤولية

آفة تنكسية كما أقرها مجمع اللغة (٤) .

7813 lésion fœtal — ٧٨١٣ آفة جنينية

آفة حميلية كما أقرها مجمع اللغة (٥) .

7817 lésion macroscopique — ٧٨١٧ آفة مرئية

وأرجح آفة عيانية .

---

(١) انظر الصفحة ٤٦٧ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) لقد درجت على ترجمة لفظة (systématisé) بمرتّب تاركا لفظة نظامي ترجمة لـ (régulier) .

(٣) في المعجم الوسيط الشُمي خصل الشعر المتفرقة . وهي ترجمة لـ (arachnoïde) وقد وردت لفظة الشم في بعض المصطلحات .

(٤) الصفحة ٢٣١ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) الصفحة ٨٣٧ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

٧٨١٩ آفة الكِليتين ، آفة كُلْوية ، داء كُلْوي — 7819 lésion des reins, affection rénale, néphropathie

والأفضل آفة الكليتين ، علة كلوية (لتخصيص آفة ترجمة لِ lésion) واعتلال كلوي (١) .

٧٨٢٠ آفة بنائية ، تركيبية — 7820 lésion structurale

وأرجح آفة بنائية ، أو بنيانية .

٧٨٢٢ آفة وَحيدة الطَّرف في النخاع الشوكي — 7822 lésion unilatérale de la moelle épinière

وأرجح آفة وحيدة الجانب في النخاع الشوكي .

٧٨٢٣ آفة وِعائية — 7823 lésion vasculaire

وأفضل آفة عِرْقية

٧٨٢٦ سُبات — 7826 Léthargie

٧٨٢٧ سُباتي — 7827 Léthargique

سبق لمجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بسُبات ثم عدل عنها أخيراً إلى نُوام — ليثرغس (ابن سينا) ، وجاء في الشرح : ويطلق على كلا السبات والغشيان . وأرى الاقتصار على كلة نوام في ترجمة اللفظة وتخصيص سُبات ترجمة لِ (coma) (٢) .

٧٨٢٨ ابيضاضُ الدَّم — 7828 Leucémie

وأرجح لوسيميا تعريباً أيضاً .

---

(١) انظر شرح اللفظة (myopathie) في الصفحة ١٠٦ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٩٠ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

7829	leucémie aiguë, leucoplastose, lympha-·dénie leucémique aiguë	ابيضاض حاد ، كثرة الجِذْعيات البيض ، كثرة الكُرَيضات الجِذْعية ، التهاب الغدد اللنفاوية الابيضاضي الحاد	٧٨٢٩

وأفضل ابيضاض الدم الحاد أو اللوكيميا الحادة ، البلاستوميـة (١) البيضاء ، ضخامة العقد اللنفية الابيضاضية الحادة .

7830	leucémie aleucémique	ابيضاضٌ بلا كثرة الكُرَيضات	٧٨٣٠

وأرجح ابيضاض الدم اللا ابيضاضي أو اللوكيميا اللاابيضاضية .

7831	leucémie aplastique	ابيضاض ناقص التصور أو التشكل	٧٨٣١

وأرجح لوكيميا لا تكونية أو ابيضاض الدم اللا تكوني .

7832	leucémie leuco-·pénique	ابيضاضٌ مع نقص الكُرَيضات	٧٨٣٢

وأفضل ابيضاض الدم الناقص الكريات البيض أو اللوكيميا الناقصة الكريات البيض .

7836	leucémique	ابيضاضي (متعلق بابيضاض الدم)	٧٨٣٦

وأرجح ابيضاض دموي أو لوكيميائي .

7836	leucocytaire	كُرَيضي	٧٨٣٦

وأفضل كريوي أبيض .

7837	leucocyte	كُرَيضة ، كريَّة بيضاء	٧٨٣٧

كرية بيضاء فقط .

---

(١) انظر الشرح في لفظة (blastoderme) وما يليها في الصفحة ٢٤٩ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

٧٨٣٧ كُرَيضات بنوى كثيرة الأشكال، بنواة كالشّريط أو كنعل الفرس (١) — 7837 leucocytes polymor-pho-nucléaires à noyau en forme de ruban ou en fer de cheval

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة لفظة (polymorphonuclear leucocytes) بـ خلايا بيض مشكلة النوى ، وأرجح ترجمة ما جاء في هذه اللفظة وما بعدها كما يلي : كريات بيض مشكلة النوي ذات نوى شريطية الشكل أو على هيئة نعل الفرس .

٧٨٤٢ طلاوة الفم ، تصدّف الفم ، تقرّن الفم الابيضاضي — 7842 leucoplasie buccale, psoriasis buccal, leuko-kératose buccale

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالصّداف الشّدَقي (١) وجاء في التعريف : بقع بيضاء غير منتظمة فيها تغلظ الظهارة وتتضخم الحلَيمات .

٧٨٤٤ تكوّن الكريضات — 7844 Leucopoïèse

وأرجح تولد الكريات البيض .

٧٨٤٥ تريّة ، سيلان أبيض ، ترية مَهْبلية — 7845 Leucorrhée , fleurs ou pertes blanches , leucorrhée vaginale , flueurs

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة الأولى بليكوريه وجاء في التعريف : إفراز أبيض ينزل من الفرج . هذا ولا أرى أن لفظة تريّة (٢) تفيد المعنى المطلوب .

---

(١) سبقت اللاحظة على هذه الألفاظ (انظر الصفحة ٦٥٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : التّرِيّة في بَقِيّة حيض المرأة أقل من الصفرة والكدرة وأخفى ، تراها المرأة عند طهرها فتعلم أنهـا قد طهرت من حيضها ، قال شمر : ولا تكون التربة إلا بعد الاغتسال ، وأما ما كان في أيام الحيض فليس بترية .

٧٨٤٦ خَميرة ، مَعْجون مخلَّل Levain , pâte aigrie 7846

وأرجح مثيرة الاختمار ، عجين حامض ، وسبق للجنة أن استعملت خميرة ترجمة للفظة (ferment) (اللفظة ٥٦١٦) .

٧٨٤٨ عَتَلة ، مُخْل ، مِنْسَفَة Levier 7848

وأفضل رافعة ، عتلة ، مُخْل .

٧٨٤٩ تَمَلُّق في الهواء Levitation 7849

وأرجح الارتفاع في الهواء .

٧٨٥٤ هَدَل ، فم السِّناد lévre de tapir 7854

وما تعنيه اللفظة كما جاء في معجم لاروس : (١) ضخامة الشفة العليا وبروزها غير الطبيعي شأن الحال في الحيوان المعروف بهذا الاسم وهو لا يوجد إلا في أمريكة . (٢) ضخامة الشفة الأمامية من عنق الرحم . وليس للفظتي هَدَل وسِناد أن تدلا على المعنى المطلوب [١] .

لذا أرجح أن تكون ترجمة اللفظة : ضخامة الشفة العليا ، فم الطبير (تعريباً) ضخامة الشفة الأمامية لعنق الرحم .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

(١) في اللسان : الهَدَل استرخاء المشفر الأسفل. هَدِل هَدَلاً ومشفر هادل وأهدل وشفة هدلاء منقلبة عن الذقن .

في محيط المحيط وفي أقرب الموارد : السِّناد مصدر ساند والناقة القوية الخلق ، والسِناد أيضاً حيوان على صفة الفيل إلا انه أصغر منه جُثة وأعظم من الثور ، وهو كثير في بلاد الهند .

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٩ —

---

٢٢٤) الفَقْرة

ف Vertèbre (f.)

ز Vertebra

في الأصل · — الفقرة ج فقار ، العظام المستديرة يضم بعضها إلى بعض .

في (ق) · — الفِقرة بالكسر والفَقِرة والفَقار بفتحها ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجَب ج فِقر كعنب ، وفَقار كسحاب ، وفِقْران بالكسر أو بكسرتين ، وفقرات كعنبات .

في (ل) · — كل عظمة قصيرة تؤلف العمود الفقاري (كل فقرة ذات ثقب يمر منه النخاع الشوكي) .

قلت : فِقر البعير خاصةً هي (المَحال) مفردها مَحالة ، جج مُحُل .
ما أضفته :

١ً — فقرة ظَهْرية (زَوْرية)

ف Vertèbre thoracique

ز Thoracic vertebra ; dorsal vertebra

٢ً — فقرة عَجُزية

ف Vertèbre sacrée

ز Sacral vertebra

٣ً — فقرة العنق الأولى (الفَهْقَة)

ف Atlas

ز Atlas ; first cervical vertebra

٤ً — فقرة العنق الثانية (الفائق)

ف Axis ; deuxième vertèbre cervicale

ز Axis ; second cervical vertebra

٥ً — فقرة عُنقية (دَايَة)

ف Vertèbre cervicale

ز Cervical vertebra

٦ً — فقرة قَطَنية

ف Vertèbre lombaire

ز Lombar vertebra

٧ً — فَقْري

ف ، ز Vertébral

٨ً — ذو فَقار ، فَقاري

ف Vertébré

ز Vertebrate

٩ً — فِقَريات ، ذوات الفِقَر

ف Vertébrés

ز Vertebrate animals

★ ★ ★

٢٢٥) المَتْنان

ف Muscle dorsal
ز Musculus dorsalis

في الأصل . — اللحمتان فوقهما العصب .

في (ق) . — متنا الظهر مكتنفا الصلب ، ويؤنث .

في معجم متن اللغة . — المتن ، الظهر يذكر ويؤنث : لحمتان معصوبتان بينهما صلب الظهر مَعْلُوّتان بعقبٍ مكتنفاً القلب . ج مُتُون ، ومِتَان .

قلت : جميع هذه الشروح يدل على أن المتن هو عضلة الظهر على وجه عام . فوضعت مقابلها باللغتين . وعلى وجه خاص هما عضلتان إليك اسميهما فيما يلي :

آ — عضلة ظهرية طويلة

ف Muscle long dorsal
ز Muscle longissimus dorsi

ب — عضلة ظهرية كبيرة

ف Muscle grand dorsal
ز Muscle latissimus dorsi

★ ★ ★

٢٢٦) السَّناسِن

ف Apophyse épineuse ; épine dorsale
ز Spine ; spinous process

في الأصل . — رؤوس الفقار .

في (ق) . — السِّنْسِنة ، حرف فقار الظهر ورأس عظام الصدر أو طرف الضلع التي في الصدر .

في لاروس ذي المجلّدين . — الشوكة ، بارزة عظمية مستطيلة .
في (ل) . — انظر العمود الفقري .
قلت : انظر الرقمين (٢٢٣ — ٢٢٤) .
ما أضفته :

سنسنة مشقوقة

ف ، ز Spina bifida

وفيما يتعلق بالشوك (*) (= الشوكة) : أضفت

١ — الشوك ، الشوكة

ف Épine (f.)
ز Spine ; thorn

٢ — شوك التخرش

ف Épine irritative
ز Sensitive spot , area of origin of a reflex

٣ — شوك حرقفي

ف Épine iliaque
ز Spine of the ilium ; iliac spin

٤ — شوك الظهر ، فقار الظهر

(عمود فقاري)

ف Échine ; épine dorsale
ز Vertebral , spinal column

٥ — شوك اللوح

ف Épine de l'omoplate
ز Spine of the scapula

(*) الشوكة : شاخة عظمية مستطيلة .

٦ — شوكي

ف Épineux ; spinal
ز Spinal ; spinous : thorny

★ ★ ★

٢٢٧) القَطَن (ناحية قطنية)

ف Lombes (m.)
ز Loins

في الأصل . — ما بين الوَرِكين إلى عَجْب الذنَب .

في (ق) . — ما بين الوركين . وأصل ذنب الطائر . والانحناء ومنه ظهر أقْطَن .

في (ل) . — ناحية متناظرة ، خلف البطن ، من جهتي العمود الفقاري .

ما أضفته :

١ً — قَطَني

ف Lombaire
ز Lombar

٢ً — عضلة قطنية

ف ، ز Psoas (muscle)

٣ً — قُطَان ، ألم القَطَن

ف Lombalgies ; mal - aux - reins ; douleurs lombaires
ز Lombar pains ; backache

٤ً — تَقَطُّن

ف Lombalisation ; lombarisation
ز Lombarization

✶ ✶ ✶

٢٢٨) النُّخاع

ف Moelle (f.)
ز Marrow ; medulla

في الأصل . — خيط أبيض في جوف الصُّلْب .

في (ق) . — النخاع ، مثلثةً ، الخيط الأبيض في جوف الفقار ينحدر من الدماغ ويتشعب منه شعب في الجسم .

في (ل) . — نسيج غني بالدسم موجود في قناة في مركز العظام الطوال . ويسمى أيضاً (نخاع أصفر) تمييزاً له من (النخاع الأحمر الموجود في العظام الاسفنجية والذي يعمل على تكوين الكريات الدموية) .

ما أضفته :

١ً — نخاع شوكي

ف Moelle épinière
ز Spinal cord ; spinal marrow or medulla

وقِسْماه :

آ) انتبار رقبي

ف Renflement cervical
ز Cervical enlargement

ب) انتبار قطني

ف Renflement lombaire
ز Lombar enlargement

٢ً — نخاع عظمي

ف Moelle osseuse
ز Bone marrow

وقسماه :

آ) أصفر

ف Jaune
ز Yellow marrow

ب) أحمر

ف Rouge
ز Red

٣ً — نخاع عُصْعصي ، خيط نهائي

ف Moelle coccygienne ; filum terminal
ز Terminal filament of spinal cord

٤ً — نخاع مستطيل ، بصلة سيسائية

ف Moelle allongée ; bulbe rachidien
ز Spinal or rachidian bulb

٥ً — نخاعي ؛ شوكي

ف Médullaire ; spinal
ز Medullary ; spinal ; marrow - like

٦ً — نخاعيّ المنشأ

ف Myélogène
ز Myelogenic ; myelogenous

٧ً — نخاعين

ف Myéline
ز Myelin ; nerve medulla

٨ً — نخاعيني

ف Myélinique
ز Médullated

٩ً — التهاب النخاع الشوكي

ف Myélite
ز Myelitis

★ ★ ★

٢٢٩) العَيْر

ف ، ز .....

في الأصل · — العير الشاخص في وسط الكتف ج أعيار .

في (ق) · — العير الحمار وغلب على الوحشي ج أعيار ، وعِيار ، وعُيُور جبج عِيارات . والعظم الناتيء وسطها [قلتُ وسط أيّ شيء ؟ (*)] . وكل ناتئ في مستوٍ . وما في العين أو جفنها أو إنسانها أو لحظها . وما تحت الفرع من باطن الأذن ... الخ .

في معجم متن اللغة · — العير ... والعظم الناتئ وسط الكفّ (**) والكف مُعَيَّرة ومُعْيَرَة . وكل ناتئ وسطَ مستوٍ عير . وما في العين .. الخ ما هو مذكور في (ق) .

(*) فبحثتُ عما سقط في النسخة الخطية على الحجر ، في النسخة المطبوعة بمصر ١٩٣٣ فوجدت ما يلي : (هنا سقط في النسخ ، والتقدير ، وعيرُ الكتف أو القدم : العظم الناتيء وسطها . وكذلك عير الكتف وعير القدم الشاخصُ) .

(**) قلت : ليس في وسط الكف عظم ناتيء لصح التعريف . فهو خطأ من النسخ . ثم ان قوله — كما في لسان العرب — (وكتف معيّرة ومُعْيَرَة ذات عير) دليل على أن (الكف) المعطوف عليها ، خطأ مطبعي وصحيحها (وسط الكتف ، وكتف معيَّرة ذات عير .. الخ) .

في المعجم الوسيط . — . . . ومن النصل الخط البارز في وسطه طولاً [ولم يذكر شيأً عن العظم الناتيء وسط الكتف أو سواه] .

في لسان العرب [طبعة دار الفكر ، مكتبة الحياة سنة ١٩٥٥ الجزء ٦ ص ٧٦٨ — ٧٧٦ ، بيروت] . — مادة عير ؛ ملخصاً مما هو مذكور عنها ، ما يتعلق بالموضوع : ١) العير الحمار الخ وغلب على الوحشي . ٢) والعير العظم الناتيء وسط الكف (*) . وكتف معيَّرة ومُعْيَرَة على الأصل ذات عير ، وعير النصل الناتيء وسطه [يقول مصحح العبارة : قوله وسط الكف كذا في الأصل ولعله الكتف . وقوله معيَّر ومُعْيَرَة على الأصل هما بهذا الضبط في الأصل وانظره مع قوله على الأصل فلعل الأخيرة « ومَعيرة » بفتح الميم وكسر العين اهـ] . ٣) والعير من أذن الإنسان والفرس ما تحت الفرع من باطنه كعير السهم . ٤) وكل عظم ناتيء من البدن عير . وعير القدم الناتيء في ظهرها . ٥) وعير الأذن الوتد الذي في باطنها . ٦) وعير الصخرة حرف ناتيء فيها خلقةً . وقيل كل ناتيء في مستو : عير . ٧) قال أبو عمر : العير هو الناتيء في بؤبؤ العين . . الخ الخ .

ملاحظتي . — بعد كل ما تقدم فأيّ الشروح (للعير) يؤخذ به ليوضع له ما يقابله بالافرنجيتين ، تخصيصاً .

شرح ابن فارس : العظم الناتيء في الكتف ؛ ومتن اللغة : في وسط الكف ؛ والقاموس : في العبارة المصححة في النسخة المطبوعة في مصر : الناتئ في الكتف أو القدم . وغير القدم الشاخص .

ولسان العرب : بشرحه المطوّل لمدلولات شتى (*) .

(*) أي بحسب التعريف الرابع في لسان العرب الآنف الذكر أن توضع كلمة apophyse الفرنسية لما يقابل (عَيْر) : كل عظم ناتىء من البدن ؛ بدلاً من الكلمات العديدة التي تستعمل لها نحو (ناشز ، ناتىء ، برزة ، استطالة) .

فلننتظر حتى يتحدد المعنى المطلوب لشيءٍ معين مما ذكر فيصح عندها التخصيص ويمكن وضع المقابل باللغتين الافرنجيتين .

قلت : والشاخص ليس له ذكر في (ق) . وفي متن اللغة : هو المنتصب القائم الثابت ؛ وشاخص العظام مشرفها . [فهل هو نواتئها ؟] .

★ ★ ★

٢٣٠) غُضْرُوف

ف ، ز Cartilage (m.)

في الأصل . — طرف الكتف الليّن .

في (ق) . — غضروف وغرضوف : كل عظمٍ رَخْص يؤكل وهو مارِنُ الأنف ، ونُغض الكتف ، ورؤوس الأضلاع ، ورهابة الصدر ، وداخل قوف الأذن .

في (ل) . — نسيجٌ مقاوم ومرِن يؤلف هيكل المُضغة قُبيل ظهور العظم . ولا يبقى في الكهـل إلا في صوّان الأذن ، وفي الأنف ، وفي ظاهر العظام .

ملاحظتي . — النُغْض بالضم ويفتح غرضوف الكتف أو حيث يجيء ويذهب منه كالناغض فيها . فحبذا لو خصّص المؤلفُ رحمه الله ، النغضَ ، لطرف الكتف الليّن كما هو نص المعاجم . وإلا فالغضروف عامّ يشمل ما لان من العظام كما ذكر في (ق) . أما غضاريف رؤوس الأضلاع خاصةً فهي (المُهَر بضم ففتح . مفردها مُهْرة) .

ما أضفته (عن الغضروف بمعناه العام) :

١ً — غضروف الاتّصال

ف Cartilage de conjugaison ; jointure épiphysaire
ز Epiphyseal cartilage

٢ً — غضروف الأذن

ف Cartilage auriculaire ou interauriclaire
ز Auricular cartilage

٣ً — غضروف أنفي

ف Cartilage nasal
ز Alar cartilage

٤ً — غضروف حلْقي

ف Cartilage cricoïde
ز Cricoid cartilage

٥ً — غضروف دَرَقي

ف Cartilage thyroïde
ز Thyroid cartilage

٦ً — غضروف الرُّسغ الليفي
(غضروف الظُّفر الليفي)

ف Cartilage fibreux ; fibrocartilage tarse (cartilage)
ز Tarse, palpebral cartilage or plate

٧ً — غضروف شفّاف

ف Cartilage hyalin
ز Hyalin cartilage

٨َ — غضروف ضلعي (= مُهْرَة)

ف Cartilage costal
ز Costal cartilage

٩َ — غضروف طِرْجِهالي

ف Cartilage aryténoïde
ز Aritenoid cartilage

١٠َ — غضروف قرنيّ الشكل

ف Cartilage corniculé
ز Corniculate cartilage ; cartilage of Santorini

١١َ — غضروف لامي

ف Cartilage hyoïde ; de Reichert
ز Hyoid , Reichert's cartilage

١٢َ — غضروف مَرِن

ف Cartilage élastique
ز Fibro - elastic cartilage

١٣َ — غضروفي

ف Cartilagineux
ز Cartilaginous

١٤َ — غضروفين (= كُنْدرين)

ف Chondrine
ز Chondrin

وعلى وجه عام :

آ — التهاب الغضروف

ف Chondrite
ز Chondritis

ب — حثل الغضاريف (كساحة الولدان)

ف Chondrodystrophie
ز Chondrodystrophy

ج — قحف غضروفي

ف Chondrocrâne
ز Chondrocranium

د — ورم غضروفي

ف Chondrome
ز Chondroma

★ ★ ★

٢٣١) العَجُز

ف ، ز Sacrum

في الأصل . — العجز مؤنثة ، يقال هذه عجز (وليس لها تعريف) ، وتسمى العجيزةُ : الكَشَف (*) .

في (ق) . — العجز مثلثة وكَنَدُس مؤخَّر الشيء ويؤنث ج أعجاز . والعجيزة خاصة بها أي بالمرأة .

في متن اللغة . — العجز وتثلث العين والعجَز والعجِز ، مؤخَّر الشيء يذكر ويؤنث . ج أعجاز . والعَجيزة العجُز وهي خاصةٌ بالنساء ولا تقال للرجل إلا على التشبيه مجازاً .

(*) في الأصل المطبوع (الكتف) وهو خطأ والصحيح (كشف) بفتح الشين . انظر الملاحظة .

في (ل) . — عظمٌ مؤلَّف من تلاحم (٥) فقرات عَجُزية متمفصلات بالعظام الحرقفية مما تكونت عنه الحوضة .

ملاحظتي . — قوله في الأصل (وتسمى العجيزة الكتف ، بالتاء خطأ من النَّسْخ والصحيح الكشف بالشين محركةً كما وضعتها مصححةً في أصل التعريف . فالكشف هو من الخيل : الذي في عسيب ذَنَبه التواء . [والعسيب عظم الذنب أو مستدقه أو منبت الشعر فيه .. الخ] .

[الفرق بين (كتف) و (كشف) في عدد أسنان أو نبرات التاء والشين . فالناسخ توهمها سناً واحدة وقد يكون ممن استغرب (الكشف) فحسبها (كتف) الشهيرة فكتبها (كتف) وهذا كثير الحدوث في النقل والخطوط] . إذن : العجيزةُ ، الكشَفُ أي عظم الذنب تعمياً ، للانسان أيضـــاً . ولم ينتبه إليها المحقق .

ما أضفته :

١ً — عجُز منقلب ، هابط

ف Sacrum basculé ; hiérolisthésie ; sacrolisthesis

ز Hierolisthesis ; sacrolisthesis

٢ً — عجُزي

ف Sacral ; sacré

ز Sacral

٣ً — عجزي عُصعُصي

ف Sacrococcygien

ز Sacrococcygeal

٤ً — عجزي قَطَني

ف Sacrolombaire

ز Sacrolombar

٥ً — تَمَجُّز

ف Sacralisation

ز Sacralization

٦ً — ألم العجز

ف Sacrodynie ; douleur sacrale

ز Sacrodynia

٧ً — وُراك عجزي

ف Sacrocoxalgie

ز Sacrocoxalgia ; sacrocoxitis

★ ★ ★

٢٣٢) الصَّلا (الصَّلَوان) ، (الشَّخْر)

ف Sillon interfessier

ز Gluteal fold ; gluteal furrow

في الأصل . — الصلوان ، مكتنفا العجز .

في (ق) . — الصَّلا وسط الظهر منا ، ومن كل ذي أربع ؛ وما انحدر من الوركين ، أو الفُرجة بين الجاعرة والذنب ، أو ما عن يمين الذنب وشماله وهما صلوان ج أصلاء .

قلت : وقد خصصت لجنة المصطلحات الطبية ، الصلا ، للفرجة أو الميزابة بين الأليتين فوضعت مقابلها في اللغتين وفق هذا في (الرقم ٢٣٢) . وأما الشَّخْر بفتح فسكون ، فهو من الإستِ شقّها (كما في متن اللغة) .

★ ★ ★

٢٣٣) العَجْب

ف Origine de la queue

ز Origin of the tail

في الأصل . — العجْب ، أصلُ الذنَب .

في (ق) . — العَجب بالفتح ، أصل الذنب ، ومؤخَّر كل شيء ج أعجاب .
قلت : و (القحقح ، بضم القافين) هو : مغرز العَجْب من داخل .

★ ★ ★

٢٣٤) الوَرِك

ف Hanche (f.) ; ischion (m.)
ز Hip ; ischium

في الأصل . — الوَرِك ، الكَفَل .

في (ق) . — الورك بالفتح والكسر وككتف ، وما فوق الفخذ موننة ج أوراك . والوَرَك محركةً عظمها .

في (ل) . — عن الكلمة الأولى : الناحية التي توافق التصاق العضو السفلي (أو الخلفي) مع الجذع . وعلى التخصيص مَوْصل عظم الفخذ بالعظم الحرقفي . . . . وعن الكلمة الثانية : إحدى العظام الثلاثة التي يتألف منهن العظم الوركي .

ما أضفته :

١ً — فخذ خرقاء

ف Hanche bote
ز Bent hip

٢ً — مشلول الوَرِك

ف Paralysé de la hanche
ز Lame ; weak in the loins

٣ً — وَرِك متقلقِلة

ف Hanche à ressort
ز Snapping hip

★ ★ ★

٢٣٥) الغُرابان

ف ، ز
في الأصل . — رأسا الوركين .

في (ق) . — طرفا الوركين الأسفلان يليان أعالي الفخذ ؛ أو عظمان رقيقان أسفل الفراشة (الفراشة ، كل عظمٍ رقيق) .

قلت : يكاد هذا التعريف يتوافق مع (الرقم ٢٣٤) .

★ ★ ★

٢٣٦) الرانفتان

ف ، ز
في الأصل . — (الرانقتان) بالتاء والقاف طرفا الأليتين .

في (ق) . — (الرَّتق) ضد الفتق والرِتاق ثوبان يُرتقان بحواشيهما .

في معجم متن اللغة . — رتقَ رتقاً الفتقَ ، سدَّه ، ألحمه فهو راتق . والفتقُ مرتوق .

ملاحظتي . — في شروح المعاجم التي بين يدي لم أجد ما يدل على معنى (لطرف الأليتين) ولو تلميحاً . إذن في كلة (الرانقتان) بالتاء فالقاف ، تصحيف أو خطأ في النسخ . ولدى البحث عن الكلمة الصحيحة بتقليب وجوه التصحيف وخطأ النسخ تبين لي أن الكلمة الصحيحة (الرانفتان) بالنون والفاء ، مفردها (الرانفة) وهي أسفل الألية إذا كنت قائماً ، كما في (ق) . هذا وقد تكون أيضاً (الرادفتان) بالدال والفـــاء من (الروادف : طرائق الشحم . الواحدة رادفة . والروادف الأعجاز) .

[(ن) (*) المحاذية جداً ـ في الأصل المخطوط ، للفاء على ما أظن ـ توهمها الناسخ (تـقـ) فكتبها باضافة نقطة ثانية للفاء (الرانقتان) انجرافاً وذهولاً] . فوضعتها مصححـةً في (الرقم ٢٣٦) (الرانفتان) لصراحة شرحها في (ق) ، ترجيحاً على (الرادفتان) . ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي

(*) باصطلاح الطباعة (نون أول) .

صفحات من تاريخ الاستشراق

-٧-

يذهب جمهور المستشرقين إلى أن الإسلام كان نتيجة تطور حياة العرب في الجاهلية وأنه ، بدراسة الأوضاع التي كانت سائدة قبله ومعرفة علاقات بلاد العرب بالأمم المجاورة ، يمكن الكشف عن العناصر التي يتألف منها ، وإدراك المؤثرات التي أدت إلى ظهوره ثم ساعدت على انتشاره وقد اهتم المستشرقون بدراسة أحوال العرب قبل الإسلام في أطراف الجزيرة الشمالية ، وبحثوا في مظاهر الحضارة لدى الأنباط وفي تدمر وعند الغساسنة والمناذرة وملوك كندة كما حاولوا التنقيب عن آثار اليمن القديمة وقراءة النقوش الكتابية المعينية والسبائية والحميرية . وعلى الرغم من تقدم الدراسات الأثرية فإنها مازالت محدودة ، جزئية لا تسمح بتكوين فكرة شاملة ، واضحة عن حضارة العرب القديمة وعن تأثيرها في نشأة الإسلام .

لذلك فقد تركزت جهود المستشرقين ، في بادىء الأمر ، حول دراسة حياة العرب البدو عامة وسكان الحجاز خاصة . إلا أن هذه الأبحاث لا تقتصر على قبائل العرب في القديم ، بالاستناد إلى الأخبار التي تناقلها المؤرخون المسلمون وإلى الأشعار الجاهلية ، بل تشمل أيضاً وصف عادات البدو وطبائعهم في العصر الحديث ، لأن هؤلاء المستشرقين يعتقدون بأن أوضاع العرب البدو في هذا الوقت تشبه في جوهرها ما كانت عليه قبل الإسلام . .

(روبرتسون ـــ سميث) :

في أواخر القرن التاسع عشر احتل البحاثة الإنكليزي (ويليام روبرتسون سميث — William Robertson Smith) [١٨٤٦ — ١٨٩٤] أستاذ اللغة العربية في (كمبريدج) مكانة رفيعة بين المستشرقين . بمحاضراته عن ديانة الساميين (١) التي اعتنى فيها بالدراسات المقارنة عن طقوس القرابين لدى الشعوب السامية المختلفة ، وجمع كثيراً من المعلومات عن عقائد العرب القدماء في اليمن . وبعد أن قام بين سنة ١٨٧٩ و ١٨٨١ برحلات إلى مصر وسورية وجزيرة العرب حتى جدة والطائف نشر دراسته الشاملة عن القرابة والزواج في بلاد العرب القديمة ، (٢) التي حاول فيها أن يصور لنا تطور الأوضاع الاجتماعية ولا سيما نظام الزواج عند قدماء العرب . والشهرة الكبيرة التي نالها كتاب (روبرتسون — سميث) لا ترجع إلى تعمقه ودقته في البحث فحسب ، بل كذلك إلى الفرضية التي وضعها عن مراحل التطور الاجتماعي من نظام (حق الأمومة) إلى (النظام الأبوي) . وهذه الفرضية تستند ، قبل كل شيء ، إلى بعض القصص الغريبة التي يرويها الجغرافي اليوناني (سترابون) عن أنواع الزواج الشاذة لدى العرب ، مثل انتقال الرجل إلى قبيلة زوجته وانتساب الأولاد إلى أخوالهم ثم تعدد الأزواج وما يشبه ذلك من الأخبار التي يشك كثيراً في صحتها ...

---

(١) Lectures on the Religion of the Semites . Cambridge 1889 .

(٢) Kinship and Marriage in early Arabia London 1885 .

(ولهاوزن) :

من أهم المؤلفات عن العرب القدماء كتاب المستشرق الألماني المشهور (يوليوس ولهاوزن Julius Wellhausen) عن بقايا الوثنية العربية » [١] الذي نشر سنة ١٨٨٧ والذي ما زال يعتبر المرجع الأساسي في هذا الموضوع . وقد اعتمد المؤلف هنا بالدرجة الأولى على كتاب (الأصنام) لابن الكلبي . وهو يرفض ما ذهب إليه (روبرتسون — سميث) من وجود (الطوطمية) عند العرب القدماء كما يعارض رأي المستشرق (شبرنغر) في أن عبادة الجن كانت أساس الوثنية العربية ثم يسعى إلى أن يبين كيف بدأت الوثنية العربية تتفسخ قبل الإسلام وكيف أخذت تتكون بين العرب فكرة (الله) التي دعا إليها الإسلام بعد ذلك ، فقضى على الوثنية نهائياً وإن اقتبس عنها بعض الطقوس كما في شعائر الحج على الأخص .

والكلام على شخصية (ولهاوزن) وطريقته في النقد العلمي يحتاج إلى بحث خاص لاستعراض دراساته الأصلية المتنوعة عن التوراة وعن الشعر الجاهلي وعن مدينة (يثرب) قبل الإسلام وعن الأحزاب الدينية — السياسية المعارضة في صدر الإسلام ثم قبل كل شيء كتابه العظيم عن « تاريخ الدولة العربية » .

(ياقوب) :

وهناك مستشرق ألماني آخر سعى إلى وصف عادات العرب البدو وأخلاقهم قبل الإسلام بالاستناد إلى المصادر العربية وفي الدرجة الأولى إلى الشعراء الجاهليين ، ونقصد بذلك (جورج ياقوب Georg Yacob)

---

(١) Reste arabischen Heidentums Berlin 1887.

في كتابه « حياة العرب البدو القدماء » (١) وكان (ياقوب) قـــد بدأ بدراسة اللاهوت ولكنه سرعان ما انصرف إلى الاستشراق واختار موضوعاً لأطروحته تجارة العرب مع ألمانيا في القرون الوسطى ، وظل يهتم دومـاً بالبحث في « تأثير الشرق في الغرب » حتى أصدر كتاباً بهذا العنوان في سنة ١٩٢٤ ، (٢) ثم نشر في سنة ١٩٢٧ « تقارير الوفـدين العرب إلى قصور أمراء الجرمان في القرنين التاسع والعاشر . » (٣) ..

(الغساسنة والمناذرة) :

بعد نشر تاريخ الطبري اعتباراً من سنة ١٨٧٩ وجد فيه علمـــاء الاستشراق مصدراً هاماً لدراسة تاريخ العرب والإسلام فأسرع (نولدكه Nöldeke) إلى تأليف كتابه عن « تاريخ الفرس والعرب في عهـــد الساسانيين » ثم كتابه عن « ملوك الغساسنة من آل جفنة » (٤) بالاستناد إلى المصادر العربية في الدرجة الأولى مع الاستعانة ببعض المصادر الفارسية والبزنطية . كذلك فعل المستشرق الألماني (ج . روتشتاين G . Rothstein) في كتابه عن « سلالة اللخميين في الحيرة » ثم المستشرق السويدي (اوليندر Olinder) في كتابه « ملوك كندة من أسرة آكل المرار » (٥) .

---

(١) Altarabisches Beduinenleben Berlin 1897 .

(٢) Der Einfluss des Morgenlades auf das Abendland. Berlin 1924 .

(٣) Arabische Berichte von Gesandten an germanische Fuerstenhoefe aus dem 9. und 10 . Jahrhundert , Berlin 1927 .

(٤) Die Ghassanischen Fuersten aus dem Hause Gafna . Berlin 1887 .

(٥) G. Olinder, The Kings of Kinda of the family of Akil al - Murar , Lund 1927 .

(ز) دوسو) :

أما المستشرق الفرنسي (رينيه دوسو René Dussaud) فإنه لم يقتصر على المصادر العربية ، بل انصرف في أوائل هذا القرن إلى التنقيب عن الآثار القديمة ودراسة النقوش الكتابية في بادية الشام لمعرفة كيفية تسرب القبائل العربية إلى سورية وانتقالها من البداوة إلى الحضارة . وهو الذي نشر الكتابات الصفوية وترجمها واكتشف في جبال الصفا ضريح الملك (امريء القيس بن عمرو) . وقد تبين من النقش على الضريح أن هذا الملك قد مات سنة ٣٢٨ ميلادية فهو ملك الحيرة نفسه الذي تذكره الروايات العربية .

وإلى (دوسو) يرجع الفضل في أنه استطاع ، في كتابه عن « العرب في سورية قبل الإسلام » (١) ، البرهان على أن العرب قد توطنوا في سورية منذ عهد قديم جداً كما إن دراساته عن الكتابات الصفوية ، التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني بعد الميلاد ، قد أظهرت أن القبائل العربية — الصفوية ، التي هاجرت في وقت متأخر ، كانت لا تزال قريبة من البداوة في عاداتها ومحافظة على لغتها العربية وتستخدم في الكتابة الخط اليمني . وهذه الكتابات الصفوية شبه الكتابات الثمودية واللحيانية التي عثر عليها أيضاً في شمالي الحجاز وتتفق معها في أسماء الآلهة وعلى الأخص في ذكر اسم (الله) .

(١) Les Arabes en Syrie avant l'Islam , Paris 1907 .

(جوسان) و (سافينياك) :

وعندما بدأ العمل في إنشاء الخط الحديدي إلى الحجاز في أوائل هذا القرن جاءت بعثـــة افرنسية للتنقيب عن الآثار في الحجر (أي مدائن صالح) وفي العلاء وتيماء وتبوك على طريق الحج وكانت البعثة تحت إشراف المستشرقين الفرنسيين الراهبين (جوسان وسافينياك) (Jaussen et Savignac) اللذين نشرا بين سنة ١٩٠٧ و ١٩١٤ عدة مجلدات عن نتائج هذه التنقيبات مع نصوص النقوش الكتابية المعينية واللحيانية والثمودية ومعلومات قيمة عن قبائل البدو في بلاد (موآب)[١] .

(دوتي) :

بينما اتجهت أنظار المستشرقين الذين ذكرنا أسماء البعض منهم إلى دراسة أحوال بلاد العرب في القديم وتمركزت عنايتهم حول الناحية التاريخية إذا بغيرهم من الباحثين يوجهون كل اهتمامهم إلى أوضاع جزيرة العرب المعاصرة بعد أن ازداد التنافس الاستعماري في أواخر القرن التاسع عشر وأخذت بلاد العرب تشغل مكاناً بارزاً في المخططات السياسية والاقتصادية .

ولا شك في أن المستشرق والرحالة الإنكليزي (تشارلس دوتي — Tharles Doughty) [١٨٤٣ — ١٩٢٦] يأتي في مقدمـــة هؤلاء الباحثين وهو يستحق أن نتوقف عنده قليلاً لأنه أصبح ، من وجوه عديدة أنموذجاً لغيره من مشاهير الرحالة الإنكليز .

---

(١) Jaussen et Savignac : Mission archéologique .
t. I . De Jerusalem au Hedjaz , Medain - Saleh , Paris 1909 .
t. II . El - Ela , d'Hegra à Teima , Harrah et Tebouk , Paris 1910
t. III . (3 vols) : Texte et Atlas . Paris 1914 .

سكن (دوتي) في دمشق لتعلم اللغة العربية وقام برحلات متعددة بين القبائل البدوية وهو ينقب عن الآثار القديمة في شبه جزيرة سيناء وفي مصر ، ويدرس أحوال البلاد وعادات القبائل ولهجاتها . وحين تجواله في الأراضي المجهولة حول (معان) أخبره بعض العربان عن وجود كتابات نبطيةوحميرية في الحجر (مدائن صالح) فقرر أن يسافر إلى الحجاز متنكراً وانضم في سنة ١٨٧٦ إلى قافلة الحجاج في دمشق وأطلق على نفسه اسم خليل . ويبدو أن أمره افتضح في الطريق فمنعه أمير الحج ، الباشا التركي ، من متابعة السفر إلى مكة ، واضطر إلى البقاء مدة في الحجر حيث قام بتصوير الآثار واستنساخ النقوش الكتابية التي أرسل بعضها إلى العالم الفرنسي (أرنست رينان) ، ونشر هو نفسه القسم الآخر في باريس سنة ١٨٨٤ بعنوان « وثائق كتابية منقوشة جمعت في شمالي جزيرة العرب »[1] . ثم اندس (دوتي) بين عرب (شمر) وتعرض إلى أخطار كثيرة ومصاعب كبيرة حتى بلغ الطائف وقابل هناك شريف مكة الذي أشفق عليه وساعده على الوصول سالماً إلى جدة والعودة إلى بلاده في سنة ١٨٧٨ .

استطاع (دوتي) في رحلاته أن يقوم بدراسات دقيقة عن طبيعة البلاد وجبالها ووديانها وعن تكوين طبقات الأرض وتوزع المياه بالإضافة إلى أبحاثه وتنقيباته الأثرية . على أن أهم ناحية عني بها هي عادات قبائل العرب البدو وتقاليدهم وسائر أحوالهم . وبعد عودته إلى بلاده قضى مدة سبع سنوات وهو يرتب وينسق المواد الغنية والمعلومات الكثيرة التي جمعها وأضاف إليها مشاهداته وملاحظاته وآراءه حتى تألف منها كتاب عجيب في مجلدين ضخمين بعنوان « رحلات في بلاد العرب الصحراوية . »[2]

(١) Charles Doughty, Documents épigraphiques recueillis dans le nord de l'Arabie. Paris 1884.

(٢) Charles Doughty, Travels in Arabia Deserta Cambridge 1888.

وقد اتبع (دوتي) أسلوباً خاصاً في الكتابة واستخدم تعابير قديمة من اللغة السكسونية واقتبس كلمات واصطلاحات عربية حتى صار من الصعب فهم كلامه ، ولم تقبل دور النشر طبع كتابه إلى أن تولت ذلك مطبعة جامعة (كمبريدج) في سنة ١٨٨٨ . وعلى الرغم من مظاهر الاهتمام والإعجاب التي استقبل بها هذا الكتاب الذي يتضمن حقاً فصولاً شيقة ، مثيرة ، والذي يعد من المؤلفات الأساسية ، المعتمدة لدى المستشرقين في هذا الموضوع ، فانه لم يكتب له الانتشار الواسع بين القراء وأصبح من الضروري إصدار طبعة مختصرة ، مبسطة منه في سنة ١٩٠٨ بعنوان « جولات في بلاد العرب »[١] . كتب مقدمتها المغامر الإنكليزي المشهور (لورانس) .

إن أهمية كتاب (دوتي) في تاريخ الاستشراق ترجع إلى أن مؤلفه ، الذي يعتبر من بناة الامبراطورية البريطانية ، لم يحاول إخفاء أهدافه الاستعمارية أو حقيقة مشاعره العدائية تجاه العرب والإسلام ! فهو ابن قسيس حافظ على نشأته الدينية وظل يخاطب الناس بلهجة المبشر ويظهر منتهى التعصب واللؤم في مناقشاته مع المسلمين ، ولا يتورع عن استعمال أبشع الكلمات عند ذكر عقائدهم وتقاليدهم وينتهز كل مناسبة لاتهام العرب بالوحشية والتعصب والعدوان . فما أعجب هذا الباحث الإنكليزي الذي يخاطب العرب المسلمين قائلاً : « إننا نحن المسيحيين لانخوض حروباً غير عادلة . وديانتنا هي ديانة سلام . ويستطيع الضعيف أن يعيش بيننا في أمان واطمئنان . » ، ثم ينشر الكلام في حين كانت انكلترا تغزو مصر بعد استيلائها على بلاد كثيرة في جزيرة العرب وغيرها باستخدام كافة وسائل التآمر والخداع والغدر والإرهاب ...

(١) Wanderings in Arabia. Cambridge 1908 ,

(موزيل) :

ومن الرحالة المشهورين المستشرق النمساوي (آلويس موزيــــل — Alois Musil الذي تنقل في أوائل هذا القرن بين آثار البتراء وقبـائل البدو في بادية الشام وشمالي الحجاز أو نجد . ومن المحتمل جداً أن تكون له علاقات بدوائر الاستخبارات الاستعمارية ، وهو بعد أن نشر ثلاث مجلدات عن « بلاد العرب الحجرية »[١] في (فيينا) سنة (١٩٠٧ — ١٩٠٨) وعاش في أثناء الحرب العالمية الأولى بين العرب البدو في بادية الشام هاجر إلى الولايات الأميريكية المتحدة ، حيث نشر من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٢٨ مؤلفاته الأخرى عن (بلاد العرب الصحراوية)[٢] و (شمالي الحجاز)[٣] و (شمالي نجد)[٤] وعن « تقاليد بدو الروالا وعاداتهم »[٥] وكلها تدل على اطلاع واسع ومعرفة دقيقة بأحوال البلاد وسكانها ..

(فون اوبنهايم) :

من أبرز الكتاب الذين بحثوا في حياة العرب البدو المستشرق والرحالة الألماني الأمير (ماكس فون اوبنهايم Max von Oppenheim الذي بدأ التجوال في الشرق منذ حوالي سنة ١٨٩٠ وتنقل من مراكش إلى الهند وافريقيا الشرقية والتحق في سنة ١٨٩٦ بالمفوضية الألمانية في مصر حيث

(١) Alois Musil, Arabia Petraea. 3. Vols. Wien 1907 - 1908.

(٢) Arabia Deserta. New York 1926.

(٣) Northern HeJaz. New York 1926.

(٤) Northern Negd. New York 1928.

(٥) Manners and Custums of the Rwala Bedouins. New York 1928.

عاش في الأحياء الشعبية واختلط بالناس واتقن اللغة العربية . ثم قام برحلات إلى سورية والعراق وأقام بين البدو واتصل بابراهيم باشا ، رئيس القبائل الكردية في شمالي سورية واستطاع أن ينال مساعدته للقيام بالتنقيبات التي أدت في سنة ١٨٩٩ إلى اكتشاف آثار (الميتانيين) في (تل حلف) ..

وعندما عاد (فون اوبنهايم) إلى التنقيب بين سنة ١٩١١ و ١٩١٣ كانت أعمال تمديد خط (برلين — بغداد) الحديدي تتقــــدم بسرعة ، وانكشفت بذلك العلاقة بين البعثـات الأثرية والمشاريع الاستعمارية . فان دراسة أحوال البدو لاتهدف في الغالب إلى مجرد المعرفة العلمية ، بل كذلك إلى أغراض سياسية .

على أنه لا بد من الاعتراف بأن (فون اوبنهايم) قد انصرف بعـد الحرب العالمية الأولى إلى تدوين نتائج أبحاثه العلمية فنشر في سنة ١٩٣١ كتابه عن آثار (تل حلف) [١] ثم بدأ فى تأليف كتابه الضخم عن « البدو » وانتهى أخيراً إلى تأسيس جمعيـة الأبحاث العلمية وقف عليها أمواله . وقد استعان المؤلف باثنين من المستشرقين الاختصاصيين في تحقيق المصادر وتنسيق المواد ، هما (برونليخ – E . Braeunlich) و (قاسكل W. Caskel فنشر المجلد الأول في سنة ١٩٣٩ [٢] والمجلد الثانى سنة ١٩٤٣ في لايبزيغ ثم نشر (قاسكل) وحده المجلد الثالث في جزءين في (ويسبادن) سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ .

---

(١) Freiherr von Oppenheim , Der Tell Halaf Leipzig 1931 .

(٢) Max Freiherr von Oppenheim Die Béduinen .
t. I, II (Erich Braeunlich und Werner Caskel Leipzig) 1939 - 1943 .
t. III (W. Caskel) vols (1 — 2) Wiesbaden 1952 - 1953 .

إن كتاب (البدو) الذي ينقسم إلى خمس مجلدات يتضمن دراسة شاملة ، دقيقة للموضوع حسب تقاليـد المستشرقين الألمان . وقد راجع المؤلف ومساعداه معظم المصادر الكتابية عن تطور البدو عبر التاريخ وعن أحوالهم الحاضرة كما سجل (اوبنهايم) مشاهداته وأحاديثه مع البدو أثناء رحلاته العديدة بين القبائل العربية في سورية والعراق . ومع ذلك فان الكتاب لا يخلو من بعض الأخطاء والنقائص بسبب ضخامة الموضوع وتشعبه وصعوبة الاتصال بجميع القبائل والحصول منها على المعلومات الدقيقة ، الموثوقة ...

الدكتور محمد كامل عياد

مجتمع الهمذاني

من خِلال مقاماته

بحث يحلل المقامات ويستشف من ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

- ٦ -

---

٦ ــ خصائصهم وعاداتهم

السذاجة ـ بين الأصدقاء ـ التقليد

لكل قوم من الأقوام خصائصهم وعاداتهم ؛ فمنهم من يتصف بالخشونة والصلابة ، ومنهم من يتميز باللين والرقة ... ويتجلى الكثير من هذه الخصائص والعادات في أعمال الناس وتصرفاتهم ، وهي إنما جاءت مبعثرة في المقامات ولكننا نستطيع على كل حال أن نرى من خلالها بعض الصفات التي طبعت شخصيات الناس في تلك الفترة وأن نستنتج الكثير من خصائصهم .

السذاجة وسرعة التصديق : مرّ بنا في الحديث عن الوعظ والوعاظ كيف كان بعضهم يخدعون الناس فينخدعون ، ومرّ بنا في الحديث عن الكدية والمكدّين كيف كانت الحيلة البسيطة تنطلي عليهم ، مما يعطي فكرة عن سذاجتهم وسرعة تصديقهم ، والحق أن بديع الزمان قد رسم لنا من سذاجة الطبقة العامة في [illegible]ممه صورة رائعة نراها ماثلة أمامنا ، وكأنها من

صور عامتنا نحن في عصرنا الحاضر . إنه يبيّن لنا كيف يخدعهم صاحب الأحراز إذ يزعم لهم أنهـــا تنجي من الغرق ، فسرعان ماينخـــدعون ويصدّقونه ... ويبيّن لنا كيف يخدعهم مكدّ يتعامى فينخدعون ويصدّقون ..

لقد كان العامة من القوم سذجاً إلى حدّ يسهل معه أن تخدعهم أبسط المظاهر ، فكانت تخدعهم الدمعة في العين ، والكلمة على اللسان ، والزراية في الملبس ، بل إنهم كانوا يخدعون بما هو دون ذلك وأبسط منه ! إن بعضهم يكفي أن تسلّم عليه ليكون فريسة سهلة ولقمة سائغة كذلك الذي سلّم عليه عيسى بن هشام باسم أبي زيد وهو أبو عبيد في المقامة البغدادية المشهورة . نعم إن في هذه المقامة خبث الماكر ومكر الخبيث ولكن فيها صورة رائعة للسذاجة البلهاء والطوية النقيّة والرجل الطفل .. وأية سذاجة أو طفولة أوضح من الدموع يذرفها الرجل معترفاً أنه كان ضحية المكر والخداع ، داعياً خصمه إلى الشماتة فيه والسخرية منه ، وتاركاً للناظرين أن يضحكوا منه .. إنها صورة السواديّ حين همّ بالخروج من المطعم فاعترض الشوّاء طريقه ؛ « قام السوادي إلى حماره فاعتلق الشوّاء بإزاره ، وقال : أين ثمن ما أكلت ؟ فقال — وبكل بساطة وما زالت الحيلة منطلية عليه حتى هذه اللحظة ! ! — : أكلته ضيفاً ! فلكمه لكمة ، وثنى عليه بلطمة . ثم قال الشواء : هـاك ومتى دعوناك ؟ زن يا أخا القحة عشرين ، فجعل السوادي يبكي ويحلّ عقده بأسنانه ويقول : كم قلت لذاك القريد أنا أبو عبيد ، وهو يقول : أنت أبو زيد .. [(١)]

وأطــــرف من ذلك أن أبا الفتح الاسكندري يخدع الناس بشكل يدعو إلى الضحك لما يبـدو من سذاجة القوم وسرعة تصديقهم لكل غريب ! إنه زعم لهم أن باستطاعته نشر الميت وإعادة الحياة إليه ، فآمنوا به

---

(١) المقامة البغدادية : ٦٦ .

وصدّقوه وسلوا الميت له ، وظلت حيلته منطليـــة عليهم ثلاثة أيام حتى كشفها لهم هو بنفسه ؛ قال ابن هشام « ودخل الدار ينظر إلى الميت وقد شدّت عصابته لينقل ، وسخن ماؤه ليغسل ... فلما رآه الاسكندري أخذ حلقه وجسّ عرقه فقال : يا قوم اتقوا الله لا تدفنـــوه فهو حيّ ! فجعلوا أيديهم في إبطه فقالوا : الأمر على ما ذكر فافعلوا كما أمر . وقام الاسكندري إلى الميت فنزع ثيابه ثم شدّ له العمائم وعلّق عليه تمائم ، وألعقـه الزيت وأخلى له البيت ، وقال : دعوه ولا تردعوه ، وإن سمعتم له أنيناً فلا تجيبوه [1] .. وصدّق القوم الخبر وتدفقت عطاياهم على أبي الفتح الذي « خرج من عنده وقد شاع الخبر وانتشر إن الميت قد نشر ، وأخذتنا البارّ ، من كل دار وانثالت علينا الهدايا من كل جار ، حتى ورم كيسنا فضة وتبرا ، وامتلأ رحلنـا أقطاً وتمرا ... [2] ويحلّ موعد البعث ويبقى الميت ميتاً ويكشف أبو الفتح حقيقة الأمر إذ جاء .. فحدر التمائم عن يده ، وحلّ العمائم عن جسده ، وقال : أنيموه على وجهه فأنيم ، ثم قال : أقيموه على رجليه فأقيم ، ثم قال : خلّوا عن يديه ، فسقط رأساً ، وطنّ الاسكندري بفيه وقال : هو ميّت كيف أحييه ؟ ؟ [3] .

وإذا خدع هؤلاء وهم متأثرون بحبهم للميت ورغبتهم في عودته وعـدم تصديقهم لوفاته ، فإن هناك آخرين كانوا أكثر سذاجة وبلاهة حين فاجأهم السيل فظنوا ـ كما أوهمهم الاسكنـدري ـ أن البقرة الصفراء والكاعب العذراء ترد عنهم أذى الفناء ، وقد قصّ علينا ابن هشام قصتهم فقـال : « أتينا قرية على شفير واد ، السيل يطرّفها والماء يتحيّفها ، وأهلها مغتمّون لا يملكهم غمض الليل من خشية السيل . فقال الاسكندري : يا قوم أنا أكفيكـم هذا الماء ومعرّته وأردّ عن هذه القرية مضرّته ، فأطيعوني

(١ و ٢ و ٣) المقامة الموصلية : ١٠٤ وما بعدها .

ولا تبرموا أمراً دوني . قالوا : وما أمرك ؟ فقال : اذبحوا في مجرى هذا الماء بقرة صفراء وائتوني بجارية عذراء وصلّوا خلفي ركعتين يثن الله عنكم عنان هذا الماء إلى هذه الصحراء ... قالوا : نفعل ذلك ، فذبحوا البقرة وزوجوه الجارية وقام إلى الركعتين يصليها[1] .. » ثم فرّ هو وصاحبه والقوم سجود !

ولن نذكر شيئاً مما كان يلجأ إليه المكدون أو اللصوص فقد سبقت الإشارة إليه وحسبنا ما ذكرنا دليلاً على السذاجة وسرعة التصديق التي تتصف بها الطبقة العامة في كل مكان .

في أحزانهم : ونمضي لنطلع على بعض عادات القوم وخصوصاً ما يتصل منها بعقليتهم وتفكيرهم ، لأنه يفسح أمامنا المجال إلى معرفة التشابه بين عاداتهم وعاداتنا وعقليتهم وعقليتنا ، من ذلك ما كان يحدث عندهم في المآتم والأحزان مما يشابه كثيراً ما يحدث اليوم في مآتمنا وأحزاننا . فلقد كان من عادتهم مثلاً تنظيف البيت بعد ترحيل الميت وكنسه ورشّه كما يفعل عامة الناس اليوم ، وقد أشار الهمذاني إلى ذلك حين قال « نُبذت خلفه الحصيّات وكنست بعده العرصات[2] . »

بل إننا لنرى في مآتمهم مشاهد مما نرى في مآتمنا ، ولنسر خلف الهمذاني « إلى دار قد مات صاحبها وقامت نوادبها واحتفلت بقوم قد كوى الجزع قلوبهم وشقّت الفجيعة جيوبهم ، ونساء قد نشرن شعورهن يضربن صدورهن ، وجددن عقودهن يلطمن خدودهن[3] ... »

---

(١) المقامة الموصلية : ١٠٦ .

(٢) المقامة الكوفية : ٣١ .

(٣) المقامة الموصلية : ١٠٣ .

ويبدو أن تلك كانت عادة القوم عامة مما دعا بديع الزمان وهو الحريص على السنّة إلى النهي عنهـا والنص على تجنبها في وصيّته فقال : « أوصى إذا جاءه الحق وأشخصه الأمر وجدّ به الجـدّ وتوفّاه الموت ألاّ تعقد عليه مناحة ولا يلطم خد ولا يخمش وجه ولا ينشر شعر ولا يمزق ثوب ولا يشق جيب ولا يهـال نقع ولا يرفع صوت ولا يُدعى ويل ، ولا يسوّد باب ولا يخرق متاع (١) .. »

التقليد في التاريخ : كان انتشار التقليد فيما بين الناس أمراً طبيعياً فهو عدوى سريعة الانتشار في كل مجتمع ، ولقد كان بعض النـاس يتخذونه وسيلة للإضحاك والكسب ومنادمة الملوك ، وفي أخبار « مروج الذهب » أنه كان هناك مقلّدون ماهرون وكان الواحد منهم يسمى الحاكية ، وكان التقليد والمحاكاة فنّين جديرين بالعنـاية . وذكروا أنه كان في بغداد رجل يعرف بابن المغـازلي يقف على الطريق ويقص على النـاس فلا يدع حكاية أعرابي أو نحدي أو نبطي أو زطي أو زنجي أو سندي أو تركي أو خادم إلا حكاها ... وفي القرن الرابع الهجري كان أبو الورد من عجائب الدنيا في المطايبة والمحاكاة (٢) ..

في المقامات : ولقد كانت المقامات عامة مسرحاً للتقليد إذ نجد أبا الفتح يتقمص في كل منها شخصية من الشخصيات يقلّدها ويقوم بكل أدوارها ؛ فهو تارة واعظ تقيّ ، وتارة شحّاذ ، وتارة تاجر ، وتارة مجنون .. ، وهو متقن في كل تلك الحالات حتى ليخدعك عن نفسه بل يخدع صديقه وأقرب الناس إليه .

(١) كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان : ٥٣٦ .
(٢) انظر الحضارة الإسلامية ٢ : ١٩٣ .

إنه في المقامة الوعظية رجل مهيب الشكل أشيب الشعر ينطق بالحكمة ، ينطلي أمره حتى على صديقه ابن هشام فيسأله عن شخصه . وهو في المقامة الوصيّة تاجر حريص يعرف كيف يكتسب المال ويريد أن يحذو ابنه حذوه وأن ينشأ مبرّأ من داء « الكرم » : يا بني لست آمن عليك النفس وسلطانها والشهوة وشيطانها ، فاستعن عليها نهـارك بالصوم وليلك بالنوم . ولا آمن عليك لصّين أحـدهما الكرم واسم الآخر القَرَم ، فإياك وإياهما ، فإن الكرم أسرع في المال من السوس ، وإن القرم أشأم من البسوس ، ودعني من قولهم إن الله كريم ، إنها خدعة الصبيّ عن اللبن ، بلى إن الله كريم ولكن كرم الله يزيدنا ولا ينقصه وينفعنا ولا يضرّه ومن كانت هذه حاله فلتكرم خصاله ، فأما كرم لا يزيدك حتى ينقصني ولا يريشك حتى يبريني فخذلان لا أقول عبقري بل بقريٌ ... أفهمتها يا ابن المشؤومة ! (١) »

ويمثّل دور الشحّاد الأعمى ، فيخدع الناس بمـا يتقن من تمثيل العمى حتى يستدرّ عطفهم وشفقتهم ، كما يمثل دور عالم مختلّ يهذي فيتقن ما يمثل (٢) ، ويمثّل دور القاضي التقي ، ودور الرجل الماجن ، بل ها هو ذا في أحد شوارع بغداد في « حلقة رجال مزدحمين يلوي الطرب أعناقهم ويشق الضحك أشداقهم ، فساقني الحرص إلى ما ساقهم ، فإذا هو قرّاد يرقص قرده ويُضحك من عنده ... فلما فرغ القراد من شغله وانتفض المجلس عن أهله ، قمت وقد كساني الدهش حلـّته ووقفت لأرى صورته ، فإذا هو والله أبو الفتح الاسكندري !(٣) » ولا عجب أن يتقن أبو الفتح التقليد فلطالما مارسه ونوّع أدواره وهو يقول :

أنا أبو قلمون   في كل لون أكون .. (٤)

---

(١) المقامة الوعظية : ١٤٣ .
(٢) المقامة الحلوانية : ١٨٣ .
(٣) المقامة القردية : ١٠١ .
(٤) المقامة المكفوفة : ٨٦ .

كثرة الأسفار : ومما ذكر عن نشاط القوم في القرن الرابع اتساع تجارتهم ، وأنهم كانوا يجوبون الآفاق ويكثرون من الأسفار . وفي كتب التاريخ التي تحدثت عن التجارة في ذلك العصر خير دليل على ذلك النشاط . وقد أشار الهمذاني إلى عادة الناس هـذه وحبّهم للأسفار فذكر أن بعضهم كان يخرج « يسيح كأنه المسيح فجال خراسان ، الخراب منها والعمران ، إلى كرمان وسجستان وجيلان إلى طبرستان وإلى عمان ، إلى السند والهند والنوبة والقبط واليمن والحجاز ومكة والطائف [١] ... ونقل قول آخر فقال « وسرَتْ بي الخيل وسلكت في هربي مسالك لم يُرضها السير ولا اهتدت إليها الطير [٢] .. » ومثله من اتهم بمال أصابه فقال « فهمت على وجهي هارباً حتى أتيت البادية .. » ومنهم من يجول حتى يشتهي الأوبة « كالذي بلغت به الغربة باب الأبواب ورضي من الغنيمة بالإياب [٣] . » ونجد في المقامات كثيراً من أسماء المدن والبلاد يتنقل بينها أبطال القصص وأصحاب الأخبار ...

تربية الحمام : وكانت عادة تربية الحمام معروفة عندهم ولكنها — كما هي عندنا — مهنة وضيعة في نظـر القوم ، وإنما كان يحترفها الخصيان فكان « من صفاتهم التي يختصون بها ولوعهم بالعبث واللعب بالطير والفخ ، وهم أكثر من يرتاد سوق الطيور [٤] ... » ثم تغيَّرت الحال وارتقت المهنة حتى عني بتربية الحمام بعض الحكام والأغنياء وخصوصاً بعد أن شاعت عادة السباق بالحمام وسائر أنواع الحيوانات ... وكانوا يحارشون بين الكباش والديوك والكلاب

(١) المقامة الصيمرية : ٢٢٠ .
(٢) المقامة الأذربيجانية : ٤٨ .
(٣) المقامة الحرزية : ١٤٤ .
(٤) الحضارة الإسلامية ٢ : ١١٦ .

« ويحكى عن الخليفة المعز أنه سابق بحمامه حمـام الوزير أبي الفرج يعقوب فسبق حمامه حمامَ الخليفة فعظم ذلك على المعز [١] ...

وقد أشار الهمذاني إلى أن بعض اللصوص اتخذ الحمام فكان يرسله إلى البيوت ويلحق به فينال ما وصلت إليه يده من متاع البيت ، فإن فطن إليه أحد من أصحاب الدار زعم أنه لاحق بطيره ليضمّه إليه [٢] .

صلابة الأصفهانيين في الدين : ولم يغفل الهمذاني ذكر ما يتصل بالأخلاق والطباع من عادات أهل عصره ، وإن كان حديثه موجزاً تارة ومفصلاً تارة أخرى ؛ وكان من حديثه الموجز ما أشار به إلى خشونة الأصفهانيين وصلابتهم في الدين ؛ وذلك حين همّ بقطع الصلاة ليلحق بالقافلة .. قال « وتقدم الإمام إلى المحراب فقرأ فاتحة الكتاب بقراءة حمزة مدة وهمزة ، وبي الغم المقيم المقعد من فوت القافلة والبعد عن الراحلة ، وأتبع الفاتحة الواقعة ، وأنا أتصلى نار الصبر وأتصلب وأتقلّى على جمر الغيظ وأتقلب وليس إلا السكوت والصبر أو الكلام والقبر ، لما عرفت من خشونة القوم في ذلك المقام [٣] ... »

بين الأصدقاء : وكان حديثه مفصلاً حين ذكر لنا بعض ما يقع بين الأصدقاء ، وكيف يحتال الرفاق بعضهم على بعض مما نرى الكثير من أمثاله بين الأصدقاء اليوم ، فكم من زمرة من الرفاق اجتمعوا في دار واحد منهم وعزموا على ألا يخرجوا قبل تناول العشاء وتحقق ما أرادوا ، ولكن العشاء كان مجموعاً من دورهم بدون علمهم ..! أو كان مشترًى بثمن أحذيتهم التي باعها خادم صاحب الدار واشترى لهم الطعام بثمنها ...

---

(١) الحضارة الإسلامية ١٨٩ .

(٢) المقامة الرصافية : ١٦٨ .

(٣) المقامة الأصفهانية : ٥٧ .

ومن القصص الجميلة المتصلة بالأخلاق ومكايد الأصدقاء مانقله لنا عن محمد بن إسحاق المعروف بأبي العنبس الصيمري إذ قال « إن مما نزل بي من إخواني الذين اصطفيتهم وانتخبتهم وادخرتهم للشدائد ما فيه عظة وعبرة وأدب لمن اعتبر واتعظ وتأدب .. » ويذكر بعد ذلك أنه كان غنياً جواداً فأحاطه رفاقه بالتجلة والتعظيم ، وأداموا وصله فما كان ينقطع عن مجلسه منهم أحد ، وكان في نظرهم « أعقل من عبد الله بن عباس ، وأظرف من أبي نواس ، وأسخى من حاتم ، وأشجع من عمرو ، وأبلغ من سحبان وائل ، وأدهى من قصير وأشعر من جرير ، وأعذب من ماء الفرات وأطيب من العافية ... » كل ذلك لبذله ومروءته وإتلافه لذخيرته ... ثم تتغير الأيام وتميل عنه النعمة فاذا هو وقد « خفّ المتاع وانحطّ الشراع وفرغ الجراب فتبادر القوم الباب » لأنهم يبغون المال لا صاحبه ، فانفضوا لما أحسّوا بالقصة وصارت في قلوبهم غصة ، ويقول : ودعوني برصة ، وانبثوا للفرار كرمية الشرار ، وأخذتهم الضجرة فانسلّوا قطرة قطرة ، وتفرّقوا يمنة ويسرة وبقيت على الآجرّة قد أورثوني الحسرة واشتملت منهم على العبرة لا أساوي بعرة ، وحيداً فريداً ، كالبوم الموسوم بالشوم أقع وأقوم كأن الذي كنت فيه لم يكن » ! ! ولكنه لم ييأس وإن رفضه الندماء والإخوان القدماء ، وإنما ينشط للعمل ويطوف البلاد ، ويسعفه الجدّ فيعود من أهل اليسار ويكثر لديه المال ويعود إليه المنافقون . يقول : « فلما قدمت بغداد ووجد القوم خبري وما رزقته في سفري سُرّوا بمقدمي وصاروا بأجمعهم إليّ يشكون ما عندهم من الوحشة لفقدي وما نالهم لبعدي ، وشكوا شدة الشوق ورزء التّوق ، وجعل كل واحد منهم يعتذر مما فعل ويظهر الندم على ما صنع ، فأوهمتهم أني قد صفحت عنهم ولم أظهر لهم أثر الموجدة عليهم بما تقدّم ، فطابت نفوسهم وسكنت جوارحهم . . » وهنا يكون الشرك قد نصب والأمر قد دبر ، فبينا كانوا ذات ليلة عند أبي العنبس كعادتهم يأكلون ويشربون إذا

هو ، وقد أراد بهم ما أراد ، يشربهم حتى يسكرهم ويفقدهم الوعي « فما مضت ساعة إلا وهم من السكر أموات لايعقلون ، ووافانا غلمانهم عند الغروب كل واحد منهم بدابة أو حمار أو بغلة ، ففرّقتهم أنهم عندي الليلة بائتون فانصرفوا ، ووجهت إلى بلال المزيّن فأحضرته ، وقدّمت إليه طعاماً وسقيته من الشراب القطربّلي فشرب حتى ثمل وجعلت في فيه دينارين أحمرين وقلت : شأنك والقوم ، فحلق في ساعة واحدة خمس عشرة لحية ، فصار القوم جُرداً مُرداً كأهل الجنة ، وجعلت لحية كل واحد منهم مصرورة في ثوبه ومعه رقعة مكتوب فيها : من أضمر لصديقه الغدر وترك الوفاء كان هذا مكافاته والجزاء ، وجعلتها في جيبه وشددناهم في الصّنان ووافى الحمّالون عشاء الآخرة فحملوهم بكرة خامرة فحصلوا في منازلهم ، فلما أصبحوا رأوا في نفوسهم همّاً عظيماً لا يخرج منهم تاجر إلى دكانه ولا كاتب إلى ديوانه ولا يظهر لإخوانه ... »(١) .

وهكذا انتقم منهم وأطاح بلحاهم فحرمهم من الظهور أمام الناس في عصر يعظم أهله اللّحى .

أما نحن فقد رأينا من خلال القصة صورة من أخلاق الناس الفاسدة إذ يقبلون على من تقبل عليه الدنيا ويدبرون عمن تدبر عنه .

ومما يتصل بأخلاقهم ما وصف به الهمذاني بعض قضاتهم ، فقال على لسان بعض المصلّين : « هذا سوس لايقع إلا في صوف الأيتام ، وجراد لايسقط إلا على الزرع الحرام ، ولصّ لاينقب إلا خزانة الأوقاف ، وكرديّ لايغير إلا على الضعاف ، وذئب لايفترس عباد الله إلا بين الركوع والسجود ، ومحارب لاينهب مال الله إلا بين العهود والشهود . وقد لبس

(١) المقامة الصيمرية : ٢١٥ .

دنيّته وخلع دينيّته ، وسوّى طيلسانه وحرّف يده ولسانه ، وقصّر سباله وأطال حباله ، وأبدى شقاشقه وغطّى مخارقه ، وبيّض لحيته وسوّد صحيفته ، وأظهر ورعه وستر طمعه ... » (١) .

وكذلك ما حكاه في المقامة الخمرية عن شيخ كان يظهر النسك في النهار ويعاقر الخمرة في الليل (٢) .

وحسبنا في الحديث عن أخلاق القوم أن موضوعات المقـامات استقيت من المجتمع وطباع أهله ، وأنها كانت إلى حد بعيد صورة لبعض أفراد ذلك المجتمع الذي ساءت فيه أوضاع الحكم وكثر فيه الفقر والعوز فلم يكن أمام الناس بد من كسب القوت عن أي طريق .

٧ ــ مناصب الدولة وأخبار الملوك

من وظائفهم : حدثنا التاريخ عن نشأة الدواوين في البلاد الإسلاميـة وعن تنوّعها وتفرّعها واختصاص كل منها ، ويأبى الهمذاني إلا أن يشارك في هـــذا الحديث ولو على سبيل التعداد فيقول « حدثنا عيسى بن هشام قال : وليت بعض الولايات من بلاد الشام ، ووردها سعد بن بدر أخو فزارة وقد ولي الوزارة ، وأحمد بن الوليد على عمل البريد ، وخلف بن سالم على عمل المظالم ، وبعض بني ثوابة وقد ولي الكتابة ، وجعل عمل الزمام إلى رجل من أهل الشام (٣) .

من عادات الملوك : ويحدثنا كذلك عن الملوك والوزراء وكيف كانوا يجودون بالأعطيات والهبات ، فهذا سيف الدولة يهب الفرس لمن يحسن وصفه ،

(١) المقامة النيسابورية : ٢٠٧ .
(٢) المقامة الخمرية : ٢٤٤ .
(٣) المقامة التميمية : ٢٤١ .

قال ابن هشام : « حضرنا مجلس سيف الدولة بن حمدان يوماً وقد عرض عليه فرس متى ما ترق العين فيه تسهل ، فلحظته الجماعة ، وقال سيف الدولة : أيكم أحسن صفته جملته صلته[١] ... وهذا الأمير خلف والي سجستان يعدّه أبو الفتح أكرم الناس على ما جاء في المقامة الملوكية إذ سأل أبو الفتح عيسى بن هشام عن أكرم الملوك ، قال ابن هشام : « فذكرت ملوك الشام ومن بها من الكرام ، وملوك العراق ومن بها من الأشراف وأمراء الأطراف ، وسقت الذكر إلى ملوك مصر فرويت ما رأيت ، وحدّثته بعوارف ملوك اليمن ولطائف ملوك الطائف ، وختمت مدح الجملة بذكر سيف الدولة ... »[٢] فإذا هو بالاسكندري يقول شعراً يفضل فيه خلفاً على الجميع ، ومنه قوله :

من أبصر الدر لم يعدل به حجرا ومن رأى خَلفاً لم يذكر البشرا

وخلف هذا يرد اسمه ثانية في المقامة الناجمية حين دُعي أبو الفتح ليبقى عند جماعة من أهل الفضل فقال : « ما أختار عليكم صحباً ولقد وجدت فناءكم رحباً ، ولكن أمطاركم ماء والماء لا يروي العطاش ، قلنا : فأي الأمطار يرويك ؟ قال : مطر خَلَفي[٣] ...

وقد رأينا أن الهمذاني زاد في مقاماته ست مقامات خصّها بمديح خلف ابن أحمد حين نزل عنده[٤] .

على أنه لا بدّ لنا من الإشارة هنا إلى أن هـذه الأخبار الهمذانية لا تتصف بالصدق أو الواقعية بل هي في كثير من الأحيان بنات الخيال الخصب ... إنه مثلاً لم يعاصر سيف الدولة إذ ولد هو سنة ٣٥٨ هـ على

---

(١) المقامة الحمدانية : ١٥٨ .
(٢) المقامة الملوكية : ٢٣٥ .
(٣) المقامة الناجمية : ٢ ٢ .
(٤) انظر ما سبق في ص ١٣٨ مجلد ٤٣ من هذا البحث .

حين مات سيف الدولة سنة ٣٥٦ ﻫ ومع ذلك فقد أحضر عيسى بن هشام مجلسه وأسمعه حديثه ؛ على أن هذا لا يطعن في مقاماته ، فهو لم يكتبها مؤرخاً وليس من غرضها وصف الواقع بأمانة وصدق ، وحسبه أنه كان يستلهم الواقع ثم يصوره بالصور الأدبية التي اختارها له ..

الخاتمة

حول وضوح الصورة وصدقها

لسنا نستطيع أن نزعم أن هـذه الصورة التي قدمتها لنا المقامات عن المجتمع الإسلامي في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة كانت صورة واضحة أو صادقة .

أما عدم الوضوح فلأنها أهملت الكثير من جوانب الحياة ؛ فهي مثلاً لم تتعرض للمرأة مع أن المرأة كانت في ذلك العصر قد دخلت حياة المجتمع وتغلغلت فيها ، وكانت لها آثارها في الدولة وأمورها ، وفي الحياة ورفاهها ولهوها . . . إنه ليس في المقامات ذكر للمرأة إلا ما جاء في المقامة الخمرية عن صاحبة الحانة ، وهذا نقص لا تكمل الصورة معه .

ولم تتعرّض المقامات كذلك لما كان يسود الحياة من حرية أو عبودية ، وما كان في حياة الحكام وتصرّفات الملوك من عدل أو استبداد ، مع أن هذا كان ممكناً في كثير من المواضع التي دارت الأحاديث فيها على لسان الوعّاظ .

على أننا لن نعمد إلى تعداد ما أنقصه الهمذاني ولكننا أردنا أن ننبه على أنه ما زال ينقصنا الكثير من جوانب الحياة حتى تكمل الصورة وتتضح .

وأما عدم الصدق في هذه الصورة فأمر لا مجال للبحث فيه ، إذ أن المقامات لم تكتب أصلاً لوصف واقع أو تأريخ عصر ، وليس يهمها أن تتصل بالصدق من بعيد أو قريب ، كل ما يهمها إنما هو المتعة في الموضوع ، وإظهار البراعة اللغوية في الأسلوب ، وقد حققت ذلك بنجاح .

نعم إن في المقامات معلومات كثيرة ، وان كتب التاريخ كثيراً ما تستقي من تلك المعلومات ومن يقرأ كتاب « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » يجد أن مؤلفه كثيراً ما يؤيد رأيه بخبر من أخبار المقامات ، وهذا أمر يوجب التحفظ والحذر ؛ إذ ليس كل خبر أدبي بصالح ليكون مصدراً للتاريخ ، وخاصة إذا كان صاحبه كصاحبنا بديع الزمان .

إن الهمذاني يروي للمتعة ، وقد يجنح به الخيال أو تدفعه الضرورة اللغوية إلى إتمام جملة يتخلى من أجلها عن الواقع ... وقد يكون بعد ذلك متأثراً برأي خاص أو مذهب معيّن ، وما أحسب الهمذاني إلا كذلك حين تحدث عن الجاحظ ، ولئن زعم أنه يأخذ عليه تقصيره في ميدان الشعر ، إن الحقيقة أنه تحامل عليه لاعتزاله وهو الذي يكره المعتزلة ويزدري آراءهم ... وكذلك كان متأثراً بهواه حين هاجم الخوارزمي وزعم أن عدم إكرامه له هو السبب في ذلك الجفاء كله . .

وهكذا فلا بدّ أن يكون في الصورة الأدبية أثر ممن صوّرها ؛ إنه يصوّر ما يشاء ويغفل ما يشاء ، ويزيد منها أو ينقص تبعاً لهواه ورأيه ، ومن هنا كان لابدّ من الحذر .. ولا بدّ - في غير الفنّ - من إبعاد الأثر الفرديّ للكاتب وإلا كانت لكل مجتمع صور بعدد الكتّاب الذين صوّروه .

إننا في حاجة إلى ذكر كثير مما أهملته المقامات لتبلغ الصورة حدّ الوضوح ، وفي حاجة إلى كثير من الحذف والتشذيب لتبلغ الصورة مرتبة الصدق ، وفي حاجة إلى معرفة النوازع النفسية للكاتب حتى نجرد كتابته

من آثاره الخاصة فتبلغ الصورة مرتبة التجرّد والحياد العلمي ، ولسنا نريد من ذلك إلى الحطّ من قيمة المقامات في هذا المجال ، إذ حسب موضوعنا أنه يدل على إمكان الاعتماد على الأدب في استنتاج بعض مظاهر الحياة الاجتماعية . وليس هذا بغريب أو جديد ، فنحن كثيراً ما نسمعهم يقولون ، ونقول معهم ، إن الجاحظ خير مصوّر لعصره ، فهل نعني بذلك أنه مؤرخ وليس بأديب ؟ لسنا نريد ذلك حتماً ولكننا نريد أن ما أوتيه هذا الكاتب من ذكاء ، وقوة ملاحظة ، واهتمام بتصوير الجزئيات ، وطواعية اللغة لقلمه ... كل ذلك مهّد له الطريق إلى التصوير الجيّد لما رأى وعاصر . . ولا شك أن هذا الاعتماد على الأدب يصبح أقوى حين يروي الأديب الخبر أو القصة بسندها كما في الأغاني مثلاً أو بعض كتب الجاحظ . ومهما يكن من أمر فنحن لا يسعنا إلا الاعتراف بأن الأدب العربي حفظ لنا الكثير من أخبار المجتمعات وصورها وخاصة تلك التي غذته فنشأ فيها وتحدث عنها ، ولا نستطيع أن نتصور أن « حيوان » الجاحظ و « بخلاء » و « أغاني » الأصفهاني و « عقد » ابن عبد ربه لا تعطينا فكرة عن المجتمع الذي أنشئت فيه أو تحدثت عنه .

تعليق على الصورة المستقاة من المقامات : وأما الهمذاني فشأنه مختلف عن هؤلاء جميعاً ؛ إنه قيّد نفسه بأغلال الصنعة ورزح تحت عبء الأسلوب . . بل هو مختلف عنهم لأنه ما كان يقصد إلى الموضوع وإنما كان يعنيه الأسلوب ، ومن هنا نستطيع القول إنه كان ماهراً حين استطاع أن يوحي لنا ببعض صور مجتمعه مع أنه لم يقصد إلى ذلك .

ونستطيع القول أيضاً : إنه إذا استطاع بعض الأدباء أن يصوروا عصورهم أو مجتمعاتهم في موضوعات أدبهم فان الهمذاني صوّر مجتمعه في أسلوبه ؛ وليس ذلك عجيباً ؛ فلقد عاش الهمذاني في عصر كان الناس فيه

يهتمون بالزخرفة والمظهر ؟ ألم نسمع أنهم كانوا يبالغون في زخرفة واجهات أبنيتهم ؟ فكذلك كانت زخرفة الهمذاني اللفظية لمبنى المقامات صورة عن زخرفة عصره . وكانت مقاماته صورة لعناية الناس بالزخرفة والتزيين ، وهذا ما دعا الدكتور شوقي ضيف إلى القول « إن المقامات كانت أشبه بواجهة أحد المساجد في ذلك العصر »(١) .

وهكذا كان في أسلوب المقامات صورة لظاهرة عرفها مجتمع الهمذاني ، كما كانت في موضوعاتها صور لجوانب أخرى من ذلك المجتمع .

ثم إن الهمـذاني يختلف عمن ذكرنا من الأدباء لأنه مصوّر هزلي ، ولأن صوره في معظم الأحيان كانت تضخيماً لعيب من العيوب المضحكة في مجتمعه .. وهذا يدعو إلى التساؤل : ما دامت هـذه الصورة الاجتماعية مستقاة من مقامات الهمذاني هذه الفكهة الطريفة فهل هي صورة هزلية تشبه الواقـع أو تَقْرَبُه ؟ أي نوع هذه المرآة الهمذانية التي عكست لنا تلك الصورة ؟ هل هي من المرايا التي يقف الإنسان أمامها فاذا هو ذو شكل مضحك ، ربما لايمتّ إلى الحقيقة بصلة ، وربما كانت صلته بحقيقتـه صلة الصورة الهزلية (Caricaturé) بصاحبها ؛ لقد أصبح العيب الصغير فيه كبيراً واضحاً مضحكاً في صورته ، ومن يدخل غرف الإضحاك في أحد المعارض الدولية يعرف مدى قدرة المرآة على تغيير معالم الخيال !

وبعد فهل كان بديع الزمان مصوّراً هزلياً لمجتمعه ؟ وهل كانت مقاماته « مرايا الضحك » لتلك الفترة من الزمن ؟ لست أدري ولكن الذي يبدو أن هذا الخيال المضحك فيه ظل من الحقيقة إن لم يكن فيه الكثير منها ، وأن بديع الزمان صوّر خلال تصويره الهزلي بعض المعالم الجـدّية لتلك البيئة التي عاش فيها . إن هذه المقامات ـ وإن لم تكن مرآة صادقة مستوية

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي : ١٢ .

واضحة للمجتمع ـ فيها الكثير من معالم المجتمع القريبة من الاستواء والوضوح ، وإن كان فيها شيء قليل أو كثير من الخيال فهو الخيال الذي يعتمد بأساسه على الواقع فلا ينكره ولا يغيّره بل يتخذ منه محوراً يحوّم حوله ولا يخرج عن نطاقه إلا قليلاً .

ومها يكن فنحن لم نكن ننتظر رؤية صورة صادقة وواضحة للمجتمع ، وذلك لأن الوضوح والكمال لايمكن الوصول إليها من خلال نصوص يسيرة لكاتب واحد ، ونحن إذا أخذنا من المقامات بعض عناصر الصورة فذلك حسبنا ، إذ أننا أخذنا جزءاً واحداً من إنتاج أديب واحد . والحق ان استكمال الصورة يقتضي إضافة أدب العصر بجميع عناصره ومنتجيه ، ونحن لم نتعد أدب الهمذاني بل المقامات وحدها من ذلك الأدب مع أن في رسائل بديع الزمان أيضاً كثيراً من الموضوعات التي تتصل ببحثنا وتقوم على وصف المجتمع ، لأن بديع الزمان لم يقصر رسائله على الموضوعات الإخوانية القائمة على المديح أو الاعتذار أو العتاب ، وإنما تجاوز بها ذلك فتحدث فيها عن كثير من الشؤون العامة ؛ إنه يصف في بعض رسائله الحكام ، ويشكو من ظلم الولاة والقضاة ، ويثور في بعضها لارتفاع الضرائب أو لسوء جباية الخراج .. ويصف في بعض آخر منها أخلاق التجار في عصره . . .

وبعد فإن ما حصلنا عليه يكفي للدلالة على قدرة الأدب على الاحتفاظ بصور المجتمعات التي ينشأ فيها .. وأما إذا أردنا الوضوح والكمال فعلينا أن نحيط بأدب ذلك العصر ونقف منه موقفنا من المقامات لتكون الصورة لدينا أقرب إلى الصدق والوضوح والكمال .

(انتهى)

الدكتور مازن المبارك

❊❊❊

ملحق

وصف الطبيعة في شعر الصنوبري

-٣-

(١)

قويقٌ إذا شمّ ريح الشتا ء أظهر تيهـاً وكبراً عجيباً
وناسب دجلة والنيل والفرات بهـاءً وحسناً وطيباً
وإن أقبل الصيف أبصرته ذليلاً حقيراً حزيناً كئيبا
إذا ما الضفادع نادينـه قويق قويق أبى أن يجيبا

عن ابن الشحنة ، (الدرّ المنتخب) ، ص ١٣٩ .

(٢)

والعَوَجانُ الذي كَلِفْتُ به قد سُوّي الحسنُ فيه مُذْ عوّجْ
ما أخطأ الأيمَ في تعوّجه شيئاً إذا ما استقام أوْ عَرّجْ
تُدَرِّج الريح متنه فترى جوشنَ ماء عليه قد درّجْ
إن أعنقتْ بالجنوب أعنقَ في لطفٍ ، وإن هملجتْ به هملج
من أين طافتْ شمس النهار به حسبتُ شمساً من جوفه تَخْرُجْ ...

عن النويري ، (نهاية الأرب) ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

(٣)

ما بالُ أعلى قويق ينشر من   وشي الربيع الجديد ما أدرجْ
كأنما اختيرت الفصوص له   بين عقيق وبين فَيْرُوزَجْ
أما ترى البيعتين أفردتا   بمفرد الأقحوان والمزوج
أثوابه المزن كيفما اتصلت   وناره البرق كيفمـــا أجّج

عن الطبّاخ ، (الروضيّات) ، ص ٣١ .

(٤)

وقال يصف تساقط الثلج :

الجوّ بين مُضمّخٍ ومضرّجِ   والروضُ بين مزخرفٍ ومدبّجِ
والثلجُ يهطلُ كالنثار فقم بنا   نلهو بِربّةِ كرمةٍ لم تمزجِ
ضحك النهار وبان حسنُ شقائق   وزهت غصون الورد بين بنفسجِ
فكأنّ يومك من غلالةِ فضّةٍ   والنَوْرُ من ذهب على فَيْرُوزَجِ

عن الطباخ ، (الروضيّات) ، ص ٧٢ .

(٥)

وقال يصف التفّاح :

فتناولتُ منه صادقة الريحِ   تسمّى صديقة الأرواحِ
وشّحتها يداه من خالص التِبر   بسطر يجول جَوْلَ الوشاحِ

كُسِيَتْ صبغةَ الملاحة لمّا ... صُبِغَتْ صبغةَ الخدود الملاحِ

عن النويري ، (نهاية الأرب) ، ج ١١ ، ص ١٦٦ .

(٦)

وصفُ الديك في الفجر

مغرّد الليل ما يألوك تغريدا ... ملّ الكرى فهو يدعو الصبح مجهودا

لمّا تطرّب هزّ العطفَ مِنْ طربٍ ... ومدّ للصوت ، لمّا مدّه ، الجيدا

كلابسٍ مُطرَفاً مرخٍ ذوائبه ... تُضاحك البيضُ من أطرافه السودا

حالي المقلّد لو قيسَتْ قلادته ... بالوردِ قصّر عنها الوردُ توريدا

ران بفصّيْ عقيق يدركان له ... من حدّةٍ فيهما ما ليس محدودا

تقولُ هذا عقيد الملك منتسباً ... في آل كسرى عليه التاج معقودا

أو فارسٌ شدّ مهمازيه حين رأى ... لواءَ قائده للحرب معقودا

عن النويري ، (نهاية الأرب) ، ج ١٠ ، ص ٢٨٥ .

(٧)

وقال يصف البهار ، وهو الأقحوان الأصفر :

وروضةٍ لا يزال يبتسم النوّار فيهـــا ابتسام مسرورِ

كأنّما أوجه البهار بها وقد بدت ، أوجه الدنانيرِ

عن النويري ، (نهاية الأرب) ، ج ١١ ، ص ٢٨٥ .

(٨)

السوسن

انظر إلى السوسن في منبتهِ فإنه نبتٌ عجيب المنظرِ
كأنه ملاعقٌ من فضــــة قد[1] خُطّ فيها نقطٌ من عنبر

عن النويري ، (نهاية الأرب) ، ج ١١ ، ص ١٧٦ .

(٩)

وصف فصول السنة وتبجيل الربيع

إن كان في الصيف ريحانٌ وفاكهةٌ فالأرض مُستوقدٌ والجوّ تنّورُ
وإن يكُنْ في الخريف النخلُ مخترفاً فالأرضُ محسورةٌ والجوّ مأسورُ
وإن يكنْ في الشتاء الغيثُ مُتّصلاً فالأرضُ عريانة والجوّ مقرورُ
ما الدهرُ إلاّ الربيع المستنير إذا جاء الربيع أتاك النَّوْرُ والنورُ
فالأرض ياقوتة والجوّ لؤلؤة والنبتُ فيروزجٌ والماء بلّورُ
ما يعدم النبتُ كاساً من سحائبه فالنبتُ ضربانِ سكرانٌ ومخمورُ
فيه لنا الورد منضورٌ مورّده بين المجالس والمنثور منثورُ
ونرجسٌ ساحر الأبصار ليس لِما كانت له من عمى الأبصار مسحورُ

---

(١) هذا الشطر ورد في الأصل مختلف الوزن مع البيت السابق هكذا : قد خط فيها نقط العنبر ، وقد رجعنا إلى الصفحة التي أشار إليهـــا المقال فلم نجد البيتين .

هذا البنفسج هذا الياسمين وذا النسرين مُذْ قَرُبا فالحسن مُشهور
تظلّ تَنْثُرُ فيه السحبُ لُؤلؤها فالأرض ضاحكة والطيرُ مسرورُ
حيث ٱلتفتّ فقمرِيٌّ وفاختة يغنّيان وشفنينٌ[1] وزرزورُ
إذا الهزاران فيه صوّتا فَهُما بِحُسْن صوتهما عودٌ وطنبورُ
تطيب فيه الصحارى للمقيم بها كما تطيب له من غيره الدورُ
من شمّ ريح تحيّات الربيع يَقُل: «لا المسكُ مسكٌ ولا الكافورُ كافورُا»

عن الحافظ ابن عساكر ، (التاريخ الكبير) ، ص ٤٥٩ .

(١٠)

وقال يصف معركة بين الرياحين :

خجل الوردُ حين لاحظه النرجسُ من حسنه وغارَ البهارُ
فَعلَتْ ذاك حمرةٌ ، وعلت ذا صفرةٌ ، واعترى البهارَ اصفرارُ
وغدا الاقحوان يضحك عُجباً عن ثنايا لثامُهنّ نُضـــارُ
ثمّ نمّ النّمّامُ واستمع السوسن لمّا اذيعت الأسرارُ
عندها أبرز الشقيق خُدُوداً صار فيهـــا من لطمه آثارُ
سُكبَتْ فوقها دموعٌ من الطلّ كما تُسْكَبُ الدموعُ الغِزارُ
فاكتسى[2] البنفسج الغضّ اثوابَ حداد وخانهـا الاصطبارُ

(١) الشفنين : نوع من الحمام أو هو اليمام (المجلة) .
(٢) البيت مضطرب الوزن وقد ورد كذلك في الوافي بالوفيات ، ونرى أن تكون الكلمة : فكساها (المجلة) .

وأضرّ الســقام بالياسمين الغضّ حتى آذى به الاضرارُ
ثم نادى الخيريّ في سائر الزهر فوافاهُ جحفلٌ جرّارُ
فاستجاشوا على محاربة النرجس بالجحفل الذي لا يُبارُ
فأتوا في جواشن سابغاتٍ تحت سُجْف من العجاج يثارُ
ثم لمّا رأيتُ ذا النرجسَ الغضَّ ضعيفاً ما إن لديه انتصارُ
لم أزلْ أعملَ التلطُّفَ للوردِ حذاراً أن يُغلَبَ النوّارُ
فجمعناهم لدى مجلسٍ فيه تُغنّي الأطيــارُ والأوتــارُ
لو ترى ذا وذا لَقلتَ : خدودٌ تُدْمِنُ اللحظَ نحوها الأبصارُ

عن ابن شاكر الكتبي ، (الوافي بالوفيات) ، ج ١ ، ص ١١٢ .

(١١)

وصف النرجسِ في مَنابته

أرأيتَ أحسنَ من عيون النرجسِ أم من تلاحظهنّ وسط المجلس[١]
دُرَرٌ تشقّقُ عن يواقيتٍ على قضب الزبرجدِ فوق بُسْطِ السندس[٢]
أجفانُ كافورٍ خففْنَ بأعينٍ من زعفرانٍ ناعمات المَلْمَسِ[٣]

تخريجها : (١) عن (الروضيّات) ، ص ٢٠ ؛ النويري ، ج ١١ ، ص ٢٣١ ؛ الكتبي ، ج ١ ، ص ١١١ .
(٢) (الروضيّات) ، ص ٢٠ ؛ الكتبي ، ج ١ ، ١١١ .
(٣) (الروضيّات) ، ٢٠ ، الكتبي ، ج ١ ، ص ١١١ .

وكأنها أقمارُ ليلٍ أحدقت ... بشموسِ أفقٍ فوق غُصْنٍ أملس [١]

مغرورقاتٌ من ترقرُقِ طلّها ... ترنو بعينِ الناظِرِ المتفرّس [٢]

وإذا تنشّقها تنفّس ناشقٌ ... عن مِثْلِ ريحِ المسكِ أيّ تنفُّس [٣]

وحكى تداني بَعْضِها من بعضها ... يوماً تداني مُؤْنِسٍ من مؤنِسِ [٤]

وإذا نَعِسْتَ من المدامِ رأيتها ... ترنو إليك بأعينٍ لم تَنْعَسِ [٥]

(١) و (٢) عن النويري ، ج ١١ ، ص ٢٣١ — ٢٣٢ .
(٣) و (٤) و (٥) عن النويري ، ج ١١ ، ص ٢٣١ — ٢٣٢ .

(١٢)

وعندنا نرجسٌ أنيقٌ ... تحيـا بأنفاسه النفوسُ

كأنّ أجفانَه بدورٌ ... كأنّ أحداقَهُ شموسُ

عن السيوطي ، (حُسْن المحاضرة) ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(١٣)

إني طربتُ إلى زيتونِ بطياسِ ... بالصالحيّة ذاتِ الوردِ والآسِ

مَنْ يَنْسَ عهدهما يوماً فلستُ له ... وإن تطاولتِ الأيّام بالناسي

ياموطناً كان من خيرِ المواطِنِ لي ... لما خلوتُ به ما بين جُلاّسي

وقائلٍ لي أفِقْ يوماً فقلتُ له ... من سكرةِ الحبّ أم من سكرةِ الكاسِ

لا أشربُ الكأس إلا من يدَيْ رشأٍ ... مهفهفٍ كقضيب البانِ ميّاسِ

مورّدِ الخدّ في قُمْصٍ مورّدةٍ ... له من الآسِ اكليلٌ على الراسِ

قل للذي لام فيه هل ترى خَلَفاً يا أملحَ الروض، بل يا أملح الناس (١)

وصفُ الرياضِ كفاني أن أُلمّ على وصفِ الطلولِ فهل في ذاك من باس (٢)

(١) عن ياقوت الحموي ، (معجم البلدان) ، ج ١ ، ص ٤٥٠ .

(٢) عن الطبّاخ ، (الروضيّات) ، ص ٢٦ .

(١٤)

وصف الشقيق

كم خدودٍ مصونةٍ من شقيقٍ لم تُبَذّلْ لِلثّمِ أو للعضاض

إعترضْ ناظِرَ الشقيق ففيه طُرَفٌ ما يَملُّها ذو اعتراضِ

جُمَمٌ سُرِّحتْ بلا مُشُطٍ أو طُرَرٌ قصّصَت بلا مقراضِ

حُمْرةٌ فوقَ خضرةٍ وسوادٌ بين هذين مُعْلَمٌ ببياضِ

النويري ، (نهاية الأرب) ، ج ١١ ، ص ٢٨٣ .

(١٥)

شقّيقة شقّ على الوردِ ما قد لبست من كثرة الصّبْغِ

كأنّها في حسنها وجنةٌ يلوح مِنها طرفُ الصُّدْغ

النويري ، (نهاية الأرب) ، ج ١١ ، ص ٢٨٤ .

(١٦)

وجوه شقائق تبدو وتخفى ... على قُضُبٍ تميسُ[1] بهن ّضَعْفا
تراهـا كالعذارى مسبلات ... عليها من عميم[2] النبت سُجْفا
تنازعت الخدود الحُمْرُ حُسْناً ... فما إن أخطأتْ منهن حَرْفاً
إذا طلعتْ أرتك السُّرْجَ تُذْكى ... وإنْ غربتْ أرتك السرجَ تطفا
تخالُ إذا هي اعتدلتْ قواماً ... زجاجات مُلِئْنَ الراحَ صِرْفا
يزيدُ بهن ّروضُ الحَزْنِ حُسْناً ... إذا ما زَهْرُهُن ّ بهن ّحفّا ...

عن النويري (نهاية الأرب) ج ١١ ، ص ٢٨٣ — ٢٨٤ . وعن الطبّاخ ، (الروضيات) ، ص ٥٦ .

(١٧)

أضعف قلبي النرجسُ المضعَفُ ... ولا عجبْ إن صبا مُدْنَفُ
كأنـه بين رياحيننـا ... عشاريّ[3] ضمّهـا مُصْحَفُ

عن الوطواط (مباهج الفِكر) ص ١٠٣ .

(١٨)

مُفاضلة بين الورد والنرجس

زعم الورد أنّه هو أبهى[4] ... من جميع الأزهار[5] والريحان

---

(١) في النويري ج ١١ ، ص ٢٨٣ : تميد (المجلة) .
(٢) في رواية أخرى : جميم ، وهو النبت الكثير ، وهو الأرجح (المجلة) .
(٣) يلاحظ اضطراب الوزن في هذا الشطر ونرجح أن يكون العجز : عُشاريٌّ قد ضمّها مصحف ، بزيادة (قد) . (المجلة) .
(٤) في شعر الطبيعة لسيد نوفل ص ٢٠٨ : أزهى (المجلة) .
(٥) الروضيات للطباخ : الأنوار (المجلة) .

فأجابته أعين النرجس الغضّ بذلٍ من قولها وهوان
أيما أحسن: التورّد أم مقلـة ريم مريضة الأجفان
أم فماذا يرجو بحمرته[1] الور د إذا لم تكن له عينان
فزها الورد ثم قال مجيباً بقياس مستحسن وبيان
إن وردَ الخدود أحسن من عيـنٍ بها صفرةٌ من[2] اليرقانِ

(١٩)[3]

وإلى الرقتين أطوي قِرى البيدِ بمطويّةِ القرا مِذعانِ
حبّذا الكرخ، حبذا العمر، لا بل حبّذا الديرُ حبّذا السروتانِ
قد تجلّى الربيع في حُلَلِ الزهرِ وصاغَ الحمامُ حَلْيَ الأغاني
زُيّنت أوجُهُ الرياضِ فأضحت وهي تزهى على وجوه الحسانِ[4]
ألبستها يدُ الربيع من الألوان بُرْداً كالأتحميّ اليماني
يا خليليّ هاتما عللّاني عاطياني الصهباء لا تذرآني
أبعِدا الماء، أبعدا الماء، قوما، أدنيا، أدنيا بناتِ الدنانِ

(١) في المحاضرات للراغب الأصفهاني ج ٢ ص ٢٥٦ الشطرة الأولى :
أم فماذا يرجى لحمرّة الخدّ
(٢) أضيفت هذه الكلمة ليصح الوزن (المجلة) .
(٣) قد تكون هذه الأبيات تتمة الأبيات السابقة (المجلة) .
(٤) هذا البيت عن الطباخ (الروضيات) ص ٣٠ .

سقّياني من كلّ لونٍ من الراح على كلّ هـــذه الألوان
أخضرُ اللون كالزمرّد في أحمـر صافي الأديم كالأرجوانِ
وأقاحٍ كاللؤلؤ الرطبِ قد فُصّل بين العقيق بالمرجانِ
وبهار مثل الدنانير محفوفٌ بزهر الخيريّ والحوذانِ
وكأنّ النعمان حلّ عليها حُللاً من شقائق النعمانِ [1]

(١) الشابشتي (الديارات) ص ١٤٤ .

(٢٠)

وقال يصف موضعاً ويتشوّق إليه وإلى رياضه

لا تلمني بالرقّتـــين ودعني إن قلبي بالرقتـــين رهينُ
يـا نديمي ألا تحنُّ إلى القصف فهـذا أوانَ يبـدو الحنينُ
ما ترى جانبَ المُصلّى وقد أشرقَ منه ظهـــورُه والبطـــونُ
أقحـوانٌ وسوسـن وشقيق وبهـارٌ يُجتنى وآذريــونُ
أُسرجتْ في رياضه سُرُجُ القطر وطـابت سهوله والحزونُ
إنّ آذار لم يذر تحت بطن الأرض شـيئاً أكنّـه كـانونُ
وبدا النرجسُ البديـــع كأمثال عيونٍ ترنو إليهـا عيونُ
مـا ترى جـانبَ الـهنيّ وقد أشرق فيه الخيريّ والنسرينُ
صاح فيه الهزارُ ، ناح به القمريّ ، غنّى في جـوّه الشـفنينُ
فلهذا قيصومُه وخزامـاهُ وذا الوردُ فيه والياسمين
وكأنّ الفراتَ بينها عينُ لُجَينٍ يعومُ فيه السفينُ

كبطون الحيّاتِ أو كظهور المشرفيات أخلصتها القيونُ
ما أتى الناسَ مثلُ ذا العام عامٌ لا ولا جاء مثل ذا الحينِ حينُ
بلدٌ مشرقُ الأزاهرِ[1] موعٍ وسحابٌ جمٌّ العزالي هَتُونُ
تتلاقى المياه : ماءٌ من المـزن دماءٌ يجري وماءٌ معينُ
كم غدا نحو دير[2] زكّى من قلبٍ صحيح فراحَ وهو حزينُ ...

عن الشابشتي (الديارات) ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(٢١)

وقال يصفُ دير زكّى

أراقَ سجالَهُ بالرقّتينِ جنوبيٌّ صَخُوبُ الجانِبَيْنِ
وأهدى الرصيفِ رصيفَ مُزْنٍ يعاوده طرير الطرّتَيْنِ
معاهدُ بل مآلفُ باقياتٌ بأكرمِ معهدين ومألفين
يضاحكها الفراتُ بكلّ فجّ فيضحكُ من نضار أو لُجَيْنِ
كأنّ الأرضَ من صفرٍ وحُمْرٍ عروسٌ تُجْتَلَى في حُلّتَيْنِ
كأنّ عِناقَ نهرَيْ ديرِ زكّى إذا آعتنقا عناقُ متيّمَيْنِ
وَقَتْ ذاك البليخ يَدُ الليالي وذاكَ النيلَ من متجاورينِ
أقاما كالسوارينِ آستدارا على كتفَيْهِ ، أو كالدُّمْلُجَيْنِ
أيا متنزهي في ديرِ زكّى ألَم تَكُ نزهتي بك نزهتَين

(١) في الأصل : الزهر ، وبه يختل الوزن (المجلة) .
(٢) يلاحظ اضطراب الوزن في البيت ونرجح أن تمد ألف زكّى فتصبح: زكّاء (المجلة).

أردّدُ بين وردِ نداكَ طَرْفاً ... يُرَدِّدُ بين ورد الوجنتين
ومبتسمٍ كنظْمَيْ أقحوانٍ ... جلاه الطلُّ بين شقيقتينِ
ويا سُفُنَ الفراتِ بحيث تهوي ... هُويّ الطير بين الجانبينِ
تَطارَدُ مقبلاتٍ مدبرات ... على عَجَلٍ تطَارُدَ عسكرين
قُرانا واصليك كما عَهِدنا ... وِصالاً لا تنغّصه ببينِ
ألا يا صاحبيّ خذا عنانيَ ... هواي سلمتما من صاحبين
لقد غصبتنيَ الخمسون فتكي ... وقامتْ بين لذّاتي وبيني
وكان اللهوّ عندي كابن أمّي ... فصرنا بعد ذاك كعِلَّتَيْنِ [1]

الشابشتي (الديارات) ص ١٤٠ .

(٢٢)

وصف الرياض

تَشَبُّهُ الروض بالحبائب قد ... زاد المحبين في محبتها (١)
كم من قدود هناك من قُضُبٍ ... تَميلُ من لينها ونعمتها (٢)
كم وجنةٍ خالها يلوح لنَا ... سوادُه في صفاء حمرتها (٣)
وكم ثنايا تسبي بنكهتها ... وكم عيونٌ تُصْبِي بلحظتها (٤)
تسارق الغمز غمز خائفة ... رقيبها من خفاء نظرتها (٥)

(تخريجها) : (١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) عن النويري ، (نهاية الأرب) ج ١١ ، ص ٢٦٥ .

(١) في الديارات : لعلتين ونرجح أن يكون العجز : فصرنا بعد ذلك عِلَّتَيْنِ والعَلَّة (بفتح العين) الضَّرَّة . (المجلة) .

والسحبُ ينظمنَ فوقها سُبَحاً نظـــام معنيّةٍ بسُبْحَتِها [٦]
[١]فواقعٌ عُدّت بياذقُ شطرنج صفوفاً وَسْطَ رقعتهـــا [٧]
كل صفـــات الجمال مجملةً بين تفاريقها وجملتهـــا [٨]

(٦) و (٧) عن البيروني (الجماهر) ص ١١٨٦ وقد كان فيه اضطراب شديد فصُحّح . (٨) عن هامش النويري (نهاية الأرب) ج ١١ ، ص ٢٦٥ ، مقتبساً الوطواط ، (مباهج الفكر) .

(٢٣)

وصف الرياض

ياريمُ قومي الآن ويحكِ فانظري ما للرُّبى قد أظهرت إعجابَها
كانت محاسنُ وجهها محجوبة فالآن قد كشف الربيع حجابها
وردٌ بدا يحكي الخدود ونرجسٌ يحكي العيون إذا رأت أحبابها
وشقائقٌ مثل المطارق قد بَدَتْ حُمْراً وقد جُعِلَ السواد كتابَها[١]
ونباتُ باقلاّء يشبه نَوْرُهُ بُلْقَ الحمام مشيلةً أذنابَهـــا
والسرو تحسبُه العيون غوانيـاً قد شمّرت عن سُوقِها أثوابَها
وكأنّ إحداهنّ من نفخِ الصَّبا خودٌ تلاعبُ موهناً أترابَها
لو كنتُ أملكُ للرياضِ صيانةً يوماً، لَمَا وطئ اللئام ترابها [٢].

(١) عن نوفل ، (شعر الطبيعة) ص ٢٠٤ .

(٢) القصيدة عن ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيـــات ، ج ١ ، ص ١١١ — ١١٢ .

---

(١) يلاحظ اختلال الوزن والمعنى في البيت ولم نتوفق إلى تصحيحها فيما لدينا من مراجع (المجلة) .

(٢٤)

وصفُ الرقتين[١]

أما الرياضُ فقد بدت ألوانُها ... صاغت فنونَ حُليِّها ألوانُها

رقَّت معانيهـا ورقّ نسيمها ... وبدت محاسنها وطاب زمانُها

نظمت قلائد زهرها بجواهر ... نظمت زمرّدها إلى عقيانِها [كذا][٢]

هذا خزاماها وذا قيصومُهـا ... هذا شقائقها وذا حُوذانُها

لو أنّ غدران السحاب تواصلت، ... حسناً، إذاً لتواصلت غدرانُها

تبكي عليها عين كلّ سحابةٍ ... ما إن تملّ من البكا أجفانُها

منقادة نحو الجنوب إذا بدت ... فكأنهـا بيد الجنوب عنانُها

واهاً لرافقة الجنـوب محلّـة ... حنّت بها أنهارهـا وجنانُها

يا بلدةً ما زال يعظم قدرها ... في كلّ ناحية ويعظم شانُها

أما الفراتُ فإنه ضحضاحُها ... أمّا الهنيُّ فإنه بستانُها

وكأنّ أيـام الصّبا أيامُهـــا ... وكأن أزمان الهوى أزمانُها

مَهْما تَصِدْ غزلانها يوماً فقد ... ظلّـت تصيدُ قلوبنا غزلانُها

حِثّ الكؤوس فإنّ هذا وقتها ... وصِلْ الرياضَ فإنّ ذا إبّانُها[٣]

---

(١) يريدُ بالرقتين، الرقّة والرافقة من باب التغليب.

(٢) نظراً للإقواء الظاهر في القافية نعزف عن هذا البيت ونثبت رواية البيروني، (الجماهير)، ص ١٢٣.

نُظِـمَتْ قلائِدُ زهرها بجواهر ... رطبٍ زمرّدُهـا نَدِ عقيانُها

(٣) عن الشابشتي، (الديارات)، ص ١٤١.

(٢٥)

وله قصيدة طويلة تربو على المائة وعشرين بيتاً في وصف حلب مطلعها:

أحبسا العيسَ أحبساها وسلا الدار سلاها

عن ياقوت الحموي ، (معجم البلدان) ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ — ٢٨٩ .

فواز أحمد طوقان

المصادر

١ — البيروني ، أبو الريحان ، (الجماهر في معرفة الجواهر) تحقيق سالم الكرنكوي ، حيدر أباد ، ١٣٥٥ هـ .

٢ — الشابشتي ، أبو الحسن علي بن محمد ، (الديارات) ، تحقيق كوركيس عوّاد ، بغداد ، ١٩٥١ م .

٣ — ابن الشحنة ، أبو الفضل محمد ، (الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب) ، تح . يوسف إليان سركيس ، بيروت ، ١٩٠٩ م .

٤ — ابن شاكر الكتبي ، (فوات الوفيات) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

٥ — الصنوبري ، أبو بكر أحمد بن محمد ، (الروضيّات) ، جمعها وحققها محمد راغب الطبّاخ ، حلب ، ١٩٣٢ م .

٦ — ياقوت الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين الرومي ، (معجم البلدان) ، بيروت ، ١٩٥٦ م .

٧ — النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (نهاية الأرب في فنون الأدب) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م .

٨ — سيّد نوفل ، (شعر الطبيعة في الأدب الاندلسي) ، القاهرة ١٩٤٥ .

٩ — السيوطي ، جلال الدين ، (حُسْن المحاضرة) ، القاهرة ، ١٣٢١ هـ .

١٠ — الوطواط ، (مباهج الفِكر) ، مخطوط بجامعة يال بالولايات المتحدة .

الكلمات التركية

في اللهجات العربية الحديثة

- ٢ -

(ت)

تبه : التل في اللهجة السورية . تركي Tepe جبل صغير ، قمة .

تختروان : مقعد مظلل يحمل على ظهر حيوان كانت العروس تركبها يوم زفافها للانتقال من بيتها إلى بيت عرسها [١] .

فارسي ، وأصل معناه العرش المتنقل وهو مركب من تخت أي العرش وروان أي المتنقل .

ترزي : الخياط . تركي Terzi .

ترسانه : مصنع السفن والأسلحة . تركي Tersane .

ترلي : نوع من الطبيخ يدخل فيه أكثر من خضار . تركي Türlü أي مُشكّل .

تنبل : كسلان . تركي Tembel من الفارسية .

تنكه : غلاية الشاي والقهوة . تركي Teneke ،

تيزه : كلمة تنادى بها مرأة كبيرة السن . تركي Teyze : الخالة .

(ج)

جبخانه : الذخيرة . تركي Gebhane .

جردل : إناء واسع للماء . تركي Gerdel .

---

(١) قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية لأحمد أمين ص ١١٤ .

جزدان : كيس صغير للنقود . وفي اللهجة المصرية « جزلان » . تركي Cüzdan من الفارسية وأصل معناه محفظة للكتب وهو مركب من جز وهو محرف من « جزء » العربية وتفيد بالفارسية معنى الكتاب (١) و « دان » وهو كاسعة فارسية تفيد معنى الوعاء .

جزمه : الحذاء . تركي çizme نوع من الحذاء .

جفت : الملقط . تركي çift من الفارسية .

جمرك : ما يفرض من رسوم على البضائع الداخلة والخارجة . تركي Gümrük

جنباز : نوع من الرياضة البدنية . تركي Cambaz من الفارسية جانباز وأصل معناه اللاعب بحياته .

جنزير : سلسلة من الحديد وغيره . تركي Zincir و Zencir من الفارسية والجدير بالذكر أنه وقع قلب مكاني في اللفظ المعرب .

جوال : زكيبة من الجوت وغيره ـ وفي اللهجتين السورية واللبنانية شوال . تركي çuval .

جي : كاسعة تركية تفيد معنى صاحب صناعة أو مهنة كما في الكلمات الآتية : مكوجي ، عربجي ، عصبجي ، أشرجي ، فايظجي ، تعليمجي ، غندقجي ، مفتاحجي ، فرارجي ، فرملجي وغيرها . ولقد وسع استعمال هذه الكاسعة في هذه الأيام فيقال الكهربجي والتليفزيونجي .

(ح)

حكمدار : رتبة في الشرطة في بعض البلاد العربية . تركي Hükümdar وهو مركب من كلمة « حكم » العربية و « دار » الفارسية ومعناه صاحب أو مالك .

---

(١) اكتسب لفظ « جزء » معنى الكتاب من عادة تقسيم القرآن إلى ٣٠ جزءاً .

(خ)

خازندار : أمين الصندوق . تركي Hazinedar وهو مركب من كلمة خزينة العربية في « دار » الفارسية .

خانه : مكان ؛ مكان خال في الاستمارة مطلوب ملؤه ؛ المنزلة كما في قولهم خانة العشرات وخانة المئات .

يدخل هذا اللفظ في تركيب بعض الكلمات كلاسمة ويفيد معنى الدار أو المقر كما فى الكلمات الآتية :

كتبخانه : المكتبة ، انتيكخانه : دار العاديات ، بطريكخانه : مقر البطريق ، أجزاخانه : الصيدلية وغيرها .

تركي Hane من الفارسية بمعنى البيت .

خرده : قراضة جديد ، ما صغر من السلع ، والجمع خردوات .

تركي Hurde .

خرسانه : مواد البناء المعروفة . لعلها من اللفظ التركي Horasan أي خراسان ويطلق على نوع من مواد البناء .

خستكه : التوعك وانحراف الصحة ، ومنها « مخستك » أي المتوعك . واللفظ مستعمل في ريف مصر . تركي Hasta أي المريض من الفارسية « خستگى » التعب وخسته المتعب .

خواجا : يطلق هذا اللفظ في البلاد العربية على الأجانب خصوصاً على الأجانب البيض . فارسي خواجه . وينطق بسكون الخاء ومعناه السيد أو الرب ويطلق في اللغتين الفارسية والاردية على الرسول عليه السلام والأولياء الكرام . ومن ثم يستحسن ترك إطلاق هذا اللفظ على الأجانب المستعمرين لما فيه من معنى الذل للعرب .

خوجه : المدرس . تركي Hoca .

(د)

دبش : في لعبة الطاولة خمسة وخمسة . فارسي « دو » أي اثنان ، وتركي beş أي خمسة .

دش : في لعبة الطاولة ستة وستة . فارسي دو أي اثنان وشش أي ستة .

درابزين : حاجز على جانبي السلم . تركي Tirabzan .

دسته : مجموعة من اثني عشر شيئاً . تركي Deste من الفارسية واللفظ الفارسي مشتق من دست أي اليد .

دغري : مستقيما ، مباشرة ، رأساً ، كما في قولهم : امشي دغري تركي Doğru

دمغه : نوع من الطوابع يوضع على الخطابات المرفوعة إلى الحكومة ، وعلى الوثائق الرسمية . تركي Damga من الفارسية تمغا .

دندرمه : نوع من الحلوى . تركي Dondurma وأصل معناه الجليد .

دوباره : في لعبة الطاولة اثنان واثنان ، خيط غليظ . فارسي أصل معناه مرتان ، وهو مركب من دو أي اثنان وبارة أي مرة .

دورج : في لعبة الطاولة أربعة . تركي Dört أي أربعة .

دوزينه : مجموعة اثني عشر شيئاً . تركي Düzine من الايطالية Dozzina

دوسه : في لعبة الطاولة اثنان وثلاثة . فارسي دو أي اثنان وسه أي ثلاثة .

دومان : عجلة للتحكم على جهة السفينة . تركي Dümen أي الدفة .

دونم : مقياس يساوي ١٠٠ متر مربع ، يستعمل في العراق والاردن وغيرهما . تركي Dönüm .

(ر)

رشته : ما يكتبه الطبيب من أدوية بعد الكشف على المريض . تركي Reçete

رنجه : نوع من السمك . تركي Ringa ولعله محرف من اللفظ الانجليزي Herring .

روشن : نافذة في السقف . فارسي روشندان .

(س)

ساده : غير مخلوط كما في قولهم : شاي سادة ؛ غير معلم كما في قولهم قماش سادة . تركي Sade من الفارسية . والجدير بالذكر أن هذا اللفظ الفارسي قد عرب قديماً بصورة « ساذج » وذلك حسب النطق البهلوي .

سبت : السلة . تركي Sepet من الفارسية سبد — والجدير بالذكر أن هذا اللفظ الفارسي قد عرب قديماً بصورة سفط .

سجق : معى الخروف محشي باللحم المفروم المعالج بالتوابل . تركي Sucuk .

سراى : القصر . تركي Saray من الفارسية .

سفرجي : من يتولى إحضار وترتيب الطعام على المائدة . تركي Sofraci والجدير بالذكر أن سفرة كلمة عربية وركبت مع الكاسعة التركية ci .

سلخانه : مذبح البلدية . مركب من كلمة سلخ العربية وخانة الفارسية .

سنجه : حربة توكب عند فوهة البندقية . تركي Süngü .

سه : في لعبة الطاولة ثلاثة . فارسي سه أي ثلاثة .

سواري : الجندي الراكب . تركي Süvari من الفارسية .

سيبه : ركيزة ذات ثلاث قوائم . تركي Sehpa من الفارسية وهو مركب من سه أي ثلاث وپا أي قائمة .

(ش)

شادر : الخيمة (في اللهجـــة الاردنية) مخزن خصوصاً مخزن الخشب (في اللهجة المصرية) . تركي çadir .

شاكوش : المطرقة . فارسي چاكوش .

شال : رداء من الصوف يلبس على الكتفين — وجمعه شيلان . تركي Şal من الفارسية .

شاويش : رتبة عسكرية . تركي çavuş .

شرشف : ملاءة السرير تركي çarşaf .

شفخانه : المستشفى البيطري في مصر ، والمستشفى مطلقاً في السودان . لفظ مركب من كلة شفاء العربية وخانة الفارسية .

شلته : حشية للجلوس . تركي Şilte .

شنطه : حقيبة من جلد ونحوه . وفي اللهجة اللبنانية شنته . تركي çanta .

شنكل : كلاب ، حديدة يغلق بها الباب والشباك . تركي çengel من الفارسية چنگل .

شيش : في لعبة الطاولة ستة ، شيش بيش : ستة وخمسة وقولهم نظره شيش بيش أي ضعيف . فارسي شش أي ستة .

شيش : باب للشباك صمّم بحيث يدخل الهواء والنور الضئيل من شيشه الفارسية وأصل معناه الزجاج .

شيش : مباراة بالسيوف . تركي Şiş .

شيشة : النارجلية . تركي Şişe أي الزجاجة من الفارسية .

شوباش : نقود تنثر على العروس يوم الزفاف . فارسي شاباش .

(ص)

صاغ : غير زائف كما في قولهم : صاغ سليم — أطلق هذا اللفظ صفة على القرش ثم ترك الموصوف واكتفي بـ صاغ ليفيد معنى النقد المعروف . تركي Sağ .

صموله : انثى القلاوظ لعله من اللفظ التركي Somun بمعناه .

صنفره : ورق مرمل يستخدم لصقـل الخشب والحديد وما إلى ذلك . تركي Zimpara (Kâgidi)

صيوان : السرادق . تركي Sayeban من الفارسية سائبان .

(ط)

طابور : قسم من الجيش ، صف من الناس ينتظرون دورهم . تركي Tabur .

طازه : جديد ، غير بائت . تركي Taze من الفارسية . والجدير بالذكر أن هذا اللفظ الفارسي عرب قديماً في صورة طازج وذلك حسب النطق البهلوي .

طاقم : هيئة قيادة الطائرة أو السفينة، واللفظ مشتق من طقم . تركي Takim .

طاوله : منضدة في سورية والاردن ، نوع من اللعب المعروف في مصر والسودان . تركي Tavela .

طبنجه : المسدس . تركي Tabanca .

طرشي : قطـع مخلله من بعض الخضروات . تركي Turşu من الفارسية وأصل معناه الحموضة .

طقم : مجموعة متكاملة من الأدوات والأواني . تركي Takim .

طلمبه : المضخة . تركي Tulumba من الأيطالية Tromba .

طوبجي : جندي المدفع . تركي Topcu .

طوايه : المقلاة . تركي Tava .

(ع)

عطشجي: وقاد القطار . تركي ateşçi وهو مركب من آتش الفارسية بمعنى النار والكاسعة التركية ci ولا علاقة لهذا اللفظ بعطش العربية .

عفارم : كلمة استحسان . تركي Aferin من الفارسية آفرين (١) .

عنبر : جناح من أجنحة البيت ، قسم من المستشفى . تركي Ambar وأصل معناه المستودع .

(غ)

غازوزه : شراب غازي معبأ في الزجاجة . تركي Gazoz من الفرنسية Gaseuse

غرش : قرش (في لبنان) .

(ف)

فابريقه : المصنع . تركي Fabrika من الايطالية Fabrica .

فانلا : الملابس الداخلية . تركي Fanilâ من الايطالية Flanella .

فرشاه : أداة تنظيف الثياب أو الأسنان ؛ قلم من الشعر يرسم به الرسام . تركي Firça .

فستان : لبس حريمي معروف . في لبنان فسطان . تركي Fistan . من الألبانية Fustan .

فنجان : كوب صغير للشاي أو القهوة . تركي Fincan .

(يتبع) ❋❋❋ السودان : ف . عبد الرحيم

(١) ذهب الدكتور أنيس فريحه خطأ أنه مركب من « عفا » (وهو مختزل من عفاك الله) و « رم » التركية ! راجع معجم الألفاظ العامية في اللهجة اللبنانية ص ١١٩ ،

شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

- ٦ -

الفصل الثاني

تطور شعر الوقوف على الأطلال
من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

كان الشعراء الجاهليون هم الذين بدؤوا القول في شعر الوقوف على الأطلال كما ذكرنا آنفاً في مقدمة الكتاب . وقد اتبعهم الشعراء الإسلاميون في ذلك . ثم سار الشعراء العباسيون كذلك على خطى الإسلاميين .

وهكذا ظل شعر الوقوف على الأطلال حياً في الشعر العربي خلال العصور .

وقد خصصنا الفصل السابق لبيان المعاني العامّة في شعر الوقوف على الأطلال . ونجعل هذا الفصل الآن لدراسة تطور هذا الشعر خلال العصور من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث من الهجرة ، وبيان أسباب هذا التطور . وسنبدأ بحثنا بالشعراء الجاهليين ، فنمر بهم مراً سريعاً ، ولا نطيل الوقوف عندهم لأنهم هم الذين بدؤوا القول في هذا الشعر كما ذكرنا . وكذلك لن نقف عند الشعراء المخضرمين لأنهم بقية شعراء الجاهلية ، ولأن شعرهم

يشبه الشعر الجاهلي في طريقته ومعانيه ، فهو امتداد واستمرار له ، ومنه شعر الوقوف على الأطلال . وننتقل دفعة واحدة إلى الشعراء الإسلاميين ، فندرس هذا الشعر عند شعراء الغزل ، ثم عند سائر الشعراء في العصر الأموي .

ونصل بعد ذلك إلى العصر العباسي ، فندرس شعر الوقوف على الأطلال عند شعراء القرن الثاني أصحاب التجـديد في الشعر العربي . ثم ندرسه عند شعراء القرن الثالث ، وبذلك ينتهي بنا البحث إلى نهاية القرن الثالث من الهجرة .

١ — خصائص شعر الوقوف على الأطلال في الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين .

وقف شعراء الجاهليـة على الأطلال ، فوصفوا بقاياها ، ثم وصفوا أحوالهم النفسية حين الوقوف فيها ، وبكَوا بعد ذلك ، واستشعروا الحزن والكآبة . وقد عرفنا هذا كلّه فيما مضى من كلامنا . وكان هؤلاء الشعراء يكتفون في شعر الوقوف على الأطلال بذكر الظواهر الخارجيـة للديار في سرعة وإيجاز ، ولا يطيـلون في وصفها ، ولا يُعْنَون بذكر أجزائهـا وعناصرها في تفصيل . فالشاعر الجاهليّ عندما يصف رسوم الدار مثلاً ، ويشبّهها بالثوب البالي ، لا يصف هذا الثوب وصفاً طويلاً ، ولا يقف لبيان ألوانه وأشكاله وخطوطه ، وإنما يمر سريعاً ، ويَعرِض علينا الصورة كلّها في بيت واحد من الشعر ، أو في شطر واحد من البيت في بعض الأحيان . وقد رأينا الأمثلة على ذلك فيما مضى . وهذه هي الصفة الغالبـة الأولى لشعر الوقوف على الأطلال عند شعراء الجاهلية وهي صفة الإيجاز والاهتمام بالصورة الكلية والخطوط العامّة دون الاهتمام بالأجزاء ودقائق الأشياء .

وإلى جانب ذلك كان شعراء الجاهلية في هذا الشعر يُوزّعون اهتمامهم على المعاني جميعاً توزيعاً يكاد يكون متساوياً ويُعنَون بها عنايةً واحـدة .

ولم يكونوا يُولُون أحد هذه المعاني عنايةً خاصّة دون غيره ، ويمكننا مع ذلك أن نقول بشيء من التجاوز : إنهم كانوا يعنون بوصف بقايا الديار أكثرَ من عنايتهم بالمعاني الأخرى . والشعر الجاهليّ كلّه تغلب عليه نزعة وصف ظواهر الأشياء ، بمعنى أن شعراء الجاهليه يهتمّون بما تؤدّيه إليهم حواسّهم من النظر والسمع خاصة . وذلك لأن معظمهم بُداةٌ وثنيين لايُطيلون التفكير فيما وراءَ الأشياء الظاهرة .

أما النزعة التأمّلية ووصفُ الشاعر والأحاسيس الدقيقة الدفينة في أعماق النفس فكان ضعيفاً في الشعر الجاهلي بالقياس إلى النزعة الأولى فيه . والحال في شعر الوقوف على الأطلال كالحال في الشعر الجاهلي بمجموعه سواء . ونزيد من قولنا هذا أنّ شعراء الجاهلية لم يكونوا مهتمين كثيراً بأحوالهم النفسيّة في شعر الوقوف على الأطلال بقدر اهتمامهم بوصف بقايا المنازل والديار . وهذا على الرغم من أن الموقف موقفُ ذكرى وحنين .

ونكتفي بهذا ، ولا نتوقف طويلاً عند شعراء الجاهلية في بحثنا في تطور شعر الوقوف على الأطلال ، لأن هؤلاء الشعراء هم الذين بدؤوا هذا الشعر كما قلنا ، وابتكروا معانيَه ، وأرسَوا قواعده واستمرّوا عليها دون تغيير كبير طوالَ العصر الجاهلي . ولم يحدث في حياة العرب إبّان هذا العصر حوادث اجتماعية أو تاريخية كبرى غيرت أنماط حياتهم . فبقيت لذلك قواعدُ الشعر ومعانيه وطرائقُه ثابتةً على وتيرة واحدة دون تغيير . وكذلك الحال بالقياس إلى شعر الوقوف على الأطلال ، وهو معنى من معاني الشعر الجاهلي .

وكذلك لانتوقف عند الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية . وأدركوا الإسلام ، لأن شعرهم بمجموعه ، ومنه شعر الوقوف على الأطلال قد سار على سنن الشعر الجاهليّ ، ولم يختلف عنه في شيء يُذكرُ هنا .

فلذلك نعتبر شعر الوقوف على الأطلال عند الشعراء المُخَضْرَمينَ امتداداً واستمراراً لهذا الشعر عند شعراء العصر الجاهلي . وللتحقق من هذه الفكرة تكفينا نظرة عَجْلى في ديوان كعب بن زُهَير أو في ديوان الحُطَيئة أو في ديوان حَسّان بن ثابت أو في ديوان ابن مُقبل .

تطوُّرُ شعر الوقوف على الأطلال في العصر الأمويّ .

تطورت بعضُ أغراض الشعر في العصر الأموي بسبب الحياة الجديدة التي انتقل اليها العرب ، فنشأت فيه مذاهبُ جديدة ، ولا سيما في شعر الغزَل . وقد ظهر في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة مذهبان جديدان في الغزل ، هما الغزَل العُذْري والغزل الحضَري . ولا تُهمنا ها هنا الظواهر الجديدة والمعاني المستحدثة في هذين المذهبين من الغزل ، أو في الشعر العربي عامّةً في العصر الأموي ، وإنما يُهمنا تطوّرُ شعر الوقوف على الأطلال في شعر شعرائه من الغَزِلين وغيرهم . ولذلك سندرس هذا الموضوعَ عند شعراء الغزل العذريّ أولاً ، ثم ندرسه عند شعراء الغزَل الحضَري ، ولا سيما عمر بنِ أبي ربيعة ، ثم عند سائر شعراء العصر الأموي .

١ — شعراء الغزل العُذري :

وهم هؤلاء الشعراء الذين عاشوا في بوادي جزيرة العرب إبّان العصر الأمويّ ، واختصوا بالغزل وحده من بينِ أغراض الشعر المعروفة حينذاك . وكان هؤلاء الشعراء كلُّهم عشّاقاً هائمين ، حُرموا الوِصال ومباهجَه ، فحاروا في الهوى وضاعوا ، فداروا حَيْرتَهم وضياعهم ، وداوَوا جراحاتِ قلوبهم في الشعر . وهكذا استنفدوا قرائحهم في الغزل ، وبكَوْا فيه

عذابَهم وألَمهم ، وشكَوا حِرمانَهم في حَزَن ولهفة واستغراق ، حتى جعلوا الغزل معرضاً خاصاً لما في قلوبهم من آلام وآمال .

وكان هؤلاء الغَزِلون البداةُ يأنسون بالمنازل والديار ، ويألفونها ويحبّونها حباً جمّاً ، لأنهم عشاق محبّون ، ولأن الديار ديارُ أحبتهم الذين غَنُوا بها قديماً . وكانت نفوسهم تتعلق بكل شيءٍ يذكّرهم بأحبتهم ، ويثير شجون نفوسهم . والديارُ تذكر بالأحبة ، وتثير الشوق والصَّبابة ، وتهيج الذكريات أكثرَ من أي شيء آخرَ له علاقة بالمرأة المحبوبة . قال كُثَيِّر عَزَّةَ في ذلك (١) :

هي الدارُ وَحْشاً غير أنْ قد يحلها ويَغْنَى بها شخصٌ عليَّ كريمُ
فما برسوم الدار لو كنتَ عالماً ولا بالتلاع المُقْويات أهيمُ

فنحن نرى أن الديار عند كثيِّر سبيلٌ لتذكّر عَزَّةَ محبوبته ، وتذكّر هواه وأيامه الماضية في هذه الديار . ولعل حرقة الحب والهوى وحرمانَ مباهج الوصال ، وما يعقب ذلك من الكآبة العميقة والحزن الدفين قد ربط بين نفوس هؤلاء الشعراء الرقيقة الحزينة ، وبين آثار الديار الساكنة الحزينة ، وقد أخذ الفناء يدب فيها شيئاً فشيئاً . فنشأ عن ذلك في نفوسهم عطف شديد ، وميلٌ إلى المنازل والديار .

وقد ألقَى هذا العطف على شعر هؤلاء الشعراء في شعر الوقوف على الأطلال ظلالاً كثيفة من اللهفة والحنين . وجعلهم ينادُون الديار ويُحيُّونها ، ويُكثرون من ندائها وتحيّتها في إقبال وهُيام ، ويَدْعُون لها بالسُّقيا والبقاء على الأيام دعاءً حاراً ، ويبكون عندها بعد ذلك بكاء مراً طويلاً ، وينفعلون انفعالاً شديداً ، حتى يخيل إليهم أن الديار تهتف بهم ، وتنطق

(١) ديوان كثير ١/١٨٦ .

لمعرفتهم . قال ذو الرُّمَّة في ذلك (١) :

وقفنا ، وسلَّمنا ، فكادت بمشرف لِعِرْفان صوتي دمنةُ الدار تهتفُ

وقال مجنون ليلى :

وهلَّلت للتوباد حين رأيتُه وكبَّر للرحمن حين رآني

وكان بكاء الشعراء الغَزِلِين في المنازل والديار يخفف عنهم حرقة الهوى ، ويُطفئُ غُلَّة الحرمان ، ويضع عن نفوسهم عـــذاب الشوق والصَّبابة . قال ذو الرُّمة في ذلك (٢) :

خليليَّ ، عوجا من صدور الرواحلِ بجمهور حُزْوى، فابكيا في المنازلِ
لعل انحدارَ الدمع يُعْقِبُ راحةً من الوجد ، أو يشفي نجيَّ البلابل

وهذا العطف والميل الشديد إلى المنازل والديار قد دفع هؤلاء الشعراء إلى الاهتمام بها اهتماماً كبيراً . فقالوا فيها لذلك شعراً كثيراً ولا سيما ذو الرُّمَّة الذي فُتِن بالوقوف على بقايا الديار ، وأفرط في البكاء عليها .

وكما أن شعر الغزل قد تطور عند الشعراء الغزلين وتغيرت طريقته ومعانيه عندهم عما كانت عليه في الشعر الجاهلي ، فكذلك تطور شعر الوقوف على الأطلال عندهم ، وخطا الخطوة الكبيرةَ الأولى نحو التغيير والبعـــد عن الطابَع الجاهلي .

والأمر المهم في هذا التطور كان في اهتمام شعراء الغزل العذري بالحالة النفسية في شعر الوقوف على الأطلال كما في غزلهم كله ، وارتقاء هـذا المعنى إلى المرتبة الأولى من بين المعاني الأخرى واستئثاره بعنايتهم . هذا من جهة .

---

(١) ديوان ذي الرُّمّة ٣٧٣ .

(٢) ديوان ذي الرمة ٤٩١ ــ ٤٩٢ .

ومن جهة أخرى قلَّ اهتمام هؤلاء الشعراء بوصف الديار وبقاياها وتصوير أشكالها وألوانها . وبذلك أصبح هذا الشعر عندهم وجداً عاطفياً ، ونجوى نفسيَّةً وكاد يخلو تماماً من وصف الظواهر والأشياء المادية المرئية في العالَم الخارجي . وهذه الصفة الوجدانية هي الصفة الغالبة على شعر شعراء الغزل العُذري بأجمعه .

وكذلك قلَّ اهتمامُ هؤلاء الشعراءِ بعوامل تخريب المنازل والديار من حوادث الطبيعة ولم يعودوا يذكرون الحيوان والوحوش التي تألف الديارَ بعد رحيل ساكنيها . إلا الحَمامَ ، فقد ظلوا يذكرونه ويأنسون به . وذلك لرخامة صوته في سجعه ، وإثارته الحنينَ في النفوس برقَّة غنائه . فهو من هذا الوجه يتفق وما في أنفس هؤلاء الشعراء من وجْد وحنين وصبابة فيما نرى . قال ذو الرُّمَّة في ذلك[١] :

ولو لم يَشُقْني الظاعنون لشاقني حَمام تَغَنَّى في الديار وقوعُ
تجاوبن فاستبكين من كان ذا هوى نوائحُ ما تجري لهن دموعُ

ونحن نجد تشابهاً كبيراً بين اهتمام الغزلين البداة بالحالة النفسية ووصفها في شعر الوقوف على الأطلال ، وبين اهتمامهم بها ووصفها في شعر الغزل أيضاً ، دون الاهتمام بوصف المرأة المحبوبة وتصوير الجمال الظاهر في أعضاء جسمها .

والسبب في اهتمام شعراء الغزل بأحوالهم النفسية في شعر الغَزَل وشعر الوقوف على الأطلال معاً ، على مايبدو لنا ، هو أن هؤلاء الشعراءَ ما كانوا يقصِدون إلى وصف الظواهر الخارجية ، واللذات المادية ، وإنما كانوا يقصدون دائماً إلى وصف العوطف والأحاسيس النفسية التي تعذب صاحبها

(١) ديوان ذي الرمة ٣٥٢ .

وتعنّيه وتشقيه دون أن تتيح له لذةً مادية ما . وكانت اللذةُ الوحيدة التي يجدها هؤلاء الشعراءُ ويستحبونها هي لذةَ الألم والعذاب في حبّهم ، ولذةَ الشوق والحنين واللهفة إلى أحبائهم . كان ألمهم في الحب هو غايتهم في اللذة ، وكان وصفُ هذا الألم هو غايتَهم في الغزَل وشعرِ الوقوف على الأطلال معاً .

ويمكن لنا أن نقول بعد استقراء كثير من شعراء الوقوف على الأطلال عند الغزلين البداةِ بأنّ هذا الشعرَ عندهم كان وسيلةً إلى ذكر حالاتهم النفسية ووصفها . كما كان الغزلُ ذاتُه عندهم وسيلةً إلى الشكوى والحنين ، ووصفِ عذاب نفوسهم وحرقةِ قلوبهم في الهوى . كما يمكن لنا أن نزعُمَ بعد هذا الاستقراء أن القِسْمَ الأعظمَ من شعر الوقوف على الأطلال عندهم كان في ذكر الحالة النفسية ، ووصف بدئها ، وتطورها في نفوسهم وقد اعتادوا أن يبدؤوا شعرهم بذكر الحالة النفسية . ثم كانوا ينتهون منه دون الإشارة إلى معنى آخرَ فيه فاذا بدا لهم وأشاروا إلى معان أخرى فان ذلك يأتي ملفوفاً في غلالة رقيقة أو كثيفة من ظلال الحالة النفسية . ونسوق لذلك كلّه مثلاً قولَ ذي الرُّمَّة (١) :

أمن دمنةٍ بين القِلاتِ وشارعٍ ... تصابيت حتى ظلت العين تدمعُ
أجل ، عبرةٌ كادت إذا ما وزعتُها ... بحلمي أبت منها عواصٍ تسرّع
تصابيتَ واهتاجتْ بها منك حاجةٌ ... ولوعٌ أبت أقرانها ما تَقَطّعُ
إذا حان منها دون مَيٍّ تعرُّضٌ ... لنا حَنَّ قلبٌ بالصبابَة موزعُ
ولا يَرْجعُ الوجدُ الزمانَ الذي مضى ... ولا للفتى من دمنة الدار مجزع
عشيةَ مالي حيلةٌ غير أنني ... بلقط الحصى والخط في الترب مولع
أخط وأمحو الخط ، ثم أعيده ... بكفيْ والغربان في الدار وقع
كأن سناناً فارسياً أصابني ... على كبدي ، بل لوعة البين أوجع

(١) ديوانه ٣٤١ – ٣٤٣ .

هذا شعر في الوقوف على الأطلال كما نرى . ولكنه في الحقيقة أقرب إلى شعر الغزل المعهود منه إلى شعر الوقوف على الأطلال الذي عرفناه . فليس فيه من معاني هذا الشعر إلا وصف حالة ذي الرُّمَّة النفسية في بكائه وحزنه وحيرته في ديار مية . أين وصف بقايا الدار في هذه الأبيات ، بل أين المعاني الأخرى التي عرفناها في شعر الوقوف على الأطلال ؟ ولا أين ، فالشاعر مشغول بذكرياته وأشواقه وآلامه عن بقايا الدار ، كأنها قد تجمعت في وجدانه ، وصارت قطعةً أو قطرة من حنينه وأشواقه .

على أننا لا نزعم أن شعر ذي الرمة في الأطلال يجري كلُّه مجرى هذا المثال ، كما أننا لا نزعم أنّ شعر الغزلين البداة في الأطلال يجري كلُّه مَجرى هذا المثال أيضاً . ولكننا نزعم أنّ النزعة المادية قد تضاءلت في شعر الأطلال عندهم ، وأن النزعة النفسية قد عظمت فيه ، فامتزج هذا الشعر عندهم بخَفقات قلوبهم ، وحسَرات نفوسهم ، ودموع عيونهم امتزاجاً محرقاً ، فيه جمال وإمتاع ، وفيه سكينة ، وكل ذلك يُثير في النفس حُزناً واكتئاباً . ولكن هذا الحزنَ سائغ يهز القلبَ ولا يُدْميه ، وهذا الاكتئاب لطيف يمسُّ النفوس مسّاً خفيفاً ، ولا يبعث فيها اليأس والقنوط .

والنتيجة أن شعر الوقوف على الأطلال قد فقد كثيراً من عناصره ومقوّماته في شعر شعراء الغزَل العُذريّ ، فأشبه لذلك شعر الغزل نفسه ، وكاد يمتزج به امتزاجاً في طريقته ومعانيه معاً .

الدكتور عزة حسن

***

التعريف والنقد

نور الدين زنكي

٥١٥ — ٥٦٩ هـ = ١١١٨ — ١١٧٤ م

الملك العادل : نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي : من أشهر ملوك العرب (١) والإسلام — بل لعله أشهرهم جميعاً — في الحروب الصليبية . تميز بجرأته وشجاعته ، وبإقدامه وهمته ، وبعزيمته ورأيه ، وبدينه وتقواه ، وبجهاده وعدله ، وبما كان من غزواته — وكان أكثرها موفقاً — في خضد شوكة الفرنجة ، وصدّ عاديتهم عن ديار مصر والشام . واستخلاص الكثير من البقاع والمدُن التي كانوا استولَوا عليها . وقد يكون أعظم من هذا كلّه ، وهو ما مكنّه من القيام بما قام به ، أنه توصل بسياسته وحزمه ، وبحسن إدارته وتدبيره ، إلى توحيد القسم الأكبر من بلاد الشام ، بعد أن كانت مزقتها المطامع والفتن والدسائس . ثم ما كان بعد ذلك من جمعه القطرين : مصر والشام في دولة واحدة .

وما صلاح الدين الأيوبي على علو شأنه وبعيد صيته وشهرته ، في العالمين : الشرقي والغربي ، إلاّ صنيعة من صنائع نور الدين ، وحسنة من حسناته . فلولا ما كان من سياسة نور الدين ، ومن حسن اختياره للرجال ، وتوطيده دعائم الملك على أساس من الوحدة والاستقلال ، لما تم لصلاح الدين ما تم ، من المضي في ما كان نور الدين قد قام به ، ومهد له ، بل كان على صلاح الدين أن يعمل ما سبق لنور الدين أن عمله ، ومن يدري أكان صلاح الدين يستطيع ما استطاعه نور الدين ويوفق إليه ، أم كان يعجز عنه ؟

(١) نعم ! العرب ولنا كلام في هذا الموضوع .

وكثيرون من مؤرخي الفرنجة الذين كتبوا عن نور الدين أثنوا عليه الثناء الجميل ونوّهُوا بمزاياه وفضائله ، على شدته على أقوامهم ، وظهوره عليهم في أغلب وقائعه . غير أن الكتاب القيّم الممتع هو الكتاب الذي وضعه الأستاذ « نيكيتا آلسيف » Nikita Elsseff هو من أجمع ما كُتب عن الملك العادل : نور الدين ، والكتاب ثلاثة أجزاء في ألف صفحة . ضمّنت حوادث هذا الملك وأعماله ونوادره ، ووقائعه .

ففي الجزء الأول : قدّم المؤلف لكتابه بمقدمة موجزة نوّه فيها بنور الدين ، وبما له من شهرة سطّرها له التاريخ . واستشهد المؤلف على أقواله فيه ، بما سبق لمؤرخي الشرق والغرب أن قالوه عنه . وقد لقبه بعض من أرّخ له من الفرنجة بـ « الملك العظيم والقدّيس الذي يخاف الله »

على أن أحداً ممن كتب عن الملك العادل : نور الدين عربياً أم غير عربي ، لم يبلغ مبلغ (نيكيتا Nikita Elsseff) في وفرة الموادّ ، واستيعاب الموضوعات ، بحيث كاد لا يترك شاردة ولا واردة عن هذا الملك إلاّ أحصاها . هذا في حسن ترتيب وتبويب ، وفي لغة سهلة ناصعة . وقد عدد المؤلف المصادر التي اعتمدها فأربت على العشرات بل المئات . وترجم لكثير ممن نقل عنهم . وناقش آراءهم مناقشة المؤرخ المنصف . غير أنه شكا فقدان الوثائق والمستندات الرسمية وغير الرسمية التي يمكن أن يضيفها الكاتب إلى صفحات التاريخ . في حديثه عن المشرق العربي في هذه الفترة التي تمتد من أواخر الحكم الأيوبي ، إلى أوائل الحكم التركي العثماني .

وبعد هذا ، تبسط في الحديث عن الجغرافية الطبيعية السورية في ما انتهى إليه ملك نور الدين الممتد من شواطيء الفرات إلى شواطيء الأردن ، ومن جبال طورس إلى جبال الجليل . وصف ما في هذا الملك من جبال وسهول ، وأودية ووهاد ، ومياه وأقنية وجسور وطرقات وممابر إلى غير ذلك .

أما الجزء الثاني فموضوعه : تاريخ سورية السياسي ، في القرن الحادي عشر الميلادي . استهله بتاريخ بني زنكي . وقال : « كان في هذا القرن دولتان تتجاذبان أهداب الخلافة العباسية : الدولة البيزنطية والدولة الفاطمية المصرية .

وكانت مصر تحكم فلسطين ونصف سورية : القدس ودمشق وحمص . حتى أن دعوتها بلغت الموصل ولم تخل بغداد من شيء منها . في هذا المضطرب السياسي ، والحروب مستعرة ، في بلاد تتعاقب عليها الدول ، دولةٌ دولة ، ويقوم الحكام « فيها حاكم بعد حاكم . والفرنجة في البلاد يريدون أن يتوغلوا فيها ، ويحاولون أن يثبتوا أقدامهم في ما احتلوه منها ، في هذا اليوم العصيب توفي عماد الدين زنكي . فخلفه ابنه نور الدين على حلب ، وابنه الأكبر سيف الدين غازي على الموصل . ثم يذكر المؤلف ما كان من انفراد نور الدين بعد ذلك بالملك ، واستيلائه على كثير مما كان في يد الفرنجة . ثم توحيد سورية من الموصل وحلب في الشمال ، إلى بصرى وصرخد في الجنوب ، خطاً مستطيلاً . وهي بلاد فيها سهول حارم والبقاع ، وغوطة دمشق ، وأرض حوران ، تقوم بمؤنة هذه الدولة وحاجة أهلها .

أما الفرنجة فكانوا يومئذ في مستطيل على الشواطىء البحرية يمتد من اسكندرونة إلى غزة . يفصل بين الفريقين نهر العاصي وجبال لبنان . الفرنجة وراءهم البحر ، والعرب من ورائهم الصحراء .

وكان الافرنج ثلاث دول لاتينية ، أضعفتها الفتن الداخلية ، والتنازع على الملك ، والطاعية فيه — فعادت مفككة العرى ، لا قبل لها بدفع نور الدين عنها ، وقد أصبح في دولة متماسكة الأطراف ، موحدة القوى .

أمضى نور الدين عشر سنوات في شبه هدنة مع أعدائه . لا يتعرض لهم إن هم لم يتعرضوا له . فمكّنه ذلك من توطيد حكمه على أساس متين ، ومن تأليف قلوب المسلمين .

وقد كان أشد ما يقلقه ، أن يهاجم مصر صليبو القدس . ومصر يومئذ في اضطراب وفتن : تمزير وزراء ، وخلع أمراء ، وتقتيل خلفاء ، وضيق حال ، وفقدان المال ، وممالئة للفرنجة .

فما إن تمت لنور الدين وحدة في سورية ، حتى التفت إلى مصر فرماها بأحد قواده : شيركوه مؤسس الدولة الأيوبية . فبلغ منها مراده ، وضمها إلى سورية وجعلها دولة واحدة .

يقول المؤلف : وكان الرأي بين نور الدين وصلاح الدين ، في مصر والشام مختلفاً . كان نور الدين يرى في الشام ، قاعدة الملك ، ودعامة الاستقلال ، والمرتكز في الدفاع عن الإسلام ، ولم تكن مصر في رأيه ، إلا المورد المادي والمعنوي للشام في جهاده . أما صلاح الدين فكان يرى عكس هذا الرأي ، يرى في مصر الركن الأقوى ، والمستند الأعز ، في هذه الحروب ، ولا سيا بعد أن قام حلف بين الفرنجة والبيزنطيين ، والخوف أن يكون منها هجوم على مصر .

وإذا كان المسلمون قد تلقوا دعوة نور الدين إلى الجهاد ، بالايمان بها ، والايجاب والقبول لها ، لما فيها من صدق ونبل وخدمة للإسلام ، فنهضوا تحت رايته ، فهذه الدعوة الحق لم تنتزع ما في نفوس الأمراء والحكام من تطلع إلى الحكم ورغبة فيه . ولعله كان بلغ وطره وتمت له وحدة أجمع لولا هذا ، ولولا ما انتاب بلاده من العوامل الطبيعية من زلازل تتابعت فشغلته بمعالجة ماخلفته من نكبات ومصاعب ، عن كثير من نوازع نفسه ، ومرامي أهدافه .

وأما الجزء الثالث من هذا الكتاب فموضوعه ، ما كان من أعمال نور الدين الاجتماعية : الصناعية والزراعية والعسكرية والعمرانية . يقول المؤلف ومن أعماله الخيرية أنه أنشأ ثلاثة بيمارستانات (مستشفيات) واحد في الرقة — وقد عفيت آثاره — والثاني في حلب والثالث في دمشق .

ويعقب المؤلف على هذا العمل الإنساني بقوله : ويقال إن أول بيمارستان أحدث في الإسلام ، هو البيمارستان الذي أنشأه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ ٧٠٧ م .

وإن الرشيد بنى في بغداد أول بيمارستان في القرن العاشر . ثم تكاثرت المستشفيات في عاصمة العباسيين وكانت تقوم عليها هيئة طبية فيها المسلمون والنصارى واليهود .

ويعود المؤلف في حديثه إلى نور الدين ، فيذكر ما أنشأه من مدارس وطرقات وجسور ومعابر وحمامات وسبل وأقنية وأسواق ودور منها دار العدل (العادلية) ودار الضرب ، ومراقبة المسكوكات ، وكانت تكون من ذهب وفضة ومن نحاس يطبع عليه اسمه .

وكان يعنى بالإدارة المالية وبتجهيز الجيوش من خيالة ومشاة ، ويراقب الزكاة والصدقة ولم يهمل الزراعة فكان منها زراعة التوت فساعدت على إنشاء الصناعات الحريرية .

يقول المؤلف :

وكانت الطبقات الاجتماعية على عهد نور الدين : الطبقة الارستوقراطية العسكرية ، وتتألف من ترك وكرد يقيمون بالمدن .

ويأتي بعد هؤلاء « الاغراب » (يريد الترك والكرد) الأشراف أبناء علي بن أبي طالب ولهم نقيب يعنى بشؤونهم ، وبالدفاع عن حقوقهم ، ويحفظ أنسابهم .

والطبقة الوسطى وسماها (البرجوازية) ويمكن أن نطلق عليها (الملأ أو الوجوه أو الأعيان) وهم خيار التجار .

ثم أرباب الوظائف ، فأصحاب الأملاك ، وأصحاب المهن .

يقول : وفي المدن إلى جانب هذه الطبقات جماعات من غير المسلمين ، من اليعاقبة والنساطرة والأرثوذكس واليهود ، يعاملون بالحسنى .

والسكّان على الجملة موزعون في أحياء ، كل طبقة ولها حيّها وعليها نقيبها . ولم يكن للذميين أحياء خاصة في عهد نور الدين .

ويختم المؤلف حديثه بخلاصة يقول فيها :

وعلى الجملة فقد كان نور الدين حسنة من حسنات الزمان : دين صحيح ، وجهاد حق ، فلا عجب أن يلقب بـ (شمس المعالي وفلكها) وصفاته هذه يستمدها من أصالة تركية ، وتربية عربية جعلتا منه حامي الإسلام وعماد حضارته . وتقوى نور الدين وعدله ، لا تزال ذكراهما حية في نفوس السوريين عامة ، والدمشقيين خاصة . يقف المار بقبره فيقرأ له الفاتحة .

وليست كلمتنا هذه على طولها بناهضة بحق هذا الكتاب القيّم الممتع . ومن الاساءة إلى العروبة والإسلام وإلى تاريخها ، أن لا يعنى من يعنى بتاريخ العرب ، من أفراد أو حكومات أو مؤسسات — بنقله إلى العربية . ليكون مرجعاً من مراجع التاريخ .

فالشكر للأستاذ مرتين : شكر على ما ألّف ، وشكر على ما أنصف .

عارف النكدي

❋❋❋

النبوة

إصلاح تقتضيه رحمة الله

تأليف الأستاذ الشيخ سعدي ياسين

الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت لبنان)

طلع علينا هذا المؤلَّف الكريم بهذا العنوان الدالّ على مسماه أوضح دلالة ، وقد أسعفني الوقت والتوفيق فقرأته بإمعان ، ووجدت فيه من الفوائد والفرائد ما هو جدير بجميل الذكر ، وجزيل الشكر لله سبحانه على ما ألهم ، ثم للمؤلف الشيخ سعدي على ما أودعه تلك الفصول الجامعة في القرآن العظيم ، ومعجزات الرسول الكريم التي لا تحتمل الجدل في إثبات نبوته ورسالته ، صلوات الله وسلامه عليه .

أما كتاب الله المنزل ووحيه المعجز ، فهو الآية السماوية التي أوجدت أمة مسلمة نامية ، وشريعة عظمى باقية ، ولقد أعز الله به هذه الأمة بعد ذلة ، وكثرهم بعد قلة ، وقوّاهم بعد ضعف ، وألّف بين قلوبهم بعد عداء مستمر ، وقتال مستحر كادت معه القبائل يفني بعضها بعضاً .

وإنّ من يمعن النظر في السيرة النبوية يجد فيها بياناً واضحاً لأصول الإسلام الراسخة وعقائده الصحيحة ، وأحكام العبادات والمعاملات ، وما تضمنته من حكم وأسرار ، على وجه يشرب قلوبهم حبّ الدين ، ويبعث فيهم روح النشاط والاغتباط به . ويحملهم على العمل بأحكامه والوقوف عند حدود أوامره ونواهيه فعلاً وتركاً ، امتثالاً مبنيّاً على الإيمان الصادق بأن الشريعة أبرّ بالإنسان وأرفق به من أبيه وأمه ، وأن جميع ما شرعه تعالى فهو لخير مجتمعهم الإنساني ، ولدفع الشرور والغوائل عنهم .

هذا ونرجو أن يكون فهرس الكتاب في طبعة ثانية مفصلاً لا مجملاً ، لتوجيه الأنظار لما حواه من حقائق جديرة بالاطلاع عليها والاستفادة منها .

وضعت أثناء قراءتي للكتاب جدولاً لكلمات الخطأ والصواب وها هي ذي :

ص	س	الخطأ	الصواب
١٩	١٢	آمنوا	« آمنوا منكم »
٢٠	السطر الأخير	أنهم .... وأن	« إنَّهم .... وإنَّ »
٢٥	١٧	فسألتها	« فسأكتبها »
٢٦	٢	وأتبعوا	« وآتبعوا »
٤٢	٧	ربٌّ	« ربِّ »
٤٢	٩	ربَّ	« ربِّ »
٤٣	٩	أكلتُم	« أكلتُمَ »
٤٣	١٤	وأصاني	« وأوصاني »
٥٩	السطر الأخير	من المجد	المنجد
٧٣	٢	أن	أو
٧٦	١٣	فليس نبي	فليس نبيا
٨٠	٤	سوله	رسوله
٨٠	١١	لا تقولوا	« ولا تقولوا »
٨٠	١١	انتهوا إنما	« انتهوا خيراً لكم إنما »

محمد بهجة البيطار

الأرض والسماء

تأليف : ا . فولكوف ، ترجمة الدكتور أدهم السمان

وهو الكتاب الثامن من سلسلة تبسيط العلوم التي تصدرها وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي . دمشق ١٩٦٨

ورد تحت عنوان هذا الكتاب أنه أحاديث ترفيهية في الجغرافيا والفلك . وهو في الحقيقة يسوق المطالع إلى جولة سريعة يستعرض فيها الأرض أولاً : فيتكلم عن المعتقدات القديمة عن تسطح الأرض وعن كرويتها ، ثم عن مساعي البشر لاستكشاف ما كان مجهولاً فيها من مناطق وقارّات .

ثم ينتقل إلى الكلام عن الجاذبية الأرضية وأحلام الإنسان للتخلص من هذه الجاذبية والانطلاق في الفضاء حتى يصل إلى الكواكب . ويتكلم عن الأقمار الصنعية والمراكب الكونية السوفييتية الأولى التي ظهرت حتى عام ١٩٦٠ .

وفيه فصل خاص يصف فيه طبيعة القمر ونزول الإنسان عليه ، بالاستناد إلى المعلومات العلمية التي كانت متوفرة حول هذا الموضوع حتى ذلك التاريخ .

ويتكلم عن مركبتي (لونيك) اللتين أرسلتا إلى القمر عام ١٩٥٩ في فجر عصر الفضاء وكيف أن الأولى منها نزلت على القمر كالقذيفة وأن الثانية مرت بالقرب منه وصورت وجهه الخلفي الذي لا يرى من الأرض ، فكانت الصور التي ثبتها فوصلت إلى الأرض على متن الأثير أول ما عرفه الإنسان عن هذا الوجه .

ثم يتكلم عن المجموعة الشمسية فينتقل من عطارد إلى الزهرة ، ويذكر أول كوكب سيار اصطناعي قذف عام ١٩٥٩ ، ثم يتكلم عن المريخ ، فحزام النجوم الذي يلي مداره مدار المريخ ، ثم المشتري فزحل فاورانوس فنبتون وبلوتون .

ويلي ذلك عدة فصول عن النيازك والشهب والنجوم المذنبة وينتهي الكتاب بالكلام عن الشمس والنجوم المعروفة بالثابتة .

ترى أن الكتاب يسير بالقارىء في رحلة سريعة مبسّطة يجول فيها كل هذه العوالم ، فيعطيه عنها معلومات أساسية سهلة ، وهو مكتوب بلغة بسيطة وليس فيه حسابات تزعج القارىء أو تربكه .

وقد لفت نظرنا في الصفحة ٢٢ منه القول بأن فيثاغورس كان يعيش منذ ألفي عام ، والمعروف هو أن فيثاغورس قد عاش في القرن السادس قبل المسيح . ويقول كذلك أن أرسطو قد جاء بعد فيثاغورس بمائتي عام وهو صحيح ، ولكن على أساس أنه عاش في القرن الرابع قبل المسيح أي في عهد الاسكندر .

وقد لحظنا في الصفحة ٩٧ استعماله لكلمة الفضولي بمعنى Curieux ، والفضولي في الحقيقة هو الذي يشتغل فيما لا يعنيه ، ومن الأصوب استعمال لفظة : مولع ، أو محب الاستطلاع [١] . لأن الفضول خصلة ذميمة ولا يمكن أن تكون صفة للعالم ولا للمستكشف . هذا ، والكتاب سهل المطالعة جداً وفي مستوى فئة واسعة من الناس ، لا تكاد تعلو عن سوية الشهادة الإعدادية .

ونعتقد أن النسخة الأصلية الروسية من هذا الكتاب نشرت حوالي عام ١٩٦١ ، لذلك جاء خلواً من ذكر الفتوحات الباهرة التي حدثت في علم الفضاء في السنوات التسع الأخيرة وهي كثيرة وهامّة جداً .

وجيه السمّان

---

(١) في المعجم أن لفظة (طُلَعَة) تعني الكثير التطلع إلى الشيء (المجلة) .

ديوان توبة بن الحُمَيِّر الخفاجي

صاحب ليلى الأخيلية

عدد الصفحات / ١٤٤ / من القطع المتوسط

طبع في مطبعة الإرشاد (بغداد) عام / ١٩٦٨

هـذا ديوان شاعر اشتهر بين شعراء الحب . وعرف بمحبوبته الشاعرة ليلى الأخيلية التي أصابت من الشهرة أكثر مما أصاب ، فليلى الأخيلية قد يعدّها النقاد ثانية الشعراء من النساء بعد الخنساء . قام بتحقيق الديوان وعلّق عليه وقدّمه الأستاذ خليل ابراهيم العطية .

يبدأ الديوان بأبيات ثلاثة أثبتها المقدم في الصفحة الأولى ، ثم تأتي بعد ذلك مقدمة تناول بها الأستاذ العطية حياة توبة وشعره ، وتحدث فيها عن نسبه وسيرته ، وأخباره مع ليلى الأخيلية ، وهذه أهم ما في حيـاة هذا الشاعر المغمور ، ثم يصل إلى علاقات توبة مع جميل بثينة الشاعر المعروف ، ثم عصر الشاعر ومقتله . وينتهي هذا التقديم المجدي إلى الحديث عن شعر الشاعر وعن الديوان نفسه ، والمخطوطة التي رجـع إليها المحقق ، وما قام به من عمل يستحق الشكر والعرفان .

وقد أشار المحقق إلى بحور الشعر للأبيات الواردة كما وضع رقماً لكل بيت ، وهذه طريقة تسهل القراءة على المطالع وقد ملأ شعر توبة / ٢٩ / صفحة من الديوان ، وأما باقي المجموعة فقد تناولت أخبار ليلى وتوبة وتقع في / ٢٥ / صفحة ، ثم ذيل الديوان الذي يقع في / ٦ / صفحات و / ٤ / صفحات من شعر نسب إلى توبة ولم تثبت نسبته ، ثم التخريجات وهي / ١١ / صفحة ، ثم قائمة بالمراجع والمصادر ملأت / ١٠ / صفحات ، ثم جـدول بالفهارس : للقوافي والأعلام ، والقبائل ، والأماكن ، ثم جدول بالخطـأ والصواب المطبعي .

والديوان على صغره حجماً قد استوفى موضوعه ، وكانت تعليقات المحقق وشروحه وتخريجاته كافية وافية تدل على نفس طويل في العمل وصدر واسع في الجهد المبذول ، وهما صفتان تدخلان في طباع العلماء الذين يرجى لهم التوفيق والنجاح في السعي العلمي إلى خدمة اللغة العربية وآدابها .

أحمد الجندي

ديوان ليلى الأخيلية

عدد صفحاته / ٢٢٠ / من القطع المتوسط
جمع وتحقيق خليل ابراهيم العطية وجليل العطية من مطبوعات
وزارة الثقافة والإرشاد العراقية لعام / ١٩٦٧

هذا ديوان شاعرة كبيرة هي الثانية بين شعراء العربية قاطبة بعد الخنساء ، وهي عدا شعرها ، يعتبر تاريخها من موضوعات القصة العربية في الغزل إلى جانب ليلى وبثينة وعزة .

يبدأ الديوان بكلمة مقتبسة من كتاب « مسالك الأبصار » لابن العمري عن الشاعرة ، ثم بأبيات قالها فيها زميلها وعشيقها توبة بن الحميّر ، ثم بعد ذلك المقدمة المختصرة ، ثم حياة الشاعرة وشعرها ، ومصادر هذا الشعر وهي : « عرض موجز لأهم من تناول سيرة ليلى أو روى شعرها » على قول أحد المحققين الأستاذ خليل العطية ، وتقع هذه المقدمة وما يتبعها ويلحق بها في / ٣٨ / صفحة

تأتي بعد ذلك قصائد الديوان وأبياته ، وقد رتبها المحقق على الأبجدية وجعل لكل قصيدة رقماً ، ثم قدم لها بالتخريج والمصدر الذي رجع إليه ثم أشار إلى البحر الذي نظمت عليه القصيدة ، ثم الشرح الوافي للكلمات الغريبة ، ويقع مجموع شعر الديوان في / ٧٢ / صفحة .

ثم تأتي بعد ذلك الفهارس وهي تتناول : القوافي والأعلام من الأشخاص ، ثم القبائل والجماعات والأرهاط ، ثم الأماكن والجبال والمياه ، ثم اللغة ، ثم المصادر والمراجع ، ونعتقد أن المحققين قد بالغا في الجهد المبذول بسبيل هذه الفهارس التي كادت تذهب بحجم الديوان الصغير رغم ما في ذلك من فائدة ، وحبذا لو صرف المحققون جميعاً مثل هـذا الجهد في سبيل الكتب الضخمة والمراجع التي يحتاج مطالعوها إلى مثل هذه الفهارس .

إن المحققين قد سدّا ثغرة في الشعر العربي باخراجها هذا الديوان إخراجاً جديداً ، رغم ما أشارا إليه من اهتمام بعض الأدباء سابقاً في جمع بعض شعر الشاعرة ؛ وهذا الديوان لا تستغني عنه مكتبة خاصة أو عامة ، يرجع القارىء فيها إلى الشعر العربي في العصر الأموي .

أ . ج

❊❊❊

فهرس المقتطف

١٨٧٦ — ١٩٥٢ م

في ثلاثة أجزاء عدد صفحاتها ٢١٥٩

وقف على تحريره : فؤاد صروف ولندا صدقة

طبـــع بالمطابع الأهلية اللبنانية ببيروت ١٩٦٧ م

من منشورات الجامعة الأميركية ببيروت

هذا فهرس لمجلة المقتطف لمنشئيه الدكتورين يعقوب صروف وفارس نمر ، أشرفت على إعداده هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية ببيروت ، وأعضاؤها الأساتذة يوسف إيبش ، وجبرائيل جبور ، ووليـد خالدي ، ومحمود زايد ، وقسطنطين زريق ، ونقولا زيادة ، وزين نور الدين زين ، وفؤاد صروف ، وكمال صليبي ، وإحسان عباس ، ونبيـه أمين فارس ،

وماجد فخري ، وأنيس فريحة ، وأنطون كرم ، وصبحي محمصاني ، ومحمد نجم ، وكمال يازجي .

وكان قد قام الدكتور أحمد قدسي بفهرسة القسم الأكبر من المقتطف، فبادرت الهيئة المذكورة إلى الاتصال به للحصول على البطاقات الجاهزة لديه ، ومن ثم عملت على استكمال العمل .

وقد استقر الرأي على أن يشمل الفهرس كل ما ورد في المقتطف في ثلاث فئات عامة من المواد غير منفصلة إحداها عن الأخرى ، مرتبة على حروف المعجم .

أما الفئة الأولى فتضم كل عنوان ورد في المقتطف ، وقد اختصرت بعض العناوين أحياناً بحذف كلمة أو كلمتين على وجه لا يغير المعنى ولا سياق الألفاظ فمثلاً : عنوان الأعضاء الأثرية في جسم الحيوان والإنسان أسقطت منه كلمة جسم .

وأما الفئة الثانية فتشمل الموضوعات ، خذ مثلاً موضوع حياة وموضوع جبل أو جبال ، فقد أورد تحت مادة حياة ، وتحت مادة جبل ، وتحت مادة جبال ، فتجد مثلاً تحت مادة حياة عناوين من هذا القبيل : خلود الحياة في فلسفة إقبال أو العلم أمام سر الحياة ... وتحت مادة الجبال عناوين من هذا القبيل : أعظم الجبال ارتفاعاً أو مراصد الجبال الخ ..

وأما الفئة الثالثة فتضم أسماء الكتّاب والأشخاص ، وهذه الأسماء ترد في الفهرس بطرق متعددة فكلما ورد عنوان مقال ، أينما كان موقعه في الفهرس فان اسم كاتبه يليه ، فتحت حرف الباء ، وتحت موضوع (بابل —) تجد مثلاً ، وعنوان : تاريخ بابل واشور ، ويليه اسم كاتب المقال جميل نخلة المدور ، أو غيره من الذين كتبوا بهذا العنوان أو في هذا الموضوع . وعلى ذلك ترى أسماء الكتّاب واردة تحت عناوين مئات المقالات المفرقة في صفحات المجلدات الثلاثة .

وأما الطريقة الثانية لايراد أسماء الكتّاب فهي وضع الاسم تحت الحرف الأول من الشهرة ، كاسم الشميل أو شميل (شبلي) فانك تجده تحت حرف (ش) ثم يلي الاسم عناوين المقالات المسندة إليه في جميع مجلدات المقتطف مرتبة على السياق المعجمي للكلمة الأولى من العنوان .

وهناك أسماء أشخاص وردت عنهم نبذة ما في المقتطف ، كنبأ وفاة أو الظفر بجائزة ، أو قصيدة أو خطبة في حفل تأبين أو حفل تكريم ، أو إيراد سيرته — وقد وضعت هذه الأسماء تحت الحرف الموافق للحرف الأول من الاسم ، كما هو وارد في المقتطف ، فتجد مثلاً (باستور —) أو (محمد عبده —) أو (شوقي —) وتحت الاسم المقال أو النبأ عن باستور أو محمد عبده أو شوقي ، أو الترجمة له أو قصيدة تشيد به أو بذكره .

وقد ورد تحت كل مقال مسند إلى كاتب أو عالم أجنبي اسم الكاتب أو العالم كما ورد في المقتطف ، فمقال « ما تم المصريين القدماء » يليه اسم « بدج » أي أن بدج هو كاتبه ، أو مقال : « الدماغ والعقل كالشمعة ونورها » يليه اسم كاتبه ارثركيث وأن كثرة هذه الأسماء الواردة في المقتطف مقصورة على الشهرة كبدج مثلاً ، فتركت على حالها .

وكل مادة من هذه المواد تتبعها أرقام تدل على مكان وجودها في مجلدات المقتطف بذكر المجلد (ج) والسنة بين قوسين ( ) و الصفحة (ص) .

وقد جرت الهيئة المذكورة في تنظيم مواد الفهرس على حروف المعجم وعلى إهمال أل التعريف ، وقد حذفت كل الألقاب العلمية والدينية وغيرها كالدكتور والشيخ واللورد والسر والمطران والبك والباشا إلا إذا كان اللقب جزءاً من العنوان .

ونرى بهذه المناسبة الاشارة إلى أنه كان يستحسن أن يفصل بين كتاب المقالات والأبحاث المرتبة على الشهرة ، على الموضوعات فيجعل لكل منها

حقل خاص ، وحبذا لو أن الهيئة الكريمة قد أضافت أنواعاً أخرى من الفهارس إلى هذا الفهرس كفهرس الكتب والمجلات والجرائد ، وللأعلام الأشخاص ، وللشعوب والقبائل ، والأمكنة والبلدان ، كل واحد مستقل عن الآخر ، وذلك تقديراً للمقتطف الذي أدى خدمات جلى للعلم والأدب ، وكان عاملاً كبيراً في تثقيف الناس في العالمين العربي والإسلامى .

ولا بد لنا قبل أن نختم كلمتنا من أن نشيد بالجهود العظيمة التي بذلت في تنسيق هذا الفهرس ونشره ، راجين من الفضلاء العاملين أن ينحوا هذا المنحى بوضع فهارس لأمهات المجلات العربية ليستفاد من موضوعاتها بسهولة في البحث والتأليف والمطالعة .

عمر رضا كحالة

***

كتاب الاشتقاق

تأليف : عبد الملك بن قريب الأصمعي

تحقيق : محمد حسن آل ياسين

عدد صفحاته ٤٩ ، طبع بمطبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد

١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م

ينسب مؤلف هذه الرسالة إلى قبيلة باهلة ، وإلى جده أصمع . ولد بالبصرة سنة ١٢٣ هـ ، ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها ، ورحل إلى البادية ، وكتب عن أهلها اللغة والأدب . ويمتاز الأصمعي بمحافظة جيدة ، وجودة الإلقاء ، وكان واسع العلم باللغة وألفاظها وتحديد معانيها واشتقاقها . وتوفي سنة ٢١٧ هـ وقيل غير ذلك . وخلف مجموعة ثمينة من كتبه ورسائله ، عد منها محقق الكتاب ٦٠ كتاباً .

والاشتقاق كما يفسره علماء اللغة ، أخذ شيء من شيء ، أو التفريع والأخذ ، حيث نجد بين اللفظين تناسباً ، في المعنى والتركيب ، فنعرف رَدَّ أحدهما إلى الآخر وأخذه منه .

واعتمد المحقق نسختين من هـذا الكتاب ، الأولى نسخة دار الكتب الرضوية بمدينة مشهد الايرانية ، تحمل رقم ٣٦٤٤ عـام ، والثانية نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، تحمل رقم ٦ (لغة ش) .

وبين النسختين اختلافات كثيرة ، ولعـل لاختلاف سند النسختين من حيث الرواية ، أثراً فيما يظهر بينهما من اختلاف وهو اختلاف يمكن تقسيمه إلى نوعين : اختلاف في صياغة العبارة مع المحافظة على وحدة المعنى ، واختلاف من حيث المعنى ، وزيادات في كل منهما عن الأخرى .

وقد عمل المحقق فهرساً للألفاظ التي وردت في هذه الرسالة ، مرتبة على حروف المعجم ، ممـا سهل على القارىء والباحث عملها . أحسن الله إليه على ما بذل من جهد في تحقيق هذا الكتاب ، متمنين له كل نجاح وتقدير .

ع . ك

❋❋❋

الرسالة الكاملية في السيرة النبوية

تأليف : ابن النفيس

تحقيق : مايرهوف وشخت

عدد صفحاتها ٥٣ ، طبعت بمطبعة اكسفورد ١٩٦٨ م

ولد ابن النفيس بدمشق سنة ٦٠٧ تقريباً ، ونشأ بها ، واشتغل بتحصيل العلوم والآداب ، فأخـذ الطب عن مهذب الدين الدخوار ، وقد برع ابن النفيس في أكثر العلوم التي تلقاهـا عن مشايخه أو طالعها بنفسه ، فكان

إماماً في الطب ، كما نبغ في الفقه وأصوله والنحو والبيان والحديث والسيرة النبوية والمنطق وغير ذلك ، ورحل إلى القاهرة ، وتوفي بها في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٧ هـ .

وتتألف هذه الرسالة من أربعة أبواب : الأول في كيفية تكون هذا الانسان المسمى بكامل وكيفية وصوله إلى تعرف العلوم والنبوات ، ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول : الأول في بيان كيفية تكون الرجل المسمى بكامل ، والثاني في كيفية تعرف كامل للعلوم والحكمة ، والثالث في بيان كيفية وصول كامل إلى تعرف أمر النبوات .

ويبحث الباب الثاني في كيفية توصل كامل إلى معرفة السيرة النبوية ، ويشتمل هذا الباب على عشرة فصول : الأول في نسب النبي ، والثاني في موطنه ، والثالث في تربيته ، والرابع في حاله ، والخامس في هيئته ، والسادس في حاله في الأمراض ومقدار العمر ، والسابع في أولاده ، والثامن في كيفية دعوته ، والتاسع في اسمه ، والعاشر في كتابه .

ويبحث الباب الثالث في بيان كيفية تعرف كامل لسنة النبي ، ويشتمل على الفصول الآتية : فيما يأتي النبي من صفات الله تعالى ، وفيما يأتي به من أمر المعاد ، وفي العبادات التي يأتي بشرعها النبي ، وفي المعاملات التي يأتي بشرعها النبي ، وفي الأشياء التي ينبغي أن يسنها النبي في تدبير المنزل ونفقة الزوجات والعبيد والأقارب ، وفيما يسنه النبي من العقوبات .

ويبحث الباب الرابع في كيفية وصول كامل إلى معرفة الحوادث التي تكون بعد وفاة النبي ، ويشتمل على عشرة فصول : الأول في كيفية تعرف كامل لما يقع بين أصحاب النبي من المنازعة على الخلافة بعد وفاته ، والثاني في تعرف كامل لما يقع بعد موت النبي من تنازع ومقاتلة ، والثالث في

كيفية تعرف كامل لما يحدث لملة النبي لأجل عصيانهم من العقوبة ، والخامس في كيفية تعرف كامل بحال الكفار الذين يكون لهم عقوبة هـذه الملة ، والسادس في كيفية تعرف كامل بحال البلاد التي لا يتمكن هؤلاء الكفار من الاستيلاء عليها ، والسابع في كيفية تعرف كامل بحال سلطان البلاد الذي يتقي لهذه الملة المجاورة لما ينتهي إليه ملك أولئك الكفار ، والثامن في كيفية تعرف كامل بأحوال حفدة الملك المتاخم للكفار ، والتاسع في كيفية تعرف كامل لما يحدث في العالم العلوي بعد وفاة النبي ، والعاشر في كيفية تعرف كامل لما يحدث في العالم السفلي بعد وفاة النبي .

وقد اعتمد المحققان الفاضلان لتحقيق هذه الرسالة ، على مخطوطتين : الأولى بمكتبة عاشر أفندي بالاستانة برقم ٤٦١ ، والثانية بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٩ مجاميع . كما ألحقا بها مقدمات وتعليقات ومعلومات باللغة الانكليزية في ٨٣ صفحة ، وهي مفيدة جداً تستحق كل عناية وتقدير .

ع . ك

***

الرقة

تأليف : عبد القادر عيّاش

عدد صفحاتها ٨٨ ، من منشورات دير الزور — ١٩٦٨ م

الرقة هي إحـدى مدن وادي الفرات السوري ، وهي ذات حضارة قديمة ، يدل على ذلك ما فيها من آثار كمغاور وكهوف ، وتلال اصطناعية فيها حطام أواني فخارية ملونة ، وطرق قديمة مرصوفة بالحجارة ، وسدود نهرية ، وبقايا ركائز نواعير ومطاحن مائية وحمامات على شاطىء الفرات ،

وآبار قديمة في البادية الفراتية ، ومدافن أرضية ، وزوايا وجوامع وأديرة ، وأطلال قلاع وحصون .

وتقع مدينة الرقة على ضفة نهر الفرات ، شرقي مدينـة حلب على بعد ١٨٠ كيلو متراً وشمال غربي مدينة دير الزور على بعد ١٤٠ كيلو متراً . وقد أحرزت هذه المدينة منذ القديم أهمية لموقعها في نقطة متوسطة ، فكانت محطة تجـارية هامة بين الجزيرة الفراتية والشام والعراق وأرمينية وآسيا الصغرى والبحر الأبيض المتوسط . وكانت لهذه الأسباب مركزاً لتجمـع البشر منذ العصور القديمة ، وموطناً لتقدم الحضارة ، ومركزاً لتبادل السلع ، وتجميع الحاصلات والمؤن وتصديرها إلى بلاد كثيرة عن طريق الفرات المائي ، وعن الطريق البري عن ضفاف الفرات . كما كانت الرقة مركزاً عسكرياً ممتازاً غنياً بخيراته وبعدد سكانه وبطرقه البرية والمائية ، وهي بالنظر لوفرة خيراتها تستطيع أن تمون الجيوش التي تمر بها .

وظلت الرقة في عهد الحكومة السورية إحدى مناطق دير الزور حتى سنة ١٩٦٠ م فجعلت محافظة من محافظات الجمهورية العربية السورية .

وأما الموضوعات التي عالجها المؤلف في كتابه فهي حضارة وادي الفرات السوري ، اقليم الرقة ، الرقة في العهد الروماني ، الرقة في العهد الاغريقي فتح العرب لمدينة الرقة ، الخليفة الرابع (علي بن أبي طالب) في الرقة ، الرقة في العهد الأموي ، الشاعر أبو زبيد الطائي ، الشاعر ابن قيس الرقيات ، حصن مسلمة بن عبد الملك ، آثار هشام بن عبد الملك ، الزهري محدث الرقة . جابر عثرات الكرام ، بعض من نزل الرقة من الصحابة والتابعين ، بعض من نشأ في الرقة من الكتـــاب . الرقة في العهد العباسي ، الرقة في عهد المنصور ، الرقة في عهد المهدي ، الرقة في عهد الرشيد ، آخر عهد الرشيد بالرقة ، البرامكة في الرقـــة قبل نكبتهم وبعدها ، الرشيد

والأدباء في الرقة ، الرقة في عهد الأمين ، الرقة في عهد المأمون ، اتصال محنة خلق القرآن بالرقة ، ولاة الرقة وشعراؤها ، الرقة في عهد المعتصم ، الرقة في عهد المتوكل ، الرقة في عهد الطولونيين ، الرقة في عهد المكتفي بالله ، البتاني العالم الفلكي ، الرقة في عهد المقتدر ، الرقة في عهد المتقى ، ثقافة أهل الرقة ، الرقة في عهد الحمدانيين ، غلمان الحمدانيين في ارقة ، الرقة في عهد المرداسيين ، الرقة في عهد العقيليين ، الرقة في عهد الأتابكية ، والرقة في عهد الأيوبيين .

وختم البحث بذكر المراجع التي رجع إليها في تأليف مؤلفه ، كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وفوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبي ، وصبح الأعشى للقلقشندي ، وتاريخ الرقة ومن نزلها للقشيري وغيرها من المصادر القديمة والحديثة وعددها ٢٩ مصدراً .

وبالختام نشكر الأستاذ المؤلف على ما بذل من جهد في سبيل جمع وتنسيق مادة الكتاب المتشعبة الأطراف والتي تحتاج إلى صبر وجلد متمنين له المثابرة على اصدار دراساته عن مدن الفرات ونواحيه .

ع . ك

قطب السرور
في
أوصاف الخمور

هذا الكتاب لمصنفه أبي إسحاق ابراهيم المعروف بالرقيق النديم هو من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. فرغ من تحقيقه وطبعه الأستاذ الشاعر أحمد الجندي في نيسان الماضي من هذا العام. وكان عمله شاقاً مثمراً، فقد أحيا كتاباً بقي مهملاً على الرفوف الغبر زمناً طويلاً، وعانى المحقق في تحقيقه والتعليق على حواشيه مشقة بالغة. والكتاب موسوعة محيطة بأخبار الشعراء ومنافع الأشربة ومضارها على مذاهب الفلاسفة وما جاء في مبادرة اللذات والمنادمة وأدب السقاة والسكر وما جاء في تحريم الخمر واختلاف الآراء في الأشربة. هذا إلى طائفة مختارة من الخمريات لا تجد بعضها في الكتب والدواوين المعروفة.

أعتقد أن جمهرة الأدباء سترحب بهذا الأثر النفيس، وستشكر للأستاذ المحقق جهده القيم الذي أضيف إلى حسناته السالفة، وستعجب بحسّه الصادق وذوقه الرفيع الذي وفق في أكثر الأحيان، وأكاد أقول كلها إلى انتقاء كلمات تقع مكان الكلمات المطموسة أو الساقطة من المخطوطة فيحسن موقعها، وتشعر باطمئنانها وعدم قلقها.

أشكر لمجمع اللغة العربية أنه نفحني بهذه الهدية الثمينة، وأرجو أن يفسح لي من مجلته مكاناً أثبت فيه ما عنّ لي خلال مطالعتي الكتاب من ملحوظات، وما أسعفني به الخاطر من تعقيبات.

ولن أطيل، ولن أقف عند كل ما بدا لي أنه هفوة، فذلك عبء على المجلة. ولعل الوقوف عند كل كلمة عمل المحقق لا عمل المعقّب الملمّ.

والكتاب ضخم سلخ صديقي الأستاذ الجندي في تحقيقه زهاء سنتين كما قال في المقدمة . فهل ينبغي لي — بمثل نقدات الطائر — أن أحيط بالجليل والدقيق مشفوعين بتقديم البرهان على الصحة والخطأ ؟

جاء في السطر ٩ من الصفحة ٢ قوله (نشربها صفراء كالجصِّ) والصواب (كالحص) بالحاء وهو الزعفران .

وجاء في السطر الأول من الصفحة الخامسة قوله (سحائب جُلـّيت برقاً ورعداً) والصواب (سحائب أجلبت ...)

وفي السطر السادس من الصفحة ٢٩ قوله (بكيت نفسي فيك إذ ولىَّ) والمرويّ (بكيت عيشي) وهو مناسب المقام وبه يصح تعليق الجار والمجرور فيك .

وفي السطر ١٣ من الصفحة ٣٩ قوله ـ والكلام على الجفون ـ : (لتذكر من فقد الكرى بعضها بعضا) ولا معنى لهذا ، والصواب (لينكر من فقد الكرى بعضها بعضا) .

وفي السطر ٩ من الصفحة ٤٣ قوله (تؤاهلني طوراً وتهجر تارة) وهو محرَّف عن (تواصلني طوراً وتهجر تارة)

وفي السطر ١٠ من الصفحة ٤٤ قوله (ضدان خوتها سلم لأنفسنا) وقد فسَّر المعلق الخوت بمعنى الانقضاض ، والصواب (ضدان حربها سلم لأنفسنا) والحرب في الأبيات بين الجو والنار اللذين يتراجمان .

وفي السطر ١١ من الصفحة ٤٤ قول الشاعر — وقد غمَّ على المحقق لأنه غير مقروء في المخطوط — (فأنعم به واحبه باللهو تحليةً) وأرى أن الأصل (واحبه باللهو تحبله) .

وفي السطر ٥ من الصفحة ٤٦ (فالذي تبتغي وترجوه قد خطه القلم) والصواب (تتقي وترجوه) للمطابقة ، وعليه قول المتنبي :

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

وفي السطر ١٢ من الصفحة ٥٩ (يا زناد السماء من أدراكا) والصواب (من أوراكا) .

وفي السطر ١١ من الصفحة ٦٤ (ومرّهت بالذهب) مع قول المحقق في الحاشية المرهة البياض لا يخالطه غيره ، والصواب (وموّهت بالذهب) .

وفي السطر ٩ من الصفحة ٨٠ قوله (حتى صلـّيت العتمة) وأرجح أن الصواب (حلـّت العتمة) .

وفي السطر ١٠ من الصفحة ٩٢ (ان الحق في هؤلاء) والصواب (أن الحدّ في هؤلاء) والحديث عن جماعة أخذوا على شراب .

وفي السطر ١١ من الصفحة ١٠٤ (مولع بالمراء أو بالشباب) وصوابه (أو بالسباب) .

وفي السطر ٩ من الصفحة ١١٢ (بتغذية الخثولة والمموم) وصوابه (بتفذية) .

وفي السطر ٦ من الصفحة ١١٥ قوله — وقد نقله المحقق عن الأصل على ما فيه ولم يتكلف إصلاح الخطأ كمادته — (كأن حبابا درّها حدقاً زرقا) ويمكن إصلاح المصراع بقولك (تخال حباباً فوقهـا حدقاً زرقا) إلا إذا أجريت هذا الكلام مجرى الشاهد :

كأن أذنيه إذا تشوفا قادمة أو قلماً محرّفا

وفي السطر ٤ من الصفحة ١٢١ (... وأغلقت مصارع من دوني) والصواب (مصاريع) جمع مصراع .

وفي السطر ١ من الصفحة ١٣٣ (شواء ووطاء وغنـاء) والصواب (شواء وطلاء وغناء) للمناسبة .

وفي السطر ٩ من الصفحة ١٣٣ (وأحوجني مع قسوتي إلى رقة شعره) والصواب (مع فسوقي) وهو مشهور في حديث للفرزدق ، ويؤكده السياق لأن الفسوق يلائم الرقة .

وفي السطر ٦ من الصفحة ١٣٧ قوله : (أعددت لي فيك إذ ألقاك أكفانا) والمرويّ (أعددت لي قبل أن ألقاك أكفانا) وهو أصح لموافقته مقتضى الحال ، لأن إعداد الأكفان يكون قبل اللقاء . وواضح أن (فيك) محرّفة عن (قبل) و (إذ) محرفة عن (أن) .

وفي السطر ٣ من الصفحة ١٥٣ (بالمائة دينار) والصواب (بمائة الدينار) .

وفي السطر ٣ من الصفحة ١٥٤ (سروراً وفوائد وطرائق اختبار) والصواب (وطرائف أخبار) .

وفي السطر ٥ من الصفحة ١٧١ — والمصراع من أبيات وزنها من المتقارب — (لا تقع الدهر في صاحب) والصواب (ولا تقع ...) وسامح الله المطبعة التي أسقطت الواو فخرمت فعولن .

وفي السطر ٨ من الصفحة ١٧٣ (معتقة كرقراق الشراب) والصواب (السراب) يشبه تناهيها في الرقة بالسراب .

وفي السطر ٧ من الصفحة ١٧٦ (ذروة الكاس) والصواب (درة الكاس) .

وفي السطر ٤ من الصفحة ١٨٧ (لشيش مقليّ) بتشديد الياء . وفي الحاشية أن الاشيش لون من الطعام . والصواب (نشيش مقْلَى) بالألف اللينة ، والنشيش صوت المقلى . والكلمة جواب عن سؤال جائع (أي صوت تشتهي أن تغني لك ؟) .

وفي السطر ٦ من الصفحة ١٩٣ (والورد والخيري قد لاحا) والصواب (قد فاحا) اجتناباً للايطاء بتكرير (لاحا) في البيتين الأول والثاني .

وفي السطر ١٠ من الصفحة ٢٧٢ — والحديث عن الجماع على الشراب — (وأعظم ضرره أن يعتريه النقرس) والصواب (لمن يعتريه النقرس)

وفي حاشية الصفحة ٢٧٥ في معرض الكلام على بيت امرىء القيس :

تمتع من الدنيا فانك فانٍ من النشوات والنساء الحسان

قال المحقق : لكن ضرب البيت في آخر الشطر الثاني قد جاء فعولن بدلاً من مفاعلن مما جعل نغمته في الأذن غير نغمة البحر الطويل العادي الذي ينتهي بمفاعلن .

وأقول إن (فعولن) هو ثالث أضرب الطويل . والذي جعل نغمة البيت غير مستساغة هو أن فعولن التي قبل الضرب لم تقبض فتتحول إلى فعولُ كما يوجب علماء العروض .

وفي السطر ١١ من الصفحة ٢٧٩ (تمالوا فشقوا أنفساً قبل موتها) والصواب (فسقّوا) .

وفي السطر ٩ من الصفحة ٢٨١ قوله (خطب سألاقيه) وهو مصراع من الهزج مختل الوزن .

وفي السطر ١ من الصفحة ٢٨٣ — والحديث عن اللذة — (ذهبت عليه نفسه حسرات) والصواب (ذهبت عليها) .

وفي السطر ٥ من الصفحة ٢٩٠ (أذن له في المفاوضة معهم) وأرجح أنها (في المقارضة معهم) .

وفي السطر ١١ من الصفحة ٢٩٧ (استدرت حميا الكأس) والصواب (استدارت) .

وفي السطر ٩ من الصفحة ٣٠٣ (وطاء الكتف وخلع ثوب الكبر) والصواب (وطاءة الكَنَف) أي سهولة الأخلاق .

وفي السطر ٢ من الصفحة ٣٠٤ (وتغمده ما كان منه) والصواب (وتغمّده) .

وفي السطر ٥ من الصفحة ٣٠٩ قوله (دعاء يهود مسنتين على نهر) وجاء في حاشية المحقق (أسنت القوم أجدبوا وأصلها من السنة) والصواب (دعاء يهود مسبتين على نهر) من السبت . وعليه قول ابن الرومي وهو

مقتبس من القرآن الكريم :

قد سبتنا وما أتتنا وكانوا يوم لا يسبتون لا تأتيهم

وفي السطر ٢ من الصفحة ٣١١ قوله (فدعواته ولائم وأقداحه محاجم) والصواب عندي (فدعواته مآتم وأقداحه محاجم) لأن الموضوع لا يحتمل الصيغة الأولى ما دام المعرض ذماً .

وفي السطر ١١ من الصفحة ٣٢٠ قول الأعشى :

ولقد شربت ثمانياً وثمانياً وثمان عشرة واثنتين وأربعا

وجاء في الحاشية قول المحقق في التعقيب على (ثمان عشرة) (كذا في الأصل) والأصل صحيح إذ يقال ثمان عشرة كما يقال ثماني عشرة .

وجاء في السطر ٨ من الصفحة ٣٢١ قوله (ثلاثة أرطـال لدى اللب مقنع) والصواب (لذي اللب)

وجـاء في السطر ١٢ من الصفحة ٣٢١ قوله (سرج عليك لموكب الشيطان) والصواب (لمركب الشيطان) .

وفي السطر ٨ من الصفحة ٣٢٥ قوله :

وتداو من شرب الخمار بشربه تنفي الخمار وإن بدا لك فارقدِ

والصواب (تنف الخمار) بالجزم .

وفي السطر ٦ من الصفحة ٣٢٧ قوله :

قد تأذت بنا الشياطين والجن جميعـاً وصالح العُمّارِ

والصواب (وصائح العمار) أي من يصيح من الجن .

وجاء في السطر ١٥ من الصفحة ٣٣٩ قول ابن المعتز من أرجوزته في ذم الصبوح :

إذا أردت الشرب عند الفجر

والنجم في لجة الليل يسري

وكان برد بالنسيم يرتعــــد

ولا معنى لقوله (بالنسيم يرتمد) وليس فيه جواب لإذا . وعلى ما فيه نقله طه حسين في كتابه (من حديث الشعر والنثر) وعبد المنعم الخفاجي في رسائل ابن المعتز . والصواب ما نقله أبو نصر المقدسي في كتابه (اللطائف والظرائف) وعليه اعتمدت ، وهو قوله (وكان برد فالنديم مرتمد) .

وفي السطر ٩ من الصفحة ٣٤٠ قول ابن المعتز في الأرجوزة :

أعجل من مسواكه وزينته

وهيئة تظهر حسن صورته والصواب (أعْجِلَ عن مسواكه وزينته)

وفي السطر ١٢ من الصفحة ٣٤٠ قوله في الأرجوزة نفسها (فجفنه بجفنه مرنق) والأصح (مدبّق) .

وفي السطر ٩ من الصفحة ٣٤١ (يرمي بها الجمر) والصواب (يرمي به الجمر) لأن الضمير عائد على شرر الكانون .

وفي السطر ٦ من الصفحة ٣٤٢ (قيل فلان وفلان قد صحا) وفي رواية (قد أتى) وهي أصح ، لأن المعرض الحديث في مجلس الصبوح عن ورود من يحتشمون منه فيرفع الريحان والنبيذ ولا معنى لقوله (قد صحا) .

وفي السطر ٨ من الصفحة ٣٤٢ قوله (فطوّل الكلامَ حيناً وجَشَمْ) ولا وجه لهذه الرواية المحرّفة عن قوله (فطُوِي الكلام حيناً وختم) أي يطوي أهل المجلس الكلام عن الثقيل المحتشم الذي يرد عليهم ليعكر صفوهم .

وفي السطر ٣ من الصفحة ٣٤٣ قوله :

وانهزم البق وكن رتعا

على الدماء واردات شرعا

والأصح (وكن وقعا) في بعض المصادر لصحة تعليق الجار والمجرور .

وفي السطر ٥ من الصفحة ٣٤٣ قوله في الأرجوزة :

من بعد ما قد أكل الأجسادا

وطيرت عن الورى الرقادا

والصواب (أكلوا) وإن كان الجمع للعاقلين في معرض الحديث عن البق ، ولا وجه للافراد ثم العودة إلى الجمع في قوله (وطيرت) .

وفي السطر ٦ من الصفحة ٣٤٣ قوله (وطيرت عن الورى الرقادا) والوجه أن يقال (وطيروا) لأنها معطوفة على (أكلوا) في البيت السابق .

وفي السطر الأول من الصفحة ٣٤٤ قوله :

وإن أردت الشرب بعد الفجر

والصبح قد سلّ سيوف الحر

والصواب هذه الرواية :

وإن أردت الشرب عند الفجر

والصيف قد سل سيوف الحر

أما قوله (عند الفجر) فهو وقت الصبوح . وأما (الصيف) فالحر منسوب إليه لا إلى الصبح .

وفي السطر ١١ من الصفحة ٣٤٥ قوله (وهمّ بالعربدة الوحية) وفي رواية (العربدة الوحشية) .

وفي السطر ١٥ من الصفحة ٣٤٥ قوله (فان دعا الشقي للطعام) والصواب (بالطعام) يريد ان طلب الطعام ليأكل .

وفي السطر ١٤ من الصفحة ٣٤٦ (وأذنه كجفنة الدقّاق) والذي أرتضيه هذه الرواية (وأذنه كحقة الدبّاق) — والدبق غراء — والوجه أن الحديث عن احمرار عين الجليس ودبق أذنه ووسخ جلده وذلك أدعى للتناسب بين هذه الصفات . وفي كتاب (اللطائف والظرائف) (وأذنه كحقة ، الدرياق) وهو مقبول أيضاً .

وفي السطر ٧ من الصفحة ٣٤٧ قوله (هذا لنا وما تركت أكثر) والصواب (هذا كذا) .

وفي السطر ١٠ من الصفحة ٣٦٩ قوله :

لم أجـــد فيما تصرّفت على الكأس كريما

وأرى أن الأصل :

لم أجـــد في من تعرّفت على الكأس كريما

وفي السطر ٥ من الصفحة ٣٨٦ قوله — والحديث عن الساقي — (وعنقودها من شعرها الجمد يقطف) والصواب (من شعره) .

وفي السطر ١٥ من الصفحة ٣٨٦ قوله من أبيات وزنها الخفيف :

هو كالبدر بل إن نور البـدر من نور وجهه يستعار

وهو مختل الوزن .

وفي السطر ١٣ من الصفحة ٤٠١ قول الأخطل :

صريع مدام يرفع الشرب رأسه ليحنى وقد ماتت عظام ومفصل

وفي رواية (ليحيا) وهي أصح للمطابقة بين الموت والحياة .

وفي السطر ٢ من الصفحة ٤١٤ قوله :

إلى شرب العفاريت إلى شرب المجانين

وفي تكرير (المجانين) في بيتين متتابعين ايطاء يمكن التخلص منه بقولك (إلى شرب الشياطين) .

وفي السطر ٥ من الصفحة ٤١٤ قوله :

وملنا فتلوينـــا تلوّي الثعـابينِ

وجاء في الحاشية قول المحقق للتنبيه (كذا في الأصل) ، وقبض مفاعيلن جائز في الهزج على قبح .

وورد في السطر ٣ من الصفحة ٤١٥ قوله :

فما ذر قرن الشمس حتى رأيتنا من الغي نحكي أحمد بن هشام

والصواب (من العيّ) أي العجز عن الافصاح .

وجاء في السطر ٢ من الصفحة ٤٣٠ قوله (نبهت ندماني إلى مسمد) وهذا صدر بيت من السريع وسائر الأبيات من المنسرح .

وفي السطر الأول من الصفحة ٤٣٥ قوله في صفة معربد :

فقلت وقد سمعت له نخيراً حوالينا الصدود ولا علينا

ويستقيم المعنى بقولك (حوالينا المدوّ) .

وفي السطر ١٧ من الصفحة ٤٥٩ يقول المحقق في نسبة هـذا البيت إلى قائله :

فتنفست في البيت إذ مزجت كتنفس الريحان في الأنف

نرجح أنه الحسن بن هانىء . ومن المحقق أن هذا البيت لأبي نواس ، وقد أورده مؤلف (قطب السرور) في الصفحة ٦٣٩ منسوباً إلى أبي نواس .

وفي السطر ٢ من الصفحة ٥٠٧ قوله :

لعل أمير المؤمنين يسوءه منادمنا في الجوسق المتهدم

والمرويّ (تنادمنا) وهو الصحيح .

وفي السطر ٦ من الصفحة ٥٣٢ قوله :

كأن الحباب إذا صفقت سموط من الدر فوق الحبب

وواضح أن الحبب والحبـاب واحد ، ولا يستقيم المعنى إلا بقولك (فوق الذهب) .

وفي الصفحة ٥٤٨ ستة أبيات منسوبة لديك الجن أولها :

وليلة بات طل الغيث ينسجها حتى إذا كملت أضحى يدبجها

وقد نسبهـا صاحب (يتيمة الدهر) إلى الخبّاز البلدي مع اختلاف في عدد الأبيات وألفاظها .

وفي السطر ٤ من الصفحة ٥٥٥ قوله :

والغيم رطب ينادي يا غافلين الصبوحْ

وجاء في الحاشية قول المحقق معلقاً على قوله (يا غافلين الصبوح) (كذا في الأصل) فان أراد التنبيه على خطأ فليس في قول الشاعر ما يؤخذ عليه .

وفي السطر ٢ من الصفحة ٥٦٥ قوله :

يسقيكها من بني النصارى رشأ   منتسب عيده إلى الأحد

وجاء في الحاشية قول المحقق معلقاً على صدر البيت (كذا في الأصل) وليس ما يوجب التنبيه .

وفي السطر ٢ من الصفحة ٥٦٨ قول بشار :

حسدت عليها كل شيء يحبها   وما كنت لولا حبها بحسود

وفي ديوان بشار (كل شيء يمسها) وهو الأصح ، يريد الأشياء التي تمس جسمها كالثوب والكأس وما جرى مجراها .

وفي السطر ٥ من الصفحة ٥٦٨ قول أبي العتاهية :

قلت والإصباح قد ألبسه   سدفُ الليل ستور السوادِ

والبيت من ثلاثة أبيات وزنها المديد ، غير أن الصدر من الرمل . ويستقيم الوزن بقولك (ألبستْهُ) .

وجاء في السطر ١١ من الصفحة ٥٨٣ قوله :

(وأزكى نارها الشعرى العبور) والصواب (وأذكت نارها) .

وفي السطر ٧ من الصفحة ٥٨٦ قوله :

كان ذهن الزمان عندها غير حاضر

البيت من مجزوء الخفيف وهو مختل الوزن .

وفي السطر ١٠ من الصفحة ٥٨٨ قوله :

لها جيوش من الملاهي   لهم قدَّمَها فرارُ

ويصح العجز غير الموزون بقولك (قُدّامها) .

وفي السطر ٨ من الصفحة ٦١٩ قوله :

إذا دب فيها الماء قارن صعبة جنوحاً عليه سهلة في الحناجر

ولا معنى لجنوحاً في البيت ، والمرجح أنها كما يرى المحقق في الحاشية (جموحاً) وبها يستقيم المعنى . وإلى هذا قصد أبو تمام القائل في الخمر :

صعبت وراض المزج سيء خلقها فتعلمت من حسن خلق المـاء

وفي السطر ٢ من الصفحة ٦٢٠ قوله :

(حتى تعرت غلالة الفجر) وأرجح أنها (تفرّت) إذ لا معنى لتعري الغلالة ، وإنما يتعرى الجسم منها .

وفي السطر ٨ من الصفحة ٦٢٢ قوله :

كأن لبانة ألحاظها تحاول بسط معاذيرها

والأصل في المخطوط (لياقة) وأرى أنه أصح وأكثر ملاءمة للمقتضى ، وإنما يريد أنها بحذقها تحاول تقديم المعاذير .

وفي السطر ٧ من الصفحة ٦٣٢ قوله : (خمراً كأن سناها ضوء مقياس) والصحيح (مقباس) .

وفي السطر ١١ من الصفحة ٦٣٤ قوله :

وكأن الشماع منها على الكف جسادٌ على مذال عروس

وجاء في الحاشية قول المحقق (أذال إذالة صار له ذيل) ، ولا ريب أن (المذال) مصحّف (المداك) وهو حجر يسحق عليه الطيب .

وفي السطر ١٤ من الصفحة ٦٤٠ قوله : (حسبي خمر بطرفه وكفا) والأصح (وكفى) من الكفاية لا من الوكف .

وجاء في السطر ١ من الصفحة ٦٤٥ قوله : (محض الخدود عـذب مصفى) ولا معنى لمحض الخدود وعندي أنها تصحيف (الجدود) كما تقول محض النجار .

وورد في السطر ١٢ من الصفحة ٦٤٥ قوله : (فتخلفنا أيدي المدام وتتلف) والصواب (وتتلف) أي تميتنا المدام وتحيينا .

وفي السطر ٣ من الصفحة ٦٤٦ قوله : (ثقلت عجيرته وأرهف خصره) والصواب (عجيزته) .

وفي السطر ٢ من الصفحة ٦٤٧ قوله : (يستوحش الانس إلا بيمه أنفا) ، والمرجح عندي أنها (بيعة) يريد بيعة الراهب أي معبده واحدة البيَع .

وفي السطر ٧ من الصفحة ٦٥٣ قوله :

فكان له فمها مغرباً وكان لها خده مشرقا

والصحيح (فكان لها فمه مغرباً) ومنه قول الشاعر :

وإذا ما غربت في فمه تركت في الخد منه شفقا

وفي السطر ١٠ من الصفحة ٦٦٤ قوله :

ليس إلا بهـا يتم السرور منها لمن عقلْ

البيت من مجزوء الخفيف وفي وزنه اختلال . وبحذف (منها) يصح الوزن مع كف فاعلاتن . والأحسن أن تقول :

ليس إلا بها يتم سرورٌ لمن عقلْ

وفي السطر ٥ من الصفحة ٦٨٥ قوله في الثريا :

في الشرق كأس ، وعند مغربها قرط ، وفي أوسط السما قدمُ

والصواب (في الشرق كف) ومن عادة الشعراء تشبيه الثريا بالكف . قال الشاعر : (كأن الثريا راحة تشبر الدجى) ويشبهونها عند مغربها بالمنقود وهو ما دلَّ عليه بالقرط . قال الشاعر : (والثريا في الغرب كالمنقود) .

وفي السطر ٢ من الصفحة ٦٩١ قوله :

فما ذر قرن الشمس حتى رأيتها من العين تحكي أحمد بن هشام

هذا البيت من ثلاثة أبيات مكررة وردت في ص ٤١٥ من (قطب السرور) مع بعض الاختلاف . وهي شاهد على الاستطراد . يوهمك الشاعر أنه يصف الخمر ليخلص إلى هجو أحمد بن هشام العيّ . والصواب على ما في إحدى الروايات :

فما ذر قرن الشمس حتى رأيتنا   من العيّ نحكي أحمد بن هشام

وفي السطر ٨ من الصفحة ٦٩٧ قوله : (ناعمات يزيدها العمر لينا) وعندي أن الأصل (يزيدها الغمز) .

وفي السطر ٨ من الصفحة ٧٠٠ قوله (واغشائها العينين باللمعان) ويقول المحقق في الحاشية غشّى وأغشى غطّى . والصواب (واعشائها) بالعين من العشا وهو سوء البصر .

وفي السطر ٢ من الصفحة ٧٠٤ قوله في النديم :

قد فديناه من الكأس حتى   هشّ للساقي ومدّ البنانا

وعندي أن (فديناه) مصحّف (قريناه) وبها يستقيم المعنى .

وفي السطر ٧ من الصفحة ٧١٦ قول أبي نواس :

مذ كان مولاه أميراً له   فالراح مولاة مواليهـــا

وتصحيحه (من كان ...)

وفي السطر ٤٠ من الصفحة ٧٢٢ قوله :

وعـاطني قهوة إذا مزجت   أرتك منها في كأسها شُغُلا

وتصحيحه (أرتك منها في كأسها شُعَلا) جمع شعلة .

★ ★ ★

هذا ما عنّ لي خلال مطالعتي شعر (قطب السرور) القيم . والله الهادي إلى الصواب .

رفيق فاخوري   (حمص)

آراء وأنباء

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٨٩ / ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الدكتور حسني سبح

٢ الدكتور أسعد الحكيم
٣ « أمجد الطرابلسي
٤ الأستاذ جعفر الحسني (الأمين العام للمجمع)
٥ الدكتور جميل صليبا
٦ « حكمة هاشم
٧ « سامي الدهان
٨ الأستاذ شفيق جبري
٩ الدكتور شكري فيصل
١٠ الأستاذ عارف النكدي
١١ « عبد الهادي هاشم
١٢ الدكتور عدنان الخطيب
١٣ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٤ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٥ « محمد كامل عياد
١٦ الأستاذ محمد المبارك
١٧ « وجيه السمان

الأعضاء المراسلون

الجمهورية العربية السورية

١ الأستاذ عمر أبو ريشة
٢ « محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)
٣ الدكتور قسطنطين زريق

الجمهورية العربية المتحدة

٤ الدكتور أحمد زكي
٥ الدكتور طه حسين

لبنان

٦ الأستاذ أمين نخلة
٧ « أنيس المقدسي

٨ الدكتور صبحي المحمصاني

٩ 〃 عمر فروخ

١٠ الأستاذ محمد جميل بيهم

فلسطين

١١ الأستاذ قدري حافظ طوقان

المملكة الاردنية الهاشمية

١٢ الأستاذ محمد الشريقي

١٣ الدكتور ناصر الدين الأسد

الجمهورية العراقية

١٤ الأستاذ أحمد حامد الصراف

١٥ البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث

١٦ الأستاذ عباس العزاوي

١٧ الشيخ كاظم الدجيلي

١٨ الأستاذ كوركيس عواد

١٩ الشيخ محمد بهجة الأثري

٢٠ الدكتور فيصل دبدوب

٢١ الأستاذ ناجي معروف

٢٢ 〃 محمود شيت خطاب

السودان

٢٣ الشيخ محمد نور الحسن

المملكة العربية السعودية

٢٤ الأستاذ حمد الجاسر

٢٥ 〃 خير الدين الزركلي

المملكة الليبية

٢٦ الأستاذ علي الفقيه حسن

الجمهورية التونسية

٢٧ الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور

٢٨ 〃 محمد الفاضل ابن عاشور

٢٩ 〃 عثمان الكعاك

المملكة المغربية

٣٠ الأستاذ عبد الله كنون

٣١ 〃 علال الفاسي

ايران

٣٢ الدكتور علي أصغر حكمت

الهند

٣٣ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي

٣٤ 〃 أبو الحسن علي الحسني الندوي

باكستان

٣٥ الأستاذ عبد العزيز الميمني

٣٦ الأستاذ محمد صغير حسن معصومي
٣٧ 〃 يوسف البنوري

فرنسة

٣٨ الدكتور بلاشير (رجيس)
٣٩ الأستاذ كولان (جورج)
٤٠ 〃 لاوست (هنري)
٤١ 〃 ماسه (هنري)

بريطانية

٤٢ الأستاذ جيب (ه . ا . ر.)

المانية

٤٣ الأستاذ ريتر (هلموت)

السويد

٤٤ الأستاذ ديدرنغ (س.)

الولايات المتحدة الاميركية

٤٥ الدكتور ضودج (بيارد)
٤٦ 〃 فيليب حتي

اسبانية

٤٧ الأستاذ غومز (اميليو غارسيا)

النمسة

٤٨ الدكتور اشتولز (كارل)
٤٩ الأستاذ موجيك (هانز)

ايطاليا

٥٠ الأستاذ جبريلي (فرانشيسكو)

هولاندة

٥١ الدكتور شخت (يوسف)

الدانيمورك

٥٢ الأستاذ بدرسن (جون)

فنلاندة

٥٣ الأستاذ كرميكو (يوحنا اهتنن)

البرازيل

٥٤ الأستاذ رشيد سليم الخوري

المجر

٥٥ الدكتور عبد الكريم جرمانوس

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

الجمهورية العربية السورية

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ 〃 سليم البخاري
٣ 〃 مسعود الكواكبي
٤ الأستاذ إلياس قدسي
٥ 〃 أنيس سلوم
٦ 〃 جميل العظم
٧ 〃 سليم عنحوري
٨ 〃 عبد الله رعد
٩ 〃 رشيد بقدونس
١٠ 〃 أديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الأستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ 〃 محمد البزم
١٦ 〃 سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)
١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الدكتور مرشد خاطر
٢٠ الأستاذ فارس الخوري
٢١ الأب جرجس شلحت
٢٢ الأب جرجس منش
٢٣ الأستاذ قسطاكي الحمصي
٢٤ الشيخ كامل الغزي
٢٥ الأستاذ ميخائيل الصقال
٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٧ 〃 راغب الطباخ
٢٨ 〃 عبد الحميد الجابري
٢٩ 〃 عبد الحميد الكيالي
٣٠ 〃 محمد زين العابدين
٣١ الدكتور صالح قنباز
٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
٣٣ الأستاذ ادوار مرقص
٣٤ الشيخ سعيد العرفي
٣٥ البطريرك ماراغناطيوس افرام
٣٦ الشيخ أمين سويد
٣٧ الدكتور جميل الخاني
٣٨ الأستاذ متري قندلفت
٣٩ 〃 عز الدين التنوخي (نائب الرئيس)
٤٠ 〃 نظير زيتون (حمص)
٤١ 〃 الرئيس الأمير مصطفى الشهابي
٤٢ الدكتور عبد الرحمن الكيالي (حلب)

الجمهورية العربية المتحدة

٤٣ الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٤٤ 〃 رفيق العظم

٤٥ الأستاذ أحمد كمال
٤٦ « أحمد تيمور
٤٧ « أحمد زكي باشا
٤٨ الدكتور يعقوب صروف
٤٩ السيد محمد رشيد رضا
٥٠ الأستاذ حافظ إبراهيم
٥١ « أحمد شوقي
٥٢ الشيخ أحمد الاسكندري
٥٣ الأستاذ أسعد خليل داغر
٥٤ « داود بركات
٥٥ الدكتور أمين المعلوف
٥٦ الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٥٧ الشيخ عبد العزيز البشري
٥٨ الدكتور أحمد عيسى
٥٩ الأمير عمر طوسون
٦٠ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٦١ الأستاذ أنطون الجميل
٦٢ « خليل مطران
٦٣ « إبراهيم عبد القادر المازني
٦٤ « محمد لطفي جمعة
٦٥ الدكتور أحمد أمين
٦٦ الأستاذ عبد الحميد العبادي
٦٧ الشيخ محمد الخضر حسين
٦٨ الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٩ « منصور فهمي
٧٠ الأستاذ أحمد لطفي السيد
٧١ « عباس محمود العقاد
٧٢ « خليل ثابت
٧٣ الأمير يوسف كمال
٧٤ الأستاذ أحمد حسن الزيات

لبنان

٧٥ الأستاذ حسن بيهم
٧٦ الأب لويس شيخو
٧٧ الشيخ عبد الله البستاني
٧٨ الأستاذ جبر ضومط
٧٩ « عبد الباسط فتح الله
٨٠ الشيخ عبد الرحمن سلام
٨١ « مصطفى الغلاييني
٨٢ الأستاذ عمر الفاخوري
٨٣ « بولس الخولي
٨٤ « أمين الريحاني
٨٥ الأمير شكيب أرسلان
٨٦ الشيخ إبراهيم المنذر
٨٧ الأستاذ جرجي يني
٨٨ الشيخ أحمد رضا
٨٩ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٩٠ « فيليب طرازي
٩١ الشيخ فؤاد الخطيب

٩٢ الدكتور نقولا فياض
٩٣ الشيخ سليمان ظاهر
٩٤ الأستاذ مارون عبود
٩٥ 〃 بشارة الخوري (الأخطل الصغير)

فلسطين

٩٦ الشيخ سعيد الكرمي
٩٧ الأستاذ نخلة زريق
٩٨ الشيخ خليل الخالدي
٩٩ الأستاذ عبد الله مخلص
١٠٠ 〃 محمد إسعاف النشاشيبي
١٠١ 〃 عادل زعيتر
١٠٢ الأب ا. س. مرمرجي الدومنكي

الجمهورية العراقية

١٠٣ الأستاذ محمود شكري الآلوسي
١٠٤ 〃 جميل صدقي الزهاوي
١٠٥ 〃 معروف الرصافي
١٠٦ 〃 طـه الراوي
١٠٧ الأب أنستاس ماري الكرملي
١٠٨ الدكتور داود الچلبي
١٠٩ الأستاذ طـه الهاشمي
١١٠ 〃 محمد رضا الشبيبي
١١١ 〃 ساطع الحصري
١١٢ 〃 منير القاضي
١١٣ الدكتور مصطفى جواد (بغداد)

الجمهورية التونسية

١١٤ الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب

الجمهورية الجزائرية

١١٥ الشيخ محمد بن أبي شنب
١١٦ الأستاذ محمد البشير الابراهيمي

المملكة المغربية

١١٧ الأستاذ محمد الحجوي
١١٨ 〃 عبد الحي الكتاني

تركية

١١٩ الأستاذ زكي مغامز
١٢٠ 〃 أحمد أتش

ايران

١٢١ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني
١٢٢ الأستاذ عباس إقبال

الهند

١٢٣ الحكيم محمد أجمل خان

فرنسة

١٢٤ الأستاذ فران (جبرئيل)
١٢٥ 〃 هوار (كليمان)
١٢٦ 〃 بوفا (لوسيان)
١٢٧ 〃 مالنجو

١٢٨ الأستاذ كي (ارتور)
١٢٩ 〃 باسه (رينه)
١٣٠ 〃 ميشو بلّيّر
١٣١ 〃 مارسيه (وليم)
١٣٢ 〃 دوسو (رينه)
١٣٣ 〃 ماسينيون (لويس)

بريطانية

١٣٤ الأستاذ مرجليوث (د . س .)
١٣٥ 〃 بفن
١٣٦ 〃 براون (ادوارد)
١٣٧ 〃 كرينكو (فريتز)
١٣٨ 〃 غليوم (الفرد)
١٣٩ 〃 أربري (أ . ج .)

المانية

١٤٠ الأستاذ هومل
١٤١ 〃 ساخاو (ادوارد)
١٤٢ 〃 هوروفيتز (يوسف)
١٤٣ 〃 هارتمان (مارتين)
١٤٤ 〃 ميتفوخ (أوجين)
١٤٥ 〃 بروكلمن (كارل)
١٤٦ 〃 هارتمان (ريشارد)

المجر

١٤٧ الأستاذ غولد صيهر (اغناطيوس)
١٤٨ الأستاذ ماهلر (ادوارد)

الولايات المتحدة الأميركية

١٤٩ الأستاذ ماكدونالد (د . ب .)
١٥٠ 〃 هرزفلد (ارنست)
١٥١ 〃 سارطون (جورج)

الاتحاد السوفياتي

١٥٢ الأستاذ كراتشكوفسكي (أ)
١٥٣ 〃 برتلز (ايفيكين)

اسبانية

١٥٤ الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)

البرتغال

١٥٥ الأستاذ لوبس (دافيد)

ايطالية

١٥٦ الأستاذ جويدي (اغنازيو)
١٥٧ 〃 نالينو (كارلو)
١٥٨ 〃 غريفيني (اوجينيو)

سويسرة

١٥٩ الأستاذ مونته (ادوارد)
١٦٠ 〃 هس (ج . ج .)

بولونية

١٦١ الأستاذ كوفالسكي (ت .)

تشكوسلوفاكية

١٦٢ الأستاذ موزل (الوا)

هولاندة

١٦٣ الأستاذ هورغرنيه (سنوك)

١٦٤ « اوراندوك (ك .)

١٦٥ « هوتسما (م . ت .)

الدانيارك

١٦٦ الأستاذ بوهل (ف . م . ب .)

١٦٧ « استروب (ج .)

السويد

١٦٨ الأستاذ سترستين (ك . ف .)

البرازيل

١٦٩ الأستاذ سعيد أبو جمرة



كلمة سيادة الدكتور مصطفى حداد

وزير التعليم العالي

ممثل سيادة الدكتور رئيس الدولة

في حفل افتتاح المهرجان العلمي الكبير

١٩٦٩/١١/١

أيها السادة :

إنه لشرف كبير لي أن أنوب عن السيد رئيس الدولة الدكتور نور الدين الأتاسي في افتتاح مهرجانكم العلمي الكبير هذا . كما أجدها فرصة طيبة لأتقدم له باسم وزارة التعليم العالي وباسم المجلس الأعلى للعلوم بوافر الشكر على رعاية هذا المهرجان .

أيها السادة العلماء :

إنه لمن دواعي سرورنا أن نلتقي بكم في دمشق الخالدة ، ونحن نخوض معركة المصير لإرساء القواعد الثابتة لمجتمعنا ولتحرير أجزاء عزيزة على كل منا من وطننا الكبير . وإن دل هذا المهرجان العلمي على شيء فانه يدل على إيماننا بأن العلم هو الطريق الوحيدة التي نقضي بها على آثار التخلف الذي فرضه علينا الاستعمار ، وهو السبيل الواضح لنتدارك ما فاتنا من ركب الحضارة العالمية ولنبني وطننا ونستثمر خيراته بأنفسنا ونقيم مجتمعاً اشتراكياً ديموقراطياً ينعم فيه كل مواطن بالرفاهية والرخاء .

أيها السادة :

لقد كانت رسالة أمتنا العربية إلى العالم رسالة إنسانية ، رسالة محبة وإخاء ، رسالة عطاء وسخاء ، رسالة عدالة ومساواة . فمن الواجب علينا

أن نبدأ العمل من أجل هذه الرسالة وأن نتعاون مع غيرنا من الشعوب الصديقة ليبقى العلم في خدمة الإنسان وتقدمه ورفاهيته ، لا ليصبح أداة لإفناء الحضارة والحياة كما يريده الاستعماريون والامبرياليون .

لقد أخذنا على عاتقنا غرس جذور العلم في كل مكان لأننا نؤمن بأن العلم يحقق أهدافنا في خلق مجتمع اشتراكي موحد مزدهر لا يعرف الخوف ولا يرهب الكفاح لتأمين التقدم والحرية والسلام .

أيها السادة العلماء :

إن مهرجان العلم الذي نقيمه هذا العام في القطر العربي السوري هو القبس الذي نوقده لننير لأنفسنا الطريق ، وإذا كنا نقيم في كل عام أسبوعاً للعلم فاننا نتيح بذلك الفرصة أمام العلماء من أبناء هذا القطر للعيش في جو علمي يتشاورون فيه مع زملائهم الذين يفدون من الأقطار الشقيقة والدول الصديقة . وإذا كان مثل هذا التلاقي الخصب المنتج ، وما يرافقه من بحوث ومحاضرات ومناقشات ، يخلف أطيب الآثار في توسيع آفاق علمائنا المشاركين ، فإنه يتيح الفرصة أيضاً أمام ضيوفنا للاطلاع على ما يحققه قطرنا من تقدم في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

إن المجلس الأعلى للعلوم الذي أنهى مرحلة التخطيط العلمي خلال العقد السابق من عمره بجد وإخلاص ، لا بد من أن ينتقل إلى مرحلة الإشراف على التنفيذ بأن يتحول إلى مركز قومي للبحوث مزود بكافة الإمكانيات المادية من أجل هذا الغرض . وان وزارة التعليم العالي ستقدم له كل عون في هذا المجال .

وإنه لمن دواعي غبطتنا أن يرافق أسبوع العلم في هذا العام المؤتمر العلمي العربي الذي تنظمه الاتحادات العلمية في أقطار الوطن العربي ، وإننا إذ نرحب

بانعقاد هذا المؤتمر في قطرنا فإننا نرجو له النجاح والتوفيق في تقديم بحوث ودراسات تخدم بصورة مباشرة أو غير مباشرة قضايا أقطار وطننا ، لأننا في هذا القطر نحس أن كل مشكلة يتعرض لها أي قطر عربي إنما هي مشكلتنا ، ونجد أنه من الواجب علينا أن نسهم في حلها ، وان يسهموا معنا في حل مشكلاتنا .

أيها السادة :

لقد فرض على شعبنا أن يعيش حقبة طويلة في ظلمات التخلف : قضى أربعة قرون طوال يرسف في قيود العوز والجهل والمرض ويعاني من النكبات المتلاحقة . فلما انطلق من إساره ، وبدأ مسيرة النهضة ، أكب على لغته الفصحى يذود عنها كما يذود عن حريته وكرامته ، وينفض عنها ما علق بها في العهود المظلمة ، ليعود إليها شبابها ونضارتها ، كما كانت في عهودها الزاهرة . لذلك كان من أول ما قام به شعبنا حين أشرق عليه أول فجر من شمس الحرية بعد الحرب العالمية الأولى أن أنشأ مجمعاً علمياً لبعث لغتنا العربية الأصيلة ، لغة أجدادنا وآبائنا ... لغة حضارتنا واليوم يسعدنا أن نحتفل بالعيد الذهبي لهذا المجمع بمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشائه . وإننا نفاخر بما أنجزه هذا المجمع من إحياء لتراثنا العظيم الذي يشهد على حضارتنا وأهميتها في رقي الإنسانية بأجمعها .

ولم يغب عن شعبنا المناضل وهو في أول أيام استقلاله أن نهضة الشعوب لا تقوم إلا على أساس من العلم مكين فأرسى قواعد بناء معهد الطب ليكون نواة الجامعة المرتقبة ، وقد تطور هذا المعهد الناشىء ، ترعاه عين الشعب ، ويسهر عليه علماؤنا وأساتذتنا حتى غدا اليوم كلية من كليات الطب المرموقة في العالم بأسره بمستوى تدريسها ، ورائدة الكليات الطبية في الوطن العربي

لأنها أخذت على عاتقها تدريس الطب والعلوم الأخرى باللغة العربية وقد كافحت هذه الكلية أيام الاستعمار لأداء رسالتها في ذلك ، وقد تمكنت من إعداد أطباء أكفياء عملوا في مختلف أقطار العالم العربي وأسهموا برفع المستوى الصحي لأبناء شعبنا العربي في كل مكان . واليوم يحتفل قطرنا بالعيد الذهبي لهذه الكلية بمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشائها . وإننا نعاهد كليتنا التي أمدتنا بالعلم الصحيح أن نمدها بكل الإمكانات لنفتح أمامها أبواب التخصص بعد الدرجة الجامعية الأولى ولتبقى الكلية الرائدة في كل مضمار ولتصنع من عبقريات علمائنا العرب نتاجاً يسهم في خدمة العلم وفي تحقيق مبادئنا في صراعنا الثوري ضد التخلف والمرض .

أيها الإخوة العلماء :

إن السعادة تغمر أنفسنا في هذا اليوم العظيم ونحن نبدأ هذا المهرجان العلمي الكبير ، وباسم الجمهورية العربية السورية شعباً وحزباً وحكومة أنتهز هذه المناسبة لأرحب بكم ، وأتمنى لكم النجاح في مؤتمركم وطيب الإقامة في ربوع قطرنا ، بلدكم وبلدنا . وإني أرحب بالسادة ضيوف القطر من العلماء الذين وفدوا من الدول الصديقة ، وإلى اللقاء في دروب العلم والعمل البناء وخدمة أمتنا وتحقيق أهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية .

الدكتور مصطفى حداد

وزير التعليم العالي

تصحيح قرار

قرار رقم (٢٧) تاريخ ٢٠ / ٨ / ١٩٦٩

إن وزير التعليم العالي

بناء على المرسوم التشريعي رقم ١٤٣ تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤

وعلى المادة الثانية عشرة من القرار رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠

وعلى ضبط جلسة مجمع اللغة العربية بدمشق التي عقدت بتاريخ ١٩٦٩/٢/٦ رقم / ٣ /

ونظراً إلى الخطأ الوارد في القرار رقم / ١٤ / تاريخ ١٩٦٩/٤/٢٠ القاضي بتعيين الدكتور ناصر الدين الأسد (الأردن) عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية .

يقرر ما يلي :

١ ــ يصحح القرار رقم / ١٤ / تاريخ ١٩٦٩/٤/٢٠ آنف الذكر على الشكل التالي :

يعين الدكتور ناصر الدين الأسد ـ الأردن ـ عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق .

٢ ــ ينشر هذا القرار ويبلغ لمن يلزم .

دمشق في ١٩٦٩/٨/٢٠

وزير التعليم العالي

وفاة أربري (أ. ج.)

نعت إذاعة لندن يوم ١٩٦٩/١١/٢ المستشرق الكبير الأستاذ الجليل أربري (أ. ج.) أستاذ اللغة العربية بجامعة كمبريدج وكان رحمه الله علماً من أعلام الاستشراق خدم العربية بمؤلفاته وأبحاثه الكثيرة. رحمه الله رحمة واسعة وأجزل ثوابه .

***

وفاة الدكتور مصطفى جواد

ورد على مجمع اللغة العربية بدمشق البرقية التالية :

نعي العلامة الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العلمي العراقي

ينعى المجمع العلمي العراقي ببالغ الحزن والأسى عضوه العامل العلامة الجليل واللغوي الكبير والمؤرخ الثبت الدكتور مصطفى جواد .

لقي ربه عشية الأربعاء من اليوم الثامن من شوال الموافق ١٧ كانون الأول ١٩٦٩ ، فإلى الأمة العربية عامة وإلى مجامع اللغة والهيئات الثقافية خاصة نتقدم بجليل التعزية وجميل المواساة داعين الله الكريم أن يتغمد الفقيد برحمته وأن يجزيه أفضل جزائه وأن يعوض الأمة العربية ما رزئته بفقده .

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

بغداد ـــ العراق عبد الرزاق محيي الدين

١٩٦٩/١٢/١٨

كان رحمه الله أصيلاً في عروبته وإسلامه غيوراً على تراث العربية ومنافحاً بلسانه وقلمه عن اللغة العربية وسلامتها وحجة بقواعدها وأسرارها وبلاغتها ، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل ثوابه وأسكنه فسيح جنانه .

(المجمع)

مؤتمر اتحاد أطباء العرب في بغداد

تقرير عن المهمة التى اضطلعتُ بها في بغداد

بين ٩ — ١٦ كانون الأول ١٩٦٩

الموضوع الأول : لجنة توحيد المصطلحات الطبية

غادرتُ دمشق إلى بغداد استجابة للدعوة التي وجهت إليَّ من اتحاد أطباء العرب في القاهرة والتي صدر مرسوم بالموافقة على سفري برقم (٢٧٢٦) وتاريخ ١٩٦٩/١٢/٧ .

وكان غرض الدعوة المشاركة في عمل لجنة توحيد المصطلحات الطبية ، هذه اللجنة التي تضم ممثلين عن الأقطار العربية الثلاثة .

وكان سفري مساء الثلاثاء (الأول من شوال ١٣٨٩ وفق ١٩٦٩/١٢/٩) وقد انقضى يوم الأربعاء ، اليوم الأول دون أن تتاح لنا فرصة العمل المباشر ، لأن العيد في القطر الشقيق ابتدأ يوم الأربعاء فلم يكن ممكناً أن يكتمل حضور أعضاء اللجنة .

وبدأت الاجتماعات في يوم الخميس في ١٩٦٩/١٢/١١ ، يومية ومتصلة قبل الظهر وبعده واضطرتنا زحمة العمل وضيق الوقت إلى الاجتماع ليلاً كذلك ثلاث مرات .

شرعت اللجنة في مناقشة المصطلحات الطبية التي كانت بدأتها في اجتماعها السابق في الموصل في ربيع هذا العام ، وكانت قد انهت بالمصطلحات الواردة في معجم (Dorland) الطبي حتى حرف (O) . وأنجزنا ما اشتمل عليه حرفا (P و Q) وبعض المصطلحات من حرف (R) حتى بلغ ما أقرته اللجنة زهاء ألفي مصطلح .

وانتهت الاجتماعات بتاريخ ١٩٦٩/١٢/١٦ على أن يكون الاجتماع المقبل إن شاء الله في النصف الأول من شباط ١٩٧٠ لمتابعة العمل ، بعد طبع ما أنجز حتى الآن من المصطلحات الطبية وتوزيعه على من يعنيه الأمر لاستطلاع الرأي ثم البت فيه نهائياً في خلال عام واحد .

الموضوع الثاني : اتحاد المجامع العربية

هذا وقد دُعيت في مساء الاثنين ١٩٦٩/١٢/١٥ إلى شهود جلسة يعقدها المجمع العلمي العراقي ، ودعي إليها الدكتور محمد أحمد سليمان عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة وزميلي في لجنة توحيد المصطلحات الطبية ، وكان من أهداف هذه الجلسة مناقشة الاقتراح الذي كنت عرضته خلال الكلمة التي ألقيتها في دمشق في مدرج الجامعة في ١٩٦٩/١١/٤ بمناسبة الاحتفال بالعيد الخمسيني لمجمعنا ، والذي يعبر عن (رغبة مجمع اللغة العربية في دمشق في إيجاد اتحاد للمجامع العربية ينسق العمل فيما بينها ويوحد جهودها في بلوغ الغاية الواحدة التي تسعى إليها المجامع الثلاثة ...) .

وسبق للأستاذ الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي أن طلب مني نص الفقرة التي تضمنت هذا الاقتراح، وعرض ذلك على أعضاء المجمع العراقي في جلسته السابقة ولاقى الاقتراح استحساناً جماعياً كاملاً من الزملاء العراقيين . وافتتح الجلسة رئيس المجمع الدكتور عبد الرزاق محيي الدين مرحباً بي وبزميلي الدكتور محمد أحمد سليمان وشاكراً لنا حضورنا ، وعاود الحديث عن الاقتراح فأوضحت الغاية منه ، وتكلم بعدي عدد من الزملاء والزميل الدكتور محمد أحمد سليمان وانتهى الأمر إلى اتخاذ القرار التالي :

« في الجلسة التي عقدها المجمع العلمي العراقي في مقره ببغداد بتاريخ ١٩٦٩/١٢/١٥ وحضرها كل من الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق والدكتور محمد أحمد سليمان عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ،

جرى تدارس لإقامة اتحاد بين المجامع اللغوية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد ، وبعد التدارس تم الاتفاق على أن يفاتح مجمع اللغة العربية في القاهرة بالموضوع ليتم إدراجه في جدول الأعمال لمؤتمر مجمع اللغة العربية الذي سيعقد في القاهرة في شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٧٠ .،

وقد درج القرار المذكور في ذيل كتاب موجه إلى رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة مذيل بتوقيع الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي وتوقيعي بصفتي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ، وسلم الكتاب إلى الدكتور محمد أحمد سليمان الذي غادرت وإياه بغداد مساء الثلاثاء الواقع في ١٩٦٩/١٢/١٦ .

وأرجو أن يتاح لي إطلاع الزملاء الأكارم عما يجد بشأن اقتراح مجمعكم خلال انعقاد المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، وقد دعيت إليه ، وكذلك ما سيجد فيما يختص بالاجتماع المقبل للجنة توحيد المصطلحات الطبية والله ولي التوفيق .

الدكتور حسني سبح

❖❖❖

حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديرة بالدراسة

(مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على اكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفها)

- ٥ -

ق ز ب قَزِب : صَلُبَ . والقَزْبُ : الصَّلابة والشِّدَّةُ .

ق س ب قَسُبَ : صَلُبَ . والقَسْبُ : التمرُ اليابِس . ونَوَى القَسْب : أصلَبُ النَّوَى .

وقَسَبَ الماءُ يَقْسِبُ : جَرَى ، وله قَسِيبٌ : جَرْيٌ وصوتٌ .

قال ابنُ السِّكِّيت : مررتُ بالنَّهر وله قَسِيبٌ ، أي جِرْيَةٌ .

وزاد في الأساس : من تحتِ الشَّجر . وفي التَّهذيب : القَسِيب : صوتُ الماء تحت ورق أو قماش . وسمعتُ قَسِيبَ الماءِ أي خريرَه .

ق ش ب قَشَبَه وقَشَّبَه وله : سقاه السَّمَّ . وقَشُبَ الشيء : دَنُسَ ، وكلُّ قَذَرٍ : قَشْبٌ وقَشَبٌ . يقال : ما أَقْشَبَ بَيْتَهُم ، أي ما أقذرَ ما حولَه من الغائط .

القِشْبُ : نباتٌ يسمو من وسطِه قضيبٌ فإذا طال ، تنكّسَ من رطُوبته .

القاشِبُ : الخيّاط الذي يلقط أقشابَه ، وهي عُقَد الخيوط ، ببُزاقه إذا لفظ بها .

القِشْبُ اليابس الصّلْب . والقَشِيبُ من الأضداد .

ق ص ب قَصَبَ البعيرُ الماءَ قَصْباً : مَصَّهُ ، وقُصُوباً : امتنع من شُرب الماء قبل أن يروَى فرفع رأسَه عنه . وبعيرٌ قَصِيبٌ : يَمُصُّ الماءَ مَصّاً . وناقةٌ قاصِبٌ : مُمتَنِعةٌ من شُرب الماء رافِعةٌ رأسَها ، وقَصَب فلاناً : منعَه من الشُّرب وقطَعَه عليه قبلَ أن يَروَى . وأقصَب الراعي : عافَتْ إبلُه الماءَ . وفي المثل : رَعَى فأقصَبَ ، يُضربَ للراعي لأنَّه إذا أساءَ رعيَها لم تشرَب الماءَ .

القَصَبُ : مجاري ماءِ البئر من العيون . قال الأصمعيُّ : قَصَبُ البطحاءِ : مياهٌ تجري إلى عيُونِ الرَّكايا .

القَصَبُ كلُّ نباتٍ ذي أنابيب ، الواحدةُ قَصَبَةٌ . والقَصّابُ : الزمّارُ ، والنّافِخُ في القَصَب .

والقَصّابُ : الجزّارُ كالقاصِب ، وحرفتُه القِصابَةُ . وقيل سُمّيَ القَصّابُ قَصّاباً ، لتَنْقِيَتِه أقصابَ البطن . والقُصْبُ : المِعَى ، وقيل : اسمٌ للأمعاء كلّها . والقَصَبة : كلُّ عظمٍ ذي مُخٍّ .

القَصَبَةُ : البئرُ الحديثةُ الحفْرِ ، والقَصْرُ أو جَوْفُه . وقَصَبَةُ البلاد : مدينَتُها . وقَصَبَةُ القريَة ، وسَطُها .

القِصابُ مُسَنَّاةٌ ، تُبْنى في الاَّحْفِ لئلا يستجمعَ السَّيْلُ فينهدِم عِراقُ الحائطِ بسببه .

ق ض ب القَضْبُ والقَضْبَة : الرَّطْبَةُ . القَضْبُ : شجرٌ سُهْلِيٌّ تُتَّخذُ منه القِسِيُّ وترعى الإبلُ وَرَقَهُ وأطرافَه . والقَضْبَةُ : ما أُكلَ من النَّبات المُقْتَضَب غضّاً طَرِيّاً .

ق ط ب قَطَبَ الشَّرابَ : مَزَجَهُ ، كقَطَّبَه وأقطبَه ، وشرابٌ قطيب ومقطوب أيْ : ممزوج .

وقَطَبَ الإناءَ : ملأهُ ، وقِرْبةٌ مقطوبةٌ أي مملوءَة .

القِطابُ المِزاجُ فيما يُشربُ ولا يُشرب . وفي التهذيب : القَطْبُ : المزْجُ وذلك الخَلْطُ ، ومن هذا يُقال : جاءَ القومُ قاطِبَةً ، أي : جميعاً مختلطاً بعضُهم ببعضٍ .

القَطيبةُ : لبنُ المِعْزَى والضأن يُقطبان ، أو لبن النّاقة والشّاة يُخلطان ويُجمعان . وكلّ ممزوجٍ : قطيبَةٌ .

القُطَبِيَّةُ : ماءٌ لبني زِنباع .

ق ع ب القَعْبُ : القَدَح الضَّخْمُ . وعن ابن الأعرابيّ : أوّل الأقداح الغُمَرُ ، وهو الذي لا يُبْلِغُ الرِّيَّ ، ثم القَعْبُ ، وهو قد يُرْوِي الرَّجُلَ وقد يُرْوي الاثنين والثلاثة ، ثم العُسُّ .

ويقال : هذا كلامٌ له قَعْبٌ ، أي غَوْرٌ .

ق ل ب القَلْبُ : شَحْمَةُ النَّخل ولُبُّه . وقلوبُ الشَّجَر . ما رَخُصَ من أجوافِها وعُرُوقِها ، أو ما يَنْبُتُ في وسطِها غضّاً طرِيّاً فيكون رخْصاً كالبُقول فيؤكل .

القَلْبُ : ماءٌ بِحَرَّةِ بني سُلَيْم .

القَلِيب : البئرُ ما كانت . وقيل : هي البئر القديمة . وقال ابن الأعرابيّ : القَليبُ . ما كان فيه عينٌ ، وإلا فلا .

أقلَبَ العنبُ : يَبِس ظاهِرهُ فحوّل . وقلبَ الخبزَ ونحوَه : إذا نَضِج ظاهرُه فحوّله ليَنْضَجَ باطنُه . وأقلَبَ الخبزُ : حانَ له أن يُقلب .

قلبَ الشيء فانقلب ، وقلّبتُه فتقلّب . وقلّبَ الأمورَ : بحثها ونظر في عواقبها . وتقلّبَ في الأمور وفي البلاد . تصرّف فيها كيف شاء .

قُلُبٌ : مياهٌ لبني عامر .

قُلَيْبٌ : ماءٌ بنجد .

القَلْهَبَةُ : السحابةُ البيضاء .

ق ن ب قَنَبَ الزّهرُ وقنّب : خرج من أكمامه .

القَنِبُ : السّحابُ المتكاثفُ . وادٍ قانبٌ : إذا كان سيلُه يجري من بُعْد .

ق و ب انقابَ المكانُ ، وتقوّبَ إذا جُرِّد فيه مواضعُ من الشجر والكلإ . يقال قوّبَتُ الأرضَ إذا أثّرتُ فيها بالوطء ، وجعلتُ في مساقيها علامات .

القَوّبَةُ من الأرضين ، التي يُصيبها المطرُ ، فيبقى في أماكن منها شجرٌ كان بها قديماً .

ق ه ب المُقَهْنِبُ : الدائمُ على الماء .

ك ب ب كبّ الرّجُل إناءَه : قلبه ليفرغ من الماء .

الكُبابُ : التّرابُ والطّينُ اللازبُ والثّرَى النّدِيّ . والكُبابُ : جبلٌ وماءٌ ، وما تجمّد من الرّمْل لرطوبتِه . يقال تكبّبَ الرّمل إذا أندي فتمقّد .

ك ت ب كَتَبَ السِّقاءَ : خَرَزَه فهو كَتِيب . وقيل هو أن يَشُدَّ فمَه حتى لا يَقْطُر منه شيء من الماء . وعن ابن الأعرابيّ : سمعتُ أعرابياً يقول : أكتبتُ فمَ السِّقاءِ ، فلم يَستكتِب . أي لم يَستَوْكِ لجفائه وغِلَظِه . قال اللحيانيّ ، اكتُبْ قِربتكَ وأكْتِبْها . أوْكِها ، يعني شُدَّ رأسَها لئلا يفرغ ماؤها .

اكتَتَبَ بطنُه : حُصِر وأمسَك فهو مكتَتِبٌ والمُكْتوتِبُ : المنتَفِخُ الممتلِيء .

ك ث ب كَثَبَ لبنُها : قَلَّ . وعن أبي حاتم : احتلبوا كُثَباً ، أي من كلّ شاةٍ شيئاً قليلا . والكُثْبَةُ : القليل من الماء واللَّبَن ، أو مثل الجُرعَةِ تبقَى في الإناء ، أو مِلءِ القَدَح . وأكْثَبَه سقاه كُثْبَةً .

التَّكْثيب : القِلَّة .

الكَثْبُ : الصَّبُّ . يقال : كَثَبَ الشيءَ ، إذا جمَعَه من قُرْبٍ وصَبَّهُ .

الكثيبُ : ماءٌ .

(يتبع) عدنان الخطيب

حول صيغة « عصَّر » من العصر

نثبت فيما يلي الجوابين الواردين من عضوي مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ الدكتور صلاح الدين الكواكبي والأستاذ عبد الهادي هاشم ، المتضمنين اقتراحاتهما حول صيغة « عصَّر » من العصر « الزمن » وإمكان استعمالها كما تستعمل صيغة مدَّن ، وهوَّد ، وثقَّف . والقصد من صيغة عصر هذه : جعل الشيء عصرياً : Moderniser .

وهذان الجوابان جاءا رداً على السؤال الذي تقدم به الأستاذ حامد حسن من وزارة الثقافة .

« المجلة »

جواب الدكتور صلاح الدين الكواكبي

إلى رآسة مجمع اللغة العربية بدمشق

تحية طيبة وبعد :

جواباً عن كتابكم المؤرخ ١٩٦٩/١٠/٦ المتعلق بالبحث عن (مفردة) تؤدي معنى التحويل من لفظة (العَصْر أي الزمن) الخ ما ورد في الكتاب أبدي ما يلي :

بعد إطالة البحث وتقليب وجوه التصريف من كلمة (العَصْر) لم أجد في المعاجم التي بين يديَّ ما يوافق معنى التحويل والصيرورة ، على نحو (مدَّن) ، (هوَّدَ) المذكورتين في كتابكم المشار إليه آنفا .

نعم هنالك كلمة (عصَّرت) الواردة في سياق الكلام على معنى [أعْصَرَ : أي دخل في العصر ، والمرأة بلغت شبابها وأدركت ، أو دخلت في الحيض

أو راهقت ، أو ولدت ، أو حُبست في البيت ساعةَ طَمِثت ، كعصَّرت وهي مُعْصِر ج معاصِر ومعاصير . أ هـ] .

فصيغة (تعصير ، من عَصَرَ) تقابل (تفعيل ، للتكثير) من (عصرَ العنبَ يعصره الخ) أو من (عصَّرت المرأة دخلت في الحيض الخ .) .

أما كلمة (تعصير) الواردة في بعض الصحف اللبنانية فلا وجه صحيح لها يسوّغ استعمالها بمعنى Moderniser لما ذكرتُه من المعاني الخاصة بها) .

وإذا كان لا بد من إيجاد (مفردة) من كلمة (العَصْر) فلتكن — في رأيي — :

(عَصْرَنَ يُعَصْرِنُ عَصْرَنَةً تَعَصْرَنَ (*))

بإضافة النون الزائدة ، لبيان حالةٍ بعينها ، قياساً على بعض من الكلمات الفصحى التي كنتُ استخرجتُها من القاموس المحيط وذكرتها في كتابي (مصطلحات علمية — الطبعة الثامنة ١٩٥٩ ص ٢٤٣) على وزن (فَعْلَنْ) وأسردها فيما يلي برهانا :

١ — حَلْقَنَ ، البُسْرُ : بلغ الإرطاب ثلثية فهو مُحَلْقِن ، وقد حَلْقَنَ ، والنون زائدة .

٢ — رعْشَنُ : الجبان ، والنون زائدة ؛ وملكٌ لحمير كان به ارتعاش .

٣ — شابنٌ : الشاب الناعم التارّ وقد شَبَنَ .

٤ — ضَيْفَنُ : الذي يجيء مع الضيف تطفلاً .

٥ — رَمْعَنَ (إرمعَنّ دمعُه) : سال . قلت : أحسبُ أن النون زائدة لأن (رَمَعَ ... وعينُه بالبكاء : سالت) .

(*) Se moderniser إتَّبعَ عادات الزمان ، الحديثة أو المُحدَثة .

٦ — ارجحنَّ ، ارجهنَّ : مال واهتزَّ (قلت : أحسبُ أن النون زائدة ، لأن (رَجَحَ..والميزانُ يَرْجُحُ: مال. ومنها ترجَّحت به الأرجوحة : مالت . والأرجوحة والمَرْجوحة وارْجّاحة ... م) .

وإذا كان لا بد من كلمة مشتقة من معرَّب الأجنبية قلت :

(درْنَزَ دَرْنَزَة مُدَرْنَز)

وزان معرَّب كلمة (تلفيزيون : تَلْفَزَ مُتَلْفَز) و (تَرْفَزَ مُتَرْفِز) .

هذا وللزملاء الفضلاء : الرأي الموفق إن شاء الله بإقرار إحدى الكلمتين :

عَصْرَنَ أو دَرْنَزَة

والسلام عليكم .

دمشق في ١٩٦٩/١٠/٩٠

الكواكبي

جواب الأستاذ عبد الهادي هاشم

السيد الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق

التحيّات الطيبات المباركات ، وبعد فأوافيكم بموجز رأيي في السؤال الموجه إلى المجمع بشأن اختيار لفظة (تؤدي معنى التحويل والصيرورة من لفظة « العصر » أي الزمن والتي تماثل صيغتي التحويل والصيرورة من لفظتي « مدّن » و « هوّد » ... وبشأن استعمال بعض الصحف اللبنانية « عصّر » بمعنى جعل الشيء عصرياً) .

الرأي :

١ : وردت « عصّر » في معاجمنا ، ففي اللسان : عصّر الزرعُ نبتت أكمام سنبله ، وعصّرت الفتاةُ بلغت شبابها وأدركت ....

و « عصَّر » في كلا المثالين لازمة لا متعدية ، وقد تدل فيها على معنى الصيرورة والتحوّل لا التحويل والتصيير . أما السؤال فمنصب على استعمال « عصَّر » متعدية دالة على التحويل ، مراداً بها التحويل إلى المنسوب (عصريّ) في أغلب الظن ، لا إلى الاسم « العصر » .

٢ : في كتب نحاتنا المتقدمين أن أهل التصريف قالوا : يجيء فعَّل تفعيلاً ... لمعان كثيرة منها : (أ) نسبة المفعول إلى أصل الفعل وتسميته به نحو فسَّقته أي نسبته إلى الفسق وسميته به ، وكذا كفَّرته .... (ب) ومنها أن يجيء فعَّل بمعنى صيرورة فاعله أصلَه المشتق منه كروّض المكانُ ... (ج) ومنها أن يجيء بمعنى تصيير مفعوله على ما هو عليه ، نحو سبحان من ضوّأ الأضواء . هذا وفي المعاجم ألفاظ كثيرة على وزن فعَّل تدل على التحويل : « هوّده » حوّله إلى ملة يهود ، و « نصَّره » جعله نصرانياً « الخ » ...

٣ : لم يذكر المتقدمون – فيما أعلم – أن صيغة « فعَّل » قياسية ، على كثرة ما جاء من وزنها في كلام العرب ، ولكن العلاّمة مصطفى جواد رصيفنا في المجمع ذكر في مقال قرأته حديثاً : (أن من الضوابط الصرفية التي يجب أن تُقرَّر القياسَ فيما يشيع استعماله بين الناس كصيغة فعَّله تفعيلاً بمعنى نسبه إلى أصل معنى الفعل ، بشرط أن يستعمل للانسان لا لغيره ، قياساً على أمثاله من الأفعال التي وردت في كلام العرب الفصحاء بذلك المعنى ، كقولهم بخَّله نسبه إلى البخل وبدّعه .... وبرّأه ... وجرّمه ... وحمَّقه ... وخطَّأه ... وزكَّاه ... وسفَّهه ... وعدّله ...) .

٤ : درج الكثيرون من الكتاب والمترجمين اليوم على التوسّع في استعمال هذه الصيغة لأداء معان مستحدثة متباينة ، فقالوا : « أمَّم » جعل

الشيء للأمة لا للفرد و « دوَّل » جعل الأمر من اختصاص دول عديدة لا دولة واحدة و « عصَّر » جعل الشيء عصرياً (لا بمعنى نسبه إلى العصر) ... والوقوف عند مذهب كثرة السابقين من سلفنا يستدعي ردّ هذا التوسع في استعمال صيغة « فعَّل » والاحجامَ عن مجاراة الصحف في استعمال « عصَّر » بالمعنى المومأ إليه .

٥ : لكنني لم أجد كلمة سائغة صحيحة تفي بأداء المعنى المطلوب ، وتقوم مقام « عصَّر » التي أخذت تشيع وتذيع ويتقبلها الجميع . أما الكلمات الأخرى التي قد تدل على المعنى نفسه فقد قصرها العرف والاستعمال على معان أخر ، وقد يدعو تحميلها هذا المعنى أيضاً إلى اللبس والابهام .

ولذلك أرى عدم الانكار على من يستعملها ، على ألاّ نبيح التوسّع في قياسية صيغة « فعَّل » بالمعنى المشار إليه دون قيد ولا ضابط .

والمجمع الموقّر الرأي الفصل .

دمشق في ١٩٦٩/١١/٥

عبد الهادي هاشم

عضو مجمع اللغة العربية

البُنْدُق والجِلَّوْز

استرعى انتباهي في مجلة مجمع اللغة العربية الزاهرة مقال الأستاذ العلاّمة عارف النكدي ، وهو (العربية بين الفصحى والعامية) ، ولفت نظري حديثه عن (البندق) ، وقد جاء فيه مايلي :

« البندق على ماجاء في بعض المعجمات الحديثة معرب (فندق) بالفارسية ، وهو طين مدور يرمى به ، ولم تستعمل العامة هذا اللفظ لهذا المعنى ، غير أنها نسبت إليه هذه الآلة الحربية ، فقالت البندقية »[١] .

ولقد رأيت أن أضيف إلى ما قاله الأستاذ الفاضل بعض ما يتعلق باللفظ المذكور لاقتصار البحث عنه على ما جاء في بعض المعجمات الحديثة دون أن تشفع بآراء أصحاب المعجمات القديمة ، أو يشار إلى التطور الذي رافق استخدام هذا اللفظ لدى الخواص ، أو استعماله لدى العوام في العصور السابقة ؛ كما أن ضرباً جديداً من أدب الطرديات نشأ حول هذا الموضوع .

أجمع الأقدمون من أصحاب المعجمات على أن لفظ البندق معرّب من أصل فارسي ، وقد ذكره الجواليقي في المعرب ، فقال : « والثمر الذي يسمى بندقاً ليس بعربي »[٢] ، كما ذكره الخفاجي في الشفاء ، وقال : إنه معرب أيضاً . أما الجوهري فقد أورده في الصحاح دون الإشارة إلى أنه معرّب ، واقتصر على القول : « والبندق الذي يرمى به ، الواحدة بندقة »[٣] .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد ٤٤ والجزء (١ و ٢) ، ص ٥٢ .

(٢) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، ص ٩ .

(٣) الصّحاح ج ٤ ص ١٤٥٢ .

الجِلَّوْز :

ولم تقتصر المعاجم العربية على تعريفه وذكر أصله الفارسي ، إنما أوردت اللفظ العربي المقابل المرادف الذي جرى على ألسنة العرب قديماً قبل تعريب لفظ البندق واستخدامه في اللغة ، وهو الِجلَّوْز ، وزنته مثل سِنَّوْر .

يقول ابن منظور : « البندق كالجِلَّوْز ، واحدته بندقة ، وقيل : حمل شجر كالجلوز ... والبندق الذي يرمى به ، والجمع البنادق » [1] . ونرى من الواجب أن نعرض اللفظ العربي الأصلي بعد ذكر اللفظ المعرب ، فقد أوردته المعاجم العربية أيضاً . يقول صاحب المحيط « الجلَّوْز كسنَّوْر البندق »[2] ، ويقول صاحب اللسان : « الجلَّوْز البندق »[3] ، وعليه سائر المعجمات ؛ إلا أن الجواليقي خالف إجماع أصحابها وقال : إنه معرّب [4] . لكن رأيه غير صحيح ، فقد قال سيبويه من قبل ، إنه عربي[5] ، وقال أبو حنيفة في كتاب النبات : « الجلَّوْز عربي وهو البندق ، والبندق فارسي »[6] وقال السلطان المظفر بن رسول الغساني في كتاب المعتمد خلال ذكر البندق : « هو الجلَّوْز ، والبندق فارسي ، والجلَّوْز عربي » [7] ، ولعلنا أدركنا بعض التباين في تعريفه ، فمنهم من قال : إنه هو نفسه ، ومنهم من قال : إنه مثله .

تلك هي قصة الجلَّوْز العربي والبندق الفارسي كما عرفتها العربية قديماً ، ولقد جمد اللفظ العربي الأول ، وتطور المعرب الفارسي الثاني ، وشهد نقلة

(١) لسان العرب ج ١٠ ص ٢٩ .
(٢) القاموس المحيط ج ٢ ص ١٦٩ .
(٣) لسان العرب ج ٥ ص ٣٢٢ .
(٤) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، ص ٩٩ .
(٥) لسان العرب ج ٥ ص ٣٢٢ .
(٦) هامش المعرب ص ٩٩ .
(٧) هامش المعرب ص ٩٩ .

طويلة امتدت عبر العصور ، ورافقت بعض المظاهر الحضارية والأحوال الاجتماعية المختلفة ، وما استحدث فيها من أدوات الصيد والحرب ...

قوس البندق :

وهي من آلات الصيد ، تتألف من قوس يتخذ من القنا ، ويلف عليه الحرير ويغرّى ، وفي وسط وتره قطعة دائرة تسمى الجوزة ، توضع فيها البندقة عند الرمي [١] ، وتسمى هذه الآلة أيضاً (قوس الجُلاهِق) [٢] ؛ ويبدو أن هذا اللفظ كان عاملاً من عوامل تطور لفظ البندق من معناه الأصلي ، وهو النبات المعروف إلى معنى الكرات الصغيرة المدورة المدملقة المصنوعة من الطين ، ثم من الحجارة ، ثم من الحديد ، ثم من بقية المعادن ...

جراوة البندق :

كيس البندق ، يتخذ من جلد يجعل فيه البندق الطين الذي يرمى به عن القوس المقدم ذكرها [٣] .

زَبَطانة البندق :

الزَبَطانة والسَّبَطانة ، أوردها صاحب القاموس المحيط وغيره ، وهي آلة من خشب ، مستطيلة كالرمح مجوفة الداخل ، يجعل الصائد بندقة من طين

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٥ .

(٢) في اللسان أن الجُلاهق هو البندق نفسه ، ومنه قوس الجلاهق ، وأصله بالفارسية (جُلَهْ) ، وهي كبة من الغزل ، والجلاهق أيضاً الطين المدور المدملق ، ويقال : جهلقت جلاهقاً ، بتقديم الهاء وتأخير اللام في الفعل كما في اللسان والتهذيب .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٥ .

صغيرة في فيه ، وينفخ بها فيها ، فتخرج منها بحدة فتصيب الطير فترميه ، وهي كثيرة الإصابة ، فلا تكاد تخطىء [١] .

البُنْدُقدار :

وهو التابع الذي يحمل الجراوة خلف السلطان أو الأمير ، وهو مركب من لفظتين فارسيتين ، إحداهما (البندق) ... والثانية (دار) ومعناهـا ممسك ، فيكون المعنى ممسك البندق . والمعروف أن أحـد سلاطين المماليك كان يطلق عليه اسم بيبرس البندقداري وهو ركن الدين أبو الفتوح بيبرس ابن عبد الله البندقداري الصالحي النجمي الأيوبيّ التركي [٢] .

بندق الحديد :

عرف القدماء في عصر المماليك (مكاحل البارود) وهي المدافع التي يرمى عنهـا بالنفط ، وقد تحـدث عنها ابن تغري بردي ، فقـال : إن بعضها « يرمى عنه بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر ، وبعضهـا يرمى عنـه ببندق من حديد من زنة عشرة أرطال بالمصريّ إلى مايزيد على مائة رطل ..، وقد رأيت بالإسكندرية مدفعاً قد صنع من نحاس ورصاص ، وقيّد بأطراف الحديد ، رمي عنه من الميدان ببندقة من حديد عظيمة محماة ، فوقعت في بحر السلسلة خارج باب البحر ، وهي مسافة بعيدة » [٣] .

كان البندق المصنوع من الحديد المحمى كثير الاستعمال في عصر سلاطين المماليك ، فقد رأينـا كيف كان يرمى البندق المدور المدملق المصنـوع من

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٥ ، ولسان العرب ج ٧ ص ٣١١ ، والقاموس المحيط ج ٢ ص ٣٦٣ ، وما زال هذا اللفظ مستخدماً حتى الآن .
(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٤ .
(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤١ ، ١٤٥ .

الطين بالأقواس ، ثم أصبح يرمى بالمزاريق والأنابيب ، وذلك بالنفخ من مؤخرة الأنبوب حتى انتهى الأمر إلى صنع مكاحل البارود .

البندقية :

وهكذا تطور لفظ البندق ، فكانت (البندقية) من الآلات الحربية الشائعة المعروفة في العصر الحديث ، واشتقوا منه (بندق) و (بَندق) ، و (البنداقيّ) و (البندقاني) [1] ...

يضاف إلى هذه المعاني المتطورة لهذا اللفظ بعض الاستعمالات المستحدثة الأخرى ، فقد أورد صاحب التاج (البُندقي) بالضم ، وهو ثوب كتان رفيع نقله الصاغاني ، ثم قال : « وغالب ظني أنه منسوب إلى أرض البندقية » [2] ، ومما استدركه أيضاً (البَندوق) بفتح الباء لا ضمها كما وَهِمَ دوزي [3] ، وقد أطلقه العوام على الدعيّ في النسب .

أدب البندق

انتهينا من قصة البندق كما عرفها اللغويون ، ويبقى علينا أن نعرض وجهها الآخر كما عرفها الشعراء والكتاب . ولا بأس أن نعود إلى التعريف بالبندق ، وأنه شبيه الفستق ، ويؤكل مخه ، ولعل هذا القول كان في ذهن شيخ شيوخ حماة الشاعر الكبير شرف الدين الأنصاري حين قال :

ما لم يغيَّر عكسه لفظه مثاله : « قد نبل البندق »
وما إذا صحّفت معكوسه عاد إلى صيغته « فستق » [4]

---

(١) دوزي : ملحق المعاجم العربية ج ١ ص ١١٧ ، ١١٨ .
(٢) الزبيدي : تاج العروس في شرح القاموس مادة (بندق) .
(٣) دوزي : ملحق المعاجم العربية ج ١ ص ١١٧ ، ١١٨ .
(٤) ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري ص ٢٧٣ .

ولم يقتصر الأمر على هذا الاستخدام اللفظي ، وإنما أحدث في أدبنا العربي فناً جديداً من أدب الطرديات ، شعره ونثره ، فقد أُلّفت الرسائل المطوّلة المختلفة ، ونظمت الأراجيز والقصائد الجياد ، وجدير بالذكر هنا أنها كانت مطبوعة بالطابع الذاتي ، وكانت تنهج نهجاً متشابهاً في وصف الطبيعة أولاً ، ثم البروز إلى الصيد ، ثم التخلص بعد ذلك إلى وصف الحيوانات بمختلف طرق الصيد ، ومنه بالطبع الصيد بالبندق ، ثم الوقوف أخيراً لوصف العودة ، وقد حملت الخيل من كل صنف ما وقع في أيدي الذين رافقوا الممدوح ، يضاف إلى ذلك أن الناس سمّوا الفصل الذي يلائم الصيد زمان رمي البندق ، فمنهم من كان يصرح به ، ومنهم من كان يغفله .

وصف السريّ الرفّاء قوس البندق ، ولعله أقدم من وصفها ، ومما جاء في قصيدة له قوله :

وفتية تعلو بها أخطارها	رواحها للمجد وابتكارها
وما اشتهت أنفسها شمارها	تطرّبت لنزهة أقمارها
فيممت مؤنسة أقطارها	تعوم في غدرانها أطيارها
قد حلّيت بزهرها أشجارها	وصندلت بمدّها أنهارها
بعطمات حصّنت ديارها	نجار خطّيّ القنا نجارها
تصان من بهجتها أبشارها	صون العذارى أسبلت أستارها
مصفرّة ما شانها اصفرارها	أحسن من منظرها أخبارها
ترجى حساناً قبحت آثارها	أفتك من كبارها صغارها
فلست أدري أيّها خيارها	تلفح مجتاز الهواء نارها
ما طار في آثارها شرارها	طاعته لفتية تختارها
يقعن فيا وقمت أبصارها	حتى إذا الشمس ضيا استمارها
واصفرّ من مغربها إزارها	وحان من واردة إصدارها

حمر على أيديهمُ بوارهــــا فصرعت موشيّة أطارهــــا
في حلل قد شددت أزرارها يضحك في لجينها نضارهــــا
وفي سواد ليلهــا نهـــارها كروضة مختلط نوّارهــــا (١)

كما مدح شرف الدين الملك المنصور محمد الثاني ، ووصف ما يعانيه في الصيد ، بقصيدة مطلعها :

أكملتَ كل المنـــاقبْ يا خـير ماش وراكـب

وجاء فيها قوله :

وارتحت للصيـــد لهـواً إذ لم تجد من تحـاربْ
وكم ضربت عليهــا من حلقـــة بالمقـانبْ
ضيَّقتَها بعـــد وسع الـــفضاء من كل جـانبْ
جلبتَ فيهـا صنوف الـــأضداد يا خـير جـالبْ
من خُمَّـع ونعـــامٍ وإيَّـــل وقـــراهبْ
ومن وعول تبـــاري غـزلانهـــا والأرانب
وتُشغل الأسد خوفـاً عن افتراس الثعـالب
وما شكوتَ لغـــوباً وهنّ عـــدم لواغبْ (٢) ...

تطور هذا الفن الأدبي ، وتم نضجه في القرن الثامن الهجري ، وقد شهدنا اكتماله على يد أمير شعراء الشرق في عصره جمـال الدين بن نباتة المصري ، وشيخ دواوين الإنشاء في مصر والشام شهاب الدين محمود .

أما ابن نباتة فقد ألف أرجوزته المشهورة في وصف رحلة صيد ممتعة صحب فيها الملك الأفضل ، وعدد أبياتها سبعة وستون ومائة بيت ، وقد

(١) ديوان السري الرفاء ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٢) ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري ص ٩٧ .

دعاها باسم (نظم السلوك في فرائد الملوك) ، وقد أعجب بها ابن حجة ، وأورد ذكرها في خزانته ، وقد استهلها بوصف الطبيعة قائلاً :

أثنى شذا الروض على فضل السحبْ   واشتملتْ بالوشي أرداف الكثبْ

وقد أطال الشاعر في وصف الطبيعة ، فتحدث عن وادي حماة الرحب ، وروابيها الكثيرة المطلة عليه ، ونهرها العاصي ، ونواعيرها الثكلى ... واختتم هذا الوصف المسهب بالدعوة إلى اللذة والمبادرة إليها في زمان رمي البندق :

أما رأيت الوُرْق في الأوراقِ   جاذبة القلوب بالأطواقِ
ولا تقل مشتى ولا مصيفُ   فكل وقت للهنا شريفُ
كل زمان يتقضى بالجذلْ   زمان عيشٍ كيفما دار اعتدلْ
أحسن ما أذكر من أوقاتهِ   وخير ما أبحث من لذّاته
بروزنا للصيد فيه والقنصْ   وحوزنا من مرّه أحلى الفرَصْ
وأخذنا الوحش من المسارب   وفعلنا في الطير فوق الواجبِ
لما دنا زمان رمي البندقِ   مرنا على وجه السرور المشرقِ ..

وهكذا تابع الشاعر أرجوزته حتى استكمل فيها أوصاف الصيد ، وقد أطنب ابن حجة بذكرها ، فقال : « ومن الانسجامات الموجزة التي لو أدركها الشريف لتطفل على نسيم أبياتها ، واعترف أن ما للصادح والباغم تغريد صادحاتها ، أرجوزة الشيخ جمال الدين بن نباتة الموسومة بنظم السلوك في فرائد الملوك [1] » .

كما أورد ابن حجة في بحث التشبيه شيئاً من الأرجوزة المذكورة فقال :

« ومن التشابيه البليغة التي جمعت بحسن التورية بين الصورة والمعنى ، وشبب بمحاسنها الرواة في كل معنى ، قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في

(١) ابن حجة : خزانة الأدب ص ٢٦٧ ـ ٢٧٢ .

وصف قوس البندق بعد تغزّله في الرامي :

قد حمد القوم به عقبى السفر عند اقتران القوس منه بالقمرْ

لو لا حذار القوس من يديه لغنَّت الورقُ على عطفيه

في كفّه محنيّة الأوصال قاطعة الأعمار كالهلال

ثم قال منها ، وهي الطردية الموسومة بنظم السلوك في مصايد الملوك ، ولم يخرج عن تشبيه القوس مع اشتراك التورية :

كأنَّها حول المياه نون أو حاجب بما تشا مقرون

ومنها يشبّه الطيور الواقعة على قسيّ الرماة :

كأنَّها وهي لدينا وُقّعُ لدى محاريب القسيّ ركّعُ(١)

تلك هي قصة البندق وزمان رميه كما تبيناها من خلال الشعر ، وبقى علينا أن نعرض قصته من خلال النثر أيضاً ، فالمجال فيه أرحب مدى من سابقه . ألف أبو الثناء شهاب الدين محمود رسالة نثرية تدور حول الصيد ، ودعاها باسم (رسالة البندق) ، وهي تشتمل على أنواع من الأوصاف وفنون من النظم والنثر ، يستعين بها الكاتب على مايشاء من إنشاء قدّمه في أي نوع أراد من الطير الواجب .

استهلّ الشهاب محمود (رسالة البندق) بقوله :

« فبرزنا ، وشمس الأصيل تجود بنفسها ، وتشير من الأفق الغربيّ إلى جانب رمسها ، وتغازل عين النور بمقلة أرمد ، وتنظر إلى صفحات الورد نظر المريض إلى وجوه العوّد ، فكأنها كئيب أضحى من الفراق على

(١) ابن حجة : الخزانة ص ٢٢٣ .

فرق ، أو عليل يقضي بين صحبه بقايا عمر بالرمق ، وقد اخضلت عين الورد لوداعها ، ومرّ الروض بخلع حليته المموّهة بذهب شعاعها .. » [١] .

أطال الشهاب محمود في رسالة البندق ، وتحدث عن الطيور والحيوانات التي تيسّر له ذكرها ، وقد أعجب ابن نباتة بها ، فنقلها من كتاب الشهاب (حسن التوسل إلى صناعة الترسل) وألحقها بكتابه (سجع المطوق) [٢] .

يضاف إلى ذلك أن ابن نباتة ذكر في كتابه (مطلع الفرائد ومجمع الفوائد) بعض أوصافه في قسيّ البندق مما خطه من نثره .

« ما فرس السماء بدا في مصبغات غلائله ، ورمى ببندق برده الجدب في مقاتله ، بأزهى منظراً من تلك القسيّ المفوّقة ، الجافية المنعطفة ، الحامية إلا على الطير الممتنع ، الصائبة بعيون أوتارها شمله المجتمع ، قسيّ قاسية الجوانح ، طالعة أهلتها بفناء السوانح والبوارح ، قد ألفت الرياض فلبست بعض برودها ، وطلبت شأو السماء فنثرت مثل عقودها ، تقوم بالواجب ، وتفتن بعينٍ وحاجب ، وتأخذ على الطير كل مطار ، وتذكر قيامها تحته وهي غصن فتطالبه بأوتار » [٣] .

تلك هي قصة البندق بين اللغة والأدب ، وبين الماضي والحاضر ، وقد حاولنا من خلالها أن نبرزها كي تتوضح في أذهاننا ، ولعلنا أدركنا مدى التطور الذي لحق اللفظ عبر الأيام والعصور ، وتلك هي سنة اللغات في كل زمان ومكان .

الدكتور عمر موسى باشا

---

(١) حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) سجع المطوق (مخطوط) ، ورقة ٦٩ .

(٣) مطلع الفرائد ومجمع الفوائد (مخطوطة) ق ٧٤ ظ ، وقد تم تحقيقها وسوف تنشر في وقت قريب .

الكتب المهداة

إلى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

حتى نهاية عام ١٩٦٩

اسم الكتاب	المؤلف
١ — مجمل تاريخ الأدب التونسي	حسن حسني عبد الوهاب
٢ — ديوان ابن الدهان الموصلي	تحقيق : عبد الله الجبوري
٣ — ديوان ليلى الأخيلية	حققه : خليل ابراهيم العطية وجليل العطية
٤ — ديوان توبة بن الحميّر الخفاجي	حققه : خليل ابراهيم العطية
٥ — الأصول العربية للدراسات السودانية	جمع : يوسف أسعد داغر
٦ — أسرار الحرب العالمية الثانية	ترجمة : محمود شيث خطاب
٧ — الأمثال البغدادية المقارنة	العميد عبد الرحمن التكريتي
٨ — الرُّهَيْمة	عبد الرحيم محمد علي
٩ — ديوان الناصري	جمعه : هلال ناجي وعبد الله الجبوري
١٠ — قاموس إحياء الألفاظ	تحقيق : أسامة الطيبي
١١ — سيرتنا ومنتنا	عبد الحسين الأميني النجفي
١٢ — من صميم الأحداث	عبد اللطيف اليونس
١٣ — الأب أنستاس الكرملي	كوركيس عواد
١٤ — الفاروق القائد	محمود شيث خطاب
١٥ — قادة فتح العراق والجزيرة	محمود شيث خطاب

اسم الكتاب	المؤلف
١٦ — محمد كرد علي	جمال الألوسي
١٧ — فهرس المخطوطات العربية في خزانة قاسم محمد الرجب ببغداد	كوركيس عواد
١٨ — ثبت المصادر العربية عن فلسطين	عبد الرحيم محمد علي
١٩ — قصة السل في سؤال وجواب	الدكتور فيصل دبدوب
٢٠ — زكي قنصل شاعر الحب والحنين	عبد اللطيف اليونس
٢١ — ديوان الكميت	محمد حسن آل الطالقاني
٢٢ — الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق	فاضل الخالدي
٢٣ — وراء السراب	وصفي قرنفلي
٢٤ — طريق النصر في معركة الثأر	محمود شيث خطاب
٢٥ — اللآلي المنثورة في الأقوال المأثورة	اغناطيوس يعقوب الثالث
٢٦ — محمد البشير الابراهيمي	محمد طاهر فضلاء
٢٧ — اتجاهات النقد الحديث في سورية	الدكتور جميل صليبا
٢٨ — البحث العلمي (العددان السابع والثامن من السنة الثالثة)	المركز الجامعي للبحث العلمي في الرباط
٢٩ — من شعرائنا المنسيين	عبد الله الجبوري
٣٠ — وصيتان	محمد سعيد الجزاوي
٣١ — المغانم المطابة في معالم طابة	تأليف مجد الدين الفيروزبادي تحقيق حمد الجاسر
٣٢ — قادة فتح المغرب العربي	محمود شيث خطاب
٣٣ — قادة فتح بلاد فارس	محمود شيث خطاب
٣٤ — صفحات في تاريخ مدينة الجزائر	نور الدين عبد القادر

اسم الكتاب	المؤلف
٣٥ — معالم الكرامة في الفكر العربي	الدكتور عادل العوا
٣٦ — جمهرة المراجع البغدادية	جمع: كوركيس عواد وعبدالحميد العلوجي
٣٧ — ديوان السيد موسى الطالقاني	تحقيق : محمد حسن آل الطالقاني
٣٨ — عيون البصائر	محمد البشير الإبراهيمي
٣٩ — الديارات (طبعة ثانية)	تحقيق : كوركيس عواد
٤٠ — مصطلحات مقاومة المواد	المجمع العلمي العراقي
٤١ — الدر المنتثر	تحقيق جمال الدين الألوسي ـ عبد الله الجبوري
٤٢ — عدن	ترجمة : أحمد المضواحي
٤٣ — اكتشاف العرب أميركا	صبري فريد البديوي
٤٤ — الفوائد المهمة	محمد وحيد الجباوي
٤٥ — مناقب جعفر ابن أبي طالب	تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين
٤٦ — فهرس مخطوطات حسن الانكرلي	عبد الله الجبوري
٤٧ — فوق الحدود والسدود	وجيه جبر
٤٨ — عائد من أوربا	وجيه جبر
٤٩ — عقبة بن نافع الفهري	محمود شيث خطاب
٥٠ — الرسول القائد	محمود شيث خطاب
٥١ — فهرست مخطوطات خزانة يعقوب سركيس	كوركيس عواد
٥٢ — ديوان ديك الجن	حققه : الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري
٥٣ — السماع عند العرب	مجد الدين العقيلي
٥٤ — مدينة دمشق	عبد القادر الريحاوي

اسم الكتاب	المؤلف
٥٥ — تاريخ اليونان	الدكتور كامل عياد
٥٦ — أمراء البيان (طبعة جديدة)	الأستاذ محمد كرد علي
٥٧ — أوراق الحياة	اسكندر لوقا
٥٨ — معجم المصطلحات الفنية	نخبة من أساتذة الجامعة في سورية
٥٩ — البصائر والذخائر للتوحيدي	تحقيق : ابراهيم الكيلاني
٦٠ — ديوان « من أغاني المطر »	منذر لطفي
٦١ — بدوي الجبل	مدحة عكاش
٦٢ — ديوان « الوطن المحتل »	جمع : يوسف الخطيب
٦٣ — أضاميم الأصيل	حامد حسن
٦٤ — عصر المنصور في الأندلس	الدكتور خالد الصوفي
٦٥ — نجهان يهويان	مصطفى الخش
٦٦ — ديوان « نهر الشعاع »	أحمد علي حسن
٦٧ — أبطال وأمجاد	عدنان الداعوق
٦٨ — معجم قبائل العرب	عمر رضا كحالة
٦٩ — التعاون في القطر السوري	الاتحاد العام للفلاحين
٧٠ — العرب في الأرض المحتلة	
٧١ — آرا « ملحمة شعرية »	لويس رزق
٧٢ — رندة (شعر)	ميخائيل أبو عقدة
٧٣ — الحرب الفدائية في فلسطين	المقيد محمد الشاعر
٧٤ — دفتر السجن	هوشي منه : ترجمة وصفي البني


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الثاني ٣٥٦ المجلد الخامس والأربعون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

نيسان « ابريل » سنة ١٩٧٠ م المحرم سنة ١٣٩٠ هـ

متى تدخل المصطلحات العلمية

في حيز الاستعمال[1]

من الحقائق الواضحة التي يلمحها المرء في الحياة العلمية في الوطن العربي ، أن بين علماء هذا الوطن ومتعلميه رغبة صادقة في الاستغناء عن استعمال الأسماء والمصطلحات الأجنبية والعوض عنها بما يماثلها باللغة العربية .

وعلى أساس من هذه الرغبة الأصيلة المتمكنة المتجددة ، بذلت الجهود الكثيرة منذ فجر النهضة في معظم البلاد العربية ، وكان للكنانة ـ حرسها الله ـ قصب السبق منذ قرن ونيف ، أعني منذ أتخذت العربية فيها لغة الحكومة الرسمية . وقد أنشأت المدارس التي تعلم العلوم والفنون بلغة الضاد في مراحل التعليم الثلاث واضطلعت مدرسة أبي زعبل (القصر العيني بعد ذلك) بتعليم

(١) الكلمة التي ألقيت في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة (الدورة السادسة والثلاثين)

الطب باللغة العربية زهاء سبعين سنة ، واستطاع علماء تلك الحقبة من الزمن طيب الله ثراهم ، أن يجدّوا وأن يجدوا في لغة الآباء والأجداد ، ما يشفي غليلهم ويسد حاجتهم إلى المصطلحات العلمية . وانتشر خريجو القصر العيني في الأقطار المجاورة ، وتركوا أثرهم فيها واضحاً ، حتى ليذكر أن منهم من استوطن بلاد الشام فنافس بعلمه وعمله خريجي الجامعات الأجنبية وكان موضع ثقة كل مستشف وعليل .

ودار الزمان دورته ، وتبدل الأمر باحتلال الأجنبي لوادي النيل ، وكان منه أن قوّض أقوى دعائم العزة القومية وهي اللغة ، فحلت اللغة الانكليزية في التعليم محل لغة أهل البلاد ، ومع العدول عن التعليم باللغة الأجنبية في مرحلتي التعليم الأولى والثانية ، ما تزال العلوم تدرس في الجامعات العربية باللغة الدخيلة ، وكأن الأوان لم يئن بعد لإصلاح هذا الخطأ والعود بسياسة التعليم الى أصلها الذي كانت عليه قبل قرن ونيّف .

إن هذه العودة الصحيحة السليمة يكتنفها ويحول بينها عاملان :

العامل الأول : عامل التهيب الذي يتخذ شكل الإشفاق والخوف من أن تأتي اللغة العربية مقصرة عن أداء متطلبات هذا العصر ، عصر الذرة والفضاء والهبوط على الكواكب .

والعامل الثاني : ولعله الأهم ، هو انصراف رجال العلم عن إتقان العربية ، ومنه الصدود الذي يقابل به هذا الموضوع ، والإنسان مطبوع على كراهة ما يجهل إن لم نقل على معاداته .

ومن المؤسف ، أن معظم رجال التدريس في جامعاتنا العربية قد ابتعدت الشقة بينهم وبين لغة آبائهم وأجدادهم ، منذ أن تلقنوا العلم باللغة الأجنبية مكتفين بما تعلموه بتلك اللغة التي ليس بينهم وبينها أية صلة .

هذان العاملان هما اللذان يحولان بيننا وبين القدرة على التحويل ، ولكن هل نظل خاضعين لهذين العاملين ؟ ألم يعد الاكتفاء باللغة الأجنبية من دون اللغه الأم ، لا يخلو من جرح للكرامة القومية ؟

إننا نقرأ جميعاً في دساتير البلاد العربية ، أن العربية هي اللغة الرسمية ، إذن ، أليس في هذا العدول عن التعليم بها في المرحلة الأخيرة مخالفة للدستور ؟ وهل في العالم المتمدين كله ما بين شرقه وغربه من يقلب ظهر المجن للغته ، ليرطن بلغة أعجمية فرضها المستعمر لغاية لم تعد لتخفى على أحد محاولاً بهذه الوسيلة حيناً ، وبمحاربة الفصحى حيناً آخر باحلال اللهجات العامية محلها ، توهيناً لأواصر الوحدة وتعميقاً للصدع ؟ أو لم نر إلى أعدائنا في فلسطين المحتلة كيف حاولوا ويحاولون جعل لغتهم الهاجعة أو الميتة منذ آلاف السنين ، لغة علم ومعرفة ولغة حيّة تدرس بها جميع الفنون والعلوم ، غير آبهين بالمصاعب التي يلقونها في هذا السبيل ، وهي مصاعب ولا شك دون المصاعب التي قد تعترضنا في لغتنا التي حضنت العلم والمعرفة مئات السنين ؟

قد يقول قائل : ولكن تلك ، مهمة المجامع اللغوية ، والمجامع اللغوية جادة في إيجاد المصطلحات وتذليل الصعاب أمام لغة العلم حتى تكون مرنة سائغة .

وهنا أحب أن أتساءل ، ما هو مصير هذا العمل الذي تنهض به المجامع اللغوية العربية ؟ أليس هذا النتاج صائراً إلى الكساد ثم إلى الضياع إذا ظلت المصطلحات العلمية التي نجهد في سبيلها ، حبيسة الورق تتصدر المجلدات الضخمة وترتفع فوق الرفوف والخزائن ، لا تتداولها الألسن ولا تتحرك بها الأقلام ؟ إن جهدنا المبذول سيبقى دون جدوى كذلك ، حتى إذا نحن أخرجنا تلك المجلدات ونقلناها إلى معاجم ، إذ ما فائدة هذه المعاجم إذا لم يكن هنالك تداول لها ورجوع إليها واقتباس منها ؟

أستميحكم عذراً إن أنا استعرت هذا المصطلح التجاري الذي يسمونه تسويق البضاعة ... إن تسويق المصطلحات والألفاظ المعرّبة والموضوعة أمر هام ، علينا أن نتدبره منذ الآن ، وأن السوق التي يجب أن نروج فيها بضاعتنا ، هي معاهد التعليم العالي والجامعات والمؤسسات العامة والمصانع وغيرها

من الأماكن التي لا تزال لغة التداول فيها عالة على إحدى اللغات الأجنبية .

في إحدى الندوات التي أقيمت في دمشق ، في كلية الطب خلال أسبوع العلم العاشر الذي احتفل فيه بمرور خمسين عاماً على تعليم الطب باللغة العربية ، وتلك الندوة التي ضمت عديداً من رجال العلم من شتى الأقطار العربية ، وارتفعت أصوات الإطراء لهذه التجربة الرائدة ، لم يكن من المتكلمين غير محبذ ومؤيد ، ولم يرتفع صوت ما من أصوات خصوم تعريب التعليم العالي ، وإنما أجمعت الكلمة على ضرورة تحويله إلى العربية في الجامعات العربية كلها .

وقبل بضع سنين صدر في هذا البلد الأمين ، مرسوم يفرض استعمال اللغة العربية في الكليات العلمية من جامعات الجمهورية العربية المتحدة ، وذلك بطريق متدرجة تبدأ مع السنين الأولى ثم تستمر متتابعة ، إلا أن هذه الخطوة الجريئة لم يتح لها أن تتم ، فطويت مع ما طوي من رغبات أخرى .

وإذا كان لجمهرة علماء البلاد وأولي الأمر منهم هذه الرغبة ، فما هو العائق الذي يعترض الطريق إلى تنفيذها ؟

إني أرى لنجاح هذه الفكرة أن نخطط لها على النحو التالي :

١ — إخراج **معجمات** في مختلف العلوم على غرار المعاجم العسكرية التي ظهرت وتظهر في الكثير من البلاد العربية .

٢ — عندما يكون هنالك أكثر من معجم واحد في مادة واحدة ـ كما في المعاجم العسكرية ـ توحد في **معجم واحد** ليكون وحده المعجم المتداول والمعوّل عليه في البلاد العربية .

٣ — الأخذ بمبدأ **إصدار المجلات العلمية** باللغة العربية ، في كل مؤسسة علمية : في الجامعات والمعاهد والنقابات الفنية ، تعنى بنشر كل ما يتعلق باختصاصها معتمدة على المصطلحات العلمية المصرية .

ومن الخير أن تكون هناك خلاصات لهذه البحوث بلغة أجنبية .

ويشترط لهذه المجلات أن تكون لغتها صحيحة ، ومادتها وثيقة مستمدة من أمهات المجلات العالمية لترغيب القراء فيها وتزهيدهم فيما سواها ، وأن يكون توزيعها بأثمان زهيدة رمزية .

٤ — السعي وراء **تحويل التعليم العالي** العلمي إلى اللغة العربية في خطة مدروسة محكمة تجنباً للاخفاق . إن تعذر الطفرة في ذلك والصعوبة التي قد يلاقيها أعضاء هيئة التدريس الحاليون ، تقتضينا أن نعد للأمر عدته ، قبل أن نشرع فيه . وذلك بجعل إتقان اللغة العربية والاطلاع على المصطلحات العربية التي أقرتها المجامع اللغوية **مؤهلاً وتمهيداً** سواء في الانتساب المقبل إلى هيئة التدريس في التعليم العالي أو في الارتقاء في سلّم الدرجات العلمية الجامعية ، فيما بعد .

ومع إقرار التدريس العالي بالعربية واعتماده لا بد من إلزام الطالب الجامعي ، إتقان إحدى اللغات الأجنبية لمتابعة الاختصاص وإغناء المعرفة .

إني أعرض مقترحي هذا على مؤتمركم الموقر ، وكلي أمل أن يكون موضع دراسة وتمحيص فتطبيق . والسلام عليكم .

الدكتور حسني سبح

❋❋❋

تطور اللغة في العصر العباسي

- ٢ -

ومن الكتب التي قد تهدينا سواء السبيل في معرفة تطور اللغة على أيّام العبّاسيين كتاب : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي المتوفّى سنة ٣٨٤ .

صحّح هذا الكتاب المستشرق الانكليزي الأستاذ « مرجليوث » وهو أحد عشر مجلداً ، لم يظهر منه إلاّ الجزء الأول والجزء الثامن ، وقد جاء في تعريف المجمع العلمي العربي بهذا الكتاب ما يلي :

« كتاب نشوار المحاضرة أو جامع التواريخ تصنيف القاضي أبي علي المحسّن ابن علي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ من أمثل ما ألّفه الاخباريون في التاريخ والتراجم والاجتماع الإسلامي ، وربما كان هذا المصنّف نسيج وحده في موضوعه ، فهو لم يسرد وقائع التاريخ وأخبار رجاله كما سرده غيره ، وإنما هو أملى من خاطره أخبار الذين عرفهم في حياته من طبقة الوزراء والقضاة وكبار الكتّاب والعمّال الذين هم صفوة رجال الدولة العبّاسية في القرن الرابع للهجرة » .

والنشوار كلمة فارسية أصلها : نشخوار ومعناها جِرّة الحيوانات المجترّة ، وقد استعملها المؤلف بمعنى الحديث ، فمن قوله : طيّب النشوار والأدب ... حسن النشوار ، راوية الأخبار ...

قد يكون السبب في اهتمام المجمع العلمي العربي بكتاب نشوار المحاضرة أنه يصوّر الحالة الاجتماعية في القرن الرابع ، وفيه طرف من أخلاق أهله وعاداتهم وبَذَخهم ومعتقداتهم وتصوراتهم . أمّا نحن فقد نهتم بهذا الكتاب لاشتماله على طائفةٍ من الألفاظ العبّاسية تثبت لنا تطور اللغة في ذلك العصر .

لقد كتب أحمد باشا تيمور عدّة مقالات فسَّر فيها الألفاظ العبّاسية الواردة في الجزء الأول من نشوار المحاضرة ، فقد طالع هذا الجزء وعثر فيه على ألفاظ كثر ورودها في أخبار ذلك العهد ، ومعظمها لم تتعرض المعجمات لذكره أو لتفسيره تفسيراً شافياً ، وقال في هذه الألفاظ إنها عبّاسية من باب التغليب لأن جلّها من الألفاظ الحادثة في العصر العباسي الأول إمّا بالتوليد والتعريب أو بالاستعمال في غير ما وضعت له بضروب من التجوز والتوسع .

إذا كنت قد استشهدت بكتاب نشوار المحاضرة فليس معنى هذا أنه الكتاب الوحيد الذي يشتمل على ألفاظ اقتضاها تطور اللغة ، ففي كتاب البخلاء للجاحظ كثير من الألفاظ خلقها عصر الجاحظ لم تكن معروفة من قبل ، إلا أنه ليس في استطاعتنا حصر الألفاظ التي هي من هذا النوع ، فإن عملاً مثل هذا العمل يحتاج إلى معجم ضخم نظير معجم « دوزي » ولكنّا نستشهد بما نستشهد به من الألفاظ لنأتي بنماذج من تطور اللغة في عصر بني العبّاس ، ومن مظاهر هذا التطور خلق ألفاظٍ في عصرٍ لم تكن معروفة في العصر الذي قبله ، فالبحث عن تطور الألفاظ يختلف عن البحث عن تطور الأسلوب ، في الأمر الأول نهتم باللغة ومفرداتها ، أمّا في الأمر الثاني فإن اهتمامنا ينصرف إلى الأسلوب ، أي إلى أداء المعنى وتركيب الجمل .

فلنشرع بعد هذا في النظر في فئةٍ من الألفاظ التي وردت في كتاب نشوار المحاضرة ، وقد تولّى تفسير هذه الألفاظ المرحوم أحمد باشا تيمور

على نحو ما تقدمت الإشارة إليه ، ونشر مقالاته في الأعداد الأُول من مجلة المجمع العلمي العربي ، ولا غنى لي عن أن أعيد في هذا المقام بعض ما فسّره من الألفاظ ، وإني لأرجو أن يتسع صبرنا لسماع هذه الألفاظ ، فإن مباحث اللغة من عادتها أن تكون جافة ، إلاّ أنّ الألفاظ التي سنمرّ بها قد تدلنا على أمور تتصل بالحياة وبالحضارة ، فاذا صبرنا على مرارتها فانما نصبر لنذوق حلاوة هذه الحياة وهذه الحضارة .

من هذه الألفاظ لفظة : التُنّاء ضبطها مفسّرها بضمّ الأول وتشديد النون وهي جمع تانئ ، ومعنى التانئ الدِهقان أي رئيس القرية وحاكمها ، وقد وردت هذه اللفظة في أحسن التقاسيم للمقدسي في وصف شيراز وأهلها : ولهم خصائص وصنائع وعقل ودهاء ومعروف وصدقات وبهاء ومشايخ ووجوه وتُنّاء .

ومن هذه الألفاظ : أصحاب الستائر ، والمراد بها بحسب تفسير تيمور باشا مجالس الغناء التي للقينات ، لأنهم كانوا يضربون سِتارة تحول بينهنّ وبين المستمعين ويغنين من ورآئها فالمراد هنا : من ورآء الستائر ، لا الستائر ، وكان الخلفاء إذا أرادوا سماع الغناء سمعوه من ورآء ستار يحجُبهم عن الندماء والمغنين .

وتضاف إلى هذه الألفاظ : المتقاينون ، والمرد بها المستهترون بمصاحبة القيان وإنفاق المال عليهنّ ، وهو اشتقاق مولّد مأخوذ من القينة أي المغنّية ، والظاهر أنهم توسعوا في التقاين بعد ذلك فجعلوه لمطلق الإسراف على اللهو ، لأن الغالب فيه أن يكون على القيان وأمثالهنّ ، وقد تكرر ذكر هذه اللفظة في كتاب النشوار .

هذه اللفظة تدل على حلة اجتماعية في أيّام بني العباس ، أما اللفظة التالية وهي : الزرّاقون ، جمع زرّاق فانها قد تدل على حالة خلقية ، جاء تفسيرها في شفاء الغليل على هذا الوجه : أكذب من زرّاق ، وهو الذي يقعد على الطريق فيحتال وينظر بزعمه في النجوم ، وزرقت عليه أي موّهت عليه ، قاله أبو بكر الخوارزمي في أمثاله ولم يذكر كونه مولّداً ، لكنه مذكور في اللغة الساسانية .

أمّا اللغة الساسانية فهي ألفاظ مولّدة اخترعها بنو ساسان ، وهم قوم من العيّارين والشطّار ويقع من لغاتهم كثير في أشعار المولّدين فلا يعرفها الناس ، ينسبون إلى ساسان ، رأس الشحاذين وكبيرهم ، وهو أحد ملوك الفرس المعروف بساسان الاكبر ، عهد أبوه بالملك لأخيه ، فأنف من ذلك وانطلق فاشترى غنماً وأقام يرعاها بالجبال ويعاشر الرعيان ، فعيّر بذلك ، ثم نسب إليه كل من تكدّى أو باشر أمراً حقيراً من العمي والعـور والشموذين والقرّادين والـكلاّبين .

وقد يستمرّ تيمور باشا في تفسيره ، فينتقل من هذه الطبقة من الألفاظ التي تدلّ على بعض الحياة الاجتماعية إلى طبقة ثانية تدخل في أمور الطبّ ، من هـذه الطبقة : الأنبجات ، بالفتح فسكون فكسر ، وهي المربّيات الطبية عند الأطباء ، وفي القاموس : الأنبج كأحمد وتكسر باؤه ثمر شجرة هندية ، معرّب : أنب ، وقال غيره : معرّب أنبه ، فأبدلوا الهاء الأخيرة جيماً على ما هو معروف .

وقد يفيدنا التبسط في هذا المجال لأن الغاية إنما هي التنبيه على ألفاظ وردت في زمن العبّاسيين إمّا بالتوليد أو بالتعريب أو بطريقة ثانية ، وكل هذه الألفاظ شواهد على تطور اللغة .

ومن هذه الألفاظ ما يدخل في محض العربية ، ولكنه تغيّر في عصرنا هذا ، فنجد في الكتاب قول المؤلف : صرف الوزير فلاناً ونحن نقول اليوم : عزله ، وصرّف الخليفة المقتدر فلاناً بفلان أي ولاّه مكانه ، وقد صرّفني الوزير طول هذه المدة أي شغلني بالوظائف .

ومنها قوله : أصحاب الأطراف أي عمّال النواحي ، إلى كثير من الألفاظ الداخلة في أكثر وجوه الحياة ، في الزراعة والطب والإدارة وغيرها .

ولا بأس بالاستمرار في الاستشهاد ببعض الألفاظ العبّاسية الواردة في نشوار المحاضرة مما تولّى تفسيره تيمور باشا :

من هذه الألفاظ : الطيّار ، لقد وردت هذه اللفظة مرات كثيرة في الكتاب ، ذكر المفسّر مواضعها التي وردت فيها ، من هذه المواضع : فكنت جالساً يوماً إذ جاءني بوّابي وقال : طيّار عريب بالباب وهي تستأذن ، فعجبت من ذلك وارتاح قلبي إليها فقمت حتى نزلت بالشط فاذا هي جالسة في طيّارها .

ومنها : حضرت في بعض أيّام المواكب باب دار الخلافة ، فوقفت في طيّاري والقضاة في طيّاراتهم .

يقول تيمور باشا : يفهم من بعض ما تقدّم أنه شيء يركب ، ومن بعضه أنه نوع من السفن ، ولم يرد هذا المعنى في معجمات اللغة التي بأيدينا ، ومما يؤيد أنه نوع من السفن قول هلال الصابئ في تاريخ الوزراء : أرزاق الملاّحين في الطيّارات والشذآءات والسميريات والحرّاقات والزلاّلات وزواريق المعابر ... ثم قال ويكثر ورود الطيّار في كتب الأدب والتاريخ بما يفهم منه أنه زورق فخم لركوب العظماء ، والظاهر أنهم سمّوه بذلك لأنه من السّفن الخفيفة ، السريعة الجريان كأنها لسرعتها تطير على وجه

الماء . وفي أحسن التقاسيم للمقدسي في اختلاف لغات أهل الأقاليم أن الطيّار هو الزبزب ، وذكر أسماءً كثيرة له تختلف باختلاف الأقاليم ، منها : المعبر والقارب ولم تفسر المعاجم الزبزب بسوى ضرب من السفن .

وقد وردت هذه اللفظة في الأغاني ومروج الذهب . من هذا كله يتبين لنا أن العصر العبّاسي وضع ألفاظاً كثيرة للمراكب كالطيّارات والحرّاقات والزلاّلات والزبازب والمعابر والقوارب والسميريات ، فهذه ألفاظ ترينا من جهة تطوّر اللغة في عصر بني العبّاس ومن جهة ثانية تدلّنا على حضارتهم التي استلزمت هذه الأنواع من المراكب ، منها ما هو للتنزه ، ومنها ما هو للقتال . ومن هذه الألفاظ ما هو عربي المادة والصياغة .

وقد وردت ألفاظ كثيرة في نشوار المحاضرة تدلّ على التطور ، لا سبيل إلى ذكرها كلها فليست الغاية الاستقصاء في ذكر ما ولّده عصر بني العبّاس من الألفاظ ، فان مثل هذا الأمر يحتاج إلى معجم ضخم على نحو ما فعل « دوزي » في معجمه من تفسير الألفاظ المستحدثة التي وردت في كتب المتأخرين ، وبعضها عاميّ ، وإنما الغاية الإتيان بنماذج تثبت تطور اللغة .

وقبل أن أنتقل إلى أنواع ثانية من تطور الألفاظ أرى أن أغتنم هذه الفرصة للإشارة إلى أمرين :

الأمر الأول أن اللغة عرضة للتغيير في كل عصر فالطيّارات في زمن بني العبّاس كانت ضروباً من السفن ، والطيّارات في عصرنا هذا معروفة فهي غير السفن وهذا دليل على تطور اللغة في كل عصر .

والأمر الثاني أن أهل الأقاليم كانت لهم لغة خاصة مختلفة على نحو ما جاء ذكره في أحسن التقاسيم للمقدسي وعلى نحو ما أشار إليه « دوزي » في معجمه ،

في إقليم سفينة اسمها طيّار وفي إقليم آخر اسمها زبزب وفي أقاليم ثانية اسمها المعبر والقارب .

فلنعد الآن إلى بعض الألفاظ التي فسّرها تيمور باشا ، وإذا عدنا إليها فانها تتمة للبحث عن تطوّر اللغة .

من هذه الألفاظ : المزمّلة ، ذكرت في الجملة الآتية : عمد إلى ما عنده من قصب وحرير ومزمّلات وآلة صيف ، فيفعل به مثل ذلك . قال المفسّر :

وربما يسبق إلى الذهن من ذكر المزمّلة مع القماش والحرير أنها نوع من الثياب الثمينة ، والصحيح أن المراد بالقماش هنا متاع البيت وبالمزمّلة إناء للماء ، وقد استشهد بقول هلال الصابئ في تاريخ الوزراء لإثبات معنى المزمّلة ، قال الصابئ :

ودار كبيرة للشراب وفيها ماذيان يجمل فيه الماء المبرّد ، ويطرح فيه الثلج كدراً ويسقى منه جميع من يريد الشرب ، الرجّالة والفرسان والأعوان والخزّان ومن يجري مجرى هذه الطبقة من الأتباع والغلمان ، ومزمّلات فيها الماء الشديد البرد .

وقد استمرّ تيمور باشا في التوسّع في شرح معنى المزمّلة التي يبرّد فيها الماء من جرّة أو خابية خضراء ، وأشار إلى من قال إنها عراقية يستعملها أهل بغداد ، وإن كانت عربية المادّة والصياغة ، وأضاف إلى قوله أن أسلافنا سبقوا للاهتداء إلى ما لم نهتد إليه إلاّ من وقت قريب ، فإنها بهذا الوصف عين الزجاجة المحافظة لدرجة الماء ، وإن اختلف نوع الجهاز فيها ، ثم قال : وقد استعملت في بعض العصور للحوض الذي يشرب منه أبناء السبيل كما يفهم من وصف مزمّلة عملها المستنصر العباسي ببغداد ، ورد ذكرها في جزء مخطوط من تاريخ مجهول عندنا ، وفي خطط المقريزي في كلامه على دار المظفّر وعثورهم فيها على عتبة من صوّان : فبعث بالرجال

لهذه العتبة وتكاثروا على جرّها إلى العمارة ، فجعلها في المزمّلة التي تشرب منها الناس الماء بدهليز المدرسة الظاهرية .

وإذا واظبنا على الاستشهاد بالألفاظ التي وردت في نشوار المحاضرة الدالّة على تطور اللغة في العصر العبّاسي امتدّ بنا نَفَس الكلام ، فليست غايتنا الاستقصاء وإنما غايتنا الاستشهاد ، فلذلك إنّنا ننصرف عن ألفاظ ثانية مثل الخيازر ، جمع خيزران ومثل المِسْوَرة وهي نوع من المتكآت أو المساند أو نوع للجلوس . على أنه قد ورد في بعض الفصول من ذكر الجواهر ما لا يكاد يتصوّره عقل ولا يهمنا من هذا كله إلا الاستدلال بهذه الألفاظ العبّاسية على تطوّر اللغة من جهة وعلى الحضارة الزاهية التي أدّت إلى هذا التطور ، فقد خلقت هذه الحضارة ألفاظاً تختلف الاختلاف كله عن ألفاظ البادية وخشونتها .

أمّا الآن فيجدر بنا ذكر بعض ألفاظ اقتضاها علم الاجتماع أو العمران وغير ذلك ممّا يدلنا على الحضارة المعنوية بعد أن وقفنا بعض الشيء على آلات الحضارة المادية التي أشير إليها في كتاب نشوار المحاضرة أو في غيره من الكتب التي لم نذكرها .

من هذه الألفاظ التي جاء ذكرها في مقدمة ابن خلدون ، في القرن الثامن : الاجتماع الإنساني ... العمران البشري ... حفظ النوع وبقاؤه إلى مآت من هذه الألفاظ التي لا يمكن حصرها ولا يقوم بتوضيحها إلاّ بحث منفرد طويل ، فمن أراد الوقوف على لغة العمران أو الاجتماع أو السياسة أو المدنية أو الصناعات أو غير ذلك كالاقتصاد والزراعة فله مجال واسع في مقدمة ابن خلدون وكتاب ابن مسكويه وغيرهما ، فاذا عنينا بالتدقيق في بعض هذه الألفاظ تبيّن لنا كيف اتسع مجال معانيها ، فنقلت من أفق ضيق إلى أفق مديد ، وإذا كان لا بدّ من الاستشهاد فانّا لا نحاول أن

نضيع في هذا الاستشهاد ، فالحضارة مثلاً معناها في اللغة الإقامة في الحضر ، وهو معنى كما نرى ضيق جداً ، ولكن هذه اللفظة ، في عصر العلوم التي تقدّم ذكرها خرجت من ضيقها إلى سعتها فدلّت على كل ما اجتمع للأمة من الماديّات والمعنويات ، من آثار عمرانها وطراز حياتها وانبساط تفكيرها وأشياء كثيرة جمعتها كلمة الحضارة ، وما يقال في تطور لفظة الحضارة يقال في تطور غيرها من الألفاظ الداخلة في علوم الاجتماع أو العمران ، حتى وفي مذهب التطور ، إنّا نعلم أن الضروري منسوب إلى الضرورة وأن الكمالي منسوب إلى الكمال ، إلاّ أن لفظة الضرورة ضيقة وكذلك لفظة الكمال ، وغيرهما ، فإن طبقة هذه الألفاظ لمّا وضعت أراد بها أصحابها التعبير عن كل ما يحتاج إليه الإنسان أو الأمة في الحياة أو عن كل ما يفيض عن هذا الاحتياج ، وهكذا استطاع علم الاجتماع أو علم العمران أو غيرهما من العلوم التي أشار إليها ابن خلدون في مقدمته أن يجد الألفاظ التي تعبّر عن موضوعه وغرضه ، وإني لأشعر بظلم هذه العلوم إذا اقتصرت على ذكر ألفاظ قليلة منها دون الخوض في بحر هذه الألفاظ .

ولقد نجد في كتاب تهذيب الأخلاق لابن مسكويه بعض الألفاظ التي استعملها ابن خلدون في كلامه على التطور لما قال :

ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج ، آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لهما إلاّ قوة اللمس ، ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب أن يصير أول أفق الذي بعده إلى آخر ما جاء في هذا المقطع .

وفي كتاب تهذيب الأخلاق لابن مسكويه الألفاظ التي استعملها ابن خلدون بعده مثل الأفق والاتصال وغيرهما ، فالأفق في اللغة الناحية أو ما ظهر من نواحي الفلك ، ولكن هذه اللفظة في مذهب التطور الذي ذكره ابن مسكويه ثم ابن خلدون بعده تدل على شيء أوسع من هذا المعنى ، فإنها تدل على آخر ما وصل إليه عالم بحذافيره من عوالم المعادن أو النبات أو الحيوان ، فلم تبق محصورة في معناها الضيّق ، فهذا هو تطوّر الألفاظ .

إلاّ أن تطور اللغة في أيّام بني العبّاس وقبل أيّامهم لم يقتصر على نقل ألفاظ من مواضع إلى مواضع على نحو ما جاء في الألفاظ الإسلامية أو في بعض العلوم المستحدثة بعد الإسلام ، وإنما اتسع رجال اللغة في التطور فلجأوا إلى التعريب والتوليد ، وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها ، وقد يخرج عن موضوعنا الدخول في تفاصيل التعريب وأقسام الأسماء الأعجمية التي غيرتها العرب ، والأمثلة من المعرّب كثيرة في فقه اللغة للثعالبي ، منها ما هو فارسي كالكوز والجرّة والإبريق والطشت والخُوان والطبق ، أو كالألبسة مثل الخز والديباج ، أو كالجواهر مثل الياقوت والفيروزج ، أو كالطعام مثل الكعك والجردق والسميد والسكباج والفالوذج واللوزينج والجوزينج ، ومنها ما هو أصله رومي كالفردوس والقسطاس والبطاقة والقسطل وغيرها .

على أي شيء يدلّ المعرّب ، على اتساع العرب في الحضارة وحاجتها إلى ألفاظ تعبّر بها عن أدوات البيت والمآكل والملابس والأزاهير والأدوية ، إلى غير ذلك من الألفاظ التي تستلزمها لغة الحضارة .

وقد وردت ألفاظ معرّبة ولها أسماء في لغة العرب ، ولكن الأسماء المعرّبة غلبت عليها فماتت الأسماء العربية وعاشت الألفاظ المعرّبة ، من ذلك مثلاً : الميزاب وهو يسمّى : المثعب ، وقد مررت بهذه اللفظة في كتابات الشدياق

إلا أنها ماتت وقامت مقامها الميزاب ، والعرب كانت تسمي الجاسوس : الناطس ، فماتت الناطس وعاشت الجاسوس ، والباذنجان تسميه العرب : المَغْد ، فماتت المغد وعاشت الباذنجان .

فكثير من الأسماء المعرّبة لها أسماء عربية ولكنها غلبت على هذه الأسماء وعاشت وحدها ، ومن هنا يتبيّن لنا أن قانون تنازع البقاء يطبّق على اللغة كما يطبّق على الحيوان .

وكما لجأوا إلى التعريب فقد لجأوا إلى التوليد ، فالمولّد ما أحدثه المولّدون الذين لا يحتج بألفاظهم ، والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فيصح وهذا بخلافه ، ومن غرائب ما اطلعت عليه من المولّد قول ابن دريد : آخ ! كلمة تقال عند التأوه وأحسبها محدثة .

فمن الألفاظ المولّدة الأطرش لأهون الصمم ، والعُجّة للطعام المتخذ من البيض ، والفِطرة لصدقة الفطر ، وستي بدلاً من سيدتي ، والتفرج وهي من انفراج الغم وانكشافه ، والطفيلي نسبة لرجل من أهل الكوفة يقال له : طفيل يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها ، فنسب إليـــه . إلى غير ذلك من الألفاظ المولّدة في عصر تطوّر اللغة .

وقد اشتقوا من الألفاظ الأعجمية أفعالاً ، من هذا النمط : نوروز أو نيروز ، وهي لفظة فارسية معناها اليوم الجديد ، فاشتقوا منها فعلاً وقالوا : نورز على وزن حوقل وهرول ونيرز على وزن بيطر وبيقر ، ومن هذا النمط لفظة : سُقِّف تسقيفاً أي صُيِّر أسقفاً والأُسقف رئيس للنصارى في الدين فوق القسيس ودون المطران وجمعه أساقفة وأساقف .

نستدل بهذا الاشتقاق كلّه على أن اللغة لم تجمد في القديم على شكل من الأشكال ، فليس بها يبوسة وجفاف ، مرّت بها مادّة الأُسقف وهي

غريبة عنها فأدخلتها في مفرداتها وليّنتها حتى هضمتها واشتقت منها فعلاً على جمود هذه المادّة كما اشتقت فعلاً من نوروز أو نيروز .

وإذا كنّا نستنتج من هذه الاشتقاقات لين اللغة وطراوتها فكذلك نستنتج لين الأُمة التي تنطق بها ، فاللغة القابلة للتليين إنما هي مرآة الأُمة القابلة لمثل هذا التليين ، فكما أن لغة العرب طيّعة تطاوع العصر في مظاهره فكذلك العرب كانوا طيّعين يطاوعون عصورهم في مظاهرها على نحو ما طاوعوها في انتقالهم من مضارب البدو إلى قصور الحضارة ، وفي هجرهم في هذه القصور لألفاظ ألفوها في مضاربهم وألفتهم لألفاظ اقتضتها حضارتهم التي دخلوا فيها .

أما وقد فرغنا من الايجاز في الكلام على تطور اللغة في زمن بني العبّاس ، فلننظر الآن ماذا كانت نتيجة هذا التطور ، ماذا كانت نتيجة نقل معاني ألفاظٍ من مواضع إلى مواضع ، ماذا كانت نتيجة التعريب والتوليد ، نتيجة هذا كله موت ألفاظ كثيرة في عصر الحضارة ، إذا كنّا نقرأ معجمات اللغة فاننّا نرى في بطون هذه المعجمات روح الوطن ولحمه ودمه ، هذه المعجمات مرآة الأُمة ، تعكس علينا مختلف أَخلاقها وأمزجتها وطبائعها وصفاتها وترينا كلّ ما يتصل بحركاتها وسكناتها وانتقالها من طور إلى طور على تراخي السنين ، فقد يذهب عصر ويأتي عصر ، فيأخذ الآخر عن الأول ما تركه له من الألفاظ والأفكار والصور ثم ينقل هذا كله إلى العصر الذي يأتي بعده ، ولذلك نستطيع أن نقرأ كل تاريخنا في معجماتنا لأن هذا التاريخ قد أبقى في تضاعيف المعجمات ما خلّفه من أدب وعلم وفلسفة واجتماع وعمران وسياسة ، من قصور وآثار ، حتى إننا نستطيع أن نقول إن علم اللغة إنما هو أكبر معوان للتاريخ .

إلاّ أن هذه المرآة قد ترينا فضلاً عن كل ما تقدمت الإشارة إليه قوانين الحياة مثل قانون تنازع البقاء أو الانتخاب الطبيعي أو التطور أو ما شابه ذلك ، فنشهد هذه القوانين على أكمل وجه ، فمن هذه القوانين ما جرى في عصر بني العبّاس من موت ألفاظ وحياة ألفاظ ، ألفاظ انحدرت من البادية فلم يبق لها سبيل إلى الحياة في الحضر ، وألفاظ خلقت في الحضر فلا تستطيع أن تعيش في البدو .

لقد نشأت لغتنا في البادية ، فكانت لها خشونة هذه البادية في أول نشأتها ، ثم انتقلت إلى الحضر فكانت لها نعومة هذا الحضر ، فكيف تستطيع ألفاظ مثل هذه الألفاظ : الهِلْقِس وهو الرديء الأخلاق ، والهِجْرِس وهو اللئيم ، والهيجبوس وهو الأهوج الجافي ، كيف تستطيع ألفاظ مثل هذه الألفاظ أن تعيش في عصر استفحلت فيه مذاهب الحضارة ، فاقتضت هذه الحضارة رقة اللغة قبل أي رقة ، كيف تستطيع هذه الألفاظ أن تعيش في قصور بني العبّاس ، وما أدراك ما اشتملت عليه هذه القصور من لطائف الحياة على اختلاف ألوانها ، حياة المآكل والمشارب والملابس والغناء والعمران ، كيف تستطيع هذه الألفاظ أن تشيع في شعر الشعراء وكتابة الكتّاب الذين كانوا يمثلون حضارة العصر ، لقد ماتت هذه الألفاظ بمجرّد هجرتها من بيئة خشنة إلى بيئة ناعمة ، فإن الحضارة لا تقبل في لغتها إلاّ الألفاظ السهلة ، الرقيقة ، الليّنة ، إن الحضارة لا تحتمل أشباه هذه المفردات التي تقدم ذكرها ، لذلك اطرحتها واعتاضت عنها مفردات تناسب رقّتها ونعومتها مثل : سيّء الخلق .. رديء الخلق .. أهوج التي شاعت على ألسن العامّة فضلاً عن الخاصة ، فهذا دليل على أن أهل هذه اللغة ، لغة العرب ، بانتقالهم من الوبر إلى المدر رغبوا عن كل مظاهر البدو في لغتهم ، ومالوا إلى مظاهر الحضر ، معنى ذلك أنهم خلقوا للتطور ، فلم يجمدوا

على شكل من الأشكال ، فاطرحوا الألفاظ الخشنة الواردة في كل باب من الأبواب ، فلم يستطيعوا أن يقولوا في زمن بني العبّاس : الحَزَوْلَق للقصير المجتمع الخلق ، والحَفَلَّق للضعيف الأحمق والدُعْشوقة للصبيَّة .

إنّا لا نفتح معجمات لغتنا إلاّ وقع نظرنا على آلاف من الألفاظ التي ماتت في لغة بني العبّاس ، فبطل بهذا الموت استعمالها ، فما أشدّ عمل الذين يجهدون في وضع المعجمات في عصرنا ، فقد يتنازعهم عاملان : عامل الحرص على اللغة وتدوين هذه اللغة في معجماتهم بحذافيرها لأنها تصوّر حياة العرب في تاريخهم أكمل تصوير ، وعامل الاستغناء عن الألفاظ التي ماتت ولم تبق حاجة إليها ، ولا ريب في أن هذا الاستغناء يدخل الألم على النفوس لأن هذه الألفاظ الميتة كانت لها حياة ناضرة في تاريخها ، فقد تقلَّبت في أعطاف السعادة حتى كانت نتيجة هذه السعادة موتها ودفنها في بطون المعجمات ، كما مات حوشي الكلام وغريبه ، فالوحشي من الكلام ما نفر عن السمع ويقال له أيضاً الحوشي حتى إذا كانت اللفظة حسنة ، مستغربة لا يعلمها إلاّ العالم المبرّز والأعرابي القح فتلك وحشية ، وبمعنى الحوشي أيضاً الغرائب والشوارد وقد ألّف الأقدمون كتباً في النوادر والشوارد .

ولكنّا نحمد الله تعالى على أنه إذا ماتت ألفاظ كثيرة في لغتنا قضت عليها حضارة العصر فقد خلقت لنا هذه الحضارة ألفاظاً غيرها تناسب حياتنا .

شفيق جبري

المقصورة الدريدية

(عرض ودراسة)

قصيدة تقع في مئتين وخمسين بيتاً ونيّف من بحر الرجز نظمها أبو بكر محمد بن دريد ، وقد اشتهرت في تاريخنا الأدبي حتى نُظم على منوالها عدد من القصائد ، وشرحها كثيرون من الأدباء .

وناظمها إمام من أئمة اللغة والأدب ، نشأ في القرن الثالث الهجري ، وقد أطلق عليه لقب « أعلم الشعراء وأشعر العلماء » ووصفه ابن خلّكان في وفيات الأعيان بقوله : « إمام عصره في اللغة والأدب » . وقال فيه المسعودي في مروج الذهب : « إنه قام مقام الخليل بن أحمد في اللغة ، وأورد فيها أشياء لم توجد في كتب المتقدمين » . وذكره المرزباني في معجم الشعراء فقال : « كان رأس أهل العلم والمتقدم في الحفظ للغة والأنساب وأشعار العرب » .

ولا غرو فقد أخذ العلم عن أعلام أجلاّء أمثال أبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي وأبي عثمان الأشنانداني ، كما أخذ عنه جملة من مشاهير الأدباء كأبي الفرج الأصفهاني وأبي علي القالي وأبي القاسم الآمدي وابن خالويه ، والمرزباني ، والرمّاني وسواهم .

ولد ابن دريد في البصرة سنة ٢٢٣ للهجرة وتوفي في بغداد سنة ٣٢١ وفي خلال هذا العمر الطويل تقلبت عليه حوادث شتى وتنقل بين مختلف الأمصار . فقد عاش في البصرة مسقط رأسه حتى اضطربت أحوالها وعمها الشقاء من جرّاء الثورة التي قام بها الزنج هناك . وذلك سنة ٢٥٥ هـ فانتقل

إلى عُمان حيث مكث نحو ١٢ سنة ثم عاد إلى البصرة وأقام فيها . على أن إقامته في البصرة لم تستمر فقد وردته دعوة من فارس للقدوم إليها وخدمة صاحبيها الأميرين عبد الله بن ميكال وإسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال . فلبّى دعوتهما ونظم لهما المقصورة الدريدية كما وضع لهما كتاب الجمهرة فأكرماه غاية الإكرام حتى إنهما قلداه ديوان الكتابة في فارس فكانت كتب الديوان لا تصدر إلا عن رأيه ولا ينفّذ أمرٌ إلا بعد توقيعه (١) . وظل يرتع في ظل نعيمها ويتمتع بنفوذه الكبير هناك حتى عزلاه عن عمالة فارس . فترك فارس وقصد بغداد حيث حظي برضى وتقدير الخليفة المقتدر ، فأجرى عليه خمسين ديناراً كل شهر إلى أن توفي وقد قارب المئة من العمر .

ويؤخذ من أقوال الذين رووا سيرته أنه كان سمح الخلق ، سخيّ اليد ، كريم النفس ، مع ميل إلى الغناء والشراب . وقد عاب عليه بعضهم إدمانه الخمرة وشغفه بآلات الطرب ، وجعلوا ذلك سبباً للطعن في صحة ما كان يرويه ويمليه من أحاديث لغوية وأدبية . على أن طعنهم لم يحطّ من قدره العلمي عند أكثر النقاد ، فظل مقامه في التاريخ الأدبي مقام إمام ثقة وأديب وشاعر كبير .

قلنا إن المقصورة نظمها للأميرين اللذين كانا يتوليان عمالة فارس . على أنها على طولها لم يشغل مدحه فيها فيها أكثر من ١٥ بيتاً . ولم يتكلف الشاعر فيه المبالغات المتطرفة والغلو الكاذب تملّقاً لممدوحيه بل لزم بثّ الشعور الصادق نحوهما معترفاً بفضلهما وكرم أخلاقهما ، كما سترى في ما سنعرضه من قوله فيهما .

الحقيقة أن هذه القصيدة ليست منظومة مدحٍ يتزلف به الشاعر إلى الممدوح ، بل هي عرض لأحوال الشاعر ونظراته في الحياة . وهي مؤلفة من بضعة مواقف قد لا يرى القارئ بينها وحدة ظاهرة في الموضوع ،

(١) الوفيات .

ولكنه إذا دقق النظر فيها وجدها موحّدة بروح الشاعر، إذ يجابه الدهر وأبناءه، ويحاول الوقوف أمامه موقف الأبي الشجاع. وإليك مواقفه الرئيسية فيها:

الموقف الأول — (الشاعر والدهر) يفتتحه بمخاطبة غادة خيالية فيقول:

يا ظبيةً أشبه شيء بالمهى ترعى الخزامي بين أشجار النّقا

وفي نحو ٣٠ بيتاً يبثها ما يشعر به من وطأة الزمان عليه، ولكنه يغتفر كل ذلك بالنسبة إلى ما أصابه من فراق الأحباب:

فكلُّ ما لاقيته مغتفر في جنب ما أسأره[1] شحط النوى
لو لابس الصخر الأصمُّ بعض ما يلقاه قلبي فضّ أصلاد الصفا
شجيتُ لا بل أجرضتني غصّة عنودها[2] أقتل لي من الشجا
إن يحمِ عن عيني البكا تجلّدي فالقلب موقوف على سبل البكا
لو كانت الأحلام ناجتني بما ألقاه يقظانَ لأصماني الردى
منزلة ما خلتها يرضى بها لنفسه ذو أدب ولا حِجا
في كل يوم منزل مستوبَل يشتف ماء مهجتي أو مجتوى
أرمّق[3] العيش على برضٍ[4] فإن رمت ارتشافاً رمت صعب المنتشى[5]

ثم يلتفت إلى الدهر معاتباً بل مراغماً فيقول له:

يا دهر إن لم تك عتْبى فاتّئدْ فإن إروادك[6] والعتبى سوا

(١) أبقاه البعد .
(٢) العنود فَعول من العناد .
(٣) العمل يعمله المرء ولا يحسنه يتبلغ به (المجلة)
(٤) البَرْض : العطاء القليل (المجلة)
(٥) المنتشى : المطلب البعيد (المجلة)
(٦) الإرواد : الرفق والمهل (المجلة)

رفـّهْ عليّ ، طالمـــا أنصبتني واستبْقِ بعض ماء غصنٍ ملتحى

لا تحسَبنْ يا دهر أني ضارع لنكبة تُعرقني عرقَ المُدى

مارستَ من لو هوت الأفلاك من جوانب الجوّ عليـه ما شكا

على أنه مع ذلك يشعر بأن للقضاء قوة لا يستطيع الإنسان مقاومتها ، وحكماً لا يقوى على ردّه ، فيقول متجلـّداً :

رضيتُ قسْراً وعلى القسر رضى من كان ذا سخط على صرف القضا

من (١) الجديدين إذا ما استوليا على جديد أدنياهُ للبِـــلى

ما كنت أدري والزمان مولع بشتِّ ملمومٍ وتنكيث قوى

إن القضـــاء قاذفي في هوّة لا تستبلُ (٢) نفس من فيها هوى

فان عثرتُ بعدها ، إن وَألتْ نفسيَ من هاتا فقولا لا لَعـا (٣)

وإن تكن مدّتها موصولة ، بالحتف سلطت الأُسا على الأسى

وأمام حكم القضاء الذي لا مرد له تراه يتأسّى بأعلام في التاريخ جار عليهم الزمان ، برغم ما كانوا عليه من عز وعلو مقام . فيذكر ما أصابهم وكيف هلكوا ويعقب على ذلك بقوله :

هل أنا بِدعٍ من عرانين عُلا جار عليهم صرف دهرٍ واعتدى

فان أنالتني المقـــادير الذي أكيده لم آلُ في رأب الثأى(٤)

ما اعتنّ لي يأس يناجي همّتي إلا تحدّاه رجاء فاكتمى(٥)

وإذ ينتهي من وصف جور القضاء وما أصابه من نكباته ، وكيف أن ذلك لم يوقعه في هوة اليأس ينتقل بنا إلى الموقف الثاني :

---

(١) الرواية : إن الجديدين — ولعل (من) من سبق القلم . (المجلة)

(٢) لا تشفى (المجلة)

(٣) وألت : نجت وخلصت . لا لعًا : لا نجاة وهي دعاء للعاثر (المجلة)

(٤) الثأى : الفساد (المجلة)

(٥) اعتن : اعترض . واكتمى : استتر (المجلة)

موقف المفاخرة بمضاء العزم وشدة البأس ويبدأه بثلاثة أقسام (جمع قَسَم) فيقسم أولاً بالنياق وهي تحمل الحجاج إلى المناسك المقدسة في مكة . وهذا القسم يشمل أربعة عشر بيتاً في وصف هذه النياق وسيرهنّ في الصحراء وراكبيها الأنقياء ، وقيامهم بواجبات الحج نثبت منها ما يلي :

يَرسبن في بحر الدجى وبالضحى	يطفون في الآلِ إذا الآلُ طفا
يحملن كل شاحب محقوقِف	من طول تدآب الغدوّ والسرى
برٍّ برى طول الطوى جثمانه	فهو كقِدح النَّبع محنيُّ القَرا (١)
ينوي التي فضَّلها رب العلى	لما دحا تربتها على البُنى
حتى إذا قابلها استعبر لا	يملك دمع العين من حيث جرى

ويلي ذلك ٧ أبيات يقسم فيها بالخيل التي تحمل الفرسان إلى الحرب والجهاد ، وهاك بعض وصفه لفرسانها .

يحملن كل شِمّريٍّ باسلٍ	شهم الجَنان خائض َغمرَ الوغى
يغشى صلا الموت (٢) بحدّيهِ ؟ إذا	كان لظى الحرب كريه المصطلى
لو ُمثّل الحتف له قِرناً لما	ردّته (٣) عنه هيبة ولا انثنى
ولو َحمَى المقدار عنه مُهجةً	لرامها أو يستبيح ما حمى
تغدو المنايا طائعاتٍ أمرَه	ترضى الذي يرضى وتأبى ما أبى

ويقسم أخيراً بكرام العرب بمثل قوله :

بل قَسماً بالشمّ من يعرب هل	لمُقسِمٍ من بعد هـذا منتهى (٤)
هم الأولى أجروا ينابيع النَّدى	هاميةً لمن عرا أو اعتفى

---

(١) القرا : الظهر (المجلة)

(٢) الرواية : صلا الحرب . (المجلة) .

(٣) الرواية : صدته . (المجلة)

(٤) هذا القسم للتكريم ، والحَلِف لا ينعقد إلا بالله العلي العظيم . (لجنة المجلة)

وبعد أن يقسم بكل ذلك يأتي بجواب لأقسامه المذكورة ، في **٢١** بيتاً ، واصفاً فيها بأسه ومضاء عزمه وشجاعته ، وانه سيظل أبداً متهيئاً للحرب حتى يوارى في الثرى ، وله صاحبان اثنان هما حصانه وسيفه .

ومن أوصافه في السيف :

وصاحبايَ صارم في متنه   مثل مَدبّ النمل يعلو في الربى
كأن بين عَيره(١) وغربهِ   مُفتَأداً تأكلت فيه الجذى
يُري المنون حين تقفو إثره   في ظُلَم الأكباد سبلاً لا تُرى

ومن أوصافه للحصان :

يرضخ(٢) بالبيد الحصا فإن رقى   إلى الربى أورى بها نار الحبا
يجري فتكبو الريح في غاياته   حسرى تلوذ بجرائيم السحا(٣)
لو اعتسفتَ الأرض فوق متنه   تجوبها ما خفت أن يشكو الوجى(٤)
إذا اجتهدت نظراً في إثره   قلت سنا أومض أو برق خفا
كأنما الجوزاء في أرساغه(٥) والنجم في جبهتـــه إذا بدا

هذان الصاحبان هما على حد قوله عتاده في الحياة — وبهما يستغني عمَّن جعله من الناس عدة له :

هما عتادي الكافيانِ فقد مَن   أعددتُه فلْيَنأ عني من نأى
فإن هممت برحى منصوبـــة   للحرب فاعلم أنني قطب الرحى

(١) العَيْر : الموضع الناتئ ، والغرب : حد السيف ، والمفتأد : موضع النار . والجذى : جمع جذوة : الجمرة (المجلة)
(٢) يرضخ : يكسر . والحبا : أصلها : الحباحب وهي دويبة تضيء بالليل ورخمهـــا لضرورة الشعر (المجلة)
(٣) السّحا : ضرب من الشجر (المجلة)
(٤) الوجى : الحفا (المجلة)
(٥) جمع رسغ وهو مفصل ما بين الحافر والوظيف (المجلة)

وإن رأيت نار حرب تلتظى فاعلم بأني مسعر ذاك اللظى
خير النفوس السائلاتُ جهرةً على ظبات المرهفات والقنا

وهنا ينقلنا إلى موقف ثالث — موقف حنينه إلى العراق وطنه الأصلي . فهو الآن في فارس التي أمَّها كما علمنا ليكون في صحبة أميريها ابني ميكال . وقد حمد صحبتها ورعايتها له ، لكنه لم ينسَ وطنه وأهل وطنه فيعتذر عن مفارقتهم ويصرِّح بأن لا شيء راقه بعدهم ، بل هو لم يلق مثلهم في الناس إلا من رعوه في غربته بعطفهم وأفاضوا عليه من كرمهم ، يقصد بذلك الأميرين المار ذكرها ، وقد جعل من هذا سبباً تخلص به إلى مدحها في نحو ١٥ بيتاً وفي ذلك يقول :

إن العراق لم أفارق أهله عن شنآن صدَّني ولا قلى
ولا اطَّبى عينيَّ مذ فارقتهم شيء يروق العين من هذا الورى
إن كنتُ أبصرت لهم من بعدهم مثلاً فأغضيت على وخز السفا (١)
حاشا الأميرين اللذين أوفدا عليَّ ظلاًّ من نعيم قد ضفا
هما اللذان أثبتا لي أملاً قد وقف اليأس به على شفا
تلافيا العيش الذي رنَّقه صرف الزمان فاستساغ وصفا
وأجريا ماء الحيا لي رَغَدا فاهتزَّ غصني بعد ما كان ذوى
وقلَّداني منَّةً لو قُرنت بشكر أهل الأرض عني ما وفى

ثم يذكرها باسميها ويوجه إلى كل منها ثناء ومدحاً خاصاً ، ويختتم مدحها بقوله :

نفسي الفداء لأميريَّ ومن تحت السماء لأميريَّ الفدا
لا زال شكري لهما مواصلاً لفظيَ أو يعتاقني صرف المُنى

وبعد مدح الأميرين يعود إلى ذكرى العراق والتنويه بمكارم أهله :

(١) السفا : الشوك . (المجلة)

إن الألى فارقتُ من غير قلى ما زاغ قلبي عنهم ولا هفـــا
لكنَّ لي عزماً إذا امتطيتــه لمبهم الخطب فآه‘ فانفأى(١)

ويقول لو شئت لرتعت في ظلال النعيم والغنى ، وللهوت بصحبة غادةٍ لعوب تخفف عني آلام الفراق ، ويصف هذه الغادة بتسعة أبيات من مثل قوله :

ولاعبتي غادة وهنـــانة ُتضني وفي ترشافها برء الضنى
في خدها روض من الورد على النّيسرين بالألحاظ منها يجتنى
لو ناجت الأعصم لانحط لها طوع القياد من شماريخ الذرى
أو صابت القانت في ُمخلولقٍ مستصعب المسلك وعر المرتقى
ألهاه عن تسبيحه ودينـــه تأنيسها حتى تراه قد صبا

ولكن وصف هذه الغادة الحسناء لم يقطع حبل ذكراه ، فهو يستطرد ناظراً إلى الغيم ، ويدعوه أن يحمل الغيث إلى وطنه ، وذلك في عدد غير قليل من أوصاف رائعة للمطر .

الموقف الرابع — (الشاعر كما يرى نفسه) :

١٥ بيتاً يقف فيها الشاعر مرفوع الرأس يتحدى الزمن والقدر كقوله :

قد مارستْ مني الخطوب ما رسا(٢) يساور الهول إذا الهول علا
لي التواء إن معاديَّ التوى ولي استواء إن مُواليَّ استوى
طعمي شـريٌ(٣) للعدوّ تارة والراح والأري لمن ودّي ابتغى
لَدْنٌ إذا لوينت سهل معطفي ألوى إذا خوشنت مرهوب الشذا
يعتصم الحلم بجنبَي حَبوتي إذا رياح الطيش طارت بالحبي(٤)
لا يطـّبيني(٥) طمـــع مدنّس إذا استمال طمـع أو اطـّبي

(١) فأى الشيء : فتحه أو شقّه‘ (المجلة)
(٢) المارس : الشديد (المجلة)
(٣) الشريُ : الحنظل (المجلة)
(٤) الُحبى : جمع ُحبوة ، وهي شد الازار على الركبتين والظهر (المجلة)
(٥) اطـّبى : استمال (المجلة)

الموقف الخامس — نظراته في الناس والزمان :

أربع وخمسون بيتاً ينظر فيها الناس والزمان بعين الحكيم المختبر ، ذاهباً فيها مذهب الأمثال البليغة . وقد يلحظ قارئها مسحة من التشاؤم تستولي على نفس الشاعر ، وذلك طبيعي عند جميع الناظرين في الحياة البشرية وتصرفات بني البشر . ومن الأمثلة القليلة التي نثبتها هنا يمكن تكوين فكرة عن آراء الشعراء المفكرين وعن قوة شاعرنا في سبك الحكمة بقالب من الشعر البليغ — قال — :

والناس كالنبت فمنهم رائع غضٌّ نضيرٌ ، طعمُه مرُّ الجنى
ومنه ما تقتحم العين فإن ذقتَ جناه انساغ عذباً في اللَّها
من ظلم الناس تحاموا ظلمه وعزّ عنهم جانباه واحتمى
وهم لمن لان لهم جانبه أظلم من حيات أنباث (١) السفا
عبيدُ ذي المال وإن لم يطعموا من غمرةٍ في جرعة تشفي الصدا
وهم لمن أملق أعداء وإن شاركهم فيما أفاد وحوى
لا ينفع (٢) اللبُّ بلا جَدٍّ ولا يحطّك الجهل إذا الجدُّ علا
من لم تعظه (٣) عِبَراً أيامه كان العمى أولى به من الهدى
من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما راح به الواعظ يوماً أو غدا
من ناط بالعُجب عُرى أخلاقه نيطت عُرى المقت إلى تلك العُرى
والناس ألفٌ منهم كواحدٍ وواحد كالألف إن أمرٌ عنا
وللفتى من ماله ما قدّمت يداه قبل موته لا ما اقتنى

(١) أنباث : التراب المستخرج من البئر والسفا التراب (المجلة)
(٢) في الرواية : لا يرفع (المجلة)
(٣) في الرواية : من لم تفده عبراً (المجلة)

وإنما المرء حديثٌ بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى
وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا

وإذ يصف الناس وأخلاقهم وينظر في أعمالهم وتصرفاتهم ، يقوده هذا النظر إلى الحكم عليهم بأن أمجادهم وأكارمهم قلّة بالنسبة إلى سواهم إذ يقول :

إن نجوم المجد أمست أفّلا وظلّه القالص أضحى قد أزى[١]
إلا بقايا من أناسٍ بهم إلى سبيل المكرمات يهتدى
إذا الأحاديث اقتضت أنباءهم كانت كنشر الروض غاداه السدى[٢]

وهنا يقطع مجرى كلامه الحِكَمي ، فينتقل بنا بغتة إلى بعض مشاهد البادية ، ولعلها مما أوحته إليه رحلته التي قام بها ما بين البصرة وفارس .

ويتخيّل وهو بعيد عن وطنه أن طيفاً زاره في الحلم بعد أن سلك إليه البوادي والقفار ويتعجب الشاعر متسائلاً كيف اهتدى إليه ، وهل كان يعرف بلاد فارس قبلاً . وكأنّ ذلك الطيف جاء يسأله : ما الذي جعله يترك وطنه فيجيب :

وسائلي بمزعجي عن وطنٍ ما ضاق بي جنابُه ولا نَبا
قلت القضاء مالكٌ أمر الفتى من حيث لا يدري ومن حيث درى
لا تسألنّي واسأل المقدار هل يعصم منه وزر ومدّرى[٣]
لا غرو إن لجَّ زمان جائر فاعترق العظم المُميخ[٤] وانتقى

(١) أزى : قصر وتقبّض (المجلة)
(٢) السّدى : الندى (المجلة)
(٣) في الرواية : ومزدرى : المكان المرتفع (المجلة)
(٤) المُميخ : الذي فيه مخّ (المجلة)

وتحمله الذكرى إلى أيام شبابه في وطنه ، بين القيان والخمر والندامى فيقف الآن متّعظا وقد تقدمت به السن ويقول :

يا هؤليّا [١] هل نشدتنّ لنا ناقبة البرقع عن عينَي طلا
ما أنصفتْ أم الصبيّين التي أصبتْ أخا الحلم ولمّا يصطبي
إستحي بيضا بين أفوادك [٢] ان يقتادك البيض اقتياد المُهتَدى
هيهات ما أشنع هاتا زلّةً أطرَباً بعد الشيب والجلا [٣]

ويجمل ختام القصيدة خلاصة اختباره في الحياة فيقول :

مِن كلِّ ما نال الفتى قد نلته والمرء يبقى بعده حسن الثنا
فان أمتْ فقد تناهتْ لذّتي وكل شيء بلغ الحدّ انتهى
وإن أعش صاحبت دهري عارفاً بما انطوى من صرفه وما انسرى
حاشا لما أسأره [٤] فيّ الحجا والحلم أن أتبع روّاد الخنا
وان أرى لنكبة مختضعاً أو لابتهاج فَرِحاً ومزدَهى

فالمقصورة الدريدية وإن تكن قد نظمت لأميرين ، أراد الشاعر التنويه بفضلها عليه وإظهار ما لهما من شيم ومكارم ، فإنها في الواقع كما مرّ معنا منظومة تشمل بضعة مواقف يدور معظمها حول شخصية الشاعر ونظره في الدهر وأبناء الدهر ، وليس المدح فيها إلا شيئاً ضئيلاً بالنسبة إلى ما تحتويه من أوصاف عامة ، ومواقف إنسانية ، وحكم بالغة . والآن فلنتحول قليلاً

---

(١) هؤليّا : تصغير هؤلاء (المجلة)
(٢) الفود : جانب الرأس ، والبيض هنا الشيب (المجلة)
(٣) الجلا : انحسار الشعر (المجلة)
(٤) اسأره : أبقاه (المجلة)

عن أغراضها ومعانيها ، ولنلقِ نظرة وجيزة على الوجهة الفنية منها ، أو ما نسميه بأسلوب النظم . ويراد بالأسلوب الفني كيفية تعبير الشاعر عن أغراضه ومعانيه .

ومعلوم أنه منذ القدم كان نقّاد الشعر يميّزون بلاغة المعنى من بلاغة اللفظ . بل كان بعضهم يرى أن بلاغة الشعر قائمة بالأكثر ، لا على مادّته المعنوية ، بل على الطريقة التي تصاغ بها هذه المادة وتعرض للناس . وعليه قول الجاحظ « المعوّل في حسن الكلام على حسن الإفهام » وهذا رأي كثير من النقاد في تاريخنا الأدبي . وهو رأي فيه كثير من الصواب ، ولكنه قد سيء فهمه على حقيقته حتى تحول منذ القرن الرابع الهجري (بل منذ القرن الذي سبقه) إلى الاهتمام بمحسّنات الكلام والتهافت على ضروب البديع ، مما أدّى في عصور لاحقة إلى التوفر على الصناعة البديعية المتكلفة . وإذا كنا نرى أن بعض فحول الشعر في القرن الثالث كأبي تمام ومن جرى مجراه يمنون بتزيين نظمهم ببعض ضروب البديع فإن ابن دريد في مقصورته لم يحاول الخروج عن طريقة الجاهلية وصدر الإسلام ، بل ظل محافظاً على بساطة العرض وعدم التكلف الصناعي ؛ على أن ذلك لم يمنعه من أن يعبّر عن خواطر نفسه تعبيراً فنياً رائعاً . ويمتاز تعبيره بمزايا أهمها ما يلي :

١ — حسن التصوير للمعاني : معتمداً بدائع التشابيه والاستعارات وغيرها من الكلام المجازي ، مع قليل مما يجيئه عفواً من البديع اللفظي .

٢ — الدقة في استعمال اللفظ المناسب :

وتلك في الواقع مزية كل شعر رائع التركيب حيث لا نجد في ألفاظه نبوة أو قلقاً يفسد صياغته ويسيء إلى معانيه ، بل يشعر قارئه بانسجام فيه وإيقاع ترتاح النفس إليه .

وإذا تحررت ألفاظ المقصورة وجدتها ، على ما فيها من غريب اللفظ أحياناً ، محكمة الوضع مناسبة للمقام . فهي جزلة في مقام الجزالة ، رقيقة في مقام الرقة ، وعرة حيث الوعورة أدلّ على المقصود ، فخمة حيث الفخامة هي الغرض المنشود .

وخلاصة القول ان الذي يدرس هذه القصيدة حق الدرس وينعم النظر في شتى مواقفها يتراءى له صاحبها من خلال نفثاته فيها رجلاً أبيّ النفس مرهف الحس ، ذا مقدرة عجيبة على تجسيم المعاني بصور رائعة وبعبارات وألفاظ محكمة ، رجلاً عارك الزمان وأهله ، فعرف منه ما ظهر وما خفي ، وهكذا استطاع أن يصفه وصف الخبير المدقق . وها قد مرّ عليه ما يزيد على ألف ومئة سنة ولا تزال مقصورته تُقرأ وتُطرب لحسن معانيها ومبانيها . وحبذا لو أن ناشئة الأدب اليوم يدرسونها كما يجب ليستفيدوا منها كما تستفيد الأمم الراقية من روائع ماضيها .

أنيس المقدسي

الطب الوقائي عند العرب

مارس العرب الطب بجميع فروعه ، فكان حريّاً بهم أن يمارسوا الطب الوقائي ، لا سيما وان النجاح الذي أحرزوه في بعض المعالجات جعلهم يضاعفون اهتمامهم لتجنب الأمراض والوقاية منها . وقد قالوا : إن درهماً من الوقاية خير من قنطار من العلاج . ومع ذلك فان تتمة أمر جعل الطب الوقائي لم يكتمل بشكل واضح لديهم وهو عدم توصلهم إلى اكتشاف الجراثيم المسببة للأمراض . فطالما لم يعرفوا أن للمرض عاملاً يسببه فملامّ الوقاية ومم يتوقون ؟

غير أن الأمر يختلف عن القول المطلق ، ذلك أنهم توصلوا بالتجربة الى تأثير النظافة ، في شفاء الأمراض ، وعرفوا العدوى وانتقالها ، واهتموا بحفظ الصحة للتغلب على المرض ، رغم أنهم كانوا يعملون بنظرية الأخلاط ، وهي أن الأمراض تنشأ عن اختلاف الأخلاط التي يتكون منها الجسم حسب رأيهم .

ونظرية الأخلاط هذه نظرية قديمة تنص على أن الجسم له سبعة مظاهر طبيعية هي العناصر والأخلاط والأمزجة والأعضاء والصفات والوظائف والأرواح . وان الأخلاط أربعة هي الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء . وعندما تضطرب هذه الأخلاط تركيباً وتجانساً بالنسبة للأعضاء والوظائف يحدث المرض ولا علاج له إلاّ تعديل هذه الأمزجة ، ولا وقاية منه إلا بتدبير صحة الجسم بشكل يتفق والحالة الطبيعية للأخلاط ، كأن يكون الأمر متعلقاً بالطعام والشراب والحركة والسكون والنوم واليقظة واحتباس السوائل في الجسم واستفراغها منه . أما ما يزيد عن ذلك فهو أمرٌ يتعلق بإرادة الله وهو إيمان لا سبيل للشك أن يتطرق إليه . وان الوقاية تكون بمنع المرض بالوسائل الصحية والغذاء الموافق ، وبحفظ أخلاط الجسم في حالة التوازن .

وكيفما كانت النظريات المفسرة لنشوء الأمراض فإن الطب الوقائي عند العرب قائم على أسس صحيحة يقرها العلم الحديث تماماً . ويمكن تفصيل ذلك بالقاء نظرة إلى الأصول الثلاثة التي يتكون منها الطب الوقائي وهي : الصحة البدنية والصحة الاجتماعية والصحة الوقائية في الأوبئة والأمراض السارية .

أولاً — الصحة البدنية : ويطلق عليها قواعد حفظ الصحة وهي مما أعاره العرب أهمية كبيرة ، فقد روى ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء أن عضد الدولة عندما دخل بغداد كان أول من لقيه من الأطباء اثنان هما سنان بن ثابت وأبو الحسن الحراني ، وهما طبيبان فاضلان ، فلما دخلا عليه في مجلسه قال : مَن هؤلاء ؟ قالوا هؤلاء الأطباء . قال نحن في عافية وما بنا حاجة إليهم . فانصرف الطبيبان خجلين . فلما خرجا إلى دهليز القصر قال سنان لأبي الحسن : هل يجمل بنا أن ندخل إلى الملك فيردّنا ونحن شيخا بغداد ؟ فقال أبو الحسن : فما الحيلة ؟ قال نرجع إليه وأنا أقول ما عندي وننظر ماذا يكون الجواب . قال افعل . فاستأذنا ودخلا ثانية إليه فقال سنان : أطال الله بقاء مولانا الملك إن موضوع صناعتنا حفظ الصحة لا مداواة الأمراض . والملك أحوج الناس إليه . فقال له عضد الدولة : صدقت . وقرر لهما راتباً وصارا ينوبان مع أطبائه .

وقد أكثر الأطباء العرب من الكتابة في علم الوقاية وحفظ الصحة ، حتى أن لا أقلّ من ثلث مؤلفاتهم كانت في هذه المواضيع ، وقليل منهم من لم يكتب كتاباً أو رسالة في هذا البحث . حتى إن علي ابن المجوسي ذكر أن حفظ الصحة أجلّ من معالجة المرض ، لأن الصحة في الأصحاء موجودة وفي المرضى معدومة ، وحرز الشيء الموجود أجلّ من طلب الشيء المفقود . وقد قسّم بحث حفظ الصحة إلى ثلاثة أقسام أحدها : حفظ صحة الأبدان الصحيحة . والثاني : حفظ صحة الأبدان الضعيفة التي تحتاج إلى إنعاش . والثالث : حفظ صحة الأبدان التي قد أشرفت على الوقوع في

الأمراض والتحرز من نزولها بها . وقد خصص في كتابه المسمى كامل الصناعة الطبية ٣١ فصلاً في حفظ الصحة وبحثها بحثاً مستفيضاً . وقد أعار الرياضة البدنية أهمية كبيرة ، فقال إن الرياضة من أفضل ما يستعمله الإنسان في حفظ الصحة ، وأعظمها منفعة إذا كانت قبل الغذاء ، وذلك انها تقوي الأعضاء وتصلبها وتحلل الفضول التي تبقى في الأعضاء من الغذاء . وكلما كانت الرياضة أقوى كان الهضم أجود وأسرع ، ويذكر دليلاً على ذلك ما يرى من صحة أبدان أصحاب الكدّ والتعب وقلة ما يَعْرِض لهم من الأمراض . وهو يوصي بعدم اللجوء إلى الرياضة بعد الأكل مباشرة عندما يكون الطعام في المعدة لئلا ينحدر الى الأمعاء قبل انهضامه جيداً .

ومما قاله الأطباء العرب عن الاستحمام أن يكون بعد الرياضة ولا أن يكون بعد الطعام . وأوصوا بعدم الأكل بعد الاستحمام ، وأن يكون الدلك معتدلاً فيه .

وقالوا عن تدبير الصحة بالغذاء أن لا يكثر الإنسان من الطعام . وقالوا ان من كان الطعام عنده بطيء الانحدار عن المعدة والأمعاء ينبغي أن يتوقى الأطعمة القابضة والغليظة . ونصحوا باجتناب شرب الماء وقت تناول الأغذية لأنه يعيق الهضم .

وقالوا عن تدبير صحة المرضع أن تكون المرضع بين الخامسة والعشرين وبين الأربعين من العمر ، وأن يكون بدنها صحيحاً ومزاجها معتدلاً وصدرها واسعاً . ولا تكون قريبة العهد بالولادة ولا بالبعيدة منه ، وتغذى تغذية جيدة باللحوم والفواكه والسكريات وأن لا تكون حاملاً لأنها إن حبلت كان ذلك ضرراً بالطفل لأن الدم الجيد ينصرف في غذاء الجنين ويبقى الحليب ناقصاً ومضطرباً .

وتتفق النظافة وتعاليم الدين ، فالوضوء خمس مرات يومياً ، والطهارة بالماء ، والصلاة التي هي رياضة للجسم ، واستعمال المسواك بعد الأكل ، كل

ذلك من القواعد الأساسية في حفظ الصحة عند العرب . بل إن النظافة (وهي من الإيمان) ، وإزالة الأقذار ، يمكن أن يكون ذلك وحده علاجاً لبعض الأمراض كما في الحادثة التالية التي رواها ابن أبي أصيبعة وهي أن الطبيب العربي عبد الملك بن زهر كان في وقت مروره إلى دار أمير المؤمنين بإشبيلية يجد في طريقه ، عند حمام أبي الخير ، مريضاً وقد كبر جوفه واصفر لونه ، فكان يشكو إليه حاله ويسأله النظر في أمره . فلما كان بعض الأيام وهو في طريقه سأله مثل ذلك السؤال ، فوقف ابن زهر عنده ونظر إليه فوجد عند رأسه إبريقاً عتيقاً يشرب منه الماء ، فقال له اكسر هذا الإبريق فانه سبب مرضك . فقال لا بالله يا سيدي فليس لي غيره . فأمر بعض خدمه بكسره فكسره وإذا فيه ضفدع . فقال له خلصت يا هذا من المرض وتشافى الرجل بعد ذلك .

ثانياً — الصحة الاجتماعية : ويقصد بها المحافظة على صحة المجتمع عامة من الأمراض . وكان العرب يفرضون رقابة شديدة على الأسواق والمحلات العامة وحوانيت الأغذية ويوكلون هذه المراقبة الصارمة إلى المُحْتَسِب ، ويدعون العمل الذي يقوم به بالحِسْبَة ، وهي إلزام أصحاب الصنائع بكف الأذى عن الناس واتباع النظافة وعدم الغش . ومن ذلك ما يذكره ابن عبدون الأندلسي من أنهم يولون العناية بنظافة الطرق ، ويمنعون الناس من طرح الأوساخ أو إراقة الماء فيها ، ويمنعون الصباغين من عملهم في الأسواق والطرق الضيقة لئلا يتلوث لباس المارّة .

ومنها أيضاً مراقبة الطحانين وإلزامهم بغربلة القمح وتنقيته قبل الطحن ، ومراقبة الخبازين وأن لا يعجن أحدهم إلاّ وهو ملثم لئلا يتطاير من فمه شيء إذا عطس أو تكلم . وأن يشد على جبينه عصابة بيضاء كي لا يعرق فيقطر منه شيء فوق العجين ، وأن يحلق شعر ذراعيه حتى لا يسقط منه شيء فيه ، وإذا عجن في النهار فليكن عنده إنسان بيده مِذَبَّة يطرد عنه الذباب .

ومنها كذلك مراقبة الجزارين ومنعهم من الذبح على أبواب دكاكينهم بل في مذبح خاص ، وكانوا ينهون الأبخر (وهو ذو الرائحة الكريهة في الفم) من النفخ في الشاة عند سلخها . ويأمرونهم بأن يعزلوا لحوم الماعز عن لحوم الأغنام . وأن يخضبوا لحم الماعز بالزعفران ليميزوه عن غيره ، وأن تكون أذناب الماعز معلقة على لحومها عند البيع . ويأمرونهم إذا فرغ أحدهم من بيع اللحم أن يأخذ ملحاً مسحوقاً وينثره على القرمة التي يقصّب عليها اللحم لئلا تتعفن أو تدوّد . وكانوا يمنعونهم من بيع لحم الميتة أو المريضة أو اللحم المتغير اللون . وإن شك المحتسب في الحيوان هل هو ميتة أو مذبوح اختبر اللحم بالماء فان طفى فهو ميتة وإن رسب فهو مذبوح . ونظراً لما لاحظوه من أن البقر والدجاج يأكل الأقذار فقد نهوا عن أكل لحمه أو شرب لبنه إلا بعد حبسه وإطعامه طعاماً طاهراً مدةً حتى يطيب لحمه ولبنه .

ومنها مراقبة أصحاب حوانيت الأغذية المعروفة آنذاك كالحلوانيين والشرابيين واللبّانين والشوائين وقلائي السمك ، وأصحاب معاصر الشيرج (دهن السمسم) . وكذلك السقائين ، وكان عمل المحتسب إذ ذاك كما يقول الأندلسي أن يحدّد للسقائين موضعاً يصنعون فيه قنطرة من ألواح فيستقون منها . ولا يتسنّى لأحد أن يشاركهم فيه خوفاً من تلوث الماء ، ولا أن يقترب من الموضع أحد للاغتسال وغسل الثياب . كما أنهم يمنعون بيع ثياب المرضى في الأسواق خوفاً من نشر العدوى بين الناس .

<u>ثالثاً ـــ الصحة الوقائية في الأوبئة والأمراض السارية</u>: وكان العرب قد توصلوا إلى اكتشاف العدوى وذكروها في كتبهم بعد دراسة وتجربة . فابن سينا أشار إليها في قانونه وإلى انتقال الأمراض بالماء والتراب ، وذكر العدوى في مرض السلّ الرئوي . كما أن الرازي ذكر العدوى الوراثية ووصف داءي الجدري والحصبة والعدوى بهما .

وتعرض محمد بن أبي بكر بن القيم لعدوى السل أيضاً وقال بأنه يعدي إذا كانت الطبيعة سريعة الانتقال قابلة للاكتساب من أبدان تجاوره وتخالطه . وهو يقسم العدوى إلى ثلاثة أقسام : عدوى بالتماس وعدوى بالهواء وعدوى بالوهم .

أما ابن الخطيب الأندلسي فقد جزم بوجود العدوى ، مع أن هذا الجزم كان يومئذ مخالفاً للشرائع الدينية ، فقد لاحظ مراراً أن من خالط المرضى المصابين بمرض سارٍ ابتلي به ، ومن لم يخالطهم نجا من العدوى . ووضع الطبيب العربي ابن البيطار رسالة دعاها (مقنعة السائل عن المرض الهائل) دافع فيها عن نظرية العدوى بمناسبة انتشار مرض الطاعون في أوربا في منتصف القرن الرابع عشر ، ووقوف أوربا حياله مكتوفة الأيدي .

وقد وضع العرب أول نظام للحَجْر لمنع انتشار الأوبئة . ويروي لنا التاريخ أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وجماعة من أصحابه كانوا مرة قد عقدوا العزم على زيارة الشام . وبينما هم في طريقهم إليها بلغهم أن طاعوناً ظهر فيها . فاستشار عمر المهاجرين والأنصار فاختلفوا بين ناصح في المضي وناصح في الرجوع . وعندما أظهر أكثرهم الرغبة في الرجوع قال أبو عبيدة لهم : أفراراً من قدر الله ؟ ؟ فقال عمر : نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقضاء الله ؟ وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ وإذ هم في حوارهم وجَدَلِهم أقبل عبد الرحمن بن عوف فحسَم الخلاف برأي قاطع للنبي (ﷺ) وهو قوله : إذا وقع الطاعون في بلد فلا تدخلوه ، وإذا كنتم فيه فلا تخرجوا منه . وهذا هو الحجر الصحي بأجلى صوره ، وهو الشكل المتبع الآن حيث يمنع الدخول إلى المحل الموبوء لمنع الإصابة بالمرض ، ويمنع الخروج منه لحصره في منطقة معينة ، فلا ينتشر إلى المناطق الأخرى مع الخارجين .

الدكتور عادل البكري

البصريات أو المناظر

في المدونات العربية

منذ دخلت العلوم الدخيلة بغداد بعد سنة ١٤٦ هـ، بدت فيها المواهب، وتجلّت القدرة العلمية بأوضح ما فيها من القابليات، وبرز علماء أفاضل بلغوا غاية قصوى من المعرفة والتدقيق العلمي مقرونة بمقابلات في الأوساط، وتسلسل ما جرى عليه البحث.

ولا شك أن هذه أقل ما يتحمله الموضوع الخاص ولكنه يحتاج إلى تزود، وعناية واهتمام خالص، ونريد أن نعلم توالي الفكرة، واطراد تقدمها، وتعاقب الآراء والبحوث فيها. وأملنا أن ندرك التطورات في مختلف العصور.

ويهمنا كثيراً الصلات العلمية فتثبت فيما يدعو إلى الانكشاف. ومن عمل بما يعلم أورثه الله علم ما لم يعلم. يضاف إلى ذلك تتبعات الآخرين حتى نتمكن أن نجاري عصورنا الحاضرة. وهذا هو التاريخ الصحيح للعلم.

وإن أكابر علمائنا في الفلسفة لا سيما الطبيعيات والرياضيات والفلك كثيرون. وأخصّ بالذكر منهم (علماء البصريات)، فانهم فاقوا في التدقيق والتحقيق، وبلغوا الغاية، وهيّأوا الآراء للتوسع، ونال اليوم تدقيقهم حداً عظيما حتى وصل إلى الحال الحاضر بما يغبطون عليه، ولا نزال نراه في نمو وتجدد، وتكامل بصورة خارقة فظهر علم المناظر (البصريات).

ويهمنا بيان اشتغالاتنا ومخلفاتنا مما أعدّ الباحثين، لإجراء المقابلات الدقيقة وبها ندرك قيمة مؤلفاتنا، إلى أن تولاها الغرب، فنبيّن القدرة، ونعرف مكانة الثقافة من الاشتغالات لنطلع على تاريخ هذه البحوث.

وصلت إلينا آثار علمية أيام نقل الكتب اليونانية إلى اللغة العربية ، وكذا نقلت كتب الاشراق (كتب الافلاطونية الحديثة) ، وتنوعوا في البحوث . وأول ما تكلموا في (البصر) .

قال الأستاذ أبو الثناء الألوسي :

« والأبصار جمع بصر ، وهو في الأصل بمعنى الإدراك بالعين وإحساسها ثم تجوّز به عن القوة المودعة في ملتقى عصبتين مجوفتين نابتتين من مقدم الدماغ ، يتقاربان حتى يتلاقيا ويتقاطعان تقاطعاً صليبياً ، وتجويفها يصير واحداً ، ثم يتباعدان إلى العينين . ويسمي ذلك الملتقى (مَجْمَع النور) .

والمذاهب المشهورة للحكماء في الأبصار ثلاثة :

الأول : مذهب الرياضيين . انه يخرج الشعاع من العينين على هيئة مخروط يكون رأسه عند مركز البصر . وقاعدته عند سطح المبصَر .

ثم إنهم اختلفوا فمنهم من ذهب إلى أن ذلك المخروط مصمت . ومنهم من ذهب إلى أنه من خطوط شعاعية مستقيمة أطرافها التي تلي البصر مجتمعة عند مركزه ثم تمتد متفرقة إلى المبصَر ، وما وقع بين أطرافه تلك الخطوط لم يدركه ولذلك تخفى المسامّ التي في غاية الدقة في سطوح المبصَرات . وذهب جماعة ثالثة إلى أن الخارج من العين خط واحد مستقيم . فاذا انتهى إلى البصر تحرك على سطحه في جهتي طوله وعرضه حركة في غاية السرعة ، وتخيل بحركته هيئة مخروط .

الثاني : مذهب الطبيعيين انه بالانطباع وهو المختار عند أرسطو وأتباعه كالشيخ الرئيس وغيره . قالوا إن مقابلة البصر للباصرة يوجب استعداداً تفيض به صورته على الجليدية . ولا يكفي في الأبصار الانطباع فيها وإلا رؤي شيء واحد شيئين لانطباع صورته في جليدتي العينين ، بل لا بد من تأدّي الصورة إلى ملتقى العصبتين ، وإلى (الحس المشترك) . ولم يريدوا بتأدّي

الصورة من الجليدية إلى (الملتقى) . ومنه إلى (الحس المشترك) انتقال العَرَض الذي هو الصورة بل أرادوا أن انطباعها في الجليدية يفيض الصورة على الملتقى . وفيضانها عليه معدّ لفيضانها على الحس .

الثالث : مذهب طائفة من الحكماء . وهو أنه ليس بالانطباع ولا بخروج الشعاع بل بأنّ الهواء المشف الذي بين البصر والمرئي يتكيَّف بكيفية الشعاع الذي في البصر . ويصير ذلك آلة الابصار .

واختار (الشيخ المقتول) (١) كما في (شرح الهياكل) للمحقق (الدواني) (٢) انه باضافة إشراقية بين النفس والمبصر مشروط بالمقابلة وارتفاع الموانع .

وعند الشيخ الأشعري (٣) هو بمحض خلق الله تعالى من غير تأثير للحاسة ولا يشترط عنده المقابلة عقلاً بل هو شرط عادي . وجوّز أن يدرك بكل حاسة ما يدرك بالأخرى . . .

والضياء النور على ما في القاموس . وفرق بعضهم بينهما بأن النور منشأ الضياء ومبدؤه . . . وقال آخرون : إن الضياء أقوى من النور لقوله تعالى :

---

(١) هو شهاب الدين يحيى بن حبش بن اميرك السهروردي المقتول في حلب سنة ٥٨٧ هـ = ١١٩١ م مؤلف كتاب هياكل النور وتفصيل ترجمته في كتابي غلاة التصوف الذي (لا يزال مخطوطاً) .

(٢) هو جلال الدين محمد بن أسعد الدواني ولد سنة ٨٣٠ هـ = ١٤٢٦ م وتوفي سنة ٩٠٨ هـ = ١٥٠٢ م ، وسمى كتابه (شواكل الحور في شرح هياكل النور) نسخة منه نفيسة الخط وأخرى ضمن مجموعة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، (الكشاف عن مخطوطات خزائن الأوقاف ص ١٤٣ و ٢٧٧) وتفصيل ترجمة المحقق الدواني في كتابي تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ٣٠٨ ـ ٣١١ وممن شرح هياكل النور غياث الدين منصور بن مير صدر الدين محمد الحسيني وردّ فيه كثيراً على المحقق الدواني كما جاء في كشف الظنون ج ٢ ص ٤٢٢ طبعة استنبول .

(٣) هو أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ولد بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ = ٨٧٣ م وتوفي سنة ٣٢٤ هـ = ٩٣٥ م .

« جعل الشمس ضياءً والقمر نورا [١] » . قيل ومن هنا قال بعض الحكماء إن الضياء ما يكون للشيء من ذاته ، والنور ما يكون له من غيره [٢] .. » إلى آخر ما قالوا من آراء الحكماء .

والاتجاه اليوم عملي ، نحو أثر الضياء والنور في المبصرات ومنشأ ذلك فولد نتائج مهمة ظهرت في المناظر ، والسينما ، والتلفزيون ، واللاسلكي . والتلغراف (البرق) ، والتصوير ، وتنظيم الخرائط ، وغير ذلك .

والجهود المبذولة لعلمائنا في هذه السبيل مهدت لهذه المبدعات والتوسع فيها ، وبيان تاريخها ويهمنا من ناحية الاشتغال ، انهم وسموا صفحة . فالعرب قطعوا مرحلة من أجزاء العمل فصارت أصل التبسط في الوضوع حتى أتقن إتقاناً تاماً من الوجهة العلمية .

وأول ما شاع عندنا (كتب اقليدس) في المناظر ، وكذا أرخميدس (ارشميد) لا سيما في (المرايا المحرقة) ، وتوالت المؤلفات ، ومن ثم تناول العرب هذا الموضوع ، وأوسعوه بحثاً ، وتمحيصا .

١ ــ عطارد البغدادي

هو عطارد بن محمد الحاسب المنجم البغدادي المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ــ ٨٢١ م . وله : كتاب عمل المرايا المحرقة . أوله : « آفة العلوم الأوائل .. » نسخة منه في خزانة لالهلى باستنبول ضمن مجموعة برقم ٢٧٥٩ .

---

(١) سورة يونس / ٥ .
(٢) الطراز المذهب شرح قصيدة مدح الباز الأشهب ص ١٥٩ ــ ١٦٢ طبع بمطبعة جريدة الفلاح على ذمة الفاضل الملا عثمان الموصلي سنة ١٣١٣ هـ وروح المعاني ج ١ ص ٧١٠ و ٧١١ طبعة مصر سنة ١٢٩٥ هـ . وهما للأستاذ أبي الثناء الألوسي وفيهما تفصيل وكذا في كتاب الشفاء لابن سينا وكتاب الطوالع وكتاب حكمة العين ورسائل كثيرة في (النور والظلمة) و (الضياء والنور) ، وقد فرق العلماء بين الجعل والخلق سواء في كتب الحكمة أو في كتب المتكلمين .

٢ ـــ الكندي فيلسوف العرب

كان أول من كتب في الحقيقة في المناظر في عصره يعقوب بن اسحاق الكندي وربما انفرد بها . توفي نحو سنة ٢٦٠ هـ = ٨٧٣ م .

ومن مؤلفاته في موضوعنا :

١ ـــ كتاب المناظر (١) : وهو أجلّ مؤلفاته . ترجمه عن أقليدس ، ولم تتيسر لنا درجة النقل عنه عيناً أو بتصرف ، ولم يقابل بالأصل اليوناني ولم ندقق الفروق بينها ، وان الغربيين العارفين باليونانية لم يدققوا هذه النواحي ، مع أن هذا الكتاب كان بلهجة عربية خالصة . قال البيهقي في كتابه هذا :

« كان مهندساً خائضاً غمرات العلم ... وأنا ما حصلت (علم المناظر) ، وما تخيّلت أشكال ذلك العلم إلا من تصنيفه الذي هو نادر في ذلك الفن ... » .

وقال الشهرزوري :

« وكتابه ـ كتاب المناظر ـ في غاية الحسن والجودة (٢) » . ولعل رسالة الكندي في (اختلاف المناظر) عين كتاب المناظر أو صفحة موسعة منه ، وإن الخواجة الطوسي حرّر كتاب المناظر .

٢ ـــ رسالة في فصل ما بين السير وعمل الشعاع .

(١) تتمة صوان الحكمة ص ٢٥ المطبوع بلاهور سنة ١٣٥١ هـ ، وترجم إلى الفارسية وسمي (درة الأخبار ولمعة الأنوار) وطبع في لاهور سنة ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٥ م ، وطبع الأصل المجمع العلمي العربي بدمشق باسم تاريخ حكماء الإسلام بمطبعة الترقي سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م ص ٤١ بتحقيق المرحوم الأستاذ العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية) سابقاً . وورد كتاب المناظر في الفهرست لابن النديم وفي أخبار الحكماء للشهرزوري وفي عيون الأخبار ...

(٢) أخبار الحكماء للشهرزوري . مخطوطة في خزانتي .

٣ — رسالة في الشعاعات . نسخة منها في خزانة (بانكي فور) كتبت سنة ٩٧٠ هـ [١] .

٤ — رسالة في اختلاف مناظر المرآة .

٥ — رسالة في عمل المرايا المحرقة .

٦ — رسالة في المرآة .

٧ — رسالة في المناظر الفلكية .

٨ — رسالة في ماهية الفلك واللون اللازوردي المحسوس من جهة السماء [٢] .

٣ — أحمد بن عيسى

ألف كتاب (المناظر والمرايا المحرقة) في البصريات جرى فيه على مذهب أقليدس في علل البصر . أوله : قالت الأوائل ان البصر هو أعظم الحواس ... ويعتبر من الكتب المتوسطة كما جاء في كتاب إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد . وكان يعدّ من الكتب المفقودة فعثرت عليه في خزانة راغب باشا باستنبول برقم ٩٣٤ كما توجد نسخة أخرى ضمن مجموعة في خزانة لالەلي برقم ٢٧٥٩ . وجاء في النسختين أن المؤلف أحمد بن عيسى وورد في مراجع أخرى أنه علي بن عيسى الوزير ، ولم نعثر على ترجمة المؤلف في المظانّ المعروفة . وليس لنسخته هذه تاريخ . وهي قديمة وواضحة الخط .

ولم يقف الاشتغال عند هذا . وإنما تلته مؤلفات أخرى مهمة . لها مكانتها في الأوساط العلمية .

---

(١) تذكرة النوادر في المخطوطات العربية ص ١٤٩ .

(٢) كتاب فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندي . تأليف الأستاذ العلامة اسماعيل حقي الازميري عميد كلية الإلهيات في استنبول توفي رحمه الله تعالى في ٣١ من كانون الثاني سنة ١٩٤٦ م ، نقلته إلى العربية ، وطبع ببغداد بتحقيقي ومقدمتي سنة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م ، وألحقت به بحثاً في مؤلفات الكندي وأثرها في الأوساط العلمية . وفيه تفصيل .

٤ ــ ابن الهيثم

وهذا من علمائنا المشاهير البارزين في الفلك والبصريات . وتوسع أكثر في البصريات وبسط القول فيها . وله :

١ ــ مقالة في المناظر : وهي على اختصارها لا نستغني بها عن النظرة المجملة الخاطفة . وهي تسهل الإحاطة بصورة موجزة .

٢ ــ المناظر الكبير : من الكتب المبسوطة في هذا الفن في سبعة مجلدات في خزانة أياصوفيا باستنبول برقم ٢٤٤٨ . وهذا الكتاب لم يطبع إلى الآن . وإن القطب الشيرازي اقترح على تلميذه كمال الدين أبي الحسن الفارسي أن ينقحه فنقحه ، كما يأتي بحث ذلك في ترجمته .

ولابن الهيثم رسائل في بحوث الضوء منها مجموعة طبعت سنة ١٣٥٧ هـ في مطبعة دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن . وطبعت فيها رسائل أخرى له منها (المرايا المحرقة بالدائرة) و (المرايا المحرقة بالقطوع) . وهذا الرجل العظيم من الشخصيات البارزة بين العرب في الطبيعيات خاصة . وفي الرياضيات والفلك وعلوم أخرى . توفي سنة ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م .

ويهمنا من هذه كلها بحوثه في (البصريات) وهي صالحة للتدقيق والمقابلات بنصوص الآخرين لمعرفة ما قام به هذا الرجل الفذ . وهي مهمة في معرفة تطورات البصريات . ومن المهم أن نتابع الموضوع لمن يهمه البحث حتى أيامنا الحاضرة ومنه تعرف قيمة العلم والاشتغال به .

٥ ــ الخواجة الطوسي

إن تقدم هذا الفن بابن الهيثم لم يقطع الاشتغال به ، والوقوف عند

ذلك . وإنما تناوله الخواجة نصير الدين الطوسي [١] ، وآخرون عديدون . والطوسي حرر مؤلفات عديدة منها (تحرير كتاب المناظر لاقليدس) .

وهذا الكتاب أصله للكندي مأخوذاً عن أقليدس . وان كتاب المناظر للكندي مدحه البيهقي ، والشهرزوري . وهل كان محتاجاً إلى التحرير ؟ لا يزال أمر ذلك غامضاً ، فلم يدخل التحقيق هذه الجهة ، وبقي الأمر في خفاء عنا .

— نعم طبع تحرير المناظر لإقليدس ، وإنه للخواجة الطوسي ، ولم يطبع أصل كتاب اقليدس في المناظر للكندي لنقابل بينها ، ونعلم درجة التحرير ، والعلاقة بما سبق من مؤلفات لأحمد بن عيسى ، ولا الهيثم ... لنتوثق من الأمر ، ونقطع بما هنالك ، ونعلم درجة التحرير لمعرفة تطور العلم بين أناس مختصين ، فنسمع كلمتهم . وذلك أن كتاب ابن الهيثم كبير مبسوط ، وكتاب أحمد بن عيسى من المتوسطات ، وكتاب المناظر لاقليدس وكلها صالحة للتدقيق والمقابلة . هذا وإن للخواجة الطوسي بحثاً في كتابه (تجريد الكلام) في الضوء والمناظر ولعل الفائدة تصح منه بالرجوع إليه ، وإلى كتب الحكمة .

وعلى كل حال لا تهمل المؤلفات السابقة ، ولا درجة العلاقة بها ، والاستقاء منها بالاعتماد عليها .

---

(١) هو صاحب التصانيف العديدة توفي في ١٨ من ذي الحجة سنة ٦٧٢ هـ = ١٢٧٤ م في بغداد ودفن في الكاظمية . وتفصيل ترجمته في التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ٨٨ — ٩٠ طبع ببغداد سنة ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م ، وفي تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقاته بالأقطار العربية والإسلامية ص ٣٢ ـ ٦١ من مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م وفصلت ترجمته كثيراً في مجلة المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) بدمشق ج ٣٢ ص ٢٠٧ ـ ٢١٥ .

٦ ـ شهاب الدين القرافي

من علمائنا الأفاضل ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي العلاء إدريس الصنهاجي القرافي (١) . وله كراريس أودعها خمسين مسألة من المناظر سماها (الاستبصار فيما تدركه الأبصار) . قال الأستاذ خليل بن ايبك الصفدي : قرأتها بعد ما كتبتها على الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري مؤلف إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد (٢) . فكان أستاذه في البصريات .

والبحوث العلمية في مثل هذه تكشف عن حقيقة علمائنا واشتغالهم فتخلصوا لهذه العلوم والبحوث . وهذه البحوث لا تقلل من الاشتغال أو التتبع بل تزيده جلاء . ونحن نحاول معرفة تاريخ العلوم بوجه الصحة فلا نستغني عن توجيه أو إشارة .

٧ ـ كمال الدين أبو الحسن بن علي الفارسي

وهذا حضّه الأستاذ قطب الدين الشيرازي (٣) باعتباره تلميذه على تنقيح (كتاب المناظر الكبير) لابن الهيثم ، فقام بالمهمة ، ونقحه في مجلدين ، رأيتها

(١) ولد سنة ٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ م ، وتوفي سنة ٦٨٤ هـ = ١٢٨٥ م .

(٢) الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي .

(٣) هو أبو الثناء محمود بن مسعود الشيرازي ولد بصفر سنة ٦٣٤ هـ = ١٢٣٦ م بكازرون وقيل بشيراز وتوفي في ١٦ من شهر رمضان سنة ٧١٠ هـ = ١٣١١ م بشيراز وتفصيل ترجمته في منتخب المختار ص ٢١٩ ـ ٢٢٨ طبع بمطبعة الأهالي ببغداد ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ بتحقيقي ومقدمتي وتاريخ علم الفلك في العراق ص ١٢٩ ـ ١٣٣ .

في خزانة أياصوفيا باستنبول برقم ٢٤٥١ وقد طبع في الهند في مجلدين في المطبعة العثمانية في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٨ هـ . فوقف العلم عنده فلم يتجاوزه .

٨ — تقي الدين محمد بن معروف الراصد

هو من علماء الفلك والرصد والمناظر ، وقد استمد من مؤلفات العرب وأتم دراستها ، فدوّن كتابه (نور حديقة الأبصار ونَور حديقة الأنظار) وهو مهم جداً . أوله : الحمد لله نور السموات والأرض الخ . دقق المؤلفات المذكورة ومالت رغبته إلى تحرير كتاب مختصر العبارة ، واضح الإشارة من تلك المقاصد لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا استقصاها . قال : ومازلت في تنقيحه وتهذيبه ، وإصلاحه وتشذيبه إلى أن بزغ بدراً في أفق كماله ، وتألق نوراً في مطالع جماله فلقبه (نَوْر حديقة الأبصار ، ونُور حديقة الأنظار) .

أهداه إلى ملا جلبي عبد الكريم قاضي قضاة الدولة العثمانية ، ويحتوي على صدر وثلاثة مراصد ، الرصد الأول في تحقيق رؤية ما يقابل البصر على سمت مستقيم ، والثاني في رؤية الانعكاس ، والثالث في رؤية الانعطاف . وتكلم في الصدر وبيّن أهمية الكتاب في الموضوع ، وذكر الآراء وتضاربها ، وأوجب لزوم التمحيص إلى آخر ما هنالك ، فأبدى قدرة . وزود كتابه هذا بأشكال هندسية متقنة ، ومصطلحات علمية نافعة ، والحق أنه استقى من المؤلفات المهمة قبله ، وأبدى مكانته العلمية ، وتحقيقاته الخاصة ، وأزال المتناقضات التي شعر فيها عند تحقيق البحوث . نسخة عنه في خزانة لالهلي التابعة لخزانة السليمانية في استنبول برقم ٢٥٥٨ ، وللمؤلف آثار علمية أخرى

في الفلك والميكانيك ذكرتها في (تاريخ علم الفلك في العراق مع صلاته بالأقطار العربية والإسلامية)[1] . وتوفي سنة ٩٩٣ هـ = ١٥٨٥ م .

المرايا المحرقة:

من بحوث الطبيعيات والبصريات . وممن كتب فيها الأستاذ الكندي وأحمد ابن عيسى الوزير ، وابن الهيثم ، ويروى أن أرخميدس (ارشميد) قد عمل من نوع هذه المرايا المحرقة ضد العدو الذي تقرب بأسطوله إلى (سيرا كوزه) فأحرق سفنه . والمرايا المحرقة مرآتان كرويتان ، مقعرتان ، وهذه تيسر بها إحراق الأجسام البعيدة فسميت بذلك . وتطلق على فن الخطوط الشعاعية المنعطفة والمنعكسة ، والمنكسرة وأحوالها[2] .

هذا . وهناك رسائل عديدة لمختلف الأساتذة المختصين في أمور تتفرع عن البصريات ، وعن الاشعاع وسائر ما يتولد من ذلك . وهي مهمة لإكمال البحوث أو التوسع فيها . وما ذكر من أمهات كتب الفن تكشف صفحة عن المناظر .

خلاصة وصفوة

وغرضنا من ذكر ذلك أن نعرف مادة البحوث ليسهل تناول موضوعها ، والمقايلات بينها وبين متجددات الفن الحديث ، وعندنا آخر من كتب الأستاذ

(١) تاريخ علم الفلك في العراق ص ٣١٥ ـ ٣١٧ ، وكذا ترجمته ترجمة موسعة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية) ج ٤٠ ص ٨٤٧ وما بعدها .

(٢) كتاب فيلسوف العرب هامش ٨٩ .

مصطفى نظيف أستاذ الطبيعة بكلية الهندسة في (البصريات) في نظر ابن الهيثم في مجلدين . طبع بمطبعة نوري بمصر سنة ١٩٤٢م ، كما أننا في أول بحثنا تناولنا البصر والمبصرات لدى فلاسفة الأفلاطونية الحديثة وغيرهم . ومن أراد التوسع فليرجع إلى الكتب المبسوطة ليكون على علم ممن يرغب أن يستقصي الموضوع وأن يتمكن من الإحاطة به من جميع جهاته ، ليعلم اشتغالات العرب فيه جملة وتفصيلا .

هذا والرغبة لا تقف عند حد . والاشتغال يجلوها ، ويمكنها من الوصول إلى الغاية المبتغاة .

(بغداد) **عباس العزاوي**

❋❋

تاريخ

المعجم العسكري الموحّد[1]

(إنكليزي — عربي)

مستهل

شهد اليوم الأول من الشهر الأول من سنة (١٩٧٠) مولد القسم الأول من المعجم العسكري الموحّد ، وهو (انكليزي — عربي) ، الذي سد ثغرة كبيرة في المكتبة العسكرية العربية من جهة ، والمكتبة اللغوية العربية من جهة أخرى ، وكلّل الجهود المضنية الشاقة الطويلة من أجل توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية بتوفيق مصيري سيكون له أثره الحاسم في إشاعة الانسجام الفكري بين الجيوش العربية وتوحيدها بإذن الله .

وهذا المعجم هو أول معجم عسكري عربي في تاريخ المعجمات العسكرية العربية يَصْدُرُ للجيوش العربية كافة وللأمة العربية كلّها ، لا لجيش عربي واحد أو لجيشين عربيين شقيقين ، أسوة بالمعجمات العسكرية العربية التي صدرت من قبل ، وبذلك خرج هذا المعجم العسكري لأول مرة من النطاق القطري الضيق إلى النطاق القومي الوسيع .

ومن الإنصاف أن أذكر أنّ فكرة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية راودت الكثرة الكاثرة من ضباط الجيوش العربية ومن اللغويين العرب منذ أصبح للدول العربية جيوش نظامية حديثة ، لأنّ الاختلافات

(١) بحث ألقي في الدورة السادسة والثلاثين من مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

بين ألفاظ المصطلحات العسكرية في جيوش الدول العربية كبيرة جداً [١] لاينبغي السكوت عنها ، ولأنّ شقّة تلك الاختلافات تزداد يوماً بعد يوم اتساعاً ، ولأن تلك الجيوش تنتسب إلى أمة عربية واحدة تتخاطب بلغة عربية واحدة . فلا مسوّغ لبقاء المصطلحات العسكرية العربية مختلفة متناقضة .

ولكنّ إخراج فكرة توحيد المصطلحات العسكرية العربية إلى حيّز الوجود ليس عملاً سهلاً ، وليس بمقدور كل أحد تحملُ أعبائه في دور الإعداد ، وتحملُ مسؤولياته بعد صدوره للناس . لذلك تعثّرت محاولات التوحيد ، ولم تستطع تخطي ما كان أمامها من مشاكل وعقبات ، وما وُضع أمامها من مشاكل وعقبات جديدة .

لقد بُذلت قبل اليوم جهود جبارة لتوحيد المصطلحات العسكرية العربية ، ولكنها باءت كلّها ـ لسوء حظ الجيوش العربية واللغة العربية ـ بالاخفاق الذّريع.

فقد عُقدت اجتماعات عديدة بين لجان عسكرية من الجيشين العربيين الشقيقين : جيش الجمهورية العربية المتحدة وجيش العراق ، بدأت عام (١٩٤٨) ، وكان آخر اجتماع بين ممثلي هذين الجيشين عام (١٩٦٥) ، والاجتماع الأخير أثمر (المعجم العسكري الموحّد) [٢] ، ولكنّ جيش الجمهورية العربية المتحدة لم يلتزم به كما لم تلتزم به الجيوش العربية الأخرى .

وعقدت اجتماعات بين لجان عسكرية تمثل الجيشين الشقيقين : السوري والمصري من عام (١٩٥٩) إلى عام (١٩٦١) إبّان الوحدة بين سورية ومصر ، كان من ثمراتها صدور المعجم العسكري السوري [٣] ، ولكنّ جيوش الدول العربية لم تلتزم به أيضاً ، كما لم يلتزم به الجيش المصري لصدوره بعد انفصام الوحدة بين القطرين الشقيقين .

---

(١) انظر التفاصيل في : مجموعة البحوث والمحاضرات (١٧٩ ـ ١٨٠) ـ مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٦٩ .

(٢) مجموعة البحوث والمحاضرات (١٨٤ ـ ١٨٦) .

(٣) مجموعة البحوث والمحاضرات (١٨٦ ـ ١٨٩) .

وحاولت اللجنـــة العسكرية الدائمة في جامعة الدول العربية منذ عام (١٩٥٣) أن تضع معجماً عسكرياً موحَّداً ، ولكنها عجزت عن ذلك فتخلَّت عن مشروع التوحيد متعللة بعذر أو بآخر .

وألّفت القيادة العربية الموحَّدة لجنة من ضباطها عام (١٩٦٤ — ١٩٦٥) لتوحيد المصطلحات العسكرية العربية ، فأصدرت (نشرة) تضم (٢٨٥) مصطلحاً عسكرياً (١) بعد جَهْد جاهد ، ولكن لم تلتزم بها الجيوش العربية ولم تلتزم بها القيادة العربية الموحَّدة أيضاً !

وهكذا أخفقت كل المحاولات التي بذلت لتوحيد المصطلحات العسكرية العربية والتي بدأت عام (١٩٤٨) في ظل جامعة الدول العربيـة وانتهت عام (١٩٦٥) في ظل القيادة العربية الموحَّدة .

أسباب الإخفاق

هناك أسباب كثيرة لإخفـاق محاولات توحيـد المصطلحات العسكرية العربية ، لعلّ من المفيد التطرق إلى أهمها بإيجاز شديد ، لإمكان تفاديها في الحاضر والمستقبل عند بذل محاولات جديدة للتوحيد .

من هذه الأسباب ، اقتصار قسم من الجيوش العربيـة على الضبـاط وحدَهم في وضع المصطلحـات العسكرية ، مما أدّى إلى أن تكون تلك المصطلحات ضعيفة من الناحية اللغوية .

ومنها تأليف لجان في قسم من الدول العربية يَغْلِب عليها طابَعُ علماء اللغة ، مما أدى إلى أن تكون مصطلحاتهم ضعيفة من الناحية العسكرية ، تتسم بالمفردات الأدبية والألفـاظ الحوشيّة الجاسية التي عفّى عليها الدهر وأصبحت قليلة الاستعمال .

---

(١) مجموعة البحوث والمحاضرات (١٩٨ ـ ١٩٩) .

ومنها اقتصار لجان توحيد المصطلحات العسكرية على ممثلي جيشين عربيين شقيقين ، مما أدى إلى عدم التزام جيوش الدول العربية الأخرى بالمصطلحات العسكرية التي لم تشارك في إعدادها .

ومنها إغفال القيادة العربية الموحَّدة بعد مولدها عام (١٩٦٤) من إشراك ممثليها في لجان توحيد المصطلحات العسكرية العربية بين جيشين عربيين شقيقين ، مما أدّى إلى أن تبقى تلك المصطلحات في نطاق قطري ضيق وحرْمانها من النّطاق العربي الشّامل من العسكرية .

ومنها إغفال إشراف جامعة الدول العربية على لجان توحيد المصطلحات العسكرية ، مما أدى إلى عدم إضفاء الصفة العربية الشاملة عليها من الناحيتين السياسية والعسكرية .

ومنها إغفال تمثيل المجامع اللّغوية والعلمية في لجان توحيد المصطلحات العسكرية العربية ، مما حرم تلك المصطلحات من الدقة اللغوية .

ومنها عدم اختيار الأعضاء المناسبين للجان مما أدى إلى الارتجال تارة ، وتمييع التوحيد تارة أخرى .

لقد حَشدَ جيش عربي أربعين خبيراً في العلوم العسكرية والعلوم العربية ، ليضعوا له معجماً عسكرياً .

ومضى على هذا الحَشْد تسع سنوات ، أنفقت عليهم الدولة ما لا يقل عن ألف ألف دينار دون أن يستطيعوا إخراج معجمهم العكسري المرتقب .

ولعلّ من فوائد لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، أنها وضعت حدّاً لتمادي هذا الحشد في إعداد المعجم العسكري الذي ما كان لينتهي أبداً .

وفي جامعة الدول العربية لجنة لتوحيد المصطلحات الإدارية ، مضى عليها بضع سنين ولما تنجز بَعْدُ واجبها ، مع أن تلك المصطلحات لا تتجاوز ألف مصطلح على أكثر تقدير .

لقد نجح السلف الصالح من علمائنا لأنهم كانوا يعتبرون العلم (عبادة) ، فأذهلوا العالم بما سطّروه من علوم يُنْتفع بها .

فاذا اعتبر العالم علمه اليوم أو غداً (تجارة) فلا يلومنّ إلاّ نفسه على إخفاقه في أداء رسالة العلم خاصة عندما يعمل في مجالات المصلحة العامة بعيداً عن مصلحته الخاصة التي قد يبدو فيها ناجحاً ، ولكنّ علمه لن يبقى طويلاً من بعده ، لأنه لم يكن هو يؤمن إلاّ بمقدار مايُدِرُّ عليه من أرباح ، وفاقد الشيء لايُعْطيه كما يقولون .

لجنة التوحيد

بالاستفادة من دروس إخفاق محاولات توحيد المصطلحات العسكرية العربية ، تذاكرتُ مع السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية الأستاذ عبد الخالق حسونة ، والأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مدكور ، والقائد العام للقيادة العربية الموحَّدة الفريق الأول علي علي عامر ، ورئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري الفريق الأول الشهيد عبد المنعم رياض ، ثم تقدّمت بتقرير إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية اقترحت فيه تأليف لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية من :

ممثلٍ لمجمع اللغة العربية في القاهرة

ممثلٍ من كل جيش عربي من جيوش دول الجامعة العربية

ممثلٍ من القيادة العربية الموحَّدة

وهذا الاقتراح يطابق بالضبط ما جاء في بحثي عن : أهمية توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية [1] .

---

(١) ألقي في مؤتمر مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي العراقي الذي عقد في بغداد من ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥ إلى ٣٠ من الشهر المذكور ، وقد عقد هذا المؤتمر في بغداد .

ووافق السيد الأمين العام للجامعة العربية على تقرير ممثل مجمع اللغة العربية ، وتحدّد يوم ٣٠ آذار (مارس) ١٩٦٨ لاجتماع اللجنة ، ولكن أرجئ موعد الاجتماع إلى يوم ٣٠ مايس (مايو) ١٩٦٨ لأسباب لا مسوّغ لها .

إنّ دروس الماضي في إخفاق توحيد المصطلحات العسكرية العربية هي التي أوحت بتشكيل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية بهذا الأسلوب وبهذه الطريقة .

وواجب ممثل مجمع اللغة العربية في اللّجنة هو إقرار المصطلحات العسكرية القديمة ما استقامت مع العربية الفصحى ، ونبذُ المصطلحات العسكرية القديمة ما انحرفت عن العربية الفصحى ، ووضعُ المصطلحات العسكرية الجديدة بلغة عربية سليمة ، وحمل اللجنة على الالتزام بالعربية الفصحى التزاماً صارماً لا هوادة فيه .

وواجب ممثلي الجيوش العربية ، هو عرضُ المصطلحات العسكرية المستعملة في جيوشهم على لجنة التوحيد ، والمصادقةُ على قرار اللجنة في توحيد المصطلحات العسكرية العربية ، لجعل هذا القرار نابعاً من ممثلي الجيوش العربية كافة ، لا من ممثل جيش عربي واحد أو جيشين عربيين شقيقين ، حتى تلتزم الجيوش العربية كلها بالمعجم العسكري الموحّد الذي أقر مصطلحاته ممثلوها في اللجنة .

وواجب ممثل القيادة العربية الموحّدة يشابه واجب ممثلي الجيوش العربية الأخرى ، مع إضفاء الصفة العربية الشاملة على المعجم العسكري الموحّد من الناحية العسكرية .

وعَقَدَت اللّجنة اجتماعاتها في كنف جامعة الدول العربية ، لكي يكون للمعجم العسكري الموحّد صفة عربية شاملة من الناحيتين السياسية والعسكرية .

لقد حاول ممثل مجمع اللغة العربية تشكيل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية بهذه الطريقة وعلى هذا الشكل ، لكي يُخْرِجَ مهمة توحيد

المصطلحات العسكرية العربية من الإطار القطري إلى الإطار القومي ، ولـكي يجعلَ لهذا التوحيد قوة لغوية وقوة سياسية وقوة عسكرية تحميل الجيوش العربية والدول العربية على الالتزام بالمعجم العسكري الموحَّد .

وفي يوم ٣٠ مايس (مايو) ١٩٦٨ عُقِدت الجلسة الأولى في رحاب الجامعة العربية ، وكانت مؤلفة من :

اللواء الركن محمود شيت خطاب عن مجمع اللغة العربية (١) .

اللواء الركن صبيح رؤوف عن القيادة العربية الموحَّدة والجيش العراقي .

اللواء الركن محمد حسَّان عبد الرحيم عن جيش الجمهورية العربية المتحدة .

العقيد الركن جان نخول عن جيش لبنان .

العقيد الركن يوسف اليازجي عن الجيش السوري .

المقدم الركن عبد الحميد المجالي عن الجيش الأردني .

المقدم حسن محمد بانقا عن جيش السودان .

المقدم الركن سعد الوينع عن الجيش السعودي .

المقدم عبد الرحمن الصانع عن جيش الكويت .

المقدم الركن يحيى مصلح عن جيش اليمن .

العقيد عبد السلام الشكشوكي عن الجيش الليبي .

العقيد محمد الخطابي عن جيش المغرب .

وفي الجلسة الأولى طلب ممثل الجامعة العربية من اللَّجنة أن تختار من بين أعضائها رئيساً لها ومقرِّرا .

---

(١) اختاره مؤتمر مجمع اللغة العربية الخامس والثلاثون ليمثل المجمع في لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية . انظر كتاب أمين عام المجمع المرقم ٢١٨ والمؤرخ في ١٨/٢/١٩٦٨ المعنون إلى السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية .

وقال ممثل جامعة الدول العربية في كلمته التي افتتح بها الجلسة الأولى ما نصه : « يجب أن يكون رئيس اللجنة ومقررها من بين ممثلي جيوش الدول العربية من الأعضاء ، لأنّ نُظُم جامعة الدُّول العربية تنص على ذلك » .

وكان كل أعضاء اللجنة ـ عدا ممثلَ مجمع اللغة العربية وممثلَ القيادة العربية الموحَّدة ـ يمثلون جيوش دول عربية ، ولكن أعضاء اللجنة انتخبوا بالإجماع ممثل مجمع اللغة العربية رئيساً لهم وخوَّلوه بالإجماع أيضاً حق اختيار مقرر للجنة ، فاختار اللواء الركن صبيح محمد رؤوف ، وبذلك خرقوا لأول مرة نظم جامعة الدول العربية إكراماً لمجمع اللغة العربية .

ورضخ ممثل جامعة الدول العربية للأمر الواقع ، وأقر الانتخاب على مضض ، وما كان ليستطيع أن يفعل غير ذلك !

وبدأ العمل بعد إجراء الانتخاب فوراً بكلمة رئيس اللجنة التي جاء فيها : « إن عملكم هذا عمل مصيري له ما بعدَه ، والجيوش العربية في مثل هذه الظروف بأمسّ الحاجة إلى توحيد مصطلحاتها العسكرية لتتعاون فيما بينها تعاوناً وثيقاً في السلم والحرب . إن في أعناقنا (أمانة) ثقيلة ، فلا بد من تحمل أعبائها بقوة وصبر واستقامة . لذلك قررت أن تكون الاجتماعات يومية تبدأ الساعة التاسعة صباحاً وتنتهي بانتهاء العمل مساءً ، فاذا تأخَّرتُ عن الحضور في الموعد المعين ، فسأسمح لكم بالتأخر » .

ومضت اللجنة في عملها باسم الله مستمدة العون منه ، متذرعة بالعلم والحرص والدأب والنظام الصارم .

أهداف التوحيد

كانت أمنيةً غالية على عقول المخلصين للعربية الفصحى وقلوبهم ، أن تتوحد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية على أسس لغوية وعلمية سليمة ، وأن تتخلى تلك المصطلحات عما يشوبها من ألفاظ أعجمية : تركية

وإنكليزية وفرلسية وإيطالية ، لأن اللغة العربية ليست عاجزة عن وضع المصطلحات العسكرية بالعربية الفصحى مستقاةً من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكتب اللغة والأدب والفقه والتاريخ ، ولأن الجيوش العربية تنتسب إلى أمة عربية واحدة تتكلم لغة عربية واحدة .

وقد وحَّدت الأحلاف العسكرية الشرقية والغربية مصطلحاتها العسكرية ، وهي مختلفة اللغات والجنسيات ، فلماذا لا توحِّد الجيوش العربية مصطلحاتها العسكرية ، وهي جيوش يجمعها التراث المشترك والمصير الواحد والعقيدة الواحدة ولغة القرآن الكريم ؟

إنّ تناقض المصطلحات العسكرية المستعملة في جيوش الدول العربية ، أدّى إلى صعوبة تعاونها في المجالات الثقافية والفنية والتدريبية وفي السلم والحرب .

وقد بلغ التناقض في المصطلحات العسكرية العربية درجة تعذّر معها التفاهم بين جيشين عربيين إلاّ بلغة أجنبية !!

والكتاب العسكري المطبوع في قُطر عربي من الأقطار العربية ، يستعمل في جيش ذلك القطر العربي وحدَه ، ولا يستعمل في الجيوش العربية الأخرى .

والكليات والمعاهد والمدارس العسكرية في قطر عربي ، تخرّج ضباطاً وضباط صفّ لذلك القطر العربي وحدَه ، والطالب العسكري الذي يتخرَّج في كلية عسكرية لقطر عربي ما ثم يعود إلى قطره بعد تخرجه ، عليه أن يعيد تدريبه مبنى ومعنى ، كالذي يتخرّج في كلية عسكرية أجنبية سواءً بسواء .

والقائد العسكري العربي يُصدِر أوامر عسكرية في ساحات القتال أوفي ميادين التدريب الإجمالي والمناورات يَصْعُب على العسكريين من غير جيشه فَهْمُ أوامره ويصعب عليهم تنفيذها نتيجة لذلك .

والذين يشهدون التدريب العسكري من الضباط العرب في جيش عربي غير جيشهم ، يعجزون عن تفهم كثير من المصطلحات العسكرية المستعملة في ذلك الجيش العربي ، ويحتاجون إلى مَنْ يشرح لهم معاني تلك المصطلحات .

ولعلّ العسكريين العرب الذين لم تسنح لهم الفرص أن يعملوا في جيش عربي آخر ، أو لم تسمح لهم الظروف أن يشاركوا في التدريب الإجمالي والمناورات لجيش عربي شقيق ، أو لم يقرأوا الكتب العسكرية الصادرة في الجيوش العربية الأخرى ، لايعلمون أيّ عقبة كؤود تحول دون تفاهم منتسبي الجيوش العربية الشقيقة فيما بينها من جرّاء تناقض المصطلحات العسكرية العربية حتى في أبسط المفردات التي قد لايختلف عليها المدنيون في لغتهم الدارجة .

والمثقفون المدنيون مهما تكن ثقافتهم أحرى بهم ألا يعرفوا شيئاً عن تلك العقبة الكؤود أو يدركوا مدى التناقض الشديد بين ما يستعمله جيش عربي من مصطلحات عسكرية وبين ما يستعمله جيش عربي آخر .

بعد صدور كتابي : (المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم) ، ألقى أستاذ جامعي مجمعي بحثاً في المجمع العلمي العراقي في أواخر شهر رمضان من سنة (١٣٨٧) الهجرية تحدّث فيه عن هذا الكتاب .

وقال في مَعْرِض النقد : « إنّ في الكتاب مفردات ليست عسكرية ، لأنها شائعة بين المدنيين في حياتهم العادية » .

لقد كان الأستاذ الجامعي المجمعي مصيباً في نقده إذا أخذنا بالاعتبار ثقافته اللغوية وتجربته في الحياة .

وما كان ذلك ليغيب عني ، بل كنت متوقعاً أن يقال مثل هذا النقد في الكتاب في حالة إثبات تلك المفردات فيه ، ولكنني آثرت إيراد تلك المفردات عمداً ، لأن العسكريين مختلفون في استعمالها .

يقول المتكلمون بالضاد : طعام الصباح ، وطعام الظهر ، وطعام المساء .

ولكن منتسبي الجيوش العربية يعبرون عن المعنى ذاته بقولهم : قره وانة [1] الصباح ، وقره وانة الظهر ، وقره وانة المساء .

ولو أردت إيراد أمثلة عن التناقض في المصطلحات العسكرية العربية حتى في المفردات العادية الشائعة بين المدنيين لطال بي المدى وبعد الشّوط .

كان الأستاذ الجامعي المجمعي يصدر في نقده عن معلوماته اللغوية فحسب ، ولكنه كان بحكم عمله بعيداً عن التجربة العملية في اللغة العسكرية .

وكنت أصدر في تسجيل المفردات حتى العادية منها في كتاب : (المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم) عن التجربة العملية والخبرة الطويلة في المصطلحات العسكرية .

وقد كنت أشعر شعوراً عميقاً كما كان يشاطرني مثلَ هـذا الشعور كثير من الضباط العرب ، بأن توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية (رسالة) تثقل كاهلي و (أمانة) على عاتقي واجبة الأداء خدمة للغة العربية وللأمة العربية وللجيوش العربية .

وكان تأليف كتاب : (المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم) تمهيداً لابد منه لإخراج : المعجم العسكري الموحّد .

وقد اعتمده هذا المعجم واقتبس كل مصطلحاته ، فكان الأساس الأول لتوحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية .

وقد أدرجت في هـذا المعجم مفردات عادية يستعملهـا المدنيـون في حياتهم العامة ، ولكن العسكريين يختلفون في استعمالهـا ، فلا يقولن قائل بعد اليوم : لماذا أدرجت هذه المفردات في المعجم العسكري الموحّد ؟

إن توحيد المصطلحات العسكرية العربية يشيع الانسجام الفكري بين

---

(١) القره وانة : كلمة تركية معناه القصعة أو الجفنة .

العسكريين العرب خاصة وبين المثقفين العرب عامة ، ويضع التعاون العسكري العربي الوثيق على أسس رصينة ، ويكوّن القاعدة الثابتة الصلدة للوحدة العسكرية العربية .

وتوحيدها والالتزام بها عاملان حاسمان لوضع التعاون المسكري العربي الوثيق فكرياً وعسكرياً موضع التنفيذ .

وإذا كان التعاون الوثيق ضرورياً قبل مولد إسرائيل في الوطن العربي . فإنه أصبح بعد مولدها قضية حياة أو موت بالنسبة للأمة العربية .

ولن يتم التعاون العسكري العربي الوثيق ، ولن تتمّ الوحدة العسكرية العربية المنشودة ، إلا إذا كانت الخطوة الأولى الحاسمة تبدأ في توحيد المصطلحات العسكرية العربية .

هذا التوحيد يقضي قضاءً مبرماً على الكتب العسكرية القطرية ، ويجعلها كتباً عسكرية عربية ، تشيع الانسجام الفكري والتعاون الثقافي والتدريبي بين العسكريين العرب ، وتشيع الانسجام الفكري بين الأمة العربية في قضايا الثقافة العسكرية العامة .

وبعد التوحيد ، يجعل الكليات والمعاهد والمدارس العسكرية القطرية كليات ومعاهد ومدارس عسكرية عربية ، تغذي كل العسكريين العرب بالتدريب العسكري الفني وبالثقافة العسكرية الموحّدة .

وهذا التوحيد يجعل الأوامر التي يُصدرها قائد من قادة العرب العسكريين ، مفهومة من العسكريين العرب في كل مكان .

وتوحيد الجيوش العربية ، هو حجر الأساس للوحدة العربية الشاملة فلا وحدة عربية بدون قوة ضاربة عربية ، ولا قوة ضاربة إذا بقيت الجيوش العربية متفرقة في ثقافتها وفي تدريبها .

والأساس الوحيد لتوحيد الجيوش العربية ، هو توحيد مصطلحاتها العسكرية .

من أجل تحقيق هذه الأهداف السّامية ، أعدّت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية : (المعجم العسكري الموحّد) الذى سيقود ركب التوحيد إن شاء الله .

مشروع التوحيد

في مؤتمر مجمع اللغة العربية المِصْريّ والمجمع العلمي العراقيّ الذي عُقد في بغداد من ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥ إلى ٣٠ من الشهر المذكور ، ألقي بحث عنوانه : أهمية توحيد المصطلحات العسكرية العربية [١] .

وكان من جملة مقررات ذلك المؤتمر : « تشكيل لجنة من المختصين تحت إشراف الجامعة العربية والقيادة العربية الموحَّدة ، لتوحيد المصطلحات العسكرية العربية ، على أن يعاونها بعض اللغويين » [٢] .

وبعد عودة أعضاء مجمع اللغة العربية المصري الذي شهدوا مؤتمر المجمعين ، من بغداد إلى القاهرة ، كتب الأمين العام لمجمع اللغة العربية رسالة إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية ، بلّغه فيها بالقرار الخاص بتوحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية [٣] .

وأراد السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يعرف رأي السيد الأمين العام المساعد العسكري في توحيد المصطلحات العسكرية العربية ،

(١) انظر نص البحث في كتاب : المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم (١/٧ ـ ٣٣) ـ بيروت ـ ١٩٦٦ . وقد نشر هذا البحث في : مجموعة البحوث والمحاضرات ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ـ ١٩٦٦ .

(٢) انظر نص مقررات المؤتمر ـ مجموعة البحوث والمحاضرات ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ـ ١٩٦٦ .

(٣) رسالة الأمين العام لمجمع اللغة العربية المرقمة ٦٠ والمؤرخة في ١٩٦٦/١/١١ .

فأحال نص رسالة السيد الأمين العام لمجمع اللغة العربية إلى السيد مدير الإدارة الثقافية في الجامعة العربية، وطلب منه أن يأخذ رأي السيد الأمين العام المساعد العسكري في الموضوع.

وكتب السيد مدير الإدارة الثقافية رسالة إلى السيد الأمين العام العسكري المساعد[١]، عن مشروع توحيد المصطلحات العسكرية العربية فلم يلق هذا المشروع التجارب المتوقع من الجهات العسكرية في الجامعة، ولم توافق عليه واقترحت اعتباره منتهياً من وجهة نظر جامعة الدول العربية[٢].

ومن المذهل حقاً أن يطول تطواف رسالة السيد الأمين العام لمجمع اللغة العربية أكثر من عام بين مكتبي السيد مدير الإدارة الثقافية والسيد الأمين العام المساعد العسكري، وهما مكتبان متجاوران في مبنى الجامعة العربية، وأخيراً استقرت تلك الرسالة بعد تطوافها المكيث في ملف من ملفات الإدارة الثقافية متوجة بالكلمة المألوفة: «يحفظ».

وكنت قد قابلت السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية في أوائل عام ١٩٦٦ وحدثته عن أهمية توحيد المصطلحات العسكرية، فاقتنع بالفكرة ووعد خيراً.

وعدت إلى بغداد وانتظرت تباشير تنفيذ المشروع شهرين كاملين، ثم كتبت رسالة شخصية إلى السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية أستنجزه بها ما وعد، فتلقيت منه رسالة مشجّعة أكد فيها عزمه على تبني مشروع التوحيد.

وفي أوائل عام (١٩٦٧)، ذكّرت السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية بوعده الذي قطعه على نفسه، فسمعت منه تأكيداً لوعده السابق.

---

(١) رسالة السيد مدير الإدارة الثقافية المرقمة ١/١٣/٤٩ والمؤرخة في ١٩٦٦/١/١٨.

(٢) رسالة السيد الأمين العام المساعد العسكري المرقمة ٢٤/٥٠٣ والمؤرخة في ١٩٦٧/١/٢٢، والتاريخ أذكر أن الأسباب التي بنى عليها السيد الأمين العام المساعد العسكري لجامعة الدول العربية كانت تافهة إلى أبعد الحدود كما كانت بعيدة عن الحقيقة.

وانتظرت طيلة عام ١٩٦٧ دون جدوى .

وقصدت القاهرة في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ ، وبادرت إلى زيارة جامعة الدول العربية ، فعلمت أن المشروع لم يتقدم خطوة واحدة وأنه انتهى إلى نهاية غير سارّة .

وحين أطلعتُ السيدَ الأمين العام لجامعة الدول العربية على جواب الجهات العسكرية في الجامعة [١] ، اقترح عليّ أن أقابل المرحوم الفريق الأول عبد المنعم رياض [٢] لإقناعه بالموافقة على تنفيذ المشروع .

وقابلت السيد الفريق الأول ، فاقتنع بعد مناقشة طويلة بأهمية مشروع التوحيد ، فطلب السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية أن أقدم إليه مذكرة بالطريقة المثلى للتنفيذ .

وهكذا خرج المشروع من حيّز الفكرة النظرية إلى حيّز التطبيق العملي ، وكان لإيمان السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية الأستاذ عبد الخالق حسونة بأهمية تنفيذ مشروع التوحيد أكبر الأثر في تنفيذه .

(يتبع) اللواء الركن محمود شيت خطاب

رئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية

للجيوش العربية

***

(١) ولم يكن قد اطلع عليه من قبل ، بل حفظ دون علمه ، وكان واجب مدير الإدارة الثقافية إطلاعه عليه لأهميته القصوى ليبدي رأيه الأخير فيه ، ويعالج الأمر بما يقتضيه تنفيذاً لوعده الذي قطعه على نفسه .

(٢) كان قد تسنّم منصب الأمين العام العسكري المساعد بعد تسنمه منصب رئاسة أركان حرب جيش الجمهورية العربية حديثاً ، ولم يكن على علم بمشروع توحيد المصطلحات العسكرية العربية .

علم الأحلام

في المجمع العلمي الألماني :

في مطلع هذا القرن ، وفي إحدى لياليه البهيجة كانت قاعة المجمع العلمي في برلين تعج بالشخصيات الكبيرة التي جاءت من كل صوب للاحتفاء بتكريم الأستاذ (كوكوله) الذي عرف باكتشافه لرمز (البترول) ومنه عرف رمز (البنزين) وناهيك بما أحدث هذا الاكتشاف من ثورة في دنيا الصناعة والميكانيك ، ولما اكتمل عقد المدعوين وقف المحتفى به خطيباً فقال مفاجئاً الجمع الموجود في القاعة بقوله دون مقدمات : أيها السادة ؟ لنتعلم كيف نحلم ! وذهل الحاضرون في البداية لهذه المقدمة ، ولكن الخطيب شرح لهم بعد ذلك سر كلمته إذ أوضح أن اكتشافه الذي يكرمونه لأجله إنما تم في حلم ! وقال إنه ، كان في جنيف عندما رأى في نومه قطع الرمز الكيميائي تتراقص أمام عينيه وما لبثت وهي تنضم وتنفصل تارة أخرى أن التحمت مع بعضها فصفت فرأى فيها الرمز وكان هو رمز البترول !

هذا الحادث ، أحدث دوياً ولا شك ، ولكن موضوع الأحلام والاهتمام به ليس بحديث مطلقاً ، (لمبروزو) يقول : إن كثرة الشعوب تؤمن بالأحلام أكثر من إيمانها بالله ، فالحلم الذي هو (عرض نفسي في حادث فيزيولوجي) أمر يلازمنا طيلة حياتنا ! نحن نحلم باستمرار ، والقول المأثور ينص على أن (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) ولعل من أجمل ما قيل في هذا الصدد كلمة الفيلسوف الصيني (تشوانغ سه) « انا تشوانغ سه ، حلمت بالأمس أنني أصبحت فراشة ترفرف هنا وهناك ، لغايات وأسباب لا أعرف عنها كثيراً

ولكني كنت أعرف أني أتبع أهوائي فقط ، كما تتبع الفراشة أهواءها ، فلا أشعر بما يشعر به الناس ، واستيقظت وها أنا ذا كما كنت أنا نفسي . . . غير أني لا أدري هل كنت هناك الإنسان الذي يحلم أنه فراشة أم أنني الآن الفراشة التي تحلم أنها إنسان » !

الأحلام في التاريخ :

إذا أخذنا بالقول في أن الحلم هو « عرض نفسي في حادث فيزيولوجي » فمعنى ذلك أن الحلم قد عرفه الإنسان الأول منذ اليوم الأول ، وأقدم إنسان عرفه التاريخ هو (إنسان اولدفاي) في (طنجا نيقا) فقد وجـــد العالم (لويس ليـكي) وزوجته ماري عظام رجل في ممر اولدفاي ، ودلّ الفحص العلمي على أنه عاش قبل مليون ونصف من السنين ، يضاف إلى ذلك أن العظام التي وجدت في الصين وعرفت بنظام (إنسان بكين) ، دلت على أن الإنسان وجد على ظهر الأرض منذ مليونين من السنين ، ويمكننا القول أن الاهتمام بالأحلام بدأ منذ ذلك اليوم ! إذ من المؤكد أن الإنسان الأول قد أذهله ما رأى في نومه وعدّ ذلك حادثاً جاء من الخارج ، فهو بمثابة إنذار أو أمر الهـي ، ولذا فاننا نجد للأحلام آلهه مختلفة بمختلف الأسماء في مختلف الشعوب ، فعند المصريين من هم أتباع هوروس أو أتباع تيهونيان أو أتباع شيث ، وكذلك عند الكلدانيين نجد النساء تنام في هيكل زرنابيت — وهي إحدى معبوداتهم — ليحلمن أحلاماً تقص على المنجمين ، كما أن في بابل ، كن يطرزن على وسائدهن صورة إله الأحلام (ماكر) !

أقدم كتاب في الاحلام :

هذا الكتاب نجده في أوراق البردي المحفوظة في لنـدن في متحف لندن تحت رقم (٠٣ — ١٠٦٨٣) » وفيه لوائح ٥ إلى ١٢/آ ، وعلى

الوجه منه كتب أنه «كتاب الأحلام» وفي القفا شذرات من التغني بوقعة قادش وصورة عن رسالة إلى الوزير (بنهسي Panehsy) ويرجع تاريخه بحسب قول الدكتور (Cerny) وهو حجة في اللاهوت المصري إلى عهد رمسيس الثاني ؛ ويكون ذلك موازياً لتاريخ الأسرة الثانية عشرة (أي حوالي ٢٠٠٠ — ١٧٨٠ ق.م) وفي هذا الكتاب نرى المؤلف يبحث عن وجود شقاق بين الكائنات الإنسانية ، ففريق هم أتباع هوروس وفريق آخر هم أتباع شيث ، والأقدمون اتفقوا على شيء واحد وهو أن هناك أحلاماً حسنة وأخرى رديئة ، وإليك نموذجاً من الاثنين كما جاءت في أوراق البردى :

إذا رأى امرؤ نفسه في منام :

فاغراً فمه	حسن	يعني شيئاً كان يخشاه ويخافه وسيكشفه .
يأكل ثمر الخرنوب	«	سيملك زمام الأمور في شعبه (أهل بلده) .
يقضم أوراق اللونس	«	يعني شيئاً سوف يستمتع به .
يعطى شفرة نحاس	«	شيئاً سيسمو به ويعلو .
يرى (قضيبه) متضخماً	«	يعني أن ممتلكاته ستتضاعف وتزهو .
يموت بعنف	«	يعني أنه سيعيش بعد وفاة والده .
يرى ثعباناً	«	يعني رزقاً .
يرى الله تعالى	«	يعني مزيداً من الطعام والرزق .
يرى أنه يأكل لحم ثور	«	يعني ترقيه .
يرى أنه يأكل لحم تمساح	«	يعني أنه يأتي على أملاك موظف .
يرى أنه يطل من نافذة	«	استجابة ربه لندائه .
يرى نفسه يئن	«	تزايد أملاكه .
يرى أنه يضاجع أمه	«	سوف ينضم إليه رجال عشيرته .
يرى أنه يضاجع أخته	«	انتقال شيء إليه .

يرى أنه يشرب بوله	حسن	يأتي على أملاك ابنه .
يرى أنه يتناول غائطاً	〃	يأكل ما ملكت يمينه في بيته .
يرى نفسه مع شخص عظيم	〃	يعني ترقّيه من قبل ولي أمره .
يبحر باتجاه المصب	〃	يربط نفسه بالاستقامة في حياته .

★ ★ ★

وهناك الأحلام الرديئة :

إذا رأى أنه يحتسي جعة ساخنة	رديء	سيصاب بما يشكو منه .
إذا رأى أنه يطعم لحم ثور	〃	سيحدث له شيء .
إذا رأى أنه يقضم القثاء	〃	سيسمع كلاماً عند اللقاء .
إذا رأى أنه ينتزع إحدى ساقيه	〃	حكم بحقه من الأبعدين .
إذا رأى في المرآة وجهه	〃	سيتزوج زوجة ثانية .
إذا رأى الله يكفكف دموعه من أجله	〃	يعني أنه سيقاتل .
إذا رأى أنه محتذٍ بحذاء أبيض	〃	التسكع في الأرض .
إذا رأى أنه يضاجع امرأة	〃	أنين .
إذا رأى أنه يعضه كلب	〃	وقوعه تحت سلطان السحر .
إذا رأى أنه تعضه أفعى	〃	حديث حادّ سيجري معه .
إذا رأى أنه يكتب على رقعة بردي	〃	إحصاء ربه لسيئاته .
إذا رأى أنه يرفع منزله عالياً	〃	إصابته بمرض .
إذا رأى أنه يتصرف كربان السفينة	〃	لن يبرأ في أي حكم من أحكامه .
إذا رأى أنه يخترق سياجاً شائكاً	〃	قول الأكاذيب والأخبار .
إذا رأى اقتناص الطيور	〃	ذهاب ملكه .
يرى قضيبه منتعظاً	〃	النصر لأعدائه .
من رأى أنه يحترق	〃	سوف يجزر .

من رأى أنه ينتزع أظفار أصابعه	رديء	انتزاع العمل من بين يديه .
من رأى سنه تسقط	«	موت رجل من أقاربه .
من رأى أنه يحلق عانته	«	الانين .
من رأى أنه يوضع في أبرشية	«	اقتراب أجله .
من يرى أناساً عن بعد	«	دنا أجله .
من يرى أنه يكشف عن قفاه	«	يصيبه اليتم
من يرى أنه يقص شعره	«	ذهاب شيء من داره
من يرى أنه يكسر إناء بقدميه	«	قتال
من رأى أنه يبحر نحو مصب النهر	«	السجن ... أو حياة الشدة .

ويلاحظ أنه فسرت الأحلام أكل لحم الثور تارة بأنها خير ، وتارة بأنها شر ، وكذلك الإبحار نحو المصب تارة بأنها حسنة وتارة سيئة .

من رقيات الأساطير :

في البردى نفسه صورة حوار بين هورس وأمه ، وهي مما يتلوها المرء عندما ينهض من نومه وهو في موضعه :

• — إلي إلي يا إيزيس يا أم وانظرى فاني لا أرى ما هو هناك بعيداً عني في بلدي .

• — ها أنا ذي ، ولدي هورس فاطرح ما قد رأيت حتى يتأتى لعذابك وأوصابك التي تخللت أحلامك أن تتلاشى وتنطلق النيران في وجه من يروعك ، انظر إلي ها قد جئت لأراك وأنتزع أوجاعك وأقضي على كل تافه خبيث .

• — سلام عليك أنت أيها الحلم الجميل الذي تبدو في ليل أو نهار ، ألا فلتؤخذ بعيداً كل أشياء السوء التافهة التي هي صنع سيث ابن نات وكما قد نصر (رع) على أعدائه كذلك أنا منتصر على أعدائي وتتلى هذه الرقيـة عندما يستيقظ المرء وهو في موضعه وقد أعطي خبز الكانس Pesen bred

وشيئاً من الأعشاب الفضة المنداه والمرطبة بالجمة والدبس ، ويجب أن يدلك وجه الشخص بذلك فتذهب عنه كافة أحلام السوء التي رآها .

ولعل من المفيد أن نذكر أن السيدة عائشة كانت تقول قبل النوم : اللهم إني أسألك رؤيا صالحة ، صادقة غير كاذبة ، نافعة غير ضارة ، حافظة غير منسية .

وفي السنة : اللهم إني أعوذ بك من الاحتلام وسوء الأحلام ، وأن يتلاعب بي الشيطان في اليقظة والمنام ، وذلك بعد أن يستقبل القبلة ويقرأ « والشمس وضحاها » ثم « والتين والزيتون » (وبذلك فانه لا يرى إلا ما يحبّ) وإذا رأى ما يضره ، عليه أن يقول : أستغفر الله من شر رؤياي هذه أن تضرني في الدنيا والآخرة ثم يتفل عن يساره ثلاث مرات .

ومن رأي أرسطو : أن الأحلام الصادقة هي إما مصادفة أو إيحاء بعمل ما يستولي على الحالم . أما الكندي فيرد الرؤيا الصادقة إلى الفعل المنظم المرتب في النوم واليقظة ، ويذهب الفارابي وابن رشد إلى أن هناك قوانين للتعبير هي كما يلي :

قوانين التعبير :

١ ــ تنبع الرموز عند النيام من سابق مدركاتهم .

٢ ــ تمثل الرموز معاني تربطها بها صلة تشابه أو تضاد .

٣ ــ تختلف دلالات الرموز الواحد في الأمة الواحدة والملة الواحدة باختلاف ثقافات الأفراد ومهنهم ، وصناعاتهم ، كما تتغير هذه المعاني بتغير الأمم .

٤ ــ تختلف دلالات الرمز الواحد عند الفرد الواحد باختلاف ظروفه وأحواله .

ومعروف أن إرتمه ميدوروس اليوناني : المولود في القرن الثاني الميلاد قد وضع مؤلفاً من خمسة أجزاء ، وترجمه حنين ابن إسحاق ، وفيها ببحث

عن الحلم الظاهر والمستتر ، وهناك الكثيرون من المفسرين ممن أخذوا عن إرثه ميدوروس فتوسعوا في عملهم حسب اجتهاداتهم . وفي تاريخنا العربي تجد أن ابن سيرين الذي جاء في عام ١٠٨ هجرية قطع شوطاً بعيداً في ذلك ، وقد اقتدى به ابن شاهين وابن غنام والنابلسي وغيرهم ، وعندما ندقق في عمله نراه قد حلق في أبحاثه حتى يخيل إليك أنه ينطق بلسان فرويد أو (يونغ) وادلر وغيرهم من العباقرة وهاك بعض النماذج من تفسيراته .

١ — من رأى امرأة رمته بسهم فأصابت قلبه ، فإنها تمازحه فيعلق قلبه بها .

٢ — رأت امرأة رجلين دخلا عليها ، أحدهم على برذون أدهم ، والآخر على برذون أشهب ، ومع صاحب الأشهب قضيب ، فنخس به بطني ، فقال لها اتق الله واحذري من صاحب الأشهب .

٣ — رجل رأى ناقة فأخبره بأنه سيتزوج .

٤ — رأى رجل حية تسعى وهو يتبعها ، فدخلت جحراً وفي يده حصيات فوضعها عند الجحر ، فسأله أتخطب امرأة ؟ قال بلى ، فأخبره بأنه سيتزوج .

٥ — رأى رجل بيته ممتلئاً بالأفاعي ، فقال له اتق الله ولا تؤذي عورات المسلمين .

٦ — رأى رجل خاتمه انكسر ، فقال إن صدقت رؤياك فستطلق زوجتك .

٧ — رأى رجل خاتماً فصه من ياقوتة حمراء،فقال تحبك امرأة جميلة فيها قسوة.

٨ — رأى رجل جرة على كتفه ثم وقعت فانكسرت الجرة ، وبقي الماء ، فقال له هل امرأتك حامل فقال له نعم ، فقال أنها تموت ويبقى الولد .

٩ — (رأيت رمانة في يدي) فقال له هي امرأة ستتزوجها .

١٠— (رأيت كأني أشرب من قلة ضيقة الرأس) فقال له إنك تراود جارية عن نفسها .

١١— (رأت امرأة أنها دفنت ثلاثة ألوية) فقال لها إن صدقت رؤياك فستتزوجين ثلاثة أشراف يقتلون عنك .

الأحلام في المختبر وحقل التجارب :

طبيعي جداً أن تتجه أنظار العلماء بعد الاكتشافات الكبيرة في موجات المخ الكهربائية وأثرها في اليقظة وفي الراحة والعمل والتعب أو النعاس والنوم الخفيف والوسط والعميق إلى التوغل في البحث والوصول به إلى نتائج واضحة فيضم بهذا إلى دائرة العلوم ، هذا العلم الذي نسميه اليوم (علم الأحلام) ولكي يتم ذلك يجب :

أولاً : ملاحظة الظواهر المختلفة التي في نطاق التجربة وجمعها .

ثانياً : تنظيم الحقائق المختلفة التي كانت موضوع الملاحظة وتصنيفها .

ثالثاً : استنباط قوانين عامة شاملة تنظم هذه الحقائق وتفسرها .

وقد أجرى مورلي ڤولت هذه التجارب فسجلها مع نتائجها كما يلي :

١ ــ نام فانشق ماء كولونيا فرأى نفسه في القاهرة يدخل لمخزن بائع عطور ، ويرى زجاجة تحمل ماركة (جان ماريا فارينا) الشهيرة مع حوادث غريبة ...

٢ ــ قرص في رقبته فحلم بطبيبه وهو طفل ، يعالجه ويضع على رقبته لصقة (خردل) .

٣ ــ وضعت نقطة ماء على جبينه فرأى نفسه في إيطاليا وهو يتصبب عرقاً ، ويجلس في مكان يشرب نبيذ (أورفيه تو) الأبيض . ومن هنا برزت نظريات عديدة للأحلام منها .

نظرية فرويد : وهي تقول إن الأحلام هي طريق إلى النفس ، وإن الحلم هو حارس للنوم .

نظرية دلبوف : الحلم تتمة لعمل اليقظة .

نظرية روبرت بنز : الحلم هو عملية إفراز .

نظرية شرنر : الحلم هو القيام بعمل مستقل لا يمكن عمله في اليقظة .
نظرية بيه رره : الحلم هو الطريق إلى الشفاء
نظرية ده لاج : نحن لا نحلم بالشيء الحديث الذي رأيناه البارحة بل بالقديم.

وأمام هذه الكثرة من النظريات لا نستغرب وجود مدارس في القديم على كثرة الأبحاث والاجتهادات ومن هذه المدارس : أصول دانيال ، إرشاد جابر ، المغربي ، إيضاح التعبير والبدر المنير وشرحه للحنبلي ، بيان التعبير لمبدوس ، تعبير أرسطو ، أفلاطون ، اقليدس ، بطليموس ، تعبير الجاحظ ، جالينوس ، السلطاني فارس ، القادري لأبي سعيد نصر بن يعقوب الدينوري .

آفاق جديدة :

مع كل هذه النظريات والمدارس التي ذكرناها فإن هناك حوادث تتم بنظام خاص تجعل من المحتم الوصول إلى آفاق جديدة تهيء لما يُسمّى (علم الأحلام) بعد أن يجد لها تفسيراً مقنعاً أن يضمها بين دفتيه ، وأن تخرج من كل ذلك بحقائق جديدة تطمئن ظمأ عشاق المعرفة الذين يتيهون من زمن طويل في فيافي البحث المظلمة عن هذه الناحيـة ، وما فيها من أسرار ، وليس أدل على هذا من سرد حادثين سجل أحدهما تاريخ الطب ، والثاني مرَّ علي شخصياً في حياتي العملية كطبيب وهما كما يلي :

الحادث الأول : وهو مسجل في سجل دائرة الشرطة في مدينة (هالله) في ألمانيا ، وكان كما يلي : استدعى مدير الجامعة في (هالله) الأستاذ (ماير) ـ وهو من أساتذة الجامعة ـ وقال له إن تلميذاً مريضاً في الشارع (الفلاني) يرجو منك أن تذهب إليه في بيته لأمر هام ! ولم يتردد الأستاذ في زيارة الشاب الذي قال له : أستاذ ! إذا حدث لي شيء ، فأرجوك أن تأخذ من هذا الدولاب مغلفاً كتبته باسمك فتقرأه وتعطي مالي هنا من أشياء إلى أهلي ! ومات التلميذ الشابُّ وفتح الأستاذ المغلف فاذا فيه الرسالة التالية :

(حلمت أني أسير في القرية المجاورة ولذّ لي أن أدخل المقبرة التي رأيتها في طريقي ، وبدأت أتسلى بقراءة الأحجار التي توضع فوق القبور ، (ونسميها نحن الشواهد) وبعد قراءتي لشاهدتين أو ثلاثة منها انتبهت إلى شاهدة كتب عليها ... اسمي وقد أضيف إلى ذلك اليوم الذي مت فيه ، وقد أفقت من نومي مذعوراً ومن الغريب أن التلميذ مات في نفس اليوم الذي رآه مكتوباً على الشاهدة .

الحادث الثاني : كان ذلك يوم (٨ كانون الأول عام ١٩٤٧) وكنت أسكن في جادة شرف شارع محمد علي العابد .

في الصباح الباكر وعند الفجر طرق الباب بشدة ففتح الخادم للطارق وأفقت على الصوت المزعج وقمت من سريري ، ونزلت إلى غرفة العيادة التي هي في الطابق الأرضي فإذا بي أمام رجل من زبائني - وهو مهاجر من الروس البيض - يرتجف وعلائم الاضطراب ظاهرة عليه ، وبادرني بتضرع معتذراً عن إزعاجي في مثل هذا الوقت ، وقال لي بدون مقدمات : دكتور ! حلمت في هذا الصباح أني سأموت اليوم ؟ وطبيعي أن لا أوخذ بالوضع فابتسمت للسيد المذكور - وقد رجتني زوجته أن لا أذكر اسمه - وقمت بفحص عاجل له ، ولكني لم أجد ما يستدعي هذا القلق - ماعدا ضربات قلبه السريعة أثناء الفحص ، والتي تدل على انفعاله - كما لم أجد أي شيء غير طبيعي لمعرفتي به من قبل معرفة كافية ، ولم ألبث أن بدأت بممازحته وطلبت له فنجان قهوة ، وقدمت له سيجارة وأخذنا في الحديث عن مختلف الشؤون ، وقد قصدت بهذا أن أبعده عن التفكير الذي جاء به إلى العيادة وهو منفعل - ... وبدأ عليه بعض الارتياح ومازلت به حتى عاد إليه هدوءه ، وكنت معتمداً على ثقافته العالية فقام بعد أن بدأ النهار بالإشراق وكان الصباح يومها منعشاً ، فتركني شاكراً ومودعاً مع الاعتذار ... عن إقلاقي (لأمر تافه) كما قال ! في اليوم الثاني جاءني مواطن له - من المهاجرين

الروس أيضاً - وهو يعمل كخبير في أمانة العاصمة في دمشق ، وكان من زبائني أيضاً ، وأخبرني بكل مرارة بأن السيد (ب . . . .) قد توفي البارحة ليلاً ! ! ! . . . وطبيعي أن استقصي الحادث وسيره بعد خروجه من عيادتي ، فعلمت ما يلي :

خرج من عيادتي إلى مسكنه (وهو يقيم في بناية كسم وقباني قرب البرلمان) فاستراح قليلاً ولكنّ الوسواس عاوده فخرج وذهب إلى عيادة (الدكتور شارل الافرنسي) ففحصه هذا فحصاً دقيقاً ولم يعطه أي دواء بل نصحه بالاستراحة في البيت وأن لا يهتم بهذه الوساوس ، فخرج من عيادة الدكتور شارل ، وبعد جولة في الأسواق ذهب إلى عيادة الدكتور (لويس) وكانت قريبة من مسكنه ، وألقى بنفسه على المقعد بكل تهالك ، وأعاد على مسامع الطبيب نفس النغمة ، وفحصه هذا ، وأعطاه قارورة من (الكورامين) وقد تبين فيما بعد أنه لم يأخذ منها سوى بعض النقاط ، وفي المساء ذهب إلى بيت أحد أصدقاء زوجته ، حيث يحتفلون بعيد ميلاد أحد أفراد العائلة ، فتناول هناك قدحاً من الخمر ثم رجع إلى بيته ، وقبل أن يصعد إليه توجه إلى دكان بائع حليب « وهو من المهاجرين أيضاً » فطلب إليه برجاء أن ينام عنده في الغرفة لشعوره بقلق عظيم ، فاستغرب مواطنه ذلك منه واعتذر بحجة أن امرأته ستأتي من بيروت ليلاً وعندها جرّ نفسه على مضض إلى مسكنه القريب جداً . . . حيث دخلت صاحبة الشقة في الصباح لتقدم له فنجان القهوة المعتاد ، فوجدته ميتاً ! ! !

وهكذا نجد أننا أمام آفاق جديدة للبحث في علم الأحلام ، وليس على عشاق المعرفة بكثير أن يجعلوا من كل ذلك كلاًّ لايتجزأ ، في التقدم نحو اكتساب مناطق جديدة في دنيا هذا البحث العظيم ، فتضيء بها سماء المعرفة الزاهرة .

الدكتور صبحي أبو غنيمة

المصادر المتميزة

لشعر دعبل بن علي الخزاعي

« دراسة تقويمية »

لم يتبق لنا من شعر شاعر آل البيت دعبل بن علي الخزاعي - بعد ضياع الديوان - إلا قصائد ومقطعات وأبيات مبثوثة في المصادر المختلفة [١] . ويشتمل كثير من هذه المصادر على أبيات متناقلة للشاعر تجيء في موضعها اتفاقاً مع الموضوع المطروح ، فهذه لا حاجة بنا إلى أن نقف عندهـا . ومصادر أخرى - موزعة على القرون ، منذ القرن الثالث - لها قيمة خاصة بالنسبة إلى ما نعرف من شعر دعبل : يتفرد بعضها بما يحويه ، ويتميز بعضها بغناه أو بتثبته ، فهذه التي نقف عليها ونحقق تميزها .

آ — فمن مصادر القرن الثالث :

١ — ★ طبقات الشعراء ، لابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ، مصدر أصيل كتب وشعر الشاعر ما يزال حياً على الأفواه ، يتفرد بسبعة عشر بيتاً لا نجدها في مصدر آخر [٢] .

٢ — ★ الشعر والشعراء ، وعيون الأخبار ، لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ،

---

(١) صنعنا من هذه القصائد والمقطعات المبعثرة مجموع شعر الشاعر الذي تبقى في أيدينا . وقد تولى مجمع اللغة العربية بدمشق طبعه ، فطبع - في جملة مطبوعاته - في المطبعة الهاشمية سنة ١٩٦٤ .

(٢) وفي الكتاب أقدم تصريح بمطلع تائية دعبل الكبيرة الذى قدمت بعض المصادر عليه ثلاثين بيتا كاملة !

أصيلان ، لقي صاحبها الشاعر وأخذ عنه . يتفردان معاً بثلاثة أبيات . ويتفرد كل منهما بثلاثة أخرى .

٣ — ★ ديوان الحماسة ، لأبي تمام الطائي (ت ٢٣١ ﻫ) ، يمتاز باختياره من هجاء الشاعر – غرض شعره الأصيل – ، ولكنه لسوء الحظ لم يعين نسبة الأبيات . وصاحبه صديق الشاعر في بغداد . يتفرد بعشرة أبيات .

٤ — ★ كتاب بغداد ، لابن طيفور (ت ٢٨٠ ﻫ) ، أصيل ، صاحبه على معرفة بشعر الشاعر ؛ وقد صنع منه اختياراً ذكره ابن النديم . يتفرد بمقطوعة هجاء قاسية لكتّاب العصر .

٥ — ★ الورقة : لابن الجراح (ت ٢٩٦) ، ويتفرد بأبيات قليلة [١] .

ومصادر القرن الثالث ، على الإجمال ، كلها أصيلة ذات قيمة كبيرة . لأن أصحابها عرفوا الشاعر وخالطوه ، أو أخذوا عمن عرفه [٢] .

★ ★ ★

ب — ومن مصادر القرن الرابع ، وهو أغنى القرون بمصادر شعر الشاعر ، وعنه فيما يبدو ، أخذت مصادر القرون التالية :

١ — ★ الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ ﻫ) . وهو أوسعها وأحفلها بأخباره وأشعاره . ويتفرد ، إلى جانب ذلك ، بأكثر من ستين بيتاً في الأغراض المختلفة .

(١) يتميز باحتوائه على نقول كثيرة من كتاب دعبل الضائع (طبقات الشعراء) . انظر كتابنا (دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت ، الطبعة الثانية ، الذيل الثاني) ففيه أخبار كتاب دعبل هذا ، ومجموعة النقول التي وقعنا عليها في المصادر ، منه .

(٢) يمكن أن نذكر هنا ديوان ابن الرومي ، وفيه (ورقة ١٦٤) قصائد خلطها ابن الرومي بأبيات لدعبل ، كأنه كان يتمرس بتتبعها وتوليد المعاني منها . وربما وقع ذلك في مطلع حياة ابن الرومي الفنية . وفيه أيضاً قصيدة مطلعها كله لدعبل (مخطوطة دار الكتب المصرية من ديوان ابن الرومي – ١٣٩ أدب) .

٢ — ★ تشبيهات ابن أبي عون (التشبيهات الشرقية) ، لابن أبي عون (ت ٣٢٢ هـ) . حفظ لنا مجموعة حسنة من تشبيهات الشاعر الأصيلة التي تعين على فهم تأثره بأستاذه مسلم بن الوليد . ولكنه لم يتفرد بأكثر من أربعة أبيات .

٣ — ★ العقد : لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) . غنيّ ؛ يمتاز باختياره أبياتاً من الوصف ، ويتفرد بسبعة عشر بيتاً .

٤ — ★ ذيل الأمالي (النوادر) ، للقالي (ت ٣٥٦ هـ) ، يتميز باختياره قصيدتين طويلتين غير مخلخلتين من فخر الشاعر ، ويتفرد بإحداهما ، وبستة أبيات .

٥ — ★ مقاتل الطالبيين ، لأبي الفرج الأصفهاني أيضاً . يحفظ لنا قصيدة غير مخلخلة (لعلها كاملة) في رثاء ولده أحمد ، والإمام علي الرضا ، ويتفرد بها .

٦ — ★ البصائر والذخائر : لأبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤ هـ) يتفرد بخمسة عشر بيتاً من التائية الكبيرة الثانية التي يفخر فيها الشاعر بقومه وشعره ، وبأربعة أبيات دالية في ذم الصحاب (ج ٣ ص ٤٥٦ من طبعة الدكتور إبراهيم الكيلاني) .

٧ — المصون : للعسكري (ت ٣٨٢ هـ) . يتميز باختياره قصيدة فريدة في العتاب . ويتفرد بثلاثة أبيات أخرى مشكوك في نسبتها إلى الشاعر .

٨ — ★ مروج الذهب : للمسعودي (ت ٣٤٦ هـ) . يتفرد بنقل أبيات فريدة من عينية دعبل النونية الكبيرة الضائعة [1] ، وبيتين فريدين هامين في رثاء البرامكة .

٩ — ★ قطب السرور ، للرفيق النديم (ت بعد ٣٤٠ هـ) . يتميز بنقل ثمانية أبيات فريدة في وصف الخمر ويتفرد بها ؛ وهي — إلى جانب الأبيات

(١) يقول ياقوت : إنها تبلغ ستمائة بيت (معجم الأدباء ١٤/١٧٥) .

الثلاثة التي حفظها لنا فصول التماثيل لحمزة الأصفهاني[١] ، وقصيدة ـ سنشير إليها في ديوان أبي نواس ـ كل ما بقي لنا من شعر الشاعر في هذا الغرض .

١٠ – ★ وتنفرد مصادر أخرى من هـــذا القرن باشتمالها على شعر فريد للشاعر :

الموشى : للوشاء (ت ٣٢٥ هـ) ، والأشباه والنظائر (حماسة الخالديين) والتحف والهدايا : للخالديين (ت ٣٨٠ هـ و ٣٩٠ هـ) ، وديوان المعـاني : للعسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، والموازنة : للآمدي (ت ٣٧٠ هـ) ، والوساطة : للقاضي الجرجاني (ت ٣٦٦ هـ) ، وتلخيص أخبار شعراء الشيعة[٢] للمرزباني (ت ٣٨٤ هـ) .

١١ — ★ ديوان أبي نواس : رواية حمزة الأصفهاني (ت ٣٦٠ هـ) . في مقدمته قصيدة كاملة لدعبل يعارض فيهـــا إحدى الخمريات المنسوبة إلى أبي نواس (حقق نسبة القصيدة إلى والبة بن الحباب ، ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، انظر طبعة بيروت الجديدة ٧٧١/٢) .

وما تزال مصادر هذا القرن أصيلة ، تأخذ عن مصادر سابقة لم تصل إلينا .

★ ★ ★

جـ — ومن مصادر القرن الخامس :

١ — ★ تراجم الشعراء : المنسوب إلى الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) حافل ؛ ويتفرد بقصيدة عنيفة في الرثاء تحض على الثورة بالواثق . وغيرها فيه متناقل معروف .

---

(١) اسم الكتاب في الأصل (التماثيل في تباشير السرور) ونسب خطأ إلى (ابن المعتز) .

(٢) توجد نبذة منه في مكتبة محسن الأمين بدمشق ، فيها ترجمة ثمانية وعشرين شاعراً من شعراء الشيعة ، نقل ما يخص شاعرنا منها في كتابه (دعبل الخزاعي) : أعيان الشيعة ٢٧٣/٢ ، ولعله الكتاب الذي أشار إليه المرزباني : الموشح ص ٩ .

٢ — ★ وكتب الثعالبي الأخرى، مثل برد الأكباد، والمنتحل، تنفرد بأبيات قليلة متفرقة.

٣ — ★ المنتخب من كنايات الأدباء: للجرجاني (ت ٤٨٢ هـ). يحفظ أبياتاً قليلة ولكنها ذات قيمة في فهم مصادر صور الشاعر؛ ولا يتفرد بشيء.

٤ — ★ الإبانة عن سرقات المتنبي: للعميدي (ت ٤٣٣ هـ) يتفرد بأبيات خمسة ذات دلالة على مكانة الشاعر واستفاضة شعره على الألسنة.

٥ — ★ حماسة الظرفاء: للعبدلكاني (ت ٤٣١ هـ). يحفظ أبياتاً ظريفة فريدة في العتاب.

٦ — ★ محاضرات الأدباء: للراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) يتفرد بأبيات كثيرة ولكنها مفردة كلها. وقد يخطىء في نسبة الأبيات.

ومصادر القرن الخامس الأخرى — على العموم — قليلة الشأن هنا، نقلت أبياتاً متفرقة لا تنفع كثيراً في تحسس تجربة الشاعر. نذكر منها:

١ — ★ الأمالي: لأبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، من المصادر الشيعية المبكرة لشعر الشاعر. يتميز بنقل قصيدة طويلة له غير مخلخلة في رثاء آل البيت.

٢ — ★ تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) وشعره فيه متناقل وغير كثير.

٣ — ★ زهر الآداب: للحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ). فيه شعر غير قليل، ولكنه لا يتفرد منه بشيء [1].

★ ★ ★

(١) يمكن أن نذكر أيضاً معه الشهاب في الشيب والشباب: للشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)، والأمالي للقالي: (ت ٣٥٦ هـ) من مصادر القرن السابق.

د — فأما مصادر القرن السادس فقد كانت أغنى . وتميزت بغلبة المصادر الشيعية الكبيرة فيها . نذكر منها :

١ — ★ تاريخ دمشق : لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) . أصيل بالرغم من اعتماده الأغاني وتاريخ بغداد . ويتميز بنقل مقطوعات كاملة . ويتفرد بأبيات غير كثيرة [١] .

٢ — ★ التذكرة الحمدونية : لابن حمدون (ت ٥٦٢ هـ) . حافل بالشعر ، ولكنه لا يتفرد بشيء .

٣ — ★ مناقب آل أبي طالب : لابن شهرآشوب (ت ٥٨٨ هـ) . من المصادر الشيعية الكبيرة لشعر الشاعر ، يتفرد بقصيدة وثلاث مقطوعات وبيت واحد . ولكنها كلهـــا في مستوى ما حفظته كتب الشيعة من شعره ، وتفردت به .

٤ — ★ مقتل الحسين : لأخطب خوارزم (ت ٥٦٨ هـ) . من المصادر الشيعية أيضاً . يحفظ قصيدة في رثاء الحسين يتفرد ببعضها . ويقال فيه ما قيل في المناقب .

٥ — ★ روضة الواعظين : للنيسابوري (القرن السادس) . من كتب الشيعة . فيه شعر ليس بالكثير ، ويتفرد بثلاثة أبيات .

٦ — ★ بشارة المصطفى : للطبري الآملي (القرن السادس) . يحتوي القصيدة المعروفة الكبيرة (التائية) في رثاء آل البيت .

٧ — ★ أمالي ابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ) . فيه شعر ليس بالقليل ؛ ولكنه لا يتفرد منه بشيء وأبياته مجزأة في الغالب .

★ ★ ★

(١) يمكن أن يذكر معه فيها : بغية الطلب لابن العديم (ت ٦٦٠ هـ) ؛ وسنذكره في مصادر القرن السابع .

هـ ـ وتعتبر مصادر القرن السابع في مصف مصادر القرن الرابع من حيث الغنى والتفرد . فقد وضعت في هذا القرن بعض الموسوعات الأدبية الحافلة . نذكر منها .

١ ـ ★ بغية الطلب : لابن العديم (ت ٦٦٠ هـ) . أصيل إلى حد ما على إفادته من تاريخ دمشق والأغاني ؛ ويتفرد مع الأول بخمسة أبيات ، ويتفرد وحده بسبعة أبيات أخرى . وهو المصدر الوحيد الذي حفظ لنا شعر دعبل في جاريته (برهان) ؛ وفيه قسم من التائية الكبيرة في رثاء آل البيت .

٢ ـ ★ معجم الأدباء : لياقوت (ت ٦٢٢ هـ) . يتميز باختياره قصائد ومقطوعات ثمينة من شعر دعبل . وهو المصدر الوحيد الذي صرّح بما دخل على التائية الكبيرة في عصره من تزيد ، ونقل ما صح منها عنده (٤٥ بيتاً) وهو ، في الإجمال ، من أوفى مصادر شعر دعبل وأحقها بالاعتبار .

٣ ـ ★ معجم البلدان : لياقوت أيضاً . يتفرد بأبيات من يمنية دعبل الضائعة ، وأبيات أخرى في الفخر بقومه من اليمنية .

٤ ـ ★ جمهرة الإسلام : للشيزري (ت ٦٢٢ هـ) . وهو المصدر الثاني ، من غير المصادر الشيعية ، الذي يحتفظ بالتائية . على أنه لم يظهر في نقلها ما أظهره ياقوت من حذر ، فبلغت عنده سبعة وخمسين بيتاً ، بزيادة ثلاثة عشر بيتاً عن ياقوت .

٥ ـ ★ الدر الفريد : لابن أيدمر (ت بعد ٦٩٤ هـ) يحفظ مقطوعات طويلة في بعضها زيادات يتفرد بها . على أن كثيراً من أبياتها جاء في الحواشي . ولم يتفرد ، في الجملة ، إلا بأبيات قليلة . وفيه أبيات من يمنية دعبل الضائعة .

٦ ـ ★ الحماسة البصرية : لابن أبي الفرج البصري (صنعها سنة ٦٤٧ هـ) ،

أصيل أيضاً ، حافل ؛ ويمتاز بالتفرد بأبيات نافعة في فهم بعض صلات الشاعر ببعض من عاصره . وفيه قسم من التائية الكبيرة .

٧ — ★ شرح المقامات : للشريشي (ت ٦١٩ هـ) . حافل ، ولكنه لا يتفرد بشيء . والأبيات مفردة فيه لأنها تأتي في مواضع الاستشهاد .

٨ — ★ وفيات الأعيان : لابن خلِّكان (ت ٦٨١ هـ) . يتضمن ترجمة حسنة للشاعر ، ولكنه لا يتفرد بشيء من شعره .

٩ — ★ مؤنس الوحدة : لضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) . غني ، ينقل عمن سبقه ، ولا يتفرد بشيء .

★ ★ ★

و — وتكاد مصادر القرن الثامن تقرب في قيمتها ، بالنسبة إلى ما تضم من شعر الشاعر ، من مصادر القرن السابع . ولا يخلو بعضها من أصالة ، وإن كان يغلب عليها ، في الإجمال ، التقليد . نذكر منها :

١ — ★ مسالك الأبصار : لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) . حافلة ، تأخذ عمن سبق ، وتنفرد مع ذلك بثمانية أبيات .

٢ — ★ التذكرة الصفدية : للصفدي (ت ٧٦٤ هـ) . حافلة ، ولكنها قليلة الأصالة ، لا تنفرد بشيء . وربما اعتمد صاحبها تاريخ دمشق والتذكرة الحمدونية .

٣ — ★ الوافي بالوفيات : للصفدي أيضاً . يقال فيه ما قيل في التذكرة . على أن ما يحتويه من شعر الشاعر أقل [1] .

٤ — ★ عيون التواريخ : لابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) غني ، أخذ عن تاريخ دمشق والتذكرة الحمدونية .

---

(١) يمكن أن نذكر للصفدي أيضاً : تشنيف السمع في انسكاب الدمع ؛ ويتفرد ببيتين .

٥ — ★ تاريخ الإسلام : للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) . غني أيضاً ، وليس فيه جديد .

٦ — ★ فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبي أيضاً . وهو صورة قريبة مما في عيون التواريخ .

٧ — ★ الغرر والعرر : الوطواط (ت ٧١٨ هـ) . فيه شعر ليس بالكثير ، ويتفرد ببيتين [١] .

★ ★ ★

ز — ونقف من مصادر القرن التاسع عند :

★ — السفينة : لابن مباركشاه (ت ٨٦٢ هـ) . ليس فيه شعر كثير ، ولا يتفرد بشيء .

★ ★ ★

ح — ومن مصادر القرن العاشر نقف عند :

١ — ★ معاهد التنصيص : للعباسي (ت ٩٦٣ هـ) . غني ؛ ولكنه يعتمد الأغاني حتى يكاد يكون صورة عنه . لا يتفرد إلا ببيت واحد [٢] .

★ ★ ★

ط — وتنقطع المصادر في القرن الحادي عشر [٣] .

★ ★ ★

(١) يمكن أن نذكر من مصادر هذا القرن أيضاً : منازل الأحباب لشهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥ هـ) ، ويتفرد بأربعة أبيات .

(٢) يصح أن نذكر من مصادر القرن التاسع ـ العاشر أيضاً : تحفة المجالس للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، ويتفرد ببيتين .

(٣) لعلنا نذكر فيه : المخلاة والكشكول للعاملي (ت ١٠٣١ هـ) ، ولا يضيفان شيئاً ؛ غير أن في الأول منهما بيتين فريدين . ونذكر المنتخب في المراثي والخطب لابن طريح النجفي (ت ١٠٨٥ هـ) ؛ وهو حافل ، ولكنه لا يتفرد بشيء .

ك — ومن مصادر القرن الثاني عشر نذكر ثلاثة كتب شيعية :

١ — ★ نسمة السحر : ليوسف بن يحيى (ت ١١٢١ هـ) . حافل ، وفيه قسم كبير من التائية الكبيرة . وهو الكتاب الشيعي الوحيد الذي رفض مطلعها المصطنع الذي تحفل به كتب الشيعة .

٢ — ★ مواسم الأدب : للبيتي العلوي (ت حوالي ١١٨٢ هـ) . من المصادر الغنية ؛ ولكن الأبيات كلها فيه متناقلة ، لا يتفرد منها بشيء .

٣ — ★ شرح قصيدة دعبل : للقنوي الفارسي (ت بعد ١١٠٣ هـ) . فيه التائية الكبيرة في صورتها الشيعية .

★ ★ ★

ل — وتميزت أيضاً بعض المجموعات المخطوطة مثل :

١ — ★ المجموعة المخطوطة بدار الكتب المصرية (٣٤٥ أدب تيمور) . وهو مصدر غني ، ويتفرد بتسعة أبيات .

٢ — ★ ومجموعة الأمثال المحفوظة في الخزانة الرضوية . فإن فيها أبياتاً فريدة من أمثال دعبل الشعرية .

٣ — ★ والمجموعة المخطوطة بدار الكتب المصرية (٣١٠ أدب تيمور) وفيها معظم التائية الكبيرة في صورتها الشيعية .

★ ★ ★

وقد أغفلت في هذا المقال الإشارة إلى أرقام الصفحات في هذه المصادر ، لأنني قصدت إلى التعريف بجملتها ، وإلى دراستها دراسة تقويمية ، على القرون المتتابعة ، ليتبين ما أصاب الشاعرَ وشعره ، في كل قرن ، ابتداءً من القرن الثالث الذي عاش فيه الشاعر ، من حركة هذا التراث المظلم الذي بقيت

في أيدينا منه شعل ما نزال نستضيء بأقباس منها في إكمال عمليـة الإحياء والترميم الكبيرة التي ينبغي أن تُشغل بها اليوم مؤسساتنا الثقافية وتجنّد لها علماءنا ومحققينا ، لتكتمل لنا صورة الماضي الذي لا يقوم حاضره السليم إلا على قواعده الثابتة في الفكر واللغة والاجتماع .

وما أشك أن مصادر أخرى لشعر هذا الشاعر الفذّ ستتكشف لنا مع الزمن ، فإن من طبيعة هذا العمل أن يظل ، كما قلت في مواضع أخرى ، متحركاً لا يسكن أبدا حتى لا يبقى على وجه الأرض أثر من آثارنا لم تطلع عليه العين ؛ وأين نحن اليوم مما أقول ؟

الدكتور عبد الكريم الأشتر

شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

— ٧ —

٢ — شعراء الغزل الحضري : عمرُ بن أبي ربيعة

ندرس هنا شعر الوقوف على الأطلال عند شعراء الغزَل الحضريّ ، ونبحث في تطوره عندهم ، وهؤلاء الشعراء هم شعراء الغزل الذين نشؤوا في حواضر الحجاز في العصر الأموي .

واختصاراً الدرس والبحث ندرس هذا الموضوعَ عند شاعر واحد من هؤلاء الشعراء ، وهو زعيمهم وكبيرهم عمر بن أبي ربيعة .

وقد عاش عُمرُ في مكةَ عيشةً راضية ناعمة مُترَفة ، واتخذ قول الشعر لعباً يتسلى به ، ويلهو في حياته السعيدة الخالية من هموم الدنيا وأثقالها التي تبهظ قلوب الناس . فكان شعرُه كلُّه لذلك غزَلاً ناعماً جميلاً فاتراً ، يفيض ببهجة الحياة وأفراحها .

وقد أكثر عمرُ من شعر الوقوف على الأطلال في غزله ، كما أكثر منه شعراء الغزل العذريّ سواء . وأشبههم عمرُ كذلك في وصف حالته النفسية ومشاعره الخاصة في هذا الشعر ، والدوران حولَ هذا المعنى خاصةً ، والإقلال من ذكر المعاني الأخرى التي عرفناها في شعر الوقوف على الأطلال .

واتخذ من ذكر المنازل والديار وسيلة لوصف حبه ومحبوباته ، وسياقة أخباره وصور آماله التي تتردد في مخيلته الفنية . وكان بذلك متفقاً وشعراء الغزل العذري في طريقة شعر الوقوف على الأطلال ومعانيه .

ولكنَّ عمرَ بنَ أبي ربيعةَ قد اختلف مع ذلك عن شعراء الغزل العذري بطبيعة هذا الشعر ، كما اختلف عنهم بطبيعة شعره في الغزل . فقد خرج هذا الشاعر بشعر الوقوف على الأطلال من جوّ الحزن والبكاء إلى جوّ الفرح والابتهاج . فلا نجد في شعره الحنينَ والذكرى الأليمةَ ، ولا نسمع فيه أنَّاتِ المحرومين وبكاءَ المحزونين ، إنما نحسُّ فيه بالبهجة والطرَب ، ونسمع فيه ضحكاتِ السعادة ونغماتِ الفرح . وهذا شأنُ عمرَ ابنِ أبي ربيعة في شعره جميعاً . وهذه أبيات له في الوقوف على الأطلال (١) :

ألم تربع على الطللِ ومغنى الحي كالخِلَلِ
تعفي رسمَه الأروا حُ من صَبًا ومن شَمَلِ
وأنداءٌ تباكره وجَوْنٌ واكف السَّبَلِ
لهندٍ ، إن هنداً حبُّها قد كان من شُغُلي

وهذا شعر خفيف راقص ، غني بالموسيقى والنغم لخفة ألفاظه ، وسهولة تراكيبه ، وسرعة وزنه . والحقيقة أن عمرَ يغني في شعره في الوقوف على الأطلال ، ويفرح للحياة فيه . وهذا بالرغم من ذكره البكاءَ والدموع والشوق والفراق في أكثرِ الأحيان . وبكاؤه ودموعُه في هذا الشعر تشيع فيها البهجةُ والمرح ، ولا يلفُّها حنينُ الحيارَى وحرقة القلوب وآلامُ العاشقين المتيَّمين ، إذ لم يكن قلبه جريحاً ، ولم تكن نفسه حزينةً ، ولم تكن الحياة عنده إلاَّ لهواً ولعباً .

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٠١ ـ ٤٠٤ .

ولكن طريقة عمرَ هذه في شعر الوقوف على الأطلال ، وهي طريقة الفرح والبكاء البهيج ، لم تستمرَّ بعده ، ولم يسلكها شاعرٌ غيرُه . فانقطعت لذلك من بعده .

٣ — سائر شعراء العصر الأموي غير شعراء الغزل :

إننا حين نبحث في أمر شعر الوقوف على الأطلال عند شعراء العصر الأموي من غير الغزليين ، ولا سيما عند الشعراء الثلاثة الكبار ، نجد أمراً جديداً هو أن هؤلاء الشعراء قد أهملوا شأن المنازل والديار ، بل كادوا يتخلّون عن ذكرها والوقوف عليها في افتتاح قصائدهم ، وانصرفوا عنها أو كادوا ينصرفون إلى الغزل . فتعلقوا به وشرعوا يبدؤون قصائدهم في أغراض الشعر المختلفة بالغزل الصرفِ وحدَه دون ذكر المنازل والديار والوقوف عليها ، واتخاذِها وسيلةً إلى الغزل كما كان يفعل الجاهليون . وبذلك خرجوا على قواعد الطريقة القديمة في افتتاح القصائد . وتتمثل هذه الطريقةُ كما نعلم في افتتاح القصيدة بذكر الديار والوقوف عليها ، ثم الانتقالِ من ذلك إلى الغزل ، ثم الخلوص بعد ذلك إلى الغرض الأساسيّ في القصيدة . وكذلك قد تخلّى شعراء العصر الأمويّ عن الغزل ذاتِه في بعض قصائدهم الكبرى ، وهجموا على أغراضهم فيها مباشرةً ، ولا سيما في الفخر والهجاء . وكأنَّ الغزلَ كان يضعف من ثورة نفوسهم الغاضبة ، ويُخمد جمرة غُلَوائها وكبريائها ، فكانوا يُضربون عنه أحياناً ، كما كان يفعل الفرزدق مثلاً . وقد كان الجاهليون يُعَدُّون عن شعر الوقوف على الأطلال أو الغزل نفسه في بعض قصائدهم . ولكن ذلك كان يَحدُث في القصائد القصيرة المعدودة الأبيات ، ولم يكد يقع في القصائد الكبرى كالمعلّقات مثلاً . وأكثرُ المعلقات بدأها أصحابها بشعر الوقوف على الأطلال .

ونستثني جريراً من شعراء العصر الأموي ، فقد كان يُكثِر من ذكر المنازل والديار والوقوف عليها في أول قصائده .

وأشهر شعراء هذا العصر هم الشعراء الثلاثةُ الكبار ، الأخطل والفرزدق وجرير . وسنرى أمرَ شعر الوقوف على الأطلال عند هؤلاء الثلاثة الكبار ، ونرى مدى التطور الذي طرأ عليه . وجريرٌ أكثرهم شعراً في هذا المعنى كما ذكرنا .

* * *

أما الأخطل فشعره في الوقوف على الأطلال قليل بالقياس إلى وَفْرة شعره وسَعةِ ديوانه . وهو مشغول في شعره عامَّةً بالغزل والخمر عن المنازل والديار . يبدو لنا في هذا الشعر رجلاً سكّيراً مغرماً بالخمر ، يحبها حبّاً جمّاً ، ويذكرها كثيراً ، ويصفها ويصف زقاقها وشاربها وصفَ محب لها ، معجَب بها ، خبير بشؤونها . والصفة الغالبة على شعره في الوقوف على الأطلال ، على قِلة هذا الشعر ، هي اهتمامُه بالسحاب والمطر الذي يُعفي الديار . وقد وصفها وصفاً مطوّلاً ، وأتانا خلال ذلك بصورٍ جميلة شيّقة للمواصف وثورات الطبيعة ، كما قلنا آنفاً حين دراستنا لعوامل تخريب الديار .

وأما الفرزدقُ فشعره في الوقوف على الأطلال قليل جداً بالقياس إلى غزارة شعره وسَعةِ ديوانه . وهو مشغول في شعره عن المنازل والديار مثلَ صاحبه الأخطل . ولكنَّ شغلَه لم يكن بالخمر ، وإنما كان بالفخر . وهجاء الفرزدق خاصَّةً يكاد يكون كلُّه فخراً واستعلاء . وليس لشعره في الوقوف على الأطلال ميزةٌ خاصة به .

وكلا الشاعرين ، الأخطل والفرزدق ، يحذُوَان حذوَ شعراءِ الجاهلية في هذا الشعر . فيقفان على الديار ، ويصفان آثارها وبقاياها ، ويذكران اندثارَها ، ويصفان الوحوشَ التي تألفها بعد رحيل أهلها ، كما كان يفعل

الجاهليون سواءً . وهذا دون اهتمامٍ كبير بالحالة النفسية . على أن الجاهليين كانوا أكثرَ أصالةً ، وأصدقَ شعوراً .

* * *

أما جريرٌ فقد كان الشاعرَ الأوحدَ الذي تعلَّق بالمنازل والديار بين شعراءِ العصر الأموي . وقد أشبه شعراءَ عصرِه في الإكثار من الغزل وبدء قصائده الكبرى به وبالشكوى على طريقة شعراء الغزل العُذري البداة في الغزَل والشكوى ، وبتذكر عهد الشباب وبكاءِ أيامه المولّية والنعي على المَشيب والإزراء به ، على طريقته الخاصّة . ولكنه ، إلى ذلك ، ظَلَّ متعلقاً بالمنازل والديار ، وقال في الوقوف بها شعراً كثيراً ، حتى فاق في ذلك كلَّ من أتى قبله ومن أتى بعده من الشعراء ، سوى أبي عُبادةَ البحتريِّ في العصر العباسيّ .

وجرير ، على إكثاره من شعر الوقوف على الأطلال ، لا يطيل هذا الشعرَ في القصيدة الواحدة ، بل سرعان ما يتركه إلى الغزل أو غيره من الأغراض . وهو يهلهل هذا الشعرَ هلهلةً جميلة ، ويَبعُد به عن الطريقة الجاهلية ، ويسير جنبَ جنبَ مع شعراء الغزل العذري في وصف مشاعره ، والاهتمام بالحالات النفسية حين الوقوف على الأطلال . وهو مِثلُهم يحب المنازل والديار حباً جماً . فما ينفك لذلك يُحَيّيها ويناديها ويناجيها ، ويدعو لها بالسُّقيا والبُقيا في كل قصيدة من قصائده . وتسري في شعر جرير في الوقوف على الأطلال رقةٌ وعذوبة ، نحِسُّها أيضاً في غَزله ومراثيه وشعرِه في بكاء أيام الشباب جميعاً .

على أننا نجد جريراً يذهب في شعر الوقوف على الأطلال مذهباً جديداً لم يأخذ به غيرُه ممن سبقوه . وذلك نزعته إلى تقديم الغزَل على هذا الشعر

في بعض الأحيان . وقد نرى آثاراً من هذا المذهب عند شعراء الجاهلية وشعراء الغَزَل ، ولكننا لا نرى ذلك عندهم واضحاً بيّناً في صورة نزعة ظاهرة ، تتكرر مرةً بعد مرة في شعر شاعر واحد بعينه . وقد ذهب جرير هذا المذهب في قصيدته الشهيرة التي بكى فيها زوجته أمَّ حزرة خالدة ، واستهلها بهذا البيت المشهور :

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ولزرتُ قبرَكِ والحبيبُ يزارُ (١)

فهو ، بعد بكائه أمَّ حزرة بكاءً طويلاً جميلاً على هذه الوتيرة ، يعود إلى دارها بالنميرة ، فيذكرها ويبكيها ويصف رَبعها وآثارها في قوله :

يا نظرةً لكَ يومَ هاجت عبرةً من أمِّ حزرة بالنميرة دارُ (٢)
تحيي الروامسُ ربعَها ، فتُجِدُّه بعد البِلى ، وتُميتُه الأمطار
وكأن منزلةً لها بجلاجلٍ وحيُ الزَّبور تُجِدُّه الأحبار

وقد سار جرير على هذه الطريقة في قصائد كثيرة من شعره . منها القصيدة التي مطلعها :

قد قرَّب الحيُّ إذ هاجوا لإصعادِ بُزْلاً مُخَيَّسةً أرمامَ أقيادِ (٣)

ومنها القصيدة التي مطلعها :

بان الخليطُ برامتَينِ فودَّعوا أوَ كلَّما رفعوا لبينٍ تجزعُ (٤)

ومنها القصيدة التي مطلعها :

وَدِّعْ أمامةَ ، حان منكَ رحيلُ إن الوَداع إلى الحبيب قليلُ (٥)

---

(١) ديوان جرير ١٩٩ .
(٢) ديوان جرير ٢٠١ .
(٣) ديوان جرير ١٥٢ .
(٤) ديوان جرير ٣٤٠ .
(٥) ديوان جرير ٤٧٢ .

فهذه القصائد جميعاً وغيرُها يبدؤها جرير بالغزَل ، ثم ينتقل منه إلى شعر الوقوف على الأطلال ، ويمزجه بالغزل مزجاً . وهذا مذهب جديد لجرير ابتدعه ، وسار عليه في كثير من قصائده كما قلنا .

وقد يفتنّ جرير في مذهبه الجديد هذا ، فيراوح بين الغزل وشعر الوقوف على الأطلال حالاً بعد حال في القصيدة الواحدة عينِها . فقصيدته الفائية التي يمدح بها يزيدَ بنَ عبد الملك يبدؤها بالرحيل ، والرحيلُ من معاني الغزل ، فيقول : (١)

انظر خليلِي بأعلى ثرمداءَ ضحىً والعيس جائلةٌ أغراضُها خنفُ
أستقبل الحي بطن السر ، أم عسفوا فالقلب فيهم رهين أينما انصرفوا

. . . .

ثم يترك الظاعنين وشأنهم ، وكأنهم قد أمعنوا في السير ، فامتدَّ بهم المدَى ، وغابوا عن عينيه ، ويعودُ إلى الديار ، وكأنه يسلي بها همَّه ، ويعزّي قلبه عن الظاعنين ، فيقول (٢) :

ياحبذا الخَرْجُ بين الدام فالأدمى فالرمث من بُرْقة الروحان فالغرفُ
ألمم على الربع بالتــرباع غيَّره ضرب الأهاضيب والنَّئّاجة المصف
كأنه بعد تحْنــانِ الرياح به رقٌّ تبَيَّنُ فيه اللامُ والألف

ثم يبدو له ، فيُعرض عن الديار ليأخذَ بالغزل . ولكنه لا يلبث حتى يراجعَه الحنين إلى المنازل ، فيعود إلى ذكرها مرة أخري ملوماً حائراً يائساً ، ويقول (٣) :

(١) ديوان جرير ٣٨٥ .
(٢) ديوان جرير ٣٨٦ .
(٣) ديوان جرير ٣٨٧ .

قال العواذل : هل تنهاك تجربـــة ... أما ترى الشيبَ والأخدانَ قد دلفوا؟
أما تُلِمُّ على ربع بأسْنُمةٍ ... إلا لعينيكَ جارٍ غَرْبُهُ يكفُ ؟
يا أيها الربع ، قد طالت صبابتنا ... حتى مللنا ، وأمسى الناس قد عزفوا

ولكن جريراً لا يفتنُّ هذا الافتنان ، ولا يعمد إلى هذه المراوحة بين شعر الغزل وبين شعر الوقوف على الأطـــلال في قصيدة أخرى غير هذه القصيدة .

والنتيجة أن جريراً قد حاول أن يمزج شعر الوقوف على الأطلال بالغزل . وهذا مذهب جديد لجرير ابتدعه لنفسه ، وسار عليه في كثير من قصائده . ويُعَدّ مذهب جرير هذا خطوةً جديدة في تطور شعر الوقوف على الأطلال . وكان شعراء الغَزل قد خَطَوا الخُطوةَ الأولى في هذا السبيل حين اهتموا بمشاعرهم وأحوالهم النفسية خاصةً ، وغَلَّبوها على المعاني الأخرى في هذا الشعر . وقد جاراهم جريرٌ في ذلك ، ثم جاء بمذهبه الجديد في محاولةِ مزج شعرِ الوقوف على الأطلال بشعر الغزَل كما قلنا .

الدكتور عزة حسن

مقالة (الحواس)

مخطوطة نادرة لعبد اللطيف البغدادي

صورها على النسخة الأصلية وحققها وعلّق عليها

الدكتور فيصل دبدوب

(وألقاها في المؤتمر الطبي العربي السابع المنعقد في القاهرة عام ١٩٦٨)

لا جرم بأننا في دور نهضة حديثة تهدف إلى رفع شأن هذه الأمة . ولما كان من أهم أسباب رفعة الأمم إحياء تراثها ونفض غبار الإهمال عن ذخائرها وكنوز أجدادها وإظهارها للعالم بثوب جديد يتناسب مع ما لها من جلال القدم وجمال العلم ، صورت هذه الرسالة عن النسخة الفريدة المودعة في الاسكوريال باسبانيا (الفردوس المفقود) وهي « مقـــالة في الحواس » لعبد اللطيف البغدادي أورد ذكرها ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء وابن شاكر الكتبي في « فوات الوفيات » والرسالة لم تطبع من قبل وليس لها نظير في المكتبات العالمية وهي مكتوبة بخط مغربي جميل . ومقالة الحواس خالية من اسم الناسخ وتأريخ الاستنساخ .

وصف الرسالة :

عدد صفحات الرسالة سبع صفحات ونصف الصفحة وعدد أسطر كل صفحة خمسة عشر سطراً فيكون مجموع أسطرها (٩٦) ستة وتسعين سطراً ، وفي كل سطر تسع كلمات تقريباً فيكون مجموع كلمات الرسالة (٨٦٤) ثمانمئة وأربعاً وستين كلمة تقريباً .

موضوع الرسالة :

أما موضوع الرسالة فالحواس الخمس وخلاصة ما يقرره فيها البغدادي يدور حول تعليل وتحليل وتصنيف مدركات الحواس تعليلاً وتحليلاً فلسفياً ، ويمكننا أن نجمل قول عبد اللطيف في هذه الرسالة بالنقاط التالية :

١ — أن كل حاسة تختص بصنف من المدركات ولها عضو خاص بها عدا حاسة اللمس فهي سارية في الجلد حيثما وجد عصب الحس ، ويقول إنها مقدمة على سائر الحواس .

٢ — إن حاسة الذوق تأتي بعد حاسة اللمس من حيث صحة الإدراك .

٣ — إن إدراك حاسة الشم أضعف من إدراك حاسة الذوق .

٤ — ويقرر بأن الروائح اشتق لها أسماء من الطعوم مثل رائحة طيبة وكريهة وحادة وهكذا .

٥ — ويقرر أيضاً بأن حاسة الشم ليست ضرورية لكل حيوان فبعض الحيوان محروم منها ، وبعضه ضعيف حاسة الشم كالسمك مثلاً ، وأقوى ما تكون هذه الحاسة في الكلاب وبعض الطيور .

٦ — ويقول بأن حاسة البصر تأتي بعد حاسة الذوق من حيث قوة الإدراك وصدقه .

٧ — ويذكر بأن حاسة السمع هي آخر الحواس رتبة وأقلها إدراكاً .

٨ — ويشير إلى أن الصوت ينتشر في الهواء على شكل دوائر أو قطع دوائر حتى يقرع طبلة الأذن فيحدث إدراك السمع .

٩ — وذكر كذلك بأن حاسة السمع ليس لها أسماء خاصة بمدركاتها ، بل إن أسماءها مستعارة من مدركات البصر أو غيره من الحواس ، فيقال صوت طويل وقصير وصوت طيب ولذيذ وكريه وهكذا فأسماء مدركات هذه الحاسة منقولة فلا تنقل إلى حاسة أخرى .

موجز حياة مؤلف الرسالة :

هو موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن سعد الشافعي ويعرف بابن اللبّاد .

موصلي الأصل بغدادي المولد ، ولد ببغداد في أحد الربيعين عام (٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م) خمسمئة وسبع وخمسين وتوفي فيها في (١٢) الثاني عشر من محرم سنة ستمئة وتسع وعشرين (٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) ودفن في الوردية عند أبيه وذلك بعد أن خرج من بغداد وبقي غائباً عنها خمساً وأربعين سنة .

دخل الموصل عام (٥٨٥ هـ) خمس وثمانين وخمسمئة ودرس على (الكمال بن يونس ودرّس في مدرسة ابن مهاجر المعلقة ودار الحديث التي تحتها ، وأقام في الموصل سنة ثم انتقل إلى دمشق ، ومنها إلى عكا حيث قابل ابن شدّاد ، والقاضي الفاضل ، وقصد بعدئذ القاهرة وتعرّف فيها على ابن ميمون ، والشارعي ، وياسين السيمياني ثم قصد القدس ، ومنها توجه إلى دمشق ، ثم عاد إلى القاهرة ، وتركها لما ملكها الملك العادل متوجهاً إلى القدس وعاد من القدس إلى دمشق ، ثم توجه نحو بلاد الروم ومنها إلى حلب ، وبعد أن أقام فيها فترة من الزمن قصد بغداد في طريقه إلى الحج وتوفي فيها كما ذكرنا قبل قليل .

عصره :

كان عصره عصر توقف في العلوم لتداعي أركان الخلافة وانشغال الأمة في صد غارات الصليبيين وللقضاء على المعتزلة قبلئذ ولم تخل الأمة العربية رغم ذلك من علماء أفذاذ من أمثال البغدادي ظهروا هنا وهناك ، فأناروا الطريق للمركب الحضاري الذي سار على دربهم .

مصنفاته :

ألّف البغدادي مايزيد على مئة وخمسين كتاباً ورسالة ومقالة ، ولا عجب فالرجل كان « مَعْلَمة » أي دائرة معارف عامة كما يقول (هوتسمان) ، والمطبوع من كتبه هو :

١ — الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، أو آثار مصر . طبع في طنجة عام (١٧٨٩ م) وفي باريس ، وفي مصر عام (١٢٨٦ هـ) وفي اكسفورد عام (١٧٠٢ م) وعام (١٨٠٠ م) كذلك وطبعت ترجمته بالانكليزية مؤخراً في لندن مع صور للمخطوط بالعربية .

٢ — ذيل فصيح ثعلب : وقد طبع كتاب التلويح للهروي عام (١٢٨٥ هـ) وعام (١٣٢٥ هـ) .

نص الرسالة

المقالة الأولى في الحواس

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

قال الشيخ الإمام أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي مقالة في الحواس ومدركاتها وطبيعة مراتبها ونسب بعضها إلى بعض .

وقد علمت أن الحواس خمس وانها تشترك في إدراك أغراض الأجسام ، وأن كلاً منها يختص بصنف من المدركات ، ولا يشترك اثنان منهما في صنف واحد من المدركات معاً ، وكل واحد من الحواس له عضو خاص به هو آلة له ماخلى حاسة اللمس فانها سارية في الجلد بأسره ، وفي كثير من اللحم الكائن تحته ، وبالجملة في كل ما أنبت فيه عصب الحس ، وهذه الحواس على طبقات ، فأولها ما يدرك من محسوسه أعراضه الغائرة فيه

والمتصلة به وذلك عند مباشرته له كحاسة اللّمس في إدراك الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخفة والثقل واللّين والصّلابة والملامسة والخشونة ونحو ذلك ، وهذه الحاسة عامة للحيوان ومقدّمة على سائر الحواس وهي أثبت معرفة وأقوى إدراكاً وأصدق حكماً ، وتتلوها حاسة الذوق ، وهي تختص باللسان ، ويدرك من محسوسها الطعوم المتحللة منه المختلطة بالرطوبة المتحللة في اللسان ، وإنما يكون ذلك بانفصال شيء من المحسوس واتصاله بالحاس عند مباشرة اللسان ما له طعم من الطعوم الثمانية ، وهي عامة للحيوان وإدراكها قوي وحكمها صادق ، ولا تكاد تغلط إلا نادراً وعند حلول آفة بها . وتتلوها حاسة الشم وهي تدرك من محسوسها الروائح المتحللة منه المنفكّة عنه المختلطة بالنسيم المستنشق الواصل إلى الدماغ ، وذلك يكون عند مباشرة حاسة الشم الهواء المتنسم الذي انفصل عن الجسم ذي الرائحة أواختلط به شيء من لطيفه المنفصل عنه الحامل للرائحة ، وإدراك هذه الحاسة أضعف من إدراك حاسة الذوق ، ولكن بينها مناسبة قوية وشبه ظاهر حيث أن البخار الحامل للرائحة شبيهاً بالرطوبة الحاملة للطعم ، ولما كانت حاسة الذوق تباشر الجسم من مكان قريب وبتوسط خاص منحصر ، كانت أصدق وأقوى من حاسة الشم ، إذ كانت حاسة الشم تدرك محسوسها بتوسط كثير مشترك ولا تباشر الجسم [ذي] (في المخطوط (ذ) فقط) الرائحة بذاتها بل بوساطة ومن مكان بعيد ولذلك صار يشتق للروائح أسماء من الطعوم وينقل إليها منها فيقال رائحة طيبة وكريهة وحادّة وحرّيفة وأمثال هذا ، وإن كان للروائح من ذلك أسماء تخصها كمثل النتن والذفر [ ][1] ونحو ذلك ، وليست هذه الحاسة ضرورية

(١) كلمة غير واضحة .

لكل حيوان ، بل كثير من الحيوان لا تكون له هذه الحاسة ، أو تكون له ضعيفة كالسمك . فأما الإنسان فان حاسة الشم فيه وإن كانت ضعيفة أضعف منها في كثير من الحيوان ، إلا أنها أصدق إدراكاً وأقوى تمييزاً لفصول المشمومات ، وأقوى ما تكون هذه الحاسة في صنوف من الطير وصنف من الكلاب.

ويتلو هذه حاسة البصر وهي تدرك من محسوسها اللّون وما يتصل بذلك مثل التخطيط والترتيب والوضع والشكل والقرب والبعد والحركة والسكون ، من غير أن تلامسه كاللّمس ، ومن غير أن ينفصل من المحسوس شيء يتصل بالحاس كالذوق أو يتصل بالمؤدي إلى الحاس كالشم ، لكن لا بد لمقابلة البصر للمبصر وارتفاع الحاجز بينهما ، وإنما تدرك منه أحواله الغائرة فيه أو ما هو بمنزلة الغائر فيه ، وهو أيضاً قوي الإدراك قليل الكذب سهل تبين الغلط . ويتلوها حاسة السمع وهي آخر الحواس رتبة وأقلها عموماً وضرورة وأضعفها تمييزاً لبطول مدركاتها ، وإنما تدرك في الأجسام الأعراض المنفصلة عنها غير الغائرة فيها ، أعني الصوت الحادث عند مصادمة الأجسام التابعة لحركاتها ، وهو أثر حادث في الهواء تابع لتصادم الأجسام بقوة ، ولا يزال ذلك الهواء المتأثر بذلك الأثر يكسب بمجاورة أثره حتى يصل إلى العُصب المفروشة على (الصماخ) التي هي بمنزلة الرق على الطبل . وهناك موضع السمع وقوة الإدراك وهذا الأثر الحادث في الهواء عند إدراكه صوتاً إنما هو دوائر أو قطع دوائر ، لأن الهواء بسيط لا يقبل ما كان من الأشكال ذا زوايا ، ولئلا يختلف الإدراك ، لأن الزاوية ليست كالضلع ولا المدور كالمثلث والمربع والمخمس وغيره ، ولأجل ذلك ضعف إدراك قوة السمع عنه تمييز فصول مدركاتها ، وصارت نسبتها إلى حاسة البصر في الإدراك والنقص عنها كنسبة حاسة الشم إلى حاسة الذوق في الإدراك والنقص عنها . فلذلك

لا يوجد لأنواعه وفصوله أسماء خاصة بحسبه ، بل مشتقة من أسماء أنواع مدركات البصر أو غيره من الحواس ، ومنقولة منها إليه . كقولهم صوت طويل وقصير وأصلهُ في السطوح المبصرة . وكقولهم صوت طيب ولذيذ وبشع وكريه وأصله لحاسة الذوق ، وكقولهم صوت منعش ورخيم وند وليّن وشديد وحار وبارد وثقيل وخفيف ، وأصل هذا كله لحاسة اللمس ، وكذلك قولهم كلام (مفهس ومبتنج] (هكذا وردت في النص) وكلام [له ما] (هكذا في النص) وعليه رونق ، وكله مستعار من مدركات البصر .

ويقال كلام حلو وعذب ونغم كذلك . وقد ينتقل إليه العام كحاسة الذوق الذي هو جنس لها أو كالجنس ، فيقال ذقت الكلام وذقت النغم ، وذلك إذا تأملت فصوله الخفية أو معانيه الغامضة . وقد يقال : وزنت الكلام والنغم والصوت وألفيته موزوناً وذلك إذا أمعنت في تمييز مطابقة الكلام لمعناه ، أو في تمييز فصول الصوت وتناسب النغمات ، وأصل الوزن كحاسة اللمس والبصر ولا يشتق لهذه الحاسة أعني حاسة السمع أسماء كما لحاسة الشم لأن أسماء هذه الحاسة معظمها منقول فلم يحتمل أن ينقل مرة أخرى .

وحاسة السمع في الإنسان أقوى إدراكاً وتمييزاً لفصول الصوت من سائر الحيوان ، ولذلك صار يدرك حدود الحروف وفصول الكلام ويفرق بين أجناس النغمات ، فصار لذلك يفهم الكلام ويدرك اللحون والنغمات ويتعلم الموسيقى ويزداد تعجبه بالكلام والتذاذه به وطربه بالنغم وانفعاله منه ، إلا أن فصول النغم الموسيقية أخف إدراكاً من فصول حروف الكلام ، لأن حاجته إلى فهم الكلام أشد من حاجته إلى الكلام ، ولا حاسة أخص بالعقل وأجدى عليه من اللمس ، ولذلك كانت حاسة اللمس عامة في الحيوان وضرورة له ، وكانت حاسة السمع أخص الحواس وأخصها بالقوة الناطقة ،

وكانت منفعتها في الإنسان أكثر منها في سائر الحيوان ، وكان حظ الإنسان منها أعظم من حظ سائر الحيوان .

تم القول والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم كثيرا .

التعقيب على الرسالة :

١ — إن غايتنا من نشر المخطوط هو إظهار حلقة مفقودة في سلسلة تاريخ العلوم وغايتنا كذلك إظهار دور العلماء العرب في دفع عجلة العلم إلى الأمام في العصر الوسيط ، ومدى مساهمتهم في إنماء التراث العلمي آنذاك كذلك .

٢ — وأن نبين كذلك بأن بين طالبي الحقيقة العلمية نسباً يجمعهم على تفاوت الزمان والمكان ، يستحث همم الأحياء منهم ويدفعهم إلى إحياء تراث الغابرين .

٣ — إن أسلوب مؤلف الرسالة جزل رصين قوي الألفاظ متين بناء الجُمل ، خال من الزيادات فكأن البغدادي أحس باحساس (كوتيته) إذ يقول في قصة فاوست ناقداً للأبحاث النظرية التقليدية ، (إنه لا قيمة للألفاظ البتة حيث لا توجد المعاني) .

٤ — تبرز أمامنا ـ في هذه الرسالة ـ الروح العلمية بوضوح وجلاء تلك التي استطاع البغدادي أن يرسيها على قواعد فلسفية لغوية ، فالمقال هو عبارة عن مصنف طبي فلسفي لغوي .

٥ — سار صاحب الرسالة على طريقة الأفذاذ من علماء العرب أولئك الذين يتخذون من دقة الملاحظة العلمية ومن الوسائل الفلسفية

واسطة لتعليل الغوامض العلمية التي يعجز الواحد منهم على معرفة كنهها بوسائله البدائية آنذاك .

٦ — سبق صاحبنا علماء زمانه بقوله بأن الصوت يسير على شكل دوائر وأشباه دوائر .

٧ — والبغدادي أول من اهتم بصدق الإدراك حين صنّف الحواس فأعطى حاسة اللمس الأولوية .

وختاماً أقول :

إن اعترض معترض قائلاً ، مالنا والعلم القديم ؟ والإنسان الحديث أصبح يغوص في الماء ويصعد في الأجواء ويفجر الذرة ويسخر الطبيعة ؟ فأقول ما قاله الدكتور جورج سارطون : إننا لكي نكون من خيرة أبناء هذا الجيل بحق ، يجب أن ننظر إلى الحاضر تارة وإلى الماضي تارة أخرى لنبني من أجل مستقبل أفضل وأسعد .

وبعد : فان العلم سلسلة مترابطة بأحكام بدأت منذ خلق الإنسان أو منذ بدأ يتحضر ، وستنتهي يوم تقوم الساعة ويفور التنور . وقد ساهمت في صياغة حلقات هذه السلسلة معظم شعوب العالم ، وكان للحضارة العربية الإسلامية القسط الأوفى والأرفع في هذا المضمار . فحق لها اذن أن تتبوأ المكان الأسنى في سلم الحضارات .

الموصل ـ العراق الدكتور فيصل دبدوب

مصادر البحث

١ — نص رسالة الحواس : لعبد اللطيف البغدادي
٢ — عيون الأنبـاء : لابن أبي أصيبعة

٣ – طبقات الشافعية : للسبكي
٤ – انباء الرواة : للقفطي
٥ – شذرات الذهب : لابن العماد
٦ – عقود الجوهر : لجميل العظم
٧ – التعريف بالمؤلفين : للعزاوي
٨ – معجم المطبوعات : لسركيس
٩ – تاريخ العلم : للدكتور سارطون
١٠ – كنوز الأجداد : لكرد علي
١١ – تأريخ العلم : للدكتور عبد الحليم منتصر
١٢ – العلم والانسية الجديدة : للدكتور سارطون
١٣ – فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبي

كتاب الحجّة لابن خالويه

في القراءات السبع

توثيقه ـــ منهجه

ابن خالويه من ألمع رجالات القرن الرابع الهجري ، في مجالات اللغة ، والنحو ، والقراءات وهو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان ، وكنيته : أبو عبد الله .

نشأ في همذان ، ثم وفد إلى بغداد ، ليتلقى عن شيوخها ، ويأخذ عن أعلامها .

ولم تتعرض كتب الرواة لسنة مولده ، وإن تعرضت لسنة وفاته ، فقد أجمعت على أنه توفي بحلب سنة سبعين وثلاثمائة .

ومن أبرز شيوخ ابن خالويه ، ابن مجاهد الذي كان يلقب في عصره بشيخ الصنعة ، ويكفيه فخراً أنه أول من سبع السبعة ، وكان إليه المرجع في فنّ القراءات . ومن شيوخه : ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشّار ، وكان من أعلم الناس وأحفظهم في نحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظاً للغة .

ومن شيوخه : أبو سعيد السيرافي زعيم المحافظين في عصره ، وهازم متّى المنطقي في مناظرة مشهورة .

ومن معاصريه : أبو علي الفارسي ، ذلك النحوي الذي اشتغل بالقياس والعلة ، والمنطق والجدل وكانت المنافسة بين ابن خالويه وأبي علي الفارسي على أشدّها ، سجّلتها كتب الطبقات (١) ولا يتسع المجال لذكرها .

---

(١) خزانة الأدب للبغدادي ١/٢٣٩ .

ومن معاصريه : ابن جني تلميذ أبي علي الفارسي ، وقد شهد قصر سيف الدولة المنافسات المشهورة بين هؤلاء الأعلام .

قال المرحوم الأستاذ أحمد أمين : « كان في القصر حزبان : حزب للمتنبي منه ابن جني النحوي ، وحزب عليه ، منه ابن خالويه اللغوي ، وأبو فراس الشاعر »[1] .

إنتاجه العلمي :

ينصّ السيوطي في البغية على أنّ تصانيفه : الجمل في النحو — الاشتقاق — القراءات — إعراب ثلاثين سورة — شرح الدريدية — المقصور والممدود — الألفات — المذكر والمؤنث — كتاب ليس — كتاب اشتقاق خالويه — البديع في القراءات[2] .

ويزيد كتاب « الإنباه » ما يأتي :

كتاب الأسد — تقفية ما اختلف لفظه ، واتفق معناه لليزيدي — المبتدأ في النحو ، تذكرته ؛ وهو مجموع ملكته بخطه[3] .

ومعجم الأدباء يزيد على ماذكر :

كتاب الآل : ذكر من أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسماً وذكر فيه الأئمة الإثنى عشر ومواليدهم ووفياتهم وغير ذلك[4] .

وغاية النهاية يزيد : حواشي البديع في القراءات — كتاب مجدول في القراءات ألفه لعضد الدولة[5] .

---

(١) ظهر الإسلام : ١ / ١٨٦ .
(٢) البغية : ١/٥٣٠ .
(٣) إنباه الرواة : ١/٣٢٥ .
(٤) معجم الأدباء : ٩/٢٠٤ .
(٥) غاية النهاية : ١/٢٣٧ .

ومن قراءاتي في مجال دراسة ابن خالويه أزيد على هؤلاء الرواة ما يأتي :

١ — كتاب الريح: وهو مخطوط يتكون من ثلاث ورقات رقم٥٢٥٢ ــ هـ ــ دار الكتب المصرية .

٢ — كتاب أسماء الله الحسنى : فقد نص في كتاب « إعراب ثلاثين سورة » أن له كتاباً في أسماء الله الحسنى (١) .

٣ — رسالة من قوله : ربنا لك الحمد ملء السموات ، وقد أشار إلى هذه الرسالة الشيخ محي الدين يحيى النَّوري في كتابه « تصحيح التنبيه في الفقه على مذهب الشافعي للشيخ أبي إسحاق الشيرازي : وقال ما نصه : قوله : ربنا لك الحمد ملء السموات : يجوز ملء بالنصب ، والرفع ، والنصب أشهر ، وممَّن حكاها ابن خالويه ، وصنَّف في المسألة (٢) .

٤ — كتاب مختصر في شواذ القراءات من كتاب « البديع » عُني بنشره المستشرق برجستراسر ، وطبع بالمطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤ م .

٥ — كتاب الشجر : وينفي نسبة الكتاب إليه المستشرق ج . برجسترامر ، فيقول :

« ليس مصنفه : بل الحقيقة مصنفُ اللغوي أبي زيد صاحب كتاب « النوادر » في اللغة (٣) .

٦ — العشرات في اللغات : أي اللغات التي لها عشر معان ، وهو مخطوط بمكتبة جيد موقر بطهران ، ونسخ سنة ٧٦٠ هـ (٤) .

(١) إعراب ثلاثين سورة ص ١٤ .
(٢) التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي ص ١٥ .
(٣) مقدمة مختصر شواذ القراءات ص ٦ .
(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ج ٢ ص ١٣ .

٧ — كتاب : الماذور الذي ردّ فيه على أبي علي الفارسي حينما ألف كتاب « الإغفال » ليردّ على شيخه أبي إسحاق الزجاج [١] .

٨ — شرح ديوان أبي فراس الحمداني ، وقد قام الدكتور سامي الدهان بنشر الديوان وتحقيقه ١٩٤٤ م ، وطبع في بيروت .

٩ — كتاب شرح فصيح ثعلب ، نقل عنه السيوطي في المزهر [٢] .

وبعـــد :

فإن هذا التراث الضخم الذي تركه ابن خالويه يشهد بقدرته الفائقة ، وثقافته الواسعة ، ولم يبق من هذا التراث غير القليل الذي دلنا على نبوغ الرجل ومكانته في حقل النحو واللغة .

كتاب الحجّة في القراءات السبع

توثيقه :

كان من مراجعي في إعداد رسالة الدكتوراه « القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية » كتـاب الحجّة لابن خالويه ، مخطوط رقم ١٣٤ — قراءات — طلعت — دار الكتب المصرية . قرأت هذا الكتاب فراعني فيـه أسلوبه الجزل وعبارته المختارة ، وعرضه للقراءات في ضوء النحو واللغة عرضاً جذاباً ، لا يبعد القارىء عنه ، ولا يجعل الملل يتسرّب إلى نفسه ، يعطيك النتيجة في صراحة ووضوح من غير أن يجهد نفسك ، أو يتعب عقلك ، من غير استطراد ينسيك موضوع الحديث كما فعل الفارسي في حجّته .

وهناك سحب من الشك في نفوس بعض المعاصرين من حيث نسبة هذا الكتاب إلى ابن خالويه ، ودليلهم أنه لم يرد في كتب الطبقات أنّ لابن خالويه

---

(١) خزانة الأدب ج ١ ص ٣٥٢ .

(٢) المزهر للسيوطي ج ١ ص ٢١٣ .

كتاباً يسمّى كتاب الحجّة وإن ذكرت أنّ له كتباً في القراءات حملت أسماء مختلفة ، ولم يحمل واحد منها اسم الحجّة ؛ وبعد جهد استغرق ما يقرب من عامين في دراسة هذا الكتاب ، ودراسة مؤلفات ابن خالويه استطعت أن أصدر حكمي في ثقة لا تعرف التردّد ، وبإيمان لا يعرف الشك ، أن هذا الكتاب نسبته إلى ابن خالويه صحيحة ، وهذا هو الدليل :

١ ـ تلمذة ابن خالويه لأستاذه ابن مجاهد فرضت عليه أن يحيا في الدراسة القرآنية ويتمكن منها ، ويلمّ بالقراءات ، ويدافع عنها ، وابن مجاهد أول من سبّع السبعة وكان إليه المرجع في فن القراءات كما يقول ابن الجزري [١] .

وابن مجاهد حينما ألف كتابه : القراءات السبع شرحه أبو علي الفارسي ، وسُمّي « الحجة » فإذا كان أبو علي الفارسي يشرح القراءات السبع لابن مجاهد ، فليس بدعاً أن يتولّى هذا الشرح أيضاً تلميذه ابن خالويه ، لأنه ابن عصره ، ألّف في معظم فروع المعرفة السائدة فيه ، وقدّم لنا إنتاجاً ضخماً تحدثت عنه قبل ذلك .

ومن أهمّ العلوم التي كانت تشغل أذهان العلماء إذ ذاك علم القراءات ، والاحتجاج بها في مجالي اللغة والنحو .

وقد أسهم في هذا الاحتجاج بالتأليف في عصر ابن خالويه محمد بن الحسن الأنصاري المتوفّى ٣٥١ هـ حيث ألف كتاب السبعة بعللها الكبير [٢] .

وأبو محمد بن الحسن بن مقسم العطار المتوفى ٣٦٢ هـ حيث ألف كتاب « احتجاج القراءات » وكتاب « السبعة بعللها الكبير » وكتاب « السبعة الأوسط » وكتاب « السبعة الأصغر » [٣] هذا فضلاً عن تأليف أبي علي للحجة ـ كما قدمت ـ وابن جني للمحتسب في القراءات الشاذة . ومن أجل ذلك ألّف ابن خالويه

(١) غاية النهاية : ١٤٢/١ .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٣ .

(٣) الفهرست ص ٣٣ .

كتاب الحجة في القراءات السبع ، ليدلي بدلوه بين الدلاء ويسهم في هذا العلم الذي شغل أذهان العلماء في عصره .

وكل الذين ترجموا لابن خالويه أكدوا أن له كتباً في القراءات : كتاب البديع — كتاب مختصر شواذ القراءات — كتاب مجدول في القراءات ألفه لعضد الدولة كما نصّ على ذلك ابن الأثير في غاية النهاية [١] .

وقد أشار ابن خالويه نفسه إلى أن له كتاباً في القراءات ، فيقول في كتابه « إعراب ثلاثين سورة » عند تعرّضه للقراءات في قوله تعالى « أنعمت عليهم » [٢] « وقد ذكرت علة ذلك في كتاب القراءات » [٣] والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : لِمَ لمْ يشتهر ابن خالويه بالحجّة ؟ ولِمَ لمْ يذكر في كتب الرواة على حين ذكروا أن له كتباً في القراءات ؟

أقول : قد يرجع ذلك إلى أن الكتاب في القراءات ، فاستغنوا بذكرها عن كلمة الحجّة . مع أن تسمية الكتاب بالحجة تسمية لا غبار عليها ، فهو في الاحتجاج بالقراءات ، ودائماً في كل مسألة يكرّر هذه العبارة ، والحجة لمن قرأ .. الخ .

هذا تعليل ، وتعليل آخر ، وهو أن حجة أبي علي الفارسي غطت شهرتها على حجة ابن خالويه فاحتفظوا للفارسي بهذه التسمية ، واكتفوا بذكر القراءات لابن خالويه .

٢ — ومالي أذهب بعيداً ، وقد قدمت في انتاجه العلمي أن لابن خالويه كتباً عديدة لم ترد في كتب الطبقات التي بين أيدينا ، مع أن ابن خالويه أشار إلى بعضها كاشارته إلى أن له كتاباً في أسماء الله الحسنى ، وذلك في كتابه « إعراب ثلاثين سورة » كما أشرت إلى ذلك من قبل .

---

(١) غاية النهاية : ١/٢٣٧ .
(٢) الفاتحة : آية ٧ .
(٣) إعراب ثلاثين سورة : ٣٢ .

٣ ــ التسمية بالحجة من عمل المتأخرين :

ولعلّ التسمية بالحجه جاءت متأخرة عن تأليف كتاب الحجة ، وحتى كتاب الحجة لأبي علي الفارسي لم يقدمه لعضد الدولة باسم الحجة ، وإنما قدّمه بهذه العبارة :

« فان هذا كتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد »[(١)] .

وابن خالويه لم يشر في مقدمته إلى هذه التسمية ، وإن أشار إلى أنّ كتابه في الاحتجاج يقول : « إني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل ، وإتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية . . . إلى أن يقول :

وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم[(٢)] .

ولما كان كتاب أبي علي في الاحتجاج سُمّي بالحجة فيا بعد ذلك ، وكذلك كانت أنسب تسمية لكتاب ابن خالويه هي « الحجّة » لأنه في الاحتجاج من ناحية ، ولأن عبارته في المقدَمة تستوجب هذه التسمية من ناحية أخرى .

٤ ــ التنافس العلمي في عصر ابن خالويه يفرض عليه أن يؤلف كتاب الحجة في القراءات ، فقد كان ابن خالويه منافساً للفارسي وابن جني ، فلما ألف الفارسي الحجة ، ألف ابن خالويه الحجة كذلك . ولمّا ألف ابن جني المحتسب في القراءات الشاذة ألّف ابن خالويه كتابه في شواذ القراءات .

---

(١) مقدمة الحجة للفارسي : نسخة مصورة رقم ٤٦٢ ــ قراءات ــ دار الكتب المصرية .
(٢) مقدمة الحجة لابن خالويه .

وطبيعة هذا العصر تقتضي هذا التنافس العلمي في التأليف وفي موضوع بعينه في كثير من الأحيان ؛ والدليل على ذلك أن أبا بكر محمد بن الحسن بن مقسم ألف كتاب السبعة بعللها الكبير ، وكتاب السبعة الأوسط ، وكتاب السبعة الأصغر ، كذلك ألف محمد بن الحسن الأنصاري في نفس الموضوع ، حيث ألف كتاب السبعة بعللها الكبير ، وكتاب السبعة الأوسط ، وكتاب السبعة الأصغر [١] .

وإذا كان الفارسي يقدّم كتاب الحجة لعضد الدولة حيث يقول في المقدمة : « أما بعد ، أطال الله بقاء مولانا الملك السيد الأجل ، المنصور ، وليّ النعم عضد الدولة ، وتاج الملّة — إلى أن يقول : فإن هذا كتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى ابن العباس بن مجاهد [٢] .

أقول : إذا كان الفارسي يقدّم كتاب الحجة لعضد الدولة ، فابن خالويه يقدّم له أيضاً كتاباً مجدولاً في القراءات [٣] .

٥ — ومن أوضح أدلة التوثيق تشابه أسلوب الحجة ، وتشابه منهجه مع مؤلفات ابن خالويه الأخرى ، وتمثيل هذا التشابه في عدّة ظواهر قلّما تتخلف ، أجملها فيما يأتي :

أ — الإيجاز والاختصار : فهو في مقدّمة الحجة يقول : « وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتجّ به أهل صناعة النحو لهم ، في معاني اختلافهم ، وتارك ذكر اجتماعهم وائتلافهم ... إلى أن يقول : جامعاً ذلك بلفظ بيّن جزل ، ومقال واضح سهل ، ليقرب على مريده وليسهل على مستفيده » [٤] .

---

(١) الفهرست : ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) الحجة للفارسي : المقدمة .
(٣) غاية النهاية : ١/٢٣٧ .
(٤) مقدمة الحجة .

وفي كتابه : إعراب ثلاثين سورة يؤكد هذه الظاهرة فيقول : « إني قد تحرّيت في هذا الكتاب الاختصار والإيجاز ما وجدت إليه سبيلاً ليعم الانتفاع به ، ويسهل حفظه على من أراد »[1] .

ب ــ ومن الظواهر إذا تحدّث عن مسألة ، وحرّر القول فيها ، ثم عرضت مسألة أخرى تشبهها لا يعيد القول فيها ، وإنما يحيل إليه ، وهذه الظاهرة واضحة في الحجة ، وفي كتابه القراءات المخطوط بالجامعة العربيّة ، وفي إعراب ثلاثين سورة .

جـ ـ الإكثار في هذه الكتب من النقل عن ابن مجاهد ، وابن الأنباري وغيرهما من الأعلام الذين تتلمذ عليهم .

٦ ــ ومن أدلة التوثيق أن الأعلام الذين سجلهم ابن خالويه في كتابه « الحجة » كانوا أسبق منه زمناً ممّا يدل على أن الكتاب نسبته إليه أصيلة .

٧ ــ بمقارنة كتاب القراءات المخطوط بالجامعة العربيّة رقم ٥٢ قراءات ، والمنسوب إلى ابن خالويه ــ بكتاب الحجة ، اتضح لي أن كتاب القراءات احتوى على نصوص كثيرة متقاربة من نصوص كتاب « الحجة » مما يدل على أن مؤلف الكتابين واحد ، والكتابان مختلفان من الناحية المنهجية ، ذلك لأن منهج ابن خالويه في كتاب القراءات المصور بمعهد المخطوطات يقوم على الاستطراد ، والإطناب ، فهو يسند القراءة لأصحابها في سلسلة طويلة ، وهو يتحدث عن تفسير معاني الآيات وأسباب نزولها ، ويحشد قصصاً عديدة في مناسبات مختلفة ، وليست القراءات والاحتجاج بها إلا جزءاً من هذا المنهج ، فكتابه في حقيقة أمره كتاب تفسير لا قراءات ، شأنه شأن كتب التفسير التي تتعرض لهذه الأغراض جميعاً .

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : المقدمة .

أمَّا كتاب الحجة ، فهو كتاب موقوف على القراءات وحدها في مجال الاحتجاج ، ولا يتعرض لتفسير المعنى إلا في القليل النادر .

ولعله من الجائز أن يكون كتاب القراءات أسبق في التأليف من كتاب الحجة ، ثم لخص هذا الكتاب ، وهذبه ، وجعله مقصوراً على القراءات وحدها ، وظاهرة التلخيص ليست غريبة على ابن خالويه ، فالمستشرق برجستراسر يقول عنه « وكان من عادة ابن خالويه أن يهذب مصنّفات مشايخه »[1] وأزيد فأقول : ومصنفاته أيضاً ، أليس كتاب « مختصر في شواذ القراءات » الذي حققه ونشره المستشرق برجستراسر هو تلخيص لكتابه « البديع » في القراءات الشاذة .

٨ — قدم النسخ :

وتاريخ نسخ الحجة قديم ، لأنه نسخ سنة ٤٩٦ هـ ، وهو تاريخ قريب من عصر المؤلف ، على حين نجد كتاب القراءات ، المصور بمعهد المخطوطات نسخ سنة ٦٠٠ هـ بخطوط مختلفة ، آخرها خط صديق بن عمر بن محمد ابن الحسن[1] .

وكتاب « إعراب ثلاثين سورة الذي نشرته دار الكتب عام ١٩٤١ م اعتمدت فيه على النسخة التي احتوتها مكتبة الشنقيطي رقم ٧ ـ تفسير ـ دار الكتب ، وقد تمت كتابة هذه النسخة في العشر الأولى من شعبان الذي هو من شهور سنة اثنتين وتسعين ، وسبعمائة ، وملك بمدينة صنعاء المحروسة[2] وذلك يؤكد أن كتاب الحجة أقدم كتاب من كتب ابن خالويه في مجال النسخ ، نعم ، إن الكتاب نسخة فريدة احتفظت بها مكتبة

(١) فهرس مخطوطات الجامعة العربية ص ١٢ .
(٢) فهرس دار الكتب .

طلعت رقم ١٣٤ — قراءات ، وقد أشار إليها بروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربي » [١] .

وانفراد الحجة بنسخة واحدة في مكتبات العالم لا ينقص من قدره ، ولا ينزل من مكانته ، فتراثنا العربي ذهب معظمه بسبب الأحداث الجسام ، والفتن التي حلت بالعالم الإسلامي والعربي في مختلف العصور .

ولا أدلّ على ذلك من هذه العبارة التي ذيلت بها الصفحة الأخيرة من الحجة وهي :

« قوبل ، وصُحِّح بأصله المكتوب منه » ولكن أين ذهب هذا الأصل ؟ أقول ذهب هذا الأصل ، لأن ظاهرة ضياع الكتب وفقدها ليست غريبة على تراثنا العربي ، فهذا هو أبو علي الفارسي ذكر « أن بعض إخوانه سأله بفارس إملاء شيء ... فأملى عليه صدراً كبيراً ، وتقصى القول فيه ، وأنه هلك في جملة ما فقده ، وأصيب من كتبه .

قال عثمان بن جني : وإن وجدت نسخة ، وأمكن الوقت عملت بإذن الله كتاباً أذكر فيه جميع المعتلات في كلام العرب » [٢] .

ولم يكشف ابن جني بما حدّث عن شيخه بشأن ضياع كتابه الذي أملاه بفارس ، بل بيّن في وضوح أكثر « أنه وقع حريق بمدينة السّلام ، فذهب به جميع علم البصريين » .

قال : وكنت كتبت ذلك كلّه بخطي ، وقرأته على أصحابنا ، فلم أجد من الصندوق الذي احترق شيئاً البتة إلاّ نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن [٣] .

---

(١) تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ١٤٠ .

(٢) معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٥٦ .

(٣) معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٥٦ .

فظاهرة ضياع الكتب إذن ظاهرة سائدة حتى في عصر المؤلفين أنفسهم ، وقد بلي بهذه الظاهرة المجتمع الإسلامي منذ أن أصبحت الدولة دويلات ، وزاد خطرها أكثر حينما زحف التتار على بغداد فالتهم تراث الأجداد .

على أية حال كانت ، نحمد الله ، إذ حفظ لنا كتاب الحجة من ألفه إلى يائه لم يضع منه شيء .

مقارنة بين حجة أبي علي ، وحجة ابن خالويه :

قدمت أن ابن مجاهد هو أول من سبَّع السبعة ، وأنه بهذا العمل الذي انفرد به استطاع أن يفتح باب الاحتجاج بالقراءات في مجالي اللغة والنحو ، فتسابق تلاميذه إلى ذلك ، وأول من شرع في هذا أبو بكر محمد بن السري . شرع في تفسير صدر من ذلك في كتاب كان ابتدأ بإملائه ، ولكنه لم يتمه [١] .

وأمكن لأبي علي الفارسي أن ينجح فيما قصر فيه محمد بن السرى ، فألف كتابه الحجّة في الاحتجاج بالقراءات .

وكتاب الحجة للفارسي بين أيدينا مخطوطاً حيث تضم دار الكتب المصرية ، والمكتبة الأزهرية نسخاً منه ، ومطبوعاً منه الجزء الأول حيث قام بتحقيقه أستاذنا علي النجدي والمرحوم الدكتور النجار ، والدكتور عبد الفتاح شلبي ، وهم في هذا التحقيق قدموا جهداً جباراً يتناسب مع هذا العمل الخالد .

وبمقارنة كتاب الحجة للفارسي بكتاب الحجة لابن خالويه ، نتبيّن اختلاف المنهجين وتباين الطريقين :

فأبو عليّ في حجته يغوص إلى الأعماق ، فمن لم يكن ذا مقدرة على الغوص لا يستطيع أن يتابع الفارسي ، فكثرة الاستطرادات ، وضخامة التعليلات قد تحول بين القارئ وبين ما يريد .

---

(١) مقدمة الحجة لأبي علي الفارسي .

ومن هنا كان كتاب الحجة للفارسي كتاباً لا يفهمه إلاّ القلّة ، ولا تهضمه إلا فئة خاصة تسلحت بما تسلح به أبو علي من عقل منطقي ، يؤمنُ بالقياس ، ويجري وراء العلّة . وحتى في عصره ، عصر الازدهار الفكري ، عصر المنطق والفلسفة ، عصر المناظرات والمناقشات ، لم يلق هذا الكتاب قبولاً حسناً ، ولم يصادف في نفوس معاصريه التقدير اللازم لهذا الجهد المبذول فيه .

ويكفينا في هذا المقام شهادة تلميذه ابن جني في ذلك ، وهي شهادة على النفس لأن أبا علي من ابن جني بمثابة الرّوح من الجسد .

يقول : ابن جني في كتابه « المحتسب » ما نصه « فإن أبا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء »(١) . ويقول في موضع آخر عند تعرضه لقوله تعالى في سورة الأنعام « تماماً على الذي أحسن »(٢) .

« وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة فأغمضه وأطاله حتى منع كثيراً ممن يدعي العربية ، فضلاً عن القراءة ، وأجفاهم عنه » .

وأمّا كتاب الحجة لابن خالويه ، فإن مؤلفه نهج فيه نهجاً آخر ، نهجاً يقوم على الرواية والسماع ، فليست اللغة في نظره تؤخذ من المنطق ، أو تقوم على الأقيسة كما كان يفعل أبو علي في حجته .

ولعلّ السرّ في تأليف الحجة لابن خالويه أنه أحسّ في مرارة أن كتاب أبي علي لا ينتفع به الخاصة ، فضلاً عن العامّة ، فحفزه ذلك إلى تأليف كتابه في أسلوب سهل ممتنع ، وفي عرض شائق جذاب ، وقد جعل الاختصار رائده لينتفع الناس به أو كما يقول : قاصد قصد الإبانة في اقتصار ، من غير إطالة ولا إكثار ، جامعاً ذلك بلفظ بين جزل ، ومقال واضح سهل ، ليقرب على مريده ، وليسهل على مستفيده .

---

(١) انظر مقدمة أ المحتسب من مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
(٢) الأنعام : ١٥٤ .

منهج ابن خالويه في الحجة وآراؤه :

١ — اعتمد في حجته على القراءات المشهورة، تاركاً الروايات الشاذة المذكورة[١].

٢ — الإيجاز والاختصار من غير استطراد مملّ ، أو أسلوب معقّد .

٣ — عرض القراءات من غير سند الرواية ، لأن هدفه الإيجاز ، ولا يلجأ إلى نسبة القراءات إلى أصحابها إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك ليبين من قرأ بها في حقل الدراسات القرآنية .

٤ — وإذا عرض لمسألة ، وبيّن وجه التعليل فيها ، والاحتجاج بها ، ثم تكرّر نظيرها لا يعيد القول فيها ، وإنما يحيلك إلى الموضع ، حرصاً على الوقت ، وإيماناً بالإيجاز .

٥ — اللغة في نظره لا تقاس، وتؤخذ سماعاً ، يقول في قوله تعالى «المتعال»[٢] «والدليل على أن اللغة لا تقاس ، وإنما تؤخذ سماعاً قولهم : الله متعال من تعالى ، ولا يقال متبارك من تبارك» .

٦ — لغة العرب في نظره وإن اختلفت حجة يؤخذ بها ، يقول في قوله تعالى : «وإن كنتم للرؤيا تَعْبُرُون»[٣] . روي عن الكسائي أنه أمال هذه ، وفتح قوله «لا تقصص رؤياك»[٤] فإن كان فعل ذلك ليفرّق بين النصب والخفض فقد وهم ، وإن كان أراد الدلالة على جواز اللغتين فقد أصاب .

٧ — ويطمئن إلى قول أهل اللغة ، لأنهم أصحاب رواية وسماع ، يقول في قوله تعالى ولا تك في ضيق[٥] : يقرأ بفتح الضاد وكسرها ، وقد ذكرت حجته آنفاً وقلنا فيه ما قاله أهل اللغة .

(١) مقدمة الحجة .
(٢) الرعد : ٩ .
(٣) يوسف : ٤٣ .
(٤) يوسف : ٥ .
(٥) الإسراء : ١٢٥ .

٨ — يدافع عن القراءات السبع ، وينقد من يصف حمزة بأنه لا يعرف العربية واتساع كلام العرب [١] .

٩ — ومن منهجه أن القرآن الكريم لا يحمل على الضرورة ، وألفاظ الأمثال فقد أنكر الخفض على الجوار في قوله تعالى « وأرجلكم » [٢] .

١٠ — لا يرجع إلى تفسير المعنى إلاّ في القليل النادر كتفسيره قوله تعالى « جعلا له شركاء فيما آتاهما » [٣] .

١١ — يعتد برسم المصحف ، في قوله تعالى « ثم اتخذتم » [٤] حيث ذكر أن من أظهر أتى بالكلمة على أصلها ، واغتنم الثواب في كل حرف منها .

١٢ — وهو في الحجة مستقل التفكير ، متحرر النزعة لا يتعصب للبصريين ، ولا للكوفيين لأنه قد يعرض آراء المدرستين ، وحجة كل منهما من غير ترجيح ، وقد يرجح بأدلة يراها ، وقد يختلف عنهما بآراء متحرّرة .

وظهور هذه النزعة التجديدية جعلت المستشرق برجستراسر يقول عنه في حلب أخذ ابن خالويه يدرس النحو وعلم اللغة ، ونهج فيهما نهجاً جديداً ، لأنه لم يتبع طريقة الكوفيين ، ولا طريقة البصريين ، ولكنه اختار من كليهما ما كان أحلى وأحسن » .

قراءات لم ترد إلاّ عن طريقه :

١ — وذلك في قوله تعالى « فله عشر أمثالها » [٥] .

قال ابن خالويه : « يقرأ بالتنوين ، ونصب الأمثال ، وبطرحه والخفض ، فالحجة لمن نصب أن التنوين يمنع من الإضافة ، فنصب على خلاف المضاف

---

(١) عند قوله تعالى : « ومكر السيء » فاطر : ٤٣ .
(٢) المائدة : ٦ .
(٣) الأعراف : ١٩٠ .
(٤) البقرة : ٥١ .
(٥) الأعراف : ١٦٠ .

والحجة لمن أضاف أنه أراد فله عشر حسنات ، فأقام الأمثال مُقام الحسنات » وليس في كتب القراءات ، أو كتب التفسير التي بين أيدينا إلا ّ حذف التنوين وجرّ اللام بالإضافة ، وهي قراءة جميع القراء في الأمصار ما عدا الحسن البصري فإنه كان يقرأ « عشرٌ » بالتنوين ، وأمثالُها بالرفع ، وذلك وجه صحيح في العربيَّة ـ غير أن إجماع قرّاء الأمصار على خلافها .

أمّا رواية النصب فلم أجدها إلاّ عند ابن خالويه في حجَّته .

٢ — ينسب إلى حفص قراءات لا وجود لها في المصحف الذي بين أيدينا . يقول في قوله تعالى : « بنصب » أجمع القراء على ضمّ النون إلاّ ما رواه حفص عن عاصم بالفتح وهما لغتان .

كذلك ينسب إليه قراءة أخرى عند قوله تعالى : « وعزّني في الخطاب » (1) قال : إسكان الياء إجماع إلاّ ما رواه حفص عن عاصم بالفتح لقلة الاسم . كذلك قوله تعالى « وعزّني » بالتشديد إجماع إلاّ ما رواه أيضاً عنه بالتشديد ، وإثبات الألف ، فهما لغتان .

(الكويت) الدكتور عبد العال سالم مكرم

***

(١) ص : ٢٠ .

مصادر القصص الإسلامية

مصادر القصص الإسلامية كثيرة وشتّى ، يصعب تحـديدها وتحديد معالمها بصورة متقنة شافية . فهي تختلط في مضمون القصص اختلاطاً لا نجد معه أصلاً واحداً متميزاً عن بقية الأصول . ومن أهمّ الأسباب التي تؤدّي إلى هذا الاختلاط أنّ الكتّاب المسلمين يعتمدون بالدرجة الأولى على الطريق الشفوي المباشر في نقل القصص وفي نقل الروايات يستعينون بها على بناء التاريخ العام أو على تفسير القرآن أو قصّ القصص الممتعة ..

فالمسلمون ينقلون عن رواة كانوا يدّعون معرفة الأصول القديمة الدينيّة أو كتب سير الملوك العرب والعجم ؛ لكن ما إن يمرّ قرن ونصف من الزمن على الإسلام حتى يشهد المسلمون نشاطاً مدهشاً في الترجمة والتأليف يؤدّي إلى كشف عوالم جديدة عليهم ظلّت سابقاً تنتقـل إليهم عن طريق الروايات الشفوية بالدرجة الأولى ، طيلة قرون قبل الإسلام وبعده . والله وحده أعـلم كم تصرّف هؤلاء الرواة في المصادر التي استمدوا منها حتى اطلع المسلمون المتأخرون على شيء من أصولها ، واستطاعوا حينذاك أن ينقلوا عنها نقلاً مباشراً ، وبهذا انتقلت العناية عند الكتّاب والمؤلفين المتأخرين إلى النقل عن الكتب التي شهدوها بأنفسهم بواسطة الترجمات التي تهيـأت لهم سواء أكانت هذه المنقولات عن الكتب المقدسة ، أم عن كتب التاريخ والسير ، والقصص والأسمار والنوادر ..الخ .

ومن الجدير بالذكر أنّ الكتب المؤلفة في السِّير وفي قصص الملوك والأمم الغابرة التي دوّنها المؤلفون المسلمون المتأخرون كابن هشام أو مقاتل

ابن سليمان ، ترجع في أصول رواياتها إلى رواة متقدمين مثل وهب بن منبّه وابن إسحاق وكعب الأحبار وغيرهم .. وخير دليل على ذلك تأليف ابن هشام للسيرة النبويّة المسندة إلى ابن إسحاق ، وإلى كتاب التيجان الذي يرفعه إلى وهب بن منبّه بواسطة رواة آخرين (١) .

وهذا ما فعله تلامذة ابن هشام بعده ، كالبرقي الذي روى أخبار عبيد ابن شريّة ودوّنها مسندة إليه في كتابٍ مستقلّ وكأنه من تأليف عبيد ابن شرية هذا (٢) .

وبعد قليل أعرض لهذا الموضوع بتفصيل أكبر عند الحديث عن وهب بن منبّه .

بإمكاننا ، إذن ، أن نصنف مصادر القصص الإسلاميّة إلى صنفين رئيسين ، وكأننا بهذا نصنفها أيضاً إلى مرحلتين مهمتين :

(١) الأولى تعتمد على مصادر النقل الشفوي : عن رواة مسلمين أو رواة دخلوا في الإسلام ، بعد اليهودية أو النصرانية .

(٢) الثانية تعتمد — إلى جانب المصادر الأولى — على كتبٍ رآها المسلمون بعد فترة من الإسلام ، وهي في الغالب مترجمة .

(١) مصادر النقل الشفوي :

لقد سكن الجزيرة العربية جماعة من أصحاب الديانات ؛ سكن بعضهم في الحجاز وآخرون في اليمن وفي نجران وغيرها . وقد خصّت الروايات الإسلاميّة جماعة من القبائل أو الأفراد في الجزيرة العربيّة ممّن دخل قبل الإسلام في ديانات — عدا عبادة الأصنام — كالنصرانية واليهودية والثنويّة . فأمّا

---

(١) انظر كتاب التيجان : (ط حيدرآباد سنة ١٣٤٧ هـ) .
(٢) كتاب أخبار عبيد بن شرية مطبوع مع التيجان في مجلد واحد .

من تهوّد من العرب « فاليمن بأسرهـا » — كما يقول اليعقوبي — « إذ كان تبع حمل حبرين من أحبار اليهود إلى اليمن فأبطل الأوثان وتهوّد من باليمن وتهوّد قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير وتهوّد قوم من بني الحارث بن كعب وقوم غسّان وقوم من جذام . وأمّا من تنصّر من أحياء العرب فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزّى منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وورقة بن نوفل بن أسد ومن تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة ومن ربيعة بنو تغلب ومن اليمن طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم . وتزندق حجر بن عمرو الكندي »[1] .

لقد اشتهرت الروايات المنقولة عن مصادر يهوديّه غير معيّنة عند المسلمين باسم (الاسرائيليات) ، وقد برز فيها جماعة من الرواة الذين اتصلت اسماؤهم بأهل الكتاب وبمصادرهم ، وادّعوا معرفة تاريخ الأنبياء وقصصهم القديمة . ولقد عرف من هؤلاء الرواة راويتان من يهود اليمن هما وهب بن منبّه وكعب الأحبار اللذان لايكاد كتاب في التفسير أو التأريخ الإسلامي أو الجغرافيـة أو الأدب يخلو من ذكرهما والنقل عنهما . ويجدر بنا أن نقول إن المسلمين أنفسهم قد زادوا من شأن هذين الراويتين مع تقدم الزمن ، فتضخمت بذلك المادّة القصصيّة التي تنسب إليهما ، هذا مع ادّعاء كلّ منهما معرفة العدد الضخم من الكتب التي كانا قد اطلعا عليها ، فقد قيل إن وهب بن منبه كان يقول « قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتاباً »[2] . وتجعلها مصادر أخرى اثنين وتسعين كتاباً كلها أنزلت من السماء ؛ اثنان وسبعون منها في الكنائس

(١) اليعقوبي : تاريخ (ط النجف) ، ج ١ ص ٢١٤ .
(٢) ياقوت ، نقلاً عن ابن قتيبة : معجم الأدباء (ط المأمون) ج ٩ ص ٢٥٩ .

وفي أيدي الناس وعشرون لا يعلمها إلاّ قليل (١) . وتشير روايات أخرى إلى أنه قرأ ثلاثين كتاباً نزلت على ثلاثين نبياً (٢) . لكنّ الروايات الإسلامية التي تنقل عن وهب قلّما تعنى بذكر الكتب التي ينقل عنها أو بذكر مصادر رواياته . ولذلك أصبح هذا خير معين للقصّاص يستمدّون منه مع التزيد والمبالغة المقصودة التي تطعم بها القصص الإسلاميَّة . فقد يكتفى بذكر اسم وهب وحده لإساغة النقل عن مصادر غير معلومة .

ومع هذا قيل ان وهب بن منبه نفسه قد كتب بعض الكتب عن الملوك القدماء . فقد كانت له صلة عدا صلته بتاريخ اليهود والأنبياء ، صلة لا تقلّ أهمية عن تلك وهي تفسّر لنا كثيراً من الروايات المتأخرة التي تنسب إلى وهب وترجع في أصلها إلى مصادر فارسيّة أيضاً . فقد كان وهب معدوداً في جملة الأبناء أي من الفرس الذين أنجد بهم كسرى أنوشروان سيف بن ذي يزن الحميري لقتال الحبشة . وقد نسبت إلى وهب روايات تتصل بتاريخ اليمن وملوكها . فقد قال ابن خلكان أنه رأى لوهب تصنيفاً ترجمه بذكر الملوك المتوّجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم في مجلّد واحد . وهو من الكتب المفيدة – كما يقول – (٣) . ولعلّ هذا هو الكتاب الذي بين أيدينا والمعروف باسم (كتاب التيجان في ملوك حمير ... (٤)) وقد قال فيه بروكلمان : « الصحيح أن هذا الكتاب لابن هشام نفسه اعتمد فيه بصورة أساسيّة على إسرائيليات وهب بن منبّه وإن روى أيضاً عن مصادر أخرى مثل محمد بن السائب الكلبي وأبي مخنف ، وذكر فيه أسطورة عرب اليمن إلى سيف بن ذي يزن (٥) .

(١) ابن سعد : الطبقات (بيروت ١٩٥٧) ج ٥ ص ٥٤٣ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) وفيات الأعيان (ط القاهرة) ج ٥ ص ٨٨ .
(٤) الكتاب ذكر سابقاً (حيدر آباد سنة ١٣٤٧ هـ) .
(٥) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (ت النجّار) ، ج ١ ص ٢٥٢ .

ولابن هشام طريقة غريبة في إسناد روايات هذا الكتاب ، فهو يقول مثلاً « قال وهب ـ قال أبو محمد عبد الملك بن هشام حدثنا زياد بن عبد الملك البكائي عن محمد بن اسحاق المطلبي عن عبيد بن شرية الجرهمي .. » [١] فالرواية تبدأ بوهب ، ثم بابن هشام نفسه وتنتهي عند عبيد بن شرية ولا ندري أين نضع وهب بن منبه منها ، لا سيّما وقد ذكرت الروايات أن عبيد بن شرية نفسه كان من المعمّرين الذين أدركوا كثيراً من الأمم القديمة ، عاش حتّى أدرك عصر معاوية بن أبي سفيان .

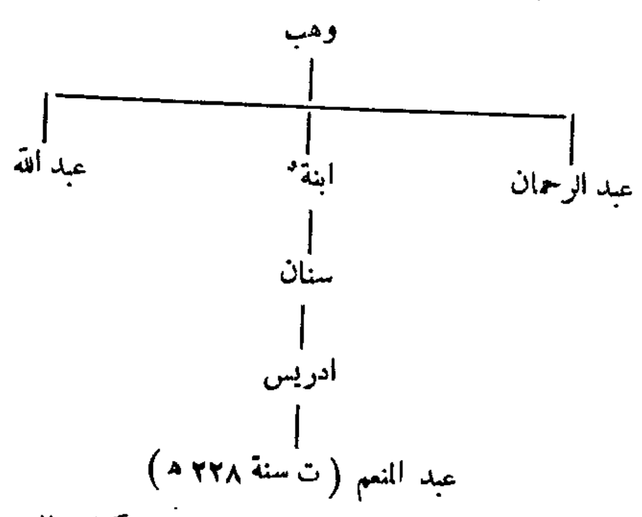
يضاف إلى ذلك أن روايات كثيرة تنتهي عند ابن عبّاس ويبدو فيها وهب ابن منبّه كراوية من الرواة الذين نقل ابن هشام الروايات بواسطتهم .

ولعلّ ابن هشام قد استعان بروايات وهب لكتابة كتابه هذا ، كما استعان بابن اسحاق عند كتابة السيرة النبوية ، وتصرّف في رواياتها بطريقته الخاصّة . لكننا لا ندري إن كان كتاب التيجان هذا قد روي برواية أخرى عدا رواية ابن هشام عن وهب بن منبّه ، كما رويت السيرة بغير رواية ابن هشام [٢] . لكن المصادر الإسلاميّة تستعين بروايات وهب ولا تشير إلى كتابٍ معيّن ، وهذا ما فعله ابن هشام في كتاب التيجان هذا أيضاً .

ومع هذا سمّيت كتب لوهب ككتاب المبتدأ الذي قيل عنه إنه كثير الخرافات إلاّ أن ابن النديم ينسب هذا الكتاب إلى شخص آخر يسمّيه عبد المنعم بن إدريس بن سنان وهو ابن ابنة وهب بن منبّه ، قال بأنّه توفّي سنة ٢٢٨ هـ [٣] . وقد ذكر ابن سعد عبد المنعم بن إدريس هذا وقال عنه إنه ابن ابنة وهب بن منبّه ، وقد مات في بغداد وقد قارب مائة

(١) كتاب التيجان (١٣٤٧ هـ) ص ٦٥ .
(٢) وُجِدتْ قطعة منها برواية يونس بن بكير في الخزانة العامّة بالرباط ، رقم ٥٨ .
(٣) ابن النديم : الفهرست (ط القاهرة) ص ١٤٤ .

سنة من العمر . وتتفق رواية ابن النديم ورواية ابن سعد في تفاصيلها عن عبد المنعم هذا[١] . ومع هذا فقد جاء نسب عبد المنعم في الشجرة التي أثبتها (Chauvin) إلى وهب كما يلي[٢] .



ولعلّ السبب في هذا الخلط هو ما جاء في رواية كتاب التيجان المنسوب إلى وهب بن منبّه ؛ فقد جاء أنّ الكتاب رواية « عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبيّ إدريس بن سنان (كذا !) عن جدّه لأمه وهب بن منبّه »[٣] .

ويغلب على ظني أن اسم (عبد المنعم) قد سقط وان المقصود هو (عبد المنعم ابن إدريس بن سنان) وهو ابن ابنة وهب بن منبّه ، وليس لإدريس ولا لسنان علاقة قربى بوهب ، بل ان إدريس بن سنان هو زوج ابنة وهب ،

---

(١) ابن سعد : الطبقات (سنة ١٩٥٨ م) ج ٧ ص ٣٦١ .

(٢) La Recension Egiptienns de 1001. nuits (Paris 1899).
نقلاً عن الدوري : بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب ص ١١٤ (بيروت) .

(٣) جاء هذا السند في صحيفة العنوان من الكتاب (ط حيدر آباد سنة ١٣٤٧ ﻫ) .

وهو أبو عبد المنعم هذا . فالكتاب هو رواية عبد المنعم وقد روى هذا عن جدّه وهب روايات أخرى أيضاً (١) .

أمّا التحريف أو سقوط الأسماء فلم يكن غريباً في رواية هذا الكتاب ، فقد جاء في الإسناد : « قال أبو محمد عن أنس عن أبي إدريس عن وهب » (٢) والمقصود بـ (أنس) هو (أسد) بن موسى المذكور سابقاً أيضاً .

وقد نقل أبو نعيم الأصفهاني روايات مسندة إلى عبد المنعم أيضاً ، ترجع في أصلها إلى وهب ، وهي من باب الإسرائيليات و (قصص أوليائهم) (٣) . ولعلّ رواية عبد المنعم عن وهب وتردّد اسمه معه هي السبب في نسبة بعض الكتب إليها معاً، وقد قيل بأنّه كان قارئاً لكتب وهب وحكمته (٤) .

وقد نقل ابن قتيبة عن شخص اسمه عبد الرحمان بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب . ويبدو أن عبد الرحمان هو ابن عبد المنعم الذي يذكره ابن النديم ، وتذكره الروايات الأخرى . وينقل ابن قتيبة بعض قصص الأنبياء عنه في أكثر من موضع في عيونه (٥) .

فوهب بن منبه وكذلك سلالته وأقرباؤه يقون يروون للمسلمين روايات قصص الأنبياء وما يتّصل بها جيلاً عن جيل ، ولكنّ الشكّ يبقى محيطاً بمجموع ما نسب إليهم من كتب منقولة أو مكتوبة ، لأنّ رواياتهم تنقل بصورة شفوية ويتصرّف فيها الرواة تصرّفاً ظاهراً . بل لقد أورد ابن قتيبة بعض هذه الحكايات الإسرائيلية وصدّرها بعبارة (في الحديث المرفوع) (٦) ،

(١) يذكر هوروفتس كتاب المغازي الذي بقيت منه قطعة فقط ، وقد روي بالسند نفسه بواسطة عبد المنعم إلى وهب بن منبه [المغازي الأولى - ص ٢٤ - ٣٥] .
(٢) ك التيجان : ص ١٤ .
(٣) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٤ ص ٤٢ .
(٤) ابن سعد : الطبقات ، ج ٧ ص ٣٦١ .
(٥) عيون الأخبار (ط تراثنا) ج ١ ص ٧٩ ، ج ٢ ص ٢٦٣ وروايات أخرى .
(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٧٩ .

وكأنّه يوم بأنّها من الأحاديث الإسلامية المنسوبة إلى النبي (ﷺ) والمنقولة شفاهاً دون أن يكون لها سند معين .

وينسب إلى وهب كتاب في الإسرائيليات لاندري شيئاً عنه إلاّ ما ينقله الرواة المسلمون في كتبهم كابن قتيبة وغيره . وقد أشار إلى هذا الكتاب حاجي خليفة ويرجّح المستشرق هوروفتس أن المقصود بهذا الاسم هو كتاب المبتدأ نفسه [1] . ويذكر له كتاب في قصص الأنبياء . وهذه الكتب جميعاً تشير إلى نوع القصص والروايات التي اختصّ بها وهب ، لكنها لا تؤيده بشدّة صحة تأليفه لها .

على أن من الروايات المفردة التي صادفتها عن وهب بن منبّه ما ذكره المسعودي وهو يتحدث عن الخرافات والأساطير العربية القديمة وما يتصل منها بالغول والجنّ والخلق .. الخ . إذ يشير المسعودي إلى من كتب في هذه الأخبار قائلاً « ولم نذكر في هذا الكتاب ما ذكره أهل الشرائع وما ذكره أهل التواريخ والمصنفون لكتب البدو كوهب بن منبه وابن إسحاق وغيرهما » [2] .

ولست أدري ما يعني المسعودي بـ (كتب البدو) لأنّ الشائع أن وهباً كتب في الشرائع والأديان وأخبارها ولم يعرف عنه أنه كتب عن حياة البادية شيئاً . ولعلّ (البدو) التي يذكرها المسعودي تحريف عن (البدء) أو (المبتدأ) ؟ وقد ذكرناه قبل قليل .

ومن الكتب المنسوبة إلى وهب كتاب في القدر ذكره عمرو بن دينار في رواية يقول فيها : « دخلت على وهب بن منبه داره بصنعا ؟ فأطعمني من جوزة في داره فقلت : وددتُ أنك لم تكن كتبت في القدر كتاباً ، فقال : وأنا والله لوددت ذلك » [3] . ولذلك فقد نقلت روايات عن وهب

---

(١) المغازي الأولى ومؤلفوها (ت حسين نصّار) سنة ١٩٤٩ م ، ص ٣٢ .
(٢) المسعودي : مروج الذهب (ط سنة ١٩٥٨ م) ج ٢ ص ١٥٨ .
(٣) الذهبي : ميزان الاعتدال (١٣٢٥ هـ) ج ٣ ص ٢٧٨ ؛ ياقوت : معجم الأدباء (ط دار المأمون) ج ١٩ ص ٢٥٩ .

تشير إلى توقّيه من الخوض في مسائل القـدر ، وأنه كان يقول بأنه قد قرأ من الكتب المنزلة وغير المنزلة عـدداً ضخماً وجد في كلّها : أن من أضاف إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقـد كفر [١] . ولعلّ هذه الروايات قد وضعت لتأييد وجهة نظر بعض الفرق الإسلامية المتأخرة التي خاضت في هذه المسائل كثيراً . ولقد نسب إلى الحسن البصري أنه وجماعة من أهل مكة أرادو أن يسألوا وهباً ويذاكروه في القدر فلم يدع لهم طريقاً لذلك ، فافترقوا ولم يسألوه [٢] .

وقد يضع الكتّاب المسلمون من أهل السنّة والمحدّثين أحاديث على لسان وهب ليردّوا بها على أساليب أهل التأويل أو التصوّف وغيرهم من خصومهم ومن ذلك هذا الحديث الذي يورده ابن قتيبة منسوباً إلى وهب بن منبه ، أنه قال « أجد في الكتاب أنّ قوماً يتدينون لغير العبادة ، ويختلون الدنيا بعمل الآخرة ، يلبسون مسوك الضأن على قلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وأنفسهم أمرّ من الصبر ، أبي يغترون أم إياي يخادعون أقسمت لأبعثن عليهم فتنة يعود الحليم فيها حيران . . » [٣] .

ولا شكّ أنّ الاستعانة بأحاديث وهب كانت خير سبيل للتوصل إلى ما عند أصحاب الديانات الأخرى ، كالمسيحيّة أو اليهوديّة ، وتحيط الروايات الإسلامية وهباً بهالة من الزهـد والقدسيّة ، محاولة أن تسبغ على قصصه هذا الطابع نفسه لتجعله مرضياً عند الناس ، فيوصف وهب بأنّه « لبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً » [٤] ، يريد أنه لم ينم أبداً وهو عاكف على العبادة والصلاة .

(١) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ٥٤٣ . الاصفهاني : حلية . ج ٤ ص ٢٤ .
(٢) الذهبي : ميزان ، ج ٣ ص ٢٧٨ .
(٣) ابن قتيبة : عيون (تراثنا) ج ٢ ص ٢٧٠ .
(٤) الهبي : الميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ٢٧٨ .

ومن جهة ثانية نقلت عنه كتب التصوّف مواعظ تدلّ على زهده وتزهيده في الدنيا ، وأنه ربما استعين به من قبل الخلفاء الأمويين أنفسهم للتعرف على نقوش في الأحجار ، ولا تشير الروايات إلى أصل هذه الأحجار أو مصادرها ولكن تذكر ما فيها من مواعظ (١) .

ولقد ترجم له الأصفهاني في حلية الأولياء ترجمة ضخمة تبلغ ما يقرب من ثماني وخمسين صفحة ، وهو مقدار ضخم ، وكذلك فعل في ترجمة كعب الأحبار . على أن الغالب على روايات الأصفهاني أنها لا ترعى السند رعاية تامّة ، فالرواية قد لا تستند إلى أكثر من خمسة رجال في أكبر تقدير وبين الأصفهاني ووهب ما لا يقلّ عن ثلاثة قرون من الزمن .

وقد نقل وهب روايات قليلة عن النبي ، وهي من الأحاديث المفردة الغريبة كما تبدو (٢) ، ومع ذلك فالروايات الإسلامية تجعل النبي نفسه يتنبأ بمجيء وهب ، فيقول « يكون في أمتي رجلان ، أحدهما وهب يهب الله له من الحكمة ، والآخر غيلان ، فتنة على هذه الأمّة شرّ من فتنة الشيطان » (٣)

وروى عن وهب كل من عمرو بن دينار وعبد العزيز بن رفيع ووهب ابن كيسان وزيد بن أسلم وموسى بن عقبة وغيرهم من مشاهير التابعين (٤) . لكن عامة الروايات في كتب الأدب قلّما تشير إلى سنَد تامّ حين تنقل عن وهب . وهذا يدع المجال فسيحاً أمام الرواة للتصّرف في الأحاديث من أجل غايات شتّى . والمبالغة عنصرٌ مهمّ في هذه الأحاديث القصصيّة التي قد تنقلها حتى كتب التاريخ الإسلامي ، كما في الحديث التالي المنقول عن وهب ، في وصف أحد الأنبياء — وهو جرجيس — إذ يقول وهب أنه

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، ج ٤ ص ٦٩ .
(٢) المصدر نفسه ص ٧٢ - ٧٣ .
(٣) ابن سعد : طبقات ج ٥ ص ٥٤٣ .
(٤) حلية الأولياء ج ٤ ص ٧٢ .

أرسل إلى ملك الموصل « فقتلوه فأحياه الله ثم قطعوه فأحياه الله ثم طبخوه فأحياه الله حتّى عدّ حزوباً من العذاب ، والله أعلم » [١] .

ورغم اتفاق الروايات على إسلام وهب ، إلا أنها لا تكاد تشير بوضوح إلى السَّنَة التي أسلم فيها . إلاّ أنّ المستشرق هوروفتس يرجح أن وهباً ولد مسلماً ، وأن الروايات التي تشير إلى أنه دخل في الإسلام عام ١٠ هـ ، إنما قصدت أباه منبهاً . والمرجح عنده أيضاً أن وهباً لم يولد قبل سنة ٣٤ هـ [٢] .

وتعلمنا الروايات أن قد ولي قضاء صنعاء ، وأنه كان على قضائها في سنة ١٠٠ للهجرة ، وذلك أننا نسمع أن عامّة القضاة قد حجّوا سنه مائة وحجّ وهب فيهم [٣] وقيل إنه توفي سنة ١١٠ هـ في أوّل خلافة هشام ابن عبد الملك [٤] وقيل سنة ١١٤ ، وقيل سنة ١١٦ [٥] . وله اخوة كانوا من الرواة مات أكثرهم قبل وهب نفسه [٦] .

ولعلّ من أجمل الروايات التي صادفتها منقولة عن وهب في قصص الأنبياء ، تلك القصّة التي ينقلها ابن قتيبة في عيونه عن خراب إيليا وتصوّرها لعُزير بصورة يتجسد فيها الفنّ الرمزي والخيال الخلاّق ، الذي لا تجد مثيلاً له في التوراة نفسها ، رغم عنايتها بوصف خراب إيلياء مرّات كثيرة . وفيما يلي أنقل جزءاً يسيراً من هذه القصّة البديعة :

ناجى عُزير ربَّه داعياً إليه أن يعطف على ولد إبراهيم الخليل ، بعد أن أصبحوا عبيداً لأهل معصيته ، يقول عُزير مخاطباً ربَّه :

---

(١) المقدسي : البدء والتاريخ (سنة ١٩٠٣ م) ج ٣ ص ١٣٤ .
(٢) المغازي الأولى ومؤلفوها (ت نصار) ص ٢٨ .
(٣) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٧٨ .
(٤) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ٥٤٣ .
(٥) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٥٩ ، ابن خلكان : وفيات ج ٥ ترجمة رقم ٧٤٣ .
(٦) ابن سعد : ج ٥ ص ٥٤٤ .

« فما الذي سلط علينا ذلك ، أمن أجل خطايانا ؟ فالخاطئون ولدونا أو من أجل ضعفنا فمن ضعف خلقنا ؟ قال فجاءني المَلَك فكلمني فبينما أنا كذلك إذ سمعت صوتاً هالني ، فنظرتُ فإذا امرأة حاسرة عن رأسها ناشرة شعرها شاقّة جيبها تلطم وجهها وتصرخ بأعلى صوتها ، وتحثو التراب على رأسها ، فأقبلتُ عليها وتركتُ ما كنت فيه .. »

وحين يسألها عن حالها تخبره بمصيبتها ، وذلك أنها كانت امرأةً عاقراً ، ثم وهبت ولداً بعد زمن من المشقّة والعناء ، وما إن شبّ وبلغ أشدّه حتى فقدته . وهنا يحاول عُزير تسليتها فيقول لها :

« أذكري ربك وراجميه ، فقد أصابت المصائب غيرك ، أما رأيت هلاك إيلياء وهي سيّدة المدائن وأمّ القرى أو ما رأيت مصيبة أهلها وهم الرجال ؟ . قالت : أي رحمك الله ! إن هذا ليس بعزاء لي ، وليست لي بشيء منه أسوة . إنما تبكي مدينةً خربتْ ، ولو تعمر عادت كما كانت ، وإنما تبغي قوماً وعدهم الله الكرّة على عدوهم ، وأنا أبكي على أمرٍ قد فات وعلى مصيبة لا أستقيلها .. »

ويمضي عزيرٌ في مواساتها وخطابها ويقول ، وهنا أجمل جزء من القصّة ، يتجلّى فيها الرّمز الذي وضعتْ القصّة من أجله :

« فبينا أنا أكلمها غشى وجهها نور مثل شعاع الشمس حال بيني وبين النظر إليها ، فخمّرتُ من شدّته وجهي ورددتُ يدي على بصري ، ثم كشفت بصري فإذا أنا لا أحسّها ولا أرى مكانها ، وإذا مدينة قد رفعتْ لي حصينة بسورها وأبوابها ، فلما نظرت إلى ذلك خررت صعقاً فجاءني الملك فأخذ بضبعيّ ونعشني وقال لي : ما أضعفك يا عزير وقد زعمتَ أنّ بك من القوّة ما تخاطب به ربّك ؛ وتدلي بالعذر عن الخاطئين من بني إسرائيل .. »

قال الملك : فإنّ المرأة التي كلمتك هي المدينة التي تبكي عليها ، صوّرها الله لك في صورة أنثى فكلمتك ، فافقه عنها . أمّا قولها : إنها عمّرت زماناً من دهرها عاقراً لا ولد لها . فكذلك كانت إيلياء صعيداً من الأرض خراباً لا عمران فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة . وأمّا قولها : إن الله وهب لها غلاماً عند اليأس ، فذلك حين أقبل الله عليها بالعمران ، فابتعث الله منها أنبياءه وأنزل كتابه ، وأما قولها انه هلك ولدها حين كمل فيه سرورها ، فذلك حين غيَّر أهلها نعم الله وبدّلوها ، ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا ّ جرأة على الله وفساداً ، فغيَّر الله ما بهم وسلّط عليهم عدوّهم حتّى أفناهم ، وقد شفّعك الله في قومك وكتابك ومدينتك وسيعيدها الله عامرةً كما رأيت ، عليها حيطانها وأبوابها وفيها مساجدها وأنهارها وأشجارها ..(١) » .

يتبع : (الكويت) الدكتورة وديعة طه النجم

(١) عيون الأخبار ٦/٢٧٥ .

كلمات تركية

في اللهجات العربية

-٣-

(ق)

قايش : حزام من الجلد ، حزام تشحذ عليه الموسى . تركي Kayış .

قاوون : نوع من الشمام . تركي Kavun .

قرجوز : لعبة العرائس . تركي Karagös وأصل معناه ذو العينين السوداوين .

قرش : نقد معروف . تركي Kuruş من الألمانية Greschen والجدير بالذكر أن اللفظ التركي « قروش » مفرد ولكنه اعتبر جمعاً عند التعريب وصيغ منه المفرد قرش (١) .

قرقول : الحرس . لقد انقرض هذا اللفظ في مصر ولكنه لا يزال يستعمل في اللهجة السودانية فيقول السودانيون : قرقول الشرف بدلاً من حرس الشرف . تركي Karakol .

قزان : غلاية كبيرة . تركي Kazan .

قزمه : نوع من الفأس . تركي Kazma .

قشلاق : ثكنة عسكرية . تركي Kişla .

---

(١) لقد صاغ العرب في الماضي كلمتين على هذا المنوال . إحداهما فردوس فأصلها فراديس وهي كلمة يونانية ، اعتبروها جمعاً وصاغوا منها فردوس .
والأخرى بيذق وهي معربة من بيادك الفهلوية اعتبروها جمعاً وصاغوا منها بيذق . يسمى هذا النوع من الاشتقاق Back formation في اللغة الانجليزية وأنا أسميه « الإشتقاق القهقري » .

قلاوظ : دليل السفن في البوغاز ، مسمار ملولب . تركي Kilavuz .

قنال : ممر مائي . تركي Kanal من الانجليزية Canal .

قنبلة : قذيفة متفجرة . تركي Kumbara .

قورمه : لحم محفوظ . تركي Kavurma .

قوزى : صغير الغنم . تركي Kuzu .

(ك)

كار : صنعة ، مهنة . تركي Kar من الفارسية .

كتبخانه : المكتبة : تسمى مكتبة الأزهر حتى الآن الكتبخانه الأزهرية . تركي Kütüphane وهو مركب من كتب العربية وخانه الفارسية .

كرباج : السوط . تركي Kirbaç .

كرخانه : بيت الدعارة . تركي من الفارسية كارخانه وأصل معنـاه المصنع واللفظ يفيد هذا المعنى في اللغة الأردية . تغيرت دلالته في التركية .

كردان : العقد . تركي Gerdanlik من كردن الفارسية ومعناه الجيد .

كريك : المجرفة . تركي Kürek المجداف .

كستنا : أبو فروه . تركي Kestane .

كشتبان : ما يلبسه الترزي في إصبعه وقاية من الابرة . فارسي انگشت بان : حافظ الاصبع .

كشك : بناء خشبي صغير يقام لأغراض شتى . تركي Köşk .

كفته : كرة من اللحم المشوي مع التوابل . تركي Köfte .

كبشه : ملء اليد . تركي Kepçe .

كفكير : نوع من الملعقة لرفع المشويات من المقلاة (في اللهجة الاردنية) تركي Kevgir من الفارسية .

كليم : البساط . تركي Kilim من الفارسية .

كمر : حزام ، وكمرة : حديدة تقل السقف . تركي Kemer .

كمنجه : آلة موسيقية . تركي Kemençe من الفارسية .

كنار : حافة الثوب . تركي Kenar من الفارسية .

كندوره : الحذاء في اللهجة السعودية . تركي Kundura .

كهنة : شيء قديم بال يرمي لعدم إمكان إصلاحه . تركي Köhne من الفارسية .

كوبرى : الجسر . وجمعه كبارى . تركي Köprü .

(ل)

لغم : وعاء مملوء بمواد متفجرة ينفجر بتحركه أو الضغط عليه . تركي Lağım .

لكن : القلاة . يستعمل في ريف مصر . تركي Leğen من الفارسية .

لوكاندة : الفندق . تركي Lokanta من الإيطالية Locanda .

(م)

ماسورة : أنبوب المياه ، أنبوب التدخين (في اللهجة اللبنانية) . تركي Masura .

ماشه : أداة لالتقاط النار أو تنظيم الوقود . تركي Maşa من الفارسية .

ماهية : المرتب الشهري — جمعها ماهايا في مصر ومواهي في السودان لعله من « ماه » الفارسية ومعناه الشهر .

مزة : ما يؤكل قبل الطعام أو الشراب لفتح الشهية . تركي Meze .

مسطول : سكران . لعله من Mastur التركية ، وتفيد نفس المعنى .

مناورة : حرب وهمية لتدريب الجيش ، تحركات عسكرية ، دسيسة سياسية . تركي Manevra من الإيطالية Manovara .

منيفاتوره : المنسوجات . تركي Manifatura من الإيطالية Manifattura .

موضه : مبتكر الموسم في تفصيل اللباس وتسريح الشعر ونحوه . تركي Moda من الإيطالية .

ميدالية : الوسام . تركي Medalya من الإيطالية Medaglia .

(ن)

نبطشي : (ممن يؤدون واجبهم بالتناوب) من عليه الدور . تركي Nöbetçi وهو مركب من نوبة العربية و ci التركية .

نشان : الهدف . ومنه نشن البندقية أي صوبها نحو الهدف . تركي Nişan من الفارسية .

نشانكاه : جهاز في البندقية تساعد على التنشين . تركي Nişangâh من الفارسية.

نمره : العدد ، الرقم . تركي Numara من الإيطالية Numero .

نيشان : الوسام ، وجمعه نياشين . تركي Nişan من الفارسية .

(و)

وابور : آلة بخارية ، مركب بخاري ، القاطرة ، ومنه وابور الطحين . تركي Vapur من الفرنسية Vepeur .

ونش : آلة رافعة وجمعها أوناش . تركي Vinç من الانجليزية Winch .

(ي)

يا ... يا : اما واما ، كما في قولهم : ياكدا يا كدا . تركي ya ... ya .

ياقة : جزء من القميص يحيط العنق . تركي Yaka من الفارسية .

ياور : مساعد لقائد عسكري . وجمعه ياوران كما في قولهم : كبير الياوران ـ وهو جمع فارسي . تركي Yaver من الفارسية .

ياى : لولب ـ ميزان لولبي . تركي Yay .

يخنى : نوع من الشوربه . تركي Yahni .

يكى : في لعبة الطاولة اثنان ، ويكي بير : واحد واثنان . تركي Iki .

يمخانه : المطعم في المدرسة ونحوها . تركي Yemek الأكل وخانه الفارسية .

يفطه : لوح يحمل الاسم يعلق أمام البيت أو المحل . تركي Yafta .

يوزباشى : رتبة في الجيش والشرطه . تركي Yüzbaşi وأصل معناه قائد المائة وهو مركب من Yüz أي المائة و Baş أي الرئيس .

السودان : ف . عبد الرحيم

التعريف والنقد

اللآلىء المنثورة في الأقوال المأثورة

وهي منتخبات من الأدب السرياني ، انتخبها ونقلها من السريانية إلى
العربيــــة أغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية
وسائر المشرق ، عضو مجمع اللغة العربية في دمشق

لقد تضمَّن هذا الكتاب الجليل منتخبات من أقوال مشاهير رجال الدين المسيحي ، وهي حِكَم مأثورة ، وروائعُ مشهورة ، نقلها عن السريانية إلى العربية قدامة المؤلف ، وقد دعت إلى الزهد في الدنيا ، والبعد عنها ، وإنفاق ما تحصل منها على ذوي الفاقة من اليتامى والأيامى والضعفاء والمساكين . كما اشتمل هذا الكتاب القيّم على الكلم الطيّب من مخافة الرب ، وطهـارة القلب ، والتوبة النَّصوح ، والعلم والعمل ، وتقوى الله عز وجل ، والقرضِ الحسَن ، وتحريم الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، والدعوةِ إلى الصلاة والصوم ، والتسبيح بحمد الله ، والنصحِ والتذكير بعاقبة المصير ، وقد ازدان الكتاب ببعض أقوال السيد المسيح وحِكَمه العالية عليه السلام .

وأقول : إن حاصل النظام الخُلُقيّ أنه إذا كان ابتغاء وجه الرب ونيلُ رضاه غايةً منشودة الإنسان ، ومرمى لمساعيه وجهوده ، فقد ظفرت الأخلاق البشرية بغاية سامية تمكّنه من السموّ الخُلُقي إلى ما لا نهاية له من معارج النموّ والرقي . والدين بما يثبت من عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر في قلب الإنسان ، كأنه يلقي في روعه حارساً من الشرطة الخُلُقية يدفعه إلى العمل ، وهذا الحارس الداخليّ هو الذي يَشُدُّ عَضُد قانون

الإيمان الخُلُقي ، ويجعله نافذاً بين الناس في حقيقة الأمر ، وهو الذي يضمن هداية الفرد والأمة إلى سواء السبيل ، فهو نظام كلي شامل ، فيه نجاةٌ للجنس البشري من أدواء الشر والطغيان ، وسعادة له وفلاح في العاجلة والآجلة معاً ، ومعالجةٌ للمشكلات البشرية الدقيقة والخطيرة على أسس خيّرة كريمة تملأ القلوب رحمة ورضى ، وتوطّد بين الناس أواصر المحبة والإخاء ، وتنقي الأفئدة من الحقد والحسد والبغضاء ، حتى يؤمن الجميع ، بأن كل ما شرعه الله فهو لخير المجتمع الإنساني ، ولدفع الشرور والغوائل عنه ، والحمد لله رب العالمين .

ونختم هذه الكلمة بتقديم أعطر الشكر ، وأجمل الثناء ، وأخلص الدعاء ، إلى البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث على ما بذل من جهد في إبراز هذا الكتاب الجليل ، بهذا الشكل الجميل .

محمد بهجة البيطار

الفوائد المهمة

في حكمة التشريع وفضل القرآن العظيم
وما صحّ من قصص الأنبياء والسابقين ، والساعة
وأماراتها ، حتى يدخل أهل الجنةِ الجنةَ ، وأهل النارِ النارَ
لعبد الله محمد وحيد الجباوي

الأستاذ الشيخ محمد وحيد الجباوي عالم عامل ، ومن تآليفه : هذا الكتاب المسمَّى بالفوائد المهمة ، وهو جامع بين المعقول والمنقول في إثبات وجوده تعالى وانفراده — بإيجاد هذا العالم بعد أن لم يكن شيئاً مذكورا ، فالإيمان بوجوده سبحانه قد هدى العقلُ إليه ، ودلّ الخلقُ عليه ، ومن عالم الغيب ملائكته وهم عالم روحاني ، قد جعلهم ربهم رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاثَ ورباع كما في سورة فاطر ، ومنهم أمين الوحي جبريل عليه السلام ، فقد كان يهبط على من اصطفاهم المولى لرسالته ، بمسافة وسرعة لا يعلم مقدارها إلاّ العلي القدير . وأما الكتب التي نزلت بها ملائكة الرحمن ،

فهي رحمة لبني الإنسان ، إذ العمل بها يورث العاملين السيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة ، وخاتمة الشرائع التي أسندت إلى خاتم الرسل محمد عليه وعلى إخوانه المصطفين الأخيار أزكى الصلاة والسلام — هي صالحة لـكل زمان ومكان ، ولجميع الشعوب والأقوام .

وأما اليوم الآخر فهو يوم البعث والنشور — يوم القيامة — ويوم العدل فلا تظلم نفس شيئاً ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فيفتحون كتبهم بأيديهم ويخـاطبون الناس بقولهم . « هاؤم اقرأوا كتابية إني ظننت أني ملاق حسابيه » ، وأما الذين أشركوا وعملوا السيئات ، فيقول أحدُهم « يا ليتني لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه » .

وأما الإيمان بالقضاء والقدر ، فإيمان بإحاطة علمه تعـالى الأزلي الأبدي بكل معلوم ، من الأمور والحوادث ، ووقوعها طبقاً لما في علم العليم الحكيم .

ومن هذه الفوائد المهمة — بعد ذكر أركان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورُسله واليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره — ذكرَ المؤلف أركان الإسلام الخمسة ، وهي الشهادة لله بالوحدانية ، ولنبيه محمد ﷺ بالرسالة ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً.

ومن فوائد الأستاذ الجبـاوي أنك ترى الحِكم مع الأحكام ، والفرق الواضح بين الحلال والحرام .

ثم انه استهلَّ وصفَ القرآن الكريم وفَضْلَه بأول آية من سورة هود : « كتاب أحكمت آياته ثم فُصّلت من لدن حكيم خبير » وقد وصفه بما فيه من عقائد قويمة ، وعبادات مستقيمة ، ومعاملات حكيمة ، وأخـلاق كريمة ، وتعليم جامع ، وتهذيب بارع ، وإخبار بالمغيبات ، ولا عجب فهو كتاب الله المنزل ، ووحيه المعجز ، ثم ذكر الأستاذ الوحيد ما أوجده هذا الذكر الحكيم من علوم وفنون وآداب لغوية وعربية وشرعية ، واجتماعية ، وذكر

ما لكلّ من القرآن المكي والمدني من المزايا والخصائص ، وأتى من أحكام التجويد بما يحقق أمر منزله ، « ورتل القرآن ترتيلاً » .

ثم أورد من سير الأنبياء عليهم السلام ما جاءوا به من عند ربهم سبحانه من التوحيد الخالص والعلم النافع ، والعمل الصالح ، والإيمان باليوم الآخر ، مقتصراً على ما ورد من أخبارهم في الكتاب العزيز ، مفسراً الآيات الكريمة بالظاهر المتبادر منها ، مؤيداً ما هو ثابت لهم من العصمة ، والبراءة من كل تهمة ، إذ هم صفوة الأمم ، من عرب وعجم .

وختم الأستاذ (الوحيد) كتابه بذكر الساعة وأماراتها ، واستهلّها بالآية الكريمة « اقتربت الساعة وانشقّ القمر » . وأتى على ما ورد من علاماتها ، يوم تبدل الأرض والسموات ، يوم ينفخ في الصور ، ويبعث من في القبور ، وبرزوا لله الواحد القهار ، ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر ، ونفع وضر ، وإيمان وكفر ، « ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحدا » .

فيا أيها العرب الكرام : لقد انتشرت اللغة العربية تبعاً للإسلام في قارّات الأرض الثلاث آسية وافريقية وأوربة ، ودخلتْ أمم كثيرة في العروبة والإسلام ، فصاروا عرباً ديناً ولغة وعبادة ومعاملة ، والإسلام هو الذي جعلهم أمة واحدة كما جاء في الكتاب المبين « إن أمتكم هذه أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » فهل كان هذا القرآن إلاّ خيراً كبيراً ، تآخت فيه أمم كثيرة وتعاونت على مدنية كانت زينة الأرض وضياءاً ونوراً لأهلها .

والرجاء في الله تعالى عظيم في أن تعود السيادة والسعادة لهذه الأمة بعودها إلى كتاب ربها علماً وعملاً واعتقاداً ، وأدباً وخُلقاً ، ففيه كما قال أحد الحكماء : أقوى الحوافز إلى أسمى الآفاق ، وأبعد الأشواط الموصلة إلى أعلى ما يكون من رفعة الذكر ، وعلوّ القدر ، وقوة التمكين والنصر .

والشكر كلّ الشكر للأستاذ الشيخ محمد وحيد الجباوي على كتابه القيّم الذي جمع فأوعى

ومن التعاون على البر والتقوى ، تصحيح ما رأيناه من أغلاط مطبعية لا سيما للمفردات القرآنية ، للاستدراك قبل القراءة :

الصفحة	السّطر	الخطأ	السطر
٦	٦	فلننظو	فلننظر
٩	٨	بالمعجزاتُ	بالمعجزاتِ
١١	١٦	إلى ما	إلى معرفة
١٣	١١	الأكمة	الأكمهَ
٢٥	١٢	الباطق	الباطل
٢٧	٣	تكرن	تكون
٣٦	٩	فالطالح	فالصالح
٤٢	١	عن هلها	عن أهلها
٤٤	٦	أحبّ	لا أحبّ
٤٩	٧	قبل	قيل
٥٠	١	ما أصابكم	« ما أصابهم »
٥٤	٥	فذلك	« فذلكنّ »
٦٥	٢	بها	« فيها »
٦٦	١٠	ما رأيكم	« ما أريكم »
١٠١	١٣	إن ترك	« إن تَرَنِ »
١٠٦	٢	راتحة	رائحة

ابن سعيد المغربي

المؤرخ — الرحّالة — الأديب

تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن

٢٠٨ صفحة من القطع الصغير ـ نشر مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٩ م

[من عجائب المفارقات أن المؤرخ الرحالة الأديب « ابن سعيد المغربي » الذي صان لنا تراجم أندلسية ومغربية ومصرية من الضياع ، لم يظهر عنه في المكتبة العربية كتاب واحد يترجم له ويعرّف به ويجلو حياته الحافلة بالنشاط الذهني والبدني] .

بهذا الاستهلال ابتدأ الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، وهو غني باسمه عن أي تعريف ، تقديم كتابه الجديد إلى القراء المعجبين بأدبه المقدرين مؤلفاته حق قدرها ، يترجم فيه لابن سعيد المغربي ، صاحب كتابي « المغرب في حلى المغرب » و « الغصون اليانعة في شعراء المئة السابعة » وعدد كبير من المؤلفات الأخرى يناهز الثلاثين .

وابن سعيد هذا ، من أدباء الأندلس الذين عاشوا في زمن حلّت فيه بالمسلمين أفجع الرزايا ، ونزلت فيه بالحضارة العربية أعظم البلايا ، فقد سقطت عاصمة الإسلام « بغداد » ، في أيدي التتار ، وأخذت بلاد الأندلس تسقط تباعاً مؤذنة بزوال « الدولة العربية » فيها . لقد عاش ابن سعيد في القرن السابع للهجرة الموافق للثالث عشر للميلاد ، ولذا كانت لمؤلفاته أهمية خاصة ، جديرة بالعناية وبذل الجهد للعثور على المفقود منها والعمل على نشر ما لم ينشر حتى اليوم ، وكتاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن الذي يلقي الضوء على حياة ابن سعيد ويعدّد مؤلفاته ، ومنها ما هو غير معروف ، جاء في وقت تتابع

فيه على الأمة العربية وعلى الإسلام أحداث لا تحاكي الأحداث التي عاصرها ابن سعيد فحسب ، بل هي أقسى وأشد مرارة ، لهذا فإن قراءته لا تعتبر مفيدة في إعطاء صورة كاملة عن حياة مؤرخ عربي مغمور فحسب ، بل هي مفيدة أيضاً في إعطاء القارئ صورة موجزة لما قد يفعله الخطر الذي يحيق بالعرب والمسلمين اليوم .

عقد مؤلف الكتاب فصلاً صور لنا فيه الحياة السياسية للعصر الذي عاش فيه ابن سعيد ، كما صور كلاً من الحياتين الاجتماعية والفكرية ، ثم ترجم للرجل وتحدث عن شيوخه وزملائه وأصدقائه في كل من الأندلس ومصر وبلاد الشام ، ثم عرض لاتصالاته ببلاطات الملوك والأمراء ، وكل ذلك بأسلوبه الممتع وبيانه المشرق .

وفي فصل آخر من الكتاب عرض المؤلف علينا منهج المترجم له في التأريخ وكتابة السير ، وما تخلل كتاباته من وصف للبلدان التي زارها ، ومن تصوير دقيق للحياة الاجتماعية التي رآها في حله وترحاله ، ثم قبس لنا نتفاً نفيسة من آثار ابن سعيد الشعرية ومن آثاره النثرية ، وكلها تدل على حسن الاختيار وعلى الذوق الأدبي الرفيع .

إن ابن سعيد المغربي الذي حفظ لنا تراجم كثير من الرجال ، فيما تركه من آثار ، كان مهملاً من قبل الباحثين والدارسين ومؤرخي الأدب العربي المحدثين ، على ما أشار إليه الأستاذ محمد عبد الغني حسن في مقدمة كتابه ، غير أني لا أعرف كيف أشار إلى ما كتبه كل من الدكتور زكي محمد حسن والدكتور شوقي ضيف عن ابن سعيد في مقدمتيها لكتاب « المغرب » ، ثم أغفل الإشارة إلى ما صنعه صديقه الكبير خير الدين الزركلي الذي أفرد لابن سعيد هذا ترجمة تعتبر في كتابه « الأعلام » من التراجم الوافية (١) .

---

(١) انظر « الأعلام » ج ٥ ص ١٧٩ .

ولعل السبب في هذا ، أن زحمة العمل قد عاقت صديقنا المحقق عن الرجوع إلى ما كتبه الزركلي في « الأعلام » رغم قرب الكتاب إليه واستشهاده به في أكثر من موطن في كتابه نفسه ، ومرد هذا الرأي إلى ما لاحظته في ثبت المصادر من إغفال مصدر أثبته صاحب الأعـــلام ، وهو كتاب « تاريخ علماء بغداد » المسمَّى « منتخب المختار لمحمد بن رافع السلامي » وهو كتاب ذيّل به على « تاريخ ابن النجار » انتخبه التقي الفاسي المكي وطبع في بغداد سنة ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م ؛ وفي ترجمة ابن سعيد المثبتة في هذا الكتاب ورد اسمه « علي بن سعيد الغماري » تحريف « العماري » نسبة إلى الصحابي عمار بن ياسر ، كما ذكره الزركلي متفقاً فيه مع الأستاذ محمد عبد الغني حسن .

ومما يدعم رأينا هذا ، ما اطلعنا عليه في كتاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن من تصحيح أوهام كثيرة وقع فيها الدكتور زكي محمد حسن ، وكان حريّ به أن يشير إلى وهم وقع في ترجمة ابن سعيد المغربي التي وردت في « الأعلام » إذ جاء فيها أنه : « علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ، العنسي المدلجي [1] ، أبو الحسن ، نور الدين ، من ذرية عمار بن ياسر . . » وفي هذا التعريف تصحيف منقول عن بعض المصادر ، أشار إليه الأستاذ محمد عبد الغني حسن قائلاً في نسبة ابن سعيد أنه : عنسي مذحجيّ ، نسبة إلى « عنس بن مذحج ابن أدد » ، جد الصحابيّ عمّار بن ياسر ، كما في جمهرة أنساب العرب .

إن ابن سعيد المغربي أحد أدباء الأندلس من صانعي التراث العربي ، الذين لم يوفوا حقهم من البحث في أدبهم والترجمـــة لهم ، فإذا بالأستاذ محمد عبد الغني حسن يحمل هذا العبء في كتاب خاص قصره على التعريف به وبأدبه وبالآثار التي خلفها ، فاستحق الشكر من كل ناطق بالضاد ، والتقدير من كل محب للعربية معتز بتراثها المجيد .

عدنان الخطيب

(١) هذا التصحيف من الهنوات التي وقعت في « الأعلام » ولم تستدرك في طبعته الثالثة بيروت ١٩٦٩ م .

رباب الكاظمي

كتاب من تأليف عبد الرحيم محمد علي من العراق

عدد صفحاته / ١٢٨ / من القطع المتوسط

من مطبوعات النجف عام ١٩٦٩

هذا كتاب يتحدث مؤلفه عن (رباب الكاظمي) ابنة الشاعر الكبير الشيخ عبد المحسن الكاظمي ، وللكاظمي تاريخ أدبي حافل ، وامتياز يجعل منه الشاعر الأوحد الذي كان يذكرنا بالشعراء العرب من أصحاب القريحة المواتية والسليقة المرتجلة في هذا القرن العشرين الذي اختفى فيه أصحاب الارتجال ولم يبق منهم أثر .

وما من شك أن « رباب الكاظمي » قد تأثرت بأدب والدها خلال عيشها في كنفه ، فلست أعتقد أن الموهبة الأدبية مما يورث ، ولا بد أن تكون السيدة « رباب » أديبة بخلقها شاعرة بفطرتها . كما لا أشك في أنها حاولت أن تقلد والدها في اختيار البحور الشعرية القصيرة ، والاتجاه اتجاهاً اجتماعياً ووطنياً ، فنحن نعرف مواقف والدها الوطنية في مصر التي عاش فيها مدة طويلة .

ولا يخلو شعر السيدة رباب الكاظمي ونثرها من نفحة الطبع السليم ونغمة الموهبة الأصيلة ، غير أن الموضوعات التي طرقتها لم تساعدها على البوح بكل ما لديها من شاعرية كبلتها الرسميات والمناسبات وهذا لا يمنع أن تكون لغتها سليمة وعبارتها قوية ، ولا بدع في ذلك فهي ابنة بجدتها ، ومن البيت الذي ترك شهرة أدبية بعيدة المدى .

أما المؤلف فقد صرف جهداً مشكوراً في سبيل جمع هذه القصائد المتناثرة والكلمات المبعثرة في الصحف والمجلات ، ولو لم يكن له فضل غير هذا الجمع لكان فضلاً كبيراً .

أحمد الجندي

قول على قول

الجزء الأول عدد صفحاته /٤٠٠/ من القطع المتوسط

طبع عام ١٩٦٨ بمطابع دار لبنان للطباعة - بيروت -

وضع حسن سعيد الكرمي

هذا الكتاب جديد في فحواه وفي عنوانه ، فهو إجابات مقتضبة واضحة عن أسئلة يسألها مستمعو إذاعة لندن العربية عن أبيات من الشعر لايعرف السائل قائلها ويجيب عليها الأستاذ المؤلف حسن الكرمي الأديب المعروف ، وما من شك أن هذه الإجابات السريعة المرضية تسد حاجة ملحة عند الكثيرين من الأدباء الذين يحفظون بعض الأبيات الشعرية ويحز في أنفسهم أنهم لا يعرفون قائلها لأن ظروفاً كثيرة تحول دون هذه المعرفة ، وقد هيأ الحظ لهم هذا الكتاب — قول على قول — ليرضي اطلاعهم ويشفي غلتهم فيعرفوا ما يريدون معرفته من شعراء هم في غالبيتهم من الأغفال والمجهولين .

يضاف إلى هذا أن الطريقة التي التزمها الأستاذ الكرمي في الإجابة طريفة ظريفة ، وهي على اقتضابها ، وافية كافية .

وما من شك في أن الباحث عن هذه الإجابات المتلاحقة المتوالية يكلف نفسه أمراً عسيراً لا سيما وأن المظان والمراجع العربية ، والشعرية بخاصة ، ليست من السهولة والبساطة بحيث يتمكن كل إنسان من الوصول إلى الجواب المطلوب .

كل ما نرجوه لهذا الكتاب أن يكتمل سريعاً بأجزائه كلها ليكون مرجعاً للناسين ، وموئلاً للسائلين الذين تعوزهم أداة البحث العلمي عن الشعراء الضائعين .

***

أ. ج .

نساء متفوقات

كتاب من تأليف السيدة سلمى الحفار الكزبري

عدد صفحاته / ٢٦٠ / من القطع المتوسط

طبع عام / ١٩٦١ / ونشرته مؤسسة (دار العلم للملايين) في بيروت

هذا الكتاب قريب إلى نفس القارئ بموضوعه الشيّق ؛ والحديث عن الشخصيات النادرة من ألطف الأحاديث على المطلع ، الذي يريد أن يتثقف ويتسلى ويطلع في آن .

والبحث عن النساء المتفوقات يكاد يكون من اختصاص السيدة سلمى الحفار الكزبري التي عرفت بأسلوبها الدال عليها وثقافتها التي تعرف بها هذه الشخصية المحببة إلى قرائها الكثر .

قدّم الكتاب الأستاذ قسطنطين زريق ، وأنا مع الأستاذ المقدّم في أن هذا الموضوع خارج عن اختصاصه ، وكنت أرجح لو أن السيدة الحفار قد قدّمت كتابها بقلمها فصاحب البيت أولى بالذي فيه ـ كما قيل ـ وكاتب الكتاب أجدر بأن يعرف الناس به ، ولقد أهدت المؤلفة الكتاب إلى الفتاة العربية ، ولم تشرك الفتى العربي في إهدائها ، مع أن سيرة التفوق تهم الجانبين الإنسانيين على السواء .

ويتناول الكتاب اثنتي عشرة شخصية نسائية ، كل واحدة منهن نبغت في ناحية من نواحي العلم والفن والسياسة والحياة .

إن الكتاب يغري بالقراءة المفيدة المريحة ، فالعبارة واضحة مرهفة والأسلوب مشرق ناصع ، والموضوع نافع مفيد .

أ . ج .

عينان من اشبيلية

تأليف السيدة سلمى الحفار الكزبري

ومن مطبوعات (دار الكاتب العربي) بيروت عام ١٩٦٩
عدد صفحاته / ٢٢٤ / من القطع المتوسط

للأندلس ــ فردوسنا المفقود ــ نوطة في قلب كل عربي ، وغمزة في نفس كل شرقي أدرك بما قرأه أن أجداده قد عمروا هـذه البلاد النائية ، فيما وراء جبل طارق ومضيقه ؛ واشبيلية من المدن التي شهدت جانباً من المجد العربي ، والعلم العربي ، والفتح العربي .

إن الذكريات التي عاشتها ، الكاتبة ، السيدة سلمى الحفار الكزبري ، هي التي أملت عليها هذه القصة الرائعة التي يمكن أن تدخل في صنف الأدب الرومانتيكي الرفيع . ولقد نحت المؤلفة في قصتها هذه نحـواً جديداً من التأليف ، فرققت من عبارتها ، وهذّبت من ألفاظها ، وتأنقت في جملتها حتى خرجت القصه وكأنها قصيدة شعرية لولا افتقاد الوزن والقافية .

إن القصة العربية ما زالت في طور التكوّن ، ولكن هذه القصة قد تضطرنا إلى القول بأن هذا الفن قد استحق أن يقف إلى جانب الفنون الأدبية الأخرى العريقة في تاريخ اللغة العربية .

وفي قراءة هذا الكتاب متعة أدبية وراحة فنية قد لا تجدها في كتاب أدبي معاصر آخر .

أ . ج .

***

المغانم المُطابة في معالم طابة

تأليف : محمد بن يعقوب الفيروزابادي

تحقيق : حمد الجاسر

عدد صفحاته ٦٢٣ : من منشورات دار اليمامة بالرياض

١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

مؤلف هذا القسم من الكتاب هو مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي الشافعي اللغوي المولود في سنة ٧٢٩ هـ في بلدة كارزين ، وتقع جنوب مدينة شيراز . وقد تلقى العلم في شيراز ، ثم رحل إلى بغداد ودمشق وبيت المقدس ومصر والحجاز واليمن ، فتلقى عن كثير من علماء هذه الأقطار .

وقد قدم الفيروزابادي مكة مرات ، وجاور فيها ، ورحل إلى الطائف ، وزار المدينة النبوية ، واشترى حديقتين بظاهرها ، وولي رئاسة قضاة اليمن عشرين سنة متوالية .

وتمكن في علم اللغة أكثر من غيره ، فألف كتاب القاموس الذي كان من أسباب شهرته ، كما كانت له بالحديث والفقه عناية ، وصنف التصانيف حتى تجاوزت ٥٠ كتاباً في اللغة والتفسير والحديث وغيرها ، وتوفي في ٢٠ شوال سنة ٨١٠ هـ في مدينة زبيد باليمن .

وأما كتابه الذي نحن بصدده فقد قال مؤلفه الفيروزابادي : انه زار المدينة في سنة ٧٨٢ هـ ، فجدد نظره في معالمها فلم ير كتاباً حاوياً يجمع تأريخها ، فقام بوضع كتاب جامع لما ذهب في كتب المتقدمين بدداً ، متجنباً الإطناب ، وسماه المغانم المطابة في معالم طابة ، وجعله ستة أبواب : الأول في فضل الزيارة وآدابها وما يتعلق بذلك ، الثاني في تاريخ البلد المقدس ،

وذكر من سكنه ، الثالث في أسماء المدينة ، الرابع في الفضائل المأثورة ، وتحدث في هذا الباب عن بناء المسجد وذكر الدور التي حوله وظهور نار الحجاز ومقبرة البقيع والمشاهد التي بظاهر المدينة والمساجد التي صلى رسول الله ﷺ فيها ، الخامس في ذكر المدينة وهو هذا القسم المطبوع وهو أطول أبواب الكتاب ، والباب السادس في تراجم من أدركهم المؤلف في المدينة أو ذكر له أشياخه المدنيون وغيرهم أنهم أدركوهم بها على اختلاف طبقاتهم ، وذكر جماعة ممن لهم بالمدينة آثار صالحة ، وإن لم يساكنوا أهلها — وهو آخر الكتاب .

وقد عوّل الفيروزابادي في القسم الخامس من هذا الكتاب على كتاب معجم البلدان لياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، بحيث نقل منه ماوقع عليه نظره مما ورد فيه أنه في المدينة أو قربها .

واعتمد المحقق الفاضل على مخطوطة الكتاب المحفوظة في خزانة شيخ الإسلام فيض الله أفندي بالقسطنطينية ، وهي تحت رقم ١٥٢٩ ، وكان من ملاّك هذه النسخة بعض الأفاضل كمحمد بن أحمد ابن اينال الدوادار وأحمد ابن النجار وعبد الرحمن البهوتي وهما من علماء مصر ، وأما أصل النسخة فهي من الحجاز ، حيث جاء في آخرها : أنها نسخت في شوال سنة ٨٦٦ هـ بمكة .

وأما عمل المحقق فقد حاول إبراز نص صحيح مطابق لما وضعه المؤلف ، كما حاول تصحيح كثير من الأسماء التي أوردها ، وهي بحاجة إلى تصحيح ، فرجع في كل مادة إلى مصدر المؤلف وهو معجم البلدان ، فصحح أخطاء النسخة الخطية في الأصل ، وأضاف ما لا يتم الكلام إلا به داخل مربعين [ ] ، كما رجع إلى وفاء الوفاء للسمهودي المتوفى سنة ٩١١ هـ الذي لخص جل ما في كتاب المغانم باستثناء التراجم ، مع إضافة أسماء مواضع استقاها من مؤلفات المدينة القديمة ، فألحقها .

وذكر المحقق في مقدمته كلمــة موجزة عما ألف في تاريخ المدينة النبوية فذكر عبد العزيز بن عمران الزهري المدني المعروف بابن أبي ثابت الأعرج المتوفى سنة ١٩٧ هـ ومحمد بن الحسن بن زبالة المخزومي المدني الذي كان حياً سنة ١٩٩ هـ ، والزبير بن بكار — ٢٥٦ هـ ، ويحيى بن الحسن الحسيني المدني — ٢٧٧ هـ ، وعمر بن شبة النميري — ٢٦٢ هـ ، وعلي بن محمد المدائني — ٢٢٥ هـ ومحمد بن عمر الواقدي — ٢٠٧ هـ ، وعبد الله بن أبي سعد الوراق — ٢٧٤ هـ ، ومحمد بن عبد الرحمن المخلصي الذهبي — ٣٩١ هـ ، ورزين بن معاوية العبدري السرقسطي الأندلسي — ٥٣٥ هـ ، ومحمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي — ٦٤٢ هـ ، وأبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر الدمشقي — ٦٧٦ هـ ، وجمال الدين محمد بن أحمد المطري — ٧٤١ هـ ، وعفيف الدين عبد الله بن محمد المطري — ٧٦٥ هـ ، ومحمد بن أحمد الاقشهري — ٧٩٦ هـ ، وزين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي — ٨١٦ هـ ، ونور الدين علي بن عبد الله السمهودي — ٩١١ هـ ، ومحمد كبريت المدني — ١٠٧٠ هـ .

وبالرغم من أن المحقق قد بلغ في تقديم الكتاب وتحقيقه وعمل فهارسه مبلغاً رفيعاً يستحق الثناء والشكر من جمهرة الباحثين والمحققين والطالبين ، فإنه حبذا لو أن المحقق قد عمد إلى نشر الكتاب كله ، حفظاً على وحدة الموضوع . وقد اعتذر عن ذلك في مقدمة الكتاب .

كما كان يستحسن أن تنسق المقدمة حسب المواضيع الآتية : (١) التعريف بالمؤلف . (٢) ذكر ما صنف في تاريخ المدينة النبوية . (٣) التعريف بالكتاب ونسخه المخطوطة وأماكن وجودها . (٤) نهج المحقق في تحقيق الكتاب .

وأما الفهارس فيستحسن أن تذكر الموضوعات العامة ، فالشعوب والقبائل فالأعلام ، فالكتب ، فالشعر ، فالتصويب والاستدراك . وقد لوحظ في فهرس الشعوب والقبائل أن بني وآل وولد قد حذفت من الترتيب المعجمي ، ويستحسن إثباتها تفريقاً عن الأعلام . كما أنه في فهرس المواضع لم تتبع

طريقة واحدة ، في تصنيفه وتنسيقه فأحياناً يذكر الاسمين معاً كبئر زمزم وجبل طيء ، وأحياناً يذكر اسم الموضع وبين هلالين الاسم الثاني مثل نخل (بطن) ، والأولى أن تتبع طريقة واحدة ونفضل ذكر الاسمين معاً كبئر زمزم في حرف الباء ويمكن ذكر زمزم في حرف الزاي والإحالة على بئر زمزم . وأما الأعلام فيستحسن أن يذكر اللقب أو الكنية في محله ويحال على الاسم كالواقدي فيذكر في حرف الواو ويحال على محمد بن عمر في حرف الميم .

وبالختام نشكر المحقق الفاضل على ما قدم وما يقدمه من خدمات إلى أمته بتحقيق أنفس الكتب التي تعد من المراجع الأصيلة لحضارة العرب والإسلام .

عمر رضا كحالة

***

معجم المؤلفين العراقيين

في القرنين التاسع عشر والعشرين

١٨٠٠ — ١٩٦٩ م

المجلد الأول (أ ـ ر) ، عدد صفحاته ٤٨٨

تأليف : كوركيس عواد

طبع بمطبعة الإرشاد ببغداد ١٩٦٩ م

ضم هذا المعجم أسماء جمهرة كبيرة من المؤلفين العراقيين الذين ولدوا في القرنين التاسع عشر والعشرين للميلاد ، ومنهم من ولد في القرن الثامن عشر وأدرك القرن التاسع عشر ، وبعبارة أخرى فقد حوى هذا السفر المؤلفين العراقيين الذين عاشوا في الفترات التي وقعت ما بين سنة ١٨٠٠ و ١٩٦٩ للميلاد.

ذكر المؤلف في معجمه المؤلفين الذين وجدت لهم آثار مطبوعة باللغات والموضوعات المختلفة ، سواء أكانت كتباً كبيرة أو متوسطة أو رسائل ، قد تم طبعها في حياتهم أو بعد وفاتهم .

وجرى المؤلف في ترتيب هذا المعجم على أسماء المؤلفين على حسب اسم المؤلف الكامل ، محمود شكري الآلوسي يدخل في مادة محمود وهكذا ، كما ذكر شهرته مرتبة على حروف المعجم ، وأحال على إسمه ، ففي مادة الطائي مثلاً ذكر عدة مؤلفين ، وأحال على أسمائهم .

كما أنه ذكر عقب كل اسم مؤلف ما يتصف به من لقب علمي أو ديني أو اجتماعي أو غير ذلك ، فذكر بجانب اسم المؤلف المترجَم ، داخل قوسين ، مكان وتاريخ ولادته ووفاته بالتاريخ الميلادي ، هذا إذا تحقق له ذلك ، وإلا ترك محلها خالياً ، ثم أتبع ذلك كتب المترجَم المطبوعة ، ومكان وتاريخ طبعها ، وعدد أجزائها وطبعاتها المختلفة .

واستبعد المؤلف ذكر المؤلفات الخطية التي لا تزال محفوظة لدى مؤلفيها ، أو ذويهم أو في بعض خزائن الكتب ، والمقالات والنبذ المنشورة في المجلات والجرائد وما إليها ، ولم يتهيأ لكتّابها أن يجمعوها ويطبعوها في كتاب مستقل .

وأما المؤلفات التي طبعت غفلاً من أسماء مؤلفيها ، ولم تتحقق لديه نسبة بعضها إلى المؤلف بعينه ، ففي تلك الحال يدرجها تحت اسم المؤلّف مع الإشارة إلى أنه طبع خلواً من اسم مؤلفه .

كما استبعد المؤلف من معجمه ذكر المطبوعات الرسمية وشبه الرسمية من تقارير ونشرات وإحصاءات وميزانيات وجداول وقوانين وأنظمة ومحاضر وبيانات ومناهج وتعليمات وغير ذلك ، مما أصدرته الوزارات والمؤسسات الحكومية والأهلية على اختلاف أنواعها ، وذلك إذا لم تحمل تلك المطبوعات اسم مؤلفها أو واضعها .

واستبعد أيضاً من معجمه ذكر الكتب المدرسية في مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة وما جرى مجراها ، وذكر ما كان منها فوق ذلك المستوى كالكتب التي ألفت لمراحل التعليم العالي ، وفقاً لأسماء مولفيها .

واتخذ المؤلف رموزاً في معجمه ، فذكر (ت) لتوفي و (ج) للجزء أو المجلد و (د) للدواوين الشعرية و (د . ت) للكتب التي بدون تاريخ و (د . ت . م) للكتب التي بدون مكان وتاريخ للطبع ، و (ش) لمن شارك في تأليف الكتاب ، و (ص) للصفحة و (ق) للقصة ، و (م) للسنة الميلادية و (هـ) للسنة الهجرية .

وقد اعتمد المؤلف الفاضل في تأليف معجمه على مصادر كثيرة منوعة كدور الكتب العامة ، والمكتبات الخاصة ، والمعاجم والكتب التي تبحث في التراجم والأدب وتاريخه ، والمجلات المختلفة ، وقد بذل في ذلك الجهد العظيم ، فلمّ أشتات ما تفرّق من أبحاث مبعثرة في بطون الكتب والمجلات فجمعها في معجمه القيم ، جزاه الله خير جزاء ، وقوّاه على متابعة عمله الشاقّ .

ع . ك

***

مخطوطات الموسيقى العربية في العالم

تصنيف : زكريا يوسف

طبعت ببغداد ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ م

تشتمل هذه المخطوطات على ثلاث رسائل : الأولى عن مخطوطات إيران في الموسيقى العربية ، والثانية عن مخطوطات أقطار المغرب العربي ، والثالثة عن مخطوطات الهند وباكستان وأفغانستان .

أما الرسالة الأولى فقد حاول المصنف فيها معرفة عدد المكتبات العامة والخاصة بإيران ، الحاوية على المخطوطات العربية ، فاطلع على معظم المكتبات العامة وبعض المكتبات الخاصة في طهران ومشهد وشيراز واصفهان ، فعثر فيها على ٥٢ مخطوطة عربية ، تعتبر مصدراً هاماً للموسيقى ، أثبتها في هذه الرسالة ، مقتصراً على ذكر رقم الكتاب وعنوانه ، واسم مؤلفه ، وتاريخ وفاته .

وأما الرسالة الثانية فقد زار المصنف المغرب والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، وبقي في كل من هذه الأقطار أسبوعين باحثاً عن المخطوطات الموسيقية في مكتباتها ، وكانت حصيلة بحثه في معظم مكتبات هذه الأقطار ، العثور على ١٣٠ مخطوطة تعتبر مصدراً للموسيقى العربية ، وقد ذكرها في هذه الرسالة واضعاً لها أرقاماً متسلسلة .

وأما الرسالة الثالثة فتشمل مخطوطات الهند وباكستان وأفغانستان ، وقد زار المصنف الهند لمدة شهر واحد ، وباكستان لمدة أسبوعين ، وأفغانستان لمدة أسبوع واحد ، باحثاً عن المخطوطات الموسيقية العربية ، الموجودة في مكتباتها ، وقد تمكن بنتيجة بحثه من العثور على ٦٦ مخطوطة ، تعتبر مصدراً للموسيقى العربية ، وقد أثبتها المصنف في هذه الرسالة بأرقام متسلسلة .

وبالختام نشكر الأستاذ المصنف على ما بذل من جهد ، من عناء سفر ، وبحث وتنقيب عن المخطوطات العربية في الموسيقى ، فأدى لأمته أجل خدمة ، كانت عوناً عظيماً ومصدراً أصيلاً للباحث والمؤلف .

ع . ك

***

محاضرات في تاريخ العرب والإسلام

تأليف : عبد اللطيف الطيباوي

جزآن في ٣٥٩ صفحة

طبعت بمطابع دار الأندلس ببيروت

١٩٦٣ - ١٩٦٦ م

هذه مجموعة من المحاضرات التي ألقاها الدكتور عبد اللطيف ، أو نشرها على جمهور السامعين والقراء ، فنقحها ، ولم يخرجها عن صفتها الأصلية ، وعهد للسيد محمود الأكحل بالوقوف على طبعها .

وتتناول هذه المجموعة أبحاثاً مختلفة يمكن حصرها في المباحث الآتية وهي : المفاوضة والمحالفة قبل الهجرة ، ومحمد مؤسس وحدة العرب ، والتربية والتعليم ، وطلب العلم والمعلمون في كتب العرب ، وأساليب العرب في الحكم والإدارة ، والجيش في الإسلام ، وأمراء غسان ، والنصارى في عهد محمد وأبي بكر وعمر ، والسيرة النبوية وترجمتها إلى اللغة الإنكليزية ، وترجمة القرآن الكريم ورأي العلماء الأولين فيها ، والجزية والخراج في أوائل الإسلام ، وتاريخ المعتزلة وفلسفتها وأشهر رجالها ، والتصوف الإسلامي العربي ، والحسن البصري حتى الحلاج ، وجماعة إخوان الصفاء ، وأمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، والغزالي في دمشق والقدس ، والتاريخ عند ابن خلدون ، وتأثير الإسلام في دانتي ، وتأثير الأدب العربي في سرفنتس ، وأعظم ساعة في تاريخ الشرق الأدنى الحديث ، والهداية في الإسلام ، والثقافة العربية ، وأعياد العرب في الجاهلية والإسلام ، وأخلاق عربية ، وفضل الطلاب والكتب الصفراء ، والإسلام والعروبة والقومية ، والإسلام والأتراك ، والامتحان في الأخلاق ، ونعمة الجهل ، والتخصص في طلب العلم ، والقراءة والمحادثة .

وخلاصة الكلام ان الكتاب قد حوى موضوعات متشعبة النواحي ، عديدة الفوائد في حضارة العرب والإسلام ، قد لخصها وقدمها للقراء في صفحات قليلة يشكر عليها أجزل الشكر .

ع . ك

***

الماء في حياتنا وتراثنا

تأليف : عبد القادر عيّاش

عدد صفحاته ٦٤ ، دير الزور ١٩٦٩ م

هذه رسالة طريفة في الماء تتألف من الفصول الآتية : الماء في اللغة العربية ، الماء في أسماء الأماكن والمعاني والأعلام والأشياء والمصطلحات ، مجامع الماء على سطح الأرض ، آنية الماء عبر الأزمنة والأمكنة ، تطور حصول الإنسان على الماء للشرب والسقي ، الماء أساس الكثير من معارف الأقوام وصناعاتها ، تعريف الماء وتكوينه وقدمه وصفاته ودورته وأهميته ، مصادر المياه ، السحاب والمطر ، البحار ومياهها ، البحيرات ، دور الأنهار الكبير في حياة سكان الكرة الأرضية ، الغابات مظلات خضراء لحفظ الماء ، مساقط الماء ، الشلالات والخيرات التي يجنيها الإنسان منها ، البرك والمستنقعات ، البئر ودورها الكبير في حياة الإنسان قديماً وحديثاً ، تقديس الشعوب للماء ، الماء في أساطير الشعوب ومعتقداتها ، الماء في تقاليد الشعوب وعاداتها ، الماء في الفلسفة الإغريقية ، المياه المشهورة عند العرب ، مياه العرب ، وعبادة الماء عند العرب الجاهليين .

وبالرغم من صغر حجم هذه الرسالة فقد حوت بحوثاً قيمة تحتاج إلى بذل جهد كبير وعمل شاق في التنقيب والتنقير في مختلف المصادر والمراجع المبعثرة هنا وهناك ، والمذكورة في مظانها أو في غير محالها ، بطريق الاستطراد والصدفة ، فجمعها المؤلف بعد أن لقي النصب والعناء في سبيل ذلك ، وهي ذات صفحات قليلة وموضوعات جميلة ومفيدة ومنوعة ، فاستحق بعمله هذا ثناء الباحثين والمطالعين .

ع . ك

نقد وتقويم

لكتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان

الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة بين السنوات ١٠٥٦ — ١٠٨٦ م
تحقيق الدكتور علي سويم — أنقره ١٩٦٨ م — .

عندما يقوم المرء بدراسة تاريخ أوربة والعالم الإسلامي خلال العصور الوسطى يلحظ أن القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) كان من أهم المراحل في هذه العصور ، إن لم يكن أهمها ، ذلك لأن الأحداث التي تمت فيه تجاوزت في خطورتها أحداث القرون الفائتة حتى شكلت نقاط تحول في حياة المجتمعات الأوربية والإسلامية .

ففي هذا العصر قام النورمان بنشاطهم الذي مكنهم من السيطرة على صقلية وانكلترة وعلى جزء كبير من أرض القارّة الأوربية ذاتها ، وفيه ازدادت ضراوة حركة الاسترداد النصراني في الأندلس ، وظهرت حركة المرابطين في المغرب وقامت بنشاطها المؤثر في حين هاجر بنو سليم وهلال إلى إفريقية وحولوا أرض الشمال الافريقي إلى أرض عربية .

فاذا ما التفتنا إلى أرض المشرق الإسلامي والإمبراطورية الرومانية الشرقية وجدنا التركمان يهاجرون والسلاجقة يبدؤون بمدّ سيطرتهم عليها . إن انتصار السلاجقة قد أحدث تغييرات هائلة شملت أعماق الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية ، ومس التكوين البشري لمسلمي الشرق وبدأ بتحويل بيزنطه إلى بلد تركي . ويمكن أن نقرن هجرة التركمان من حيث الأهمية وبعد التأثير بالهجرة العربية التي رافقت الفتوحات الإسلامية الكبرى .

ولم يكن السلاجقة أول من حكم المشرق الإسلامي من الأتراك ، ولكنهم كانوا أول من قدم هذا المشرق كسادة لا كعبيد من أسواق النخاسة ، لذلك ملكوا قدرة التغيير الفاعلة .

وإنني لست هنا في صدد دراسة تاريخ السلاجقة وسيطرتهم على المشرق الإسلامي ، وكان بودي التنبيه إلى بعض النقاط الهامّة التي نجمت عن هذه السيطرة لتكون مقدمة لنقد نص أرخ لها ، ولكن ضيق المكان يحول دون ذلك .

لقد كتب بعض مؤرخي الشام وغيرهم الذين عاصروا السلاجقة عما تم في بلادهم من أحداث خلال فترة مدّ السيطرة السلجوقية ، ولكن من سوء الحظ ، إن معظم كتابات الشاميين قد فقدت ، ومع هذا فمن حسن الحظ أن المجلدات العشرة الباقية من كتاب بغيه الطلب لابن العديم تحوي جزءاً كبيراً مما دونه هؤلاء الشاميون ، ولكن على صعيد المشرق الإسلامي كلّه يعتبر غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن الصابىء المتوفّى عام ٤٧٩ ﻫ / ١٠٨٦ م أهم من أرخ الأحداث التي تمت زمن هجرة التركمان وانتصار السلاجقة . فغرس النعمـة كان من أهم رجالات بغداد البارزين وقد اطلع على تفصيلات عصره ووثائقه وسجل ذلك في تاريخ ضمنه أحداث السنين التي انصرمت بين ٤٤٨ ﻫ / ١٠٥٦ م — ٤٧٩ ﻫ / ١٠٨٦ م وجعله كالذيل لتاريخ أبيه .

ومن سوء الحظ أيضاً أن يكون هذا الكتاب في حكم المفقود ، ولكن من حسن الحظ أيضاً أن يكون سبط ابن الجوزي يوسف بن قزاوغلي صاحب مرآة الزمان الذي كتب كتابه هذا أكثر من مرة ، قد ضمن في إحدى المرات تاريخ غرس النعمة مجلدَيْه الثاني عشر والثالث عشر .

ولقد استفاد كثير من المعاصرين المهتمين بالتاريخ الإسلامي من تاريخ غرس النعمة هذا كما رواه سبط ابن الجوزي ، ومع ذلك لم يقدم أحد منهم على نشره لصعوبة النص وسوء حالة النسخ المخطوطة ولكن أقدم في العام الماضي الدكتور علي سويم ، المدرس في جامعة أنقره على نشر جزء كبير من هذا التاريخ ، مما يتصل ، حسب اعتقاده وتقديره ، بالأحداث المتعلقة بالسلاجقة ، ولقد اعتمد في نشرته هذه على أربع نسخ مخطوطة ، واحدة محفوظة في المكتبة الوطنيه بباريس تحت رقم — ١٠٥٦ — والبقية في استانبول ، واحدة

في مكتبة أحمد الثالث تحت رقم — ٢٩٠٧ — والأخريان في متحف الآثار الإسلامية تحت رقم ٢١٣٤ و ٢١٤١ .

ولقد قدم الدكتور سويم إليَّ مشكوراً نسخة من منشورته هذه ، فعلمت بها أن الكتاب أصبح في متناول القراء والباحثين وتلامذة التاريخ الإسلامي ، وأنا واحد منهم مهتم بدراسة التاريخ السلجوقي في بلاد الشام ،فرأيت من واجبي أن أبين الرأي في طبيعة وقيمة عمل الدكتور سويم .

لقد أخفق الدكتور سويم في تقديم نشرة علمية طال انتظارها ، فهو لايملك الحق — بصفته محققاً — أن يقول بأن هذا النص يتعلق بالسلاجقة لأنه يتضمن اسم أحد رجالاتهم . ويبدو لي أن الدكتور سويم قام بعمله وهو واقع تحت تأثير الطرق الفنية الحديثة في ترتيب الوثائق التاريخية وتنسيقها وتبويبها حسب الموضوعات ، وإذا صح تصوري هذا فان مثل هذا العمل يدل على فقر في المعرفة التاريخية ، ذلك أن كتابات المؤرخين العرب وغيرهم لا يجوز أن تعالج وتبوب بالطرق الوثائقية .

لقد ترك لنا المؤرخون نصوصاً ينبغي نشرها كما كتبوها لا على الصورة التي نود لو كتبوها عليها .

واجب المحقق تقديم نص صحيح مضبوط ولا يجوز له فيه التصرف من مثل إضافة المناوين أو اجتزاء بعض الأجزاء أو حشو بعض المادة ، لأن مثل هذه الأعمال لا تمت إلى الأمانة العلمية بسبب .

الباحث وحده في كتاب أو بحث مستقل يمكنه أن يتحمل تبعة القول بأن هذا الحدث له علاقة بتلك الجماعة أو ليس له علاقة ، ومثل هذا القول معرض دائماً للنقص أو الاعتراض .

لقد كان العالم الإسلامي وحدة متفاعلة برغم وجود التجزئة السياسية ، وتاريخ غرس النعمة متصل كله بالسلاجقة ، وهو في الوقت ذاته يمت إلى الفاطميين في مصر وإلى بلاد الشام وبقية أجزاء المشرق الإسلامي أيضاً بسبب

ولنضرب على هذا مثلاً بحملة السلطان ألب أرسلان التي قادها حتى أسوار حلب عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م . إن سبب قيام هـذه الحملة متصل بالحالة السياسية التي كانت قائمة آنذاك في القاهرة ومحاولات ناصر الدولة الحمداني للسيطرة على مقاليد الأمور هناك ، ولكن الدكتور سويم تغافل عن محاولات ناصر الدولة هذه ، واختار هو نفسه النص الذي ذكر ماجرى للحملة أثناء سيرها ، وليت شعري كيف يمكن دراسة حدث دون معرفة أسبابه ؟

لم يقم الدكتور سويم بضبط أي علم من الأعلام الوارد ذكرها في النص وبخاصة التركية منها ، على كونه تركياً متخصصاً باللغات ، وعلى أن عمله في ضبط النص وأعلامه هو واجبه الأول كمحقق ، وأعتقد أن معظم القراء سيحارون كيف يلفظون : تتش ، تكش ، بزان ، قطلمش ، أرتق . . . .

إنه لم يتبع في الكتاب قاعدة معينة بالنسبة للياء والألف المقصورة ومن الغريب أيضاً أنه أهمل ما يجب إعجامه وأعجم ما ينبغي إهماله : فهمذان مثلاً كتبت بالدال المهملة بينما جمادى طبعت بالمعجمة . وليس هذا في الحق كل شي ، كما أنه ليس بالمهم ، ولكن المهم هو أن الدكتور سويم عجز عن قراءة النص كما ورد في الأصل قراءة صحيحة ، فأنتج بذلك نصاً تبعثرت خلاله الأخطاء وجاءت جملُهُ في كثير من الأحيان لا تمت إلى العربية بصلة ، وليس لها أي معنى مفهوم .

ولقد حصلت على مصورة لكل من مخطوطة باريس وأحمد الثالث ، وقمت بمقابلة نصها بالنص الذي نشره الدكتور سويم فاستطعت تقويم معظمه ، ولقد استعنت بعدد من المصادر الأخرى منها : بغية الطلب وزبدة الحلب لابن العديم ، وتاريخ العظيمي ، واتعاظ الحنفا للمقريزي ، وأخبار مصر لابن ميسر . والجدول المرفق يتضمن بعض أهم الأخطاء الواردة في منشورة الدكتور سويم

مع ما أراه من الصواب ، ولا يتضمن هذا الجدول جميع أخطاء النص لأن ذلك يعني إعادة تحقيق النص ونشره من جديد . وأنا أعتقد بأن هناك ضرورة ملحة لنشر النص الكامل لتاريخ غرس النعمة كما رواه سبط ابن الجوزي ، وأرجو الله أن يوفقني في المستقبل للقيام بذلك .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب (١)
١	٤	وزُعم	زَعم
٣	٧	يخرج	نخرج
٣	١٠	تاجا مرصعا	وتاجا مرصّعا
٣	١١	منبثا فيها	مثبتا فيها
٤	٩	البلاد العلياء	البلاد العليا
٤	١٤	فوقع مقلد العرب	فدفع مقلد العرب
٤	١٥	أولادهم أصحابهم	أولادهم وأصحابهم
٤	٢٠	وأنه على تفر فيه فيالعرب	وأنه على تفريقه في العرب
٥	٤	خليل أميرالمؤمنين وخالصة أبي محمد .	خليل أميرالمؤمنين وخالصته أبي محمد .
٥	٥	مصطفى الدولة خصيصها	مصطفى الدولة وخصيصها
٥	١٢	وثلث زوارق	وثلاث زوارق
٦	٢١	وأنتم ترجمون على الدولة	وأنتم ترجفون على الدولة
٧	٣	وسئت السممة	وساءت السمعة
٨	١٥	فاذهب إلى الديون	فاذهب إلى الديوان
٩	٣	وأعفاها من الغز	واعفائها من الغز
٩	١٠	ومعاذاللهأنيشقعصىأو يمد وعداً ولا يفي به .	ومعاذ اللهأننشق عصاأونمد وعداً ولا نفي به .

(١) معتمداً على أصلَيْ باريس وأحمد الثالث إلاّ ما أضيف فوضع بين حاصرتين ،

١٠	٣ و ٤	فلم أعل يدي وأنتم حيلي من يبدل الأموال ويوسمني في الأعمال واغلظ الرسل.	فلم أغل يدي ، وأنت خلي، من يبذل الأموال ويوسمني في الأعمال وأغلظ للرسل.
١٠	١٨	وخلعه جميلة لقريش وقريش بمركب ذهب .	وخلعة جميلة لقريش وفرس بمركب ذهب .
١٢	٦	وحمل إليها الأموال	وحمل إليها الأموال
١٤	٥	خلعه أبيه من مصر	خلعة آتية(أوأتته) من مصر
١٥	١٠	طرطور أحمر بودع وأخذ من الرجلة درام	وطرطور أحمر بودع،وأخذ من رحله درام
١٥	١٩	جسرا على السراب الأول	جسرا على الزاب الأول
١٦	٣	نية غزاة الروم وكان معه خلق كثير فتفوص به عن من ابراهيم ينال .	بنية غزاة الروم وكان معه خلق كثير فتموض به عن إبراهيم ينال .
١٦	٢٠	وإني أجود معي ألف غلام	وإني أجرد معي ألف غلام
١٧	١٠	ويعود إلى ما كنا عليه	ويعود إلى ما كان عليه
١٧	١٥	وسألوا إبماد ابن ورّام	وسألوا إنفاذ ابن ورّام
١٧	١٩	أنعم عليّ السلطان بقاء نفسي	أنعم عليّ السلطان ببقاء نفسي
١٧	٢٢	وتقرر ما في أيديهم	وتقرير ما في أيديهم
١٨	١	فلو أمنوا بعده هذا الجيش	فلو آمنوا بعزة هذا الجيش
١٩	١	وتوثق منه وطابت قلوبهم	وتوثقوا منه وطابت قلوبهم
١٩	٤	فشغفت الجماعة	فشفعت الجماعة
١٩	١٩	قد سبقت على السبعين	قد نيفت على السبعين
١٩	٢٢	وكان الأمير ياقوتي بسبب السلطان .	وكان الأمير ياقوتي نسيب السلطان .

٢٠	٩	وقرب من حلل العرب	ولما قرب من حلل العرب
٢٠	١٨	ولا قبل له هدية وردها	[فامتنع]ولا قبل لههديةوردّها
٢٢	١١	عطية بن الرؤقلية صاحب حلب .	عطية بن الزُّوْقَلية [أخي] صاحب حلب .
٢٢	١٤	وسار إلى سنجار	وسار[السلطان] إلىسنجار
٢٢	١٩	ونقضت أحشابها ودرست آثارها وقيل إن القتلى .	ونقضت أخشابها ودرست آثارها وقيل إن القتل .
٢٣	١٨	وأقام السلطان قلعة تكريت إنسانا .	وأقام السلطان في قلعـــة تكريت إنسانا .
٢٤	٤	والجنائب والمهادية	والجنائب والعمارية
٢٤	١٥	ما لم يثق معه احتشام	ما لم يبق معه احتشام
٢٥	٧	وعامة مثلثة مذهبة	وعمامة مثلثة مذهبة
٢٦	١	ثم أذن أمير المؤمنين تفاض عليه	ثم أن أمير المؤمنين أفاض عليه
٢٧	١٩	ثم يشكوه فقال : لما سلمت إليه الجبل .	ثم شرع يشكوه فقال: لما سلمت إليه الجبل .
٢٩	٩	اينا نجيك الذي خلعـــه السلطان بقلعة .	اينا نجيك الذي خلَّفـه السلطان بقلعة .
٢٩	٢٠	في يوم أربعاء	في يوم الأربعاء
٣٠	١٩	لا تُوقّفْ	لأتوقف
٣١	١٨و١٩	فتملكها وتأخذ من همدان ما بها خزائن السلطان .	فيملكهاويأخذ من همذان ما بها من خزائن السلطان .
٣١	٢٤	واستوثق	واستوثقوا
٣٢	٤	فمنع	فمنعها
٣٣	٢٠	إلى بغداد وأيضاً	إلى بغداد أيضاً

٣٤	٥	فبرزت الرسول	فزبرت الرسول
٣٤	٦	من عبث المرقية	من عبث المراقية
٣٤	١٠	رئيس الرؤساء واستقر الرأي مع الخليفة عبور .	برئيس الرؤساء واستقر الرأي مع الخليفة على عبور
٣٤	٢٠	وصبّح النساء والأطفال	وضج النساء والأطفال
٣٦	٢ و ٣	وما فعلوا ويستحثونه على إلحاقهم وأقاموا مع كامرو إلى وقت المساء ثم حمله .	وما فعلوه ويستحثونه على لحاقهم وأقاموا مع كامرو إلى وقت المساء ثم حملوه .
٣٦	٦	وجهه بما يكره وحصل في جملته غير متهم على وحدة .	وجاهره بما يكره وحصل في جملته غير متهم على واحدة منها.
٣٧	٩	رحلة	رجله
٣٩	٨	وعلى رأسه اللؤلؤ	وعلى رأسه اللواء
٤٢	٨	أعداء	أعدائي
٤٢	٢٠و٢١و٢٢	وعبر في طيار أعلام المصريين ونحن بين يديه أبو منصور ابن بكران حاجب الخليفة على رأسه في البحر .	وعبر في طيار الخليفة وعلى الطيار أعلام المصريين فصلّى العيد ونحر بين يديه أبو منصور ابن بكران حاجب الخليفة على رأسه في النحر .
٤٣	١٨	فبعث البساسيري	فبعث للبساسيري
٤٤	٦	وفأتت	وفاتت
٤٥	٦	أبو الأعز	أبو الأغر
٤٥	١٣	خاطب للبساسيري	وخاطب البساسيري
٤٥	١٤	فلم يقع إجابة	فلم تقع إجابة
٤٥	١٦	حتى	حين

٤٦	١٤	إلى	إليّ
٤٦	١٩ و ٢٠	اجتمعوا من فيها	اجتمعوا مع من فيها
٤٧	١٣	يبدر	يبدو
٤٧	١٧	يُرجاله	برجاله
٤٨	١	إقامة	وإقامة
٤٨	١٤	يخلصهم من الحصار ويكون بعدوهم .	تخلصهم من الحصار ويكون تمددهم .
٤٨	١٥	ولا تُمكّن	ولا تتمكن أو ولا تكن
٥٠	١٨	لهما	لها
٥١	٤	ومال أرسلان خاتون	ومال إلى أرسلان خاتون
٥١	٢٠	وتستكب لهمن نأمنه ونتحقق الدماء وتحفظ .	ونستكتب لهمن نأمنه ونحقن الدماء ونحفظ .
٥٥	٢٣	ولا يحمل عليه	ولا يحمد عليه
٥٣	١٤	من القلعة	في القلعة
٥٣	٢١	ليلا بشعثها	لئلا يشعثها
٥٤	٢	ثلاثمائه ألف	ثلاثة آلاف
٥٤	٢٢	ونهب أموالاً	ونهب أموالها أو أموال [أهلها]
٥٥	٣	فظن عليه	فطمن عليه
٥٥	١٧	ولا تطأ	ولا يطأ
٥٦	١	المعظم الملك المشرق	المعظم ملك المشرق
٥٦	٩	استقل	ليستقلّ
٥٦	١٥	لم يوافق	لم يوفق
٥٧	١٨	يطيمه	يطامعه
٥٧	١٩	قرية	قربه

٥٨	٧	وغرقهم	وغرقوهم
٥٨	١٠	دار تساوي	دار ، كل دار تساوي
٥٩	٤ و ٥	تخرج وتقصد بلد بدر بن مهلهل وتكون .	نخرج ونقصد بلد بدر بن مهلهل ونكون .
٥٩	٩	وأنا على وجل أمر الخليفة	وأنا وجل على الخليفة
٥٩	٢٠	ومعهم النجاتي عليها السرادق الكثير	ومعهم النجائب عليها السرادق الكبير
٥٩	٢٢	ثلثه	وثلاثة
٦١	١	ثم شفع	ثم تبع
٦١	١٢	نصلح الحرب	نصلح للحرب
٦١	١٣	فإذا أخرج بنفسه	فإذا خرج بنفسه
٦٢	١٠	وأنفس	وأتمس
٦٢	١٧	هذه المدة يخدمه	هذه المدة [وهو] يخدمه
٦٣	١	ونزح الجفاء	وبرح الجفاء
٦٣	١٠	وألقى	وألفى
٦٣	١١	أغر الظالم	وعز الظالم
٦٣	١٢	بل تغرّ	بك نعز
٦٤	١٠	سرا من باب منيع	سرايا بن منيع
٦٥	١٨و١٩	بنا كرم	نبا كرم
٦٦	١	السلطان سامع مطيع لأوامره ومراسيمه إلاّ أن البدرية.	للسلطان سامع مطيع لأوامره ومراسيمه إلاّ أن للبدوية .
٦٦	١٨	ويشاغلوا	وتشاغلوا
٦٧	٦	الثلثة	الثلاثاء
٦٧	١١	المحصور	المحظور

٦٩	٧	بها الشرف	بهاء الشرف
٦٩	١٩	تب	بت
٧٠	٣	فقبلها وفعل مافعل فقتل أقبح قتله ويقال إنه .	فقلبها وفعل مافعل فقتل أقبح قتله ويقال إنهم .
٧٣	٩	المكذبين	المكدبين
٧٣	١٤	واستعجبت	واستعجمت
٧٤	١٦	وتمادوا	وتنادوا
٧٥	٣ و ٤	وتهددهم وبأن	تهددهم وبان
٧٦	١٧	عين السلطان	عن السلطان
٧٨	٢	وصلنا	وصلوا
٧٨	٢١	متولي	لتولي
٧٩	٣	إن لم	إذ لم
٧٩	٦	متفيضا	منقبضا ؟
٨٠	١٨	لا يطلبها	لا يطلبا
٨٠	٢٢	الوم	الوهن
٨٣	١٦	فارعة	فارغة
٨٣	١٧	البيت	البنت
٨٤	٥	فإذ المقتول	فإذا بمقتول
٨٥	٣	منهم	منه
٨٥	١٢	بمن يأنس به ويجب أن نمود إليه ونكون .	ممن يأنس به ويجب أن تمود إليه وتكون .
٨٥	١٧	عميد الملك العراق إلى السلطان	عميد الملك إلى السلطان
٨٦	٤ و ٥	المهتم بخمارتكين فخضر	المتهم بخمارتكين فحضر
٨٦	١٤	وختق	وضيق

٨٦	١٨و١٩	وعاد إلى السلطان	وعاد به إلى السلطان
٨٧	٢	ومصادراتهم	ومصادرتهم
٨٧	١٧	وكانت	وكاتب
٨٨	١٢	فتوقع من	فتوقف عن
٨٨	١٤	للقاضي	لقاضي
٨٨	١٦	وخروج	وخرج
٨٨	١٩	على ركابية	على الركابية
٨٨	٢٢	أظهرت	ظهرت
٩٠	٣	اقبض	قبض
٩٠	٨	دار المملكه الكرم	دار مملكه الكرم
٩٠	١٦	ولما سفاك الدماء من أصحابه	وسفاك الدماء في أصحابه
٩٠	١٧	لما مات	ومات
٩١	١٠	ماأخرنا إلا ليصل ابن صاعد ويسمع .	ماأخرناه إلا ليصل ابن صاعد ونسمع .
٩٣	١٣	واستدعيت عميد	استدعيت وعميد
٩٣	١٥	فلما رأى	فلما رآني
٩٣	١٨	ما شرف فرجية	ما شرف به ، فرجية
٩٥	٧	ابن المحلبان حمله من أدّاه	ابن المحلبان في جملةمن آذاه
٩٧	١١	وفرطه	وقرظه
٩٨	١٠	لفراح	لبراح
٩٨	١٤	لا يخرج من بغـــداد مع ركن الدين ولا ينتقل .	لا تخرج من بغداد مـــع ركن الدين ولا تنتقل .
٩٩	١٦	ساكنه	شاكية
٩٩	١٩	وألزمها ويتبعها	وألزمها ولم يتبعها

٩٩	٢٠	وكان من فعل	وكان كل هذا من فعل
١٠١	٨	فاتباعه	فابتاعه
١٠١	١٤	غير أنه اقتراحات	غير أنه اقترح اقتراحات
١٠١	٢١	وكان يجدد	وكانت تجددت
١٠١	٢٢	ومقدار عسكر الذين	ومقدار عسكره الذين
١٠٢	١٤	الفرات عاد	الفرات وعاد
١٠٢	١٥	أصحاب أطراف	أصحاب الأطراف
١٠٢	١٨	يتجدد واستدعام	تجدد واستدعاؤهم
١٠٤	٧	ورام أعذار	ورام إنحدار
١٠٨	١٧	والآمالكم	وآمالكم
١٠٩	٢٠	الموالي	الوالي
١١٠	١٨	واستجاس	واستجار
١١٠	١٩	إلى ساوة معه	إلى ساوة ومعه
١١٠	٢١	فجسّره	فجسر
١١٦	١	زائرا	زائدا
١١٦	٤—٧	إبداعا للصنائع عندالأكفاء وأبدأالمواضع بأعباء الإخلاص الناهضين والاستكفاء ولما احتويت عليه هذه الخلال وأوفيت وحميت منهل الطاعة من القذى وأصفت وأعذب في المدى وأبديت وأبدت وخرت .	إبداعاً للصنائع عند الأكفاء وإنداء المواضع بأعباء الأخلاص الناهضين بالاستكفاء . ولما احتويت على هذه الخلال وأوفيت وحميت منهل الطاعة من القذى وأصفيت وأعذبت في المدى وأبديت وأبدت وحزت .
١١٦	٨	ما لم يدركه به أمل	ما لم يدركه أمل

١١٦	٩	وحصك بما تملك به نواحى	وخصك بما تملك به نواصي
١١٧	٥	يتحرصون	ويتخرصون
١١٧	٨	نظام الملك إلى نخجوان	نظام الملك انتقل إلى نخجوان
١١٨	١١	ولم يحل	ولم يقل
١١٨	١٢	وأشاهده هذه فاجتهدت	وأشاهده فاجتهدت
١١٨	١٢	وحدث	وحُدِّثت
١١٨	٢٣	مناسفة	منافسة
١١٩	٢	كرمان لما خلت	كرمان ولما خلت
١١٩	٦	فأُعلم	فعلم
١١٩	١٢	مزّق عن الطاعةواصطرح	مرق عن الطاعة واطرح
١١٩	١٣	عابدا	عائذا
١١٩	١٣	مما يدرك	فما يدرك
١١٩	١٧	يبلغه	يلقه
١٢١	٩	مظهرا فلما قصد	مظهرا قصد
١٢٢	٨	لهم	له
١٢٢	١٢	البسترخس	البترخس
١٢٢	١٥و١٦	احتفنه من المهات ونبط	احتفته من المهات ونيط
١٢٤	١٥	وكان يشمره	وكان يشعر ومن شعره
١٢٤	١٦	مُسْتَحَلٌ	مُسْتَحلي
١٢٤	٢٠	والشامة	والشامت
١٢٤	٢٣	نبأ	بناء
١٢٧	٢	كانت قدور	كانت [في] قدور
١٢٧	٣	غزاء	الغزاة
١٢٧	٥	وانقضدت	وانقضت

١٢٧	١٠	صفر خرجت	صفر وخرجت
١٢٧	١٤	(و) ولدها	ولده
١٢٨	٢٢	فيخنق	فليخنق
١٣٠	٤	الذي عليه	التي عليه
١٣١	٨	زور أحرضه	زوراً خرصه
١٣٢	١٩	اقترضها	اقترضتها
١٣٣	٢	معهم	معه
١٣٣	٥	فنسير إليه وتقاتله	فتسير إليه وتقاتله
١٣٣	٦	ومعه بني	ومعه من بني
١٣٣	١٠	وأصلح المال	وأصلح الحال
١٣٣	١٠	كل وحد	كل واحد
١٣٣	١٨	من المال	عن المال
١٣٤	٥	الخليفة كان	الخليفة وكان
١٣٥	٩	عن التهاو[ن] أن	عن آلتها وأن
١٣٥	١١	عنهم	عنه
١٣٥	١٢	تجب وترجع	يجب ويرجع
١٣٥	١٣	وغيضا	وغيظا
١٣٦	٢٠	وانبساط	وانبسط
١٣٧	٥	إليه	إليهم
١٣٨	١٦	بصبيح خمسمائة ألف دينار وراسل من في القلة .	بصحيح خمسمائة ألف دينار وراسل من في القلمة .
١٣٨	٢٠	إلا " خرافيٌّ	إلا إنحرافي ـ أو خلافي
١٣٩	١٨	جشار	حيار
١٤٠	١٥	بالمطاولة وله فيما	بالمطاولة فيما

١٤٢	١	وبينك ويضرب إلاّ	وبينك إلاّ
١٤٢	٢	لا إليّ	لا لا
١٤٢	٤	وغير	وغيره
١٤٢	١٣	بني كلاب	بني كلب
١٤٣	١٢	فمسكره	فمسكر
١٤٤	٣	من حازن(؟) إلى بلادالروم	منحازين إلى البلادالتيللروم
١٤٤	٧	قوره	فردّه
١٤٤	٨	خاصه	خاصته
١٤٤	١٩	العراقيين عسكر	العراقيين من عسكر
١٤٥	١١و١٢	وطلبتُ حراستي وحراسة	وطلبتَ جرايتي وجراية
١٤٦	١٩	وحزبْه	وحربه
١٥٠	٤	وبلادي	وبلائي
١٥٣	١٤	نعمان	لمهان
١٥٤	١٦	أولا إلى	أولاً أولاً إلى
١٥٦	٧	قبيح	بقبيح
١٦٠	١٥	طري	طرأ
١٦٣	١١	ألموت	الموت
١٦٤	٦	كانوا	وكانوا
١٦٤	٢١	الناس	اياز
١٦٥	٢	الناس	اياز
١٦٥	٣	أطمعتهم	أطمعتيهم
١٦٦	٢١	وبي	ربّي
١٦٧	١٩	بأنه	لأنه

١٦٨	١٣	وأخذ	وأحد
١٦٨	١٨	فتركاها	فتركاها
١٦٨	٢٠	وبعث إلى كرمان يستدعي خيلاً فجاءته .	وبعثا إلى كرمان يستدعيان خيلا فجاءتها .
١٦٨	٢١	إليه الموكلون به وأعلموه	وجاء إليهما الموكلون بهاوأعلموهما
١٦٨	٢٢	وجعلها في بيت مظلم وأغلق	وجعلاهما في بيت مظلم وأغلقا
١٧٠	١٦	علمته ذهبا واسلم لعمله	عملته ذهبا ولسلم لعملته
١٧٢	٥	بني كلاب	بني كلب
١٧٢	١٨	وهو على السبب	وهو كان السبب
١٧٣	١٢	خرجت	جرحت
١٧٣	٢٠	منهزما على رقبته	منهزما على رفنية
١٧٤	١٣	الذي به	الذي بعث به
١٧٨	٩و١٠	وأخذها خفارة	وأخذ صور خفارة
١٧٨	٢٠	من يقتضي استعمال ذلك وابعادي عن الخدمة ونصري .	ما يقتضي استعمال ذلك وابعادي عن الخدمة ونظري .
١٨١	١١	مقطع (له) حلوان	فقطع حلوان
١٨٣	١٢	ما يغمكم	ما يعمكم
١٨٥	١٤	صورها	سورها
١٨٦	١٣	منهم	منه
١٨٧	٨	بابن القشيري	بأن ابن القشيري
١٨٨	١٤	يُعرف	نعرف
١٨٨	١٥	يُرى	نرى
١٨٨	١٦	إلا غضا	الإغضاء

١٨٩	١٠و١١	لهم وسماع وتعبيرفمن راجمك	لهووسماع وتعبيرفمن زاحمك
١٩٢	١٧	ومذ عنقه	ومدّ عنقه
١٩٢	١٩	يُغلى	تَلقى
١٩٢	٢٠	ولو	ولقد
١٩٤	٥و٦	يخبر الانسان على الانتقام	يجبر الإنسان على الانتقال
١٩٤	١٤	يضاد	نضاد
١٩٦	٧	فثأر	فثار
١٩٦	١٤	ونقل	ونقلوا
١٩٧	٦	إليه ورقة بخطه لكل أجل كتاب : وقد أوعدناك إلى والدتك لما سلف ، فبعث .	فبعث إليه ورقة بخطه لكل أجل كتاب : وقد أعَدْناك إلى والديك لما سلف ،
١٩٧	٢٠	إلى الشام	إلا للشام
١٩٨	١٢	فاحتاج	فاجتاح
١٩٩	٥	من كل راجل	ومن كل راجل
١٩٩	١٨	عودتُ	غدوتُ
٢٠٢	١	بتعزيته عزى	بتغريقه غرقت
٢٠٢	٧	أكثريتهم	أكريتهم
٢٠٢	٢١	بابنته	بأخته
٢٠٣	٢	أموالا	أموالي
٢٠٥	١٢	وتلاحقوا	وتلاحق
٢٠٦	١٧	بقتال	لقتال
٢١٠	٥	وُعلت	وعلت
٢١١	١٠	رُفع	رَفَع

٢١٢	٩	أقلب به	أقلت بها
٢١٣	١٥	الملكة ما	المملكة
٢١٣	١٧	إذا	فإذا
٢١٤	٧	عشرة الآلاف	العشرة الآلاف
٢١٦	٦	عزاز والأثارب فسلماها فأفرج عنهاوعوضها الخانوتة.	اعزاز والأثارب فسلماها فأفرج عنهاوعوضها الخانوقة.
٢١٧	١٩	الجمه بقين	الجمعة لخمس بقين
٢١٨	١٩	وليعصيك	ويعصيك
٢٢٠	٢	تنتقل	ننتقل
٢٢٢	١١	أبغى	بغاء
٢٢٢	١٥	فأعاد	أعاد
٢٢٢	٢١	فقبض	وقبض
٢٢٣	٧	يرضاه	يرضاهم
٢٢٥	٨	وآباءك	وأباك
٢٢٦	٥	(و)	(من)
٢٢٧	٦	ليلا	لئلا
٢٢٨	٢٠	لا تغلق	لا نغلق
٢٣٠	١٥	فأرسل إلى ابراهيم	فأرسل ابراهيم
٢٣٢	١٢	الأمراء وفيّ	الأمر أوفى
٢٣٢	١٦	بعده	بعد
٢٣٣	١٣و١٤	إهانة كثير	هوانا كثيرا
٢٣٤	٦	مدح	مدحه
٢٣٥	٢	مجيبين	محبين

٢٣٥	٨	سفين	عفرين
٢٣٧	٣	فكتب إليه	فكتب إلى
٢٣٨	٢٢	هيئته لم يكن	هيئة لم تكن
٢٤٠	١٨	الرملة	الرمل
٢٤٠	٢٣	عميد	العميد
٢٤١	١٧	عقرقوق	عقرقوف
٢٤٢	٢	إلا من ولى مثل	الأمن ولا مثل
٢٤٣	١١	البرية	بالبرية
٢٤٤	٢	سته أيام	سنة وأيام
٢٤٤	٢١	لأمير بالفارسية :	للأمير أمير ـ بالفارسية ـ : أو لكل أمير أمير ـ بالفارسية ـ.
٢٤٥	٧	السيدة	السدة
٢٤٦	٤	المرداق	المرادق
٢٤٨	١٥	مع من سلامة	مع سلامة
٢٤٨	١٧	يستدعيه	نستدعيه
٢٤٩	١و٢	بدوابه بغلة	بذوآبة وبغله
٢٤٩	٦	ونزلت	ونزل
٢٤٩	١٣	مصمة	مصمت
٢٤٩	١٩	تأوي	تأدى
٢٥٠	١١	موافقك	موافقك
٢٥٠	١٦	وجاهة	ووجاهة
٢٥١	١٨	الخادم في	خادم في
٢٥٢	١	ولدك الب أرسلان التقوى	ولدك إلى الب أرسلان للتقوي

٢٥٣	٧	إيثاره إيثار	إيثاره وإيثار
٢٥٣	١٧	ولا ترتكد	ولا ترتكب
٢٥٤	١	المسير	للمسير
٢٥٥	٥	عوض	عرض
٢٥٥	٦	لانقاربهولانواريهولانواريه ونشبهه ولا نضاهيه .	لا يقاربه ولا يوازيه ولا يشبهه ولا يضاهيه .
٢٥٥	١٩	باضافة	بافاضة

الدكتور سهيل زكار



آراء وأنباء

الدورة السادسة والثلاثون
لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة

لبيتُ الدعوة التي وجهت إليَّ ، للاشتراك في الدورة السادسة والثلاثين للمؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة والتي ابتدأت في ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ وانتهت في ٢ شباط (فبراير) ١٩٧٠ ودُعي إليها جميع الأعضاء العاملين في الأقطار العربية وبعض الأعضاء المراسلين من عرب وأجانب .

جلسة الافتتاح :

عُقدت هذه الجلسة العلنية في إحدى قاعات مبنى جامعة الدول العربية في القاهرة في تمام الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين في ١١ ذي القعدة سنة ١٣٨٩ ﻫ الموافق لـ ١٩ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٧٠ م ، حضر الحفل وزير الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة باعتباره الرئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية ، ومعظم الأعضاء العاملين في هذا المجمع وبعض الأعضاء المراسلين ، إلى جانب جمهرة كبيرة من رجال وزارات الثقافة والتعليم العالي والتربية والتعليم وأساتذة الجامعات وجمع كبير من العلماء والأدباء والمفكرين .

وكانت الجلسة برياسة الأستاذ الدكتور طه حسين رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة ، فأعلن افتتاح الجلسة ودعا وزير الثقافة إلى إلقاء كلمته التي أشاد فيها بما قام به المجمع من جليل الأعمال في خدمة اللغة العربية وإغنائها بالمديد من المصطلحات العلمية والحضارية ، وتمنى أن يتوفر في المعاجم التي يضعها المجمع ، اليسر والوضوح بما يقربها إلى الأفهام ولا سيما على المبتدئين وقليلي الحظ من المعرفة ، وذلك حين يكتب المصطلح الجديد في المعجم العربي

غير مقرون بمقابلة الأجنبي ، ولا واقع في محيطه العلمي بل وسط التتابع الهجائي المتبع في كتابة المعاجم .

وأنهى كلمته معلناً اختيار محافظة القاهرة لقطعة أرض على النيل يقـام عليها مقر جديد للمجمع يلائم مكانته ولا يضطره إلى عقـد جلساته العلنية في غير داره الحالية الضيقة ، وآملاً أن يحتفل بوضع الحجر الأساسي للبناء في القريب ، متمنياً للمجمع دوام الازدهار لتتألق في داره إشعاعة الفكر العربي زاداً للإنسان العربي في معركته من أجل حياة كريمة تليق بتراثه الفكري .

وتكلم بعده الدكتور طه حسين مستهلاً كلمته بشكر السيد الوزير على مشاركته المجمع في عقد جلسته هذه ، ثم على كلمته الكريمة وما أعلنه من مساعيه الحميدة ليكون للمجمع دار خالصة له ، لا تضطره لأن يعيش عيشة البدو متنقلاً من مكان إلى مكان كلما احتاج إلى شيء من هذا ، ورحب بعد ذلك بالزملاء الذين أتوا للمشاركة في أعمال المجمع ، مشيراً إلى ضرورة مضاعفة الجهد وبذل أقصى ما يستطاع ليحقق للأمة العربية ما تسمو إليه من تحقيق الوحدة اللغوية إلى جانب ما تسمى إليه من تحقيق الوحدة بمعناها السياسي والاقتصادي . وأجاب على طلب سيادة الوزير الخاص بالمعجم ، بأن المجمع جاد في إعادة طبع المعجم الوسيط بعد ما أعاد النظر فيه بشكل أدق وأحسن مما كانه .

وأنهى كلمته بتجديد الترحيب بحضور الحفل ، سائلاً المولى أن ييسر في هذا المؤتمر ما يسر له فيما سبقه من النجاح والتوفيق إن شاء الله .

وتلاه الدكتور إبراهيم مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، فألقى كلمة مسهبة ابتدأها بالبحث في التأليف المعجمي وما خطا فيه العرب من خطا فسيحة فاقوا بها الإغريق والرومان ، غير محبذ ما يلاحظ من اتجاه جديد في ترتيب بعض المعاجم العربية وفقاً للحروف الأولى للكلمات دون التفات إلى التصريف والاشتقاق ، مما يحول دون الفهم الواضح والإدراك الدقيق لمدلول الألفاظ ، ودون تكوين ثقافة لغوية وسد حاجة من يريد تذوق اللغة وفهمها ، وإن كان المعجم الأبجدي الصرف يلائم بعض الأجانب والسائحين فقط .

وعدد بعد ذلك أعمال المؤتمر السابق وما قام فيه من بحوث في اللغة والنحو والآداب والبلاغة والمعجمات واللهجات ، وتحقيق التراث ، وإن هذا كله قد نشر في المجموعة الأخيرة للبحوث والمحاضرات . أما المصطلحات العلمية فقد أقر منها زهاء (١٥٠٠) مصطلح في علوم مختلفة ، كما أن المؤتمر السابق أقر إحدى عشرة مسألة بأوضاع اللغة وتصاريفها أو بالألفاظ والأساليب الشائعة . وعرض فيه قدر من مواد حرف الباء من المعجم الكبير ، وانتهى المؤتمر السابق إلى توصيات من بينها :

١ — تيسير نشر الكتاب العربي ومن بينه مطبوعات المجمع ، بين قراء العربية عامة وفي البلاد العربية خاصة .

٢ — تنسيق المصطلحات العلمية التي أقرها المجمع ومحاولة جمعها في معجمات خاصة .

ثم انتقل إلى عدد الجلسات التي عقدها مجمع اللغة العربية ولجانه في غضون العام الماضي وإلى استقبال أربعة زملاء جدد ، وأن المجلس فصل في جوائز المجمع الأربعة لعام ١٩٦٩ وكان موضوعها « الأسرة في الأدب العربي » ووافق على موضوع المسابقة الجديدة لهذا العام « دراسة عصر أدبي أو شخصية أدبية في أحد الأقطار في المغرب العربي » .

وانتقل في كلمته إلى لجنة المعجم الكبير ، فذكر أنها فرغت من مراجعة الجزء الأول وإعداده للطبع كما فرغت لجنة المعجم الوسيط من تنقيح الجزء الأول وهو معد للطبع أيضاً ، ومضت في مراجعة الجزء الثاني . وأتمت لجنة إحياء التراث تحقيق الأجزاء الثلاثة الأخيره من كتاب « التكملة والذيل » للصاغاني ، وتعد العدة لتحقيق كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني . وعرضت لجنة الألفاظ الحضارية طائفة من الألفاظ الخاصة بالثياب والمركبات والمواصلات .

ودعا الأمين العام لمجمع اللغة العربية ، العامَ المنصرم في تاريخ مطبوعات المجمع ، بعام المعجمات إذ أوشك أن يفرغ من الجزء السادس والأخير من

معجم ألفاظ القرآن ، وبالنظر إلى نفاد بعض أجزاء هذا المعجم ، فإن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر تتأهب لإخراجه مرة ثانية في جزءين وفي شكل ملائم .

وقدّم المجمع إلى المطبعة الأجزاء الستة لكتاب التكملة والذيل ، وشرع بتوزيع الجزء الأول ويؤمل أن يتتابع إخراج الأجزاء التالية ، كما أنه أوكل إلى دار الكتب إخراج الجزء الأول من المعجم الكبير .

أما مطبوعات المجمع الدورية أو التي بدىء فيها من قبل فقد أخرج :

١ ـ الجزء الخامس من « معجم ألفاظ القرآن » .

٢ ـ كتاب أصول اللغة الذي يحوي قرارات المجمع اللغوية في الدورات الست الأخيرة .

٣ ـ المجلد الحادي عشر من مجموعة المصطلحات .

٤ ـ مجموعة البحوث والمحاضرات للدورة الخامسة والثلاثين .

٥ ـ العدد الرابع والعشرين من مجلة المجمع .

وتحت الطبع الآن العدد الخامس والعشرون .

وانتقل الدكتور إبراهيم مدكور بعد ذلك إلى الحديث عن دأب المجمع في تقوية صلاته بالهيئات والمنظمات العلمية عاماً بعد عام ، في سبيل خدمة اللغة العربية والنهوض بها وتوحيد كلمتها بين الناطقين بها والعاملين في ميدانها ، ذاكراً اتصاله الدائم بجامعة الدول العربية ومتابعة مؤتمراتها الثقافية والاشتراك في لجانها العلمية كاللجنة التمهيدية لمعالجة مشكلة الأعلام الجغرافية العربية في اللغات الأجنبية ، والاشتراك في مؤتمر الآثار الذي نظمته الجامعة العربية ، ومؤازرة المجمع في إنهاء المعجم العسكري الموحّد الذي جاء ذكره في العام الماضي ، وإسهامه بنشاط مكتب التعريب بالرباط وهو فرع من الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . وبحث في اعتراضات هيئة اليونسكو على جعل اللغة العربية لغة عمل بها ، وأشار بعد ذلك إلى اشتراك مجمع اللغة العربية في القاهرة بالعيد الذهبي لمجمع اللغة العربية بدمشق وتعليم الطب باللغة العربية في جامعة دمشق ، في خلال الاحتفال بأسبوع العلم العاشر .

وأنهى كلمته بذكره استضافة مجمع القاهرة رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق في هذه الدورة، معدداً أسماء الأعضاء الذين اعتذروا عن الحضور، ثم شكر الأمين العام لجامعة الدول العربية لوضع هذه القاعة الفخمة تحت تصرف المجمع لعقد جلسة افتتاح مؤتمره فيها.

وعقب رئيس المؤتمر الدكتور طه حسين بعد انتهاء كلمة الأمين العام، بأنه يقدم إلى المؤتمر اقتراحاً، قال عنه إنه في غاية اليسر وهو:

أن يتاح لهذا المؤتمر في كل عام أن يسمع إلى جانب عمل مجمعنا اللغوي تلخيصاً لما عملته المجامع العربية الأخرى: مجمع دمشق، ومجمع بغداد، والهيئات التي تشتغل بما نشتغل به، وأرجو أن يكون ذلك مقدمة لوحدة المجامع العربية يوماً ما حين تتم الوحدة العربية.

أرجو أن تدرسوا هذا الموضوع وأن ترى المجامع العربية رأيها فيه.

ثم أعطيت الكلمة للأستاذ السيد محمد الفاضل بن عاشور استهلها بتحية أرض الكنانة ونيلها المبارك، مبدياً ابتهاجه بهذا اللقاء السنوي بهذه الفئة المختارة من رجال العلم والأدب واللغة، مستمطراً شآبيب الرحمة على زملاء أكارم فقدهم المجمع، وسائلاً المولى جل وعلا أن يحفظ الأمة العربية وأن يوفقها في استرداد البلاد العربية الأخيذة: القدس الشريف وضفة الأردن وعوالي الجولان وأرض سيناء.

وأعلن الرئيس بعد ذلك انتهاء الجلسة وقد بلغت الساعة منتصف الواحدة بعد الظهر.

أعمال المؤتمر:

ابتدأ المؤتمر بعقد جلساته اليومية اعتباراً من ١٩٧٠/١/٢٠ وكان يستغرق كل منها ٣ - ٤ ساعات، بلغ عددها تسعاً، عدا الجلسة الأولى التي تمت فيها مراسيم الافتتاح والجلسة الأخيرة العاشرة التي اقتصر جدول الأعمال فيها

على تدارس مقترحات الأعضاء ، وعلى عرض الأمين العام لأعمال المؤتمر ، ثم قرار مكتب المؤتمر القاضي بانتخاب عضو عامل من تونس وأعضاء مراسلين إلى جانب قرارات المؤتمر وتوصياته .

وكان انعقاد الجلسات المذكورة في دار مجمع اللغة العربية في الجيزة ، وترأس معظمها نائب رئيس المجمع الأستاذ أحمد زكي المهندس ، ولم يترأس الأستاذ الدكتور طه حسين سوى جلستين كانت إحداهما الجلسة الختامية ، ودعيت إلى رياسة إحدى الجلسات لغياب رئيس مجمع القاهرة ونائبه .

واشتمل جدول أعمال الجلسات على موضوعات شتى ، أغلبها المصطلحات العلمية والفنية التي قدمتها لجان المجمع المختلفة بعد عرضها خلال العام المنصرم في جلسات المجمع ، لإقرارها في المؤتمر نهائياً . فقد درج مجمع القاهرة على أن يحيل إلى لجانه العديدة ما يراد وضعه من المصطلحات ، ويشترك في أعمال لجان المجمع بعض الخبراء ذوي الاختصاص ، ويعرض ما تتفق عليه اللجـان من المصطلحات على المجمع في جلساته الأسبوعية التي يعقدها ، ويشترك في مناقشتها أعضاؤه العاملون ، ويترك إقرارها النهائي إلى مؤتمر المجمع السنوي الذي يضم عادة ، إلى جانب أعضائه العاملين من البلاد العربية المختلفـة ، بعض أعضائه المراسلين ، ويحضر مقرر اللجنة جلسة مناقشة المصطلحات التي وضعتها إحدى اللجان ، وهو في الغالب أحد الخبراء من غير أعضاء المجمع ، فيدافع عن الاعتراض الذي يبديه الأعضاء ، وتجري المناقشة التي تستمر ربع الساعة أو أكثر في بعض المصطلحات ، لينتهي الأمر بعد ذلك إما إلى إقرار المصطلح المعترض عليه أو تبديله وإما إلى رده إلى اللجنة لإعادة النظر فيه ، أو إلى لجنة الأصول لاستكمال النظر في صلاحه لغوياً ، وقد يرجأ البت فيه إلى مؤتمر مقبل .

ويُلقى في جلسات المؤتمر ما يهيؤه الأعضاء العاملون أو المراسلون من بحوث لغوية أو أدبية أو تاريخية ، وما يقدمونه من مقترحات لا تخرج عن نطاق أغراض المؤتمر أو الشؤون المجمعية المختلفة .

في الجلسة الثانية نظر المؤتمر في مصطلحات علم الكيمياء فأقر معظمها وعدل بعد المناقشة عدداً غير قليل منها وأعاد بعضها إلى اللجنة، ثم أعطيت الكلمة إلى اللواء الركن السيد محمود شيت خطاب، فألقى كلمة عن المعجم العسكري الموحّد[1] (انكليزي عربي) وقد أثنى الكثير من الأعضاء على الجهود التي بذلها سيادة اللواء الركن لإخراج المعجم إلى حيز الوجود والذي يؤمل أن يحل محل المعاجم العسكرية المختلفة في شتى البلاد العربية .

هذا وكان للأستاذ بهجة الأثري الذي اعتذر عن حضور المؤتمر، بعض التعليقات على مصطلحات الكيمياء وغيرها أرسلها إلى اللجنة ونظرت فيها وأخذت بالكثير منها (وبخاصة ما يتصل بالتعاريف والشروح الموضوعية) .

واشتمل جدول الأعمال في الجلسة الثالثة على النظر في مصطلحات الجغرافية (السلالات البشرية) ثم الجيولوجية، واقترح بعض الأعضاء تعديل طائفة منها كما أحيل القليل منها إلى اللجنة المختصة .

وألقيتُ في هذه الجلسة بحثاً عنوانه : متى تدخل المصطلحات العلمية في حيز الاستعمال[2] وقد عقب عليه كل من الدكتور إبراهيم مدكور واللواء الركن محمود شيت خطاب والدكتور محمد كامل حسين والدكتور عبد العزيز السيد والدكتور محمد أحمد سليمان، وقد أجمعت الكلمة على ضرورة السعي إلى جعل العربية لغة التعليم في الكليات العلمية للجامعات العربية وتشجيع التأليف بهذه اللغة .

وعلقتُ بعد ذلك على أقوال الزملاء، بالإشارة إلى الخطة التي اتبعتها جامعة دمشق منذ تأسيسها من إيجاد مطبعة خاصة بها تعنى بطبع مؤلفات الأساتذة الذين يلزمون التدريس، في خلال فترة معينة، بتهيئة المادة العلمية باللغة العربية، كما أن توحيد المصطلحات أمر لابد منه، وعسى أن تحذو المؤسسات

(١) انظر إلى نص هذه الكلمة في الصفحة ٢٨٧ من هذا الجزء من المجلة .
(٢) وهو منشور في الصفحة ٢٣٧ من هذا الجزء من المجلة .

المختلفة حذو اتحاد أطباء العرب ، في تكوين لجنة تضم أعضاء من المجامع الثلاثة إلى جانب بعض الخبراء لوضع معجم طبي انكليزي - عربي يؤمل أن ينتهي في غضون هذا العام .

ولقد كان مقرراً أن يلقي الأستاذ إبراهيم اللبان بحثاً في النقد الأدبي فأجل إلى جلسة أخرى وكذلك أجل النظر في مصطلحات الاقتصاد إلى الجلسة الرابعة .

وعُرضت في الجلسة الرابعة مصطلحات علم الأنسجة ومصطلحات علم الاقتصاد فأجري بعض التعديل على المصطلحات نفسها أو على تعاريفها ، وأن ضيق الوقت في المناقشات مع كثرة عدد المصطلحات المقدمة كثيراً ما كانا يحولان دون التحقيق والتمحيص الدقيقين في إقرار المصطلحات .

ونظر المؤتمر في جلسته الخامسة في المصطلحات السلكية واللاسلكية فأقر طائفة منها وأعاد بعضها الآخر إلى اللاجنة ذاتها أو إلى لجنة الأصول ، ثم انتقل المؤتمر إلى النظر في ألفاظ الحضارة (المركبات والمواصلات وما إليها) وقد تولى عرضها الأستاذ محمود تيمور عضو المجمع ومقرر اللجنة ، وأبديت الملاحظات عليها صفحة صفحة ، ووافق المؤتمر عليها . وعرضت بعد ذلك مصطلحات التاريخ الحديث والمعاصر ، فأقرت مع بعض التعديلات في التعاريف ، ثم ألقى الدكتور محمد كامل حسين عضو المجمع بحثاً في الموسيقى والتصوير في الشعر العربي ، وأرجىء التعقيب عليه إلى جلسة أخرى بسبب ضيق الوقت .

وكانت الجلسة السادسة برياسة الدكتور طه حسين فنظر المؤتمر أولاً في تقرير لجنة القانون عن المصطلحات الإدارية ، واحتدم النقاش حول بعضها لتعارضه مع ما هو متعارف عليه في سورية والعراق ، مما اضطر معه إلى إقرار أكثر من لفظ واحد لبعض المصطلحات . ثم نظر المجلس في مصطلحات المعجم الفلسفي وضع لجنة الفلسفة وتقديم مقررها الدكتور إبراهيم مدكور الأمين

العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة فوافق المؤتمر عليها . ولما طلب الرئيس الدكتور طه حسين التعقيب على بحث الدكتور محمد كامل حسين الذي ألقي أمس ، لم يبد أحد رغبة في التعقيب ، فشكر الرئيس الدكتور محمد كامل حسين على جهده العظيم الذي بذله في هذا البحث الجميل .

ونظر المؤتمر في جلسته السابعة في مصطلحات التربية وعلم النفس ، فنوقشت ألفاظها وتعاريفها وعدلت طائفة منها بعد أن أطلع المؤتمر على المصطلحات التي أرسلها الأستاذ عبد الله كنون ، واستمع المؤتمر إلى بحث قيم ألقاه الدكتور إبراهيم أنيس عضو المجمع بعنوان « في تأصيل كلمة السماء » وقد استوحاها الباحث حول ما يقال في غزو الفضاء ، وان كلمة سماء من أقدم الكلمات التي اهتدى إليها الإنسان السامي . وإنها مع مجموعة أخرى من الكلمات تمثل بعض العناصر السامية التي يتخذها الدارسون دليلاً على انتماء هذه اللغات إلى فصيلة واحدة . وقد اعتبر الأستاذ أنيس كلمته هذه غزوة لغوية أوحى بها غزو الفضاء .

وألقى الأستاذ عبد الحميد حسن في الجلسة الثامنة بحثاً عنوانه « بعض وجوه التهذيب والتيسير في القواعد النحوية » ذكر فيها بعض أوجه الخلاف بين الكوفيين والبصريين في أمور الإعراب وتأويلاته ودعا إلى ضرورة الأخذ بما ييسر على الطالب فهم القواعد . واحتدم النقاش في التعقيب عليه ، وبين المعقبين أنفسهم ، وتقرر أخيراً إحالة البحث على لجنة الأصول .

وانتقل المؤتمر إلى النظر في أعمال لجنة الأصول وتشتمل على ثماني مسائل فوافق بعد نقاش على أربعة قرارات ، وأعاد الأربعة الأخرى إلى اللجنة . والقرارات الأربعة التي وافق عليها المؤتمر هي : (١) جواز جمع فعل على أفعال (كبحث وأبحاث) ، (٢) قياسية جمع مفعول اسماً أو مصدراً على مفاعيل (كموضوع ومواضيع) ، (٣) جواز لحوق تاء الوحدة بالمصادر على

لفظها مثل فراغة وإتيانه ، وجواز جمع ما لا يعقل جمع تأنيث بالألف والتاء كجمع المؤنث وكذلك الكلمات المعربة مثل مارستان ومارستانات وكيلومتر بالكيلومترات ، كما يصح تمييز اللفظة الأخيرة على نحو تمييز الكلمات العربية فيقال سرت سبعة كيلومترات وسرت عشرين كيلومتراً ، (٤) جواز استعمال الكون الخاص بينما حذف الكون العام واجب ، وكثيراً ما يضطر إلى استعماله في التعبيرات العلمية مثل هذا حمض يوجد في عسل الشمع وهذه الكلمة موجودة في المعجم الوسيط صحيح ، وهو باب من الكون الخاص .

ودعيتُ الى رياسة الجلسة التاسعة وقد عرض فيها من مواد المعجم الكبير من حرف الباء من أول مادة « برط » إلى آخر الباء والزاي وما يثلثها . وسبق لهذه المواد أن وزعت على الأعضاء ونوقشت فعدل بعضها وأقر الكثير منها . ثم أعطيت الكلمة إلى فضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج فألقى بحثه الممتع وموضوعه « إذ وإذا ورأي أبي عبيدة » فبين أن لكل من إذ وإذا معاني خاصة تجب مراعاتها والتمييز بينها بدقة ، وأتى على ذكر شواهد كثيرة معظمها من القرآن الكريم . وعقب على البحث بعض أعضاء المؤتمر .

وكانت الجلسة العاشرة خاصة بألفاظ الحضارة لسنة ١٩٧٠ للأستاذ محمود تيمور .

أما الجلسة الحادية عشرة وهي الختامية فقد عقدت برياسة الدكتور طه حسين ، وجدول الأعمال فيها مقتصر على مقترحات السادة الأعضاء ، وعرض أعمال المؤتمر ثم القرارات والتوصيات فتكلم فيها الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة مبتدئاً بسرد أعمال المؤتمر في هذه الدورة السادسة والثلاثين معدداً ما ألقي فيها من بحوث لغوية وأدبية وما عرض في المؤتمر من نموذج المعجم الكبير وما أقره من مقررات لجنة الأصول ومن مصطلحات بلغ عددها ١٦٠٠ في علوم الكيمياء والأنسجة والنفس والفلسفة والجغرافية والتاريخ والمصطلحات السلكية واللاسلكية والحضارات فيما يتعلق

في المركبات والمواصلات . وذكر أن المؤتمر يؤيد استعمال الشائع من الألفاظ ما دام يفيد المعنى .

وانتهى المؤتمر إلى التوصيات والقرارات الآتية :

١ — يعلن المؤتمر سخطه العظيم على العدوان الآثم على الوطن العربي ، إن في فلسطين أو مصر أو سورية أو الأردن .

ويشهد العالم أجمع على أنه عدوان على بقعة مقدسة تضم أقداس الإسلام والمسيحية ويأمل أن تعلو كلمة الحق على كلمة الباطل وأن تسلم هذه الأرض الطاهرة من نشوب حرب ثالثة قد يصلى نارها سكان العالم أجمعون .

٢ — يوالي المؤتمر دعوته إلى وسائل إعلام ، وهي خير عون له على أداء رسالته ، ان تأخذ نفسها دائماً باللغة العربية السهلة الواضحة .

٣ — يوصي المؤتمر بأن تستحث الخطى لاستكمال تعريب التعليم الجامعي في البلاد العربية عامة .

٤ — وافق المؤتمر على الاقتراح المقدم من مجمعي بغداد ودمشق بانشاء اتحاد للمجامع العلمية واللغوية ، ورأى تكوين لجنة لوضع نظام هذا الاتحاد من السادة :

آ — الدكتور طه حسين ، والأستاذ زكي المهندس عن مجمع القاهرة .

ب — الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، والدكتور أحمد عبد الستار الجواري عن مجمع بغداد .

ج — الدكتور حسني سبح ، والدكتور عدنان الخطيب عن مجمع دمشق.

ويتولى الدكتور ابراهيم مدكور الأمانة العامة لهذه اللجنة .

٥ — انتخاب الأستاذ الشاذلي القليبي وزير الشؤون الثقافية بتونس عضواً عاملاً في المجمع في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب عضو المجمع الراحل عن تونس .

٦ — اختيار السادة الآتية أسماؤهم أعضاء مراسلين وهم :

آ — الدكتور أحمد عبد الستار الجواري من العراق

ب — الدكتور محمود الجليلي من العراق

ج — الدكتور عبد اللطيف البدري من العراق

د — الأستاذ سامي الكيالي من سورية

هـ — الأستاذ سعيد الأفغاني من سورية

و — الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة من تونس

٧ — تبليغ قرارات المؤتمر للجامعة العربية ووزارات التعليم العالي والثقافة في العالم العربي جميعه .

ودعا أن يكون لقاء المؤتمر المقبل إن شاء الله في الأسبوع الثاني من شهر فبراير (شباط) لعام ١٩٧١ .

الدكتور حسني سبح

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي

يمنح جوائز لأهم مخطوط نادر حول اللغة العربية

أو بحث في نفس الموضوع

يعتزم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي تنظيم مسابقات سنوية يوزع فيها جوائز باسم كل دولة عربيـة وذلك في موضوع يتصل باختصاصات المكتب ، وقد اختار هذا العام بمناسبة الذكرى الأربعينية لصاحب الجلالة ملك المغرب الحسن الثاني نصره الله لتدشين هذه البادرة أن يكون موضوع المسابقة التي تجري على الصعيدين العربي والإسلامي ما يلي :

— تقديم مخطوط قديم أو بحث حول اللغة العربية —

وتخصص لذلك جائزة قدرها خمسة آلاف درهم أو ما يقابلها من عملات أجنبية مع جوائز ثانوية أخرى ، ويشترط أن يكون المخطوط القـديم في موضوع اللغة العربية على شكل معجم أو دراسات أو أبحاث غميسة (لم يسبق نشرها) وأن يكون ذا قيمة جديرة بالاعتبار ، ويوجه إلى المكتب النص الأصلي أو صورة منه . كما يشترط أن يكون البحث مستوعباً أصيلاً لم ينشر قبل فيما لا يقل عن خمسين صفحة من الحجم المتوسط .

وستدرس المخطوطات والأبحاث وتخصص الجوائز من طرف لجنة تحكيم تتكون من ممثل المكتب الدائم مع أربعة خبراء في اللغة ، ويكون إرسال الوثائق من ١٥ شتنبر ١٩٦٩ إلى نهاية يونيه .

والإعلان عن النتائج سيتم في الوقت المناسب بعد هذا التاريخ .

وللمكتب الحق في نشر الطبعـة الأولى فقط من المخطوط أو الانتاج الحاصل على جائزة ، وكذلك نشر جميع الأبحاث القيمة الواردة على المكتب مع إهداء مائة فصلة من البحث المنشور لصاحبه .

ونسخ الأبحاث الواردة على المكتب لا ترجع لأصحابها بخلاف أصول المخطوطات.

ويهدف هذا المشروع أولاً إلى الكشف عن المخطوطات النميسة النادرة حول اللغة العربية من جهة ، ومن جهة أخرى إلى إثارة القرائح العربية للقيام بالدراسات اللغوية في نطاق الرسالة الجديدة التي تقوم بها اللغة العربية كلغة عمل في المحافل الدولية .

٢ — أن يكون المخطوط القديم لم يسبق نشره من قبل .

٣ — أن يكون المخطوط القديم في موضوع اللغة العربيـة على شكل معجم أو دراسات أو أبحاث غميسة (لم يسبق نشرها) وأن يكون ذا قيمة جديرة بالاعتبار .

٤ — تحديد الكتاب المخطوط وأوصافه وعمل دراسة عنه وعن مؤلفه وعصره وقيمته العلمية مع تحقيق النص .

٥ — المخطوط ينظر إلى قيمته وليس إلى حجمه .

٦ — أن تكون الدراسة فيما لا يقـل عن خمسين صفحة (٥٠) من الحجم المتوسط .

٧ — يجوز اشتراك أكثر من شخص في تقديم المخطوط أو البحث وفي هذه الحالة تكون الجائزة مشتركة بدورها .

٨ — يرسل البحث إلى مقر المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي .

٩ — يكون إرسال الوثائق من ١٥ شتنبر ١٩٦٩ إلى نهاية يونيه ١٩٧٠ .

١٠— تخصص الجوائز من طرف لجنة تحكيم تتكون من ممثل المكتب الدائم مع أربعة خبراء في اللغة .

حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديرة بالدراسة

[مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفها]

— ٦ —

ك د ب دَمٌ كَذِبٌ أي طَرِيٌّ .

ك ذ ب كَذَبَ لَبَنُ النّاقةِ وكَذَّبَ : ذَهَبَ . وكَذَبَ السَّيْرُ : لم يَجِدَّ . وكَذَبَ الحَرُّ : انكسر . الكَذِبُ : الإخبار عن الشيءِ بخلاف ما هو سواءٌ فيه العمْدُ والخطأُ .

ك ر ب أكربَ السِّقاءَ : ملأَه ، والإكراب المَلْءُ . وإناءٌ كَرْبانُ : إذا قارَبَ أن يمتلِيءَ .

الكرابُ : مجاري الماءِ في الوادي ، واحدُه كَرْبَةٌ .

الكَرَبُ : الحبلُ الذي يُشَدُّ في وسط العَراقِي لِيَلِيَ الماء فلا يَعْفَنُ الحبلُ الكبيرُ .

كَرَبَ الدَّلوَ وأكرَبها وكرَّبَها : شَدَّ كرابها . وفرسٌ مُكْرَبٌ : شديد الأسْر . والمُكْرَبُ من المفاصل ، المتلِيءُ عَصَباً .

كَرِب الرجلُ : أصابه الكَرْب وهو الغَمُّ .

الكَرَنيبُ : الجبيعُ ، وهو حليب ينقع فيه تمر . والكَرْنَبةُ : أكلُ التمر باللبن . والكَرْنَبةُ في مصر : المِغْرَفَةُ .

ك ز ب الكُزْبُ لغة في الكُسْب ، وهو عُصارة الدُّهْن ، والكُزْبُ : شَجرٌ صُلْبٌ .

ك س ب الكُسْبُ . عُصارَةُ الدُّهْن .

ك ع ب الكَعْب : قَدْرُ صُبَّة من اللَّبَن أو السَّمْن ، والأصل فيه كَعْبُ القَناة وهو أنبوبها .
كَعَبَ الإناءَ وغيرَه : ملأهُ . وكَعَّبْتُ الشَّيءَ إذا ملأته .
كَعَبَ الثَّديُ نَهَدَ . والكَعْبُ : الثَّدْيُ . ويقال ثَدْيٌ مُكَعِّبٌ ومُكَعَّبٌ ومُتَكَعِّبٌ أي كاعِبٌ .
الكَعْدَبَةُ والكُعْدُبَةُ : نُفَّاخات الماء التي تكون من المطر .

ك ك ب الكَوْكَبُ الماء . وكوكَب الماءِ مُعْظَمُه .
الكَوكَبُ من البئرِ : عَينُها الذي ينبعُ الماء منه .
الكَوْكَبُ : قطرات الندى تقعُ بالليل على النبات .

ك ل ب كَلِبَ الرَّجُلُ : عطش . والكَلَبُ : العطَش .
عام كَلِبٌ : جَدْبٌ . وأرضٌ كَلِبَةٌ إذا لم يَجِدْ نباتُها رِيّاً فَيبس . وأرض كَلِبَةُ الشجر : خَشِنة يابسة لم يُصِبْها الرَّبيع ولم تَلِن .
الكَلْبُ : أولُ زيادة الماء في الوادي .
الكُلاَبُ : ماءٌ لبني تميم . ووادٍ بشهلان به نخلٌ ومياه .
ونهرُ الكَلْب يصبُّ قرب بيروت من سواحل الشَّام .
أَسْتُ الكَلْب : ماءٌ نجديٌّ من مياه ربيعة .

ك ن ب الكَنِبُ شجرٌ . الكَنِب : اليابسُ من الشجر .
أكْنَبَت اليدُ إذا ثَخُنَت وغَلُظَ جلدها من معاناة الأعمال الشاقة .
الكَنْثَبُ : الصُّلْبُ الشديد .

ك و ب كابَ واكْتابَ : شرب بالكوب . والكُوبُ : كوزٌ لاعُرْوَةَ له .
كابَةُ : ماءٌ .

ل ب ب لَوْلَبُ الماء : الماء الكثيرُ يخرج من ثقب ضيق .

ل ج ب لَجِبَ البحرُ : ارتفع صوت موجه . واللَّجَبُ : اضطراب موج البحر .
اللَّجْبَةُ ، مثلثة الأول ومحركة وبكسر الجيم : الشاة قَلَّ لبنُها .

قال الأصمعي : وإذا أتى على الشاة بعد نتاجها أربعةُ أشهر ، فجفَّ لبنُها وقلَّ ، فهي لِجابٌ .

ل ح ب مَلْحُوب : ماءٌ لبني أسد بن خزيمة .

ل ز ب لَزَب الماءُ قَلَّ ولَزَب الطينُ : صَلُب ولَزِق .

اللُّزُوب : اللُّصُوق والقَحْط .

ل س ب لَسِبَ به : لَصِقَ .

ل ص ب لَصِب : لَزِق . ويقال : لَصِبَت جلودُ الإبل ، إذا لَصِقَتْ من العطش .

اللَّواصِبُ : الآبار الضيِّقة البعيدة القَعْر .

ل ع ب لَعَب ولَعِب : سال لُعَابُه . واللُّعابُ : ما سال من الفم .

ثَغْرٌ ملعُوبٌ : ذو لُعاب يسيلُ .

اللَّعْباءُ : سَبْخَةٌ بالبحرين .

ل غ ب لَغَبَ الكلب في الإناء : وَلَغَ وشرب منه .

ل و ب لابَ لُوَاباً ولَوَبَاناً : عَطِشَ ، فهو لائب . واللَّوْبُ : العطشُ ، أو هو استدارة الحائم حول الماء ، وهو عطشان لا يصل إليه .

اللُّوَابُ : اللُّعَابُ .

إبلٌ لُوبٌ ونحلٌ لُوبٌ ولوائب : عِطاشٌ ، بعيدة عن الماء .

قال الأصمعيّ : إذا طافت الإبلُ على الحوْض ، ولم تَقْدر على الماء لكثرة الزِّحام ، فذلك اللَّوْبُ .

ألابَ الرَّجلُ فهو مُليب : إذا عطِشتْ إبلُه ، أو حامت حول الماء من العطش .

ل ه ب لَهِبَ : عطِش ، فهو لَهْبَانُ أي : عطشان ، وهي لَهْبَى .

اللَّهَبَانُ كاللُّهَاب واللِّهْبَة : العطش .

وعن ابن سِيدَه : اللَّهَبان : شِدَّة الحرّ . وقال غيره : توقّد

الجَمْر بغير ضِرام ، أو هو اشتعال النَّار إذا خلَص من الدُّخان .
أَلْهَبَ النَّـــارَ ولَهَّبَهـا : أوقدهـا . وأَلْهَبَ الفرسُ : اضطرمَ جَرْيُه .

ن ب ب تَنَبَّبَ الماء تَسَيَّل ، ومنه أُنْبُوبُ الحَوْض اسيْل مائه .
والأُنْبُوب من القصب مابين العقدتين كالأنبوبَة .

ن ج ب المَنْجُوب : الإناء أو القدَح الواسع .
النَّجْبَة : ماء لبني سَلول .

ن ح ب نَحَبَ : سارَ حتى قرُب من المـــاء . والتَّنْحيب : شدة القرْب الماء .
نَحَّبَ السَّفرُ فلاناً : أجْهدَه . وسيرٌ مُنَحَّبٌ : مُجهدٌ وسريع .
انْتَحبَ الرجُـلُ : بكى وتنفَّس شديداً . والنَّحْبُ : أشدّ البكاء ، والسَّيرَ السريع والموت .

يتبع : ❋❋❋ عدنان الخطيب

تعقيب على مصطلحات جدد

لكلمات افرنجية للدكتور الكواكبي

جاء في مصطلحات جدد (لكلمات افرنجية) للأستاذ الكواكبي[1] أن كلمة « ذابر » تعني كلمة « دكتور » وعلَّل كلمة دكتور ، أنها تعني أخيراً العلاّمة المتقن لعلم ما . وجاء في حاشية لجنة المجلة تعليقاً على ذلك أنه قد اشتهر تعريب الدكتور ، وهو غير العالم وغير العلاّمة .

وقد تذكَّرت في هذا الصدد مساجلة جرت منذ عام ١٩٢٩ في المجلة الطبية العلمية (بيروت) للترجيح بين لفظتي « حكيم » و « دكتور » وما عقب به على ذلك (باحث) في مجلة المعهد الطبي العربي بعنوان « أعليم أو حكيم ؟ » ، ومما جاء في هذا التعقيب :

« ... فإذا أردنا أن نجد لكلمة (دكتور) ما يقابلها بحق ، فلن نجد أصح من كلمة

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٢ : ٨٤٣ .

(عليم) لمقابلتها لغةً واصطلاحاً . تقابلها لغة لأن معنى لفظة (دكتور) في اللاتينية (معلم) من كلمة Doctio وهي التعليم . وأما اصطلاحاً فإن هذا اللقب (دكتور) يعطى لمن ينال ، بعد الفحص ، أعلى درجة يعطيها معهد من المعاهد العلمية . »

وجاء في ختام تعليق الباحث :

« ... وإني لأزيد على ما جاء ، أن لفظة عليم ، هي أصح كلمة وأوضحها للدلالة على المعنى الاصطلاحي المقصود منها في العرف الآن . ودليلي على ذلك قوله تعالى في الكتاب العزيز في قصة سيدنا يوسف عليه السلام لما طلب إلى الملك أن يوليه أمر المال في ملكه .. مبرهناً على سعة الاطّلاع في تلك الأمور الخاصة بالمال بقوله : (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) . ودليل آخر من كتاب الله تعالى في قصة موسى عليه السلام عندما أعلن نبوّته ورسالته وأظهر لفرعون معجزاته قال : (فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين . قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم) — سورة الأعراف ١٠٨ — أي ليس بالساحر (البسيط) بل هو فوق ذلك ساحر عليم بالسحر . ثم لما أراد أن يبطش به أشار عليه بعض وزرائه (قالوا : أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) — الأعراف ١١١ — وهنا أيضاً ألا يفهم من صفة الساحر العليم أنه أفضل السحرة علماً وأكثرهم توفّراً في السحر ؟ » .

ثم :

« أفلا يفهم من هذا أن كلمة (العليم) تطلق على ذي العلم الكثير كما قال تعالى : (وفوق كل ذي علم عليم) وأنه لا ضير باستعماله لغير الله تعالى لأنه لم يكن من الأسماء الحسنى الخاصة به تعالى ، بل هي كالحكيم أي ما يجوز باستعمال هذا يجوز باستعمال ذلك . »

وقد جاء في نهاية ذلك تعليق رئيس تحرير مجلة المعهد الطبي العربي الذي يقول فيه :

« إننا نجاري الكاتب (باحث) في ما ورد في مقاله الممتع . ونقر أن لفظة (عليم) خير ترجمة لكلمة (دكتور) والدليل على رضائنا بها استعمالنا لها في هذا الجزء بعد أن طالعنا المقال ومثابرتنا على استعمالها في المستقبل » اه

ولقد صدق رئيس التحرير وعده وبدأ بترجمة لفظة دكتور في كل مقال ورد بعدئذ بكلمة عليم فقال مثلاً « العليم في الصيدلة السيد صلاح الدين الكواكبي » ...
هي ذكرى رأيت أن لا بد منها وأنا أقرأ هذا المقترَح الجديد .

أحمد حمدي الخياط

ملاحظات على كتاب بلاد العرب

تأليف أبي علي لُغْدة الإصفهاني

وتحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي

الأستاذ العلامة حمد الجاسر عضو مجمع اللغة العربية بدمشق أمة وحده في علمه وعمله ، يكاد يتفرد من الناس جميعاً بجهده ونشاطه باحثاً ومحققاً . وهو حجة قاطعة ، لا يرد رأيه في جغرافية جزيرة العرب ، ولا سيما في المعنى القديم لمعنى الجغرافية عند العرب .

وقد كتب باحثاً ومحققاً في تراث العرب وثقافتهم ، وألف الكتب ، وحقق ونشر جملة من أسفار التراث القديم التي تعين الباحثين في جغرافية بلاد العرب وتاريخها وآدابها . وقام بكل ذلك وحده ، مدفوعاً بهمته وعزيمته وحماسته ، لا يعينه معين ، ولا تسنده مؤسسة علمية ، حتى بلغ الغاية التي لا يبلغها إلا المجاهدون المخلصون . جزاه الله خير جزائه ، وأيَّده بقوة من عنده .

* * *

ومن الكتب التي حققها علامتنا كتاب بلاد العرب لأبي علي الإصفهاني المعروف بلغدة . وهو سفر فريد من أسفار الثقافة العربية ، يدور حول مواطن القبائل في جزيرة العرب ، فيبين الأرض التي تقيم فيها كل قبيلة ، ويذكر أماكنها ومياهها وآبارها ، ويصف في أثناء ذلك الجبال والوديان والرمال والرياض والطرق والمعادن وما إليها . كما يذكر فروع القبائل وبطونها

« إننا نجاري الكاتب (باحث) في ما ورد في مقاله الممتع . ونقر أن لفظة (عليم) خير ترجمة لكلمة (دكتور) والدليل على رضائنا بها استعمالنا لها في هذا الجزء بعد أن طالعنا المقال ومثابرتنا على استعمالها في المستقبل » اهـ

ولقد صدق رئيس التحرير وعده وبدأ بترجمة لفظة دكتور في كل مقال ورد بعدئذ بكلمة عليم فقال مثلاً « العليم في الصيدلة السيد صلاح الدين الكواكبي » ...

هي ذكرى رأيت أن لا بد منها وأنا أقرأ هذا المقترَح الجديد .

أحمد حمدي الخياط

ملاحظات على كتاب بلاد العرب

تأليف أبي علي الغُدة الإصفهاني

وتحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي

الأستاذ العلامة حمد الجاسر عضو مجمع اللغة العربية بدمشق أمة وحده في علمه وعمله ، يكاد يتفرد من الناس جميعاً بجهده ونشاطه باحثاً ومحققاً . وهو حجة قاطعة ، لا يرد رأيه في جغرافية جزيرة العرب ، ولا سيما في المعنى القديم لمعنى الجغرافية عند العرب .

وقد كتب باحثاً ومحققاً في تراث العرب وثقافتهم ، وألف الكتب ، وحقق ونشر جملة من أسفار التراث القديم التي تعين الباحثين في جغرافية بلاد العرب وتاريخها وآدابها . وقام بكل ذلك وحده ، مدفوعاً بهمته وعزيمته وحماسته ، لا يعينه معين ، ولا تسنده مؤسسة علمية ، حتى بلغ الغاية التي لا يبلغها إلا المجاهدون المخلصون . جزاه الله خير جزائه ، وأيَّده بقوة من عنده .

* * *

ومن الكتب التي حققها علامتنا كتاب بلاد العرب لأبي علي الإصفهاني المعروف بلغدة . وهو سفر فريد من أسفار الثقافة العربية ، يدور حول مواطن القبائل في جزيرة العرب ، فيبين الأرض التي تقيم فيها كل قبيلة ، ويذكر أماكنها ومياهها وآبارها ، ويصف في أثناء ذلك الجبال والوديان والرمال والرياض والطرق والمعادن وما إليها . كما يذكر فروع القبائل وبطونهـــا

وأفخاذها في أثناء تحديد الأماكن والمياه . ومادة الكتاب كما نرى مجموعة غزيرة من المعلومات الجغرافية والبشرية عن جزيرة العرب في القرنين اللذين تليا ظهور الإسلام . وهو بمجموعه وثيقة ثمينة قوية لدراسة أحوال الجزيرة العربية عامة ، ولا سيما في الفترة التي ذكرناها آنفاً .

والعلاّمة حمد يعرف أنحاء هذه الجزيرة وأماكنها كما يعرف الإنسان أنحاء بيته وزواياه . وهو مطلع أيضاً اطلاعاً واسعاً على الكتب التي ألفت في هذا الموضوع ، ما طبع منها وما بقي مخطوطاً غير مطبوع . وقد جاب في سبيل الاطلاع عليها الأصقاع البعيدة ، وزار البلاد النائية . فمكنه ذلك من توشيح صفحات الكتاب بحواشي وتعليقات جيدة مفيدة ، لا تقل في جودتها وقيمتها العلمية عما جاء في متن الكتاب نفسه . فصار الكتاب بذلك مرجعاً قديماً أصيلاً للدارسين والباحثين في جزيرة العرب .

* * *

كنت في أثناء قراءتي الكتاب أضع بعض الملاحظات إلى جانب السطور . وها أنا ذا أورد هنا طرفاً من هذه الملاحظات التي أرى في إيرادها فائدة ما .

في الصفحة ٤٣ — ٤٤ من المقدمة :

« ١ — كتاب خلق الإنسان ، ذكره ياقوت وغيره . وقال عنه أبو هلال العسكري في مقدمة كتاب التلخيص : وإذا تأملت كتاب لغدة عرفت صحة قولي هذا ، لأنك تراه قد اشتغل فيه بالتصاريف وتفسير الشواهد اشتغالاً طويلاً ، لا يجدي على المبتدئين ، ولا يحتاج إليه المتوسطون . فأغفل أكثر أسماء الأشياء التي أنشأ الكتاب لأجلها ، ووسمه بذكرها » .

هذا الكتاب الذي ذكره أبو هلال العسكري للغدة هو كتاب الصفات الذي ذكره له ابن النديم في الفهرست (ص ٨١ من طبعة فلوغل) ، لأنه يتفق بموضوعه وكتاب التلخيص لأبي هلال العسكري . وليس هو كتاب خلق الإنسان للغدة (١) .

---

(١) وانظر حاشيتنا ص ٢ من كتاب التلخيص الذي حققناه وأخرجناه في مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

في الصفحة ٤٧ من المقدمة أيضاً :

« ولهذا أرى أن هذا الكتاب الذي وصل إلينا هو قسم من نوادر لغدة . وقد يكون أحد المتأخرين أفردها في هذا الكتاب ، ونستطيع أن نستنتج هذا من ... » .

إن الأدلة الثلاثة التي ساقها العلامة حمد تقوي نقل لغدة عن الأصمعي في كتابه . ولكننا لا نراها تنهض دليلاً على أن هذا الكتاب قسم من نوادر لغدة كما قال هنا ، وأعاد قوله في الصفحة التالية . ثم لا نرى داعياً لاقتسار هذا الرأي هنا ، ولا نرى جدوى من إثباته على كل حال .

في الصفحة ٤١ من الكتاب :

قد نشبع الضيف الذي لا يشبعْ

من الهبيـــد والجراد الموسَعْ

وقال في الحاشية :

« والموسع : كذا في الأصول ، ولعله الموشع ، بالشين المعجمة ، أي المنقط » .

قلت : الموسع ، بالسين غير معجمة ، صحيحة قوية ، وهي بمعنى الكثير ها هنا ، من السِّمة .

وجاء في المتن :

« وبالدآث موبهة يقال العلبية » .

والصواب : يقال لها العلبية .

في الصفحة ٤٥ :

« وخصلة ، وبها سميت خصلة ، معدن حذاؤُها » .

والصواب : حذاءها ، منصوبة لأنها ظرف . وقد تكرر مثل هذا الغلط كثيراً في الكتاب .

في الصفحة ١٢٠ :

« وبها يضبعون وضائنهم » .

والصواب : يضمون .

في الصفحة ١٢٧ :

« وهي تسمى الشبكةُ وتسمى الغبارةُ » .

والصواب : تسمى الشبكةَ وتسمى الغبارةَ ، بالنصب فيهما ، لأنها مفعول ثان لتسمى . وقد تكرر مثل هذا الغلط في معظم صفحات الكتاب .

في الصفحة ١٦٥ آخر الحاشية ٢ :

« والشعر الآتي يدل على أنهما حوضيين » . والصواب : حوضيان .

في الصفحة ١٨٨ في الحاشية ٣ :

« مابين المربعين ليس في (نع) » . وليس في الصفحة كلها مربعان .

في الصفحة ١٩٠ :

« وتضحي على ظهر الفراش كأنها علاةٌ برياها من الليل مجمر »

والصواب : علاهُ .

في الصفحة ٣٦٧ في الحاشية ٢ :

« والقائل جرير من قصيدته المشهورة : أقِلاّ اللوم عاذل والعتابا » .

الرواية الصحيحة المشهورة في هذا البيت : أقِلّي ، لا أقلا .

في الصفحة ٣٧١ في الحاشية ٤ :

« وفي هامش (نع) : المكان الذي يعمل به هكذا يسمى الآن شوصه . ولعله تركي أو إفرنجي » .

شوصه أصلها من الفرنسية Chaussé ، أي طريق معبد . وقد أخذه الأتراك ، واستعملوه بهذا المعنى أيضاً .

في الصفحة ٣٧٦ :

« وهما يتراءان » . والصواب : يترائيان .

في الصفحة ٣٩٢ :

السطر الأول من الحاشية ٣ تتمة للكلام في الحاشية السابقة . فينبغي له أن ينقل إلى مكانه هناك .

الدكتور عزة حسن

قائمة بأسماء الكتب المهداة إلى المجمع

خلال الربع الأول من عام ١٩٧٠

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	مكان وتاريخ الطبع	عدد الأجزاء
١	رصيف الأزهار (قصة) مترجمة عن الفرنسية	مالك حداد	١٩٦٥	١
٢	اسرائيل أمة مفتعلة (مترجم عن الألمانية)	فرانتس شايدل	دمشق ١٩٦٩	١
٣	معجم الرياضة واللعب ومعجم اللعب العربية القديمة	عبدالعزيز بنعبدالله	الرباط ١٩٦٩	١
٤	معجم الألوان (فرنسي - عربي)	〃	〃 ١٩٦٩	١
٥	معجم السماكة والأسماك (فرنسي - عربي)	〃	〃 ١٩٦٩	١
٦	معجم الآلات والأدوات والأجهزة (فرنسي - عربي)	〃	〃 ١٩٦٩	١
٧	الإنسان يحيا (قصص)	فلاديمير مكسيموف وغيره	موسكو	
٨	محمد بن موسى الخوارزمي (سلسلة علماء العرب - ١)	زهير الكتبي	دمشق ١٩٦٩	١
٩	الشرق العربي في ساعة الاختبار (مترجم عن الروسية)	بافل ديمتشنكو	دمشق ١٩٦٩	١
١٠	احذروا الصهيونية (مترجم عن الروسية)	يوري ايفانوف	〃 ١٩٦٩	١
١١	الطلسم (مجموعة قصص)	محمد ديب	〃 ١٩٦٩	١
١٢	الثلج يأتي من النافذة (رواية)	حنا مينه	〃 ١٩٦٩	١
١٣	مات البنفسج (مجموعة قصصية)	عبد الله عبد	〃 ١٩٦٩	١
١٤	ابن سعيد المغربي (المؤرخ الرحالة الأديب)	محمد عبدالغني حسن	القاهرة ١٩٦٩	١
١٥	أدب المقاومة في فيتنام	ترجمة: غالي شكري	دمشق ١٩٦٩	١
١٦	صدى المنابر	اغناطيوس يعقوب الثالث	〃 ١٩٦٩	١
١٧	حديث عن فيتنام	بيتر فايس	〃 ١٩٧٠	١
١٨	البيبلوغرافيا الجزائرية (العدد التاسع)	المكتبة الوطنية - الجزائر	١٩٦٧	١ (مجلة)
١٩	تاريخ الطب الأرمني	ل. آ. هوانيسيان	حلب ١٩٦٨	١
٢٠	كان هذا في ضواحي روفنو	دميتري ميدفيديف	موسكو	١

الرقم	عنوان الكتــاب	المؤلف	مكان وتاريخ الطبع	عدد الأجزاء
٢١	أضواء على الإسلام أو الإسلام في ينابيعه (باللغة الفرنسية)	عبدالعزيزبنعبدالله	الرباط ١٩٦٩	١
٢٢	مسألة الأرض والنضال في سبيل الحرية	لينين	موسكو ١٩٦٩	١
٢٣	مولد إنسان (قصص مختارة)	مكسيم غوركي	〃	١
٢٤	عشرة أيام هزت العالم	جون ريد	〃	١
٢٥	في افريقية الخضراء	محمد بن ناصرالعبودي	بيروت ١٩٦٨	١
٢٦	اقباس من أخبار العشرة المبشرة	يونس الشيخ ابراهيم السامرائي	بغداد ١٩٦٩	١
٢٧	العيد الذهبي لكلية الطب ١٩١٩ — ١٩٦٩	جامعة دمشق	دمشق ١٩٦٩	١
٢٨	الأردن (الكتاب السنوي ١٩٦٨)		عمان ١٩٦٨	١
٢٩	الصيام بين الدين والطب	مصطفى شريف العاني	بغداد ١٩٦٩	١
٣٠	تدريس اللغة العربية	علي جواد الطاهر	النجف ١٩٦٩	١
٣١	الطب والأطباء في المغرب	عبد العزيز بنعبد الله	الرباط ١٩٦٠	١
٣٢	الأدب والقومية في سورية	سامي الكيالي	القاهرة ١٩٦٩	١
٣٣	تقويم كلية الآداب (جامعة دمشق) ١٩٦٨ — ١٩٦٩		دمشق ١٩٦٩	١
٣٤	تقويم كلية الطب (جامعة دمشق) ١٩٦٨ — ١٩٦٩		〃 ١٩٦٩	١
٣٥	تقويم كلية التجارة 〃 ١٩٦٨ — ١٩٦٩		〃 ١٩٦٩	١
٣٦	تقويم كلية الحقوق 〃 〃 〃		〃 ١٩٦٩	١
٣٧	تقويم كلية الهندسة 〃 〃 〃		〃 ١٩٦٩	١
٣٨	تقويم كلية العلوم 〃 〃 〃		〃 ١٩٦٩	١
٣٩	تقويم كلية التربية 〃 〃 〃		〃 ١٩٦٩	١
٤٠	تقويم كلية طب الأسنان 〃 〃 〃		〃 ١٩٦٩	١
٤١	تقويم كلية الشريعة 〃 〃 〃		〃 ١٩٦٩	١
٤٢	فهرس المخطوطات العربية في صوفيه	عدنان الدرويش (الجزء الأول)	دمشق ١٩٦٩	١

الرقم	عنوان الكتــاب	المؤلف	مكان وتاريخ الطبع	عدد الأجزاء
٤٣	المؤتمر العلمي العربي السادس (١–٧ نوفمبر ١٩٦٩ بدمشق)		القاهرة ١٩٦٩	١
٤٤	تقرير عن أضرار المنجد والمنجد الأبجدي		دمشق ١٩٦٩	١
٤٥	فكر لينين (أصول الفكر الاشتراكي — ٣)	هنري لوفيڤر	〃 ١٩٦٩	١
٤٦	دمشق (دراسة في جغرافية المدن)	صفوح خير	〃 ١٩٦٩	١
٤٧	ديوان الشيخ أحمد تقي الدين	المحامي حليم تقي الدين	لبنان ١٩٦٧	١
٤٨	الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق	سهيلة ياسين الجبوري	بغداد ١٩٦٢	١
٤٩	الطرب عند العرب	عبد الكريم العلاف	〃 ١٩٦٣	١
٥٠	تقرير عن حالة الأمن العام	قيادة قوى الأمن الداخلي	دمشق ١٩٦٧	١
٥١	تقرير عن حالة الأمن العام	〃 〃 〃	دمشق ١٩٦٨	١
٥٢	حسن جبل (رواية)	فارس زرزور	دمشق ١٩٦٩	١
٥٣	وسائل الإعلام والتنمية القومية	ويلبر شرام	دمشق ١٩٦٩	١
٥٤	قصة التقريب	دار التقريب	دمشق ١٩٦٩	١
٥٥	الملاحة الفلكية تغير وجه العالم	بول سوزان	دمشق ١٩٧٠	١
٥٦	دراسات كويتية	فاضل خلف	كويت ١٩٦٨	١
٥٧	عروبة لبنان، تطورها في القديم والحديث	محمد جميل بيهم	بيروت ١٩٦٩	١
٥٨	الإسلام والاشتراكية	محمد عزة دروزه	بيروت ١٩٦٨	١
٥٩	ثورة تلعفر ١٩٢٠ والحركات الوطنية الأخرى	قحطان أحمد عبوش التلعفري	بغداد ١٩٦٩	١
٦٠	مشاركة العراق في نشر التراث العربي	كوركيس عواد	بغداد ١٩٦٩	١
٦١	رسالة في الأحجار الكريمة	ابيفانيوس	بغداد ١٩٦٧	١
٦٢	دنيا على الشام (شعر)	سليم الزركلي	بيروت ١٩٦٨	١
٦٣	بغداد مدينة المنصور المدورة	طاهر مظفر العميد	بغداد ٩١٦٧	١
٦٤	النار في حياتنا وتراثنا	عبدالقادر عياش	دير الزور ١٩٦٨	١

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تموز « يوليو » سنة ١٩٧٠ م ربيع الآخر سنة ١٣٩٠ هـ

بقايا الفصاح

إذا كنت أنقّب من حين إلى آخر عن بقايا الفصاح في لغتنا العامّة في دمشق ، فلست أرمي في هذا التنقيب إلى مجرّد الاهتمام باللغة أو بحياة الألفاظ ، وإنما أرى في بقايا الفصاح ما يوحي إلينا نمطاً من الحياة أو طرازاً من البنيان أو نظائر هذه الموضوعات ، فقد تعيننا اللغة على تذكّر ما فاتنا من الأمور في مواضي السنين ، أو على معرفة ما زال مستمراً من هذه الأمور أو ما اضمحلّ منها ، من هذا القبيل فمل : شطف ، فلنرجع إلى دورنا القديمة في دمشق .

كان ربّ البيت يعيش هو وأبناؤه وأحفاده في بيت واحد في أكثر الأحيان ، وقد استعملت في هذا المقام لفظة البيت بدلاً من لفظة الدار ، فإنهم في دمشق يقولون : بيت فلان ولا يقولون : دار فلان ، أمّا في

مدن ثانية فإنهم يقولون : دار فلان ، وقد تكون الدار أعمّ لأنها تجمع البناء والعرصة ، وكان البيت في الأغلب من الأوقات ذا طاقين ، الطاق الأول يشتمل على صحن الدار ، وعلى الإيوان ، واسمه في اللغة العامة : الليوان ، وعلى مخادع وقاعات ومربّعات يتقون فيها شدّة الحرّ في الصيف ، والطاق الثاني يحتوي على ما يسمّونه القصر « والفرنكات » يتّقون فيها شدّة البرد في الشتاء ، فالبيوت كانت مبنية على شكل يناسب بيئة دمشق من حيث الحرّ والبرد ، ولمّا كان البيت الواحد يضمّ صاحبه وأبناءه وأحفاده كانت النساء يتناوبن على تنظيف الصحن ، واسمه في اللغة العامة : الديار ، فكل امرأةٍ لها نوبة ، واللفظة التي كانوا يستعملونها في هذا التنظيف إنما هي فعل : شطف ، فصحن الدار كانوا يشطفونه كل يومٍ أو كل يومين ، والماء من البركة في وسط الدار واسمها : البحرة ، فالذي يعنينا من هذا كلّه إنما هو فعل : شطف .

ماذا نجد في اللغة ، يقول الفيروزابادي في قاموسه المحيط : شطف ذهب وتباعد وغسل ، فمادّة شطف لها أصل في اللغة الفصيحة ، ولكنها إذا كان معناها : غسل ، فهي سوادية ، أي من لغة أهل السواد ، أمّا في دمشق فإنها من لغة أهل المدن ، فالطبقات كلها تستعمل هذه المادّة في لغتهم ، فيقولون : شطف البيت .

ماذا بقي من أصل هذه المادّة في لغة دمشق ، ان فعل شطف لم يمت في لغة العامّة ، وإن كان البنيان قد اختلف طرازه عمّا كان عليه في الماضي ، فلا نجد لأغلب دور دمشق صحناً في وسطه بحرة ، وإنما الدور أصبحت طيقاناً ، كل طاق فوقه طاق ولا صحن له ، فلم تبق حاجة إلى شطف البيت ، وإنما أهله يمسحون غرفه مسحاً ، ففعل مسح قام مقام شطف في هذا المجال ، إلاّ أن فعل شطف لم يمت ، فهـــو لا يزال مستعملاً في لغتنا العامّة ،

فلا نزال نقول : اشطف الملعقة أو الصحن أو الكأس وغير ذلك من ماعون البيت ، ونحن نريد بذلك قولنا : اغسل ، وقد تستعمل هذه المادّة مجازاً فنقول : اشطف يدك منه ، أي انزعه من فكرك ، فلا أمل فيه أو لا فائدة ، وقد يستعمل هذا الفعل مشدّداً فنقول : شطّفت ابنها ، ونحن نعني بذلك وجهاً معروفاً من النظافة .

وكما أوحى إلينا فعل : شطف طرازاً من البنيان ونمطاً من الحياة الاجتماعية فكذلك أوحى إلينا فعل : نقط شكلاً من هذه الحياة ، فلنرجع إلى ماضي دمشق .

كانت بعض الأسر في دمشق التي رزقها الله تعالى شيئاً من النعيم إذا تزوّج أحد رجالها أو ختن أحد أولادها تفرح بهذا الزواج وبهذا الختان ويسمّونه : الطهور ، ومن مظاهر الفرح إحياء ليلة تغنّي فيها المغنّيات في صحن الدار أو في القاعة ، وتدعى إلى هذا الفرح بعض السيّدات من الأقارب والأصحاب ، وكانت السيّدات يتنافسن في اللباس والحُلِيّ ، فكان لا بدّ لكل سيّدة على ما أذكر من أن تخيط لها ثوباً خاصاً تلبسه في هذه الليلة ولا تلبسه في ليلة فرح ثانية ، كما كان لا بدّ لها من التزين بالحُلِيّ ، فبعض السيّدات كان لهنّ حُلِيّ ، وبعضهن كنّ يستعرن الحُلِيّ في ليالي الفرح ، ثم يعدنها الى أصحابها بعد الفرح ، وأكثر المغنّيات كنّ يهوديات مشهورات من حارة اليهود في دمشق ، فكنّ يغنّين الليلة كلّها وتمتدّ السفرة في الليل فتأكل منها المدعوات من النساء . كانوا ينقّطون المغنيات بالمال ، وينقطون العروس أو الأولاد المختونين بالحُلِيّ أو بالمال ، معنى هذا أنهم كانوا يدفعون إليهم ما يتيسّر لهم من المال أو يهدون إليهم ما يتيسّر لهم من الحُلِيّ ، من قرط ويسمونه : الحلق ، أو خاتم أو سوار أو عقد وما شا كل ذلك ، وفي الصباح تنصرف المغنّيات والمدعوات ، أمّا في عصرنا فقد بطل

ما يسمّونه الليليات أو قلّ جداً ، وإنما مظاهر الفرح تقام اليوم في فندق كبير أو في نادٍ مشهور ، يقدّم فيه المأكول والمشروب ، أمّا المغنّيات اليهوديات فلم يبق لهنّ أثر ، وقد يجوز أن يغنّي في ليالي الفرح بعض من اشتهر بالغناء .

فالذي ينصرف إليه ذهننا إنما هو فعل : نقط ، فهذا الفعل أوحى إلينا نمطاً من الحياة الاجتماعية قد انتقل في عصرنا من طورٍ إلى طور ، فهل كان لفعل نقط ذكر في الماضي ، نجد في الأغاني استعمال هذا الفعل بمعناه الحديث في مواطن مختلفة ، فقد ورد في أخبار محمد بن الحرث بن بشخير (١) ما يلي : ونقطها بدنانير مسنتة كانت معه في خريطته ... ثم جاءت في أخبار أشعب هذه العبارة : وفرض لي ، أي نقطني ، يعني ما يهديه الناس للمغنّين ، ويسمونه : النقط ... هذه هي عبارة الأغاني ، إلاّ أن النقط تسمّيه العامّة في لغتها اليوم : النقوط ، وتستعمل الفعل مشدّداً ، ولم أجد لهذه المادّة في القاموس المحيط المعنى الذي أشار إليه صاحب الأغاني ، وإنما جاء في معناها : نقط الحرف ونقّطه بالتشديد ، أعجمه ، والاسم : النقطة .

وفي القرية التي أعيش فيها من أربعين سنةً يستعملون : حمل له ويستعملون نقّطـــه ، فإذا مرض أحد من أهل القرية أو نقه من مرضه أو تزوّج أو عاد من الحج أو من سفر أو إذا ختن أحد الأولاد فإنّ بعض الأهل والأصحاب يحملون له ما يتيسّر لهم من لبن أو حليب أو فاكهة أو برغل أو سكّر أو حلواء ، وقد يدفعون في بعض الأحوال شيئاً من المال ،

(١) في الأغاني جزء (١) ص (٥) ط دار الكتب ضبط الاسم : الحارث بن بُسْخُنَّر نقلاً عن الأستاذ الشنقيطي بخطه وضبطه : بضم الباء وإسكان السين وضم الخاء وإسكان النون ، وقد ورد الاسم في نسخة أخرى بشخير ، وفي سائر النسخ « شخير » كما جاء في الأغاني . (المجلة)

فالفعل الذي يستعملونه في مثل هذا المقام إنما هو : حمل له ، وقد تقرأ قصة المولد إظهاراً للفرح . على أنهم قد يستعملون أيضاً فعل : نقَّطه في عرس أو ختان .

ومن الألفاظ التي تذكّرنا موسماً من مواسم الحج في دمشق من ستّين سنة لفظة : العكّام . وقبل الشروع في شرح هذه اللفظة لا بأس بأن نشير إلى زمن استعمالها ، كانَ يوم الحج في دمشق يوماً مشهوداً وكانوا يقولون : فرجة المحمل ، فيزدحم الناس على جانبي الطريق الممتد من الدرويشية إلى آخر حيّ الميدان حتى القدم ، وكانوا يزوّقون الجمل الذي عليه المحمل ، حتى إذا وصل إلى آخر الميدان ، إلى « مصطبة زاوية السعدي » جمعوا اللوز والسكّر ودحرجوه في فمه إكراماً له ، وكان يخرج في موكب الحج من كانوا يسمونهم : باشا الحج ، ونقيب الأشراف ، وغيرهما من كبار رجال الحكومة على خيول مطهَّمة ، فإذا وصل الموكب إلى « المسالي » انفضَّت جماهير الناس وعادوا إلى بيوتهم أو دكاكينهم أو مخازنهم . كان الحجّاج يذهبون إلى الحج على ظهور الإبل ، فيقضون شهراً أو أكثر في هذه الصحراء الممتدة من دمشق إلى المدينة ، ويعانون في الطريق ما يعانون من المتاعب ، وكان لكل جمل رجل يقال له العَكّام ، وهو صاحب الجمل يتولَّى خدمته وسوقه على الطريق ، وكان العكّامون أكثرهم من حارة الشاغور في دمشق .

لقد بطلت هذه الأمور كلّها في يومنا ، فلم يبق للحج موسم ولا فرجة ولا موكب ، وإنما الناس يحجّون في عصرنا إمّا على الطّائرات وإمّا على السيّارات وإمَّا على السفن ، وإذا بطلت فرجة الحج فقد بطلت معها لفظة : العَكّام .

ما هو أصل هذه اللفظة ، فهل لها صلة بما كانت تدلّ عليه .

نجد في الأغاني في ذكر متمم [1] وأخباره وخبر مالك ومقتله ما يلي : فلما

---

(١) هو متمم بن نويرة وأخوه مالك الذي قتله خالد بن الوليد في حروب الردّة . (المجلة)

دخل آخر الجمال نخس البوّاب عكماً من الأعكام بمنخسة معـــه ...
في القاموس المحيط : عكم المتاع يعكمه بالكسر شدّه بثوب ، والعكم بالكسر
العدل ، والجمع : أعكام .

من هذا يتبيَّن لنا أن لفظة العكَّام ليست غريبة عن المعنى الذي كانوا
يطلقونه بدمشق عليها ، فالعكَّام في اللغة من يشدّ المتاع بثوب ، والعكَّام
في موسم الحج كان يقود الجمل ويشدّ متاع الحجّاج ، ويتولّى في الوقت
نفسه خدمة الجمل وخدمة الحجَّاج .

لقد ذهب الجمَل وذهب العكَّام وذهبت فرجة الحج ، ولم يبق لنا من
هذا كلّه إلاّ الذكرى التي أحيتها لنا لفظة : العكَّام . على أن مادّة
عكم لا تزال شائعة في لغة العامَّة ، إلاّ أنّ شيوعها على سبيل المجاز ،
فإذا قالوا : عكمه أو عكمها وذهبا معاً فهم يريدون بقولهم أنّه أخذه أو
أخذها معه ، وقد يتضمن هذا الأخذ شيئاً من الإيثار ، فكما أنّ معنى
عكم المتاع الفصيحة شدّه بثوب ، فكذلك معنى عكم فلان فلاناً العاميـــة
شدّه إليه وراح إيثاراً له ، وهذا من باب المجاز .

شفيق جبري

الاصطلاحات الفلسفية

- ٣٥ -

(ف)

الفترة

في الفرنسية	Inlervalle
في الانكليزية	Interval

الفترة المدة تقع بين زمانين . وفترة الحمّى زمن سكونها بين نوبتين ، وفترة الرخاء دور اقتصادي تنشط فيه الصناعة وترتفع الأسعار والأجور ، وقد أطلق (دوبرئيل) هذا اللفظ على الفرق بين العلة والمعلول وبخاصة على الفاصل الزماني بينهما ، ثم انتشر هذا الاصطلاح في الفلسفة الحديثة . (راجع
E. Dnpréel, la cause et l'intervalle, 1933, Recueilli dans, Essais pluralistes VII)

والفترة في اصطلاحات الصوفية خمود نار البـداية المحرقة بتردد آثار الطبيعة المخدرة للقوة الطلبية . (تعريفات الجرجاني) .

الفراسة

في الفرنسية	Physiognomonie
في الانكليزية	Physiognomics

لفظ مشتق من اللغة اليونانية وأصله Physiognômôn ومعناه الاستدلال بالامور الجسمانية الظاهرة على الأمور النفسانية الخفية ، ومنه علم الفراسة ، وموضوعه البحث في العلامات البدنية التي تدل على صفات الإنسان الخلقية والعقليـة .

الفرد

في الفرنسية	Individu
في الانكليزية	Individual
في اللاتينية	Individuum

١ — الفرد مقابل للزوج ، وهو ما لا ينقسم . قال ابن سينا : « فمن خاصة الفرد أن لا يكون مربعه زوجاً » ، وقال أيضاً : « الزوج عدد يزيد على الفرد بواحد » أو « ينقص عن الزوج بواحد » (النجاة ، ص ١٤٠) .

والفرد أيضاً هو المنفرد المتوحد . قال تعالى : « ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين » .

والفرد من الناس المنقطع النظير لا مثيل له في صفاته .

ونحن نطلق لفظ الفرد على كل موضوع مقيد بقيد التشخص ، وهذا الموضوع يدل على موجود واحد بسيط كالجوهر الفرد ، أو يدل على موجود مركب تؤلف أجزاؤه كلاً واحداً . وهو بهذا المعنى شيء جزئي ، بخلاف الجنس أو النوع الذي هو كلي يشمل عدداً غير محدود من الأفراد .

ويختلف معنى الفرد باختلاف العلوم :

فالفرد في المنطق حد أول يجيء قبل النوع والجنس ، ويدلّ على موجود واحد لا ينقسم بخلاف الجنس الذي ينقسم إلى عدة أنواع ، أو النوع الذي ينقسم إلى عدة أصناف ، فسقراط مثلا فرد ، لأنه يدل على موجود واحد لا ينقسم ، وهو موضوع معيّن تحمل عليه عدة صفات ، وإن كان هو نفسه لا يحمل على شيء آخر غيره . « والموضوع قد يكون مفرداً مثل الإنسان . وقد يكون مؤلّفاً مثل الحيوان الناطق المائت » (ابن سينا ، منطق الشفاء

ص ٦٤) . ولكن صناعة المنطق لا تنظر في هذه الأمور من حيث إنها ماهيات ، بل تنظر فيها من حيث إنها موضوعات ومحمولات .

والفرد في علم الحياة كل كائن تتعاون أجزاؤه تعاوناً وثيقاً على حفظ بقائه بحيث إذا اختل هـذا التعاون تعطلت وظائف ذلك الـكائن الحي ، أو تبدلت تبدلاً تاماً .

والفرد في علم النفس مرادف للشخص الطبيعي من جهة ما هو متميز عن الأشخاص الآخرين بهويته ووحدته أو من جهة ما هو ذو صفات خاصة مختلفة عن الصفات المشتركة بينه وبين أبناء جنسه .

والفرد في علم الاجتماع أحد الأجزاء التي يتألف منها المجتمع كالمواطن في الدولة ، أو النحلة في الخليّة ، أو النملة في القرية ، فهي آحاد حقيقية يتألف منها الجسم الاجتماعي .

٢ — والفردي (Individuel) هو المنسوب إلى الفـــرد ، وهو كل ما يتميز به الفرد من صفات مقوّمة له ، أو منسوبة إليه ، أو متعلقة به ، تقول : الصفات الفردية ، والحرية الفردية ، الخ .

٣ — والفردية (Individualité) مجموع صفات الفرد . وقد تطلق على ما يتصف به الإنسان من الأصالة أو البعد عن التقليد أو النزوع إلى التحرر عن سلطان الجماعة . ولها معنى عام وهو إطلاقها على ما يتميز به كل موجود من الصفات الذاتية المقوّمة له ، ومعنى خاصّ وهو إطلاقها على الإنسان وحده . وهي بهـذا المعنى الخاص مرادفة للشخصية (Personnalité) ، وإذا شئت أن تفرق بين اللفظين أطلقت لفظ الفردية على مجموع صفـات الشخص كما هي في الواقع ، وأطلقت لفظ الشخصيّة على مجموع صفاته كما يجب أن تكون ، فكل شخص بهذا المعنى فرد ، وليس كل فرد شخصاً .

٤ — وفرّد الشيء (Individualiser) جعله أفراداً ، أو نظر إليه من جهة ما هو مفرد ، أو فصله من جهة ما هو ذو صفات خاصة يتميز بها عن غيره من أفراد النوع . ومنه التفريد (Individualisation) . وهو الفعل الذي يجعل الشيء العامّ مفصلاً على أبعاد الفرد أي ملائماً لشروطه ، تقول : تفريد العقوبات أي تفصيلها وتخصيصها لتكون متناسبة مع مسؤولية كل فرد .

٥ — والفردانية (Individuation) هي التفرد بالشيء ، وتطلق في اصطلاحنا على المثال النوعي ، أو الكلي ، الذي يحققه الفرد في ذاته . وإذا أطلقت هذا اللفظ على الله دلّ على تفرده تعالى بربوبيته أي على تعاليه عما سواه . ومبدأ الفردانية (Principe d'individuation) هو القول أن لكل فرد صفات خاصة يتميز بها عن غيره من أفراد النوع .

٦ — ومذهب الفردية (Individualisme) مذهب اجتماعي يجعل غاية المجتمع رعاية مصلحة الفرد ، أو مذهب سياسي يحدّ من سلطان الدولة على الأفراد ، ويوجب عليها السماح لكل فرد بتدبير شؤونه بنفسه ، أو مذهب فلسفي يقول بأولية الفرد من جهة ما هو متقدم على الجماعة . فمعنى المذهب الفردي مختلف إذاً باختلاف العلوم .

(آ) ففي علم الوجود (Ontologie) يطلق على القول أن الوجود الحقيقي مؤلف من الجزئيات المفردة لا من الكليات العامة .

(ب) وفي علم المناهج (Méthodologie) يطلق على الطريقة التي تفسر الظواهر الاجتماعية والوقائع التاريخية بتأثير العوامل النفسية الفردية . من قبيل ذلك تفسير (تارد) لظواهر الحياة الاجتماعية بقوانين التقليد . ويسمّى هذا المذهب بالمذهب النفسي ، وهو مضاد لمذهب (دوركهايم) الذي يقول إن للظواهر الاجتماعية صفات ذاتيةً أصيلة لا تنحل إلى البواعث والعوامل الفردية .

(ج) وفي علم السياسة يطلق على القول أن الفرد هو الغاية التي من أجلها وجدت الدولة. فالمثل الأعلى عند أصحاب هذا المذهب تحرير الفرد من سلطان الدولة، وتنمية النشاط الفردي، وإرجاع وظائف الدولة إلى عدد محدود كما في مذهب (سبنسر) أو إلغاؤها كلها كما في مذهب الفوضويين. ومعنى ذلك أن المذهب الفردي في علم السياسة يسمح للفرد بنقد المؤسسات الاجتماعية، لأن هذه المؤسسات ليست غاية بذاتها، وإنما هي وسيلة لتحقيق سعادة الفرد. وقد أدّى ازدياد وظائف الدولة في المجتمع الحديث إلى مبالغة الأفراد في نقدها، لأن في ازدياد سلطان الدولة حداً من حرية الفرد. وعائقاً عن تنمية قواه، وإذا تعطلت إرادة الفرد واستولى عليه الجمود والركود خسر المجتمع صفقته.

وإذا وصفت أحد الأفراد بقولك إنه ذو مذهب فردي عنيت بذلك ميله إلى الانفراد عن الآخرين بآرائه الشخصية وسلوكه. وكثيراً ما يكون هذا الانفراد ناشئاً عن الشعور بالأنانية أو عن الطموح والكبرياء، أو عن الرغبة في توكيد الذات والتعالي.

الفرض

في الفرنسية	Supposition
في الانكليزية	Supposition

الفرض عند الفقهاء هو الوجوب، وهو ما ثبت بدليل قطعي أو ظني، أما عند الحكماء فهو التجويز العقلي أي الحكم بجواز الشيء كما في قول ابن سينا «إن الجسم إنما هو جسم .. بحيث يصح أن يفرض فيه أبعاد ثلاثة كل واحد منها قائم على الآخر» (النجاة ص ٣٢٧).

والفرض على نوعين: أحدهما انتزاعي، وهو إخراج ما هو موجود في الشيء بالقوة إلى الفعل، ولا يكون الواقع مخالفاً للمفروض. وثانيهما

اختراعي ، وهو التعمل واختراع ما ليس بموجود في الشيء بالقوة أصلاً ويكون الواقع مخالفاً للمفروض (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) .

وفي قول ديكارت : « ان افرض ترتيباً بين الأمور التي لا يسبق بعضها بعضاً بالطبع » (مقالة الطريقة ، ص ٧٥ من ترجمتنا) إشارة إلى الفرض العقلي المطلق سواء كان مطابقاً للواقع أو مخالفاً له ، وهو مجرد تجويز عقلي ، كما أنّ في قول (كلود برنارد) : « فرضت أن منع الأرانب من الأكل مدة من الزمان يحوّلهـــا إلى حيوانات آكلة للحوم » (المدخل إلى الطب التجريبي ، ص ٢٦٧) إشارة إلى الفرض المادي أو التجريبي ، وهو مجرد ظن باحتمال وقوع الشيء . وكل فرض فهو ينطوي على تجويز ، ولا يكون هذا التجويز باطلاً إلا إذا كذبته التجربة أو أثبت العقل تناقضه .

الفرضية

في الفرنسية	Hypothèse
في الانكليزية	Hypothesis
في اللاتينية	Hypothesis

الفرضية فكرة يأخذ بها الباحث في البرهنة على قضية أو حل مسألة . وهي تطلق في العلم الرياضي على المسلّمات أو المطيات التي يستند إليها العالم في البرهان على إحدى القضايا . فيقول مثلاً لنفرض أن خط (أ ـ ب) مساوٍ لخط (أ ـ ج) ، ثم يستنبط من هذه الفرضية بعض النتائج اللازمة عنها ، والفرضيات بهذا المعنى مرادفة للموضوعات (راجـــع لفظ : موضوعة)

أما في العلوم التجريبية ، فإن الفرضية تفسير موقت لحوادث الطبيعة ينقلب بعد الاختبار التجريبي إلى تفسير نهائي ، وهي خطوة تمهيدية للقانون العلمي توضع في البداية على سبيل الظن والتخمين فإن أيدتها الحوادث المشاهدة

أو التجارب العلمية انقلبت إلى قانون طبيعي ، وإن كذبتها حاول العالم استبدال غيرها بها ، وهكذا دواليك حتى يصل إلى فرضية تفسر الواقع تفسيراً صحيحاً (راجع كتابنا في المنطق ص ٢٥١ — ٢٦٢ فإن فيه إشارة إلى شروط الفرضيات العلمية وطرق تحقيقها) .

ومعنى ذلك أن لفظ الفرضية يطلق على قضية يسلم بها العالم في أول البحث ليتخذها أصلاً يستخرج منه جملة من القضايا . وهو وإن كان غير واثق بصدق فرضية أو كذبها ، إلا أنه يجوز اتخاذها أصلاً يستخرج منه ما يروقه من النتائج حتى إذا أثبت الاختبار صحة هذه النتائج تحقق العالم صدق فرضيته .

وقد يطلق اصطلاح الفرضيات على المظنونات وهي آراء يقع التصديق بها لا على الثبوت ، بل يخطر إمكان نقيضها بالبال ، ولكن الذهن يكون إليها أميل (ابن سينا ، النجاة ، ص ٩٩) . ويمكن القول في ذلك قولاً عاماً ، وهو أن الفرضيات مقدمات ليست بينة بنفسها ، ولكن العالم يراود نفسه على التسليم بها حتى إذا تبين صدقها في العلم الذي يتناوله أو في علم آخر غيره صارت حقيقة علمية .

والفرضيات القابلة للتحقيق (Protothèses) عند (اوستوالد) هي التي يسمح العلم في حالته الحاضرة بتحقيقها وإثباتها ، وهي مقابلة للفرضيات التي لا يمكننا تحقيقها بالوسائل المتوافرة لدينا . ولكننا إذا علمنا أن العلم في تقدم مستمر علمنا أن ما لا يمكن تحقيقه الآن قد يتحقق في المستقبل لأنه لا حدّ ولا نهاية لتقدم العلم وارتقائه .

الفرط

الفرط تجاوز الحد ، فإذا أضيف على أحد المعاني دلّ على مجاوزة الحد فيه وهو مرادف للفظ (Hyper) الذي يضاف إلى بعض الكلمات فيدل على

مجاوزة الحد فيها . وأكثر استعماله في اصطلاحات علم النفس ، تقول فرط الحساسية (Hyperesthésie) وفرط التذكر (Hypermnésie) وفرط العضوية (Hyperorganique) وفرط نمو أحد الأعضاء أو إحدى الوظائف النفسية (Hypertrophie) الخ .

الفرق

في الفرنسية	Différence
في الانكليزية	Difference
في اللاتينية	Differentia

الفرق هو اختلاف الشيء عن الشيء ببعض الصفات ، وإن كانت صفاتها الأخرى متساوية وقد فرّق فلاسفة القرون الوسطى بين الفرق العددي (Numero differentia) والفرق النوعي (Specie differentia) ، فأطلقوا الفرق العددي على اختلاف الأشياء في العدد أي في الكم المنفصل ، وأطلقوا الفرق النوعي على اختلاف الأشياء في الماهية ، أي في الكيف . ومع أن بعض الفلاسفة يزعمون أن اختلاف الأشياء في الكم يستلزم اختلافها في الكيف ، أي في الصفات الذاتية ، فإنه من الأحوط في المرحلة الحاضرة من تطوّر العلم تمييز الكم عن الكيف في كل بحث .

ويطلق الفرق عند المحدثين على كل ما يتميز به شيء عن شيء أو تصور عن تصور .

والتفريق (Différenciation) هو الفعل الذي يحول العناصر المتشابهة إلى عناصر متباينة ، أو العناصر القليلة التباين إلى عناصر كثيرة التباين ، وهو فعل التطور الذي عبر عنه (سبنسر) بقوله : إنه انتقال من المتجانس إلى المتباين ، وأحسن مثال يدل على التفريق تقسيم العمل بين الخلايا الحية

والأعضاء ، والأفراد ، والجماعات . وقد يكـــون التفريق متعلقاً بالمبنى (Différenciation morphologique) أو بالوظائف (Diff. fonctionnelle) .

فائدة : والفرق في اصطلاحات الصوفية ما نسب إليك ، والجمع ما سلب عنك ، ومعناه أن ما يكون كسباً للعبد من إقامة وظائف العبودية ، وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق ، وما يكون من قبل الحق من إبداء معـــان وابتداء لطف وإحسان فهو جمع . ولا بد للعبد منهما ، فإنّ من لا تفرقة له لا عبودية له ، ومن لا جمع له لا معرفة له ، (تعريفات الجرجاني) .

الفساد

في الفرنسية	Corruption
في الانكليزية	Corruption
في اللاتينية	Corruptio

الفساد زوال الصورة عن المادة ، بعد أن كانت حاصلة ، ويطلق بالجملة على الحادثة التي يبلغ فيها تغير الشيء درجة تحول دون تسميته بالاسم نفسه ، والفساد مقابل للكون (Génération) ، فإذا دلّ الكون على حدوث الصورة النوعية دلّ الفساد على زوالها ، وإذا دلّ الكون على الوجود بعد العدم دلّ الفساد على العدم بعد الوجود ، وهذا المعنى الثاني أعم من الأول .

وجملة القول : إن الفساد هو التبدل الدفعي الذي يطرأ على الشيء فيبدل وجوده أو يقلبه إلى شيء آخر غيره ، مثل انقلاب الماء إلى بخار ، والنار إلى رماد ، والجسم إلى تراب . والأشياء التي تقبل الفساد على الأكثر هي الأشياء المركبة . أما الأشياء البسيطة فإنها لا تقبل الفساد ، وإن كان العقل قادراً على تصور عدمها .

الفصام

في الفرنسية Schizophrénie

فصم الشيء كسره وقطعه ، ومنه الفصام أي تفكك الوظائف العقلية ، وهو اصطلاح أطلقه بلولر (E. Bleuler) من علماء (زوريخ) على المرض النفسي التي يتميز بضياع الاتصال الحيوي بالواقع . ويرادفه الجنون المبكر (Démence précoce) والسكيزومانيا (Sckézomanie) أي جنون الانفصام.

الفصل

في الفرنسية Différence

في الانكليزية Difference

في اللاتينية Differentia

للفصل عند المنطقيين معنيان ، أحدهما ما يتميز به شيء عن شيء ذاتياً كان أو عرضياً ، لازماً أو مفارقاً ، شخصياً أو كلياً ، وهو مرادف للفرق ، وثانيها هو الكلي الذي يتميز به الشيء في ذاته . وهذا المعنى الثاني هو الذي أشار إليه ابن سينا في قوله : « وأمّا الفصل فهو الكلي الذاتي الذي يقال على نوع تحت جنس في جواب أي شيء هو منه ، كالناطق للإنسان ، فيه يجاب حين يسأل أي حيوان هو » (النجاة ص ١٤) .

والفصل قريب أو بعيد ، أما القريب فهو ما كان مميزاً عن المشاركات في الجنس القريب كالناطق للإنسان فإنه يميزه عن مشاركاته في الحيوان ، وأما البعيد فهو ما كان مميزاً مع المشاركات في الجنس البعيد فقط ، كالحساس للإنسان ، فإنه يميزه عن مشاركاته في الجسم النامي .

ويطلق اصطلاح الفصل المقوّم على الجزء الداخل في الماهية كالناطق مثلاً فإنه داخل في ماهية الإنسان ومقوّم لها . ولذلك قال المنطقيون إن الحد

الدالّ على الماهية يتألف من الجنس القريب والفصل النوعي ، فإذا قلت الإنسان حيوان ناطق كان الحيوان جنسه القريب والناطق فصله النوعي المقوّم لماهيته . وبهذا وحده يكون الحدّ جامعاً مانعاً ، أي جامعاً لأمثاله ومانعاً لأغياره .

الفضيلة

في الفرنسية	Vertu
في الانكليزية	Virtue
في اللاتينية	Virtus

الفضيلة خلاف الرذيلة ، وهي مشتقة من الفضل ، ومعناه في اللغة الزيادة على الحاجة ، أو الإحسان ابتداء بلا علّة ، أو ما بقي من الشيء .

وفضيلة الشيء بالمعنى الأرسطي مزيّته ، أو وظيفته التي قصدت منه ، أو كماله الخاص به ، يقال فضيلة السيف إحكام القطع ، وفضيلة العقل إحكام الفكر .

والفضيلة في علم الأخلاق هي الاستعداد الدائم لسلوك طريق الخير ، أو مطابقة الأفعال الإرادية للقانون الأخلاقي ، أو مجموع قواعد السلوك المعترف بقيمتها .

قال (أفلاطون) الفضيلة هي العلم بالخير والعمل به . وقال (أرسطو) الفضيلة هي العادة أو الاستعداد الطبيعي أو المكتسب للقيام بالأفعال المطابقة للخير ، وقال (كانت) إن الرجل لا يكون فاضلاً حتى يكون فعله صادراً عن إرادة صالحة تسمّى بنيّة الفعل وقوام هذه الإرادة الصالحة عنده العمل بمقتضى القانون الأخلاقي المطابق لأحكام العقل دون طمع في ثواب أو خوف من عقاب .

وقد فرّق (كانت) بين الفضيلة والواجب ، فقال : إن الفضيلة هي المبدأ الداخلي للأفعال التي يحقق بها الإنسان كماله الذاتي وسعادته وسعادة غيره ، على حين أن الواجب هو الأمر المطلق (Impératif Catégorique) الذي توزن به الأفعال الإنسانية ، وله ثلاثة مبادئ صورية .

الأول هو القول ان المبدأ الذي تتقيد به إرادتنا يجب أن يكون قانوناً كلياً ، وان الفعل لا يكون فضيلة خلقية إلا إذا أمكن تصميمه دون الوقوع في التناقض .

والثاني هو القول باحترام الشخص الإنساني لذاته ، لأن غاية الإرادة الأخلاقية احترام الوجود العاقل ، أي احترام الإنسان من حيث هو إنسان .

والثالث مبدأ الاستقلال الذاتي ، وهو القول ان الواجب قانون داخلي ينقاد له الإنسان بإرادته وعقله لا بدافع خارجي مفروض عليه .

وأمهات الفضائل (Vertus Cardinales) عند قدماء الفلاسفة هي الحكمة ، والعفّة ، والشجاعة ، والعدالة ، وأضدادها من الرذائل الجهل ، والشره ، والجبن ، والجور .

أما الحكمة فهي فضيلة النفس الناطقة ، وأما العفّة فهي فضيلة النفس الشهوانية ، وأما الشجاعة فهي فضيلة النفس الغضبية ، وأما العدالة فهي التي تجتمع من هذه الفضائل الثلاث .

وكل فضيلة فهي وسط بين رذيلتين . أما الحكمة فهي وسط بين السفه والبله ، وأما العفة فهي وسط بين الشره وخمود الشهوة ، وأما الشجاعة فهي وسط بين التهور والجبن ، وأما العدالة فهي وسط بين الظلم والانظلام .

ومن شرط الفضيلة أن تتم في الحياة الاجتماعية ، لأن من ترك مخالطة الناس وتفرد عنهم لا تحصل له الفضيلة ، ولا معنى للتواضع والصداقة والكرم والإخلاص وإنكار الذات وغيرها من الفضائل إلاّ بالنسبة إلى رجل يعيش

مع الناس ويشاركهم في أحوالهم . وقد قال أفلاطون ان الفضائل تختلف باختلاف طبقات المجتمع فإذا كانت العفة فضيلة العمّال ، والشجاعة فضيلة الجنود ، والحكمة فضيلة الحكّام ، فإن المجتمع الفاضل هو المجتمع العادل الذي تتحقق فيه جميع الفضائل الإنسانية .

وقد فرّقوا في القرون الوسطى بين الفضائل الأخلاقية (Vertus morales) وهي الفضائل الأربع التي عددناها والفضائل الدينية أو اللاهوتيـــة (Vertus théologales) وهي الإيمان ، والرجاء ، والمحبة .

والفاضل (Vertueux) هو المتصف بالفضيلة .

الفطري

في الفرنسية	Inné
في الانكليزية	Innates
في اللاتينيـة	Innatus

الفطري هو المنسوب إلى الفطرة ، والفطرة هي الجبلّة التي يكون عليها كل موجود في أول خلقه . قال تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله » وجاء في الحديث الشريف : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه ، ومعنى ذلك أنّ المولود يولد على السلامة خلقاً وطبعاً وهيئة ليس فيها إيمان ، ولا كفر ، ولا إنكار ، ولا معرفة ، لأنه لو كان مفطوراً على إحدى هذه الحالات لما انتقل عنها أبداً . وقيل إن الفطرة هي الإسلام أو البدأة التي بدأ الله خلقه عليها ، أو ما أخذه الله على ذرية آدم من الميثاق . ومهما يكن من أمر ، فإن الفطرة هي الجبلّة الأصلية أو الطبيعة الأولى التي يكون عليها المولود في وقت ولادته .

قال ابن سينـا : « ومعنى الفطرة أن يتوهم الإنسان نفسه حصل في الدنيا دفعة وهو بالغ عاقل ، لكنه لم يسمع رأياً ، ولم يعتقد مذهباً ، ولم

يعاشر أمة ، ولم يعرف سياسة ، لكنه شاهد المحسوسات وأخذ منها الخيالات ، ثم يعرض على ذهنه شيئاً ويتشكك فيه ، فإن أمكنه الشك فالفطرة لا تشهد به ، وإن لم يمكنه الشك فهو ما توجبه الفطرة . وليس كلّ ما توجبه فطرة الإنسان بصادق ، بل كثير منها كاذب ، إنما الصادق فطرة القوة التي تسمى عقلاً » (النجاة ، ص ٩٦ — ٩٧) . وقال أيضاً « والفطرة الإنسانية في الأكثر غير كافية في التمييز ، بين أصناف التصديقات ، فهي إذن قد تكون سليمة ، وقد تكون غير سليمة ، فاذا كانت سليمة سمّيت عقلاً » فيقال عقل لصحة الفطرة الأولى في الإنسان » (رسالة الحدود) . ومعنى ذلك أن العقل عند ابن سينا هو التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة ، أما العلم فهو ما حصل بالاكتساب . والفطرية (Innéité) صفة تميز الفطري من غيره ، وجمعها فطريات ، وهي تطلق عند فلاسفتنا القدماء على قسم من المقدّمات اليقينية الضرورية ، وهي قريبة من الأوليات يجزم العقل فيها بلا واسطة كقولنا ان الشيء الواحد لا يكون موجوداً ومعدوماً واجباً ومحالاً . أما الفطريات فان العقل لا يجزم فيها إلا بواسطة كقولنا الأربعة زوج ، فان من تصور الأربعة تصور الانقسام إلى متساويين وهو زوج ، ولذلك قالوا إن الفطريات قياسات خفية أو قضايا قياساتها معها ، (راجع لفظ الموضوعات) .

ومذهب الفطرية (Innéisme) هو القول ان في العقل البشري أفكاراً فطرية مثال ذلك انّ الأفكار عند ديكارت ثلاثة أقسام وهي المعاني الفطرية (Idées innées) والمعاني المصطنعة (Idées factices) المتولدة مما تركبه المتخيلة ، والمعاني الطارئة على النفس من الخارج (Idées adventices) وهي المتولدة من الإحساس ، فالفطري عند ديكارت يشمل إذن ما نطلق عليه اليوم اسم أحوال القدر ، كما يشمل ما نسميه بقوانين المعرفة أو صورها القبلية . وليس المقصود بذلك أن الطفل يولد وفي نفسه معان فطرية واضحة ، ولكن المقصود به كما قال (ليبنيز) : انّ في نفسه استعدادات شبيهة بالعروق

التي نجدها في حجر المرمر ، فهي تجعل هذا الحجر صالحاً لقبول صورة معيّنة ، بحيث يمكنك أن تقول إن هذه الصورة فطرية له ، لا تنتقل من القوة إلى الفعل إلا بالتجلية ، وسبيل هذه التجلية التجربة والعمـــل . (راجع كتابنا : علم النفس ، ص ٥٦٧ — ٥٦٨ من الطبعة الثانية) .

الفعل

في الفرنسية	Acte
في الانكليزية	Acte , action
في اللاتينيـة	Actus

الفعل في اللغة العمل ، وفي النحو ما دلّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة ، وهو مشتمل على ثلاثة معان : أحدها الحدوث ، وثانيها الزمان ، وثالثها النسبة إلى الفاعل .

وللفعل في اصطلاح الفلاسفة عدة معان .

١ — فالفعل بالمعنى العامّ يطلق على تأثير الشيء في غيره ، ومثاله أفعال الطبيعة كتأثير النار في التسخين ، فهي فاعلة والمتسخن منفعل ، أو كتأثير الخطيب في الجمهور فهو فاعل والجمهور منفعل . ويطلق الفعـل بهذا المعنى أيضاً على كل ما يقوم به الإنسان من أفعال إرادية أو غير إرادية .

٢ — ويطلق الفعل في علم الأخلاق على الأفعال الصادرة عن الوجود العاقل كفعل الشجاع أو فعل المربي فهما فعلان إراديان . ولا يشترط في الفعل الإرادي أن يكون مصحوباً بحركة محسوسة دائماً ، لأنه يمكن أن يكون وقوفاً عن الحركة أو امتناعاً عنها .

٣ — ويطلق الفعل في علم النفس على نشاط الكائن الحي المتجه إلى غاية معينة ، وهو إمّا أن يكون إرادياً كالفعل الذي يقوم به الإنسان عن

رويّة وفكر ، وإما أن يكون غير إرادي كالأفعال المنعكسة ، أو الأفعال الغريزية ، ومع ذلك فإن هذه الأفعال اللاإرادية تشبه الأفعال الإرادية بنتائجها وإن اختلفت عنها بأسبابها .

٤ — ويطلق الفعل في علم ما بعد الطبيعة على الموجود من حيث ان حقيقته تقوم على الفعل . فالفعل ليس أمراً زائداً على الموجود ، وإنما هو مقوّم لماهيته ، وهو بهذا المعنى ذو وحدة تامّة حتى لقد قال (لافل) إن هذه الوحدة مقابلة للكثرة التي يعبّر بها الموجود عن ذاته . (Lavelle, De l'acte, livre III, ch. XX, p : 363)

٥ — والفعل بالمعنى الأرسطي مقابل للقوة ، (Puissance) وهو قسم من العرض لأن الموجود عند (آرسطو) ينقسم إلى ما هو بالقوة وما هو بالفعل . والفعل يؤخذ تارة كالحركة بالإضافة إلى القوة ، وتارة كالصورة بالإضافة إلى المادة . ولكن الحركة فعل ناقص ، أما الفعل الكامل فهو الموجود الذي خرج إلى الفعل خروجاً تاماً حتى صار مبرّأً من كل نقص . وكل تغير فهو انتقال من القوة إلى الفعل ، فإذا قلت إن الشيء كان موجوداً بالقوة ثم صار موجوداً بالفعل عنيت بذلك أنه يمر بثلاث حالات وهي الإمكان ، والاتجاه إلى الحدوث ، والحدوث . ومعنى ذلك أن الاتجاه إلى الحدوث يفترض إمكان الحدوث أولاً ، حتى إذا بلغ هذا الاتجاه نهايته أصبح ذلك الشيء موجوداً بالفعل . فقولك إن الشيء موجود بالفعل مضادٌ لقولك إنه موجود بالقوة . والعقل المحض هو الموجود الذي لا يخالطه وجود بالقوة .

٦ — وفرّقوا بين الموجود من جهة ما هو متصف بالسكون والموجود من جهة ما هو متصف بالحركة والفعل ، فقالوا إن المعنى الأول مساوق لمعنى الماهية الثابتة على حين أن الثاني مشتمل على معنى الانبجاس والتفجر والصيرورة .

٧ — وفرّقوا أيضاً بين الفعل المادي (acte matériel) والفعل الصوري (acte formel) بقولهم ان الفعل المادي هو المصحوب بالتنفيذ على حين أن الفعل الصوري مقصور على حصول نية الفعل أو على تصور الغـــاية المراد بلوغها .

٨ — والفاعل (Agent) ما يصدر عنه الفعل ، والمنفعل ما يقبل الفعل ، والعقل الفاعل (Intellect agent) مقابل للعقل المنفعل (Intellect passif) وهو العقل الهيولاني ، مثال ذلك أن الأشياء إذا طبعت على العقل الهيولاني صوراً مشابهة لها قلبها العقل الفاعل إلى معقولات بالفعل . فهو إذن كالضياء بالنسبة إلى رؤية الأشياء ، فانها عندما تكون في الظلام تكون مرئية بالقوة ، حتى إذا انتقلت من الظلام إلى النور أصبحت مرئية بالفعل . وهذا العقل الفاعل عقل مفارق غير قابل للانفعال ، لأنه في جوهره فعل لا يدخله التركيب ، وفلاسفة العرب يطلقون على هذا العقل المفارق اسم العقل الفعّال (Intelligence active) وهو عندهم آخر العقول السماوية المفارقة . وما سمي هذا العقل فعالاً إلا لأنه يهب الصور للعقل الإنساني ويؤثّر فيه حتى يرفعه إلى درجة العقل المستفاد (راجع لفظ عقل) .

٩ — والفاعل أو الفعال ما يتصف بالنشاط والفاعلية ، ويطلق على الأشياء والأشخاص ، تقول دواء فعّال أي شاف ، ورجل فعّال أي نشيط .

ويطلق الفعال في علم الطباع على الشخص المتصف بالاستعداد للفعل أو بالنزوع إليه ، وهو مقابل للشخص المتصف بالانفعال .

١٠ — والفاعلية (Activité) هي النشاط ، تقول فاعلية الفكر أي نشاطه . وتطلق الفاعلية على قسم من أقسام علم النفس المدرسي ، وتشتمل على البحث في الظواهر النفسية المتعلقة بالنزعات ، والغرائز ، والعادات ، والإرادات ، أما في علم الطباع فتطلق على الطبقات التي يتميز بها الأشخاص

الذين ينزعون بطباعهم إلى الفعل . ومذهب الفاعلية (Activisme) قسمان : عملي ونظري : أما العملي فيبحث في السلوك الإنساني من جهة اشتماله على تحقيق الأشياء في الخارج . وأما النظري فيبحث في الفكر من جهة ما هو مسبوق بالعمل ومتعلق به ، بحيث يكون العمل ميزاناً يوزن به الفكر .

١١ — والفعلي (Actuel) هو المنسوب إلى الفعل ويرادفه الحاضر ، تقول الأمور الفعلية أي الأمور الحاضرة ، وقد يطلق على ما فيه نفع حاضر للإنسان أو على ما يثير اهتمام الجمهور . والفعلي أيضاً مقابل الممكن ، تقول في علم الميكانيك الطاقة الفعلية وهي ضد الطاقة الممكنة .

١٢ — والعلّة الفاعلة (Cause efficiente) هي العلّة المحدثة للشيء أو الشرط الضروري والكافي لحدوثه (راجع لفظ علّة) . ومعنى الفاعل هنا القادر على إحداث الشيء ، أو إحداث أثر فيه .

وإذا أضفت الفعل إلى الله عنيت بذلك قدرته تعالى على خلق كل شيء فهو الذي يخلق العالم ، ويحرّك القوى الروحية والمادّية ، ويضع كل شيء في المكان اللائق به .

الفقد أو الفقدان

فقد الشيء ضلّه وضاع منه ، والمفقود في الشرع هو الغائب أي البعيد عن أهله لا يعرف موته ، ولا حياته ، ولا مكانه .

ويدخل لفظ الفقد أو الفقدان على الكثير من الألفاظ الفلسفية الدالّة على نفي الشيء ، كقولنا فقدان الإرادة (Aboulie) ، وفقدان الذاكرة (Amnésie) ، وفقدان القدرة على الكتابة (Agraphie) ، وفقدان النطق (Aphasie) ، وفقدان الحساسية (Apalbie) .

أما فقدان الإرادة فهو عجز المرء عن اتخاذ قرار ما ، او عجزه عن تنفيذ قرار اتخذه ، وإن كانت وظائفه العقلية سوية .

وأما فقـدان الذاكرة فهو العجز عن التذكـــر ، ويكون كلياً (Amnésie générales) أو جزئياً (Amnésie partielle) ، أمّا الكلي فهو فقدان جميع الذكريات ، وأمّا الجزئي فهو فقدان نوع منها كنسيان أسماء الأشخاص ، أو نسيان تاريخ الحوادث ، أو نسيان حرف من حروف الهجاء . الخ ..

وأما فقدان القدرة على الكتابة ، فهو عجز المرء عن كتابة الحروف والكلمات وإن كان غير مصاب بشلل الأعضاء .

وأما فقدان النطق أو (الحبسة) فهو تعذّر الكلام ، أو ثقـل في اللسان يمنع من الإبانة (راجع لفظ حبسة) .

وأما فقدان الحساسية فهو عدم المبالاة بالبواعث الحسية ، كحال الرواقي الذي يحتقر الألم أو لا يبالي به ، أو كحال الرجل الذي يتراخى عن العمل لعدم مبالاته بالأسباب التي تثير الانفعالات أو الرغبات .

الفكر

في الفرنسية	Pensée
في الانكليزية	Thougt
في اللاتينية	Cogitatus , Cogitationis

الفكر إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها ، ويطلق بالمعنى العامّ على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية . وله عند الفلاسفة ثلاثة معان :

الأول حركة النفس في المعقولات سواء أكانت بطلب أو بغير طلب ، أو كانت من المطالب إلى المبادئ أو من المبادئ إلى المطالب . وهذا المعنى الذي يتضمن معنى الحركة يخرج الحدس ، لأن الحدس إنما هو انتقال من المبادئ إلى المطالب دفعةً لا تدريجاً ، أما الفكر فهو حركة سواء أكانت

بطلب أو بغير طلب ، والأولى أن يشترط في معنى الفكر القصد ، لأن حركة النفس في المعقولات بلا اختيار كما في المنام لا تسمّى فكراً .

والثاني حركة النفس في المعقولات مبتدئةً من المطلوب المتصوَّر إلى مبادئه الموصلة إليه ، إلى أن تجدها وترتبها ، فترجع منها إلى المطلوب . فالفكر بهذا المعنى يشمل حركتين : الأولى من المطالب إلى المبادىء ، والثانية من المبادئ إلى المطالب . وهذا أيضاً يخرج الحدس لأن الحدس كما بينا انتقال من المبادئ إلى المطالب دفعة .

والثالث هو الحركة الأولى من هاتين الحركتين ، أعني الحركة من المطالب إلى المبادئ من غير أن توجد الحركة الثانية معها . وهذا هو الفكر الذي يقابله الحدس تقابلاً يشبه الصعود والهبوط ، لأن الانتقال من المبادئ إلى المطالب دفعة يقابله عكسه الذي هو الانتقال من المطالب إلى المبـــادئ وإن كان تدريجاً .

وجميع هذه المعاني تخرج الانفعالات والعواطف والغرائز والإرادات من مفهوم الفكر ، إلا أنّ بعض الفلاسفة يوسّعون معنى الفكر ويطلقونه على جميع ظواهر النفس ، مثال ذلك قول (ديكارت) في كتاب التأملات : « ما هو الفكر ، أنه الشيء الذي يشك ويفهم ، ويدرك ، ويثبت ، ويريد ، أو لا يريد ، ويتخيل ، ويحس » وفي هذا القول برهان على أن معنى الفكر عند ديكارت يشمل الإحساس والإدراك والتخيل والشك والإثبات والإرادة . وقد بطل اليوم استعمال لفظ الفكر بهذا المعنى العامّ حتى أن (ديكارت) نفسه لم يطلق لفظ الفكر على الحالات الانفعالية والإرادية إلا من جهة ما هي حالات تدركها النفس بإعمال الفكر فيهـا . فلا غرو إذا اقتصر الفلاسفة المتأخرون على إطلاق لفظ الفكر على أفعال العقل دون غيرها . إن الفكر عندهم مرادف للفهم أو لحركة النفس في المعقولات ، وبينه وبين

اللغة تبادل ، لأن الفكر يبحث في اللغة عن صورة تعبر عنه ، واللغة تبحث في الفكر عن فعل عقلي معادل لها . ومن العبث فصل الأفكار عن الألفاظ المعبرة عنها فصلاً تاماً لأن الفكر والتعبير يسيران جنباً إلى جنب . ومن شقاء الكاتب أن تمتلئ نفسه من الأفكار وأن تخونه اللغة فلا تمدّه بالألفاظ الصالحة للتعبير عنها .

وجملة القول إن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أو يطلق على المعقولات نفسها ، فإذا أطلق على فعل النفس دلّ على حركتها الذاتية ، وإذا أطلق على المعقولات دلّ على الموضوع الذي تفكر فيه النفس ، وهو مرادف للفكرة ، ومنه قولهم الفكر الديني ، والفكر السياسي . والفكري هو المنسوب إلى الفكر ، تقول الحياة الفكرية ، والمسائل الفكرية .

الفكرة

في الفرنسية	Idée
في الانكليزية	Idea
في اللاتينية	Idea

الفكرة هي المفهوم العقلي ، وتطلق على ثمرة إعمال العقل في الأشياء ، وجمعها فِكَر . والفرق بين الفكرة والصورة أن الفكرة عامّة ومجرّدة ، والصورة جزئية ومشخّصة ، والفلاسفة التجريبيون يتكلمون على كيفية تكون الفكرة من الصور الحسية المنطبعة على صفحات الذهن وإن كان كلامهم على ذلك لا يقطع مظانّ الاشتباه .

ويطلق لفظ الفكرة (Idée) بالحروف الكبيرة (في اللغات الأجنبية) على المثال الأفلاطوني وهو صورة عقلية مجردة في عالم الاله لا تدثر ولا تفسد .

والأولى في اللغة العربية اجتناب هذا الاصطلاح ، والاستعاضة عنه بلفظ المثال أو الصورة العقلية المفارقة .

وللفكرة عند ابن سينا معنى خاص وهو إطلاقها على حركة النفس في المعاني ويرادفها الفكر قال ابن سينا : « وأما الفكرة فهي حركة ما للنفس في المعاني ، مستعينة بالتخيل في أكثر الأمر يطلب بها الحدّ الأوسط أو ما يجري مجراه مما يصار به إلى علم بالمجهول حالة الفقد استعراضاً للمخزون في الباطن» (الإشارات ، ص ١٢٧) .

والفكرة عند (ليبنيز) وغيره من الفلاسفة الديكارتيين هي المادّة المباشرة للفكر أو الموضوع المتقدم على صورته . والدليل على ذلك كما بينا غير مرة أن ديكارت يجعل الفكر ثلاثاً ، وهي الفكرة الطارئة (Adventices) الآتية من الحواس والفكرة المصطنعة (Factices) المتكونة من الفكرة الأولى بتأثير العمليات العقلية ، والفكرة الفطرية (Innées) الموجودة في النفس قبل اتصالها بالعالم المحسوس .

وقد أطلق (كانت) اصطلاح الفكرة المتعالية (Idée transcendantale) على معنى قريب من معنى المثال الأفلاطوني ، وهي صورة من صور العقل المحض التي لا تجيء من الحواس ، بل تجاوز مفاهيم العقل ، وتتعالى عن إمكان تصورها بما تزودنا به التجربة من الأمثلة الحسية .

ونحن نطلق اليوم لفظ الفكرة على كل ما يتصوره العقل ، وهي مرادفة للتصور والمفهوم ، والمعقول ، ونُدخل هذا اللفظ في كثير من اصطلاحاتنا الفلسفية ، منها الفكرة المطابقة (Idée adequate) وهي الفكرة التي تمثل موضوعها تمثيلاً تاماً .

ومنها الفكرة الثابتة أو المتسلطة (Idée fixe) وهي ظاهرة مرضية قوامها تسلّط أحد التصورات على ساحة الشعور ، بحيث تعجز الإرادة عن إبعاده عنها .

ومنها الفكرة — القوة (Idée force) وهي القول ان الفكرة ليست تصوراً ساكناً ، وإنما هي قوة باعثة على الحركة والفعل ، ومنه قولهم الفكرة المحركة ، أو الفكري المحرّك (Idéo motrice) .

ومنها الفكرة الكاذبة (Pseudo - idée) وهي الفكرة الغامضة التي لا تدل على شيء متميز ومنها الفكرة السابقة (Idée préconçus) وهي الفكرة التي يتصورها العقل قبل أن تحصل له بها معرفة يقينيّة مستمدّة من العلم والتجربة . وهي عند (كلود برنارد) مرادفة للفرضية . والفرق بينها وبين الفرضية ان العالم يعرف وهو يخاطر بفرضيته أن هذه الفرضية موقتة لا تصبح نهائية إلا إذا أيدتها التجربة ، وليس الأمر كذلك في كل فكرة سابقة .

ومنها الفكرة الممثلة (Idée representative) وهي الفكرة المطابقة للشيء الذي تعبر عنه ، وقد اشتق هذا الاصطلاح من قول (ديكارت) إن أفكارنا تمثل نسخاً وإن كمالها متناسب مع درجة تمثيلها لهذه النسخ ، قال : إن بين الفكَر التي لدي فكرة تمثل الله ، وفكر أخرى تمثل الأشياء الجسمانية الجامدة ، هذا عدا الفكرة التي تمثل نفسي لنفسي .

الفلسفة

في الفرنسية	Philosophie
في الانكليزية	Philosophy
في اللاتينية	philosophia

الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية وهي (فيلا ـ صوفيا) ، وتفسيرها محبة الحكمة . وهي تدل على العلم بحقائق الأشياء ، والعمل بما هو أصلح .

كانت الفلسفة عند القدماء مشتملة على جميع العلوم ، وهي قسمان نظري

وعملي ، أمّا النظري فينقسم إلى العلم الإلهي وهو العلم الأعلى ، والعلم الرياضي ، وهو العلم الأوسط ، والعلم الطبيعي وهو العلم الأسفل . وأما العملي فينقسم إلى ثلاثة أقسام أيضاً أحدها سياسة الرجل نفسه ، ويسمّى علم الأخلاق ، والثاني سياسة الرجل أهله ، ويسمى علم تدبير المنزل ، والثالثة سياسة المدينة والأمة والملك ، ومع أن العلوم قد استقلت عن الفلسفة واحداً بعد واحد ، فإنّ بعض الفلاسفة ظلّ يطلق لفظ الفلسفة على جميع المعارف الإنسانية ، مثل ديكارت الذي قال إن الفلسفة أشبه شيء بشجرة جذورها علم ما بعد الطبيعة ، وجذعها علم الطبيعة ، وأغصانها العلوم الأخرى كالطب وعلم الميكانيك وعلم الأخلاق .

والصفات التي تتميز بها الفلسفة بهذا المعنى هي الشمول ، والوحدة والتعمق في التفسير والتعليل ، والبحث عن الأسباب القصوى والمبادئ الأولى . لذلك عرّفها أفلاطون بقوله : إنها العلم بالحقائق المطلقة المستترة تحت ظواهر الأشياء ، وعرّفها أرسطو بقوله : إنها العلم بالأسباب القصوى الأشياء ، أو علم الموجود بما هو موجود ، وعرّفها ابن سينا بقوله : إنها الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه ، وهي كما قال الجرجاني : التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية . أما في العصور الحديثة فإن لفظ الفلسفة يطلق على دراسة المبادئ الأولى التي تفسر المعرفة تفسيراً عقلياً كفلسفة العلوم ، وفلسفة الأخلاق ، وفلسفة التاريخ وفلسفة الحقوق الخ (Auguste Comte, Cours de philo. positive, p. 4) أو تطلق على كل معرفة تامّة التوحيد ، بخلاف المعرفة العلمية المشتملة على شيء من التوحيد ، والمعرفة العامية التي لا توحيد فيها (هربرت سبنسر) ، أو تطلق على مجموع الدراسات المتعلقة بالعقل من جهة ما هو متميز عن موضوعاته ، أو من جهة ما هو مضاد للطبيعة . فإذا دلّت الفلسفة على دراسة

المبادئ الأولى أو على المعرفة التامّة التوحيد أمكنك أن تسميها بعلم العلوم . وإذا دلّت على دراسة العقل البشري من جهة ما هو متميز عن موضوعاته انقسمت إلى قسمين .

١ — قسم يشمل البحث في أصل المعرفة وقيمتها وفي مبادئ اليقين وأسباب حدوث الأشياء ، وهو ما يحاول كل فيلسوف أن يجيب به عن سؤالنا : ماذا يمكننا أن نعلم .

٢ — وقسم يشمل البحث في قيمة العمل ، وهو الإجابة عن سؤالنا : ما ذا يجب أن نفعل ، والفرق بين الفلسفة والعلم أن العلم يتقدم ويتسع نطاقه بازدياد الحقائق اليقينية التي يحصل عليها ، على حين أن الفلسفة تظل محصورة في دائرة واحدة من الحقائق ، وإن كانت الصور التي تعبر بهـا عن هذه الحقائق مختلفـة ومتفاوتة . ولذلك قال بعضهم إن الفلسفة نظرية القيم ، وتشتمل على ثلاثة أقسام ؛ وهي المنطق وموضوعه البحث في قيمة الحقيقة ، وعلم الجمال وموضوعه البحث في قيمة الفن ، وعلم الأخلاق وموضوعه البحث في قيمـــة العمل . وتسمّى هذه العلوم الثلاثة بالعلوم القاعدية (Sciences normativee) ، وموضوعها دراسة مظاهر العقل البشري من حيث قدرته على تأليف أحكام القيم .

ومن معاني الفلسفة في أيامنا هذه إطلاقها على الاستعداد الفكري الذي يجعل صاحبه قادراً على النظر إلى الأشياء نظرة متعالية عن المصالح الفردية ، قادراً على تقبل طوارق الحدثان بكل ثقة وسكينة واطمئنان . والفلسفة بهذا المعنى مرادفة للحكمة .

وقد يطلق لفظ الفلسفة على مذهب فلسفيّ معيّن ، فيقال فلسفة أفلاطون ، وفلسفة ابن سينا ، وفلسفة ديكارت ، أو يطلق على مجموع المذاهب الفلسفية في أمّة معيّنة فيقال الفلسفة اليونانية ، والفلسفة العربيـة ، أو في زمان

معيَّن ، فيقال فلسفة القرون الوسطى ، وفلسفة القرن السابع عشر الخ .

والفلسفة الأولى (Philosophie première) اصطلاح أطلقه آرسطو على العلم الإلهي وقد سماه بالفلسفة الأولى ، لأنه يبحث في الأسباب القصوى ، والمبادئ الأولى أي في الإله بخلاف العلم الطبيعي الذي يبحث في الأسباب الثانية . أما (ابن سينا) فقد أطلق اصطلاح الفلسفة الأولى على الحكمة المتعلقة بما وجوده مستغن عن مخالطة التغير أي على الفلسفة التي موضوعها الوجود المطلق بما هو موجود مطلق ، وأطلق اصطلاح الفلسفة الإلهية على جزء من الفلسفة الأولى وهو معرفة الربوبية (عيون الحكمة ، ص ٣ من كتاب تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات) . وأما (بيكون) فإنه يطلق اصطلاح الفلسفة الأولى على البحث في المبادئ الصورية لجميع العلوم أو لأ كثرها . وقد قلده في ذلك (هوبس) فجعل موضوع الفلسفة الأولى البحث في المكان والزمان والعلة والمعلول والكم .. الخ .

والفلسفة العامَّة (Philosophie générale) اصطلاح جديد استعمله (أوغوست كومت) للدلالة على المبادئ العامَّة التي يستند إليها العلم . وقد عمَّ استعمال هذا الاصطلاح في فرنسة حتى أطلق في عام ١٩٠٧ على أحد أقسام الإجازة الفلسفية ، ومعناه دراسة المسائل الفلسفية التي يثيرها علم النفس ، والمنطق ، وعلم الأخلاق ، وعلم الجمال . من هذه المسائل ، حقيقة المعرفة ، ووجود الله والعالم ، ووجود النفس الكلية ، والنفوس الفردية ، وعلاقة الحياة بالمادة ، ومسألة التقدم الخ ..

ويطلق اصطلاح الفلسفة الشعبية (Philosophie populaire) على مجموع الدراسات التي انتشرت في ألمانيا لتوكيد نزعة التحرير التي بدأ بها (فولف) . وتتميز هذه الدراسات الخالية من التوجيه والإرشاد بملاءمتها لمستوى الجمهور وأشهر ممثلي هذه الفلسفة الشعبية (مندلسون) و (آنجل) و (آبت) و (سولزر) و (فيدر) .

والفلسفة الخالدة (Philosophia perennis) هي القول أن ما تتضمنه النظريات الفلسفية من مبادئ أساسية تؤلف تراثاً إنسانياً مستمراً ، وهي بهذا المعنى لا تجدد شيئاً ، لأن مبادئها التي وصلت إلينا مستخرجة من التأمّل الذي اشتركت البشرية جمعاء في تزويدنا بمادّته .

وفلسفة التاريخ (Philosophie de l'histoire) اصطلاح وضعه (فولتير) ونشره (هردر) في ألمانيا ، ومعناه دراسة المبادئ والقوانين العامّة المؤثرة في تطور حوادث التاريخ ، ومن قبيل ذلك أيضاً قولهم : فلسفة الحقوق (Philosophie du droit) وفلسفة الأديان (Philosophie des religions) .

أما اصطلاح فلسفة العلوم (Philosophie des sciences) فيطلق على دراسة أصول العلم ومبادئه العامّة .

والفلسفي (Philosophique) هو المنسوب إلى الفلسفة ، تقول : البرهان الفلسفي ، وهو البرهان العقلي المقابل للبرهان الخطابي ، أو البرهان الجدلي ، أو السفسطائي . والفلسفيات (Philosophème) هي الدراسات أو التعاليم الفلسفية والبراهين العلمية .

الفنّ

في الفرنسية	Art
في الانكليزية	Art
في اللاتينيـة	Ars

الفنّ بالمعنى العامّ جملة من القواعد المتبعة لتحقيق غاية معينة جمالاً كانت أو خيراً أو منفعة . فإذا كانت هذه الغاية تحقيق الجمال سمي الفن بالفن الجميل ، وإذا كانت تحقيق الخير سمّي الفن بفن الأخلاق ، وإذا كانت تحقيق المنفعة سمّي الفن بالصّناعة . (راجع لفظ صناعة) .

ومعنى ذلك أن الفن مقابل للعلم لأن العلم نظري والفن عملي ، ومضادّ للطبيعة من حيث أنّ أفعالها لا تصدر عن روية وفكر .

أما الفن بالمعنى الخاصّ فيطلق على جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة الشعور بالجمال ، كالتصوير ، والنحت ، والنقش ، والتزيين ، والعمارة ، والشعر ، والموسيقى وغيرها . وتسمّى هذه الفنون بالفنون الجميلة (Beaux arts) ، ومن عادة بعض العلماء أن يقسموها قسمين كبيرين ، وهما : الفنون التشكيلية (Plastiques) كالعمارة ، والتصوير ، والنقش ، والفنون الإيقاعية (Rythmiques) كالشعر ، والموسيقى ، والرقص . والفرق بين الأولى والثانية أن جوهر الأولى المكان والسكون ، على حين أن جوهر الثانية الزمان والحركة . وسواء أكان الفن تشكيلياً أم إيقاعياً فإنه في كلا الحالين لا يقتصر على محاكاة الطبيعة ، بل يبدلها بما يضيفه إليها من اختراعات الخيال .

ويطلق اصطلاح الفنون الحرّة (Arts libéraux) على الفنون السبعة التي كانت تدرس في معاهد القرون الوسطى كالثلاثيات (قواعد اللغة والبلاغة والمنطق) والرباعيات (الحساب والهندسة والفلك والموسيقى) . وقد سميت بالفنون الحرة أو الصناعات الحرة لأنها تعد أصحابها للمهن الحرة .

وإذا استعمل لفظ الفن بصيغة المفرد دلّ على الحقائق المشتركة بين الأشياء الجميلة ، وإذا استعمل بصيغة الجمع دلّ على الوسائل المستعملة للتعبير الخارجي عن الجمال بواسطة الخطوط أو الألوان أو الحركات ، أو الأصوات ، أو الألفاظ .

والفرق بين الفن والعلم أن غاية الفن تحصيل الجمال على حين أن غاية العلم تحصيل الحقيقة ، وإذا كانت أحكام الفن إنشائية فإنّ أحكام العلم خبرية أو وجودية .

وكلّ من يمهر في تذوق الجمال أو تحصيله [١] أو إبداعه يسمّى فنّاناً (Artiste) ومن شرط الفنان أن يطلب الفن لذاته . هذا ما يطلقون عليه ، اصطلاح الفن للفن . والفنّي (Artistique) هو المنسوب إلى الفن .

فائدة — للفن عند هيجل ثلاثة أقسام وهي :

١ — الفن الرمزي (Art symbolique) وهو الذي يقنع فيه الفنان بالتعبير عن فكرته المجردة بالرموز والإشارات لعجزه عن التعبير عنها بالصور الحقيقية المطابقة لها .

٢ — الفن الكلاسيكي (Art classique) وهو الذي يحاول تحقيق المطابقة والانسجام التام بين الفكرة والصورة .

٣ — والفن الرومانسي (Art romantique) وهو الذي يفصل الفكرة عن الصورة . لأن الفكرة غير متناهية والصورة متناهية ، ولأن الفكرة إذا كانت روحانية ومتعالية عن العالم المتطور كان من الصعب على الفنان أن يعبر عنها بصور مطابقة لها كل المطابقة [٢] .

الفناء

في الفرنسية	Anéantissement
في الانكليزية	Annihilation

فناء الشيء زوال وجوده . والفرق بينه وبين الفساد ، أن فناء الشيء عدمه ، على حين أن فساده تحوله إلى شيء آخر .

والفناء عند الصوفية عدم شعور الشخص بنفسه ولا بشيء من لوازم نفسه . وقيل : الفناء تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية ، وقيل :

(١) هناك الفن الملتزم أو الموجه الذي يعمل فيه الفنان وفق خطة مرسومة له ولا يطلب فيه الفن لذاته . (المجلة)

(٢) التعريفات التي اعتمدتها كتب الأدب فيا بعد هيجل تخالف هذه التعريفات . (المجلة)

الفناء سقوط الأوصاف المذمومة ، والبقاء ثبوت النعوت المحمودة ، وعلامته عندهم ذهاب حظ المرء من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالى ، والبقاء الذي يعقبه هو أن يفنى عما له ويبقى بما لله تعالى . وعلامة فنائك عن الخلق انقطاعك عنهم وعن التردد إليهم ، واليأس منهم ، وعلامة فنائك عن نفسك وعن هواك تركك التعلق بالأسباب التي تجلب النفع وتدفع الضر . وآخر الفناء عند الصوفية أن لا ترى شيئاً إلاّ الله ، وأن تكون ناسياً لنفسك ولكل الأشياء سوى الله ، فإذا قال الصوفي ليس في الوجود إلاّ الله عبَّر بذلك عن فناء ذاته في الذات الإلهية ،

فنطاسيا

في الفرنسية	Fantaisie
في الانكليزية	Fancy
في اللاتينية	Phantasia

يطلق هذا الاصطلاح عند القدماء على القوة التي تتمثل الأشياء الخارجية تمثلاً حسياً كالذاكرة والمتخيلة . أمّا ابن سينا فإنه يطلقه على قوة الحس المشترك (Sens Commun) وهو كما يقول قوة « تقبل بذاتها جميع الصور المنطبقة في الحواس الخمس متأدية إليها منها » (النجاة ص ٢٦٥) ، وأما القديس توما الاكويني فإنه يطلقه على حفظ ما قبله الحس المشترك من الصور الحسية وبقي فيه بعد غياب المحسوسات . وأما فلاسفة القرن السابع عشر فإنهم يطلقونه على قوة الخيال أو المصورة التي تحفظ الصور بعد غيبة المحسوسات ، أو على المتخيلة التي تركب الصور بعضها مع بعض وتستخرج منها صوراً جديدة ، ونحن نطلق اليوم لفظ (فنطاسيا) على كل تخيل وهمي متحرر من قيود العقل ، أو على فاعلية ذهنية خاضعة لتلاعب تداعي الأفكار ، أو على كل رغبة طارئة لا تستند إلى سبب معقول .

الفهم

في الفرنسية Comprendre

في الانكليزية - To comprehend

- To understand

في اللاتينية Comprehendere

يطلق الفهم على حصول معنى اللفظ في العقل ، فإذا لم يحصل معناه في العقل بالقوة أو بالفعل كان كألفاظ اللغات الأجنبية التي تسمعها ولا تدرك معانيها .

ويطلق الفهم أيضاً على معرفتك بأن شيئاً من الأشياء أو قولاً من الأقوال داخل في شمول قانون عامّ مقبول لديك .

وأعلى درجات الفهم أن تعرف بأن ما تصرح بفهمه لا يمكن أن يكون إلا كما فهمته .

وإذا أطلقت لفظ الفهم على إدراكك لعواطف الآخرين دلّ على شعورك بشعورهم أو على وضعك نفسك في موضعهم بحيث تدرك بالحدس أسباب تلك العواطف وتقدرها على حقيقتها .

وجملة القول أن الفهم حسن تصور المعنى وجودة استعداد الذهن للاستنباط ، وهو مرادف للإدراك أو لقوة الذهن المعدّة لاكتساب العلوم (Entendement) وهي قوة تدرك معاني الألفاظ وطبائع الأشياء ، ومنه فهم النصّ أي معرفة تفسيره وفهم طبيعة الشيء أي معرفة أسبابه .

وقد اشتقوا من الفهم لفظ المفهوم (Compréhension) وهو مرادف للتصور (Concept) ومعناه مجموع الصفات التي يتميّز بها المعنى ، فإذا أحطت بجميع الصفات المشتركة بين أفراد نوع من الأنواع كان المفهوم جامعاً ، وإذا أحطت بالصفات الذاتية المقوّمة للشيء كان المفهوم مانعاً . وإذا أحطت

بالصفات اللازمة عن الصفات المقدّمة كان المفهوم ضمنياً (Implicite) ، وإذا أثار اللفظ في ذهنك معنى خاصاً لم يخطر ببال غيرك كان مفهومه ذاتياً ، وإذا أثار معنى عاماً مشتركاً بينك وبين جميع الناس كان مفهومه موضوعياً .

ومن معاني المفهوم في الفلسفة الحديثة دلالته على فعل الذهن المبني على الحدس التركيبي أو التجربة الذاتية ، لا على مشاهدة المقارنات الدائمة ، ولا على إرجاع الحوادث إلى قانون عامّ يضبطها وهذا النوع من المفاهيم يلعب دوراً كبيراً في العلوم الإنسانية .

وجملة القول أن المفهوم هو ما يمكن فهمه أو تعرف طبيعته وأسبابه وهو مرادف للمعقول ، ويطلق أيضاً على ما يقابل الماصدق (Extension) (راجع اصطلاح الماصدق ففيه توضيح للتقابل بين لفظي Intension و Extension) .

الفوضى

في الفرنسية Anarchie

في الانكليزية Anarchy

الفوضى هي الخلل الذي ينشأ عن فقدان السلطة الحاكمة ، أو عن تقصيرها في القيام بوظائفها وهي ضد النظام والترتيب ، تقول : قوم فوضى أي ليس لهم رئيس يسوسهم . ويقال أيضاً : مالهم ومتاعهم فوضى بينهم ، إذا كانوا شركاء متساوين فيه ، يتصرف كل منهم في مال الآخر بلا نكير .

والفوضوي (Anarchiste) هو المنسوب إلى الفوضى أو من كان مذهبه كذلك والفوضوية (Anarchisme) مذهب سياسي يدعو إلى إلغاء الدولة وإلى بناء العلاقات الإنسانية على أساس الحرية الفردية .

وللفوضوية صور مختلفة فغودوين (Godwin) وبرودون (Proudhon) وتوكر (Tucker) ينكرون الدولة إنكاراً مطلقاً ، وتولوستوي ينكر حاجة الشعوب المتحفزة إليها ،وباكونين (Bakonnine)وكروبوتكين (Kropotkine) يقولان إن التطور الإنساني سيؤدي إلى زوالها .

ومن هؤلاء من يقول أن تحقيق الفوضوية لا يتم إلا بالإصلاح (غودوين وبرودون) ومنهم من يقول أن تحقيقها لا يتم إلاّ بالثورة ، والقائلون بضرورة الثورة فريقان أحدهما يقول بوجوب المقاومة (توكر و تولوستوي) والآخر يقول بوجوب العصيان (ستزنر Stirner ، وباكونين ، وكروبوتكين) ، إلا أن جميع هؤلاء الفلاسفة يجمعون على أمر واحد ، وهو اعتقادهم أن انتظام الأمر في المجتمع لا يحتاج إلى دولة تسوسه .

الفيزياء

في الفرنسية Physique

في الانكليزية Natural philosophy
Physics

الفيزياء كالكيمياء لفظ معرّب ، ويطلق على العلم الذي يبحث في ظواهر الطبيعة الجسمانية كالحركة والثقـل والضغط والحرارة والضوء والصوت والكهرباء .. الخ . والبحث في هذه الظواهر مستقلّ عن موضوع تركيب الأجسام ، لأن هذا التركيب والتبدلات التي تطرأ عليه لا تبحث إلاّ في علم الكيماء . ومع ذلك فإن تأسيس علم الكيمياء الفيزيائية (Chimie physique) قد خفف اليوم من قيمة هذا التميز .

والفيزيائي (Physique) هو المنسوب إلى الفيزياء ، ويطلق على كل ما يتعلق بظواهر الطبيعة المادية ، وهو مضادّ للغيبي لأن الغيبي لا يتعلق بالظواهر الداخلة في نطاق الحس والتجربة بل يتعلق بما هو وراء هـذه

الظواهر ، ومضادّ للروحي لأنه متعلق بالظواهر المادية الخاضعة لقانون الحتمية ، والروحي متعلق بظواهر النفس المتصفة بالحرية . ولما كان الإنسان مؤلفاً من نفس وبدن وكانت أحواله النفسية وثيقة الاتصال بأحواله الجسمانية أمكن إطلاق لفظ الفيزيائي على الظواهر النفسية المتعلقة بالبدن ، تقول : ظواهر الألم الفيزيائية أي الجسمانية ، واللذة الجسمانية المصحوبة بتوسع الأوعية ، فهذه كلّها ظواهر مادية أو فيزيائية تدلّ على ما بين النفس والبدن من صلات وثيقة .

والفيزيائي بمعنىً ما مضاد للرياضي أو النظري لأنه يتعلق بظواهر الأجسام الحقيقية ، والرياضي أو النظري لا يتعلق إلاّ بالمعاني المجردة ، ومن قبيل ذلك قولهم علم الميكانيك النظري ، وعلم الميكانيك الفيزيائي وهما متقابلان .

والبرهان الفيزيائي اللاهوتي (Physico - théologique) أو الكوني على وجود الله هو القول : إن في العالم نظاماً ، وغائية ، وجمالاً ، ووحدة ، تدل على وجود صانع حكيم وضع كل شيء في المكان اللائق به .

والفيزيائية (Physicisme) هي القول أن كلّ ما في الكون يرجع إلى الوقائع أو الحوادث الطبيعيـــة المحدّدة المكان والزمان والأشكال .

والفيزيقالية (Physicalisme) هي القول أن لغة الفيزياء لغة جميع العلوم .

الفيض

في الفرنسية	Émanation
في الانكليزية	Emanation
في اللاتينية	Emanatio

الفيض كثرة الماء ، تقول فاض الماء أي كثر حتى سال عن جوانب محلّه . وفاضت العين سال دمعها . وقد أطلق هذا اللفظ على الأمور المعنوية مجازاً ، فقيل : فاض الخبر ، أي ذاع وانتشر ، وقيل رجـــل فيّاض أي كثير العطاء .

ويطلق الفيض في اصطلاح الفلاسفة على فعل فاعل يفعل دائماً لا لعوض ولا لغرض . وذلك الفاعل لا يكون إلا دائم الوجود ، لأن دوام صدور الفعل عنه تابع لدوام وجوده ، وهو المبدأ الفياض والواجب الوجود الذي يفيض عنه كل شيء فيضاً ضرورياً معقولاً . وهو كما قال ابن سينا : فاعل الكل بمعنى أنه الموجود الذي يفيض عنه كل وجود فيضاً تاماً مبايناً لذاته » (النجاة ص ٤٥٠) .

والمقصود بالفيض أن جميع الموجودات التي يتألف منها العالم تفيض عن مبدأ واحد ، أو جوهر كلّي من دون أن يكون في فعل هـــذا المبدأ أو الجوهر تراخ أو انقطاع ، ولذلك كان القول بفيض العالم عن الله مقابلاً للقول بخلقه من العدم .

والفيض بهذا المعنى يتضمن معنى الصيرورة (Devenir) كما يتضمَّن معنى الحدوث في الزمان حدوثاً متعاقباً مستمراً .

ومذهب الفيض مختلف عن مذهب وحدة الوجود (Panthéisme) وإن كان مشابهاً له في بعض جوانبه . والدليل على ذلك أن مذهب الفيض يطلق على البراهمانية والأفلاطونية الحديثة وعلى فلسفة (اكار) وجاكوب ، ولكنه لا يطلق على مذهب سبينوزا ، لأن هذا الفيلسوف يجعل الموجودات أحوالاً (Modes) للصفات الإلهيـة (Attributs de Dieu) وجملة القول أن مذهب الفيض (Emanationnisme) أو (Emanatisme) هو القول أن العالم يفيض عن الله كما يفيض النور عن الشمس أو الحرارة عن النار .

والفيض مرادف للصدور ، تقول فاض الشيء عن الشيء صدر عنه كصدور السلطة في النظام الديمقراطي عن إرادة الشعب .

الفيلسوف

في الفرنسية	Philosophe
في الانكليزية	Philosopher
في اللاتينيـة	Philosophus

الفيلسوف هو الذي يتعاطى الفلسفة ، ويقال إن القدماء كانوا يسمّونه حكيماً (Sophos) ، فلما جاء (فيثاغوروس) سمّى نفسه فيلسوفاً أي محباً للحكمة ، لأن صفة الحكيم في نظره لا تطلق إلاّ على الله وحده . ويحكى أنه كان يشبه الحياة بالمعارض التي يقيمها اليونانيون ، ويقول : إن الذين يحضرون هذه المعارض ثلاثة رجال ، رجل يحضرها للاشتراك في ألعابها ، ورجل يحضرها للبيع والشراء ، ورجل يحضرها للاستمتاع برؤية مشاهدها ، وهذا الرجل الأخير هو الفيلسوف .

وقد يطلق اسم الفيلسوف على الرجل الذي يؤمن بقيمة العقل ، ويحاول التقيد به في علمه وعمله ، بخلاف الرجل الذي يبني علمه وعمله على معطيات الوحي والإلهام .

وقد يطلق اسم الفيلسوف أيضاً على العالم الذي يبحث عن الأسباب القصوى للأشياء أو على كل مفكّر يفسر الحوادث تفسيراً عقلياً ، فيكون لفظ الفيلسوف بهذا المعنى صفة تطلق على صاحب الرأي ، تقـــول : العالم الفيلسوف ، والشاعر الفيلسوف .

وقد يطلق اسم الفيلسوف أخيراً على من يمارس الفلسفة علماً وتعليماً ، أو يطلق تهكماً على من كان شاذّ الرأي .

لقد كان رجال القرون الوسطى يطلقون لفظ الفلاسفة على علماء الكيمياء الذين يحاولون استخراج الذهب من النحاس ، ومنه قولهم حجر الفلاسفة ، ومصباح الفلاسفة . وكان رجال القرن الثامن عشر يطلقون لفظ الفلاسفة على الكتاب الطبيعيين الذين وقفوا إزاء الدين موقفاً سلبياً ودعوا إلى الحكم على الأشياء بأحكام العقل كفولتير و (روسو) و (ديدرو) و (دالامبر) ولا يزال بعض أهل زماننا يطلقون اسم الفيلسوف على من يتنكّر للدين ويحرّر نفسه من أوامره ونواهيه . وهذا خطأ لأنّ الفلسفة لا يشترط فيها أن تكون مخالفة للدين وجوباً .

(يتبع) جميل صليبا

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا. ل. كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

- ١٧ -

رقم المصطلح — رقم المصطلح

٧٨٦٢ شَهَواني ، شَبِقي ، داعِر — 7862 Libidineux, euse, lubrique, lascif, ve

وشَبِق أيضاً .

٧٨٦٤ شَيْبة ، شَيْبة العجوز ، حَزاز (نباتات وجلدية) — 7864 Lichen (botan. et derm.)

وأقر مجمع اللغة حَزاز فقط . وفي معجم الألفاظ الزراعية حزاز ، حزاز الصخر (في الشام) اشنة (في مصر) .

٧٨٦٦ حَزاز ساطع — 7866 Lichen nitidus

وأرجح حزاز لامع .

٧٨٦٧ حَزاز مُنْبَسِط ، حزاز أحمر منبسط ، حزاز وِلْسن — 7867 Lichen plan, lichen ruber plan, lichen de Wilson

وأقر مجمع اللغة في القاهرة ترجمة اللفظة الأولى بالحزاز المبسوط . وجاء في التعريف : وهو مرض جلدي فُطري .

٧٨٧٠	حَزاز مداري ، عَمْلة حادة منتثرة قوباء دُخْنية، دُخْنية حمراء، جرب بدوي ، احمرار أنجُري.	7870 Lichen tropicus, eczéma aigu disséminé, impétigo miliaire, miliaire rouge, gale bedouine, bourbouille

وأرجح حزاز مداري ، اكزيما [1] حادة مبعثرة ، قُوباء دُخْنية [2] ، دُخْنية حمراء ، جَرَب بدَوي . أما اللفظة الأخيرة وهي (bourbouille) فلم تترجم إلى الانكليزية ولا إلى الألمانية في المعجم الأصلي ، ولعلّ احمرار أنجري منسوب إلى أنجرة وهو القُرّاص . ولم ترد أنجرة في المعاجم [3] .

٧٨٧٤	خِلْفة ، إسهال خِلْفي	7874 Lientérie

وأقر مجمع اللغة العربية الجُحاف [4] وسبق النظر إلى هذه اللفظة [5] وترجيحي ترجمتها بزَلَق المعي .

٧٨٧٧	لَبْلاب الأرض	7877 Lierre terrestre

وأرجح لَبْلاب أرضي كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية .

٧٩٠٣	خَطٌ غير مُسَمّى	7903 Ligne innominée

وأرجح خَطٌ غُفْل [6] . وقد جاءت ترجمة اللفظة في الانكليزية في المعجم الأصلي بالخط الحرقفي المشطي (iliopectineal line) .

---

(١) راجع الصفحة ٤٦٤ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٢) راجع الصفحة ٦٧٤ من المجلد الثاني والأربعين من هذه المجلة .

(٣) في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير الشهابي : قُرّاص ترجمة لـ (ortie) وجاء في الشرح : أنجرة ، قُرَيص ذكرتا في المفردات ولم أجدهما في المعجمات الأصلية .

(٤) في اللسان : والجُحاف وَجعٌ في البطن يأخذ من أكل اللحم بحتاً كالجُحاف ، وقد جُحِفَ ، والرجل مَجْحوفٌ وفي التهذيب : الجُحافُ مَشي البَطْن عن تُخَمة والرجل مجحوف .

(٥) الصفحة ٦٠٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٦) في اللسان : وشاعر غُفْل غير مسمى ولا معروف .

٧٩٠٤ خَطٌّ اسْحَمي — 7904 Ligne mamelonnaire

وأرجح خَط حَلَمي بالنسبة إلى حَلَمة (١) الثدي كما جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانية للمعجم الأصلي . وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (linea nigra) بالخط القاتم ، وجاء في التعريف : وهو خط اسمر ، من العانة إلى السرة وما فوقها .

٧٩١١ خط كَتِفي — 7911 Ligne scapulaire

وأرجح خط لوحي لأنه يتعلق بلوح الكتف .

٧٩١٥ أقل ، أصغر ، أدنى — 7915 Liminal, ale ; liminaire

وأرجح عَتَبي نسبة إلى العَتَبَة حسب اشتقاق اللفظة أو الحَدِّي كذلك ، تمييزاً لهذه اللفظة من الأدنى (minima) .

٧٩٢٥ لُسَينيَّات المَظْهر ، دوديات الشكل — 7925 Linguatules pentastomes

والصحيح اللُّسينيات أو دود اللسان (كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي) وخماسية الأفواه ترجمه لِـ (pentastomes) التي أهملتها اللجنة ، والتي جاء رسمها بحرف O عوضاً عن A غلطاً وفي المعجم الأصلي أيضاً .

٧٩٣٣ شَحْمَاز ، خميرة حالة الدَّسَم — 7933 Lipase , ferment lipolytique

وأقر مجمع اللغة ليباز بالتعريب ، وجاء في التعريف : أنزيم يحلل الدهون ويوجد بالبذور الزيتية . وسبق لي ترجيحي التعريب (٢) .

---

(١) في اللسان : السُّحَم والسُّحام والسُّحمة السواد .

الحَلَمَة : رأس الثدي وهما حَلَمَتان وحَلَمَتا الثديين طرفاهما والحَلَمَة الثؤلول الذي في وسط الثدي .

(٢) الصفحة ٦٥٧ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

7934 Lipémie ; lipidémie ٧٩٣٤ تَشَحّمُن الدم

وأقر مجمع اللغة شحمية الدم وجاء في الشرح : وتظهر فيها شرايين شبكية العين كأنها ممتلئة باللبن .

7935 Lipodystrophie ٧٩٣٥ حَثَل شحمي ، حَجَن شحمي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة سَقَل الشحم وجاء في التعريف : وهو اختلال في ميتابولسم الشَّحم . وسبق لي أن رجحت ترجمة اللفظة بسوء التغذية الشحمي (١) ولعلّ لفظة حَجَن أقرب إلى المعنى المقصود وإن دلت في الأصل على قلة الطعام (٢) .

7937 Lipomatose nodulaire ٧٩٣٧ شُحام عُجَري

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة لفظة تَشَحُّم جاعلاً شُحام ترجمة (lipoidesis) وجاء في التعريف : وهو اختلاف توزيع الشحمانيات في الخلايا . وسبق لي ترجيح التنكس الشحمي في ترجمة هذه اللفظة (٣) .

7939 Lipome arborescent (d'une articulation) ٧٩٣٩ وَرَمٌ شحمي مُتَشَجِّر (في مفصل)

وأقر مجمع اللغة ورم شحمي مشجَّر وجاء في الشرح : وينتج عن تكثر هُدابات وخملات الغشاء المزلق وامتلائها بالشحم في المفصل .

7940 Liposoluble ٧٩٤٠ ذَوّاب في الدَّسَم ، مُنْحَل في الدَّسَم

وأفضل منحل في الدهن .

---

(١) الصفحة ٦١٩ من المجلد الرابع والثلاثين ، والصفحة ٦٥٧ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : الجحِنُ السَّيِّءُ الغذاء وقد أجْحَنَته أمه وصَبيٌّ جحِن الغذاء وقد جحِن بالكسر إلى أن قال والجحِن المرأة القليلة الطُّعم .

(٣) الصفحة ٦٥٧ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

٧٩٤٣ تميُّع النَّسْج ، حؤُول مُتْلِف ، إمْحاق — 7943 Liquéfaction tissulaire , dégénérescence colliquative , colliquation

وأرجح تميع النسج ، تنكس طارد أو مُبيد ، الزوال وليس لأمحاق (١) أن تدل على المعنى المطلوب .

٧٩٤٤ سائل ، مائع — 7944 Liqueur , liquide

سبق لي أن أشرت إلى إقرار مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (liquid) بسائل و (fluid) بمائع (٢) . وقد استندت في ذلك إلى قرارات المجمع الخاصة بمصطلحات الكيمياء والصيدلة ، بينما أقر المجمع ترجمة اللفظة الأولى بمائع في مصطلحات علوم الأحياء . وأرى أن تخصيص لفظة سائل لِـ(fluide) ومائع لِـ (liquide) . لذا أرجح أن تكون ترجمة اللفظة بمائع دون سائل وأن يضاف إليها لفظة محلول . وهي عندي مفضلة في ترجمة بعض الألفاظ الآتية شأن ما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي . ويجدر تعريب لفظة ليكور (liqueur) إذا أريد بها الشراب الغولي ، كما أنه قد يرجح استعمال كلمة سائل عوضاً عن مائع في بعض الألفاظ التي سيأتي بيانها .

٧٩٤٥ مائع نُشادِري أنيسوني — 7945 Liqueur , ammoniacale anisée

المحلول النّشادِري الأنيسوني (٣) .

وكذلك أرى أن تستعمل محلول في ترجمة الألفاظ ذات الأرقام ٧٩٤٦ و ٧٩٤٧ و ٧٩٤٨ و ٧٩٤٩ و ٧٩٥٠ .

---

(١) في اللسان ، المحْق النقصان وذهاب البركة وشيء ماحق ذاهب ، إلى أن قال : تقول محَقه الله فانْمحق وامْتحق أي ذهب خيره وبركته .

(٢) الصفحة ٨٣٦ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٣) هكذا جاء رسم نوشادر في معجم الألفاظ الزراعية ، واستعمال لفظة محلول هنا استناداً إلى ما جاء في ترجمة اللفظة السابقة .

7951	Liquide allantoïdien	مائعٌ وَشيقي	٧٩٥١

وأفضل سائل لفائفي [١].

7953	Liquide de Burow	سائل بُورُو	٧٩٥٣

وأرجح محلول بورو أو محلول خلات الألومنيوم كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي.

7954	Liquide céphalo - rachidien (L C R)	مائع دماغي شَوْكي (م. د. ش.)	٧٩٥٤

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة السائل المخي الشوكي.

7955	Liquide colorant	مائعٌ صابغ، مائع مُلَوِّن	٧٩٥٥

وأفضل محلول مُلَوِّن أو محلول تَلْوين.

7956	Liquide fixateur	مائع مُثَبِّت	٧٩٥٦

وأفضل محلول مُثَبِّت أو محلول التَّثْبيت.

7957	Liquide de ponction	مائعُ بَزْلٍ	٧٩٥٧
7958	Liquide de stase	مائع رُكُود	٧٩٥٨
7959	Liquide tissulaire	مائع نسيجي	٧٩٥٩
7960	Liquidien , enne (à contenu liquide)	ذو مائع (ذو محتوى سائل)	٧٩٦٠

وأفضل أن يقال في ترجمة هذه الألفاظ : سائل البزل وسائل الركود وسائل نسيجي، وسائلي (ذو محتوى سائل).

7962	Liseré ardoisé de la gencive	حاشية اللِّثة الخَطْباء	٧٩٦٢

وأرجح حاشية اللِّثة الرمادية [٢].

(١) الصفحة ٣١٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة.
(٢) في اللسان : الخُطبة لونٌ يَضْرب إلى الكُدْمة، مُشْرَبٌ حُمْرةً في صُفْرة كلون الحَنْظَلة الخَطْباء قبل أن تَيْبَس، وكلون بعض حُمُر الوحش. والخُطْبة الخُضْرة.

7964 Liseré gingival dans le saturnisme — ٧٩٦٤ حاشية لثَوية في الأُسرُبية

وأقر مجمع اللغة الخَطّ الرَّصاصي ترجمة لِـ (lead line) وجاء في التعريف : ويحدث في التسمم بالرصاص في موضع اتصال الأسنان باللثة .

7969 Lit de repos, chaise longue — ٧٩٦٩ متَّكَأ ، أريكة

وأرجح مَضْجَع للفظة الأولى . وأقر مجمع اللغة كرسي بحر (deck chair) ترجمة للفظة الثانية وخص أريكة ترجمة لِـ (canapé) .

7970 Lit de sudation — ٧٩٧٠ سَرِيرٌ للتعريق

وأرجح مَضْجَع التعريق .

7971 Lithagogues — ٧٩٧١ مذيبات الحُصَيّات

والصحيح طاردات الحصى ، لأن ما تعنيه اللفظة المادة أو المواد التي من شأن استعمالها زَيْح الحصى أو دفعها ولا سيما الحصى البولية [١] وحري بلفظة مذيبات الحصى أن تخصص في الترجمة بِـ (litholytes) وقد أهملت اللفظة في المعجم الأصلي نفسه .

7972 Lithiase — ٧٩٧٢ داء حَصَوي ، رُمال

وأرجح داء حصوي أو تَحَصّي فقط ، تاركاً لفظة الرَّمْل (لا الرُّمال) ترجمة لِـ (gravelle) عوضاً عن حُصَيّة وحصاة صغيرة كما ذهبت إليه اللجنة في اللفظة الأخيرة (الرقم ٦٥٠٦) .

7975 Lithopedion — ٧٩٧٥ أُحْشوش (جنين متحجر)

وأقر مجمع اللغة في القاهرة الحَميل المتكلس وجاء في التعريف : الولد يبقى في البطن يموت ويتكلس ، وأرى لفظة الحُش بالضم أو أحشوش أفضل [٢] .

---

(١) ينظر في شرح هذه اللفظة في معجم (Stedman's) الطبي .

(٢) في لسان العرب : الُحش الولد الهالك في بطن الحاملة . وأحش المرأة والناقة وهي مُحِش ، حَشّ ولدها في رحمها يَبِس وألقت حشاً ومحشوشاً واحشوشاً أي يابساً .

٧٩٧٦ تكهّب ، ازرقاق 7976 Livedo

وأرجح كهبة الجلد أو تكهب الجلد مجاراة للترجمة الانكليزية (livor cutis) الواردة في المعجم الأصلي وإيضاحاً للمعنى المطلوب . وسبق للجنة أن استعملت لفظة ازرقاق ترجمة لِ (cyanose) (اللفظة ٣٧٠٦) .

٧٩٧٧ دُكنة ، كُهْبة 7977 Lividité

وأرجح القُروت [١] ، لأن ما تعنيه اللفظة هو اللون الأزرق الضارب إلى السواد ، وأكثر ما يبدو في الجلد على إثر الضرب أو الصدمة . ولا أرى في لفظتي الدكنة والكهبة ما يؤدي المعنى المطلوب [٢] .

٧٩٧٨ كُهْبة جيفية 7978 Lividité cadavérique

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : الزرقة الرِّمية ترجمة لِ (postmortem lividity) وجاء في التعريف : وهي تلون غالباً أزرق اللون يظهر في الأماكن المنخفضة من الجثة بسبب تجمع الدم في الأوردة .

هذا وسبقت ملاحظتي على لفظة كهبة آنفاً ، والجيفة يغلب إطلاقها على جثة الميت إذا أنتنت [٣] .

٨٠٠٠ فُصَيص قُرب المركز 8000 Lobule paracentral

وأرجح فصيص مجاور المركز .

٨٠٠١ فُصيص الرئوي المعدي 8001 Lobule du pneumogastrique flocculus

وأرجح فصيص الرئوي المعدي ، والنُّدَيفة أو الفص النُّدَيفي ترجمة لِ (flocculus) وقد أهملته اللجنة .

(١) الصفحة ٤٦٠ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان الدَّكَن والدَّكَن والدُّكنة لون الأدكن كلون الخز الذي يضرب إلى الغُبرة بين الحمرة والسواد .
في اللسان : الكُهْبة غبرة مشرّبة سواداً .

(٣) في اللسان : الجيفة معروفة ، جثة الميت ، وقيل جثة الميت إذا أنتنت ومنه الحديث : فارتفعت ريح جيفةٍ .

8005 Localisation ٨٠٠٥ تَوَضُّع ، إستقرار

سبق لي أن رجحت استبعاد لفظة توضع [١] . وأقر مجمع اللغة العربية القاهرة ترجمتها بتعيين فقال في ترجمة (localisation in cerebral affection) تعيين الداء في المخ .

8006 Lochies, suites de couche ٨٠٠٦ هُلابة ، عواقب الوضع

8007 Lochiométrie ٨٠٠٧ انحباس الهُلابة

سبقت ملاحظتي على هاتين اللفظتين [٢] . وأقر مجمع اللغة العربية ترجمة الأولى بـ « النُّفاسة ، الغدور ، لوخيا » مفرزات النُّفاس (لسان العرب : الغُدور ما يخرج من الرحم بعد الولادة) . ويكون ترجمة اللفظة الثانية احتباس النُّفاسة أو الغُدور .

8014 Loi du tout ou rien ٨٠١٤ قانون الكل أو العدم

وأرجح سنة كل شيء أو لا شيء .

8018 Lombric, ver de terre ٨٠١٨ خراطين ، دودة الأرض

خُرْطون بصيغة المفرد (ج : خراطين) ،

8025 Lordose ٨٠٢٥ بَزَخ

وقَعَس أيضاً .

8032 Loupe binoculaire ٨٠٣٢ مُكَبِّر ، ذو عَيْنَيْتَين

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : المكبر الزَّوْجي وأراها أفضل .

8035 Lucide ٨٠٣٥ واضح ، مدرك

وصافٍ وواعٍ أيضاً .

8036 Lucide (rester) ٨٠٣٦ مُدْرِكاً (ظَلَّ) لم يفقد الشعور
ne pas perdre connaissance

وكذلك لم يفقد الوعي .

---

(١) الصفحة ٦٥٧ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٦٥٨ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

٨٠٣٧ جلاء ، وضوح ، ذكاء 8037 Lucidité

وأرجح وضوح ووعي مخصصاً ذكاء ترجمة لِ (intelligence) .

٨٠٤٠ عِناج ، خَزَرة 8040 Lumbago

وأقر مجمع اللغة العربية الزُّلَّخة (اللمباجو) وجاء في التعريف : روماتيزم يلحق أوتار العضلات المتصلة بالقَطَن يسبب ألماً مبرحاً وتوتراً . وقد سبقت ملاحظتي على هذه اللفظة [١] .

٨٠٤١ لُمَة وعاء 8041 Lnmière d'un vaisseau

وأقر مجمع اللغة تجويف ، وجاء في التعريف : ويطلق عادة على تجويف الخلايا أو الأوعية أو القُصَيبات . أقول إن لفظة لُمة مما شاع استعماله من المصطلحات في سورية في هذا المعنى المطلوب ، ولم أهتدِ إلى منشأ استعماله في هذا الصدد[٢] ويبدو أن لفظة تجويف أفضل .

٨٠٥٢ ذئبي (مُصاب بالذئبة) 8052 Lupique

وأرجح ذئبي ومصاب بداء الذئب كما أقره مجمع اللغة .

٨٠٥٤ ذأب منتفخ ، متورم 8054 Lupus élevé , lupus tumidus

وأفضل داء الذئب المرتفع ، داء الذئب الوذمي أو الأوديمي [٣] .

---

(١) الصفحة ٦٥٨ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : اللُّمْمة السواد حول حلمة الثدي خاصة ، وقيل اللمة البقعة من السواد خاصة ، وقيل كل لون خالف لوناً لمة وتلميع ، وشيء ملمّع ذو لُمَع ويقال للأبرص الملمّع ، والتلميع تلميع يكون في الحجر والثوب أو الشيء يتلون ألواناً شتى يقال حجر ملمّع يقال لُمْعة من سواد أو بياض أو حمرة ، ولمة جسد الإنسان نَعْمَتُه وبريق لونه . واللُّمعة بالضم قطعة من النبت إذا أخذت في اليبس ، واللمعة الموضع الذي يكثر فيه الخَلَى ولا يقال لها لمعة حتى تبيضّ والخ .

(٣) الصفحة ١١٤ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

٨٠٥٥ ذأب حُمامي ، ذأب كزناف 8055 lupus érythémateux , lupus de Cazenave

٨٠٥٦ ذأب شَرَثي 8056 lupus pernio

٨٠٥٧ ذأب عادي ، سُلي ، ذأب وِلْسُن 8057 lupus vulgaire , tuberculeux , de Wilson

وأرجح في اللفظة الأولى داء الذئب الحاموي ، وأقر مجمع اللغة ترجمة (pernio) بالخُصار [١] وجاء في التعريف : حكة وحمامى موضعية في الأصابع والأباخس والأذنين . وعليه تصبح ترجمة اللفظة الثانية داء الذئب الخُصاري كما أن مجمع اللغة أقر ترجمة (vulgaire) بشائع (داء الذئب الشائع) وجاء في التعريف : وهو عدوى في الجلد بباسيل السل مصحوب بتقرحات . وأفضل أن يقال في اللفظة التالية داء الذئب الدرني عوضاً عن السلي .

٨٠٥٨ طيَّن ، سدَّ باللّت ، لتَّ 8058 Luter

وأرجح مَلَط [٢] .

٨٠٦٢ إنخلاع الجُلَيْديَّة أو الجسم البلوري 8062 Luxation du cristallin

وأقر مجمع اللغة العربية خلع البلورية .

---

(١) في اللسان : الخَصَر بالتحريك البَرْدُ يجده الإنسان في أطرافه ، الخَصِر الذي يجد البرد فاذا كان من جوع فهو خَرِص . والخَصِر البارد من كل شيء وخَصِر الرجل إذا آلمه البرد في أطرافه يقال خَصِرت يدي .
في اللسان : الشَّرث غِلَظ الكف والرجل وانشقاقهما وقيل هو تشقق الأصابع وقيل هو غِلَظ ظهر الكف من برد الشتاء ، وقد شَرِثَ شَرَثاً فهو شَرِث ، وقد شَرِثت يده تَشْرَث .

(٢) في اللسان : مَلَط الحائط ملطاً وملّطه طلاه ، والمِلاط الطين يجعل بين سافَيْ البناء ويُمْلط به الحائط ، وفي صفة الجنة : ومِلاطها مِسك أذفر ، في اللسان أيضاً : اللَّتُّ بَلُّ السويق يقال لتَّ السويقَ أي بله ، ولتَّ الشيء يلته إذا شده وأوثقه .

٨٠٦٦ الكِبْريت النَّباتي (مسحوق) Lycopode (poudre de) 8066

رِجْل الذِّئب في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي .

وجاء في التعريف : الاسم العلمي من اليونانية بهذا المعنى إلماعاً إلى شكل الجذور . جنس نباتات غريبة الشكل من اللازهريات الوعائية .

هذا وأقر مجمع اللغة العربية تعريب اللفظة بـ ليكوبوديوم (lycopodium) وجاء في الشرح : جنس من التربديات .

٨٠٦٧ تنشؤٌ لنفاوي ، داء الضخامة اللنفاوية Lymphadénie , 8067
lymphadénisme , lymphadénomatose ,
diathèse lymphogène

لقد سبقت ملاحظتي على هذه اللفظة [١] . وأقر مجمع اللغة العربية ، الغُداد اللَّمفي ترجمة لِـ (lymphadenosis) وجاء في التعريف : لوكيميالمفية وفيها تزداد الخلايا اللمفية في الدم زيادة مفرطة ، وتتضخم الغدد اللمفية والطحال .

٨٠٦٨ ذات المُقَد اللنفاوية Lymphadénite 8068

وأرجح التهاب العقدة اللمفية .

٨٠٦٩ مكثرات اللنفا Lymphagogues 8069

وأفضل مدرات اللمفا أو اللنفا ، وقد سبق للجنة أن ترجمت اللاحقة (gogue) بمُدِر (اللفظة ٦١٢٤) بقولها مُدرات اللَّبن ترجمة لِـ (galagtogogues).

٨٠٧٠ ذات الأوعية اللّنفاوية Lymphangite 8070

وأرجح التهاب العِرْق أو الوعاء اللمفي بصيغة المفرد .

٨٠٧١ وَرَمٌ وِعائي لنفاوي Lymphangiome 8071

ورم وعائي لمفي كما أقره مجمع اللغة العربية .

٨٠٧٢ لنفاوي Lymphatique 8072

وأرجح لمفي ، كما أن مجمع اللغة أقر لنفي أيضاً .

---

(١) الصفحة ٦٥٨ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

٨٠٧٣ مِزاج لنفاوي ، مَبْرود — 8073 Lymphatisme, tempérament lymphatique

وأفضل مِزاج لِمفي .

٨٠٧٤ لنفا — 8074 Lymphe

وأقر مجمع اللغة العربية اللَّمف والنَّنف أيضاً .

٨٠٧٧ كُرَيَّة لَنْفاوية ، كُرَيفا — 8077 Lymphocyte

وأرجح كرية لمفية أو خلية لِمْفية فقط .

٨٠٧٩ فرط الكريفاوات — 8079 Lymphocytose

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة (١) وأقر مجمع اللغة تكثر اللِّمفيات وجاء في التعريف : وفيه تزيد نسبة الخلايا اللمفية في الدم .

٨٠٨٠ داء لنفاوي محبَّب إربي تحت الحاد ، مرض نيكولا فافر ، دُبَيْلة إقليمية — 8080 Lymphogranulomatose inguinale subaiguë, maladie de Nicolas-Favre, boubon climatique ou climatérique ou poradénique

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالورم اللِّمفي الحُبيبي ولِمفوجرانيولومة كما أنه أقر الأشهاف الزهري ترجمة لِ (lymphogranuloma venereum) وجاء في التعريف : وهو تورُّم لمفي حبيبي يحدث في الأُربية . كما أنه أقر أيضاً التورم اللمفي الحبيبي الأُربي وجاء في الشرح : مرض تناسلي نوعي سببه « مياجونيلا جرانيلوماتس » يصيب النسج اللمفية على الأشهر في الرجوين الحرقفي والأربي. أما (boubon climatique) فأرجح ترجمتها بالدُّبَيلة المُناخية أو المستوطنة أو البَلَدية (ترجمة للفظه nostra الواردة في الترجمة الانكليزية

---

(١) الصفحة ٦٥٩ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

المعجم الأصلي)، ثم الدُّبلة الدورية أو النوبية (١) ترجمة لـ (climatérique) وقد أهملتها اللجنة ، والدُّبلة المَسامية ترجمة لِـ (poradénique) وقد أهملتها اللجنة أيضاً .

٨٠٨١ داءلنفاوي محبَّب خبيث،التهاب العقد المحبة الإيوزين الحاك ، داءحبيبي خبيث ، داء هودكين أو بلتوف أو ستْترنبرغ — 8081 Lymphogranulomatose maligne , adénie éosinophylique prurigène, granulomatose maligne. maladie de Hodgkin , de Paltauf , de Sternberg.

وأرجح التورم اللمفي الحبيبي (كما أقرها مجمع اللغة) الخبيث ، ضخامة العقد اللمفية الولوعة بالايوزين (أوالمحبة للأيوسين كما أقرها مجمع اللغة) الحاكة الداء الحبيبي الخبيث أو الوخيم ، داء هوشكين (وأقر مجمع اللغة مرض هُدْجكن) داء بلتَوْف (كما يلفظ بالألمانية لأن صاحب الاسم ألماني) أو شتَرنبيرْغ كما يلفظ بالألمانية أيضاً .

٨٠٨٣ وَرَمٌ لَنْفاوي عَفَلي — 8083 Lymphosarcome

وأقر مجمع اللغة العربية سركومة لمفية . وجاء في التعريف : وهي ورم لحمي لمفي خبيث .

٨٠٨٤ فَيَل صَفَني — 8084 Lympho - scrotum

وأرجح ارتشاح الصَّفن اللمفي وسبقت ملاحظتي على فيَل (٢) .

٨٠٨٥ ذُوابة — 8085 Lysat

وأرجح حُلالة . فقد سبق للجنة أن ترجمت (lyse) بانحلال (اللفظة ٣٧٣٢ حالة الخلية cytolysine واللفظة ٦٦٧٩ انحلال الدم hémolyse).

---

(١) الصفحة ٨٥ من المجلد الخامس والثلاثين والصفحة ٢٥٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٤٦٩ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

٨٠٨٦ ذُوابة لقاحية — 8086 Lysat - vaccin

حُلالة لقاحية .

٨٠٨٧ اِستِذابة ، ذوبان النُسُج — 8087 Lyse , dissolution

ذوبان الجراثيم — des tissus , des bactéries

وأفضل الانحلال ، انحلال النُسج والجراثيم .

٨٠٨٨ خَوْفٌ من الكَلَب — 8088 Lyssophobie

وأرجح رُهْبة الكَلَب .

٨٠٨٩ انحلالي ، ذَوَباني — 8089 Lytique

انحلالي فقط .

M

٨٠٩٠ عَطْن ، تَمَطين — 8090 Macération

وأقر مجمع اللغة ترجمة هذه اللفظة بالنَّقْع وجاء في التعريف : عملية غمر جسم صلب في الماء أو سائل ما لاستخلاص بعض مواده الفعاله . وأقر المجمع بين مصطلحات الطب الشرعي أيضاً عطن الحيل ترجمة لـ(maceration of fœtus) وجاء في الشرح : وهو تحلل أنسجته إذا بقي في الرحم بعد موته ، وهُروء (نقع) الجلد ترجمة لـ(maceration of skin) وجاء في الشرح : وهو طراوته وتثنيه من الغمر ، كما أن مجمع اللغة العربية قد أقر ترجمة (infusion) بـ نقيع — منقوع وجاء في الشرح : المنقوع محلول مصفى ناتج عن غمر عقاقير نباتية في سائل تقل درجة حرارته عن درجة الغليان .

وأرى استعمال العطن والتمطن كما هو شائع أفضل ، وتخصيص النقع (١)

(١) الصفحة ٣٢ من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة .

في اللسان : وعَطِن الجلد بالكسر يعطَن عَطَناً فهو عَطِنٌ وانعطَنَ وُضع في الدباغ وترك حتى فَسَد وأنتن ، وقيل هو أن يُنضح عليه الماء ويلف ويدفن يوماً وليلة ليسترخي صوفه أو شعره فينتفه ويلقى بعد ذلك في الدباغ وهو حينئذ أنتن مايكون ، وقال أيضاً انعطن الجلد استرخى في صوفه وشعره من غير أن يفسُد ، وعطَنه يعطنه عطناً فهو معطون وعطين وعطّنه فعل به ذلك .

لِـ (infusion) في أحد معنييها ، أقول ومن الشائع في سورية تمطين الزيتون بحيث ينقع في الماء مع الملح ويسمى الزيتون المطون أو المطَّن .

٨٠٩٦ فَكٌّ يَطْرِف، حادثة غون 8096 Mâchoire à clignotement, phénomène de Gunn

والصحيح طَرْف الجفن باللَّحي ، ظاهرة غَن . وما تعنيه اللفظة هي الظاهرة الغريبة المتأتية عن سوء التوزع الخلقي لألياف الرأس الحركية مما يؤدي إلى إطراق الجفن العلوي ، الذي يمكن تحريض حركته بالتحريك المشارك للفك السفلي . وغن اسم طبيب انكليزي لاحظ هذه الظاهرة وتعرف بتناذره أيضاً .

٨٠٩٨ بَسباسَة 8098 Macis

والصحيح جَفْت البسباسة أو الغشاء المستبطن للبسباسة أو جوز الطّيب [١] ويستعمل ما يستخرج منه تابلاً .

٨١٠٠ عِيان 8100 Macroscopiqne

وأقر مجمع اللغة العربية اللفظة بصيغة الجمع بمرئيات العين وجاء في الشرح : مشاهدات العين المجردة أو مظاهر ترى بالعين المجردة . وأرى عياني أفضل ويقابله المجهري (microscopique) .

٨١٠٢ لَطْخة ، بُقْعة 8102 Macule , tache

وأقر مجمع اللغة بُقْعة ترجمة لِـ (macule) وتبقى لطخة لِـ (tache) .

٨١٠٤ مَعَطُ الأهداب 8104 Madarose , madarosis

وأقر مجمع اللغة مرط الجفنين ، وجاء في الشرح تساقط أهدابها [٢] . والمَرْط والمَعط كلاهما ينبغي أن يضاف إلى الجفنين لا إلى الأهداب .

(للبحث صلة) ⁂ الدكتور حسني سبح

(١) انظر معجم الألفاظ الزراعية للفظتي (arille و muscadier) وهي البسباسة أو جوزة الطيب .

(٢) في اللسان : المَرْط نتف الشعر والريش والصوف عن الجسد مَرَطَ شعرَه يَمرِطُه مرطاً فانمرط نتفه ومرّطه فتمرّط .

وفي اللسان أيضاً : وامتعط رمحه انتزعه ومَعِط شعره وجلده فهو أمعط يقال رجل أمعط أمرط لا شعر على جسده بيّن المَعَط ومَعِط .

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

– ١٠ –

٢٣٦) مكرر) الأَلْيَة

ف Fesse (f.)

ز Buttock

في الأصل – لم يُذكر لها تعريف .

في (ق) . – الأَلية ، بفتح الهمزة ، العَجيزة أو ما ركب العجز من شحم أو لحم ج أليات وألايا . ولا تقل (إلية) بالكسر ولا (لِيَّة) بحذف الألف .

في (ل) . – كل من القسمين اللحميين اللذين يتألف منها عجُز الإنسان وبعض الحيوانات [قلت : في الحيوانات تدعى (جاعِرَتان) وهما موضع الرقمتين من إست الحمار ، أو حرفا الوركين المشرفين على الفخذين] . انظر (الرقم ١٨٧) أيضاً : (الألية = ألية اليد) .

ما أضفته :

١ – أَلْيان (والأنثى أليانة)

ف Fessu

ز Broadbottomed

٢ً — أَلْيِيّ ، أَلوِيّ

ف Fessier
ز Gluteal

٣ً — أليوي الشكل

ف Natiforme
ز Natiform ; shaped like the nates

★ ★ ★

٢٣٧) المرداوان

ف ، ز .....

في الأصل . — المردوان : أعلى الأليتين .

ملاحظتي . — (المردوان) بدون الألف بعد الدال ، خطأ ، والصحيح (المَرْداوان) مثنّى (المرداء ؛ المرداوان) . والمرداء : المرأة لا إسب لها أي (لا شِعْرة لها) . ويبدو أن المؤلف أطلقها ، استعارةً ، على أعلى الأليتين لما في كلمة المرداء من معنى الملامسة في الأصل اللغوي كما في (ق) والمعاجم العربية الأخرى ، ولم يرد في هذه جميعاً معنى ولو تلميحاً إلى أعلى الألية .

في (ق) . — المرداء : الرملة التي لا تنبت . الشجرة لا ورق عليها . المرأة لا إسب لها .

في متن اللغة . — زيادةً على ما في (ق) قوله : والصخرة الملساء . والمرداء (مؤنث الأمرد) : الرملة المتسطحة لا تنبت ج المَرادي .

وفي المعجم الوسيط . — المرداء : الأرض الخالية من النبات . الرملة لا تنبت . والأمرد الغلام طَرّ شاربه ولم تبدُ لحيته . ولا يقال : جارية مرداء ، ويقال شجرة مرداء .

★ ★ ★

٢٣٧ مكرر) الفخذ

ف Cuisse (f.)

ز Thigh ; leg

في الأصل · — ليس لها تعريف .

في (ق) · — الفخِذ ككتف ما بين الساق والوَرِك . مؤنث كالفخْذ بفتح فسكون ، والفِخْذ بكسر فسكون .

في لاروس ذي المجلدين · — جزء من العضو السفلي من لدن الورك إلى الركبة . وتصل الجذعَ بالساق . هيكلها يتألف من عظم الفخذ . عضلاتها في الإنسان ١٢ عضلة . شرايينها تأتي من الشريان الفخذي ، وأوردتها غالباً ما تكون دواليّة ، أما عَصَباها : النّسا فهو العصبان الوركي والفخذي .

ما أضفته :

١ً — فخذ خَرْقاء

ف Hanche bote

ز Coxa vara

من مرادفاتها :

آ) فخذ رَوْحاء

ف Coxa vara

ز Coxa vara , bent hip

ب) فخذ ممطوفة

ف ، ز Coxa flecta

ج) فخذ مُقَرّبة

ف ، ز Coxa adducta

٢ً — فخذٌ فَحْجاء

ف ، ز Coxa valga

٣َ — فخذ مسطّحة

ف ، ز	Coxa plana

٤َ — فخذي

ف ، ز	Crural ; fémoral

٥َ — عظم الفخذ

ف	Fémure ; os de la cuisse
ز	Femur ; thigh bone

* * *

٢٣٨) الحاذان

ف	Quadriceps crural (muscle)
ز	Quadriceps femoris (muscle)

في الأصل . — لحم ظاهر الفخذين .

في (ق) . — حاذُ المتن : موضعُ اللّبد منه . والحاذان ما وقعَ عليه الذنَب من أدبار (*) الفخذين . والحاذُ الظهر .

في متن اللغة . — ما وقع عليه أوبار (**) الفخذين . ولحمتان في ظاهر الفخذين من الإنسان وغيره .

قلت : من هذه التعريفات تبين لي أن الحاذ هو ما اصطلح عليه التشريحيّون (عضلة مربّعة الرؤوس الفخذية) فوضعت مقابلاً لهـا باللغتين الافرنجيتين وفق هذا المصطلح (الرقم ٢٣٨) .

وإليك أسماء الرؤوس الأربعة مع ما يقابلهنَّ باللغتين :

(*) أدبار ، بالدال .

(**) أوبار ، بالواو والصحيح بالدال إذ لا علاقة للوبر ، والكلام على أعضاء الإنسان .

١ — فخذية

ف Crural
ز Vastus intermedius

٢ — متَّسعة إنسية

ف Vaste interne
ز Vastus medialis

٣ — متَّسعة وحشية

ف Vaste externe
ز Vastus lateralis

٤ — مستقيمة أمامية

ف Droit antérieur
ز Rectus femoris

فائدة . — في الفخذ عضلة تدعى (عضلة خيَّاطية) ، وبالأفرنجية :

ف Muscle couturier
ز Muscle sartorius

★ ★ ★

٢٣٩) الرَّبْلتان

ف Muscle adducteur de la cuisse
ز Muscle adductor femoris

في الأصل . — الربلتان بالكسر ، اللحمتان تُقبلان على الركب من باطن الفخذين . [قلت : الصحيح بفتح الراء] .

في (ق) . — الرَّبْلة بالفتح ويحرك ، كل لحمة غليظة ، أو هي باطن الفخذ ، أو ما حول الضرع . وامرأة رَبِلة كفرحة ورَبْلاء عظيمة الرَّبَلات أو رَفْغاء [والرفغاء الرقيقة الفخذين] .

في معجم متن اللغة . — الرَّبْلة والرَّبَلَة ، والتحريك أفصح ، ج رَبَلات :

كل لحمة غليظة ، أو لحمةُ باطن الفخذ . قال ثعلب : الرَّبَلات أصول الأفخاذ ، أو هي ما حول الضرع والحياء في باطن الفخذ .

قلت : من كل هذا تبين لي أن الربلة هي ما اصطلح عليه التشريحيّون (عضلة مقرِّبة الفخذ) فوضعت مقابلاً لها باللغتين الفرنسية والانكليزية وفق هذا المصطلح (الرقم ٢٣٩) .

★ ★ ★

٢٤٠) الرُّفْغان = المَغَابِن

ف Aine ; région inguinale

ز Groin ; iuguinal region

في الأصل . — الرُّفغان (بالعين المهملة) ما بين العانة وأصول الفخذين وهي المغابن .

قلت : بالعين المهملة خطأ عن النسخ . والصحيح بالغين المعجمة كما وضعتها في (الرقم ٢٤٠) ولم يصححها المحقق .

في معجم متن اللغة . — الرُّفغ والرَّفغ (بالضم والرفع) أصول الفخذين من باطن وهما ما اكتنفا أعالي جانبي العانة عند ملتقى أعالي بواطن الفخذين وأعلى البطن ج أرفُغ ، ورِفاغ ، وأرفاغ .

في (ل) . — جزء من الجسم بين أعلى الفخذ والخَثْلة (= المُرَيْطاء) .

ملاحظة . — لجنة المصطلحات الطبية وضعت مقابل Aine أُرْبِيَّـة . ومقابل inguinal أُربي ، مغبني مترادفين .

ما أضفته :

مَغْبِني

ف ، ز Inguinal

★ ★ ★

٢٤١) النَّسَا

ف Nerf grand sciatique

ز (Great) sciatic nerve

في الأصل ٠ — عِرْق الوَرِك .

في (ق) ٠ — عرق من الورك إلى الكعب ويثنَّى ، نَسَوان ونَسَيان ولا تقل عرق النَّسا لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه .

في (ل) ٠ — هو عصب الورك الذي يُعَصِّب عضلات كل من الفخذ والساق.

ملاحظة. — سأذكر (العصب) وما يتعلق به فيما أستدركه ـ إن شاء الله ـ بعد تمام ما في الأصل ، مما لم يذكره المؤلف .

* * *

٢٤٢) الحالبان

ف Uretère (m.)

ز Ureter

في الأصل ٠ — عرقان أبيضان في الرفع [بالعين ؛ والصحيح بالغين المعجمة].

في (ق) ٠ — ليس له ذكر .

في متن اللغة ٠ — عرقان أخضران يكتنفان السرَّة إلى البطن أو عرقان يكتنفان الكليتين من ظاهر البطن .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين ٠ — كلٌّ من القناتين اللتين تنقلان البول من الكليتين إلى المثانة . طول كل منها (٢٥ سنتمتراً) والقطــــر ، بثخن ريشة الغراب .

ما أضفته :

١ً — حالي

ف Uretéral

ز Ureteral

٢ً ـــ التهاب الحالب

ف Uretérite
ز Ureteritis

★ ★ ★

٢٤٣) السّاق

ف Jambe (f.) ; tige (f.)
ز Shank ; leg

في الأصل . ـــ ما بين الركبة والقَدَم .

في (ق) . ـــ ما بين الكعب والركبة ج سوق وسيقان وأسْؤُق .

في (ل) . ـــ جزء من الأعضاء السفلية بين الركبة والقدم . هيكله مؤلف من الظُّنبُوب والشّظِية .

ما أضفته :

١ً ـــ ساق مقوّسة (ركبة رَوْحاء)

ف Jambe arquée ; genu varum
ز Bowleg

٢ً ـــ حَمَزْرَقَةُ السّاقين

ف Erythrocyanose des jambes
ز Erythrocyanosis crurum puellaris

★ ★ ★

٢٤٤) الظُّنبوب (= عظم الساق)

ف Tibia (m.)
ز Shin ; shinbone ; tibia

في الأصل . ـــ عظم الساق الظاهرة .

في (ق) . ـــ حرف الساق من قُدُم أو عظمه أو حرف عظمه .

في (ل) . — أكبر عظم الساق [أقسامه مذكورة فيما أضفته] .

ما أضفته (أقسام الظنبوب) :

آ) أشواك

ف Épines

ز Spines ; thorns

ب) حافة أمامية

ف Bord antérieure

ز Anterior margin

ج — حَدَبة أمامية

ف Tubérosité antérieure

ز Anterior tuberosity

د) حَدَبة باطنة

ف Tubérosité interne

ز Internal tuberosity

ه) حَدَبة ظاهرة

ف Tubérosité externe

ز External tuberosity

و) كَعْب

ف Malléole

ز Kunuckle

وعلى وجه عام :

١ — ظنبوب كالمُنْصُل (= نَصْل السيف)

ف Tibia platycnemien ; en lame de sabre ; platycnémie

ز Platycnemia ; platycnemism ; sable tibia

٢ — ظنبوبي

ف ، ز Tibial

★ ★ ★

٢٤٥) الشَّظِيَّة

ف Péroné (m.)

ز Calfe - bone ; fibula

في الأصل . – العظم الرقيق بين المظمين .

في (ق) . — .... والشظية ، القوس . وعظم الساق . وكل فِلْقة من شيء . ج شظايا .

في متن اللغة . — .... والشظية ، القوس . وعظم الساق ، والفِلقة التي تتشظّى عند التكسير . وكل فِلْقة من شيء ج شظايا وشِظِي وشَظِي .

في (ل) . — عظم طويل (أنبوبٌ) رقيق في ظاهر الساق .

ملاحظة . — لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب أطلقت (الشظية) أيضاً على ما يقابل بالافرنجيتين (séquestre ; sequestrum) وهي القطعة من العظم التي تموَّتت وانحسرت أو تعضَّلت في النَّسْج .

ما أضفته (أقسام الشظية) :

آ) ناتئٌ إبري

ف Apophyse styloïde

ز Styloid process

ب) وجه ظاهر

ف Face externe

ز External face

وعلى وجه عام :

شظيّي

ف Péronier

ز Fibular ; peroneal

★ ★ ★

٢٤٦) الرُّكبة

ف Genou (m.) ; courbure

ز Knee ; bend (ing) ; courbature

في الأصل . — ما بين الفخذ والساق .

في (ق) . — الركبة بالضم ، أصل الصِّلِّيانة إذا قُطِعت . وموصل ما بين أسافل أطراف الفخذ وأعالي الساق . أو موضع الوظيف والذراع . أو مِرْفق الذراع من كل شيء ج رُكَب .

في (ل) . — جزء الجسم ، حيث تتصل الساق بالفخذ .

ما أضفته :

آ — ركبة الجسم الثَّفَني

ف Genou du corps calleux

ز Genu corporis callosi

٢َ — ركبة حَنْفاء (= فَحْجاء)

ف Genou cagneux ; genu valgum

ز Knock - knee ; in - knee ; baker leg

٣َ — ركبة رَوْحاء

ف Genu varum ; jambe arquée

ز Genu varum ; bowleg

٤َ — ركبة مقوَّسة للوراء

ف ، ز Genu recurvatum

٥َ — رُكْبي

ف Genouillé ; geniculé ; coudé

ز Genual ; geniculate ; kneelik

★ ★ ★

٢٤٧) المَأبِضان

ف Jarret (m.)
ز Ham

المرادفات الافرنجية :

آ) حُفرة مَأبِضية

ف Creux poplité
ز Popliteale fossa or space

ب) حفرة المأبِض

ف Creux du jarret
ز Hollow of the knee ; poples

في الأصل . — المأبضان ، بطون الركبتين

في (ق) . — المأبض كمجلس باطن الركبة .ومن البعير باطن المرفق كالإبض .

في (ل) . — قسم الساق خلف مفصل الركبة .

ما أضفته :

مأبِضي

ف Poplité (a.)
ز Popliteal

★ ★ ★

٢٤٨) الداغِصة (الرَّضْفة)

ف Rotule (f.)
ز Kneekap ; kneepan ; whirlbone

في الأصل . — عظم في أعلى الركبة .

في (ق) . — العظم المدوّر المتحرك في رأس الركبة ؛ والرَّضَف . . . .
وعظام في الركبة كالأصابع المضمُومة قد أخذ بعضها بعضاً واحدتهـــا رَضْفة وتحرّك .

في (ل) . — العظم المتحرك الموجود أمام الركبة .

أضفت :

داغِيّ

ف Rotulien ; patellaire
ز Rotular ; patellar

★ ★ ★

٢٤٩) القَلْتَان

ف ، ز .....

في الأصل . — عينا الركبة . (والقلت : كل هزمة في عضو ج قِلات) .

في (ق) . — القَلْت ، النقرة في الجبل ، والقليل اللحم كالقَلِتِ كَكَتف .

في لسان العرب . — ... والموضع الذي يدور فيه رأس الورك المستدير كأنه جوزة .

انظر (الرقم ١٨٥) أيضاً : (القَلْت) .

★ ★ ★

٢٥٠) الحَمَاة

ف Muscle jambier
ز Muscle tibialis

في الأصل . — (الحَمْأة) بالهمزة : أصل الساق .

ملاحظتي . — وهذا من خطأ النسخ (فالحمأة : الطين الأسود المنتن) والصحيح (الحَمَاة) بالألف غير المهموزة) وهي عضلة الساق . فوضعتها في (الرقم ٢٥٠) مصححة ، ولم ينتبه إليها المحقق .

في (ق) . — الحَمَاة عضلة الساق ج حَمَوات .

في (ل) . — عضلة الساق .

ما أضفته :

عضلة مثلثة الرؤوس الساقيّة

ف Muscle triceps sural
ز Muscle surae

وقسماها :

آ) توأمتا الساق

ف Jumeaux de la jambe
ز Muscle gastrocnemius

ب) نَعْليّة

ف Soléaire
ز Muscle soleus

★ ★ ★

٢٥١) العَضَلة

ف ، ز Muscle (m.)

في الأصل . — اللحمة التي في عظم الساق .

في (ق) . — العضلة بالتحريك والعَضيلة كسفينة كل عَصَبة معها لحم غليظ .

قلت : والعَصَب أطناب المفاصل . وعَصِب اللحمُ كفرح كثُر عصبه .

ملاحظتي — للعضلة معنى أعم من هذا التخصيص جاء ذكره (في الرقم ١٥٥ . فانظره) . وسأجمل للعضلة في الاستدراك شرحاً أطول إن شاء الله .

★ ★ ★

٢٥٢) الأَيْبَس

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — الأيبس من الساق ، موضع القيد .

في (ق) . — .... وظنبوبٌ في الساق إذا غمرته آلمك .

في متن اللغة . — ... وظنبوب في الساق إذا غمز آلم كثيراً ، وإذا كُسر ذهبت الساق (اسمٌ لا نعت) ج الأَيابِيس . والأيبسان ما لا لحمَ عليها من الساقين (مجازاً) .

★ ★ ★

٢٥٣) العُرْقوب

ف Cheville du pied ; talon (m.)

ز Ankle ; heel

في الأصل . — العَصَبَة التي بين القيد والكعب .

ملاحظتي . — القيد (بدون شكل) فإذا كان من (قيْده) فهو القيِّد وهو موضع القيد من رِجْل الفرس وموضع الخلخال من المرأة ، وما ُقيّد من بعير ونحوه . والوضع الذي يقيَّد فيه الجمل ويُخلّى . والصحيح : (التي بين الفَيْد) ، بدون الميم ، فالقيد اسمٌ لما ضَمَّ العضدين من المؤخَّرتين (كما في ق) .

في (ق) . — العرقوب عصب غليظ فوق عقب الإنسان . ومن الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها .

في (ل) . — العرقوب : برزةٌ حاصلة من النواتئ السفلية ، أو الكعب ، من الظنبوب والشظية .

★ ★ ★

٢٥٤) الكَعْبان

ف Malléole (f.)

ز Knuckle

في الأصل . — الكعبان هما الناتئان عن يمين وشمال .

[قلت : يمني عن يمين الساق وشمالها وفق الرقمين السابقين] .

في (ق) . — كل مفصل للعظام . والعظم الناشز من جانبيها فوق القدم . والناشزان من جانبيها ج أكْعُب وكُعُوب وكعاب .

في (ل) . — كل من برزة الناحية السفلية للظنبوب ، وبرزة الشظية مكوّني العرقوب . فالكعب الظاهر هو برزة الشظية ؛ والكعب الباطن هو برزة الظنبوب .

ملاحظة . — يقصد بالظاهر : الوحشي (externe) ؛ وبالباطن : الإنسي (interne) طبّياً .

أضفت :

كَعْبِيّ

ف Malléolaire

ز Malleolar

★ ★ ★

٢٥٥) القَدَم (= الرِّجْل)

ف Pied (m.)

ز Foot (pl. feet)

في الأصل . — ليس لها تعريف .

في (ق) . — ... والرِّجْل مؤنثة (واحدة الأقدام) . ج أقدام .

في (ل) . — القدم ، الجزء الأخير للساق . تفيد الإنسان والحيوان للوقوف (منتصباً) وللمشي . أما هيكلها فيشتمل على : رسغ القدم (١) [كعبة (٢) ، عقيب (٣) ، عظم زورقي (٤) ، عظم نردي أو مكعّب (٥) ، عظام إسفينية (٦)] وعلى مُشط القدم أي الوَظيف (٧) [مشطيات أي وظيفيات (٨)] .

وإليك ما يقابل الأرقام باللغتين :

١) Tars [tarsus ; instep (proper)]
٢) Astragal [ankle - bone ; astragalus]
٣) Calcaneum [heel - bone]
٤) Scaphoïde [scaphoid ; navricular bone]
٥) Cuboïde [cuboid - bone]
٦) Cunéiforme [cuneiform ; cuneate]
٧) Métatarse [metatarsus]
٨) Métatarsien [metatarsial]

أم ما أضفته عن القدم :

١ً — قدم رَوْحاء

ف Pied bot varus
ز Talipes varus

٢ً — قدم روحاء قفداء

ف Pied bot varus equin
ز Talipes equinus

٣ً — قدم عرجاء

ف Pied bot
ز Clubfoot ; talipes

٤ً — قدم فَدْحاء

ف Pieb valgus
ز Talipes valgus; everted foot ; incomplat foot

٥ً — قدم قَفْداء

ف Pied bot talus
ز Talipes calcaneus

٦ً — قدم كَبْساء

ف Pied creux

ز Hollow foot

٧ً — قدم مَسْحاء

ف Pied plat

ز Flatfoot

٨ً — قدم مسحاء مُنْخَمِصة

ف Pied plat affaisé

ز Board foot ; splay foot

٩ً — قدم مفلوجة أو مشقوقة

ف Pied fourchu

ز Cleft foot

١٠ً — قدم مُقْتَسَرة

ف Pied forcé

ز Forced foot ; march tumor ; swell foot

١١ً — قدميّ

ف Pedieux

ز Relating to the foot

١٢ً — عناية بالأقدام ، أقداميّ (*)

ف Pédicure

ز Pedicure ; chiropodist ; corn cutter

أ — سُوَيْقة

(على التصغير من الكلمة الفرنسية)

ف Pédicule ; pédoncule

ز Pedicle ; peduncle

(*) ومثلها (العناية بالأنامل ، مُطرِّف manucure) . انظر الرقم ـ ١٩٥ ـ البنان) .

ب — سويقة رئوية

ف Pédicule pulmonaire

ز Root of the lung

ج — سويقة بطنية (مضغة)

ف Pédicule ventral (embr.)

ز Abdominal body belly ; stalk ;
pedicle of the allantois

د — سُوَيْقي

ف Pédonculaire

ز Peduncular

ه سويقات مُخَيْخية

ف Pédoncules cérébelleux

ز Cerebellar peduncles

و — سويقات مخّية أو دماغية

ف Pédoncules cérébraux

ز Cerebral peduncles

★ ★ ★

٢٥٦) العَقِب

ف Calcanéum

ز Heel - bone

في الأصل . - مؤخَّر القدم .

في (ق) . — مؤخَّر القدم . والعَقِب العَصَب الذي تُعمل منه الأوتار .

في (ل) . — هو عظم رسغ القدمِ المؤلِّفُ برزة العُرقوب .

★ ★ ★

٢٥٧) البَخْصَة

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — لحم القدم في أسفلها .

في (ق) . — البَخَص : لحم القدم . ولحم فِرْسِن البعير ولحم أصول الأصابع مما يلي الراحة .

في متن اللغة . — البَخَصة ، شحمة العين من أعلى وأسفل ؛ هو مبخوص القدمين والكفين قليلُ لحمها .

ملاحظتي . — البَخَص أصلحُ أن يطلق على لحم القدم في أسفلها حسب تعريف المؤلف ، من كلمة البَخَصة . فوزن (فَعَل) كما هو معلوم يغلب القياس عليه لداء أو مرض أو حال غير طبيعية . وقلّة لحم القدمين حالةٌ غير طبيعية لطارئٍ أو لعلة . والبخصة كما في متن اللغة ، لشحمة العين من أعلى وأسفل تخصيصـــاً أما قوله (في المتن) بعد كلامه على البخصة (هو مبخوص القدمين والكفّين : قليلُ لحمها) فهو اشتقاق من الفعل ، للمفعول ، صفةٌ له من بَخِصَ بَخْصاً أصابه البَخَص (ولم يقل البَخْصة) . ومن هذا الشرح يتبين أن (البَخَص) أصلح .

★ ★ ★

٢٥٨) عَيْر (القَدَم)

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — الحدبة التي في وسطها .

في (ق) . — . . . والعظم الناتئ وسطها ، وكل ناتئٍ في مستوٍ ... الخ .

قلت : تقدم شرح العَيْر في (الرقم ٢٢٩) فانظره .

ملاحظتي . — لا يمكن التخصيص ما لم يتفق على معنى واحد من معاني العير الكثيرة [انظر الرقم ٢٢٩] .

★ ★ ★

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي

ملاحظات لابد منها

« على الجزء الثالث »

أنا أوَدّ التفادي من ذكر الملاحظات المحرّرة لئلا أُزنّ بغير الحق عند ذوي الصدور الحرجة ، ثم يخطر ببالي خسران ما أحسبه مفيداً في الأدب واللغة والتاريخ ، وتلوح لي رحابة صدور العلماء البارعين والأدباء الفائقين ، الذين يستحبّون الحقائق على غيرها من بهرج الدعاوي فأستجيز لنفسي الملاحظة والمفاوضة ولذلك أقول :

(بقايا الفصاح)

قرأت المقالة البديعة للأستاذ الكبير شفيق جبري ذات العنوان « بقايا الفصاح » وقد عرض فيها لكلمات مستعملة في اللغة العامية ، ومنها « النشّال » الشائعة على ألسن أهل مصر ومعناها « السارق » . كما قال الأستاذ الجليل وقال بعد ذلك : فالنشال في اللغة الفصيحة كشدّاد من يأخذ حرف الجردقة وهي الرغيف فيغمسه في القدر فيأكله دون أصحابه ، ومن معاني نشل الشيء : أسرع نزعه ... » . فأقول : إن هذه الكلمة قد شاعت في العراق أيضاً في مصطلحات العامة ومصطلحات الدولة ، فليس معناها « السارق » عموماً بل السارق الذي يخطف الأشياء الخفيفة الثمينة الصغيرة بتغفل أصحابها كالدراهم والدنانير والساعات والمصوغات ، وأرى رجع الأستاذ استعمالها إلى « إسراع نزعها » هو الرأي الراجح على الرأي الآخر ، لأن آخذ حرف الجردق وغامسه في القدر وآكله دون أصحابه ليس بسارق بل هو نهم

جشيع بلْه أن هذا المنى خاصٌ بطبقة الصعاليك وأشباههم، وأحسب أن مختار « النشال » لهـذا الضرب من السراق اعتمد على ما ورد في « تتمة المعجمات العربية للمستشرق الكبير « ر. دوزي » وهـذا اعتمد على معجم إلياس بقطر Ellious Bocthor للفرنسية المقابلة بالعربية فقد جاء فيه « نشل Derober ,filouter ,Voler... نشّال Coupeur de bourses , filou , voleur .

وهذا الضرب من السُّرّاق كان معروفاً عند العرب ، ويسمّى « الطرّار » على وزن شدّاد والمرأة طرّارة ، جاءَ في لسان العرب « ويكون الطرّ الشقّ والقطع ومنه قيل للذي يقطع الهمايين (طرّار) ... وحديث الشعبي : يُقطع الطرّار — يَعني يُعد سارقـاً — وهو الذي يشق كُمّ [1] الرجل ويسلّ مافيه ، من الطرّ وهو القطـع والشقّ » . وجاء في المصباح المنير طررته طرّاً من باب قتل ومنه الطرّار وهو الذي يقطع النفقات ويأخذها على غفلة من أهلهـا » . وقال المطرزي في المغرب : « الطرّار : الذي يطر الهمايين أي يشقها ويقطعهـا » . وفي أساس البلاغة « طرّ الثوب وغـيره يطرّه إذا قطعه ، ومنه الطرار الذي يطرّ الهمايين والصُّرر » ، وكان الطرّارون يتعاطون الشقّ لأن العين والورِق كانا يحفظان في الهمايين والصُّرر .

وعدّ الأستاذ من ذلك النوع من الكلم « الشموذة والمشعوذ » في الاستعمال المصري قال : « فالمشعوذ يُرينا السياسة بغير ما عليه أصلها في رأي العقل وكذلك يرينا العلم ، والدين أو ما شابه ذلك ... وما أظنُّ أن لفظاً من الألفاظ أقوى من لفظ الشعوذة في الدلالة على هذه الطبقة من الناس » . قلنا : إنّ كان مقياس قوّة الشعوذة واقعها اللغوي أي استعمالهـا المصري

---

(١) لأن العرب كانوا يحفظون ذهبهم وفضتهم النقديتين في أكمامهم ويشدّونها أو يعقدونها ولم يعرفوا ما يسمى اليوم بالجيب فانه من ابتداع الفريّين في ملابسهم واقتبسه العرب منهم .

فذاك ، وإلا فليس معقولاً أن يكون العرب لم يعرفوا ولم يستعملوا كلمة لهذا المعنى ، وأحسب أنهم استعملوا لها « التنميس » مصدر الفعل « نمّس » جاء في لسان العرب « والناموس » المكر والخداع ، والتنميس : التلبيس » وفي أساس البلاغة « ونمّس عليّ تنميساً : لبّس ، ومنه النمس الدابّة التي يقال لها دَلَهْ » . وفي القاموس « الناموس .. والحاذق ومن يلطف مدخله .. وما تُنُمِّسَ به من الاحتيال . . . والتنميس : التلبيس » ، وقال القاضي التنوخي أبو علي : « سمعتُ القاضي أبا القاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشمي يقول : كنت بحضرة القاضي أبي عمر .. فجرى حديث اللاهي فقلت : فلان يضرب بالرباب . فصاح عليّ أبو عمر وقال : هاه هوذا تهزأ بنا هوذا تنمّس علينا ما هذا الكلام ؟ .. » [1] وقال ابن النديم في أخبار الحلاّج : « وقد كاد السلطان أن يطلقه لأنه نمّس عليه وعلى من في داره من الخدم والنساء بالدعاء والعوذ والرقى [2] » ، وقال أبو الحسين ابن الصابي في سيرة الوزير أبي علي الخاقاني قال : « فكان أبو علي يُنمِّس على الخدم بالصلاة وإظهار التسنّن ، فاذا وافاه خادم برقعة أو رسالة تركه زمناً طويلاً إلى أنْ يتم صلاته ، وكان يطيلها ويتبعها بالتسبيح فيصفونه بالديانة ويميلون إليه بهذه الوسيلة » [3] .

وورد التنميس في الاستعمال كذلك في تاريخ بغداد للخطيب البغداديّ « ٨ : ١٢٠ » واستعمل العماد الأصفهاني الكاتب « التنمّس » بهذا المعنى ، قال في وصف بعض الرجال : « وهو رجل جاهل ، من أنواع العلوم خال ، محتال ، يبدي تنمّساً بإظهار زهد ، وورع محال على محال [4] » . والظاهر

(١) نشوار المحاضرة « ج ١ ص ١٩٢ » .
(٢) الفهرست « ص ٢٧١ طبعة المطبعة الرحمانية بالقاهرة » .
(٣) تاريخ الوزراء « ص ٢٨٨ طبعة دار إحياء الكتب العربية » .
(٤) زبدة النصرة « ص ٨٤ طبعة مطبعة الموسوعات بالقاهرة » .

لنا أن التراجمة الضَّعَفَة في اللغة العربية ترجموا الكلمة الأعجمية بالشعوذة فشاعت وذاعت عند الخاصَّة والعامة ولا أحسب استعمالها بالمعنى الذي ذكره الأستاذ الفاضل يتجاوز نصف قرن في الطيلة .

ومنها « فلان ذلق أو فلان ذلق لسانه » قال ـ حفظه الله ـ : ونحن نُريد بقولنا هذا أنَّ فلاناً كان يكتم عنَّا أشياء ولا يريد أن يبوح بها ، إلا أنه في خلال حديثه قد تخونه الذاكرة فيبوح بما كان يكتمه فنقول : فلان ذلق فقال كذا وكذا ، وقد تُعدّي العامة هذه المادَّة وتستعمل الفعل المشدّد فتقول « ذلَّقه حتى قال كذا وكذا » .

قلت : يقول العراقيون اليوم من طبقة العامة : « فلان زلك لسانه فقال . وزلَّكته فقال » . أي « فلان زلق لسانه فقال ، وزَلَّقته فقال » فلعل أصل الاستعمالين واحد ويعود إلى « زلق » .

ومنها « العِلق » قال الأستاذ : « ومعناها في اللغة النفيس من كل شيء والجمع أعلاق وعلوق ، إلا أنَّ هذه اللفظة لم يَبْقَ لها في لغة العامة معناها الفصيح فقد تصرَّفت فيها العامة أسوأ تصرُّف ، فأطلقت العلق على كل مُخنَّث أو متغنج من الناس وهي تريد له أقبح الذم ، ولا يسرّ أحداً أن يقال فيه إنه علق ، واختارت العامة من صيغة الجمع العلوق وطرحت الأعلاق في لغتها ... » .

قلت : أفادنا الأستاذ الجليل بكلامه على هذه الكلمة فائدة نفيسة فان هذه الكلمة كانت مستعملة في العراق بالمعنى الذي ذكره ، وذلك في العصور العباسية ، فقد وردت في شعرٍ نُظِم سنة ٦٥٥ هـ قال الشاعر يهجو رجال دولة المستعصم بالله العباسيّ :

وحاجب الباب طوراً شارب ثَمِلٌ وتارة هو جُنكيٌّ وعوّادُ
وإبْنُ عبّاس مُغرًى باللواط له في كل ناحية (علق) وقوّاد[1]

(١) الكتاب المجهول المؤلف الذي سمّاه الحوادث الجامعة باقتراح بعض الباحثين ولم يكن إياه « ص ٣٢١ » .

وأحسب « العيلق » بهذا المعنى تحريف « العيلج » أو هو من كلم الإبدال ، قال مؤلف المختار : « العيلج بوزن المجل : الواحد من كفار العجم والجمع علوج وأعلاج وعلجة بوزن عنبة ومعلوجاء بوزن محوراء » ، ومثل هذا الإبدال قولُ العرب : « فالوذج وفالوذق وكيلجة وكيلقة والجرجس والقرقس والمَوهج والموهق ، وزلج وزلق والجُرجُبان والقُرقبان وسهجه وسهقه [1] » . وقد التجأنا إلى الإبدال لوجود الفرق المظيم بين علق الفصحاء وعلق العامة .

وورد في المقالة البارعة التي عنوانها « أبو علي القالي وكتابه الأمالي » للدكتور الفاضل عمر الدقاق – ص ٥١٥ – ذكر مدينة « خِلاط » في المتن والحاشية ، بتشديد اللام ، والمعروف تخفيف اللام ، ففي معجـــم البلدان « خِلاط بكسر أوله وآخره طاء مهملة : البلدة العامرة المشهورة . . . » . ومثله في مختصر المعجم : مراصد الاطلاع ، والسكوت عن التشديد إيذان بالتخفيف لأنه الأصل والأصل لا يحتاج إلى تنبيه محرّر ، في الأغلب الأعمّ .

وجاء في الصفحة ٥٢٣ في المقالة نفسها قول الكاتب الفاضل « وطابعها لغوي أكثر منه نحوياً » برفع « لغوي » على ما هو الظاهر ، وهو لحن ، ويجب نصبه لأنه تمييز من كلة « أكثر » و « نحوياً » تمييز ثان والخبر « أكثر » ، وهذا هو إعراب الأشباه لهذين اللفظين المتفاضلين .

وجاء في الصفحة ٥٢٧ في شرح كلة « الإملاء » وجمعها الأمالي قال الدكتور الفاضل : « وهي في رأينا تطابق في مدلولها كلة المحاضرة في العصر الحديث ، بل إن المحاضرة بهذا المعنى اصطلاح قديم إلا أنه لم يشتهر اشتهار الإملاء ، فقد ذكر أبو منصور الأزهري أن الأصمعي كان أملى ببغداد كتاباً في النوادر ، فزيد عليه ما ليس من كلامه فأنكر ذلك وقال : خير العلم

---

(١) كتاب الإبدال لأبي الطيب عبد الواحد بن علي الحلبي « ١ : ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق » .

ما حاضرتَ به ، فإذا كان ثمة فارق بين الأمالي وبين المحاضرات فهو أن الأمالي تُملى في الغالب من الذاكرة وتلقى إلقاءاً مرتجلاً عن ظهر قلب على حين تتلى المحاضرة من أوراق أُعِدَّتْ من قبل وبتعبير آخر أن المحاضرة صورة جديدة ومتطوّرة للإملاء تتسم بالتركيز ووحدة الموضوع » .

والذي علمناه متحقّقين أن « المحاضرة » القديمة لم تكن لها صفات المحاضرة المصريّة الجديدة ، فالجديدة من اقتراحات بعض المترجمين الضُّعَفاء في اللغة العربية ، لأن القديمة كانت لا تعتمد على الإعداد والاستعداد ولا على التدوين والكتابة ، ولذلك أخذوها من مادة « حضر » فهي أوانيَّة وهي التكلم بما يحضر المتكلم في وقت الكلام من ذهنه وحفظه من العلوم والآداب ، فلم يكن فيها أوراق مُعدَّة كما ظن الدكتور الفاضل ، قال أبو العباس المبرد : « ومن أمثال العرب : خير العلم ما حُوضِرَ به ، يقول : ما حُفظ فكان للمذاكرة [1] » . وقال الوزير الأديب الشاعر النسابة أبو القاسم المغربي : « وكان [أبو الحسن أحمد بن علي السبتيّ] مليح المحاضرة ، كثير المذاكرة ، طيّب النادرة ، مقبول المشاهدة [1] . . . » . أتى بالمحاضرة في معناها وجَمَعَها مع المذاكرة والنادرة ، ويؤيد ما ذكرت من أن معنى المحاضرة لا يحوي التسجيل ولا الإعداد ما نقله الدكتور الفاضل من خبر الأصمعي في إملائه ببغداد كتاباً في النوادر (من حفظه بغير تدوين) فزيد فيه فأنكر الزيادة ولو كان مدوَّناً محدوداً معلوم الأول والآخر لم يزيدُوا فيه لوضوح الزيادة المزوَّرة فيما هو مكتوب محدود ومعدود ، بَلْهَ أنَّ معنى المغالبة أو التهيّؤ لها مفهوم من صيغة فِعْلِها على وزن « فاعَلَ يُفاعِلُ » فالمحاضر كالمغالب غيره في معارفه ، وليس المملي كذلك .

(١) الكامل في الأدب « ١ : ٢١٣ طبعة المطبعة الأزهرية » .
(٢) معجم الأدباء « ١ : ٢٣٥ طبعة مرغوليوث الأولى » .

نافذة تُطلُّ على تاريخ اليزيدية

وقرأت نافذة الشيخ المحقق الفاضل محمد أحمد دهمان «ص ٥٩٧» ووقفت عند قوله في الصفحة ٥٩٧ : «وهناك نصّ يفيد بأن أهل الكرخ كانوا من جماعة مُعاوية وأنصاره فقد سب إبراهيم[1] بن رستم معاوية ، فقال له رجل : لم لا تقول هذا بالكرخ ؟ فقال : ولِم لا تصلّي أنت على محمد ـ صلى الله عليه ـ وعلى آله بالقسطنطينية ؟» وأحال بهذا الخبر على البصائر لأبي حيان التوحيدي ٢ : ٤٢٠ من تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني» .

قلت : إني لمّا أطّلع على غير الجزء الأول من كتاب البصائر، في طبعة مصر ، ورأيت بعض أجزائه الأخرى ولم أقرأه ، ولكنّي أجزم بأن كلمة «سب» أو «السبّ» الواردة في طبعة الدكتور الكيلاني مصحفة عن لفظة تؤدي ضد معناها ، وذلك لأن الكرخ من محال بغداد الغربي وكانت معدناً للشيعة ولا سيما الإماميَّة وكان يساكنهم فيها ناس من الحنفية والشافعية المعتدلين (ولم يسكنها الحنابلة على كونهم جمهور سكان بغداد بعد وفاة إبراهيم بن رستم سنة ٢١٠ أو سنة ٢١١ وظهور مذهب الإمام أحمد بن حنبل وشيوعه ذلك الشيوع الجارف) ولا سكنها المالكيَّة على قلتهم ببغداد ، فكيف يكون سبّ معاوية منكراً في الكرخ ؟! وقد ذكر ياقوت الحموي الكرخ في معجم البلدان حتى قال : وكانت الكرخ أولاً في وسط بغداد والمحالّ حولها ، فأما الآن فهي محلة وحدها مفردة في وسط الخراب وحولها محالّ إلا أنها غير مختلطة بها ... وأهل الكرخ كلهم شيعة إمامية لا يوجد فيهم سني البتة» . وقد بالغ ياقوت فالأمر كما ذكرت آنفاً ثم إن المقابلة بين سبّ معاوية بالكرخ ومدح محمد ﷺ بالقسطنطينية مقابلة باطلة فكيف يُقابل بين

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والجواهر المضيّة في طبقات الحنفية لمحيي الدين القرشي وميزان الاعتدال للذهبي ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني .

القدح والمدح لمرفة نتيجة واحدة مشتركة هي مقاساة الأذى والخطر ؟ ! فالتشابه معدوم ، ومما يذكر في هذه القضية ما نقله أو حكاه أبو عبد الله الحسين بن أحمد الخياري الحنبلي البغدادي قال : دخل رجل الكرخ فلقيته امرأة فقالت له : أبا بكر [1] كيف أنت ؟ فقال : أهلاً يا عائشة . فقالت : أنا [2] اسمي عائشة ؟ ! فقال : أنا أُقتلُ وحدي [3] ؟ فالتسمّي بأبي بكر وحده كان كافياً في أن يجرّ على صاحبه القتل في محلّة الكرخ في عدة عصور فكيف يكون الكرخ داراً لأنصار من أنصار معاوية ؟ فالوهم سببه التصحيف كما قلت آنفاً .

التعريف والنقد

وورد في الصفحة ٦٢٧ في تعريف الدكتور البارع المحقق عزّة حسن لكتاب الهفوات النادرة لغرس النعمة محمد بن هلال ابن الصابي في أثناء كلامه على أنه لا يكون للخادم ولد : والسرّ أن كلمة (الخادم) صارت تطلق في العصور العباسيّة ولا سيما في بغداد على الخصيّ (كذا أراد الخصيان) دون غيرهم ، بل خصّت بهذا المعنى وصارت مرادفة لكلمة الخصيّ ولا نجد هذا في معجمات اللغة وإنما نعرفه من كتب الأدب والتاريخ بالاستقراء » . والقسم الأول من هذا القول صحيح لاشكّ فيه ، والقسم الثاني الأخير يحتاج إلى بيان وتعقيب ، فتطوّر دلالة « الخادم » مردّها إلى كتب المصطلحات ، وما ذكر فيها منصوصاً عليه لا يقال فيه » إنّ معناه فُهِم وعُلِم بالاستقراء ، قال تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم ابن السمعاني في الأنساب : « الخادم ... هذه اللفظة اشتهر بها الخُصْيان

---

(١) في المرجع التاريخي « أبو بكر » مع أنه على تقدير النداء ، والمتكلم عاميّ .
(٢) هكذا بحذف أداة الاستفهام بحسب لغتها العامية .
(٣) مختصر مرآة الزمان « مج ٨ ص ٦١١ ، ٦١٢ طبعة حيدر أباد الدكن » .

الذين يكونون في دور الملوك وعلى أبوابهم ويختصون بخدمة الولد ، ويقال لكل واحد منهم الخادم[١] ... » وذكر عدة خدم منهم مشهورين بالفضل ، واختصر عز الدين ابن الأثير كلامه قال في اللباب : « الخادم بالخاء المعجمة وكسر الدال المهملة بعد الألف وفي آخره ميم : هذه اللفظة اشتهر بها الخصيان . . » .

وإذ بلغ الفِواص' كتاب الهفوات النادرة : وهو الكتاب المفيد الممتع المحلّى بالتحقيق البارع أضيف' إلى ما ذكره الدكتور المحقق عزّة حسن من الملاحظات ما يأتي :

١ — جاء في حاشية الصفحة ١٨ من مقدمة التحقيق أن من مصادر ترجمة غرس النعمة محمد بن هلال ابن الصابي « التاريخ المجدد لمدينة السلام لابن النجار — مخطوطة باريس برقم ٢١٣١ وعنها نقل ابن الفوطيّ » . وليس ذلك بصحيح فابن الفوطيّ قال : « وذكره ابن النجار في تاريخه وقال .. » [٢] والتاريخ المجدّد ستّ عشرة مجلَّدة كما ذكر مؤلف الكتاب الذي سميناه غلطاً الحوادث الجامعة « ص ٢٠٥ » والمجلدة المحفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس برقم ٢١٣١ تبدأ بترجمة « علي بن محمد بن علي أبي الحسن الدامغاني » وهي مخرومة ، وتنتهي بترجمة « أبي سعيد الفضل بن محمد بن أحمد البيّع » وعلى تقسيم هذه النسخة التي منها هذه المجلّدة ، تكون المجلدة التي تليها ، الرابعة والعشرين » وذلك بدلالة قول الناسخ : « آخر المجلد الثالث والعشرين من الأصل من التاريخ المجدّد لمدينة السلام وهو آخر المجلد الحادي عشر من هذه النسخة ، يتلوه في أول المجلد الرابع والعشرين من الأصل ، أول المجلد الفضل بن محمد بن عبد المطار ... » . فأين يقع محمد بن هلال من هذه المجلدة ؟ لا محل له فيها .

(١) الأنساب « مجلد دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٩٨ و ١٨٤ » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ القسم ٢ ص ١١٦٤ » .

٢ ــ وقال المحقق في الصفحة ٤٨ في كلامه على المجموع الذي فيه كتاب الهفوات : « ويلي ذلك كتاب بدائع البدائه لابن ظافر الحداد » والأمر المحقق المتعارف المتعالم المشهود الموجود هو « ابن ظافر الأزدي » لا الحداد ، فأنّى له هذه التسمية الجديدة ، فصاحب معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ترجمه بعنوان « ابن ظافر الأزدي » نقلاً من فوات الوفيات ، وترجمه الصلاح الصفدي بادئاً بالقول : « علي بن ظافر بن حسين الفقيه الوزير جمال الدين أبو الحسن الأزدي المصري المالكي ابن العلامة أبي منصور ... »(١) وترجمه الذهبي قبله بهذه التسمية في تاريخ الإسلام ، وقد التبس عمل المحقق ظافر الأزدي بظافر الحدّاد الاسكندري الشاعر المتوفى سنة ٥٢٩ كما في معجم الأدباء ووفيات الأعيان وغيرهما ، ولم يكن له حادٍ على ذلك .

٣ ــ وضبط في الصفحة الخامسة من متن الكتاب « تزري عليه » بضمّ التاء ، ولم تكن له حاجة إلى هذا الضبط فالصواب فتح التاء ، ولو أراد المؤلف ضمّ التاء لقال « تُزري به » لا عليه .

٤ ــ وشدّد الباء من قول قرواش العقيلي في الصفحة السابعة : « يا ويلك قبحك الله وقبح ابن مروان ما هذا الكلام(٢) ؟ » . وتخفيف الباء هو الفصيح الراجح وهو لغة القرآن الكريم ، جاء في مختار الصحاح « وقبحه الله : نحّاه عن الخير ، وبابه قطع ، ويقال قبحاً له ، بضمّ القاف وفتحها .

٥ ــ وورد اسم الخليفة المستعين بالله في الصفحة ١٩ والرجل المشهور كشهرته لا يحتاج إلى تعليق ، ومع هذا فالتزيّد حمل المحقق الفاضل على أن

(١) الوافي بالوفيات « نسخة المجمع العلمي العربي بدمشق المصورة ج ١١ و ٧٧ » .
(٢) وكرّر ذلك مؤكّداً تفضيله إياه في الصفحة الثامنة .

يقول في الحاشية إنه « أحمد بن المعتصم . . . » وعزا ذلك إلى أبي جعفر الطبري وأبي الحسن المسعودي وعز الدين ابن الأثير وابن شاكر الكتبي ، والصحيح أنه « حفيد المعتصم » لا ابنه .

٦ — وفي الصفحة ٤٨ سقطت كلمة « رجل » من السطر الرابع عشر فلم يشعر بسقوطه وسبب ذلك الخبر وضياع ما فيه من العِبَر ، فأبو الغنائم بن جهور الكاتب لا يقــــول : « قيل لي حصلَتْ بنت ابن جهور عند ابن المطبخي على فساد ... » أعني أنه لا يقول : « حصلت ابْنَتي عنده على فساد ... » .

٧ — وفتح الباء من الفعل « عبقت » الوارد في الصفحة ٧٠ ولم تكن له حاجة إلى هذا الضبط فالصواب كسر الباء سماعاً وقياساً لأنه من أفعال التغير الظاهر وهو مثل « أرِج يأرَج » و «فرِح يفرَح» و «طرِب يطرب ».

٨ — وورد في الصفحة ٨٣ « يا أبا أمية إن بعض الأطباء أخبرني أن الأمير ممَّا به قد أمرني أن آمره بالوصية وأنا أكره أن أستقبله بذاك » . والعبارة ظاهرة الاضطراب والقلق ، والصواب « أنّ الأمير لمآ به » من آب يؤوب أي في حال الرجوع إلى الله تعالى بالموت ، « إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون » ـ فهو مائت ، وهـذا من تعابير العرب المشهورة كما جاءَ في أخبارهم المدوّنة في أنساب الأشراف للبلاذري وإرشاد المفيد العلامة المشهور عند العلماء والمؤرخين .

٩ — وجاء في خبر جارية سليمان بن عبد الملك الوارد في الصفحة ٨٩ « فبينا هي تصُب عليه إذ لَهَتْ عنه ، فحرّكها بيده ... » ، ثم ورد في الصفحة ١١١ « فقال لي : ألْهُ عن هذا » ، وكلا الضبطين في « لهت » و « إله » خطأ ، والصواب « إذ لَهِيَتْ عنه » و « إلْهَ عن هذا » . فليس هذا الفعل من « لها يلهو » بل هو من « لَهِيَ يَلْهَى » ، ففي مختار الصحاح « ولَهِيَ عن الشيء لُهِيّا بالضمّ والتشديد ، ولُهياناً بضم اللام

وكسرها : سلا عنه وترك ذكره وأضرب عنه ... وتقول : إلْهَ عن الشيء أي اتركه ، وفي الحديث في البلل بعد الوضوء : إلْهَ عنه . وكان ابن الزبير إذا سمع صوت الرعد لهِيَ عن حديثه أي تركه وأعرض عنه ، الأصمعي : إلْهَ عنه ومنه بمعنى » ، فاللهيان ضد اللهو ، فالأول ترك الشيء ، والثاني الاقبال عليه ، ولذلك يُؤْتى معه بالباء فيقال : « لها بالشيء يلهو من باب عدا : لعب به » كما ورد في المختار . وهذا الخبر الذي نقله غرس النعمة كان قد أُورد في الكتاب نفسه في « ص ٣٩ » على صورة أخرى وأشار المحقق الفاضل إليه إلا أنه لم يضبط رقمي الصفحة حق الضبط .

١٠ — وورد في الصفحة ٩٢ ما هذا نصه « وحدث أبو الحسن أحمد ابن محمد بن المدبِّر قال : كان بدء خروجي إلى الشام أن المتوكل خرج يتنزّه بالمحمَّدية وخلا به الكتاب هناك . . » فقال محقق الكتاب في الحاشية معرّفاً المحمدية : « اسم لقرية من نواحي بغداد على طريق خراسان واسم لقرية من قرى بين النهرين ، معجم البلدان » . فماذا استفاد القارئ المستزيد والناشئ المستفيد ؟ فالمتوكل كان بسامرّا العامرة حتى عصرنا هذا ، وقد كان خرج يتنزّه في نواحي سامرا ، فما شأن المحمدية التي في طريق خراسان المعروف اليوم بلواء ديالى بشرقي العراق ، والمحمدية التي بين النهرين ؟ وأي نهرين ؟ فياقوت جمل المحمديّتين المذكورتين آنفاً واحدة ، فكيف جعلها اثنتين محقق الكتاب وعزا القول إلى ياقوت ؟

قال ياقوت : « والمحمدية أيضاً ببغداد من قرى بين النهرين منهـــا أبو علي . . » ولم يذكر النهرين ، والصحيح أنّ « المحمدية المرادة بالخبر هي محمّدية سامرا ، ففي معجم البلدان « قال البلاذري : الإيتاخيّة تعرف بإيتاخ التركي ثم سمّاها المتوكل المحمَّدية باسم ابنه محمد المنتصر وكانت تعرف أولاً

بدير أبي الصُّفرة(١) وهم قوم من الخوارج وهي بقرب سامرّا » ، وهذا واضح بحمد الله تعالى .

١١ – وجاء في الصفحة ١٠٦ طمعت أمية أن تُجاوِزَ هاشم » بضمّ التاء من الفعل « تجـــاوز » وكسر الواو ، والصواب فتح التاء والواو وهو اختصار « تتجاوز » أي تعفو فحذفت تاء الفعل المزيدة ، وبقيت تاء المضارَعَة ، والدليل على ما قلت أن الشاعر أتى للفعل بحرف الجرّ « عن » قال « عنها ويذهب زيدها وحسينها » ، فالأصـل « طمعَت أميّةُ أن تتجاوز هاشم عنها » .

١٢ – وجاء في الصفحة ١٠٧ قول بعض الشعراء :

فتذل ذُلّ حليـــلة لحليلها بالمشرفيّ وتُستقصُ دبونها

ولم يشرح هذا الفعل « تستقصّ » ولا ذكر كيف تستقصُ الديون ؟ أي كيف يسألها المظلوم أن تقصّه من عدوه وتنتقم له منه ! فالصواب وتُستنضُ دبونها » يقال : استنضّ حقّه من فلان : استخلصَه منه شيئاً بعد شيء . فمراد الشاعر الاستنضاض لا الاستقصاص .

١٣ – وجاء في الصفحـة ١٢٧ « وقال : لعمري إني حرَمتك ولكن أنْصَبْتك منها » . وذكر في الحاشية أن في بعض النسخ « أُنصبك » أي أجمل لك نصيباً ، فلماذا فَضّل هـذا الضبط أعني مضارع « نصِبَ » بمعنى تعب وأعيا ، مع تعديته إلى المفعول به ؟؟ .

١٤ – وورد في الصفحة ١٢٨ ما هذا نصّه « قال إسحاق بن إبراهيم حدثني ابن عائشة عن يونس النحوي قال : مات رجل من جند أهل الشام فحضر الحجّاج جنازته وكان عظيم الوجاهة ... » . فقال محقق المفوات في الحاشية : « الخبر في الأغاني (دار الكتب) ٢ : ١٤٨ ، ١٥٠ بالسَّنَدَ

(١) في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١ : ١٦٦ « بني الصفر » وهو الصواب .

نفسه ، وفي ذيل زهر الآداب ٦٨ — ٦٩ » وعلّق على ابن عائشة ما هذا نصه « محمد بن عائشة ، مُغن مشهور ، أخبـــاره في الأغاني (دار) ٢ : ٢٠٣ — ٢٤١ » .

والتعليق الثاني خطأ محض ؛ لم تكن بالمحقق الفاضل حاجة إليه . لأنّه صار سبباً في توريط القارئ المستفيد في الغلط ، أفترى أنه من الممكن والمعقول أن يحدّث ابن عائشة المغني المتوفّى على عهد الوليد بن يزيد الأموي في إحدى روايتين ، وقد توفي أي الوليد سنة (١٢٦ هـ) عن يونس النحويّ المتوفى سنة (١٨٣ هـ) ؟ ! إن ذلك ليس بممكن ولا معقول ، والصحيح أن « ابن عائشة » المذكور في هذا الخبر هو « ابن عائشة الأديب الأخباري » المشهور في تاريخ الأدب العربيّ ، وهو أبو عبد الرحمن عبيد الله بن محمد ابن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي البصري المعروف بابن عائشة المتوفى بالبصرة سنة (٢٢٨) هـ بعد انصرافه من سامراء إليها [(١)] .

١٥ — وجاء في الصفحة ١٤٨ ذكر من اسمه « أحمد بن عبد الله بن علي ابن سويد بن مخوف » وفي فهرست الكتاب ـ ص ١٤٦ ـ « أحمد بن عبد الله ابن علي بن سويد بن مخوف » أيضاً ، والذي علمناه وحفظناه هو أن الجدّ اسمه « سويد بن مَنجُوف » بالميم والنون والجيم والواو ، لا مخوف ، جاء في القاموس في ن ج ف « وسويد بن منجوف تابعي » . وجاء في كتاب المعارف لابن قتيبة « سدوس في ربيعة وهو سدوس بن شيبان من بكر بن وائل ، منهم سويد بن منجُوف [(٢)] » .

١٦ — وجاء في حاشية الصفحة ١٨٢ « وأبو القاسم بن المغربي هو الحسين ابن علي وزير من الدهاة العلماء ، تقلب في المناصب واستوزره شرف الدولة

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ١٠ : ٣١٤ » .
(٢) المعارف « ص ١١٣ طبعة مطبعة دار الكتب » .

البويهي ببغداد ٤١٨ » وأحال بذلك على إعتاب الكتاب والأعلام ومعجم الأدباء وابن خلكان ، وقد حسبت ذكره لشرف الدولة غلطاً مطبعياً يُستدرك في الفهرست لا غلطاً تاريخياً ، فرجعت إلى الفهرست فرأيت في الصفحة ٤١٩ أنه « شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة ١٨٢ » بالإحالة على الصفحة نفسها ، فأيقنت أن ذلك كذلك ، فالملك هو « مُشرّف الدولة » بالميم لا شرف الدولة ، والمدة التي بين وفياتهما سبع وثلاثون سنة ، وهو أي مشرّف الدولة « أبو عليّ الحسن بن بهاء الدولة خره فيروز بن عضد الدولة فناخسرو بن الحسن بن بويه الديلمي[1] » .

١٧ — وورد في الصفحة ٢٢٤ « فرماني بالزّوتين فجرحني » فعلّق محقق الكتاب عليه قوله « كذا في الأصول » . قلت : الزّوتين هو تصحيف الزوبين (بالباء الموحّدة) وهو من الأسلحة الحربية ، جاء في نشوار المحاضرة ١ : ٨٨ « فلما خفّ ماله اشترى بغلين ودابّتين وزوبينات وسلاحاً وآلة الجند » . والكلمة فارسيّة معناها ومثنيّها الرمح القصير ، وهي مذكورة في التواريخ .

١٨ — وورد في الصفحة ٢٢٨ خبر خاص بأهل الكوفة والحجاج أيام كان بالكوفة ، فيه « فركب وسار منفرداً ينظر مبلغ أثره[2] ، فأتى موضعاً يقال له العريان فرأى غلاماً من غلمان العرب . . . » . وترك المحقق الفاضل « العريان » عُرياناً من التعليق ، فأين كان يقوم العُريان ؟ لم يعلم أحد . فالصحيح « الغَريّان » مثنّى « الغَرِيّ » قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : الغريّان تثنية الغرِيّ وهو المطليّ . . . والغريّ نُصْب كان يذبح عليه العتائر ، والغريّان : طربالان وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — » .

---

(١) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ٥ الترجمة ١١١٨ من الميم طبعة الهند » وغيره .
(٢) أي أثر المطر الصيفي الذي أصاب صقع الكوفة إذ ذاك كما جاء في الخبر .

١٩ — وورد في الصفحة نفسها « . . . حدثني الهمذاني الشاعر قال : انحدرت أريد الحامدة ، وكان في الوقت يليها الهيثم بن محمد العامل فمدحته ... » . فقال المحقق الفاضل في الحاشية لإيضاح الحامدة : « كذا في الأصول وليست في معجم البلدان وفيه الحامرة بالبصرة » ، وهذا التعليق من الغلط الجغرافيّ ففي معجم البلدان « مسجد الحامرة » لا الحامرة وحدها ، قال مؤلفه : « الحامرة بزيادة الهاء : مسجد الحامرة بالبصرة ، سمي بذلك لأن الختات المجاشعي مرَّ ثمَّ فرأى حميراً وأربابها فقال : ما هذه الحامرة ؟ . . . » ، فلم يكن فيه حاجة إلى ذكر الحامرة بعد أن لم يجدها في معجم البلدان بل كان واجباً عليه أن يجتزئ بقوله : « وليست في معجم البلدان » . والصحيح أن الحامدة تصحيف « الجامدة » بالجيم ، قال ياقوت في معجم البلدان : « الجامدة بكسر الميم : قرية كبيرة جامعة من أعمال واسط ، بينها وبين البصرة ، رأيتُها غير مرّة . . . » .

٢٠ — وجاء في الصفحة ٢٣٢ « وأحبّ أن تنقذني منها وتحتمل المكروه عني فيها فأفِدْني وأنقذني منها » . وليس الأمر أمر إفادة ، بل هو أمر إنجاء وإفادة ، فالصواب « فافدِني » أمر من الثلاثي فداه يفديه ، لأن المراد فداؤه من الصفع المذكور في الحكاية .

٢١ — وورد في الصفحة ٢٣٨ قول قائل : « وأقم فيما لا أؤثره ولا أشتهيه » . بتحقيق الهمزة الثانية في الفعل « أؤثره » فإن كانت محقّقة في المخطوط كان على محقق الكتاب أن يبدلها واواً محضة وينبّه على ذلك بناءاً على القاعدة الصرفية ، وإن كانت مسهّلة في المخطوط وحقّقها محقق الكتاب كان ذلك من الخطأ الصرفيّ الذي لم تكن للمحقق حاجة إليه ، فالصواب « لا أوْثِره » بإبدال الواو من الهمزة وجوباً .

٢٢ — وجاء في الصفحتين ٢٤٤ ، ٢٤٥ «وعلى أخرى : هذه غير مُرْضِيَة . وعلى الأُخرى : هذه غالية» . وقد أراد القائل بمُرْضية شقّة دبيقي مذهبة ، والأشياء التي كشقق الدبيقي تُرْضى ولا يُسند إليها الإرضاء ، تقول «رضي الله تعالى لنا الإسلام ديناً» ولا تقول «أرضانا الإسلام» إذا أردت الإسلام نفسه لا أهله ، فالإسلام «مَرضيّ» لا مرْضٍ ، فالصواب «هذه غير مَرْضيَّة» .

٢٣ — وفي الصفحة ٢٦٣ يقرأ القارئ هذه الجملة «وقد التمست أيضاً أن نقيم لها ولخدَمِها مثل ما كان لأم المتوكل من الإقامات والإنزال» بكسر همزة الانزال ، وهو من الغلط الصرفيّ ، فماذا الذي بعثه على ترجيح الإنزال ؟ فالصواب «الأُنزال» بفتح الهمزة ، وهو جمع النُّزُل بضمتين وهو هنا ما هُيِّئ للضيف ، كما جاء في كتب اللغة ، فهي محتاجة إلى الأنزال لا إلى الإنزال والعياذ لها بالله منه .

٢٤ — وورد في الصفحة ٢٩٤ «وعليه منديل لطيف وقميص نَوْريّ قد رفع ذيله على كتفه» وقد فتح المحقق نون «نوريّ» وسكّن الواو ، ولو تركه لكان معذوراً ، فإنه شكله ولم يشرحه ، فالصواب «تَوَّزيّ» وهو منسوب إلى تَوَّز» ، قال ياقوت في معجم البلدان : «تَوَّز بالفتح وتشديد ثانيه وفتحه أيضاً وزاي : بلدة بفارس وهي تَوَّج وقد ذُكرت قبل هذا . . .» وكان قال «توّج بفتح أوّله وتشديد ثانيه وفتحه أيضاً وجيم وهي تَوّز وسنعيد ذكرها : مدينة بفارس قريبة من كازرون ، شديدة الحرّ لأنها في غور من الأرض ، ذات نخل وبناؤها باللبن ، بينها وبين شيراز ثلاثون فرسخاً ، فيها ثياب كتّان تنسب إليها . . .» . فتصريحه بثياب الكتان المنسوبة إليها يؤيّد ما قلت آنفاً .

٢٥ — وورد في الصفحة ٣٦٩ «وحدث ابن دريد قال أنبأنا أبو عثمان عن الثوري عن الأصمعي قال حدثنا عيسى بن عمر ... والثوري لم يرو عن الأصمعي ،

وليس هذا الخبر مما يرويه الثوري ، فالثوريّ تصحيف « التَّوَّزي » ، وهو منسوب إلى « تَوَّز » المقدم ذكرها ، قال ياقوت في معجم البلدان في مادة توز « وينسب إليها بهذا اللفظ جماعة منهم عبد الله بن محمد بن هارون التَّوَّزي النحويّ ، أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد وقرأ على أبي عمر الجرمي كتاب سيبويه وكان في طبقته ومات في سنة ٢٣٨ » . فأخذه عن الأصمعي كون المذكور في السند « التوزي » لا الثوري .

٢٦ — وجاء في الصفحة ٢٦٥ « وطالبني القوم بما فعلته في حوائجهم فعلَّلتهم ووعدتهم فأغلطوني وأسمعوني » . وأغلظوني تصحيف « أغلظوا لي » فإنه لا يقال « أغلظه » بهذا المعنى بل « أغلظ له » ففي مختار الصحاح « وأغلظ له في القول » وفي المصباح المنير « وأغلظ له في القول إغلاظاً : عنّفه » . وهذا التصحيف فاشٍ في الكتب العربية لقرب صورة اللام الأوليّة من النون الأولية وعدم النقط .

٢٧ — وجاء في الصفحة ٢٦٨ قول حنين بن إسحاق : « فلم أدر بما أجيبه » وهي جملة استفهامية سبقها نفي ، فالصواب حذف الألف من « ما » الاستفهامية فتكون الجملة « بِمَ أجيبه ؟ » جاء في مختار الصحاح في الكلام على ما « وتجيء محذوفة منها الألف إذا ضممتَ إليها حرفاً نحو لِمَ وبِمَ وعَمَّ يتساءلون ؟

٢٨ — وجاء في الصفحة ٢٧٧ خبر من سيرة صاعد بن مخلد وأبيات مختلّة باردة ، وورد الخبر بعينه في كتاب الديارات للشابشتي باختلاف مبين ، فلم يشر محقق الكتاب الفاضل إلى وروده ، فلينظر في الديارات « ص ٢٧٠ » من الطبعة الثانية ، والاختلاف الذي أشرت إليه يدل على دخول الاختلاف في الخبر . وقد استجزتُ هذا التعقيب لأن محقق الكتاب ذكر الديارات في مراجع تحقيقه لكتاب الهفوات .

٢٩ — وورد في الصفحة ٢٨٠ بيت شعر في السطر الأول منها وهو مكتوب بصورة جمل نثرية ، على هذه الهيأة « اضرطي والتقطي واحذري لا تغلطي » وقد أشار المحقق الفاضل إلى ذلك في الحاشية ، وكان ينبغي إثباته بصورة الشعر المتأخرة أي كَتْبه شطرين والإشارة في الحاشية إلى الصورة التي وُجدت في المخطوطة ، ذلك لأن طريقة كتابة الشعر مثل النثر هي الطريقة القديمة المتقدمة .

٣٠ — وورد في حاشية الصفحة ٢٨١ أن محمد بن عبدوس الجهشياري الكاتب الحاجب حاجب الوزير حامد بن العباس توفي سنة « ٢٣١ هـ » والصواب سنة ٣٣١ وهذا خطأ مطبعيّ إلا أن محقق الكتاب مرّ به وعليه فلم ينتبه له لأن تصحيح أرقام سني الوفيات يحتاج إلى حفظ ثروة منها ولا يمكن التصحيح مع الافتقار إليها .

٣١ — وجاء في الصفحة ٢٩٥ « وحدثُ عميد الملك أبا نصر منصور ابن محمد الكندري وزير طغرلبك بذاك فضحك منه وقال . . . » وورد في حاشية الصفحة السابعة قول محقق الكتاب إنه « محمد بن منصور » وقال في الفهرست - ص ٤٢٢ - « عميد الملك أبو نصر الكندري محمد بن منصور ، ٧ ، ٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٢٩٥ » فإن كان اسمه الصحيح « محمد بن منصور » فلماذا ترك وروده « منصور بن محمد » في الصفحة ٢٩٥ خلواً من التعليق ؟ ! وفيه كون اسم الأب اسماً للابن ؟ ! والصحيح عندي أنه « منصور بن محمد » كما جاء في مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي غير مرّة ، وقد وهم ابن خلكان بجعل اسمه « محمد بن منصور » وكذلك جميع من اتبعه كالأستاذ الفاضل مؤلف الأعلام .

٣٢ — وورد في الصفحة ٣١٦ « ودخل بقُربته إلى حجرة خالية بعيدة عن الدار الكبيرة التي فيها الغلمان ليرش خيشاً فيها » وقد ضمّ المحقق قاف

القربة . وليس ذلك بغلط مطبعي فقد كرّر الضم بُعَيْد سطرين في جملة « فصفعه بالقربة » والصواب كسر القاف ، قال الفيروزابادي في القاموس : والقربة بالكسر : الوطب من اللبن وقد تكون للماء أو هي المخروزة من جانب واحد جمعها قِرْبات وقرِبات وقِرَبات وقِرَب وكذلك كل ما كان على فِعْلة كفِقرة وسدرة » .

٣٣ — وورد في الصفحة ٣٢٢ « وقال لأبي الفرج بن داذيشوع النصراني كاتب الفتك : قد صحّح القزويني مذهبكم في تسلّم هذا اللص . . » فعلّق محقق الكتاب على « الفتك » ما هذا نصه « في ب المتكين » . أراد أنه ورد في النسخة على هذه الصورة ، ولم يستطع أن يفعل غير ذلك ، والصحيح أنه « أبو منصور ألفتكين » الأمير التركيّ الذي كان في جيش بني بويه « تراجع رسائل الصابي « ج ١ ص ٢٦٣ ، ٢٦٧ » وثمرات الأوراق « ١ : ٦٢ » لابن حجة الحموي والملحق الثاني لاتعاظ الحنفاء المقريزي « ص ٢٩٤ » وكامل ابن الأثير « ٨ : ٢١٣ ، ٢١٧ » وقد جاء في الاتعاظ والثمرات مصحّفاً إلى « أفتكين » . وورد في رسوم دار الخلافة لأبي الحسين هلال ابن الصابي « ص ١٢٢ » وعلّق عليه محققه الفاضل ما هذا نصه « اشتهر بألفتكين المعزّي نسبة إلى معز الدولة البويهي » . والظاهر لي أنه اقتبسه من تعليقات بعض الفضلاء على نسخة « رسوم دار الخلافة » التي للغوي الكبير الأب أنستاس ماري الكرملي وقد وهبها لمحقق رسوم دار الخلافة إلا أنه طوى اسم ذلك الفاضل المعلق عليه قبله .

٣٤ — وجاء في الصفحة ٣٤٠ « حضر أبو منصور . . . يوماً عند الوزير أبي نصر سابور بن أردشير ... في سني نيف وثلاثمائة وتجاربا ... » وها هنا يحتاج كل محقّق إلى الثروة التاريخية في الأرقام ، للعصور فضلاً عن الوفيات ، فالثروة تشعر المحقق بأن رقماً قد سقط أي عدداً ، وينبغي أن يكون « ٨٠ » فالصواب « في سني نيف وثمانين وثلاثمائة » .

٣٥ – وورد في الصفحة ٣٨٣ « وقَرأ الكوثر من بين الشُّور »
وهو الشطر الثاني لبيت شعر ، والشطر الأول « ترك الطُّور فلم يقرأ بها » .
وهو من الرمل كما ذكر محقق الكتاب في الحاشية ، ولكنه همز الفعل
« قرأ » وذلك يكسر الوزن فالصواب تسهيل الهمزة .

وآخر ما أختم به ملاحظاتي هو زعم محقق الكتاب الفاضل في الصفحة
الثامنة من المقدّمة أن أرسلان البساسيري « الفساسيري » الأمير التركي هرب
إلى الموصل وسَيَّر السلطان طغرلبك جيشه خلفه عام ٤٤٩ هـ وظفر به وقتله
عام ٤٥١ هـ » . وقد أحال محقق الكتاب بما قال على الصفحة ٢١٨ والصفحة
٢٩٥ من كتاب الهفوات ، ولم يسائل نفسه كيف امتدّت هذه الحرب من
سنة ٤٤٩ إلى سنة ٤٥١ مع أن أرسلان احتل العراق وخطب للمستنصر
الفاطمي فيه بين هذين الزمنين اللذين ذكرهما ؟ ولم يَرِد في الصفحة ٢٩٥
مما أشار إليه إلا هذه الجملة « وقد سار الملك إلى الموصل وراء الفساسيري
والعرب » وورد في الصفحة ٢١٨ « وحدّث بعض من كان في الوقعة بين
الفساسيري وبين عسكر خراسان التي قتل فيها الفساسيري في ذي الحجة
من سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ... » والخبر الأول مؤرخ بسنة ٤٤٩
فظن محقق الكتاب أن الحادثة واحدة والواقعة واحدة ، ولذلك زعم أن
الفساسيري قتل بعد هربه إلى الموصل ، وهكذا تظهر الحاجة إلى ثروة
الأرقام التاريخية وحوادثها ووفياتها ، فان البساسيري لم يُقتل في حادثة
الموصل بل قُتل في الحادثة الثانية ، وبينهما أكثر من سنتين ، وكان مقتله
وسط العراق لا في شماليّه أو الجزيرة ، وذكر ابن الأثير حوادث سنة ٤٥١
أنه كان قد قُتل في بعض نواحي الكوفة « ٩ : ٢٢٨ » .

مصطفى جواد

حياة ابن النديم

كان اسمه أبو الفرج محمد بن اسحق بن محمد بن اسحق النديم واسم أبيه أبو يعقوب إسحق بن محمد الورّاق .

من المحتمل أنه ولد في عهد القاهر الذي دام من ٣٢٠ إلى ٣٢٣ ﻫ (٩٣٢ — ٩٣٤ م) وقد يكون ولد في عهد سبق عهد المقتدر أو في عهد تبع عهد الراضي .

كان أبوه ورّاقا مثرياً في بغداد . ويغلب على الظن أنه كان لديه دكان يبيع فيه الكتب بل كان مركزاً ليس لنسخ المخطوطات وبيعها فقط بل محلاً يجتمع فيه العلماء الذين كانوا يرتادونه لقراءة كتبه والاستفادة من معلوماته الأدبية . أما هل كان الأب نديماً كابنه فمسألة فيها نظر .

« أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني يسمي الابن « ابن النديم » بينما ابن أبي أصيبعة يسميه « ابن النديم » ثماني مرات و « النديم » خمس مرات أما القفطي في تاريخ الحكماء فيشير إليه دوماً باسم « محمد ابن اسحق النديم » .

وجاء في صفحة عناوين مخطوطة بيتي الأصلية « النديم » بدلاً من «ابن النديم » ثم جاء في عناوين المقالة الثانية والثالثة الأخيرتين من كتاب الفهرست عبارة فيها شيء من الغرابة أضيفت إلى اسم « محمد بن اسحق النديم « هي » المعروف باسحق بابن يعقوب الورّاق .

يرى البعض أن أحد الأجداد كان نديماً فذهب اسمه من بعده لقباً على العائلة بأسرها . ويغلب الظن أن محمد بن اسحق مؤلف كتاب الفهرست كان هو نفسه منتسباً إلى أحد البلاطات . وليس بمستبعد أبداً أن رجلاً

يتحلى بمعلومات واسعة ويتمكن من تأليف كتاب محيط كهذا ولا يكون زينة بلاط أي حاكم كان .

من الواجب ألا يغرب عن بالنا أن مؤلفنا كان في الأصل ورّاقاً وثقة بالكتب . فوضعه هذا وسمعته الطيبـــة كعالم كانا في ميزان التقدير أكبر أهمية من أية علاقة أخرى كانت له ببلاط أحد الحكّام . ولما كان طالباً مجتهداً فإنه لم يكتفِ بالتخرج من مدرسة الجامع بل طمح إلى دراسات أعلى وأرقى تبعاً لاضطراد نضجه .

كان لهذا الشاب محمد بن إسحق أساتذة مبرزون ، منهم ثقات في الحديث والشرع وقواعد اللغة ، والأدب ، والتاريخ ، والمنطق ، والفقه ، والعلوم اليونانية . وأهم هؤلاء الأساتذة :

الشيخ أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي
أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني
أبو الخير الحسن بن سوار الخمار
أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار
أبو عبد الله محمد عمران المرزباني
يونس القس
أبو أحمد الحسين بن اسحق بن كرنيب
محمد بن يوسف الناقط .

وفي عام ٣٤٠ ﻫ (٩٥٠ – ٩٥٢ م) كما جاء في الفن الثامن من المقالة السادسة أن « أبو بكر محمد بن عبد الله البرذعي علـّمه عقائد المعتزلة » .

وفي أثناء دراسته على هؤلاء الأساتذة الشهيرين تزوج الشاب محمد بن اسحق ولقـّب بأبي الفرج . ومما لا شك فيه أنه اضطر إلى مساعدة أبيه في دكان الكتب . وقد كتب على الأقل كتاباً واحداً من درجة ثانية عنوانه « الأوصاف والتشبيهات » وبدأ بوضع « فهرست » لكتب والده .

في الفن الثاني من المقالة الرابعة قال محمد بن اسحق : « قد قلنا في أول هذه المقالة إنّا لا نستحسن أن نطبق الشعراء لأنه قد تقدمنا من العلماء والأدباء من فعل ذلك ، وإنما غرضنا أن نورد أسماء الشعراء ، ومقدار حجم شعر كل شاعر منهم لا سيما المحدَثين ، والتفاوت يقع من أشعارهم ، ليعرف الذي يريد جمع الكتب والأشعار من ذلك ويكون على بصيرة فيه » .

فمن هذه العبارة المنقولة يتضح لنا أن غرض المؤلف الأساسي كان ترتيب فهرست تجاري أكثر من أن يقوم بكتابة بحث عن الثقافة الإسلامية . ومع ذلك فقد تحتم عليه التنقيب في المكتبات واستفسار العلماء ليقف منهم على ما يستطيع الوقوف عليه عن الكُتُب وعن مؤلفيها . ومن المحتمل أنه كتب فقرة عن كلّ مؤلف على ورقة مستقلة مكّنته بعدئذ من إضافة معلومات جديدة إلى ما كان قد حصل عليه .

وفي الفن الخامس والمقالة الخامسة عندما يتكلم عن زعيم اسمه « الداعي إلى الله الإمام الناصر للحق الحسن بن علي » يقدم ابن النديم قائمة بكتبه ثم يضيف إليها ما يلي :

« هذا ما رأيناه من كتبه وزعم بعض الزيدية أن له نحواً من مائة كتاب ولم نرها ، فإن رأى ناظر في كتابنا شيئاً منها ألحقها بموضعها إن شاء الله » .

وقد ترك في العديد من فقـــــرات مخطوطته فراغات كثيرة آملاً العثور على معلومات إضافية يسدّ بها يوماً تلك الفراغات . وبوسعنا أن نورد أمثلة عما نحن بصدده في مخطوطة بيتي في الصفحات ٣٣ ، ٤٢ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ وفي مخطوطة ١٩٣٤ توجد فراغات شبيهة بما ذكرناه كالتي في الصفحات ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٧٠ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٦١ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ .

يحتمل أن يكون ابن النديم قد حصل على أكثر مواده من المكتبة الملكية

الملحقة ببيت الحكمة في بغداد . ويمكن أن يكون قد سافر إلى أماكن أخرى إلا أنه لم يذكر شيئاً عنها في الفهرست . ولئن ذكر أسماء بعض الفقهاء المصريين فهو لم يبين أنه كان على اتصال مستمر بالقاهرة لأن بحثه عن المسعودي جاء سطحياً ، وقد أغفل بالكلية ذكر المؤلف الطبي « أبو العباس أحمد بن محمد البلدي » الذي توفي سنة ٩٧٥ .

أما المكان الذي زاره ابن النديم أكيداً فهو مدينة الموصل . فهو يذكر في الفن الخامس من المقالة الخامسة كيف اجتمع سنة ٣٤٦ ﻫ (٩٥٧ — ٩٥٨ م) بأحد قضاة الموصل واسمه « أبو عبد الله محمد بن أحمد الصفواني » وهناك أيضاً اجتمع برجل صار وصياً على أبناء « ناصر الدولة » وكذلك برجل اسمه « محمد بن الليث الرجاز » . ثم اجتمع بالأخوين اللذين ذكرهما في « الفن الثاني في المقالة الرابعة » وهما « محمد وهاشم الخالديان » . وقد يكون هذا الاجتماع تم في الموصل بدلاً من حلب . وذكر في الفن ذاته أنه رأى في الموصل أكثر من ثلاثين مقطوعة شعرية من نظم « أبو العتاهية » .

ويذكر ابن النديم في أماكن كثيرة من الكتاب كيف يقبس معلوماته من رجال ثقات مثل معلمه « الشيخ أبو سعيد السيرافي » .

وفيما يلي مثال يرينا جيداً كيف كان يسأل الناس عن المعلومات :

« وقال في الفن الثاني من المقالة الثالثة : أنا سألت في البستي هل هو بالسين أو بالشين لأن البست معروف في أرض سجستان وبشت لا نعرفها » .

وقد سمح ابن النديم لرفاقه بتنسيق كتابه .

قال في الفن الثالث من المقالة السابعة وهو قسطا بن لوقا البعلبكي وقد كان يجب أن يقدم على حنين لفضله ونبله وتقدمه في صناعة الطب ، ولكن بعض الإخوان سأل أن يقدّم حنين عليه » .

فبنـاء عليه فالفقرة « حنين بن اسحق العبادي » تجيء قبل ذكر « قسطا بن لوقا » .

وإنه لمن الغرابة بمكان أن تدرج في الفهرست بيانات مقتضبة عن رجال ثقات عظماء ، منهم مثلاً « محمد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج ، وأحمد بن حنبل ، وعبد الرحمن بن عمر الأوزاعي » .

فقد يكون أن شهرتهم أغنت عن ذكرهم . ومما لاريب فيه أن ابن النديم كان شيعياً متحمساً ، ولهذا نراه دوماً يدرج نعوتاً دينية بعد أسماء أعضاء الشيعة المبرّزين .

فحينما يتحدث عن « مصعب بن عبد الله الزبيري » نجده يقول : « وكان أبوه عبد الله من أشرار الناس متحاملاً على ولد علي عليه السلام » .

وعلاوة على ذلك فهو يسمي الشيعة « الخاصّة » بينما يطلق على الناس الذين ليسوا من الشيعة اسم « العامّة والحشوية » .

ذهب الكثيرون من الثقات إلى أن ابن النديم كان « شيعياً ومعتزلياً » كما اتضح أيضاً أن معلمه المحبوب « أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي » كان أيضاً من أعضاء « المعتزلة » فابن النديم نفسه كان يميل أكيداً إلى هذا المذهب ولذلك خصص له عدة صفحات من كتابه .

ولهذا فقد كان « الذهبي » مصيباً جدّاً بقوله إن ابن النديم كان شيعياً » .

ويظن البعض أحياناً أن ابن النديم كان منتمياً إلى الإسماعيلية أيضاً ولذلك خصص مجالاً متسماً لوصف الإسماعيليين .

وفي نهاية الفن الثاني من المقالة الثالثة يذكر التمارف بينه وبين « علي ابن وصيف » الذي يبين أنه كان مؤلفاً إسماعيلياً .

يعطي ابن النديم « في الفن الخامس من المقالة الخامسة » معلومات ودية عن بعض الإسماعيليين في الموصل ويقول في فقرة تالية إنه قد حضر اجتماع جماعة من مريدي شخص إسماعيلي إسمه « الحسناباذى » .

إلا أن هذا لا يعني أن ابن النديم كان حقاً إسماعيلياً . فهو لم يذكر شيئاً عن كتاب الشرع الفاطمي لمؤلفه « أبو حنيفة النعمان بن محمد المغربي » بعنوان « دعائم الإسلام » لكنه ذكر أسماء كتب قليلة كتبها بعض المنتمين إلى الإسماعيلية .

ومع نمو عمر ابن النديم كان ينمو ميله إلى الوقوف على مواضعَ كثيرة أدخلها في كتابه حتى أصبح كمجموعة مقالات ثقافية عن القرون الوسطى أكثر من أن يكون فهرساً بسيطاً للكتب . فالموادّ المجموعة في الفهرست جعلته كتاباً وحيداً من نوعه وقيّماً . وهو يحتوي على أحسن إيضاح لكيفية انتقال الثقافة اليونانية إلى العرب إذ يجيء على ذكر أهم الأخبار عن « الصابئة في حرّان » والمنوية والخرمية البابكية ، كما يحتوي أيضاً على معلومات هامة عن الشرق الأقصى كتبت قبل عهد ماركوبولو بعدة مئات من السنين . أما المعلومات التي أفادنا بها عن « الحسين بن منصور الحلاج » وعن « الإسماعيلية » فهي ذات شأن خطير . وهنالك عبارات قصيرة عديدة في الكتاب تلقي ضياءاً على حالات عيش الإسلام في القرون الأربعة الأولى ومما يطيب لنا أن نشير إلى أهمية المعلومات التي يعطينا إياها عن نُسَخِ القرآن المختلفة ، وعن الطريقة التي تنسقت بها نسخة القرآن المتمد عليها .

ولسوء الحظ لم يقل لنا أحد من الثقات متى وأين أصبح مؤلف الفهرست نديماً . فقد يمكن أنه خدم في بلاط « ناصر الدولة » الذي كان شيعياً وكان يريد أن يجعل من مدينة الموصل مركزاً للثقافة . وقد قضى ابن النديم في الموصل ردحاً من الزمن حينما كانت أسرة آل حمدان هي المالكة بين ٣١٥ - ٣٥٨ هـ (٩٢٧ - ٩٦٨ م) وقد يمكن حدوث أكثر من هذا وهو أن ابن النديم كان قد خدم في البلاط في بغداد حيث كانت له وظيفة هامة في المكتبة الملكية الملحقة ببيت الحكمة .

وقد يكون ذلك قد تم في بلاط كلٍّ من الخليفتين « المطيع والطائع » .

ولما كان صغير السن لم يكن أهلاً لمنصب رفيع ولهذا فلا يستبعد أن يكون مرتبطاً ببلاط « معز الدولة » ثم ثابر على اتصاله بالبلاط حينما كان « عز الدولة » في الحكم .

حينما كان ابن النديم في سنته الثانية عشرة أو الثالثة عشرة تقريباً كان الوضع السياسي في بغداد غير مستقر أبداً . فقد أصبح « أمير الأمراء أبو الحسن أحمد بن بويه معز الدولة » سيد الحكومة جاعلاً الخليفة « دمية » . فيحتمل أن يكون مؤلف الفهرست منتسباً إلى بلاط هذا الرئيس الذي دام حكمه حتى ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) في القسم الأخير من حكمه . ومن الأكيد أن ابن النديم كان صديقَ رجلٍ سياسيٍ ينتسب إلى « معز الدولة » . وكان هذا الرجل يدعى « أبو القاسم عيسى بن علي بن داود » وكان ابن النديم كلما جاء على ذكر اسمه يضيف عبارة « أيَّده الله » التي تدل على عرى صداقة متينة بينهما .

وبالتالي فهي تدل على أن ابن النديم كان مع صديقه هذا في بلاط « معز الدولة » .

فلو كان ابن النديم ينتسب حقاً إلى بلاط هذا الحاكم لحقّ لنا أن نتساءل : كيف استطاع أن يكون شريكاً لزعيم شديد المراس نظيره . من ذلك أن معز الدولة قد عاقب « أبا محمد الحسن بن محمد المهلبي » وهو أحد كبار ضباطه وضربه مائة وخمسين سوطاً . وقال أبو علي أحمد بن محمد المسكويه في كتاب تجارب الأمم « وكان معز الدولة شديداً سريع الغضب بذيء اللسان يكثر سب وزرائه والمحتشمين من حشمه ويفتري عليهم » .

كان معز الدولة يتغيب عن مقره في أكثر الأوقات قياماً بحملات حربية لأن النصف الأخير من الربع الأخير من القرن العاشر الميلادي كان عهد

نصف فوضى . أما الديلميون فقد أقلقوا عليه راحته إلى درجة اضطر معها إلى استخدام أتراك مرتزقة يعتمد عليهم . لكن هؤلاء الأتراك حصلوا على سلطة أوسع مما خوّلهم إياها حتى إنهم أصبحوا مصدراً للقلق والتجسس . فتعاقبت الثورات في البلاد العربية وفي الجهات العديدة من بلاد الفرس بنوع مستمر . ثم إن الروم كانوا يضرمون نار الحرب دوماً حتى إنهم أغاروا على حلب سنة ٣٥١ ﻫ (٩٦٢ م) . وعلاوة على ذلك القلق وتلك الاضطرابات فقد وقع ٣٤٧ ﻫ (٩٥٨ — ٩٥٩ م) زلزال شديد أحدث كثيراً من البؤس .

مرض معز الدولة سنة ٣٥٠ ﻫ (٩٦١ م) مرضاً عضالاً فخوّل ابنه بعض السلطات إلا أنه شفي من مرضه وعاش بعده ست سنوات أخرى . وعند وفاته سنة ٣٥٦ ﻫ (٩٦٧ م) خلفه ابنه عز الدولة . ولكن هذا الشاب خرج على وصايا والده كلّها ، منصبّاً على الصيد والسكر وغيرهما من الملذات ، فانسمت الفوضى مع قسط وفير من الفساد والمشاجرات بين كبار الموظفين فضلاً عن انتشار الثورات في الولايات . ولسوء الحظ لا نستطيع أن نعرف بالضبط إذا كان مؤلف الفهرست نديماً في بلاط هذا الحاكم البغيض أو كان يخدم في بلاط الخليفة الدمية .

ومما يملؤنا استغراباً ودهشاً أن محمد بن اسحق النديم تمكن وسط عهد مضطرب من جمع هذه الموادّ الكثيرة لتأليف كتاب صعب كالذي وضعه بينما كان الناس في بغداد يشعرون بجوْر الأتراك وظلمهم والديلميين الروم وأهل أرمينية وقبائل العرب والقرامطة وعسكر خراسان وأمراء بويه .

ثم أصبح عضد الدولة حاكماً سنة ٣٦٧ ﻫ (٩٧٧ — ٩٧٨ م) إلا أنه لم يعش سوى بضع سنوات ، وهكذا كانت أواخر حياة ابن النديم أيضاً مشبعة بالقلق العظيم .

يتحتم علينا بعد هذا أن نتساءل عما حدث لابن النديم صاحب الفهرست بعد

وفاة عز الدولة سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ — ٩٧٨ م) ونقول : أتراه أقيل من منصبه بسبب نقل عضد الدولة بلاطه إلى شيراز ؟ أم تراه في هذه الفترة من الزمن بالذات بدأ بإتمام مواده وتنسيقها بغية جعلها كتاباً ؟ . نعم إن العمل كان مضنياً شاقاً لأن الفقرات العديدة كان ينقصها الكثير من الترتيب حسب المواضيع وخاصة حسب تتابع التواريخ .

وبعد أن انتهى ابن النديم من تنسيق مواده شرع بكتابة كتابه في خلال سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) وقبل أن ينتهي من المقالة الأولى قال : « هذا آخر ما أضفناه من المقالة الأولى من كتاب الفهرست إلى يوم السبت مستهل شعبان سنة سبع وسبعين وثلثماية » .

وفي « كتاب إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » ذكر ياقوت السنة ذاتها وذكر ابن النديم التاريخ للمرة الثانية قبل نهاية المقالة الثانية .

وجاء « في الفن الثاني من المقالة الثالثة عن أبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني مايلي : ويحيا إلى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثماية » .

ويعطينا ابن النديم « في الفن الثاني من المقالة السابعة قائمة بعناوين مؤلفات أبي سهل ويجن بن رستم الكوهي » باستثناء عنوان رسالة أغفلها عُرفت بعدئذ سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ — ٩٩١ م) وطُبعت في المدة الأخيرة في حيدر آباد في الهند بعنوان « مساحة المجسم المكافي » وهي تؤلف جزءاً من مؤلف معروف باسم « الرسائل المتفرقة في الهيئة » . فلو كان ابن النديم قد كتب الفهرست بتأريخ متأخر مثلاً في سنة ٣٨٠ هـ لكان بلا ريب أدخل هذا العنوان في كتابه . أما عن « المجتبي الأنطاكي » المعاصر لابن النديم فقد قيل عنه في الفن الثاني من المقالة السابعة مايلي : « مات قريباً من سنة ست وسبعين وثلثماية » .

وهنالك مصدر آخر يساعدنا على تأييد تأريخ كتابة هذا الكتاب . فالمؤلف يقول في المقالة التاسعة : إن راهباً عاد إلى بغداد بعد رحلة قام

بها إلى الصين في غضون سنة ٣٧٧ ـ ولمّا كان كتاب الفهرست كتاباً معقداً وصعباً فيحتمل كثيراً أن ابن النديم لم يكتب هذه الفقرة عن الراهب في أواخر المقالة التاسعة قبل عام ٣٧٨ . وعلى كل حال فإننا نفترض أن كتاباً كالفهرست يتطلب من الزمن أكثر من سنة كاملة لوضعه . ومهما كان الأمر فلدينا شاهدان على أن النسخة الأصلية من كتابه قد كتبها ابن النديم نفسه وبخط يده : الأول : لم يكن لابن النديم تلاميذ يساعدونه على جمع المواد . والثاني : لقد كتب في مقدمة كل مقالات مخطوطة بيتي ومخطوطة ١٩٣٤ على السواء باستثناء صفحة العنوان في الكتاب مانصّه : « حكاية خط المصنّف » .

من المحتمل أن يكون الناسخ أو النسّاخ الذين كتبوا هذه المخطوطات قد استنسخوا نسخهم قبل وفاة ابن النديم ليصادق على أعمال أيديهم .

أما النسخة المكتوبة بخط يد ابن النديم فمن الأكيد أنها كانت قد وُضعت في المكتبة الحكومية في بغداد وأتلفها المغول دون شك مع ما أتلفوه من كتب ومخطوطات حين دخولهم بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) بينما النسخ الأخرى قد اشتراها أفراد أو اشترتها مكتبات الولايات فسلمت من التلف .

والظاهر أن المنيّة فاجأت ابن النديم في وقت غير منتظر وبرهاننا على ذلك كثرة الفراغات التي تركها في مخطوطته فلو كان قد عاش طويلاً لملأها بموادّ إضافية .

وعلى الرغم مما نقله « أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني » عن « أبي طاهر الكرخي » القائل بأن ابن النديم توفي في عام ثمانية وثلاثين وهو يعني بذلك سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦ – ١٠٤٧ م) فقد زاد قائلاً : إن هذا التاريخ لا يعتمد عليه . والحقيقة هي أن التاريخ هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً لأن ابن النديم لو عاش تلك المدة الطويلة لكان بلا ريب

أدخل في كتابه أسماء العلماء الكبار الذين عاشوا في القرن الحادي عشر مثل ابن سينا ، وإخوان الصفا ، ومحمد بن احمد البيروني ، وأبي الفتح عمر الخيام ، وثقات آخرين مبرزين .

أما الصحيح فهو ما كتبه « تقي الدين أحمد بن علي المقريزي » في صفحة العنوان من مخطوطة بيتي فهو يعطي تاريخ وفاة ابن النديم كما يلي : « توفي يوم الأربعاء لعشر بقيت من شعبان سنة ثمانين وثلثمائة » فهذا يعني على أكثر احتمال أنه توفي في ١٢ تشرين الأول سنة ٩٩٠ ميلادية .

هذه كانت حياة عالم كبير جمع منذ نعومة أظفاره حتى وفاته ما استطاع جمعه من المواد لتعزيز قيمة الكتب وتقديرها حق قدرها .

حينما كان ابن النديم يؤلف الفهرست كان يشعر في قرارة قلبه بصحة ما قاله بزرجمهر الوزير الحكيم وهو « الكُتُبُ أصْدافُ الحِكَمِ تَنْشَقُّ عَنْ جَواهِرِ الشِّيَمِ » مؤيداً بذلك حقاً ما قاله النبي ﷺ : « إنَّ العُلَماءَ وَرَثَةُ الأنبِيَاءِ ، وَرَثُوا العِلْمَ فَمَنْ أخَذَهُ أخَذَ بِحَظٍّ وافِرٍ » .

بيارد ددج

ترجمه الدكتور ا . ج . شوريز

تاريخ

المعجم العسكري الموحّد

(إنكليزي — عربي)

— ٢ —

١ — أعترف بكل صراحة وإخلاص بأنه لم يكن في خَلَدي خطة تفصيلية لتنفيذ مشروع توحيد المصطلحات العسكرية العربية ، ولم يكن في تصوري أن هذا المشروع سيتطور بالتدريج إلى إصدار معجمات عسكرية عربية ضخمة .

فلقد كان أقصى أماني أن أوحّد المصطلحات العسكرية الشائعة في الجيوش العربية ، تلك المصطلحات التي لا يزيد عددها على خَمْسمائة مصطلح عسكري يمكن أن يضمها كراس صغير يطبع ويوزع بين العسكريين العرب بخاصة والمعنيين بالقضايا العسكرية من الكتاب والمذيعين بعامة .

وكنت أتصور أن إنجاز هذا المشروع الموحّد لن يستغرق أكثر من شهرين على أكثر تقدير .

ولكن لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية حين بدأت عملها ، وجدت أنّ المعجمات العسكرية العربية المطبوعة والمخطوطة قاصرة عن النهوض بأعباء حرب حديثة ، فهي قد تَصْلُح لمثل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ، ولكنها لاتصلح لحرب تَنْشَب في السبعينات من القرن العشرين .

لذلك صممت على وضع معجمات عسكرية تسد فراغاً هائلاً في المكتبة العسكرية العربية ، وتوحّد المصطلحات العربيــة كافة وتَكُونُ قادرة على تلبية متطلبات العسكريين في حرب حديثة .

وأعْدَدْتُ خطة التوحيد التفصيلية الدقيقة ، والتزمت بها إلتزاماً صارماً منظماً ، وكان قراري يتلخص بإنجاز مشروع التوحيد في ثلاث مراحل : مرحلة الإعداد ومرحلة المراجعة ، ومرحلة طبع المعجمات وإصدارها للناس .

٢ — مرحلة الإعداد :

حين اجتمعت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربيــة ، وضعت أمامها المعجمات العسكرية العربية المطبوعة والمخطوطة ، فقد استصحب كل ضابط من أعضاء هذه اللجنة المصطلحات العسكرية المعمول بها في جيشه .

وكان أمام اللجنة مسلـكان :

الأول : توحيد المصطلحات العسكرية العربية المتيسرة على حسب ترتيبها الأبجدي ، وهذا المسلك يؤدي إلى اصطدام أعضاء اللجنة بين فترة وأخرى عند محاولة إقرار المصطلحات العسكرية الحيوية الشائعة في جيوشها منذ القديم ، إذ يَصعُب على تلك الجيوش التخلي عنها بسهولة حتى ولو كانت لا تمتّ الى اللغة العربية الفصحى بصلة قريبة أو بعيدة .

والثاني : توحيد المصطلحات العسكرية الحيوية الشائعة في الجيوش العربية أولاً وهي التي يبرز فيها التناقض في المعنى والمبنى ، ولـكل جيش عربي مصطلحاته الخاصة به وليس من السهل تبديلها .

وهذا المسلك يؤدي إلى اصطدام أعضاء اللجنة في الأيام الأولى من عملهم ، وقد يؤدي هذا الاصطدام إلى إخفاق اللجنة في النهوض بمهمتها الصعبة الشاقة .

وقد آثرت اللجنة أن تبدأ بتوحيد المصطلحات العسكرية الشائعة المتناقضة ، حتى إذا أخفقت في توحيدهـــا ، أعلنت إخفاقها دون أن يضيع وقت أعضائها سدى .

وفي خلال الشهرين الأولين من فترة عمل اللجنة ، لم تستطع أن توحّد أكثر من خمسمائة مصطلح عسكري ، بعد جَهْد جَهيد ومشقة بغير حدود .

وكمثال على ذلك ، فإن كلمة (Tactics) الانكليزية ، كان المصطلح العربي المقابل لها في قسم من الجيوش العربية هو كلمة : (تكتيك) ، وكان المصطلح العربي المقابل لها في القسم الآخر من الجيوش العربية هو كلمة : (تعبئة) .

وما يقال عن هذه الكلمة ، يقال عن كلمة : (Strategy) الإنكليزية ، فقد كان قسم من الجيوش العربية يستعمل كلمة : (استراتيجية) ، وكان قسم من الجيوش العربية يستعمل كلمة (السَّوق) .

وقد أمضت اللجنة أسبوعاً كاملاً في جدال عنيف حول هاتين الكلمتين الشائعتين ، حتى استقر الرأي على استعمال المعنيين العربيين : (تعبئة) و (سَوْق) لهاتين الكلمتين المعرّبتين .

وفي خلال الشهرين الأولين من فترة عمل اللجنة ، أكملت توحيد المصطلحات العسكرية العربية المتناقضة من جهة والحيوية الشائعة من جهة أخرى وهي : مصطلحات الإيعازات العسكرية ، والمصطلحات التعبوية ، والمصطلحات السَّوْقية ، ومصطلحات التدريب ، وأسماء الأسلحة والذَّخيرة ، ومصطلحات الرتب والمناصب العسكرية ، ومصلحات أسماء الوحدات العسكرية .

ولما تم للجنة توحيد تلك المصطلحات المتناقضة الشَّائعة التي كان يَصْعُب تبديلها وإقرار غيرها ، أصبح نجاح اللجنة في عملها مضموناً ، وأصبح إكمال واجبها في التوحيد قضية وقت ليس غير ، لأن المصطلحات المتبقية ليست حيوية ولا شائعة بالدرجة التي كانت عليها المصطلحات العسكرية التي جرى توحيدها في الفترة الأولى من اجتماعات لجنة التوحيد .

ولكن برزت مشكلة جديدة لم تكن في حِسْبان اللجنة ، هي أن المعجمات العسكرية العربية المطبوعة والمخطوطة تفتقر إلى المصطلحات العسكرية الحديثة

مثل مصطلحات الحرب الذرية ومصطلحات الحرب الكيمياوية ومصطلحات الحرب الجُرثومية ، ومصطلحات الأجهزة الالكترونية ، ومصطلحات الأسلحة الحديثة المتطورة .

إن العلوم التي لها صلة مباشرة بالمصطلحات العسكرية كثيرة ، وقد استوعب المعجم الفني المصري مصطلحات نحو ستين علماً ، ومع ذلك قصّر عن استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة كلها .

وقررت اللجنة أن يكون عملها متكاملاً ، وذلك بنقل المصطلحات الحديثة إلى العربية ، لكي لاتبقى المصطلحات العسكرية العربية التي تضمها المعجمات العسكرية العربية بدائية متخلفة .

وأخيراً تكلل مجهود اللجنة بالنجاح ، فأنجزت واجبها في إعداد القسم الأول من المعجم العسكري الموحّد الذي يضم بين دِفّتَيْه (٨٠٠٠٠) مصطلح عسكري .

لقد بدأت اللجنة تنفيذ هذه المرحلة يوم ٣٠ مايس (مايو) ١٩٦٨ ، وفي يوم ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ أنجزت اللّجنة إعداد القسم الأول من المعجم العسكري الموحّد (إنكليزي — عربي) ، وبذلك استغرقت اللجنة في إعداد هذه المرحلة ستة أشهر كاملة .

ولعلّ أهم مشكلة صادفت اللّجنة في إعداد هذه المرحلة هي : إصرار كل عضو من أعضائها بكل ما يستطيع من منطق وقوة أن يقر المصطلحات العسكرية الشائعة في جيشه .

ولكن أمكن التغلب على هذه المشكلة ، بالاحتكام إلى اللغة العربية الفصحى ، فكنت دائماً أردد عند احتدام النّقاش : الحَكَم الفصل هو اللغة الفصحى لغة القرآن الكريم ، فكانت الفصحى هي التي تفرض إرادتها فيَنْذَعِنَ لحكمها جميع الأعضاء .

٣ – مرحلة المراجعة :

آمنت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية العربية ، بأنّ المعجم العسكري الموحّد لن يتكامل إلاّ بمراجعته في مجمع اللغة العربية ، لكي يتدارك المجمع ما فيه من هفوات لغوية ، ولكي تكون له قوة لغوية تحول دون تنصل أي جيش عربي من الالتزام به بعد صدوره .

لذلك بادرت اللجنة إلى عرض المعجم على مجمع اللغة العربية في القاهرة ، فوافق المجمع مشكوراً على مراجعته ، وشكل لجنة مجمعية مؤلفة من ثلاثة أعضاء هم :

الأستاذ الدكتور أحمد عمار

الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر

الأستاذ عبد الحميد حسن

وعكفت اللجنة المجمعية على مراجعته في أوائل تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٨ وانتهت من تلك المراجعة في نهاية نيسان (أبريل) ١٩٦٩ ، وقد عاونها في مهمتها اللواء محمد حسان عبد الرحيم ممثلاً للجنة إعداد المعجم .

وقد كانت اللجنة تجتمع خمس مرات في الأسبوع بانتظام ، وكنت استحث أعضاءها بين فترة وأخرى لكي تنجز المراجعة حسب التوقيت المعين لفترة المراجعة ، ولكنني كنت أشْفِق على أعضائها سراً لصعوبة الواجب وللعمل الدائب ، خاصة وأنهم يعملون في مجالات أخرى وهم في شيخوختهم المباركة ؛ ولكن أهمية إخراج المعجم كانت تغالب إشفاقي وتحتّم على أعضاء اللجنة المجمعية أن يشاركوا لجنة الإعداد في حماسهم للمشروع ودأبهم وحرصهم الشديدين ملتزمين بالنظام الصارم توقيتاً وعملاً .

والحق أن اللجنة المجمعية بذلت في المراجعة جهود الشباب اليافعين مع حكمة الشيوخ المجربين وعلم العلماء المتمكنين ، فاستحقت ثناء العربية ولجنة إعداد المعجم ، وكل شيء في سبيل لغة القرآن يهون .

إن المعجم العسكري الموحّد يحوي عنصرين : العنصر العلمي العسكري الفني أولاً ، والعنصر اللغوي ثانياً .

ومن الطبيعي أن تكون لجنة توحيد المصطلحات العسكرية مسؤولة عن هذين العنصرين ، ولكن اللجنة المجمعية شاطرت لجنة إعداد المعجم المسؤولية في العنصر اللغوي من المعجم أولاً ، وفي العنصر العلمي غير العسكري ثانياً .

أما العنصر العلمي العسكري ، فمسؤوليته على لجنة التوحيد وحدها ، لا يشاركها فيه أحد ، وكلمتها في هذه الناحية هي الكلمة الأخيرة .

وللتاريخ أذكر أن الدكتور أحمد عمار ، أفاد المعجم بالمصطلحات الطبية واللغة أيضاً ، وأن الدكتور عبد الحليم منتصر أفاد المعجم بشيء من المصطلحات العلمية ، وأن الأستاذ عبد الحميد حسن أفاد المعجم في تشكيل جزء من مفرداته ، ثم قمت بتشكيل سائر مفرداته في أثناء الطبع ، وإذا جاز لي أن أسجّل رأيي صريحاً واضحاً فان الدكتور أحمد عمار ثروة علمية ولغوية لا تقدر بثمن .

ولي الله مما أصابني من فساد ذوقي اللغوي من جرّاء حرصي على تشكيل المفردات ، فقد كنت أعتمد سليقتي في الكتابة قبل اليوم ، فأصبحت اليوم أعتمد المعجمات اللغوية في كل صغيرة وكبيرة من المفردات .

٤ — مرحلة الطبع :

خصصت القيادة العربيه الموحَّدة (٥٠٠٠) جنيه استرليني لطبع القسم الأول من المعجم العسكري الموحّد (إنكليزي — عربي) في أيام الفريق الأول علي علي عامر .

وبعد إحالة السيد الفريق علي علي عامر إلى التقاعد ، أصبح اللواء طلعت حسن وكيلاً للقائد العام ، فزرته في مكتبه وأطلعته على أهمية مشروع

توحيد المصطلحات العسكرية العربية ، وذكرت له أنّ هذا التوحيد من صميم واجبات القيادة العربية الموحّدة ، فأقرّ تمويل المشروع ووافق على طبع المعجم .

وخلف من بعدها خلف أرادوا التملص من تمويل المعجم ، ولم تُفِدْ معهم الحجج والبراهين ، متعللين بالتعلات ، غيرَ مكترثين بأهمية المشروع لحاضر الجيوش العربية ومستقبلها .

وجاء ناشر من بيروت ، وعرض أن يقدم (٢٥٠٠٠) جنيه استرليني ثمناً للطبعة الأولى من القسم الأول للمعجم العسكري الموحّد ، على أن يتولى نشر المعجم وتوزيعه .

كما عرض ممثل جيش عربي على اللجنة استعداد حكومته لطبع المعجم .

وكان لا بد لي من عرض الأمر على السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية لأخذ رأيه في طبع المعجم ، فأبى إلا أن يُطبع على نفقة القيادة العربية الموحّدة .

وبعد مفاوضات طويلة ، اقترضت اللجنة من القيادة العربية الموحّدة (٢٥٠٠٠) جنيه استرليني لطبع القسم الأول من المعجم (إنكليزي — عربي) والقسم الثاني منه (فرنسي — عربي) .

لذلك قررت أن أخفض عدد النسخ التي تطبع من المعجم العسكري الموحّد (إنكليزي — عربي) من (٤٠٠٠٠) نسخة إلى (١١٠٠٠) نسخة ، وأخفض عدد النسخ التي تطبع من المعجم العسكري الموحّد (فرنسي — عربي) من (١٥٠٠٠) إلى (٥٠٠٠) نسخة ، على أن يعاد طبع المعجمين بعد تيسر المال المطلوب . لقد كنت أحرص على إخراج مشروع التوحيد بأي ثمن .

وقد أتى حين من الدهر على اللجنة ظننت فيه أن المعجم العسكري سيبقى حبراً على ورق ثم يموت في مهده ، كما مات كثير من المشاريع الحيوية في مهدها ، ولكنني قلت للمسؤولين بكل صراحة : « أريد قراراً نهائياً حول

الطبع ، لأن الوقت ثمين ، ولن أستطيع الصبر إلى الأبد ، إنني أعتبر توحيد المصطلحات العسكرية (رسالة) مقدسة مسؤوليتها تقع على عاتقي ، وأقسم بأن الطبع سيتم حتى ولو أنفقت ثمن داري عليه » .

وكنت أتكلم من موقف القوة ، لأنني واثق بأن عناصر الخير لا تزال باقية في الأمة العربية ، وأنني لذلك أستطيع تمويل طبع المعجم من مصادر كثيرة لا تعد ولا تحصى .

ويا ليت مسؤولَ القيادة العربية الموحَّدة نفذ وعده : « لتشرب اللجنة من البحر ، فلن أنفق على طبع المعجم مليماً واحداً » ، إذاً لصدر المعجم قبل خمسة أشهر من موعد صدوره في أول كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ، ولطبع على أفخر الورق في أرقى المطابع العربية في الشرق الأوسط .

وبدأت الجامعة العربية تفاوض مطابع القاهرة ، وساد العمل الحكومي الرتيب تدابير مفاوضات الطبع ، مما اضطرني إلى إعطاء أوامر خطية بتوقيعي وعلى مسؤوليتي الشخصية ، لكي يبدأ الطبع دون تسويف [1] ، فبدأ الطبع في ٢٠ مايس (مارس) ١٩٦٩ م واستمر حتى الفاتح من كانون الأول (يناير) ١٩٧٠ حيث صدر المعجم .

ولا يزال قسم من المعاملات الرتيبة حول طابع المعجم غير منجزة حتى اليوم .

لقد كان إعداد المعجم ، ثم كانت مراجعته ، أهون كثيراً من طبعه ، ولست بحاجة إلى تفصيل الأسباب ، لأن كل أعضاء مجمع اللغة العربية قد

(١) من الأمثلة على ذلك أن لجنة في جامعة الدول العربية تعاقدت مع مطبعة في القاهرة على طبع القسم الثاني من المعجم العسكري الموحّد (فرنسي - عربي) واتفقت على تفاصيل العقد وأنجزت كل ذلك في ١٩٦٩/١١/٥ ، فأحيل العقد لوضعه في الصيغة القانونية ، فلم يتم ذلك حتى موعد إلقاء هذا البحث في ١٩٧٠/١/١٩ ، في الوقت الذي لا يستغرق إنجاز مثل هذا العقد أكثر من ساعة على أكثر تقدير ! ...
وصدق المثل العربي القديم : تمست المجلة .
لذلك بادرت إلى إعطاء مستندات وقتية لكي أضمن إصدار المعجم بأقرب وقت .

عانوا ما عانته لجنة التوحيد من عراقيل الطبع أخطاء تتكرر وارتباكاً في المواعيد ، وتسويفاً لا مسوّغ له .

وللحقيقة أذكر أن سيادة الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية قد شجع مشروع توحيد المصطلحات العربية فكرة ، وبذل أقصى جَهْدِه في معاونة لجنة التوحيد إعداداً ومراجعة وإخراجاً ، فله شكر العربية وشكر لجنة التوحيد أعضاء ورئيسا .

المبادىء التي التزمت بها اللجنة

التزمت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية في إعداد المعجم العسكري الموحّد بمبادىء واضحة المعالم ، وضعتها نُصْبَ أعين أعضائها ، وحاولت جَهْدها ألاّ تحيد عنها قيد أُنْمُلَة .

من هذه المبادىء الالتزام باللغة العربية الفصحى ، ونبذ المصطلحات العسكرية الدخيلة .

ومن هذه المبادىء ، اختيار الألفاظ العربية السهلة البسيطة ، وتجنب الألفاظ العربية الصعبة التي قد تَصْلُح للتعابير الأدبية ، ولكنها لا تَصْلُح للتعابير العسكرية ، لأنّ اللغة العسكرية لغة علميه تتسم بالسهولة واليسر والوضوح .

ومن هذه المبادىء الاقتصار على (الترجمة) والابتعاد عن (التعريب) إلاّ لضرورة قصوى كمصطلحات علم الكيمياء ، وبعض مصطلحات المساحة التي أصبحت شائعة الاستعمال في العربية وأقرتها المجامع اللغوية والعلمية .

ومن هذه المبادىء اقتباس الألفاظ الحضارية التي وضعتها المجامع اللغوية والعلمية العربية والأخذ بها وإقرارها .

ومن هذه المبادىء تفضيل المصطلح العسكري الشائع في أكثر الجيوش

العربية ما استقام مع اللغة العربية الفصحى ، على المصطلح العسكري الشائع في عدد قليل من الجيوش العربية .

ومنها إيفاء التعبير الأجنبي حقّه فيما يطابقه من المعاني العربية ، مع وضع المصطلح العسكري العربي ماأمكن أول مصطلح في تسلسل المعاني العربية المتعددة .

ومنها استعمال : (ذو) و (ذات) للدلالة على المصاحبة .

ومنها اشتقاق أسماء الآلات على وزن (مِفْعلة) غالباً .

ومنها وضع الإيعازات والأوامر العسكرية بين حاصرتين على هـذا الشكل : « . . . . . ! » .

تلك هي مجمل المبادىء التي التزمت بها لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية والتي كادت أن تعصف باللجنة في أيامها الأولى ، لأن ممثل كل جيش عربي كان يحرص على إقرار المصطلحات العسكرية الشائعة في جيشه دون الالتفات إلى قوتها اللغوية أو مطابقتها لمعنى ما يقابلها من مصطلحات عسكرية في الجيوش الأجنبية الحديثة .

ولكن صوت لغة القرآن الكريم أسكت كل صوت ، وكلمة الحق أزهقت كلمة الباطل ، وتغلّب العلم على الجهل ، وآثر أعضاء اللجنة المصلحة العربية على المصلحة القطرية .

وسار عمل اللجنة في بداية أمره بطيئاً متلكئاً ، ثم انطلق لتحقيق أهدافه سريعاً واثقاً على هَدْي اللغة العربية الفصحى وبصيرة العلم العسكري الأصيل .

ولعلّ مما يثلج القلب أنّ أعضاء اللجنة من الضباط الذين كانوا يتعصبون لمصطلحاتهم العسكرية في أول أيام عمل اللجنة ، أصبحوا بعد فترة قصيرة من عملها يتعصبون للغة العربية وحدها . وكان من أصعب واجباتي في بداية عمل اللجنة حملهم على الالتزام باللغة العربية الفصحى ، فأصبح من أصعب واجباتي بعد فترة من عمل اللجنة حملهم على عدم المغالاة في التعصب للغة العربية الفصحى .

وقد عادوا بعد انتهاء واجباتهم في اللجنة إلى بلادهم ، ومع كل واحد منهم حمل بعير من معجمات اللغة وعلى رأسها لسان العرب والقاموس المحيط والمخصص والمعجم الوسيط ، ولم يكونوا قبل عملهم في اللجنة قد سمعوا بهذه المصادر ولم يكن أكثرهم يعرف طريقة استعمالها !

ذلك هدى الله ، يهدي به من يشاء من عباده .

مصادر المعجم ومراجعه

اعتمد المعجم العسكري الموحّد على المعجمات العسكرية العربية المطبوعة والمخطوطة ، وأهمها : المعجم العسكري العراقي والمعجم العسكري السوري ومعجم المصطلحات الفنية المصري والمعجم العسكري اللبناني .

كما اعتمد المصطلحات العسكرية المترجمة في الكليات العسكرية العربية وأكاديمية ناصر العسكرية العليا وكليات الأركان العربية .

كما اعتمد معجمات اللغة العربية ، ومنها : لسان العرب والقاموس المحيط والمعجم الوسيط والمخصّص لابن سيده .

كما اعتمد المعجمات العسكرية الحديثة للدول الأجنبية ، فقد كان مع قسم من أعضاء اللجنة بعض تلك المعجمات ، واستوردت اللجنة من الخارج المعجمات العسكرية الأجنبية التي تعوزها ، مثل المعجم العسكري الكندي الذي يشتمل على قسمين : الأول (إنكليزي — فرنسي) ، والثاني (فرنسي — إنكليزي) والذي استوردته الجامعة العربية للجنة من كندا .

كما اعتمد المعجم دائرة المعارف البريطانية ومعجم لاروس الفرنسي .

كما اعتمد معجمات اللغة الأجنبية : الإنكليزية والفرنسية والروسية المعتمدة .

وعلى كثرة المصادر والمراجع التي اعتمدها المعجم العسكري الموحّد ، فإنّ أهم مصادره كانت : المعجم العسكري العراقي ، والمعجم العسكري السوري ،

ومعجم المصطلحات الفنية المصري ، والمعجم العسكري اللبناني ، والمعجم العسكري السعودي الذي لا يزال مخطوطاً .

وبهذه المناسبة أذكر بالثناء العاطر من سبقوا لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية في وضع المصطلحات العسكرية العربية ومن أبرزهم في العراق الفريق الركن طه الهاشمي والأستاذ عبد المسيح وزير وفي سورية الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي والأستاذ عز الدين التنوخي وفي لبنان الشيخ عبد الله العلايلي .

وهناك جنود مجهولون من العسكريين بذلوا جَهْدهم في وضع المصطلحات العسكرية العربية ، إذا نام الناس فلا ينام رب الناس .

وفي نهاية هذا البحث ثَبَتٌ مفصل بمصادر المعجم العسكري الموحّد ومراجعه ، وهي التي اعتمدتها اللجنة في إعداده .

الخاتمة

هذا هو القسم الأول من المعجم العسكري الموحّد (إنكليزي — عربي) الذي سينهض بمهمة توحيد المصطلحات العسكرية العربية بإذن الله ، أقدمه للأمة العربية وللجيوش العربية أقوى ما أكون أملاً في أن يملأ فراغاً ويسد حاجة .

وسيصدر القسم الثاني من المعجم العسكري الموحّد (فرنسي — عربي) في نهاية شهر آذار (مارس) ١٩٧٠ ، وهو الآن في دور الطبع في مطابع القاهرة .

وقد أنجزت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية القسم الثالث من المعجم العسكري الموحّد وهو (عربي — إنكليزي) ، وسيكون جاهزاً للطبع في نهاية آذار (مارس) ١٩٧٠ إن شاء الله ، وهو الآن في دور الاستنساخ على الآلة الكاتبة .

ولئن جعل الله في العمر بقية ، وأمدني بعون من عنده ، لتُخرجَنّ لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية البقية الباقية من المعجمات العسكرية الموحّدة ، وهي :

المعجم العسكري الموحّد (عربي — فرنسي) .

المعجم العسكري الموحّد (روسي — عربي) .

المعجم العسكري الموحّد (عربي — روسي) .

وقد كنت قبل اليوم أسائل نفسي : ترى ! لماذا لا تتضافر الجهود لخدمة الأمة العربية في مشاريع حيوية مصيرية ، والطريق لخدمتها واضحة المعالم ؟ !

وتجربتي في إعداد المعجم العسكري الموحّد ، علمتني درساً لن أنساه أبداً ، هو أن الذين لا يعملون ، يحبون ألاّ يعمل غيرهم .

ولكنّ الله غالب على أمره ، والعمل الصالح يرفعه : « فأما الزبد فيذهب جفاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

وأستطيع أن أبشّر مجمع اللغة العربية في القاهرة ومجمع اللغة العربية في دمشق والمجمع العلمي العراقي ومكتب التعريب في الرباط وكل من يريد للعربية الفصحى خيراً ، بأنّ الدول العربية ستلتزم التزاماً قاطعاً بالمعجم العسكري الموحّد ، وقد بالغت بعض الدول العربية بالاحتفاء به فطلبت إحداها عشرة آلاف نسخة منه ، وأوفدت دولة عربية أخرى أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة فيها قبل إنجاز طبع المعجم لأخذ مسوداته لكي يضعوا ما فيه من مصطلحات عسكرية موضع التنفيذ في تشكيلاتهم العسكرية الجديدة وفي إعادة تنظيم جيشهم على أسس وحدوية سليمة .

وقد طلبت كل الدول العربية نسخاً منه ـ عدا دولة عربية واحدة ، لا أشك في أنها ستطلبه اليوم أو غداً .

والذي أتمناه على الله ، أن يتدارس المجمعيون بعمق هذا المعجم ، ويقوّموا

أخطاءه بألسنتهم وأقلامهم سرًّا وعلانية ، لأنني أحب النقد وأرحب به وأحرص عليه ، وصديقك من صَدَقَك لا من صدَّقك ، وفوق كل ذي علم عليم .

لقد حمَّلني مجمع اللغة العربية (أمانة) تمثيله في لجنة توحيد المصطلحات العسكرية ، فأثقل كاهلي بها وجعلني أصاحب نجوم الليل البهيم رازحاً تحت أعبائها .

وهذه أمانتكم رُدَّت إليكم ، فإن أحسنت فلله الفضل والمنة ، وجزاء الإحسان للجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية وللأمانة العامة لجامعة الدول العربية ولمجمعكم الموقر ، وإن أسأت فأنا المسؤول الأول والأخير ، والبشر يخطئ ويصيب ، وأنتم أجدر من يقبل العثرات .

والحمد لله أعظم الحمد على توفيقه ، والشكر لله أعمق الشكر على تسديده ، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

المصادر والمراجع

أ — المعجمات العسكرية العربية المطبوعة :

١ — المعجم العسكري السوري (إنكليزي - عربي) .
٢ — المعجم العسكري السوري (فرنسي - عربي) .
٣ — معجم المصطلحات العسكرية الحديثة العراقي (إنكليزي - عربي) .
٤ — معجم المصطلحات العسكرية العراقي (إنكليزي - عربي) .
٥ — المعجم العسكري الموحَّد العراقي (إنكليزي - عربي) .
٦ — المعجم العسكري اللبناني (فرنسي - عربي) .
٧ — المعجم العسكري البحري اللبناني (فرنسي - عربي) .
٨ — القاموس العسكري المصري (إنكليزي - عربي) .
٩ — المعجم الفني المصري (إنكليزي - عربي) .

ب ــ المعجمات العسكرية العربية المخطوطة :

١٠ ــ المعجم العسكري العراقي (إنكليزي ـ عربي) .

١١ ــ المعجم العسكري اللبناني (فرنسي ـ عربي) .

١٢ ــ المعجم العسكري المصري (روسي ـ عربي) .

١٣ ــ المعجم العسكري المصري (روسي ـ إنكليزي) .

١٤ ــ المعجم العسكري السعودي (إنكليزي ـ عربي) .

١٥ ــ المعجم العسكري السوداني (إنكليزي ـ عربي) .

جـ ــ نشرات المصطلحات العسكرية العربية المطبوعة :

١٦ ــ نشرة المصطلحات العسكرية للقيادة العربية الموحَّدة (إنكليزي ـ عربي) .

١٧ ــ نشرات كلية الأركان العراقية (إنكليزي ـ عربي) .

د ـ نشرات المصطلحات العسكرية العربية المخطوطة :

١٨ ــ نشرة أكاديمية ناصر للعلوم العسكرية (إنكليزي ـ عربي) .

١٩ ــ نشرة المصطلحات الذرية اللبنانية (فرنسي ـ عربي) .

هـ ــ معجمات اللغة العربية وكتب اللغة :

٢٠ ــ لسان العرب لابن منظور .

٢١ ــ القاموس المحيط ـ للفيروزآبادي .

٢٢ ــ ترتيب القاموس المحيط ـ أحمد الزاوي .

٢٣ ــ مختار القاموس ـ أحمد الزاوي .

٢٤ ــ المعجم الوسيط ـ معجم اللغة العربية في القاهرة .

٢٥ ــ أقرب الموارد ـ سعيد الشرتوني .

٢٦ ــ ذيل أقرب الموارد ـ سعيد الشرتوني .

٢٧ ــ البستان للشيخ عبد الله البستاني .

٢٨ ــ المخصص لابن سيده .

٢٩ ــ المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب .

٣٠ ــ تاريخ المعجمات العسكرية العربية ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب .

و — المعجمات الفنية العربية :

٣١ — مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ـ (١٩٥٧ — ١٩٦٨) ـ مجمع اللغة العربية ـ القاهرة .

٣٢ — معجم الحيوان ـ الفريق أمين المعلوف .

٣٣ — المعجم الفلكي ـ الفريق أمين المعلوف .

٣٤ — معجم الألفاظ الزراعية ـ الأمير مصطفى الشهابي .

٣٥ — معجم المصطلحات الطبية للدكتور كليرفيل ـ نقله إلى العربية الأساتذة: مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي.

٣٦ — قاموس التربية وعلم النفس ـ الدكتور فريد جبرائيل نجار .

٣٧ — معجم شرف الطبي ـ الدكتور شرف .

٣٨ — المعجم الطبي ـ يوسف حتي .

٣٩ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي .

ز — المعجمات العسكرية الأجنبية .

٤٠ — المعجم العسكري البريطاني .

٤١ — المعجم العسكري الكندي (فرنسي-إنكليزي) و(إنكليزي-فرنسي).

٤٢ — المعجم العسكري الأميركي .

٤٣ — المعجم العسكري الفرنسي .

٤٤ — شرح مصطلحات البحرية الفرنسي .

٤٥ — المعجم العسكري لحلف الأطلسي .

٤٦ — المعجم العسكرى الروسي .

ح — الكتب العسكرية العربية :

٤٧ — كتب التدريب العسكري العراقية .

٤٨ — واجبات الأركان (عراقي) .

٤٩ — نشرات الأركان (سوري) .

٥٠ — كتب التدريب العسكري السورية .

ط — الكتب العسكرية الأجنبية :

٥١ — كتب التدريب العسكري البريطانية .

٥٢ — كتب التدريب العسكري الأميركية .

٥٣ — كتب التدريب العسكري الفرنسية .

٥٤ — كتب التدريب العسكري الروسية .

ي — المعجمات العربية الأجنبية :

٥٥ — المورد (إنكليزي - عربي) منير البعلبكي .

٥٦ — القاموس العصري (إنكليزي - عربي) - إلياس أنطون .

٥٧ — قاموس النهضة (إنكليزي - عربي) - إسماعيل مظهر .

٥٨ — المعجم الفرنسي (فرنسي - عربي) بيلو J. B. Belot .

٥٩ — المعجم الروسي (روسي - عربي) .

60 — Grand Larousse Encyclopédique .

61 — Encyclopédia Britannica .

62 — Cassell's New English Dictionary .

63 — The Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles .

64 — Webster's Third International Dictionary of he English Language .

95 — Websters Seventh New Collegiate Dictionary .

66 — The American College Dictionary .

97 — New College Standard Dictionary .

68 — Cassel's New English Dictionary .

69 — Collins New English Dictionary .

70 — Thorndike English Dictionary .

71 — The Advanced Learner's Dictionary of Current English.

اللواء الركن محمود شيت خطاب

رئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية

للجيوش العربية

في فنون الترجمة

للترجمة فنون تتباين في مناهجها وفي غايتها ، شأنها في هذا شأن فروع الأدب جميعاً . فليس في جميع شؤون الفكر قواعد صارمة جازمة وقوالب مصبوبة جامدة وأساليب قدسية إلهية يمتنع على المرء أن يتجاوزها أو يتصرّف فيها . وإنما لكل جانب من جوانب الفكر قواعد عامة ، على قدرٍ كبير من المرونة ، تتيح للمشتغل بها أن يتصرّف وفقاً لذوقه وطرائقه الخاصة وأسلوبه وشخصيته وما يرتئيه من تجديد أو ينحو إليه من منحى .

والترجمة قد تشترط فيها قواعدُ عامّة من حيث القدرة على نقل معاني الأصل بأمانةٍ ودقّة ، ومن حيث الإتقان في تفضيل تراكيب عربية صحيحة على تراكيب أعجمية مفرطة في عجمتها ، ومن حيث مُحاذرة إقحام كلام من عنديات المترجم لم يقله صاحب الأثر ، اللهمّ إلاّ على سبيل التفسير والتوضيح (في الهوامش والذيول) ، ومن حيث الاحتفاظ للأثر بخصائصه الكاملة تشويقاً وجلاءً وصحّةً وضبطاً ، فالرواية المترجمة تُقرأ على اعتبار أنها رواية مشوّقة ، والكتاب العلمي يترجم بوصفه كتاباً علمياً فيه ذخيرةٌ من المعارف مضبوطة بنواميسها العلمية ومصطلحاتها التي يعرفها أهلُ الاختصاص ، والكتاب الأدبي يترجم ككتاب أدبيّ خالصٍ للأدب ومذاهبه وآرائه وفنونه ، والكتاب الذي يتناول جانباً من جوانب الفنون التشكيلية يترجم باعتباره كتاب فنٍ في المقام الأول ، والكتاب الطبي يترجم ليكون كتاباً نافعاً للمشتغلين بالطبّ من حيث مادّته ومصطلحاته . ولئن روعي هذا الاعتبار الجوهريّ في ترجمة الكتب ، فثمة اعتبار جوهري عام يسري على الترجمات جميعاً ،

وهو أن يكون الكتابُ المنقول ناصع اللغة مصقول العبارة جميل الأسلوب لا يتعثّر قارئه في أخطاء لغوية ولا يصطدم بتركيبات ناشزة ولا تغمض عليه المعاني المبتغاة .

غير أن المشتغلين بالترجمة قد ذهبوا في أساليبهم مذاهب شتّى ، فمنهم من اعتبر الترجمة مجرّد نقلٍ أو تعريب ، يقرأ العبارة الفرنجية ، ثم يكتبها بأسلوبه الخاص غير متقيّد إلاّ بالمعنى العام الذي رسب في ذهنه ووقع في روعه ، كمحمد السباعي الذي كان يأبى أيّ قيدٍ يحدّ من حرّيته في الترجمة ، فينقل الكتاب وكأنه يؤلّفه ، يُضيف هنا ويحذف هناك ، ويتصرّف في هذا المعنى أو ذاك ، ويغيّر ويبدّل دون أن يلتزم أي حرفيةٍ ، بل دون أن يعامل الأثر الأصلي بأي قدرٍ من القداسة أو التبجيل . فهو أديبٌ كبير ، ولا يُعييه أن يؤلّف كتاباً كالذي دُفع إلى يديه لترجمته ، فليتصرّف إذن على هواه ، وهمّه الأوّل أن يخرج للقارئ كتاباً مقروءاً فصيح العبارة سلسها ليس فيه من العجمة أثراً أو شائبة .

ومن المترجمين مَنْ سلك في التعريب مسلكاً آخر . فإذا كان محمد السباعي دارياً باللغات الأجنبية ، فهم بها على غير دراية . ولهذا كان لا مفرّ لهم من أن يستعينوا بمترجمٍ ينقل الأثر من أصله الأجنبيّ إلى نصّ عربيّ ، ثم يقومون هم بتعهّد هذا النصّ بالصقل والتهذيب بل إعادة الصياغة ليجيء في آخر الأمر عملاً أدبياً جميلاً ، حتّى ولو نأى عن الأصل بحكم أن العمل تناوله اثنان أحدهما « ترجمان » يؤدّي المعنى بأي عبارة ولو كانت مهلهلة سقيمة ، وثانيهما أديب ولكنّه مبتوت الصلة لغوياً بالنصّ المترجم . ونذكر من أولئك المترجمين مصطفى لطفي المنفلوطي والشاعر محمود أبو الوفا الذي أخرج رواية « جريمة سان سلفستر » في أسلوب عربي شديد الفصاحة وهو لا يعرف حرفاً من نصّها الفرنجيّ .

ثم إن من المترجمين من اتخذ في الترجمة أسلوباً آخر ، فقسّمها إلى مراحل ثلاث ، تتمثّل المرحلة الأولى منها في إجراء ترجمة سريعة للنصّ الأصلي تستمسك بحرفيّة التعبير وعجمة التراكيب . فمتى استكملت هذه المرحلة ، نحّي الأصلُ الأجنبيّ وأزيل من الطريق تماماً ، ثم عكف المترجم على تهذيب ترجمته وتشذيبها بما يلبسها ثوباً أدبياً ويسبغ عليها رونقاً عربياً يُلغي عجمتها . وعندئذ تبدأ المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة إعادة كتابة الأثر وإغنائه قدر المستطاع بفنون البلاغة والتعبير ، وصقله صقلاً تتراءى فيه إشراقة الأدب ومطارف الفن . ومن الآخذين بهذا المنهاج أحمد حسن الزيات .

وهناك مترجمون يستمسكون في ترجماتهم بالحرفيّة الكاملة ، فلا يتركون حرفاً ولا يتصرّفون في عبارة . فالكلام الذي ينبرون لنقله مكتسبٌ لصبغة التقديس ، وليس من حقّهم أن ينحرفوا عن صراطه المستقيم أو يتصرّفوا فيه بحذفٍ أو إضافة أو تحوير ، وغايةُ ما يتوخّونه ، هو أن ينقلوا المتن نقلاً حرفياً أميناً دون إخلال بنصاعة الديباجة أو بوضوح المعنى أو بالتراكيب . وفي هـــذه الفئة من المترجمين يُذكر الدكتوران يعقوب وفؤاد صرّوف وعادل زعيتر وعلي أدهم وعباس حافظ والدكتور راشد البراوي .

أما المترجمون الذين وكدهم أن يترجموا الوثائق والعقود القانونية ، أو كتب المعادلات الرياضية والمسائل العلمية المختلفة ، فهؤلاء مفروض فيهم أن يحافظوا على الدقة الحرفية واللفظية لما يترجمونه ، وأن يكونوا على دراية كاملة بالمصطلحات المحدّدة التي استقرّت في كل باب ، وحتمٌ عليهم أن يلتزموا تعبيرات معيّنة اكتسبت بالعرف والاصطلاح كياناً ذاتياً في القانون والعلوم ، فإن تصرّفوا فيها تصرّفاً بيانياً أو لغوياً جانبوا الجادّة . على أن الضليعين في هذه الترجمات لا بدّ من أن تظهر خصائص أساليبهم وشخصيتهم في مترجماتهم ، كالفقيهيْن عبد العزيز فهمي وعبد الحميد بدوي والدكتور سابا حبشي ومن هم في طبقتهم من سدنة القانون والفقه .

وهناك المترجمون المشاءون ، أي الذين يمشون في مدارج الحياة اليومية ، يترجمون للصحف والإذاعات ، وينقلون الكتب نقلاً سريعاً ، دون أن يتسع لهم الوقت لإعادة النظر في ترجماتهم أو لمراعاة الحرص الدقيق الكامل في عملهم . فهؤلاء يترجمون تحت ضغط السرعة ويعملون أعمالاً مرهقة في ساعات الليل المتأخرة ، وليس في وسعهم إلا أن يغلّبوا الارتجال على الاتئاد ، والسهولة على التعقيد ، فهمّهم الأول أن يترجموا برقيات الصحافة ترجمة مفهومة ، وأن ينقلوا الأخبار نقلاً سريعاً ، أو يترجموا الروايات البوليسية ترجمةً شعبية ، وليس هناك وقتٌ للإتقان وليست ثمة ضرورة له ما دامت الصحيفة تُقرأ وتُهمل ، والخبر يُذاع ويُنسى ، والرواية البوليسية تعرض في السوق أياماً ثم تستعاد « كمرتجع » مصيره الإزجاء والإهمال ، على أن طابع السرعة الذي تتميّز به أعمال هذه الفئة من المترجمين يجعلهم قادرين على ارتجال المعاني والمرادفات للتعبيرات الجديدة التي تدخل في لغة الحديث اليوميّ ، وسواء أصابوا في ارتجالهم توفيقاً أو تخلّى التوفيق عنهم ، فإنّ طائفةً كبيرة من مسكوكاتهم اللفظية تشيع على الألسنة كقولهم « تصعيد » الحرب و « تحييد » الجزيرة والحركة « الجماهيرية » و « التوعية » الاقتصادية و « الحوار » المذهبي وهلمّ جرّا .

وهناك المترجمون الفوريون الذين يُستعان بهم في المؤتمرات الدولية والندوات المتفرعة عليها والجماعات الإقليمية ، حيث تتعدد لغات المشاركين في المؤتمر أو الندوة ، ويقوم المترجمون الفوريون بترجمة الخطب والمناقشات في نفس الوقت واللحظة ، فتنتقل ترجماتهم عبر السماعات إلى آذان الحاضرين ، كلّ حسب ما يُحسن من لغات . وأوّل ما يتميّز به هؤلاء المترجمون الفوريون الإتقان الكامل للغتين اللتين يشتغلون بها ، مع حضور الذهن وسرعة البديهة بحيث تتمّ عملية الترجمة لحظة بلحظة ، فلا يتخلّف المترجمُ عن الخطيب أو المتكلم . فإذا كان موضوعُ المؤتمر موضوعاً فنّياً ، يعالج جانباً من جوانب

الهندسة أو الكيمياء أو الفيزياء أو علوم الفضاء أو ما إلى ذلك ، اشترط في المترجمين الفوريين الإلمام الكامل بالمصطلحات التي تتصل بموضوع المؤتمر حتّى لا يتعثّروا في عملهم ، لا سيّما وأن أمثالهم لا يستطيعون مراجعة قاموس أو الكشف عن لفظة بحكم اضطرارهم إلى متابعة كل ما يقال وارتجالهم الترجمة تلقائياً وعلى الفور وفي عين اللحظة .

وهؤلاء المترجمون ، على خطر المهمّة التي يقومون بها في المحافل الأمميّة ، لا يؤدّون ولا يُرجى منهم أن يؤدّوا خدمةً للأدب أو للفكر أو للعلوم المختلفة . فهم « تراجمة » من طراز عالٍ وقلّ أن تتميَّز ترجمات أيٍّ منهم بخصائص أو مقدّمات ينفرد بها عن سواه ، وإن كان عملهم يبهر ، ومهمَّتهم تكاد تبلغ مرتبة الإعجاز بسرعتها الفائقة وخطورتها ولا سيا إذا أساءوا الفهم وأساءوا التعبير نتيجةً لذلك . وللمرء أن يتصوَّر الأزمات السياسية التي قد تنجم عن خطأ في الترجمة - ولو كان غير مقصود - في حلبة دولية أو منتدى جامعٍ لدول شتّى . فالكلام خطر ، والتفوّه في غير تدقيقٍ أو تبصّر كفيلٌ بإحداث أصداء بعيدة إن وقع فيه لَبْسٌ أو سوء تأويل كأثر من آثار سوء الفهم وخطأ النقل .

وفنون الترجمة جميعاً قد اطَّردت على غير نهج مرسوم ، وتُركت لاجتهاد كلّ سالكٍ في هذا الميدان . وإذا قيل في وصف الترجمة إنها « عِلمٌ » ، فإن هذا العلم لا يدرّس أو يلقن في المعاهد والجامعات ، ولو دُرّس ، فأقلّه يتمّ في قاعات الدرس ، وأكثره يُنجز في الحياة العملية نفسها . يضاف إلى ذلك أن المترجم المقتدر هو الذي أهَّل نفسه لتحصيل قدرٍ وافٍ من أبواب المعارف جميعاً ، وناهيك بإتقان اللغات التي هو بها مشتغل ، ومادّة التخصص التي تنصبُّ عليها عنايته . وإذا كان للمرء أن يتحدّث عن بعض خبرته ، فلا حرج في أن يذكر الكاتبُ أنه ألفى نفسه وهو يترجم كتاباً جديداً عن قضية فلسطين ، منشغلاً بموضوعاتٍ بعضها تاريخيّ ، وبعضها

دينيّ ، وبعضها سلاليّ ، وبعضها سياسيّ ، وبعضها قانونيّ ، وبعضها اقتصادي ، وبعضها متّصل بأمور الأمم المتحدة ، وبعضها من صميم الفقه الدولي وبعضها جغرافيّ وإحصائي . ولا تستقيم ترجمةٌ لمثل هذا الكتاب إلا إذا كان ناقله على دراية بأطرافٍ وافية من هذه العلوم جميعاً ، فوق إتقان اللغات الثلاث التي دخلت في الكتاب وترجمته ، بما في ذلك المصطلحات اللاطينية والنصوص الإفرنسية والمتن الانكليزي والترجمة العربية .

والمترجمون ينقسمون في جملتهم إلى فئتين عريضتين : فئة المترجمين المتخصصين الذين يتوافرون على ترجمة كتبٍ في موضوع بعينه كالطب مثلاً أو علم طبقات الأرض أو علم الفضاء ، لطول باعهم في هذا العلم أو ذاك ، وفئة المترجمين الذين ينقلون كلّ شيء مهما يكن موضوعه ، ما دامت بين أيديهم مصطلحاته وفي متناولهم بقليل من الاجتهاد أن يصبحوا على دراية طيّبة بفحواه . والفئة الأولى تحصر جهودها في ميدان واحدٍ من الميادين الأكاديمية المتخصصة فلا تبرحها . أمّا الفئة الثانية ، فهي التي تضطلع عادةً بأكبر العبء في ترجمة الكتب الأدبية ، وكتب التاريخ والرحلات ، والكتب الثقافية العامّة ما دامت بعيدةً عن التخصّص الحنيف . والفئة الثانية من النقلة هي التي يُعوّل عليها أكبر تعويل في إغناء المكتبة العربية بصنوف المؤلفات التي تصدر بلغات العالم الكثيرة ، ولا سيما ما يتّخذ لنفسه مكاناً في التراث الفكري أو التاريخ الأدبيّ أو ما يعتبر من أمهات الكتب .

وليس ثمة عاصم من التبذّل في الترجمة والترخّص في النقل إلا إيمان المترجم بأنه يضطلع « برسالة » وشعوره بأن له من ضميره رقيباً على عمله . فلا يحدث ، إلاّ في النّدْرَى ، أن يجري القارئُ مقابلةً بين الترجمة والنص ليتبيّن حظّها من الدقة والإتقان . والقارئُ يفترض أصلاً أن المترجم قد توافرت له الكفاية ، ودَانت له القدرة ، وتكاملت عنده أسبابُ الإتقان ، واضطلع بعمله عن درايةٍ وفهم ووعيٍ وضمير يقظ وأمانة تامّة . وهذه

الثقة القائمة بين القارئ والمترجم يغذّيها تأكّد هذه الاعتبارات في كل أثر جديد ينقله المترجم. فإذا حدث ما يزعزع هذه الثقة لم يعد يسيراً استرجاعها.

و «الرسالة» التي يتوخّاها المترجمُ تفرض عليه أن يُنزل الكتاب من نفسه منزلةً عزيزة، وأن يكون بينه وبين موضوعه تجاوب وتجاذب، وأن يكون واثقاً من نفعه إذا تُرجم، وأن يحرص على إبقاء هذا الأثر بكل جماله ورونقه وبهائه عند ترجمته، فلا تعدو عليه أسبابُ التشويه والمسخ. والمترجمُ الصادقُ مع نفسه، هو الذي يخاطب ذاته قائلاً «ليتني كنتُ مؤلّف هذا الكتاب، أما وقد ألّفه غيري، فلأعكف على نقله بشغفٍ وهوى وهوس حتّى أكون خليقاً بشرف نسبة الترجمة إليَّ إن فاتني شرفُ نسبة التأليف إلى قلمي».

ولو آمن كل مترجم «برسالته» ووطّن النفس على أن يُخلص لهذه الرسالة إخلاصاً شبه دينيّ، وعقد العزم على أن يطاولَ بترجمته المؤلّفَ الأصليَّ مهما تكن منزلته، وتأهّب للترجمة بحسن الفهم ودقّة التعبير وحلاوة الأسلوب، لارتقى مستوى الترجمات العربية ارتقاءً عظيماً، ولأغناها ذلك عن الاعتماد عن المراجعين والفاحصين وغيرهم من الذين كثرت أسماؤهم وتعدّدت صفاتهم على أغلفة الكتب المترجمة.

فالترجمة كعملٍ أدبيّ فكريّ ثقافيّ كريم، رسالةٌ وأمانةٌ. ومن صميم الرسالة والأمانة أن يضطلع بها المخلصون الصادقون دونما حاجة إلى قَسَمٍ عظيم.

وديع فلسطين

※※※

شعـر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

- ٨ -

تطور شعر الوقوف على الأطلال في العصر العباسي

بدأت حياة العرب تتغير شيئاً فشيئاً منذ أوائل القرن الثاني للهجرة في الأمصار الإسلامية الجديدة التي أوطنوها واستقروا فيها . حتى إذا انتصف هذا القرن ، واستتب الأمر لبني العباس في بغداد ، أخذت آثار هذا التغير تظهر في طريقة تفكير الناس ، وفي إنتاجهم في الأدب والشعر . وقد تطورت تبعاً لذلك كل أنماط الأدب وأغراض الشعر المعروفة . ونريد ها هنا أن نعرف ما حل بشعر الوقوف على الأطلال في خلال هذا الانقلاب الفكري . وسندرس تطور هذا الشعر عند شعراء القرن الثاني أولاً ، ولا سيما في شعر أبي نواس منهم . ثم ندرسه عند شعراء القرن الثالث ، ولا سيما في شعر أبي تمّام والبحتري منهم .

١ — شعراء القرن الثاني : أبو نواس

كان شعراء هذا القرن أصحاب تجديد وثورة جريئة على القديم . فقد حاولوا ابتداع مذهب في الشعر جديد يتفق وواقع الحياة المادية والمعنوية

التي كانوا يحيونها في بغداد في النصف الثاني من هذا القرن . وزعيم هذا المذهب وخير من يمثل آراء أصحابه وطريقتهم وخصائص أشعارهم هو أبو نواس بلا ريب . ولذلك سنقتصر على دراسة تطور شعر الوقوف على الأطلال عنده وحده دون أصحابه ، لأنه خير من يمثلهم كما قلنا ، ولأن أصحابه هؤلاء لم يقولوا شعراً له شأن في المنازل والديار .

* * *

لأبي نواس شأن عجيب في شعر الوقوف على الأطلال . فهذا الشعر عنده ينقسم إلى قسمين كبيرين ، يباين أحدهما الآخر كل التباين . قسم يقف فيه على المنازل والديار ، ويبكيها على طريقة الشعراء القدامى . وقسم آخر ينهج فيه نهجاً جديداً ، ينعي فيه على الديار وأطلالها ، وعلى من يقول فيها شعراً . ويدعو إلى تركها وإهمالها . قال ابن رشيق في كتاب العمدة وهو يشير إلى ذلك : « وزعموا أن أول من فتح هذا الباب ، وفتق هذا المعنى أبو نواس بقوله :

لا تبكِ ليلى ، ولا تطربْ إلى هندِ واشربْ على الورْد من حمراء كالوَرْدِ (١)

وقد استقرينا شعر أبي نواس في الوقوف على الأطلال ، وصنفناه حسب قسميه المذكورين ، فانكشفت لنا الحقيقة التالية : يسلك أبو نواس الطريقة الأولى في افتتاح أماديحه وأهاجيه الكبرى ، أي في أغراض الشعر العامة القديمة . أما الطريقة الثانية فيسلكها في خمرياته وما إليها من قصائده التي يقولها عابثاً في لهوه . فهو إذاً رجل ذو ذكاء ودهاء ، يراعي الذوق العامّ السائد في عصره حين يقول الشعر في الأغراض القديمة التقليدية لينفق شعره وينال إعجاب الناس . حتى إذا خلا إلى شيطانه وكأسه أطلق نفسه على سجيتها ، وسلك الطريقة الثانية .

(١) العمدة ١/٢٠٣ ، وديوان أبي نواس ٢٧ .

وليس في القسم الأول من شعر أبي نواس في الوقوف على الأطلال كبير غَناء ، فهو يحذو فيه حذو الشعراء الكبار في العصر الأموي ، ويردد معانيهم ، ويكرر نغماتهم دون أن يبلغ شأوهم فيها .

ولعل أبا نواس كان مضطراً إلى قول الشعر في هذا القسم اضطراراً لا يجد له دفعاً ، ولا يرى منه مهرباً . وهو يصرح بذلك ، ويقول (١) :

أعِرْ شعرك َالأطلال َوالدِّمَن َالقفرا فقد طال ما أزرى به نَعْتُك الخمرا
دعاني إلى وصف الطلول مُسَلَّطٌ تضيق ذراعي أن أجوز له أمرا
فسمعاً أمير المؤمنين وطـــاعة وإن كنت قد جشمتني مركباً وعرا

لقد سجنه الخليفة على استهتاره بالخمر ، وأخذ عليه ألا يذكرها في شعره . فجاهر بأن وصفه الأطلال والقفر إنما هو من خشية الإمام ، وإلا فهو عنده فراغ وجهل (٢) .

فهل نفهم من قول أبي نواس هذا أنه أراد الانطلاق من ربقة القديم فرُدَّ عن ذلك ردًّا ؟ يبدو لنا أن أبا نواس كان مضطراً إلى أن يسير في طريق القدماء ، وكان كلما زيّن له شيطانه الزيغ عن هذه الطريق والاتجاه في الطريق الأخرى رُدَّ عن ذلك ردًّا عنيفاً ، ردَّه الخليفة أو أمير المؤمنين كما يقول .

* * *

وأما في القسم الثاني فأبو نواس يظهر لنا رجلاً مشغوفاً بالخمر ، مزوراً عن الديار والأطلال ، يذمها ليخلص من ذمها إلى مدح الخمر ووصفها وصفَ مغرمٍ بها غراماً شديداً . يقول أبو نواس (٣) :

---

(١) ديوان أبي نواس ٢١ .
(٢) وانظر العمدة ١/٢٠٤ .
(٣) ديوان أبي نواس ١٤٨ .

لستُ لدارٍ عفتْ بوصّافِ ولا على ربعها بوقّافِ
ولا أسلّي الهموم في غسق الليل بحادٍ بالليل عسّاف
لكن بوجه الحبيب أشربها بين ندامى وبين ألاف
من قهوة كالعقيق صافيـــة عاديَّة العمر ذات أسلاف

والقاعدة العامة عند أبي نواس ، في هذا القسم ، هي أن ينعى على الذين يقفون على الديار والأطلال ، ويبكون فيها ، ويسخر منهم سخرية مرة لاذعة ، يتهم فيها ذوقهم وعقولهم . يقول (١) :

عاج الشقيُّ على رســـم يسائله وعجت أسأل عن خمارة البـــلدِ
يبكي على طلل الماضين من أسدٍ لا درّ درك ، قل لي : من بنو أسدٍ؟

. . . .

كم بين ناعتِ خمرٍ في دساكرها وبين باكٍ على نؤيٍ ومُنْتَضَدِ
دَعْ ذا عدمتك واشربها معتّقــةً صفراء تفرق بين الروح والجسدِ

وإذا تساءلنا عن السبب الذي يدفع أبا نواس إلى موقفه هذا من الديار والأطلال ومن الباكين عليها ، وجدنا هذا السبب عند أبي نواس نفسه . وهو يبينه لنا في تفصيل ووضوح يغنياننا عن كل افتراض ، ويريحاننا من كل بحث وعناء . يقول (٢) .

مالي بدار خلتْ من أهلها شُغُلُ ولا شجاني لها شخصٌ ولا طَلَلُ
ولا رسوم ، ولا أبـكي لمنزلة للأهل عنهـا وللجيران مُنْتَقَلُ
ولا قطعت على حرْفٍ مذكَّرة في مرفقيها إذا استعرضتَها فَتَلُ
بيداءَ مقفرةً يوماً فأنعتَهـــا ولا سرى بي فأحكيه بها جملُ

. . . .

(١) ديوان أبي نواس ٤٦ ـ ٤٧ .
(٢) ديوان أبي نواس ٦٩٨ .

لا الحَزْنُ مني برأي العين أعرفه وليس يعرفني سهلٌ ولا جبـــلُ
لا أنعت الروضَ إلا ما رأيت به قصراً منيفاً عليه النخل مشتملُ

هذا هو السبب في موقف أبي نواس من الديار والأطلال ومن الباكين عليها ، يعرضة علينا عرضاً مسهباً واضحاً : إنه يحيا في بغداد حياة تختلف كل الاختلاف عن حياة الأعراب في الصحراء .

وإذا كان الأمر كذلك فمن حق أبي نواس إذاً أن يبعد عن حياتهم ، ويهجر صورها في شعره إلى صور أخرى يراها بعينيه في البيئة التي يحيا فيها ، ويضطرب في مجالاتها ، ولا يريد أن يقول شعراً يصف فيه شيئاً على السماع كما يقول في بعض شعره ، وهو قوله (١) :

صفة الطلول بلاغـــة القَدْمِ فاجعل صفاتك لابنـــة الكرمِ
لا تُخْدَعَنْ عن التي جُعلتْ سقم الصحيح وصحة السقمِ

. . . .

تصف الطلول على السماع بهـا أفذو العيـان كأنت في الحكمِ
وإذا وصفت الشيء متبعـــاً لم تخـل من غلط ومن وهمِ

وفي الحق أن يصف كل إنسان ما يرى . « وصفـة الإنسان ما رأى يكون لا شك أصوب من صفته ما لم ير . وتشبيه ما عاين بما عاين أفضل من تشبيه ما أبصر بما لم يبصر » (٢) .

لقد تطورت شروط الحياة العامة ، وتغيرت أنماطها ومظاهرها ، في المجتمع العربي الإسلامي على عهد العباسيين ، وضعف شأن العنصر العربي والقبائل العربية المعروفة ، وغلبت العناصر المسلمة الأخرى من غير العرب . وبَعُدَ العهد بحياة البادية ، ونسيها معظم العرب ، وانقطعوا في الأمصار التي أوطنوها

---

(١) ديوان أبي نواس ٥٧ ـ ٥٨ .
(٢) العمدة ٢/٢٣٦ .

عن البادية التي نجموا منها ، وكذلك انقطعوا عن أسبابها وأجوائها ، إلا ما كانوا يقرؤون من أخبارها وأشعارها . وبعد هذا « فلا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازاً ، لأن الحاضرة لاتنسفها الرياح ، ولا يمحوها المطر ، إلا أن يكون ذلك بعد زمان طويل لايمكن أن يعيشه أحد من أهل الجيل (١) » . وهذا مافعله حقاً أبو نواس وأضرابه من المحدثين . لقد ذكروا الديار والأطلال مجازاً لا عياناً . كما ذكروا الإبل ، ووصفوا المفاوز والقفار على العادة المتادة اقتداء بسلك الشعراء الأقدمين ، واتباعاً لما ألفته طباع الناس معهم . ولعل أحدهم « لم يركب جملاً قط ، ولا رأى ما وراء الجبانة (٢) » .

ونرى أن أبا نواس وأضرابه كانوا على حق في موقفهم من القديم وابتداع مذهبهم الجديد ، لأن ذلك ناشئ من روح الحياة ، مستمد من طبيعة الأشياء ، يؤيده المنطق ، ويفرضه الواقع فرضاً . ولم يعدم مذهبهم الجديد بعض المعجبين من النقاد أيضاً . فقد ذكر ابن رشيق أن قول أبي نواس في أول قصيدة له :

صفة الطلول بلاغة القَدْمِ فاجعل صفاتِكَ لابنة الكرم

هو أفضل إبتداء صنعه شاعر من القدماء والمحدثين عند الحاتمي ، فيما روي عن بعض أشياخه (٣) .

* * *

(١) العمدة ١/١٩٩ .
(٢) العمدة ١/١٩٨ .
(٣) العمدة ١/٢٠٤ .

ونتساءل عن السبب الذي دفع بالخليفة إلى زجر الشاعر عن مذهبه الجديد ، واضطراره إلى سلوك مسلك القدماء . ثم نتساءل عن السبب الذي جعل الناس ، في عصر أبي نواس وبعد عصره ، يزورّون عنه ، وينفرون من مذهبه الجديد .

ويغنينا أبو نواس هنا أيضاً عن كل افتراض ، ويجنبنا كل بحث وعناء ، فيشهد على نفسه في شعره ، ويدلنا على السبب في كل ذلك . ويتجلى لنا هذا السبب في الموقف السلبي الساخر العنيف الذي وقفه أبو نواس من القديم والقدماء . إننا نحس في أعماقنا ، عندما نقرأ شعره ، أنه لم يكن يجدد ، ويدعو للتجديد ، لوجه التجديد ، وإنما يفعل ذلك ازدراء للقديم وكرهاً له . لقد كان مذهبه أو شعره « رفضاً للقديم في كل شيء ، وكلفاً بالجديد في كل شيء » كما يقول الدكتور طه حسين (١) . يقول أبو نواس (٢) :

دع الأطلال تسفيها الجنوبُ ... وتبكي عهد جدتها الخطوبُ
وخل لراكب الوجناء أرضاً ... تخب بها النجيبة والنجيب
ولا تأخذ من الأعراب لهواً ... ولا عيشاً ، فعيشهم جديب

ومثل هذه الأبيات وكثير من أمثالها تظهر لنا ازدراء أبي نواس للقديم والقدماء .

ويريد الدكتور طه حسين أن يصبغ هذا السبب بصبغة سياسية في قوله في أحد أحاديث الأربعاء : « على أن هذا المذهب الجديد ، على حسنه واستقامته ، وعلى أن أبا نواس موفق فيه ، لم يسلم من أشياء تمكننا من أن نفهم بغض الناس له ، ونعيهم عليه ، فهو ليس مذهباً شعرياً فحسب ، وإنما هو مذهب سياسي أيضاً . يذم القديم ، لا لأنه قديم ، بل لأنه قديم ولأنه عربي ، ويمدح الحديث ، لا لأنه حديث ، بل لأنه حديث ولأنه فارسي .

(١) حديث الأربعاء ٢/١٢٤ .
(٢) ديوان أبي نواس ١١ .

فهو إذاً مذهب تفضيل الفرس على العرب ، مذهب الشعوبية المشهور . ومن هنا نفهم سخط كثير من العرب وأنصار العربية على هذا المذهب الجديد »[1] .

والحقيقة أننا نلمس آثار الشعوبية في شعر أبي نواس ولا سيما في خمرياته التي وقفها على ذم القديم والقدماء ، والدعوة إلى مذهبه الجديد ، بأسلوب فيه سخرية مرة وازدراء عنيف للقديم . وقد عرف القـــدماء ذلك من أبي نواس . فقال ابن رشيق عنه في العمدة : « وكان شعوبي اللسان . فما أدري ما وراء ذلك . وإن في اللسان وكثرة ولوعه بالشيء لشاهداً عدلاً لاترد شهادته[2] » .

ولذلك ثقل أبو نواس على الناس ، وعلى أكثر العلماء والنقاد ، ونفرهم من مذهبه هذا الجديد . والناس ، مهما كانت أحوالهم ، لا يرضون أن يسخر بهم أحد . ولو اتبع أبو نواس ، في الدعوة إلى مذهبه الجديد ، طريقة أخرى غير طريقة السخرية بالقديم والزراية عليه ، لكان له ولمذهبه شأن غير الشأن الذي انتهى إليه ، ولرضي عنه الناس وأقبلوا عليه معجبين .

ولقد تخلى أبو نواس مرة عن موقفه السلبي الساخر في شعره ، واتخذ موقفاً إيجابياً حكيماً في خمرية من خمرياته ، فوفق توفيقاً كبيراً ، وأتى بشيء جديد ، يمكن لنا أن نقول فيه : إنه الجديد الحق الذي كان ينبغي لأبي نواس أن يسمى إليه ، وأن يحققه في مذهبه الجديد . قال[3] :

ودار ندامى عطّلوها وأدلجوا ... بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ
مساحب من جر الزقاق على الثرى ... وأضغاثُ ريحان : جني ويابس
حبست بها صحبي ، فجددت عهدهم ... وإني على أمثال تلك لحابس

(١) حديث الأربعاء ٢/١١٣ ـ ١١٤ .
(٢) العمدة ١/٢٠٤ .
(٣) ديوان أبي نواس ٣٧ .

ولم أدر منهم غير ما شهدت به بشرقي ساباط الديار البسابس
أقمنا بها يوماً ويومين بعـــده ويوماً له يوم الترحل خامس
تدار علينا الكأس في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس

هذه آثار الديار التي وقف عليها أبو نواس هنا : آثار جر الزقاق ، وبقايا أضغاث الريحان . إنها أطلال الحانة ! وقد أعجب العلماء والنقاد في القرن الثالث بهذه القصيدة . جاء في المثل السائر لابن الأثير بشأن هـذه الأبيات : « ومما انتهى إليَّ من أخبار ابن المزرع قال : سمعت الجاحظ يقول : لا أعرف شعراً يفضل هذه الأبيات التي لأبي نواس . ولقد أنشدتها أبا شعيب القَلاّل ، فقال : والله يا أبا عثمان ، إن هذا لهو الشعر ، ولو نُقِرَ لَطَنَّ ! فقلت له : ويحك ، ما تفارق عمل الجِرار والخزف . ولعمري ، إن الجاحظ عرف فوصف ، وخَبِرَ فشكر . والذي ذكره هو الحق (١) » .

ولا غرابة في ذلك . فقد تخلى أبو نواس عن سخريته من القديم وازدرائه له في هذه القصيدة كما نرى ، وأخفى ميله للفرس وإعجابه بهم ، وأخلص لفنه ومذهبه ، فوفق في ذلك كل التوفيق ، وحاز إعجاب النقاد . ولو لزم أبو نواس هذه الطريقة ، وثبت عليها في مذهبه ، وعالج بها التجديد في شعره ، لنفض القديم نفضاً ، ولضمن لمذهبه الفوز والبقاء . ولكنه لم يفعل ذلك ، واختار سبيل المجابهة والهجوم ، فانصرف عنه الناس ، واندثر من بعده مذهبه الجديد .

٢ — شعراء القرن الثالث : أبو تمام والبحتري .

كانت لشعراء القرن الثالث مدرسة خاصة في الشعر ، تخالف في أصولها ومظاهرها مدرسة التجديد التي تزعمها أبو نواس في القرن الثاني . لزمت

(١) المثل السائر .

هذه المدرسة جانب الاعتدال والاتزان في شعرها ، وسلكت سبيلاً وسطاً بين القديم والجديد . فلم تكره القديم كما كرهه أبو نواس وأضرابه ، بل كانت تحبه وتحب قراءته ، ولكنها في الوقت نفسه لم تخضع لهـذا القديم خضوعاً تاماً . وكانت النتيجة أن هذه المدرسة اتبعت القديم في أشياء ، وأحدثت لنفسها أشياء ، ومزجت القديم الذي اتبعته بالحديث الذي أحدثته مزجاً بارعاً جميلاً .

وأشهر شعراء هـــذه المدرسة في القرن الثالث هما الشاعران الطائيان أبو تمام أوس بن حبيب وأبو عبـادة البحتري . وقد قالا في الوقوف على الأطلال شعراً كثيراً ، ولا سيما البحتري الذي فاق من جاء قبله ومن جاء بعده من الشعراء في الإكثار من شعر الوقوف على الأطلال . وسنعرض لهذا الشعر في الصفحات التالية ، ونرى ما طرأ عليه من تطور وتغير .

* * *

عاش هذان الشاعران في بغداد وغيرها من الحواضر العربية ، وألفا الحياة في قصور هذه المدن وحدائقها ، وشُغلا بالجمالات التي يسرتها لهما حياة الحضارة والترف فيها . كما قرأا واطّلعا على العلوم والثقافات المختلفة التي شاعت في عصرهما ، فبدا أثرها في شعرهما ، ونتج عن ذلك كله أن هذين الشاعرين قد نسيا حياة البادية وصورها الحقيقية ، كما نسيها غيرهما من الناس . وإذا ما رأينا في شعرهما في الوقوف على الأطلال آثاراً لحياة البادية وصوراً منها فنحن نرى ونعرف أنها آثار وصور منقولة من الشعر ، لا أصالة فيها ، بل هي أصداء مرددة .

وكان من أثر ذلك أيضاً غياب النزعة المادية عن شعرهما في الوقوف على الأطلال . فأبو تمام والبحتري لا يكادان يذكران مواقع الديار ، وبقاياها ، والوحوش التي تألفها ، كما كان يفعل القدماء من الجاهليين والإسلاميين ، إلا في أحوال نادرة جداً ، وفي إشارات سريعة خاطفة . وعلى هـــذا

لم يبق في شعرهما من معاني الوقوف على الأطلال المادية المعروفة إلا بقايا ضئيلة قليلة، لا تكاد تبين بين المعاني الأخرى التي أكثروا القول فيها، وداروا حولها كالدعاء للديار، ووصف حالة الشاعر النفسية، ولا سيما البكاء، ومشاركة الأصحاب الوجدانية، ولا سيما اللوم والعذل والعتاب على الوقوف بالديار.

ونلاحظ، على العكس من ذلك، ظهور النزعة المنوية العقلية ظهوراً واضحاً في شعر الوقوف على الأطلال عند أبي تمام والبحتري. وهذا أثر من آثار العصر الذي نشأا فيه، والبيئة التي عاشا فيها. فقد كان القرن الثالث كما نعرف عصرَ حضارة وعلوم وثقافات. فأبو تمام والبحتري إذا وصفا الديار، وقلما يفعلان ذلك، فإنهما لا يصفانها وصفاً تؤديه إليهما حواسهما، وإنما يرسمان لها صوراً تولدها المخيلة الشعرية دون أن تستعين بحاسة الإبصار. يقول أبو تمام (١) :

قِفوا جَدِّدوا من عهدكم بالمعاهدِ وإن هي لم تسمعْ لِنِشدان ناشدِ
لقد أطرق الربع المحيل لفقدهم وبَيْنِهِم إطراقَ ثكلان فاقدِ

فهو يتخيل الربع حزيناً محزناً، قد أطرق كمن أصيب بفقد عزيز. وأما ألوان الربع الحائلة، وأما بقاياه العافية، فلا يعرف عنها شيئاً، لأنه لا يعرفها، ولم يعاينها برأي العين منه.

وعوامل تخريب الديار في شعر هذين الشاعرين تبعد شيئاً فشيئاً عن عوارض الطبيعة كالرياح والأمطار، وتقرب من العوارض المنوية كصرف النوى مثلاً. يقول أبو تمام (٢) :

دار سقاها بعـــد سكانها صَرْفُ النوى من سمه الناقع
فلا تلوما ذا الهوى، إنهـا ليست بِدع حَنَّـــةُ النازع

(١) ديوان أبي تمام ٢/٦٨ .
(٢) ديوان أبي تمام ٢/٣٥١ .

أرأيتم كيف يسقي صرف النوى الدار من سمه الناقع ؟ إن هذا من توليد مخيلة مثقفة مصقولة يعيش صاحبها في القرن الثالث الهجري . إنه يريد أن تقادم الزمن قد أخرب الدار . ولكنه لا يقول هذا هكذا ، وإنما يقوله كما رأينا . وهذه طريقة لأبي تمام معروفة في شعره . فهو يبعد في الاستعارة عن الواقع المألوف . وهذا أثر من ثقافة عصره كما قلنا آنفاً .

والبحتري في القرن الثالث يشبه جريراً في القرن الأول بنزعة تقديم الغزل على شعر الوقوف على الأطلال في بعض الأحيان . فهو يقول [1] :

شَدَّ ما أغرمت ظلومُ بهجري بعد وجدي بها وغلة صدري

ولَعَمْري ، يمينَ بِرٍّ ، وحَسْبي في الهوى أن أقول فيه : لعمري

وبعد غزل ناعم ، غني بالنغم ، يعود البحتري إلى الديار ، ويقف عليها قائلاً :

قد وقفنا على الديار ، وفي الركب حَرِيبٌ من الغرام ومُثْري

ولوَ انّي أطيع أمرَ حلمي كان شتى أمرُ الديار وأمري

ولكن هذا ، زيادة على تأخيره عن الغزل ، ليس شعراً في الديار والأطلال كما نعهد هذا الشعر . وإنما هو غزل قد مزجه البحتري بشعر الوقوف على الأطلال مزجاً . وليس فيه من هذا الشعر شيء سوى ذكر كلمة الديار .

وقد سار أبو تمام والبحتري في كل شعرهما على هذه الطريقة في مزج الغزل بشعر الوقوف على الأطلال . يقول أبو تمام مثلاً [2] :

إن عهداً لو تعلمان ذميما أن تناما عن ليلتي أو تنيما

---

(١) ديوان البحتري ٢/٩٧٠ .

(٢) ديوان أبي تمام ٣/٢٢٢ ــ ٢٢٣ .

كنت أرعى البدور ، حتى إذا ما فارقوني أمسيت أرعى النجوما

قد مررنا بالدار وهي خلاء فبكينا طلولهـا والرسوما

وسألنا ربوعهـا ، فانصرفنا بسقام ، وما سألنا حكيما

أصبحت روضةُ الشباب هشيما وغدت ريحُه البليلُ سَموما

شُعْلةٌ في المفارق استودعتْني في صميم الفؤاد ثكلاً صميما

وهذا غزل جديد كما نرى ، يمزج فيه أبو تمام فراق الأحباب والمرور بالدار وبكاء طلولها والحنين إلى أيام الشباب جميعاً مزجاً غريباً . ويقول البحتري (١) :

أطاع عاذلَه في الحب إذ نصحا وكان نشوانَ من سكر الهوى فَصَحا

فما يهيّجه نوحُ الحمـام إذا ناح الحمام على الأغصان أو صَدَحا

ولا تفيضُ على الأظعـان عبرتُه إذا نأينَ ولو جاوزنَ مُطَّلَحا

وربما استدعت الأطـلالُ عبرتَه وشاقه البرقُ من نجد إذا لَمَحا

وهذا أيضاً غزل جديد ، يمزج فيه البحتري أنواع الغزل بعضها ببعض مزجاً غريباً .

وقد ذهب أبو تمام مذهباً أبعد من ذلك ، فحاول أن يمزج شعر الوقوف على الأطلال بشعر المديح أيضاً . فهو يقول في مدح محمد بن عبد الملك الزيات (٢):

دَنِفٌ بكى آياتِ رَبْعٍ مُدْنَفِ لولا نسيمُ ترابهـا لم يعرفِ

. . . .

وكأنما استسقى لهن محمـدٌ فرسومُهن من الحَيَا في زُخْرُفِ

سأل السِّماكَ فجادها بحيائـه منه بوبل ذي وميضٍ أوْطفِ

متعانق الحَوْذانِ ، تنشره الصَّبا خَضِلاً ، وتطويه كطي الرفرفِ

وَثوَى الربيعُ بها ، فليس يُقِلُّه عنها تَئيجُ سَمومٍ قيظٍ مُصْيفِ

(١) ديوان البحتري ١/٤٤٠ .
(٢) ديوان أبي تمام ٢/٣٩٤ ـ ٣٩٦ .

ولست أدري ما موقعُ هـذا المدح من نفس محمد بن عبد الملك الزيات الممدوح بهذه الأبيات . على أننا نرى في الأبيات وصفاً جديداً للديار ، إذ يصف الشاعر نباتها وزينتها في الربيع . وهو أثر من آثار المصر والبيئة ، يستعيره أبو تمام من وصف الحدائق والبساتين لوصف الديار وأطلالها . وإلا فالقدماء لم يصفوا الديار إلا بالعفاء والخراب والخلاء من مظاهر الحياة .

وقال أبو تمام أيضاً في وصف الديار وطلولها :

تطل الطلول الدمع في كل منزل وتمثل بالصبر الديار المواثـــلُ

دوارس لم يجف الربيعُ ربوعَها ولا مرَّ في أغفالها وهو غافل

فقد سحبت فيها السحاب ذيولها وقـد أخملت بالنَّوْر فيها الخمائل

ليـــالي أضلت العزاء وخزلت بعقلك أرآم الخدور العقـــائل

وليس همُّ أبي تمام هاهنا في وصف الديار وبقاياها ، كما نرى ، وإنما همه في التجنيس وإحكامه في كل بيت من هذه الأبيات . ونرى في الأبيات مع ذلك ميلاً إلى وصف الديار هذا الوصف المبتكر الذي بيناه آنفاً ، وهو وصف أثر الربيع وأمطاره في نباتها وزخرفها .

وقصارى القول في هذا : إننا حين نقرأ شعر أبي تمام والبحتري في الوقوف على الأطلال نجد هذا الشعر قد فقد عندهما أشياء كثيرة من عناصره المقومة له ، وذاب في الغزل المزيج الذي أحدثه هذان الشاعران ، فأضاع استقلاله ، وأصبح بذلك معنى من معاني شعر الغزل ، بعد أن كان نوعاً من أنواعه ، أو مقدمة له تؤدي إليه ، وبعد أن كان الشاعر يبدأ به دائماً حين افتتاح القصيدة .

لقد صار الشعراء المحدثون ، وهم من أهل الحضر ، يذكرون الديار مجازاً ، لاحقيقة وعياناً .

* * *

وبعد فنستطيع الآن ، في نتيجة هذا العرض السريع ، أن نجمل المراحل الكبرى في تطور شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية حتى نهاية القرن الثالث . فقد كانت المرحلة الأولى في شعر الغزلين البداة في القرن الأول ، وذلك باهتمام هؤلاء الشعراء بالحالة النفسية ، ووضعها في المرتبة الأولى بين معاني شعر الوقوف على الأطلال . وكانت المرحلة الثانية في شعر جرير ، في القرن الأول أيضاً ، حين حاول بطريقته مزج شعر الوقوف على الأطلال بشعر الغزل . ثم كانت المرحلة الأخيرة في شعر أبي تمام والبحتري وأضرابهما من شعراء القرن الثالث المحدثين حين امتزج شعر الوقوف على الأطلال عندهم بشعر الغزل ، وذاب فيه ، وأصبح معنى من معانيه ، بعد أن كان نوعاً من أنواعه قائماً بنفسه في أول القصيدة .

الدكتور عزة حسن

❋❋❋

المعلم بطرس البستاني

حقائق جديدة عنه وبعض رسائله التي لم تنشر

وقفنا أثناء التنقيب في سجلات الجمعيات التبشيرية الأمريكية على حقائق عن المعلم بطرس لم يذكرها من ترجم له في اللغة العربية أو في اللغات الأخرى ، واكتشفنا في مكتبة جامعة هارفارد نحو عشرين رسالة كتبها المعلم بطرس إلى المبشر القس عالي سمث [1] الأمريكي ، تميط إحداها اللثام عن أول جمعية أدبية أسست في بيروت ، وتشرح أخرى مشروع قاموس عربي جديد ، وتتناول غيرها من الرسائل مسألة ترجمة التوراة إلى اللغة العربية وشؤون التعليم والكتب المدرسية والأدبية وغير ذلك من الأمور المهمة . ومقالنا هذا مقصور على إظهار ما هو مجهول من هذه الحقائق ، ونشر بعض الرسائل التي لم تنشر قبلاً توضيحاً لذلك كله . وسنُبقي نصّ ما نقتبسه كلياً أو جزئياً على صورته الأصلية ، بما فيه من الأغلاط اللغوية والإملائية ومن الركاكة والألفاظ العامية .

استخدم المبشرون الأمريكان منذ أول إقامتهم في بيروت بعض شبان النصارى العرب ليعلموهم اللغة العربية ، كما استخدموهم في التعليم والترجمة . وكان ذلك من وسائل المبشرين لاجتذاب الشبان إلى مذهبهم البروتستنتي . وأول من اجتذبوه بهذه الوسائل أسعد الشدياق الماروني المذهب ، بعد أن علّم أحدهم العربية وترجم له رسالة تُهاجم المذهب الكاثوليكي وتُحسّن البروتسنتي عنوانها « وداع يونس كين إلى (كذا) أحبابه في فلسطين وسورية » .

---

(1) Eli Smith

ويونس كين [1] هذا هو أحد أفراد الفوج الأول من المبشرين الأمريكان في سورية .

أما صلة المعلم بطرس بهم فبدأت في سنة ١٨٤٠ م وهو في الحادية والعشرين من عمره . فعلَّم سمث العربية وتعلم منه الإنكليزية ، وفي الوقت نفسه اشتغل معلماً في مدرسة عبيّة التابعة للمبشرين ، وساعدهم في ترجمة بعض كتبهم . ومن هذه كتيب ألفه سمث في شرح المذهب البروتستنتي ، فترجمه المعلم بطرس بعنوان « الباب المفتوح في أعمال الروح » ، وطبع في بيروت سنة ١٨٤٣ . وبهذه الطريقة استُدْرِج المعلم بطرس حتى اعتنق المذهب البروتستنتي ، فعلَتْ مكانته عند الأمريكان حتى أن رئيسهم القادم من أمريكا للتفتيش أوصى به ليكون واعظاً وقساً .

وأحب المعلمُ بطرس سمث ، واعتبره بمثابة أستاذ أو أب ، وأعرب عن احترامه وحبه في عدد من الرسائل كتبها لما كان سمث غائباً في أمريكا . ورضي المبشرون عن المعلم بطرس واعتبروا قبوله مذهبهم من علامات نجاحهم . وأظهر هو إخلاصاً لهم في الخدمة ، وأكّد ذلك بتعلقه بمذهبه الجديد ، كما هو ظاهر من كتاب أرسله إبان الفتنة التي حدثت سنة ١٨٤٥ فأصابت مسقط رأسه قرية الدبيّة كما أصابت أهله ، قال : « الشايع أن أحوال وادي التيم كأحوال هذا الجبل فان نصارتها ودروزها قايمين على بعضهم ... إن الدبيّة قد أحترقت كلها وأنا حزين من أجل والدتي وأخي كنعان ... فلو قدرت أن تنظر إلى هذه البلاد من حيث أنت الآن لرأيتها تغيرت جداً ورأيت أنها مشرفة على الخراب التام ، الرب ينظر إلى الأحوال ويصلحها إلى ما يؤول إلى مجد اسمه . وأنا عندما أرى هذا التغيير في الحكم والأهالي أترجى أنه ربما يكون عقيب ذلك فتح باب لدخول الإنجيل في هذه البلاد ... »

(1) Yonas King

وأشار المعلم بطرس إلى الفتنة مرة أخرى في كتاب أرسله بعد نحو شهرين ، أظهر فيه حياداً نادراً في تلك الأيام ، وبلّغ سمث أن مساعي المبشرين في حاصبيا لم تذهب سدى ، رغماً عما أصاب البروتستانت فيها من التلف ، قال : « ... نحن نعلم أن هذه المرة كان الافترآء من النصارى لأن الدروز في ابتدآء الأمر لم تكن لهم إرادة في الحرب ولأجل عتو النصارى وجبرهم وإرادتهم الخبيثة أن يبيدوا الدروز واتـكالهم على سيفهم وترسهم وعدم مسكهم جانب الدولة ... قد حصل لهم هذا الدمار والخراب ... وأنا أظن أن إرادة الله في ذلك أن يقاص عتوّ الذين اجتهدوا في أن يقاوموه بمقاومتهم لـكلامه ، ويفتح الباب باتساع للتبشير بالإنجيل ويعجل الوقت الذي فيـه تبطل العبادات الـكاذبة ... أنا أصلي [في بحمدون] عصر كل أحد وعشية كل أربعآء ، وأفسّر جزءاً من إنجيل يوحنا يوم الأحد بعد العصـــر لبعض من الأنفار ... »

طال غياب سمث في أمريـكا واستمر المعلم بطرس يـكتب له مفصّلاً أخبار البلاد السياسية ، شارحاً أعمال المبشرين في القرى المجاورة لبيروت ، ذاكراً دوره في مساعدتهم ، مبيناً النشاط الأدبي بين معتنق المذهب البروتستنتي في بيروت . ولعل كتابه المؤرخ في العاشر من كانون الثاني سنة ١٨٤٦ هو أهم كتبه ، لأنه يذكر تفصيلاً تأسيس جمعية أدبية في بيروت كان المعلم بطرس أمينها . قال :

« ثم أخبر جنابك أننا قد رتبنا مجمع (كذا) في بيروت وسميناه مجمع التهذيب وجعلنا له بعض رسوم لا بد منها لحفظه . وعدد أعضائه الآن أربعة عشر عضواً . ونتداول فيه عن موضوعات شتى ، وصرنا مجتمعين أربع مرات . والترتيب هو أن رئيس المجمع ينتخب موضوعاً مناسباً والـكاتب يدونه في دفتر المجمع ، وكل واحد من الأعضاء يـكتب شيئاً عن الموضوع ، ووقت

الاجتماع يقرأ ما كتبه ، وإذا وجد على قوله اعتراض فعليه أن يجاوب وعند نهاية القراءة يقوم من يكون قد انتخبه الريس للخطبة فيخطب . وموضوع الاجتماع الأخير كان : هل يجوز اقتناء العبيد ؟ وكان الحكم عند جميع أعضاء مجمعنا أنه ينافي لهذا القانون وهو مهما تريدوا أن يفعله الناس بكم إلى آخره وقدموا براهين كثيرة لعدم جوازه . وموضوع الاجتماع للجمعية القادمة يجب أن يكون جواباً لما قاله الجاهل في قلبه ليس إله .

« وأعضاء المجمع هم ناصيف اليازجي ، الحكيم دي فورست [1] ، الحكيم فنديك [2] ، طنوس الحداد ، طنوس صابونجي ، إلياس فواز ، ملحم شبلي وأخـــوه [لا يذكر اسمه] ، يوحنا ورتبات ، ديمتري فيلبس ، اسكندر ابـكاريوس ، كركور ورتبات ، بطرس البستاني . وأصحاب الوظايف ريس ونايبه ، وكاتب ونايبه ، وثلاثة أركان . وقوانين المجمع الكلية هي ما يأتي : (١) اسم هذا المجمع : مجمع التهذيب (٢) غايته تهذيب العقل واستجلاب الفوايد وقد وضعنا له الرسوم المشروحة أدناه . . » يلاحظ أن المعلم بطرس نسي ذكر اسم العضو الرابع عشر . ثم يذكر المعلم بطرس قوانين المجمع ، ويختم رسالته بما يرضي سمث فيقول « ولي رجاء أنه يحصل إفادة من هذا المجمع تؤول إلى خير الانجيل » فإذا نظرنا في أسماء الأعضاء لم نجد بينهم غـير بروتستنتي إلا الشيخ ناصيف اليـازجي . أما الحكيمان المذكوران فأحدهما كرنيليوس فنديك المشهور وثانيهما طبيب من الأرمن في سورية ، وقد تعلم الطب فأصبح بعدئذٍ أستاذاً في الكلية السورية الإنجيلية ، وألف كتباً في الطب باللغة العربية منها « التوضيح في أصول التشريح » و « مختصر في أعضـاء الجسد البشري ووظائفها » .

(1) Dr. Henry de Forest
(2) Dr. Cornelivs Van Dyck

وقد التبس أمر هذه الجمعية على أنطونيوس [١] ، فلم يسمها باسمها الحقيقي ، وغلط في تاريخ تأسيسها ، وخلط في أسماء أعضائها ، وجعل للأمريكان نصيباً في تأسيسها أكثر بكثير مما كان لهم . وعذره أنه لم يطلع على كتاب المعلم بطرس الذي اكتشفناه مع ما فيه من التفاصيل التي لا تترك مجالاً للشك في دقتها ، لأن الكتاب كُتب بعد أيام من تأسيس الجمعية . وبعد أن عاد سمث من أمريكا أرسل بياناً عن جمعية بيروت إلى مجلة الجمعية الألمانية للمستشرقين [٢] ، وفي هذا البيان ظهرت كلمة « محفل » مكان « مجمع » ، ولكن الغرض ظل واحداً . فالمحفل كان هيئة سورية « لاكتساب العلوم والفنون » دون تعرض للأمور السياسية والدينية ، والمهم أن البيان يؤكد ما ذهبنا إليه من أن السوريين لا الأمريكان كانوا البادئين .

وظل سمث يشجع المعلم بطرس ويسهل له سبل التقدم . وحدث أن تزوج المعلم إحدى تلميذات مدرسة البنات التابعة للمبشرين . وكانت هذه المدرسة تحت رعاية زوجة سمث ، والتلميذة المذكورة تدربت على تدبير شؤون المنزل على يدها . وفي هذه الأثناء أخذ سمث نفسه يساعد المعلم بطرس في ترجمة كتاب مدرسي في الحساب وضعه سمث للاستعمال في مدارس المبشرين ، وقد نشر هذا الكتاب في بيروت في سنة ١٨٤٨ بعنوان « كتاب كشف الحجاب في علم الحساب » . ثم وسَّع المعلم بطرس بعض أبوابه ونشرها كتاباً آخر بعد ثلاث سنوات بعنوان « كتاب روضة التاجر في مسك الدفاتر » .

يظهر مما تقدم أن أول ما نشره المعلم بطرس من الكتب كان مدرسياً أو دينياً مترجماً لا ابتكار فيه . وخطوته الثانية في التأليف كانت أيضاً لا ابتكار فيها ، ونشر في سنة ١٨٥٤ « مصباح الطالب في بحث المطالب » ،

(1) Areb Awakening , p. 51
(2) Z. D. M. G. (1848) , p. 379

وهو اصطناع لكتاب كان كثير التداول في المدارس النصرانية في سورية ، ألّفه المطران جبريل فرحات الحلبي الماروني في صرف اللغة العربية ونحوها وطبع في مالطا سنة ١٨٣٦ تحت عنوان « بحث المطالب في علم العربية » .

لا شك أن ممارسة التعليم والترجمة قد أفادت المعلم بطرس كما أفادت الأمريكان . ففي سنة ١٨٤٧ قرر هؤلاء البدء بترجمة التوراة إلى اللغة العربية ترجمة جديدة ، ووكلوا ذلك إلى سمث ، ووظّفوا له مساعدَيْن الشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني (١) . وفي السنة نفسها عقد معتنقو المذهب البروتستنتي من العرب اجتماعاً في عبيه تحت رئاسة المعلم بطرس قرروا فيه إنشاء كنيسة وطنية مستقلة عن الأمريكان . فلما أحجم هؤلاء عن الاعتراف بهذا الاستقلال المطلوب نشأ توتّر بين الطرفين آثاره واضحة في كتب المعلم بطرس حتى في تلك التي تبحث ترجمة التوراة .

أعدّ سمث نفسه لهذا المشروع مدة لا تقل عن عشر سنوات أتقن فيها اللغة العربية حتى صار قادراً على الكتابة فيها كأحد أدبائها في عصره ، كما هو ثابت من كتبه التي اكتشفناها ونأمل نشر المهم منها عن قريب . واستعد سمث للترجمة بجمع القواميس وكتب قواعد اللغة وغير ذلك من المراجع في مختلف اللغات . وساعده في ذلك كل من الشيخ ناصيف والمعلم بطرس مساعدة كبيرة . جاء في كتاب من الأخير مؤرخ في ٢٠ آب ١٨٤٧ قوله :

« بعد لثم يديكم ... من خصوص الكلام عن القواميس واصل طيه ... ومن يمّ الغراماتيقات فالمشهور منها معروف عند أهل أوروبا كابن العبري المختصر والمطول ، والشدراوي والإبراهيمي واليوسفي . ولا يوجد سوى اثنين غير هؤلاء وهما غراماتيق القس بطرس الثولاوي ، وغراماتيق الخوري

(١) فصلنا دور كل من الثلاثة في مقال عن « الشيخ ناصيف اليازجي » نُشر في الجزء الثاني من المجلد الثالث والأربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٦٨) ، ص ٣٢٦ .

طانيوس شهوان . فالأول قليل الوجود وأما الثاني فهو كثير الوجود وهو أول كتاب كان يدرس فيه الأولاد في المدارس من هذه اللغة . وقد صححه الخوري ارمانيوس الفاخوري وهذبه في العربية وأحسن ترتيبه حتى صار كأنه كتاب جديد ينسب إليه ، والآن يستعملونه في المدارس دون الأول المعروف بالشهواني ... »

ولم تكن ترجمة التوراة على توفر الوسائل هينة ، ولم يكن سيرها سريعاً ، إذ حرص سمث على استشارة زملائه في بيروت وبعض علماء النصارى في سورية وعدد من علماء الدين في أوروبا وأمريكا ، وظل يراجع وينقّح أثناء الترجمة دون انقطاع . والذي يراجع كتب المعلم بطرس إليه بعد البدء في الترجمة يلاحظ في بعضها آثار التوتّر بين أعضاء الكنيسة الوطنية وأصدقائهم من الأمريكان ، حتى كاد ذلك يؤثر على ما كان بين سمث والمعلم بطرس من المودة . جاء في كتاب من الثاني إلى الأول :

« بموجب طلب جنابكم أرسلنا ناقله مخصوص (كذا) لكي يوصل الكراس الواصل من [سفر] التكوين ... نرجو أن لا تتكلوا علينا في الوعظ يوم الأحد في كفرشيما وبيروت ... ثم إذا كان عندكم وقت ولكم إرادة أن تفيدونا بكلام واضح وعبارات مفصلة عن الأسباب التي جعلتكم تجاوبوا الكنيسة [الوطنية] جواباً سلبياً ... »

لم نقف على جواب سمث ، ولكننا نعلم من تاريخ التبشير الأمريكي في سورية أن قضية استقلال الكنيسة الوطنية لم تحل حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وكان ذلك أحد الأسباب التي دفعت المعلم بطرس إلى مشاريع جديدة لا علاقة لها بالأمريكان . ومن أول هذه المشاريع تأليف قاموس عربي حديث . وهذه صورة جزء من كتاب مؤرخ في ١٨ تموز ١٨٥٥ يمكن اعتباره أصل « محيط المحيط » وأمام هذا الكلام صورة شمسية للكتاب بكامله :

« جناب سيدي الجليل المحترم

غب لثم يديكم وسوآل شريف خاطركم أعرض أنني سابقاً تكلمت مع جنابكم عن طبع قاموس عربي مختصر لفايدة المدارس والعموم بعصروفي على ترتيب القواميس الإفرنجية في نسق الكلمات يكون سهل المأخذ للخاص والعام حيث لا تخفى جنابكم صعوبة مأخذ القواميس العربية الدارجة من جملة أوجه . والآن بادرت برقه لأخذ رأي جنابكم في مناسبة هذا العمل ، وإذا كان يوجد مانع لطبعه إذا صار اتفاق بيني وبين مدير المطبعة [الأمريكية في بيروت] على كلفته . وإذا أردتم أن يكون طبع ذلك بمشاركة المطبعة على أن يكون مصروفه ونالجه مناصفة بيننا فلا مانع عندي . وأظن أننا نقدر أن نتفق على عمل طريقة عادلة لا يكون فيها مندوورية على أحد الفريقين . أرجو أن تكرموا بالجواب لأكون على بصيرة لأنه إذا تم الرأي على ذلك أسعى حالاً في جمع الكتب اللازمة لهذا العمل وأباشره في هذه الصيفية ... ودمتم لمستمد دعاكم ولدكم بطرس البستاني سنة ١٨٥٥ في ١٨ تموز سوق الغرب »

لم يتم الاتفاق المقترح على المطبعة الأمريكية ، ومضى زمن لا يقل عن عشر سنوات قبل ظهور القاموس . وفي تلك الأثناء مات سمث ، فاستغنى الأمريكان عن مساعدة المعلم بطرس في ترجمة التوراة عندما استأنفوا العمل تحت رئاسة فنديك وبمساعدة الشيخ يوسف الأسير . فأخذ المعلم بطرس يعمل مستقلاً في ميادين التأليف والنشر والخطابة والتعليم ، مع أنه لم يستطع بعدُ أن يحرّر لغته من بعض الركاكة والاصطلاحات العامية ، والأغلاط النحوية ، وأثر الترجمة من اللغة الإنكليزية .

ليس غرضنا أن نحصي كل آثاره وأعماله ، بل الإشارة إلى ما هو جديد عنها ووجه أهميته . جاء في مقدمة كتاب « مصباح الطالب » المذكور أعلاه « أن المقصود منه نفع أولاد المسيحيين » . ولكن المعلم بطرس بدأ تلك المقدمة كما لو كان مسلماً ، فقال في أول سطر : « الحمد لله العلي الأكرم ، الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان مالم يعلم . » وهذا يدل على روح الإخاء الوطني التي بدأت تتصف بها آثاره .

ومن علامات استقلاله عن الأمريكان ، وجرأته في قول الحق ، نشره « قصة أسعد الشدياق » ، وهي كما يقول مستقاة من مصادر مارونية وطنية . والقصة في روحها ومادّتها تخالف ما نشره الأمريكان قبل ثلاثين سنة . وأقدم نص وقفنا عليه لهذه القصة طبع في مالطا سنة ١٨٣٣ بعنوان « خبرية أسعد الشدياق » . فنشر نص مغاير له قد يعتبر ثورة على المبشرين وتحدياً لأقوالهم .

ومع هذا فمؤلفات المعلم في هذا الدور لا تدل دلالة واضحة على الابتكار . خذ مثلاً « كتاب التحفة البستانية في الأسفار الكروزية » ، فهو ترجمة رحلة روبنسون كروزو [١] التي كانت معروفة ، إذ ظهرت ترجمتها إلى العربية

(1) Rabinson Crusoe

لأول مرة على ما نعلم في سنة ١٨٣٥ ، مطبوعة في مالطا دون ذكر اسم مترجمها . أما نشر « ديوان أبي الطيب المتنبي » فكان جرأة من المعلم بطرس لأنه لم يمارس الشعر أو درسه ، وذلك ثابت من موقف الشيخ ناصيف اليازجي الذي اهتم اهتماماً خاصاً بالديوان وشرحه ولم ينته من ذلك طول حياته ، فأكمله بعده ابنه الشيخ خليل . لكن لا جدال في فائدة كتاب مدرسي في أصول الصرف والنحو أخرجه المعلم بطرس بعنوان « مفتاح المصباح » وهو تبسيط لكتاب « مصباح الطالب » . وفي آخر هذا الكتاب المدرسي ورد إعلان بأن المؤلف كان حينئذٍ مشغولاً بتأليف قاموس عربي « لم يُنسج على منواله . »

تألفت في أوائل سنة ١٨٦٠ في بيروت « شركة » رئيسها حسين بيهم وأمين سرها بطرس البستاني ، وكان من أعضائها حسين أبو النصر وسليم بسترس وسعد حمادة وخليل الخوري . وقد أطلق عليها اسم « العمدة الأدبية لإشهار الكتب العربية » . والمهم في هذه الجمعية أن أعضاءها من مختلف الطوائف ، أجمعوا على غرض واحد وهو خدمة آداب اللغة العربية بنشر كتبها .

كان المعلم بطرس من العاملين في هذه الجمعية كما كان في أول جمعية أسست في بيروت ، ونشاطه في هذا الميدان كنشاطه في ميدان الخطابة واضح لكل باحث . ومن خطبه ثلاث تستحق الذكر هنا ، إحداها تتناول تعليم المرأة والثانية آداب اللغة العربية والثالثة مقارنة بين العادات العربية والإفرنجية . وفيها كلها نادى المعلم بطرس بضرورة المزيد من المدارس والمطابع والصحف . وقال في الخطبة الثانية « إن هلال الآداب الذي وُلد في أواسط الجيل التاسع عشر سيصير بدراً » .

تدل أعمال المعلم بطرس على حبه للوطن السوري ، وتسامحه الديني ، وترفعه عن الطائفية . وظهرت هذه المزايا واضحة أثناء محنة سنه ١٨٦٠ ،

عندما نشر ما تعارف الكتاب على تسميته جريدة مع أنه لم يكن كذلك . والمقصود هو « نفير سورية » الذي نشر إحدى عشرة مرة ، دون انتظام ، بين أيلول ١٨٦٠ ونيسان ١٨٦١ ، وكل مرة ظهر النفير على صفحة واحدة مطبوعة دون إمضاء . وهذه صورة مقتطفة من النفير الأول الذي ظهر في ٢٩ إيلول سنة ١٨٦٠ :

« يا أبناء الوطن . الفظايع والمنكرات التي ارتكبها أشقياؤنا هذه السنة في ظرف مدة قصيرة وصلت أخبارها إلى أطراف المسكونة .. يا أبناء الوطن . إنكم تشربون ماءاً واحداً وتشمون هواءاً واحداً ولغتكم التي تتكلمون بها وأرضكم التي تطأونها وهواءكم وعاداتكم فهي واحدة . فإذا كنتم لا تزالون إلى الآن سكارى من شرب دم إخوتكم في الوطن أو طايشين من عظم المصايب عليكم فلا بد من أنكم عن قليل تستفيقون من هذه الغفلة ، وتدركون معنى هذه النصايح وصالحكم العمومي فهذا ما قصدت أن أخاطبكم به الآن ، ولي أمل أن أداوم الكتابة إليكم وأسأل الله أن يرشدكم إلى معرفة صالحكم وخير بلادكم ، ويحرك قلوبكم إلى اعتبار نصوص ومبادي الديانة التي أنتم متدينون بها ، وأدام الله بقاكم . من محب الوطن . م »

حب الوطن هو فكرة نشأت في العالم العربي تدريجياً ، وأظهرها كُتّاب كان في أوائلهم رفاعة الطهطاوي ، فالمعلم بطرس كان في هذا الباب متبعاً لا مبتدعاً . ومعنى الوطنية عنده كما يبدو في أعماله وأقواله يشمل الولاء لمُلك آل عثمان والابتعاد عن الطائفية والاهتمام بنشر المعارف . ومن علامات هذا الولاء أنه أهدى كتابه في مبادئ صرف اللغة العربية ونحوها إلى الصدر الأعظم فؤاد باشا الذي كان مندوباً فوق العادة في سورية سنة ١٨٦٠ . قال في مقدمة هذا الكتاب إنه كُتب « في خلافة جلالة ملكنا الأعظم سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان عبد العزيز خان ، شيد الله أركان دولته بالعز والإقبال ، وأدام شوكته واقتداره وخلّد صولته وانتصاره ... »

لم يكن هذا كلام متملق طامع في رضى ذوي الشأن ، بل هو كلام مؤمن ببناء الوطنية السورية على أساس الإصلاحات (التنظيمات) العثمانية وخاصة ما كان منها متعلقاً بنشر المعارف . واشترك المعلم بطرس نفسه في ذلك بتأسيس « المدرسة الوطنية » في بيروت سنة ١٨٦٣ ، فكانت خطوة أولى في الابتعاد عن الطائفية في المدارس ، إذ لا يخفى أن الغرض الرئيسي من مدارس الأمريكان كان تعليم المذهب البروتستنتي ، ومثل ذلك يقال عن غيرها من المدارس الأجنبية ، التي كانت قائمة على نشر مذهب مؤسسيها ، كاثوليكياً كان أو بروتستنتياً أو غير ذلك . والمشهور ان بهذه الطرق كان كثير من الطلاب يهجرون مذاهب آبائهم إلى مذاهب أخرى .

أما المدارس النصرانية الأهلية فكانت كل منها خاصة بأبناء الطائفة المؤسِّسة أو المشرفة ، وكذلك كانت المدارس الإسلامية الأهلية خاصة بأبناء المسلمين . فالمدارس في سورية كانت دينية أو مذهبية أو أجنبية لا رابطة بين الواحدة والأخرى ، ولا مدرسة عليا يرتقي إليها أبناء مختلف الطوائف فتؤلف بين عقولهم وقلوبهم . ولم يتيسر ذلك حتى بعد تأسيس المدارس العثمانية النظامية ، فهذه كانت قانونياً مفتوحة لأبناء جميع الأديان والطوائف على السواء ، ولكن كثرة المدارس الأجنبية والطائفية جعلت أبناء النصارى لا يقبلون على المدارس النظامية .

لم تكن مدرسة البستاني وطنية بمعنى أنها جمعت أبناء الطوائف النصرانية وأبناء المسلمين ، بل كانت وطنية بمعنى أنها جمعت بين أبناء الطوائف النصرانية فقط ، ولم يكن من أغراضها التعرض لمذاهبهم المختلفة ، بل اهتمت بتثبيت طلابها في مذاهبهم فجعلت ترسل أبناء كل طائفة إلى كنيستهم للصلاة تحت إشراف أحد المعلمين . وهذا معنى قول المعلم بطرس ان المدرسة « أسست

على مبادىء وطنية » . وأهم هذه المبادىء كان الاهتمام الخاص باللغة العربية تعلماً وتكلماً .

ولهذه المدرسة قصة تثبت استقلال صاحبها عن الأمريكان واستبعاده للطائفية وحرصه على خدمة التعليم خارج نطاق التبشير ، إذ لمّا فتح الأمريكان الكلية السورية الإنجيلية (المعروفة الآن بالجامعة الأمريكية في بيروت) استأجروا قسماً من دار المعلم بطرس مقراً لها ولطلابها الذين كان عددهم في أول سنة ستة عشر فقط . وتمّ الاتفاق أيضاً على أن تصبح المدرسة دائرة استعدادية للكلية ، ولكن هذا الاتفاق لم يدم أكثر من ثلاث سنوات . وغالب الظن أن سبب الاختلاف كان دينياً ، فالكلية كانت تبشيرية تحتّم على جميع الطلاب حضور صلاة البروتستانت تمهيداً لتغيير مذهبهم ، والمدرسة كانت وطنية لا طائفية كما ذكرنا .

أظهر بحثنا حتى هذه النقطة ، من جملة ما أظهره ، أن المعلم بطرس كان جريئاً عندما مال إلى المبشرين ومذهبهم ، كما كان جريئاً عندما ثار على أساليبهم في التعليم بل تحداها فعلاً إن لم يكن قولاً . وأظهر بحثنا أيضاً أن المعلم على اجتهاده وكثرة آثاره ظل في الغالب متبعاً لا مبتدعاً . وهذا واضح في قاموس « محيط المحيط » الذي وصفه مؤلفه بأنه لم يُنسج على منواله . » فالحقيقة أن هذا القاموس نُسِجَ على منوالٍ آخرَ ألفه جبريل فرحات وطبع في مرسيليا سنة ١٨٤٩ بعنوان « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » ، ومقدمة هذا الكتاب تذكر أنه كان اختصاراً وتبسيطاً لقاموس الفيروزآبادي ، وعنوانه بالفرنسية (١) لا يترك مجالاً للشك في موضوعه .

وهذا بالضبط هو ما أخرجه المعلم بطرس بعد نحو عشرين سنة ، كما هو واضح من مقدمة الطبعة الأولى من محيط المحيط . التي تقول أنه مبني على الفيروزابادي . أما الإعلانات من القاموس وطبعاته الأخرى فتذكر أيضاً

(1) Dictionnaire Arabe

صِحَاح الجوهري وشواهد من القرآن والحديث والشعر والمثل. فالجديد في قاموس المعلم بطرس هو ليس اصطناع الأسلوب الافرنجي في ترتيب الكلمات، بل هو أولاً إدخال عدد من الاصطلاحات الجديدة في العلوم والفنون، وثانياً كما قال مؤلفه: «تنازلت إلى ذكر كثير من كلام المولدين وألفاظ العامة منبهاً في أماكنها على أنها خارجة عن أصل اللغة» ولكن ذلك لم يعصم المعلم بطرس من النقد في الشرق وفي الغرب. أما في الشرق فأكثر النقد كان موجهاً إلى لغته لا إلى قاموسه، وأما في الغرب فلعل أول من نقده كان المستشرق دوزي في قاموسه المعروف[1].

لم يطبع قاموس محيط المحيط كله في المطبعة الأمريكية كما كانت النية، بل طبع قسم منه فيها وطُبع الآخر في مطبعة جديدة وهي مطبعة المعارف التي أسسها المعلم بطرس بالاشتراك مع خليل سركيس في سنة ١٨٦٧. واستمرت الشركة سبع سنوات، استقل بعدها سركيس بتأسيس المطبعة الأدبية. وظلت مطبعة المعارف تحت إشراف المعلم بطرس تطبع كتبه وخطبه ومجلاته ودائرة المعارف التي أخذ يصدرها جزءاً جزءاً.

لا حاجة إلى إعادة ما هو معروف عن هذه المطبوعات، ولكن لا غنى عن كلمة تبين حقيقة مكانتها في حركة نشر المعارف ونصيب مؤلفها من التمكن من اللغة العربية التي أحبها وحاول جهده خدمتها، وتمهيداً لذلك نبين بمزيد من الإيضاح خدمة المعلم بطرس في تأسيس الجمعيات الأدبية. ذكرنا فيما سبق أنه كان عاملاً في تأسيس أول جمعية أدبية في سنة ١٨٤٦ وهي مجمع (أو محفل) التهذيب، وذكرنا أنه كان كذلك عاملاً في تأسيس العمدة الأدبية لإشهار الكتب العربية في سنة ١٨٦٠. ونضيف إلى ذلك أنه كان

(1) Supplément aux dictionnaires arabes (Leiden, 1881) p. XI

أمين سر الجمعية العلمية السورية التي اشتهرت أكثر مما سبقها أو عاصرها من الجمعيات .

ولكننا نزعم أن هذه الجمعية لم تكن حركة مستقلة عما سبقها أو عاصرها من الجمعيات المماثلة . فإذا نظرنا في أغراض هذه الجمعيات وجدناها متقاربة جداً ، فكلها كانت أدبية لا تتعرض للأمور السياسية أو الدينية ، وهذا ثابتٌ أيضاً من سِيَر أعضائها ، فكلهم على اختلاف أديانهم وطوائفهم كانوا كالمعلم بطرس مخلصين للحكم العثماني راغبين في الاستفادة من العلوم والمعارف ونشرها في سورية . وهذا ثابتٌ من ثقة الحكومة العثمانية بالجمعية العلمية السورية وقبول بعض وزرائها عضوية فخرية في الجمعية .

لهذا نستبعد الرأي القائل أن الجمعية العلمية السورية كانت أول من أثار الشعور القومي العربي[1] . لا شك أن إحياء اللغة ونشر آدابها من أهم وسائل إحياء الشعور القومي العربي ، ولكن ذلك لم يكن حينئذٍ سياسياً ، بل كان مقصوداً أن يكون ضمن النطاق العثماني لا خارجه . قال المعلم بطرس مقدماً قاموس محيط المحيط ، هو خدمة جزئية من محب للوطن ، أجلّ مرغوباته ومقاصده أن يرى أبناء وطنه يتقدمون في الآداب والمعارف والتمدن تحت لغتهم الشريفة ... »

وعلى هذا ما هي قيمة ما أصدره المعلم بطرس من المؤلفات في أوج نضوجه الثقافي ؟ أهم مؤلفات هذا الدور كانت بلا شك مجلة الجنان ودائرة المعارف ، بدأ المعلم بإصدار المجلة في مطبعة المعارف مرة كل أسبوعين في سنة ١٨٧٠ ، ونادى على صفحة العنوان بضرورة « وجود عدة كازتات

(١) فصلنا ذلك في مقال « نصوص وحقائق لم تنشر عن أصل النهضة العربية في سورية » نشر في الجزء الرابع من المجلد الثاني والأربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٦٨) ، ص ٧٨٤ — ٧٨٦ .

في اللغة العربية لأجل نشر الأخبار والماجريات الداخلية والخارجية ، ولم تزل لغتنا معدومة واسطة من الوسايط الكبرى لنشر المعارف العمومية من علمية وأدبية وتاريخية وصناعية وتجارية ومدنية ... [لأجل] إحياء اللغة وتحسينها ... » فالجنان على هذا مجلة وجريدة في آن واحد ، استقى صاحبها معظم مادتها من مصادر أجنبية « مع الملاءمة » .

أما دائرة المعارف فكان غرضها كغرض أمثالها في اللغات الأجنبية ، ولكن المعلم بطرس لم يكتف في تأليفها بالترجمة ، بل راجع المصادر العربية ولخّص وبسّط ما احتاجه من مادتها ، ولازم حيث استدعى المقام بين ما أخذه من مصادر عربية وما ترجمه عن اللغات الأجنبية . وصدر الجزء الأول من الدائرة في سنة ١٨٧٦ « لكل الملل والمذاهب ... [خالياً من] كل ما هو من قبيل الخلاعة وما يمجه السمع أو يخل بالآداب » .

لا شك أن المجلة والدائرة كان لهما فضل في حركة « التنوير » ونشر المعرفة العامة بين الطبقة القارئة في البلاد السورية وغيرها من البلاد العربية . ولكن لا شك أن لغة المعلم بطرس ظلت غير صالحة أن تتخذ مثالاً يُحتذى ، إذ لا جدال في أنها ظلت على الغالب ركيكة ، قليلة السلاسة بالإضافة إلى تهاون في النحو والاستعمال يُستغرب ممن عالج التأليف والترجمة أكثر من أربعين سنة . قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده : « ورد علينا في أخريات الأيام ضرب آخر من التعبير كان غريباً في بابه ، وهو ما جاءنا من الأقطار السورية في جريدتي الجنان والجنة المنشأتين بقلم المعلم بطرس البستاني . وهذا الضرب كان يُعد من غرائب الأساليب ، وبه أنشئت جريدة الأهرام في مصر . وقد مُحي أثره والحمد لله » (١) .

(١) السيد محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام ، ج ١ ، ص ١٢ .

بقي أن نُصحّح أغلاط بعض من ترجم للمعلم بطرس في اللغة العربية وغيرها . وأول مسألة تستحق التصحيح هي قول جرجي زيدان [١] وغيره أن المعلم بطرس تعلم اللغة الإنكليزية في مدرسة عين ورقة . والحقيقة أنه تعلمها في بيروت من المبشرين الأمريكان ، والمدرسة المذكورة لم تعلم الإنكليزية بل علمت العربية والسريانية واللاتينية والإيطالية . وسبب الغلط غالباً أن المعلم بطرس قد وُظّف في الجيش البريطاني الذي جاء في سنة ١٨٤٠ لمؤازرة الدولة العثمانية في إخراج إبراهيم باشا من سورية ، وكان ذلك لمدة قصيرة جداً قبل تعيين بطرس معلماً في مدرسة البنين التابعة للأمريكان في بيروت في خريف تلك السنة .

وثاني ما يستحق التصحيح هو قول زيدان إن المعلم بطرس ساعد فنديك على « إنشاء مدرسة عبيه » والصحيح أن هذه المدرسة لم تُنشأ في عبيه بل نقلت إليها من بيروت في سنة ١٨٤٦ ، وكان الإنشاء والنقل بقرار من هيئة المبشرين الأمريكان . ولم يكن فنديك بعد مشهوراً لأنه وصل إلى بيروت في سنة ١٨٤٠ وهي السنة التي عُيّن فيها البستاني معلماً في مدرسة المبشرين هذه . وتوثقت بين الاثنين صداقة بعد أن وُكل إليهما تعليم ثمانية من الطلاب الداخلين ، وهو عدد الطلاّب في عبيه عند إعادة فتحها في تلك القرية [٢] .

وثالث ما يجب تصحيحه هو قول يوسف إليان سركيس [٣] إن المعلم بطرس « أعان عالي سمث والدكتور فنديك في ترجمة التوراة » . والصحيح

(١) مشاهير الشرق ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
(٢) فصّلنا تاريخ هذه المدرسة في كتابنا الذي طبع في اكسفورد سنة ١٩٦٦ بعنوان American Interests in Syria 1800 — 1901
(٣) معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ص ٥٥٧ .

أن الذي أعان فنديك هو الشيخ يوسف الأسير لا المعلم بطرس . ووقع في الخطأ نفسه جورج غراف مؤلف تاريخ الأدب العـــربي النصراني [١] باللغة الألمانية .

ورابع الأغلاط الشائعة يتعلق بتاريخ تأسيس الجمعية العلميـة السورية وبحرمان المعلم بطرس من فضله في ذلك . قال زيدان [٢] إنهـــا أنشئت في سنة ١٨٤٧ « بمساعي المرسلين الأمريـكان » . وقال شيخـــو [٣] : في سنة ١٨٥٢ ولكنه لم يذكر الأمريـكان . فإذا اعتبرنا مجمع أو محفل التهذيب أصلاً لهذه الجمعية فقد تبين فيما سبق بناءً على نص كُتَيِّبَ بعد أيام من التأسيس ، أن ذلك كان في أول سنة ١٨٤٦ ، وأن المحرك الفعَّال كان المعلم بطرس ، وأنه لم يكن بين الأعضاء المؤسسين غير اثنين من الأمريـكان .

وخامس الأغلاط يُعطي المعلم بطرس أكثر من حقه . ومن المؤلفين الذين بالغوا في ذلك زيدان عندما قال « كان في عصره زعيم الحركة الأدبية من حيث المدارس والجمعيات والجرائد والمجلات واللغة والعلم والأدب » . وجاراه بعض من جاء بعده من المؤلفين ، ومنهم يوسف أسعد داغر [٤] الذي قال عن المعلم بطرس « كبير المهذّبين والمثقفين في العصر الحديث » . لا حاجة لبيان وجه الخطأ في هذا كله ، بل نكتفي بما يتعلق بالصحافة . يقول داغر إن المعلم بطرس كان « أول من اشتغل بها » . وهذا كلام لا يثبت عند التحقيق

---

(١) Georg Graf, Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur. IV.326

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ٧٩ .

(٣) الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، ج ١ ، ص ٧١ .

(٤) مصادر الدراسة الأدبية ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

حتى إذا اقتصر على سورية ولبنان. إذ بينا سابقاً أن « نفير سورية » لم يكن جريدة بالمعنى المعروف ، وإصدار مجلة « الجنان » جاء متأخراً ، فقد سبقه إصدار « حديقة الأخبار » في سنة ١٨٥٨ من المطبعة السورية لصاحبها خليل الخوري .

ظهرت « الجنان » في سنة ١٨٧٠ وعلى صفحتها الأولى هذا الشعار : « حب الوطن من الإيمان » . وظهرت جريدة « حرّيتْ » التركية في سنة ١٨٦٨ وعلى صفحتها الأولى الشعار نفسه ، فهل كان المعلم بطرس في هذا أيضاً متبعاً لا مبتدعاً ؟ .

عبد اللطيف الطيباوي

❋❋

اللهجات العامية والفصحى

لاخلاف بأن اللهجة العامية قد تكونت من اللغـة الأم ، وأنهـا قد استمدت معظمَ ألفاظها وتعابيرها منها . ومع هذا فإن العامية في أي قطر عربي تختلف عن مثيلاتها في الأقطار العربية الأخرى ، بل وإن اللهجات في المجموعة الواحدة تتنافر وتفترق وأنه من الصعوبة بمكان التقـاء هـذه اللهجات العامية المتعددة [1] وبخاصة العراقية والمغربية لتأثر الأولى بالفارسية والثانية بالبربرية .

---

(١) قسّم علماء اللغة اللهجات العربية إلى خمس مجموعات هي : الحجازية والمصرية والشامية والعراقية والمغربية ، ووجدوا أن المجموعتين : الحجازية والمصرية أقرب المجموعات إلى الفصحى لعدم اختلاط أبنائها بأقوام أعجمية .

ولنأخذ مثالاً على اختلاف اللهجات في المجموعة الواحدة جملة : (هذا هو أو ذاك هو) في مجموعة اللهجات الشامية :

كِيهْنيهْ : هاك هو هنا

كوُ : هاك هوُ

كُوَا : هاك هوَ

كُوَانيهْ : هاك هو هنا

لَيْك ـ لِيْكو ـ لِيْكوكِيهْ : لا ، هاك هو

أحّو : والأغلب أنها محرفة من : (أهو) المصرية وأصلها : (ها هو) .

شَحّو ـ شَحّوكيهْ : وهي تحريف (أحو) :

هَذاكَ : هذا هناك وهي أفصحهم .

ونتيجة لهذا نجد أبناء اللهجات العربية يتدرون فيما بينهم على الألفاظ الغريبة في محادثاتهم وقد يصل بهم الأمر إلى السخرية والتهكم ، وربما تبعه نفور، ثم ازواء . وهذا ما نأباه لأمتنا العربية التي بدأت طلائعها الواعية المثقفة تتطلع إلى وقت تلتحم فيه شعوبها كافة لتكون كياناً واحداً ودولةً واحدة .

على هذا نجـــد أن مهمة الأديب ليست إزالةَ الفوارق بين اللهجات ، وإنما التقريب بين اللهجة واللغة لينطبقا بعضها على بعض ويصبحا شيئاً واحداً ، وبذا تزول الفوارق وتمّحي الاختـلافات ويكون التفاهم الصحيح الكامل بين شعوب هذه الأمة .

هذا الاختلاف الحاصل بين مجموعات اللهجات ، بل بين لهجات المجموعة الواحدة يُردُّ إلى تباينٍ في البيئة والمناخ والجوار ، وإلى درجة اللقـاءات بين شعوب اللغة . وإلى مقدار اقتراب العامية من الفصحى أو ابتعادها عنها .

ففي الأصل كان أبناء اللغة الواحدة يعيشون في أرض واحدة ، ثم ضاق بهم المكان فارتحلوا طلباً للعيش وسعياً وراء الرزق ، وتفرقوا في أماكنَ متباينة متغايرة فيما بينها ، فتأثرت كل جماعة منهم بطبيعة المناخ ومتطلبـات البيئة وحكم المجاورة لأمم غريبة عنهم فالتوت ألسنتهم ليونـةً أو خشونةً واختلف نطقهم رقةً أو فخامةً ، وتصرفوا ببعض الكلمات لتتلاءم والبيئة الجديدة . وربما اشتدت بهم الحاجـة إلى استعارة ألفاظ من الجوار تسد النقص الذي أصاب لغتهم ، فتتكون بهذا اللهجة مبتعدة عن اللغـة الأم وعن اللهجة المجاورة ، ثم تلعب العزلة دورها الطبيعي فتُعمق هذا الابتعاد ، وتضخم الفروق وتبرز التناقضـات فيبتعد الفرع عن الأصل والفرع عن الفرع ، ثم تتحول اللهجات إلى لغات ، كما حدث للاتينية ـ في العصور الوسطى ـ عندما تحولت لهجاتها : الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية إلى لغاتٍ انفردت كلٌّ واحدةٍ منها بخصائصَ ومميزاتٍ خاصة .

وقد كانت العربية مهددة بمثل هذا المصير ، إذ أن لهجاتها المتعددة تعرضت لظروف أعتى وأقسى مما تعرضت له اللاتينية ، فقد انتشرت على مساحات واسعة من الأرض تفصل بينها على صحاري كبيرة مهلكة جعلت إمكانية السفر والاختلاط شاقة ومضنية ، فعاشت الشعوب العربية في عزلة تامة بعضها عن بعض ، أضف إلى هذا خضوعها ـ عدة قرون ـ لأمم أعجمية كانت تفرض عليها لسانها وثقافتها وقوميتها ، بالرغم من هذا فقد بقيت اللغة العربية واحدة وبقيت لهجاتها لهجات .

يفسر ميزة التماسك والخلود ـ هذه التي انفردت بها العربية دون سائر اللغات ـ وجودُ القرآن الكريم الذي كان عاصماً لألسنة العرب ومثلاً أعلى للغتهم حين تتنافر الألسنة وتتعدد اللغات .

وتبرز لنا عظمة القرآن أكثر ما تبرز ـ في الإبقاء على العربية قوية متماسكة صامدة لصروف الدهر وعوادي الزمن ـ حين ننظر إلى مرتسم العالم متوهمين خطاً مستقيماً يبدأ من عُمان على الخليج العربي وينتهي في نواكشوط على المحيط الأطلسي ، فإن هذا المستقيم يشتمل على لغة واحدة فقط ، بينما نجد المستقيم الذي يوازيه ويساويه في أوروبا ينتظم أكثر من عشرين لغة مختلفة ، ومثله المستقيم المار في إفريقية .

في هذا العصر ـ عصر الحضارة والعلم ـ يقوى إيماننا ويشتد تفاؤلنا باقتراب العامية من الفصحى وبزوال التناقض بينهما بسبب تقدم العلم وانتشار المعرفة بين مختلف طبقات الشعب . وبقدر ما تتمكن الشعوب من تعلم لغتها وفهمها منها جيداً ، بقدر ما تقصر المسافة بين العامية والفصحى وتزول الفوارق بينهما . ومن هنا تبرز قيمة تعلم اللغة وإتقانها كعامل هام من عوامل وحدة الشعور بين شعوب الأمة الواحدة ، ونحن على يقين أنه لن يكون في المستقبل القريب لهجة تدعى العامية وإنما ستتطور إلى لكنة خاصة محلية ، وهذه لن تزول إلا بزوال تأثير البيئة والمناخ .

يجدر بنا بعد هذه العجالة حول أصول اللهجات وتطورها أن نـذكر عدداً من الوسائل والطرق التي تعمد لها العامية في ابتـكار مفرداتها وصوغ تعابيرها الدارجة ، ولن تكون شاملة كاملة فهي قد تنطبق على لهجة دون أخرى ، كما وهي أكثر من أن تحصر بعدد أو يشملها قياس .

وقد استنبطنا غالبية هذه الوسائل من مجموعة اللهجات الشامية المحلية ، غير أنها صالحة ـ كمنهج وطريقة ـ لكل دراسة من نوعها ترغب في الوقوف على المراحل التي تمر بها الفصحى لتصبح عامية . وذلك في سبيل القضاء على العامية واجتثات جذورها من الأعماق . مَثَلُنا في هذا مَثَلُ الطبيب يشخص الداء ليصف الدواء . وعلينا أن نضع نصب أعيننا ـ في محاولة معرفة أصول العامية ـ هدفين تسعى لهما العامية في تحويرها لألفاظ الفصحى وهما :

١ ـ السهولة في النطق .

٢ ـ السرعة في التعبير .

فطبيعة المحادثات العادية وإنجاز الأعمال اليومية تتطلب هذين الهدفين ، ولا ننسى تأثير النساء والأطفال في انتشار العامية وذيوعها ، لما يعمد له هؤلاء من ترقيق للكلمات وتليين أو تبديل في الأحرف وحذف لبعضها وزيادة بعضها الآخر ليتناسب وطبيعة نطقهم وقدرات أصواتهم .

وهذه بعض وسائل العامية في تحوير الفصحى وتشويه اللغة :

١ ـ التبديل :

ويكون بتبديل حرف بآخر لا فرق بين صحيح وعلة مثل :

جلَبَ : جابَ ـ أيْنَ : وَيْن ـ ثعلـب : ثعلب أو تعلب

برتقال : بردقان أو بردغان ـ قربه : جربه ـ إبريق : إبريج

يُعطي : ينطي ـ ذهب : زهب

٢ - الترتيب :

وفيه تلجأ العامية إلى الإخلال بترتيب الأحرف في الكلمة الواحدة مثل : مِلْعقـة : مَعْلقة — جاء : إجا — رَصيف : صْريف . مسرح : مَرْسح - قَبَضَ : قَضَبَ — مَسَكَ : كَمَشَ (مع تبديل السين بالشين) — عتيق : قتيع (بترقيق القاف) .

٣ — الترقيق :

يرقق العامي الحرف بغية التخفيف من قساوته أو تجميله مثل :
قال : آل أو چال أو كال . وفي المصرية : جَميـل : چميـل
شمس : سَمْس — جَوْزة : زُوزة — بَطل : بَدل — ضَبْع : دَبْع — فقر : فأر .

٤ – الحذف :

تحذف بعض الحروف طلباً لخفة النطق وسرعة التعبير مثل :
هذا الوقت : هَلّقْ أو هَلّاءْ أو هَلّقْت — وَيْلك : وْلَك .
هذه اللحظة : هَلْحَظْ (وقد سمعتها من أعرابي) .
هذه الساعة : هَسَّعْ أو إسّع أو إسّا — وَجْهَك : وِجَّك وفي المصرية يا ولد : ياوَلَ ، يا وَدَ — جاءَ : جِه .

٥ — الزيادة :

يزاد أحياناً في الكلمة حرف لامعنى له إلا الزيادة مثل :
هذا لي : هذا إلي – لَكَ تصبح : إلَك .

٦ — الإلحاق :

ويكون بإلحاق حرف أو أكثر في الكلمة للدلالة على الاستمرار أو الاستقبال .
مثل : بيكتب ، عم يكتب ، راح يكتب .

أو في آخر الكلمة للدلالة على الحرفة مثل : عربجي [١] .

أو النفي مثل : بقدرش — بعرفش .

٧ - النحت :

ويكون باشتقاق كلة من كلتين بعد حذف لبعض حروفها مثل :

لأي شيء لَيْش (لماذا) - أيْ شيء : شُو (ماذا) .

٨ — الإشباع :

يشبع العامي الحركات انسياقاً وراء انسياب اللفظ ، فتنقلب الفتحة ألفاً والضمة واواً والكسرة ياءً مثل :

نَمْ : نامْ — كُلْ : كُولْ — بِعْ : بِيعْ .

٩ — القصر :

وفيه يعمد العامي إلى قصر الممدود ليخفف على نفسه مؤونة فتح فمه وليقصر من الزمن الذي يستغرقه اللفظ مثل :

صحراء : صحرا — سمراء : سمرا — حمراء : حمرا .

١٠ - التضمين :

ويكون بتحميل فعل معنى فعل آخر مثل :

ساوَى : عمل — راح : ذهب (لأيّ وقت) .

شافَ : رأى وشاهد .

١١ — الدّمج :

وذلك بدمج كلتين خلال اللفظ مع تشديد الحرف الأول في الكلمة الثانية مثل :

كتبت له : كتبتْلّهْ — قرأتُ له : قرأتْلّهْ .

---

(١) هذه لفظة تركية مثلها مثل الكلمات الأخرى كبوياجي وغيرها (لجنة المجلة) .

١٢ — التليين :

يجد العامة صعوبة في نطق الهمزة فيعمدون إلى تليينها وإبدالها بحرف علة مثل :

يأكل : ياكل — قائل : قايل — بئر : بير — مؤق : موق .

١٣ - التعويض :

ويكون بحذف حرف يعيق اللفظ وبتعويضه بآخر مثل :

نادى : نَدَهَ — جاء : جه .

١٤ — تغيير الحركات :

وفي هذا يتصرف العامي كما يحلو له غير عابىء بأصول اللغة أو إشتقاقها وتصريفها مثل :

بَغداد : بِغداد — ضَبُع : ضَبْع — نَمِر : نِمْر .

١٥ — الإخلال بالإعراب :

لايهتم العامة كثيراً بالمرفوع أو المنصوب أو المجرور وكذلك لا يأبه للأفعال أو الأسماء الخمسة مثل :

جاء المعلمون : إجوا المعلمين .

شاهدت أباك : شفت أبوك .

أطعمته رغيفاً : طعميتُهْ رْغيف .

١٦ — تصريف الجامد :

يتصرف العامي بالجامد فيشتق منه أفعالاً وغير أفعال مثل :

خشب : خشّب اللوز — نحاس : نحّس جلده .

١٧ — التعريب :

عندما يجد العامة أن اللفظ العربي أثقل على اللسان من الأصل الأجنبي فإنهم يهملون الفصيح مثل :

الخيال المرئي : سينما

الشاطر والمشطور والكامخ بينهما : الساندويتش (١) .

كما وأنهم يستعملون اللفظ الأجنبي الذي ليس له ما يقابله في العربية مثل :

غرام — غاز — كيلو — طن

وقد يجتمع أكثر من واحدة في كلمة مثل :

سقا الله تلك الأيّام : إصْأَ الله هَديك الايّام

ففي فعل (سقا) فقط نجد أنه قد زيد فيه حرف الهمزة المكسورة وبدلت السين بالصاد مع تغير حركتها من الفتح إلى السكون ورققت القاف .

ويمكننا أن نعمم ـ بحذر شديد ـ هـذه الأساليب والوسائل التي استخرجناها من مجموعة اللهجات الشامية على بقية مجموعات اللهجات العربية التي لا بد وأنها قد سلكت هذه السبل والطرق في تحويرها للفصحى وفي استنباط مفرداتها وتعابيرها منها ، وإن كان اختلاف بين المجموعات فهو حاصل من اجتماع بعض هذه الوسائل في كلمة أو تفردها فيها .

وأخيراً فإن هذه الأساليب والطرق ليست ثابتة أو دائمة ، فقد يضعف بعضها ويندثر بعضها الآخر ، وهي في نقص مطرد دائم ، لا تزيد ولا يظهر فيها جديد ، ما دام ينتشر العلم وتعم المعرفة سائر صنوف الشعب ومختلف طبقاته ، الأمر الذي يدفع بنا للتفاؤل بالمستقبل والتبشير بعهد جديد ـ ليس ببعيد ـ تنقرض فيه العامية وتسود الفصحى صفوف العامة بعد الخاصة ، وتصبح لغة المحادثات العادية والأعمال اليومية في جميع الأقطار العربية الممتدة من الخليج إلى المحيط .

صبحي ماردیني

(١) ليست هذه من الفصحى بشيء بل من وضع أحد ظرفاء كتاب مصر وقد عزاها إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي لم يضع سوى كلمة الشطيرة ترجمة لساندويش وأورد صاحب متن اللغة نقلاً عن الصاغاني لفظة (المشطور) وأنه الخبز المطلي بالكامخ .
(لجنة المجلة)

ابنُ القاضي مؤرخُ فاس

كانت أسرة ابن القاضي تحمل اسم بني أبي العافية الزناتيين المكناسيين . وكان المعروف عند أفراد هذه الأسرة وعند غيرهم من المؤرخين أن الأسرة تنحدر من موسى بن أبي العافية المكناسي المنتسب إلى قبيلة مكناسة الزناتية ... الذي كان في المغرب قائماً بدعوة عبد الرحمن الناصر الأموي في القرن الرابع الهجري . وكتب المؤرخون عنه وعن موقفه من الأدارسة ما هو مشهور معروف ... وقد صرح أبو العباس ابن القاضي في ترجمة موسى بن أبي العافية من كتابه (جذوة الاقتباس) بانتماء أسرة ابن القاضي إلى موسى هذا ... (1) لكن هناك من يطعن في هذا الانتماء بحجة أن يوسف بن تاشفين استأصل شأفة ذرية موسى بن أبي العافية . ولم يُبق في المغرب أحداً منهم .... (2) وأما القاضي الذي تضاف إليه الأسرة فهو قاضي مكناسة أحمـــد بن علي المكناسي المترجم في جذوة الاقتباس ودرة الحجال وغيرها .... (3)

عرف أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد (القاضي) نور هذه الحياة بمدينة فاس سنة ٩٦٠ هـ (4) بعد أربع سنوات فقط مرت على انهيار دولة بني وطاس بها ... وما صاحب هذا الانهيار من أحداث ذهب ضحيتها

(1) جذوة الانتباس ص ٢٢٦ .
(2) الاعلام للمراكشي ج ٢ ص ٩٣ .
(3) درة الحجال ج ١ ص ٥١ .
(4) سلوة الأنفاس ج ٣ ص ١٣٤ .

عدد من علماء فاس ... وانتهت بالقضاء على انتفاضة ابي حسون الوطاسي ... واستيلاء أبي عبد الله الشيخ السعدي على فاس . .

والجو العلمي كان زاهياً رغم الأحداث والنكبات والتقلبات السياسية ... والشخصيات العلمية كانت قد اتخذت من فاس الملجأ الأمين . والتقى فيها الأندلسي والتونسي والجزائري بالمغربي الوافد عليها من الحواضر والبوادي ... ليجد في معاهدها وخزائنها العلمية وأحباسها ما يعينه على توسيع آفاقه في الدراسة والمعرفة ...

وقد وجد ابن القاضي في هذا الجو العلمي مرتعاً خصباً من العلوم المختلفة : شرعية وأدبية ورياضية ... فجد في الطلب وملازمة الأساتذة . ووجد في والده أستاذاً ومرشداً ورائدا ... كما وجد في أسرته المساعد والمعين والمشجع بالكتب والمال والجاه ....

ويظهر أن نبوغ ابن القاضي كان مبكراً ... لأننا نجده يحدثنا في كتابه : درة الحجال (١) عن قطعة شعرية تلقاها من أديب في مدينة فاس سنة ٩٧٥ هـ .

فإذا لم يكن قد حدث خطأ في كتابة أرقام هذا التاريخ فإن صاحبنا يكون قد تلقاها وهو ابن خمس عشرة سنة ... !

على أن ابن القاضي يحدثنا عن أستاذه العالم الشهير : أحمد بن عليّ بن عبد الرحمن المنجور . أنه لازمه من سنة ٩٧٥ هـ إلى سنة ٩٩٥ هـ يعني عشرين سنة .. ! ويقول عن ذلك .. :

« وما فارقته إلا زمن رحلتي للمشرق . . أو زمن أسري .. ! أو مدة أقمتها بمراكش في حياته » (٢) .

(١) ج ١ ص ٤٨ .
(٢) درة الحجال ج ١ ص ٨٦ .

وملازمة دروس المنجور عشرين سنة .. ! لها الأثر الفعال في ثقافة مؤرخنا .. وعقليته .. وأخلاقه . ومنهاجه العلمي فالمنجور كان في عصره علماً من أعلام المعرفة الواسعة . والأخلاق الفاضلة . والهمة العالية ... وقد كتب فهرسته الغزيرة الفائدة وأجاز بها المنصور الذهبي ..

وحقق ابن القاضي أمنية كان يحلم بها طلبة العلم في ذلك العصر . وهي الرحلة إلى المشرق . وربط سند العلم والرواية بالأساتذة الأعلام هناك .. وكانت رحلة ابن القاضي سنة ٩٨٦ هـ وهو في السادسة والعشرين من عمره ... وما كان ليقوم بهذه الرحلة لولا توفر الأسباب من مال وطموح وفتوة ... فالرحلة تطول شهوراً وربما أعواماً ... وهناك عدة مخاوف وصعوبات ، لا سيما والقرصنة تعمل عملها في كل سفينة . ولا تحترم طالباً . ولا حاجاً . ولا تاجراً ... وفي هذا العصر بالذات أسر عدد من العلماء بيد قراصنة البحر كما وقع للشيخ محمد خروف التونسي[1] وكما وقع من قبل للجغرافي الحسن الوزّان المعروف عند الأوربيين باسم Léon L'Africain وكما سيقع لابن القاضي نفسه في رحلته الثانية ... !

وفي مصر لقي عدة شيوخ حدثنا عن بعضهم في كتابه (درة الحجال في غرة أسماء الرجال[2]) كما حدثنا عنهم في فهرسته المخطوطة المسماة : (رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح) .

ويذكر لنا في كتابه (درة الحجال) أسماء شيوخه المصريين فنجد فيهم : السنباطي[3] ... والعلقمي[4] ... وراشد البغدادي[5] ... والبهنسي[6] ... ومحمد بن أبي الخير الحسني[7] ..

(١) درة الحجال ج ١ ص ٢٤٩ .
(٢) مطبوع بالرباط سنة ١٩٣٦ م = ١٣٥٤ هـ في سفرين .
(٣) ج ١ ص ٨٩ .
(٤) ج ١ ص ١١٠ .
(٦) ج ١ ص ٢٦٦ .
(٧) ج ١ ص ٢٠٦ .

أما بدر الدين محمد بن يحيى النابلسي المشهور بالقرافي العالم الشهير ... فقد قال عنه : « أدركته بمصر سنة ٩٨٦ هـ إلا أني لم ألقه . ولم آخذ عنه . ولم يرد الله تعالى ذلك .. ! وكتب بخطه لشيخنا أبي عبد الله محمد ابن قاسم القصار سنة ٩٩٩ هـ [١] ... وأخيراً يذكر لقاءه الشيخ يوسف الزرقاني [٢] ...

وفي الحرمين الشريفين لقي مفتي مكة يحيى الحطاب نجل شارح المختصر [٣] .... وعبد الرحمن بن فهد العلوي الشافعي [٤] وغيرهما من الأعلام وأخذ منهم إجازات ... وسمع إملاءات ... وإفادات ... وإنشادات .. ويسجل في كتابه لفظ الفرائد يوم وقوفه بعرفة ٩٨٧ هـ .

ويظهر أن رحلة ابن القاضي طالت حتى وصفت بالسنين ... ! . ولذلك نجدهم يقولون في ترجمته : « حج وجاور [٥] » ولا ندري البقاع التي زارها غير الحجاز ومصر وتونس .. التي اجتمع فيها بالشيخ القشاشي ... في زاويته قرب جامع الزيتونة و « شاهد منه العجب العجاب » وذلك سنة ٩٨٨ هـ [٦] .

ويلفت نظرنا في قائمة شيوخ ابن القاضي في هذه الرحلة عالمان اثنان :

١) شجاع قلبه بن عبد الله الرملي قاضي مدن بلاد الترك .. !

٢) محمود بن عبد الله الرملي خطيب جامع مدن من بلاد الترك .. !

---

(١) ج ١ ص ٢٧٣ .

(٢) ج ٢ ص ٥٠٠ .

(٣) ج ٢ ص ٤٩٤ .

(٤) ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٥) سلوة الأنفاس ج ٣ ص ١٣٤ .

(٦) الدرة ج ٢ ص ٤٥١ .

يقول عن الأول : « لقيته بها » [1] سنة ٩٨٩ هـ .

ويقول عن الثاني : « لقيته بها » [2] سنة ٩٨٨ هـ .

والظاهر من كلام ابن القاضي أن الضمير « بها » يعود على مدن الترك ...!!! وهنا يمكن أن نتساءل أزارَ المؤرخُ ابنُ القاضي بلاد الترك . ؟ أم هناك خطأ في هذا التعبير . ؟ تسرب إلى النسخة المطبوعة من درة الحجال . ! لا ندري حقيقة ذلك الآن .

وأثناء غيبة ابن القاضي الطويلة جدت في المغرب وضعية جديدة نتيجة الانتصار الذي حققته الدولة السعدية في معركة وادي المخازن المعروفة عند المؤرخين الأوروبيين بمعركة الملوك الثلاثة على الغزاة البرتغاليين سنة (٩٨٦ هـ ١٥٧٨ م) . وتربع المنصور الذهبي على عرش المغرب .

ولا ندري تاريخ رجوع ابن القاضي إلى وطنه بالضبط . ! غير أننا نعلم أنه رجع مليء الوطاب بما سمع من إملاءات وأسانيد . واتصل بشيخه المنجور من جديد . واستأنف عمله في التعليم والتدريس والتأليف . والاتصال بأشياخ آخرين غير المنجور .

واشتهر بين معاصريه بطريقته في تدريس العلوم شرعية وأدبية ورياضية المبنية على التركيز والتحصيل والابتعاد عن المباحث اللفظية وما لا تدعو إليه الضرورة من الشروح والحواشي والتعاليق .

كما اشتهر بإتقانه للعلوم الرياضية وما إليها من حساب وهندسة وميقات .

وكانت محافل مراكش تزخر بالعلماء الذين كانوا يفدون على المنصور الذهبي من كل حدب وصوب . ويجدون منه الملك الذي لا تشغله شواغل السياسة والحكم عن مجالس العلم ومحافل الأدب ، والمشاركة فيها مشاركة

---

(١) الدرة ج ٢ ص ٤٨٢ .
(٢) ج ١ ص ٣١٣ .

فعالة . نجد أصداءها عند الفشتالي ، والمقري ، وابن القاضي ، والسوداني وغيرهم .

فمن الطبيعي إذن أن يقصد ابن القاضي مراكش لينضم إلى هؤلاء العلماء . ومن الطبيعي أن يحاول المنصور الاستفادة من علم ابن القاضي وتجربته . لا سيما وقد اشتهر صاحبنا بمهارته في العلوم الرياضية . والمنصور شغوف بهذه العلوم يدرسها ويبحث عن رجالها ، وله فيها جولات يرويها المؤرخون بإعجاب .

وهنا يأخذ الكلمة مؤرخ الدولة ووزيرها وشاعرها أبو فارس عبد العزيز الفشتالي ليحدثنا في كتابه « مناهل الصفا » عن الوساطة التي قام بها لفائدة ابن القاضي عند المنصور الذهبي حتى « انتظم في سلك أولي المراتب المرعية » (1).

وفي بلاط المنصور بمراكش وجد عدة شخصيات علمية وأدبية وسياسية استفاد منها وأفاد . وبهرته عظمة الدولة ومرافقها وجيوشها وخزائنها . ونجد أصداء ذلك في كتبه التي بين أيدينا .

ونحن نعتقد أن وساطة الفشتالي لم تكن وحدها التي بوّأت مؤرخنا للانتظام في سلك أولي المراتب العلية . بل إن مكانة شيخه المنجور عند أحمد المنصور وما كان يحظى به من تقدير لعلمه وخلقه . جعلت ابن القاضي يُلْحَظ بعين التقدير والاهتمام بالإضافة إلى ما يتمتع به من شخصية قوية وعلوم واسعة وأخلاق نبيلة .

وأراد المنصور أن يجعل من ابن القاضي سفيره إلى بلاد المشرق سفارة تنشر ذكره ومفاخره وقوته قصداً إلى إظهار دولته بمظهرها الحقيقي أمام أهل المشرق الذين كانوا إذ ذاك لا يعرفون إلا الدولة العثمانية . ويفصح لنا مؤرخ الدولة الفشتالي في مناهل الصفا عن إرادة ابن القاضي نفسه في

---

(1) مناهل الصفا ص ١٥٣ .

القيام بهذا العمل واستئذان المنصور للقيام به ، مع التطوع بحجة أخرى ، واستزادة العلم والتحصيل ، وما إلى ذلك [١] . كما يشير إلى نفس المعنى ابن القاضي في الترجمة التي كتبها للشيخ خروف التونسي [٢] .

وتهيأ ابن القاضي للقيام برحلته الثانية بكل ما يحتاج إليه من مال وكتب وأسباب مزوداً بتعليمات المنصور وإرشاداته ورغباته ، وسافر بحراً من مرسى تطوان ، سنة ٩٩٤ هـ . لكن القرصنة الاسبانية هذه المرة كانت بالمرصاد . فأسر ابن القاضي . يقول الفشتالي « اعترضتهم أساطيل العدو في بحر الزقاق » [٣] . ويقول ابن القاضي في مخطوطة كتابه : لقط الفرائد في حوادث سنة ٩٩٤ هـ :

« وفيها أسر مُلفقه في البحر على مقربة من بعتيره (كذا) ! أسره العدو الكافر دمره الله » .

وظل ابن القاضي يعاني آلام الأسر ويكاتب المنصور كما يكاتب أسرته ، وبعد وساطات وتدخلات سياسية وعطايا مالية اشترك فيها كل من المنصور ورجال دولته وأسرة ابن القاضي وعلى رأسها أخوه محمد شقرون . تم إطلاق سراحه وانتقل من سبتة إلى تطوان . وفصل القضية الفشتالي في مناهل الصفا تفصيلا .

وقد مكث ابن القاضي في الأسر ١١ شهراً ذاق فيها كل ضروب الآلام والإهانة إلى أن تم فداؤه على يد المنصور ، وبذلك أصبح يرى أن له عليه نعمة لا ينساها . فأشاد به وألف برسم خزانته مؤلفاته القيمة .

وبعد استراحة في فاس نجد ابن القاضي يقوم بزيارة مدينة القصر الكبير ،

---

(١) مناهل الصفا ص ١٥٣ .

(٢) درة الحجال ج ١ ص ٢٥٠ .

(٣) مناهل الصفا ص ١٥٣ .

ويلتقي فيها بالمفتي الفرضي أحمد بن علي البعل [١] سنة ٩٩٧ هـ . كما أخبرنا أنه لقي بقصبة تطوان خطيبها أبا القاسم ابن سلطان وأطلعه على كتابه الذي ألفه في سفرين للرد على الطائفة الضالة المعروفة إذ ذاك باسم الطائفة الأندلسية [٢] . وابن القاضي يعرف هذه الطائفة معرفة جيدة . ويعرف شيخها عبد الخالق المغاري ، من بني أمغار أصحاب زاوية « تيط » المعروفة بجوار مدينة آزمور . وقد شاهده بمدينة مكناسة ، وترجم له في درة الحجال ترجمة سوداء [٣] .

ولقاء ابن القاضي بأبي القاسم ابن سلطان كان سنة ٩٩٥ هـ بتطوان فلعله كان إثر إطلاق سراحه مباشرة قبل أن ينتقل إلى فاس .

ونجد ابن القاضي يحضر مجالس الإمام محمد بن قاسم القصار سنة ٩٩٩ هـ وينال منه الإجازة العلمية على الطريقة المتبعة في ذلك العصر [٤] . كما نال إجازات عديدة من شيوخه المغاربة في مناسبات سابقة ولاحقة في كل من فاس ومراكش . كما نجده سنة ١٠٠٠ هـ يجيزُ الحسينَ بن أبي القاسم اللولي الدرعي الفقيه الأديب القاضي نيابة بسلا ، بقطعة منظومة من ستة أبيات [٥] .

ولعل المدة التي أعقبت تحريره من الأسر سنة ٩٩٥ هـ إلى وفاة المنصور سنة ١٠١٢ هـ كانت أحفل سني حياته بالتدريس والتأليف والاتصال بالرجال . ولم ينقطع فيها عن الاتصال ببلاط المنصور ورجال دولته وضيوفه الوافدين عليه ، يزورهم ويكاتبهم ويستفيد من كل ما جد عندهم ، ويفيدهم أيضاً . ويحضر الحفلات الكبرى في قصر البديع التي كانت تقام في الأعياد والمناسبات ، وينشد قصائده مع الشعراء ، وفيها ألف كتبه القيمة :

---

(١) درة الحجال ج ١ ص ٨٩ .
(٢) درة الحجال ج ٢ ص ٤٦٥ .
(٣) ج ٢ ص ٣٩٨ .
(٤) درة الحجال ج ١ ص ٢٢٧ .
(٥) درة الحجال ج ١ ص ١٣٦ .

« المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور » .

« درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك » .

« درة الحجال في غرة أسماء الرجال » .

« لقط الفرائد » .

« جذوة الاقتباس فيمن حلّ من الأعلام مدينة فاس » وفيها سجلت بعض أخباره عند المؤلفين الذين كانوا على اتصال وثيق ببلاط المنصور الذهبي .

فأبو فارس الفشتالي شاعر الدولة ومؤرخها يسجل جانباً كبيراً من أخبار ابن القاضي في كتابه : « مناهل الصفا » وأبو العباس المقري صاحب نفح الطيب الذي وفد من تلمسان على المنصور سنة ١٠٠٩ هـ ، وألف برسم خزانته كتابه القيم « روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتيْن مراكش وفاس » يحتفظ لنا في كتابه المذكور بمعلومات مفيدة عن شيخه ابن القاضي [1] .

والشيخ أحمد بابا السوداني عالم مدينة تَمْبَكْتُو الذي وقع في قبضة جيش المنصور وسيق إلى مراكش سنة ١٠٠٢ هـ واتصل بابن القاضي في مراكش سنة ١٠٠٤ هـ أشار إلى ابن القاضي عدة مرات في كتبه بإعجاب ونقل عنه . وسنرجع إلى هذه النقطة فيما بعد بشيء من التفصيل .

ونجد ابن القاضي قاضياً بمدينة سلا ينعته بذلك الشيخ أحمد بابا السوداني في كتابه « نيل الابتهاج » حينما ينقل عنه بعض الأخبار ، وقد تكرر ذلك أربع [2] مرات في الكتاب المذكور . ففي أي تاريخ كان ابن القاضي قاضياً بسلا .
نستطيع أنّ نؤكد أن قضاء سلا كان بيد صاحبنا استناداً على النعوت

---

(١) روضة الآس ص ٢٣٩ ، الرباط ٩٦٤ م .

(٢) ارجع إلى الصفحات : ٦٨ و ٩١ و ٩٧ و ١٢٩ من نيل الابتهاج المطبوع على هامش الديباج ـ القاهرة ١٣٥١ هـ .

الأربعة التي عند الشيخ أحمد بابا السوداني في كتابه الآنف الذكـــر . وكان الفراغ من تأليفه بمراكش سنة ١٠٠٥ هـ [١] .

كما نستطيع أن نؤكد أن صاحبنا ظل قاضياً بسلا إلى سنة ١٠٠٩ هـ استناداً على إشارة وردت في كلام أبي العباس المقري :

« ولما حللت الحضرة الفاسية كلأها الله في أول رحلتي وذلك في شهر صفر من عام تسعة وألف وجدت شيخنا المذكور غائباً بثغر سلا المحروسة لكونه حينئذ يتولى خطة القضاء بها [٢] » .

وإذا علمنا أن ابن القاضي أجاز نائبه في القضاء بسلا الحسين بن أبي القاسم الملولي سنة ١٠٠٠ هـ فإننا نرجح أن قضاء سلا كان بيد صاحبنا منذ ذلك التاريخ ، أو قبله بقليل .

ولنرجع إلى علاقة ابن القاضي بالشيخ بابا السوداني . فالسوداني أشار إلى ابن القاضي عدة مرات في نيل الابتهاج وترجم له ترجمة جيدة في بعض النسخ الخطية من (كفاية المحتاج) ومن جملة ما في هذه الترجمة :

« وقد استجازني وقرأ علي شيئاً من البخاري فأجزته » ، وقد كان ذلك بمراكش سنة ١٠٠٤ هـ وابن القاضي في الرابعة والأربعين من عمره . والسوداني في الحادية والأربعين . أما ابن القاضي فلا يشير إلى السوداني فيما رأينا من آثاره لأنه ألفها قبل أن يتصل به ، بخلاف السوداني الذي ألف كتبه التاريخية بعد الاتصال بابن القاضي .

وقد ترجم ابن القاضي في درة الحجال لـكل من والد السوداني وجده ، ولم يشر إلى السوداني ، وكان بامكانه أن يزيد في الترجمتين بعد الاتصال بالشيخ بابا ، ولـكنه لم يفعل . وقد امتدت الحياة بابن القاضي إلى سنة ١٠٢٥ هـ .

ومن الملاحظ أن ابن القاضي لم يترجم لكثير من الشخصيات المعاصرة له

---

(١) راجع ص ٣٦١ من نيل الابتهاج .

(٢) روضة الآس ص ٣٥٢ .

في كتابيه (درة الحجال) و (جذوة الاقتباس) وانما ترجم لطائفة خاصة ، فيهم شيوخه وفيهم رجال دولة المنصور ، وفيهم بعض العلماء .

ويكتب ابن القاضي فهرسته « رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح » سنة ١٠١٠ هـ يجيز بها السلطان زيدان نجل المنصور الذهبي الذي كان معداً لولاية العهد بعد والده [١] .

ومات المنصور الذهبي بسنة ١٠١٢ هـ وهبت على المغرب عواصف سياسية بسبب النزاع الذي قام بين أبنائه على العرش . وأصبح العلماء يعانون الأمرَّيْن بسبب هذا النزاع وتطوراته ، فكانوا يفرون من فاس ومراكش إلى البوادي ليجدوا ملجأً أميناً ، وليسلموا من الإحراج في الفتاوى لتأييد سياسة هذا ، أو لانتقاد سياسة ذلك .

وانتقل ابن القاضي إلى الزاوية الدلائية في الأطلس المتوسط وهناك عاش سنوات قضاها في التدريس والتأليف ، مكرماً عند الدلائيين ، ولعله كان يوزع أوقاته ـ عندما تسمح الظروف ـ بين التدريس في الزاوية الدلائية والإقامة بفاس لتفقد أهله وأحبابه وتلامذته الذين كانوا في نفس الوضع الحرج ، وفي مقدمتهم ابو العباس المقري .

وأخيراً ودع هذه الحياة سنة ١٠٢٥ هـ [٢] بعد حياة حافلة بالتدريس والتأليف والرحلة ، وخلد بقلمه تراثاً نتناوله فيما بعد .

(فاس) عبد القادر زمامه

---

(١) نرى الغفل عن هذه الفهرسة عند المؤرخين الذين ترجموا لابن القاضي . أما نصها فلم يكن معروفاً عندنا إلى أن اكتشفه الأستاذ السيد محمد ابراهيم الكتاني في الأكاديمية الملكية التاريخية بمدريد ، وهي هناك بخط المؤلف ، وقد أطلعني على ملخصها ، فله مني خالص الشكر .

(٢) دفن بالقرب من ضريح سيدي محمد بن الحسن بن عجيبة من فاس ـ سلوة ج ٣ ص ١٣٥ .

مصادر القصص الإسلامية
- ٢ -

المصادر المكتوبة:

من الصعب تحديد المصادر المكتوبة التي نقل عنها العرب قبل الإسلام واستعانوا بها بصورة منظمة على توسيع أفق معارفهم. لكننا نسمع أنّ بعض رجال قريش كان يشتري كتب الفرس عند ذهابه إلى الحيرة للتجارة، وأنه كان يقرؤها ويقص شيئاً منها على قومه؛ ذلك هو النضر بن الحارث بن كلدة؛ وهو ابن خالة النبي (ﷺ). وكان النضر شديداً على الإسلام وقد قتل وهو مشرك. وكان يحاول أن يتشبّه — في القصص التي يقصّها على قريش. بالقرآن؛ وأخيراً أمر النبي بقتله بعد بدر[1].

ويبدو أن القصص التي كان النضر يلقيها على قومه كانت من أصول فارسيّة حول سيرة رستم واسفنديار، إلا أننا لا ندري شيئاً عن اللغة التي كان يقرأ فيها هذه الكتب.

أمّا كتب أصحاب الديانات، كاليهوديّة والنصرانيّة، فلا بدّ أنها كانت متوفّرة عند معتنقيها في الجزيرة أو خارجها، لكنّ المرجّح — عندي — أن هؤلاء كانوا يقرأونها بلغاتها الأصلية كالعبرية أو السريانيّة. فهناك مايدلّ

(١) عن أخباره انظر: ابن هشام: السيرة النبوية (ط وستنفيلد) ج ١ ص ١٩١، ص ٢٣٠ .. الزمخشري: الكشاف (ط ١٩٤٦) ج ٢ ص ١٣، ص ١٩٣ .. ابن قتيبة: المعارف ص ٥٧٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٤٩.

على أن التوراة كانت تقرأ عند يهود الحجاز باللغة العبرانية وكان اليهود يذكرون شيئاً منها للعرب المتصلين بهم ، ثم المسلمين بعد ذلك . فقد جاء عن أبي هريرة أنه قال « كان أهلُ الكتاب يقرؤن التوارة بالعبرانية ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله (ﷺ) : لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا : آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم . ... الآية »(١)

وروي عن زيد بن ثابت قال : لما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة قال لي : تعلّم كتاب اليهود فانّي والله ما آمن اليهود على كتابي ، قال فتعلمته في أقلّ من نصف شهر ..(٢) .

ولا نعلم بأية لغة تعلّم زيد كتاب اليهود ، لكن هناك رواية ثانية تشير إلى أنّ النبيّ ﷺ طلب إلى زيد بن ثابت أن يتعلم العبرانيـة قائلاً له : « إنه يأتيني كتب من أناسٍ لا أحب أن يقرأها أحدٌ فهل تستطيع أن تعلّم كتاب العبرانيّة أو قال السريانية » قال زيد : « فتعلّمتها في سبع عشرة ليلة (٣) ... »

وتشير هذه الروايات إلى عدم احتمال وجود ترجمة مستقلة كاملة للتوراة في اللغة العربيـة . وقـد اختصّ بقراءة التوراة أحبار اليهود ، وكانوا يقرأون التوراة على الناس بالعبريّة . فقد جاء أن عبد الله بن صوريا الأعور ـ وهو من أحبار المدينة في عصر النبوّة ، « لم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه (٤) » ـ أُتي به إلى النبي ﷺ حين طلب النبي ﷺ رجلاً يقرأ عليه شيئاً من التوراة ، فقرأ عليه التوراة العبريّة (٥) » .

(١) صحيح البخاري (مصر ١٩٣٨) ـ كتاب الاعتصام ج ٢٥ ص ٨٦ .
(٢) ابن سعد : الطبقات (١٩٥٧) ج ٢ ص ٣٥٩ .
(٣) المصدر نفسه ص ٣٥٨ .
(٤) ابن هشام : السيرة (ط مصر ١٩٣٨) ج ١ ص ٥١٤ .
(٥) صحيح البخاري ج ٢٥ ص ٢٣٢ ـ ويذكره البخاري باسم (الأعور) فقط .

والمعروف أنّ اليهود قد جادلوا النبي ﷺ مراراً في مضمون التوراة والقرآن ، لكن ليس هناك دليل واحد بين الروايات الكثيرة التي تصف هذه المجادلات على أنهم كانوا يقرأون التوراة بغير العبرانية .

والشائع عند المسلمين أنّ التوراة التي في أيدي اليهود محرّفة عن أصلها فقد جاء عن ابن عبّاس أنه قال : « كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤونه محضاً لم يُشب ، وقد حدّثكم أنّ أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالو هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً [1] » ...

ويسأل اليهود النبي ﷺ قائلين :

« ألست تزعم أنك على ملّة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله حقّ ؟ » .

قال : « بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها ممّا أخذ عليكم من الميثاق فيها وكتمتم منها ما أُمرتم أن تبيّنوه للناس ، فبرئت من إحداثكم [2] ... »

وتدلّ الروايات التي بين أيدينا عن عصر الرسول ﷺ أنّ التوراة ربما أشارت إلى أمر من الأمور لكنّ يهود المدينة كانوا يخفونه عن النبي ، وربما تجاهلوا الحكم بما جاء فيها ، كما يدلّ على ذلك خبر الرجم الذي تذكره المصادر الإسلامية . وذلك أن بعض اليهود سأل النبي ﷺ في الزّاني والزانية ماحكمها ؟ فسأل النبي ﷺ بعض أحبارهم ما الذي جاء في التوراة في ذلك الأمر . وأمر أحد الأحبار أن يقرأ عليه التوراة . وتشير الرواية إلى أنّ الحبر تجاوز حكم الرجم ولم يقرأه ، تغطية على ما كان

---

(١) صحيح البخاري : ج ٢٥ ص ٨٦ .

(٢) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٥٦٨ .

اليهود يمارسونه من عقاب آخر ، وذلك لأنهم لم يلتزموا بما جاء في التوراة ولكنّ عبد الله بن سلاّم ، وهو حبر يهودي أسلم في زمن النبي ﷺ - يكشف الأمر للنبي في ذلك ويحكم النبي ﷺ على الزاني والزانية بالرجم (١) .

وأدلّة كثيرة أخرى تشير إلى هذا التحريف الذي يراه المسلمون في التوراة بأيدي اليهود أو بأيدي الأحداث التي حدثت . فقد تعرّضت التوراة وكتب الأنبياء إلى أحداث جسام نتيجة الحروب والهجمات التي تعرّض لها اليهود أنفسهم . فقد أحرقت أورشليم وهيكلها وما تحويه من أموالٍ وذخائر على يد بنو خذنصّر ملك بابل الذي سار إلى بيت المقدس وفتحه ، وقتل في بني إسرائيل وسباهم وحملهم إلى أرض بابل . وتقول الروايات الإسلاميّة أنه أخذ التوراة وما كان في الهيكل من كتب الأنبياء فصيّرها في بئر وطرح عليها النار وكبسها . وقد حمل بنو خذنصر إلى أرض بابل عدداً كبيراً من اليهود (٢) . وتشير التوراة نفسها إلى هذا الحدث مرّات كثيرة ، وإن كانت لا تشير إلى إحراق التوراة ، والتوراة التي بين أيدينا قد كتبت بعد هذه الأحداث كتبها أكثر من واحد فجاءت رواياتها متكررة في كتبها وأسفارها المتعددة . وتحاول التوراة أن تؤكد أنّ اليهود قد عملوا بشريعة موسى كما جاء فيها بعد رجوعهم من السبي إلى أورشليم ، وقد جاء ذكر ذلك مرّات عديدة في العهد القديم . جاء في كتاب (عزرا) :

« .. وبنوا مذبح إله إسرائيل ليصعدوا عليه محرقات كما هو مكتوب في شريعة موسى رجل الله .. » .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب التوحيد ج ٢٥ ص ٢٣٢ / ابن هشام : السيرة (مصر ١٩٥٥) ج ١ ص ٥٦٤ - ٥٦٦ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ (ط النجف) ج ١ ص ٤٩ - ٥٠ .

وجاء أيضاً :

« .. وأقاموا الكهنة في فرقهم واللاويين في أقسامهم على خدمة الله التي في أورشليم كما هو مكتوب في سفر موسى .. » .

وجاء كذلك « في ذلك اليوم قرىء في سفر موسى . »[1] .

وهذا يدلّ على فرقٍ بين التوراة والكتاب المسمّى بشريعة موسى ، الذي يدّعي اليهود أنه محفوظ لديهم ومع ذلك يبدو أن نسخ التوراة قد اختلفت في الأصل عند الطوائف اليهودية والنصرانيّة ويبدو ممّا تورده المصادر الإسلامية أنّ هذه الطوائف نفسها كانت تتنازع في صحّة النصّ الذي تلتزم به ، فيما بينها . وقد وصف البيروني — العالم الجليل المعروف — هذه الاختلافات وصفاً دقيقاً ، وأورد عبارات من التوراة بالعبريّة وقام بترجمتها إلى العربيّة [2] . يقول البيروني — وهو يلقي ضوءاً على تاريخ اليهود والاختلاف حول التوراة :

« إن عند كلّ واحد من اليهود والنصارى نسخة من التوراة تنطق بما يوافق قول أصحابها . فالتي عند اليهود زعموا أنها هي البعيدة عن التخاليط ، والتي عند النصارى تسمّى توراة السبعين . وذلك أن طائفة من بني إسرائيل لمّا غزا بختنصر بيت المقدس وخرّبه انجلت عنه واعتصمت بملك مصر ، وأقامت في جواره إلى أن ملك بطلميوس فيليدلفوس ، واتصل بهذا الملك خبر التوراة ونزولها من السماء ، فتفحص عن هذه الطائفة حتى عثر عليهم في بلدة زهاء ثلاثين ألف نفر ، فآواهم وقرّبهم ولاطفهم وأطلق لهم الإذن في الإنصراف إلى بيت المقدس ، وقد بناه كورش عامل بهمن على بابل وأعاد عمارة الشأم فخرجوا مع قطعة من حاشيته قد بذرقهم بها

(١) انظر الأصحاح الثالث ، والسادس من كتاب (عزرا) والثالث عشر من كتاب (نحميا) .

(٢) البيروني : الآثار الباقية ليبزك (١٩٢٣) ص ١٥ .

وقال لهم إنه لي قبلكم حاجة إن أسعفتموني فقد تمّ شكركم لي ، وهي أن تسمحوا لي بنسخة من كتابكم التوراة فأجابوه إلى ذلك ...

فلما وصلوا إلى بيت المقدس أنجزوا وعدهم بإنفاذ نسخة منها إليه ، وكانت بالعبرانية فلم يفهمها وعاودهم بطلب من له معرفة بالعبرانية واليونانية معاً ليترجم له ووعدهم بالجوائز ... فاختاروا من أسباطهم الاثني عشر اثنين وسبعين رجلاً من كل سبط ستة نفر من الأحبار والكهنة ، وأسماؤهم عند النصارى معروفة ، فنقلوها إلى اليونانيّة بعد أن فرّق بينهم ... وصار في يده ست وثلاثون ترجمة وقابل بعضها ببعض فلم يجد فيها إلاّ ما لا بدّ من وقوع مثله ... »(١)

ثم يذكر البيروني أن نسخة من هذه الترجمة هي التي في يد النصارى ، ويعتقدون بصحّتها ، لكنّ اليهود يتّهمون المترجمين بالتحريف لخوفهم من الملك . ثم يقول البيروني :

« وليست للتوراة هاتان النسختان فقط ولكن لها نسخة ثالثة عند السامرة ... وهم الأبدال الذين بدّلهم بختنصر بالشام حين أسر اليهود وأجلاهم عنها ، وكانت السامرة أعانوه ودلّوه على عورات بني إسرائيل ، فلم يحرّكهم ولم يقتلهم ولم يسبهم وأنزلهم فلسطين من تحت يده .... »(٢)

فالتوراة إذن لم تسلم من الأحداث التي تعرّض لها اليهود عامّة ، وأورشليم خاصّة . ولذلك يميل المسلمون إلى الرأي بأنّ اليهود تقصّدوا تحريف التوراة لأنها تنبئ عن ظهور النبي محمد (ﷺ) والمسيح (ع) . ولقد قام البيروني أيضاً بمناقشة عبارات من التوراة من (سفر اشميا) وغيره مستشهداً على

(١) البيروني : الآثار الباقية ص ٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢١ .

أن التوراة قد تنبأت بظهور المسيح ومحمّد ، ثم يتّهم عناد اليهود وإنكارهم هذا الأمر نتيجة تحريفهم للتوراة (١) .

وتقول بعض الروايات الإسلامية بأنّ أوّل من أعاد بناء بيت المقدس وبناء الهيكل وأخرج التوراة وكتب الأنبياء . ملك من ملوك بني إسرائيل هو (زربابل بن سلتائيل) ، فأعاد نسخ التوراة والسنن والشرائع ، وكان أوّل من رسم هذه الكتب (٢) . وتشير روايات أخرى إلى أن مقام اليهود ببابل كان سبعين سنة ، ردّهم بعدها أحد ملوك فارس هو بهمن بن اسفنديار إلى أورشليم وأمر بعمارتها ، وقيـــل هو كَورش عامل بهمن على بابل (٣) ، والإسرائيليون يسمونه كَورش (٤) وبهـــذا الاسم جاء ذكره أيضاً في العهد القديم (٥) .

على أنّ روايات أخرى تشير إلى أن عزير هو الذي أقام لبني إسرائيل التوراة بعد أن أحرقت ، وأعاد بناء بيت المقدس (٦) . وقد أشارت إلى شيء من هذا قصص الإسرائيليات المنقولة عند المسلمين (٧) . وعُزير كاهن من كهان أورشليم له سفر معلوم في التوراة باسم (عزرا) يتّجه فيه بالصلوات والاستغفار لقومه الذين شذّوا على قواعد دينهم وأصوله ، يقول فيه إنهم تزوجوا النساء الغريبات فاختلط شعبهم بشعوب الأرض ، ولذلك يدعو اليهود

(١) البيروني : الآثار الباقية ص ١٩ ـ ٢٠ .
(٢) اليعقوبي : تاريخ ج ١ ص ٥٠ .
(٣) البيروني : الآثار الباقية ص ١٥ .
(٤) المسعودي : التنبيه والإشراف (ط ١٩٣٨) ص ١٧١ .
(٥) العهد القديم (جمعية الكتاب المقدّس في الشرق الأدنى) : كتاب الملوك الثاني ، اخبار الأيام الثاني ، الاصحاح السادس والثلاثون .
(٦) ابن قتيبة : المعارف (ط عكاشه) ص ٥٠ .
(٧) انظر ما سبق من القسم الخاص بوهب بن منبّه عن قصة عزير . نقلاً عن ابن قتيبة : عيون الأخبار (تراثنا) ج ٢ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٥ .

إلى نبذ شرورهم والاستغفار [١] ، ويظهر هذا الرجل بعد عودة اليهود من أسرهم إلى بيت المقدس .

وعزرا وغميا من الكهنة الذين كتبوا فصولاً من التوراة ، يذكرون فيها ما عملوه من أجل بني إسرائيل ، ولحفظ شريعة موسى . ولذلك يأتي كلامها كتقرير – بضمير المتكلم – لما قام به كلّ منها .

على أن هناك إشارات في التوراة إلى أنّ بعض ملوكهم كان يأمر أن يكتب تاريخ بعض الأحداث في محضره ، وربما كان يراجعه أحياناً – كما في حديث استير مع مردخاي والملك احشويرش الذي أمر بكتابة بعض الأحداث ثم راجعها . وتسمّي التوراة هذا الكتاب بـ « سفر تذكار أخبار الأمم » [٢] ،

إن المصدر الأوّل لهذه المعلومات المتناقضة أحياناً هي التوراة التي اختلفت رواياتها ونسخها ، فاختلفت بذلك المعلومات المنقولة عنها .

ويبدو أنّ المسلمين يستعينون باليهود أنفسهم للتعرّف على ما في التوراة . ورغم أنّ جماعة من اليهود أو النصارى قد دخلوا في الإسلام إلاّ أنّ هؤلاء يعتمدون في معلوماتهم بالدرجة الأولى على مصادر غير معيَّنة ويدّعون معرفة بمجموع كبير من كتب دينهم – كما ذكرنا في الحديث عن وهب بن منبّه وكعب الأحبار وغيرهما . وحين أسلم هؤلاء اصطبغت رواياتهم بالصبغة الإسلاميّة وبتفضيل الإسلام على بقيّة الأديان ، وراجت روايات كثيرة عنهم كانت عرضة لأيدي الرواة . فقد ذكر عن كعب الأحبار أنه قال بأنّ أباه قد كتب له كتاباً من التوراة ودفعه إليه ، وقال له : اعمل بهذا ، وختم على سائر كتبه

(١) فصل (عزرا) : لها الملوك الثاني الأصحاح السادس والثلاثون .
(٢) الأصحاح السادس كتاب أستير .

وأخذ عليه بحقّ الوالد على ولده أنه لا يفضّ الخاتم ، فلما كان الإسلام ورآه كعب قد ظهر وعلا شأنه ، لم ير بأساً في فضّ الكتاب . فيقرأه فيجد فيه صفة محمد وأمته ، فيأتي ويسلم[١] . وكان كعب يقرّ أيضاً أن الكتاب الذي ينقل عنه (ويعني التوراة) ، كتاب دارس منسوخ[٢] .

والشكّ محيط بروايات كعب من جميع جوانبها ، ولعلّ المسلمين الأوائل أنفسهم كانوا يترددون عن قبول رواياته . ولا تشير المصادر الإسلامية إلى اللغة التي كان كعب وغيره من الرواة اليهود يقرأون فيها التوراة أو كتب الأنبياء ، هذا فضلاً عن أن كتب الأنبياء هذه التي يشيرون إلى عدد كبير منها لا يمكن تحديدها والاعتماد على الروايات الكثيرة المنقولة عنها . فلا نستطيع أن نطمئن إلى القول بأن ترجمة للتوراة إلى العربية قد وجدتْ في حدود النصف الأوّل من القرن الهجري الأوّل .

ومع هذا فقد وردت روايات منسوبة إلى بعض رجال الحديث تقتبس من التوراة أو تنقل عبارات عنها مستشهدة بها أو بالإنجيل أو الزبور[٣] وقد روى الجاحظ أقوالاً كثيرة من هذا القبيل منسوبة إلى المسلمين من القرن الهجري الأوّل[٤] ، وإن كان الجاحظ يشكّ في كثير مما نسب إلى كعب — كما تقدم سابقاً — .

لكن لا يصعب اقتباس أقوال — هي أشبه بالأمثال السائرة — من أفواه الرواة ولا تقتضي هذه الأقوال وجود ترجمة مستقلة لهذه الكتب إلى العربيّة .

---

(١) ابن سعد (ط بيروت) ج ٧ ص ٤٤٥ .
(٢) الثعلبي — قصص الأنبياء ص ١٨ — ١٩ .
(٣) الزبور هو كتاب المزامير . وهو سفر من أسفار التوراة يظنّ أن كثيراً من أشعاره متأثر بأناشيد الآلهة البابلية كعشتار وتمّوز .. الخ .
(٤) انظر الجاحظ : البيان . ج ١ ص ١٠٤ ، ج ٢ ص ٣١٢ ، ج ٣ ص ١٥٦ / الحيوان ج ٥ ص ١٣٩ وغيرها .

وربما تردّد المسلمون في الصدر الأوّل عن ترجمة الكتب الدينيّة الأخرى ، وقد انصبّت عنايتهم على القرآن والحديث النبوي والأصول الإسلامية . هذا مع العلم أن حركة الترجمة نفسها لم تنشط نشاطاً كافياً يهيء جميع هـذه المصادر للعرب المسلمين حتى نهـاية القرن الأوّل الهجري ، وبداية القرن الثاني بل حتى منتصف القرن الثاني .

ومع ذلك فقد جاء في الروايات أن بعض المسلمين من رجال الحديث كان قارئاً للتوراة عارفاً بها . فقد ذكر ابن سعد رجلاً من أصحاب الحديث من الطبقة الثانية من التابعين الذين سكنوا البصرة — معاصر للحسن البصري — واسمه أبو الجـلد الجوني ، قال عنه إنه كان ثقة وكان يقرأ الكتب ، وذكرت ابنته عنه قائلة :

« كان أبي يقرأ القرآن في كل سبعة أيام ويختم التوراة في ستّـة يقرأها نظراً . . . » (١)

وهذه القراءة تقتضي أن تكون التوراة مكتوبة بالعربيّة — على ما أرجّح — هذا مع العلم أن الرواية لم تشرْ بصورة خاصّة إلى أنّ الجوني هـذا كان عارفاً بلغات أخرى . ولكنّ المصادر التي بين أيـدينا لا تشير صراحة إلى ترجمة للتوراة في هذه الفترة المبكّرة .

أمّا المتكلمون من رجال المعتزلة فقد كان بعضهم عارفاً بأصول الديانات الأخرى ، حافظاً لها . فقد قيل عن النظّام — أستاذ الجاحظ في الاعتزال — بأنه كان عارفاً بالتوراة والإنجيل قارئاً لهما مطلعاً عليهما ، قال عنه الجاحظ :

« وكان إبراهيم بن سيّار فرضياً عروضياً وكان حاسباً ومنجمـاً وكان

(١) ابن سعد (ط بيروت) ج ٧ ص ٢٢٢ .

نسّاباً وكان حافظاً للقرآن العظيم وتفسيره ، وللتوراة والإنجيل والزبور وكتب الأنبياء ، وكان قد عالج الكيمياء وعرف مذاهبها ... » (١)

* * *

إنّ أقدم ترجمة للتوراة إلى العربيّة شهدها ابن النديم ترجع إلى زمن خلافة هرون الرشيد . فقد وجد ابن النديم كتاباً من خزانة المأمون يرجع زمن تأليفه إلى خلافة الرشيد ، وقد جاء فيه ذكر أسماء الصحف وعددها والكتب المنزلة ومبلغها ، وقد قال فيه الناقل ، واسمه — أحمد بن عبد الله سلاّم — وهو مولى هرون الرشيد :

« .. ترجمتُ صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابية ، وهي لغة أهل كلّ كتاب إلى لغة العربيّة حرفاً حرفاً ، ولم أبتغ في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه مخافة التحريف ، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته ولم أنقص ، إلاّ أن يكون في بعض ذلك . من الكلام ماهو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب ، فلا يستقيم لفظه في النقل إلى العربيّة إلا أن يؤخر ، ومنه ما هو مؤخر لايستقيم إلا أن يقدّم ليستقيم ذلك بالعربيّة ... » (٢)

ويبدو من هذا الوصف أنّ هذه الترجمة كانت دقيقة وشاملة لا للتوراة وحسب ، بل لكتب الديانات الأخرى ، ويبدو أنّ ابن النديم قد رأى هذه الترجمة وأفاد منها في وصف هذه الكتب .

لكن هناك ترجمات للتوراة تذكرها المصادر المتأخرة ، ولا نستطيع أن نحدّد تاريخ ترجمتها كلّها ، ويبدو أنّ بعض تلك الترجمات كانت دقيقة

(١) عن مختارات الجاحظ مجموعة برلين ورقة ٧٥ ، نقلاً عن : الحاجري : الجاحظ حياته .. (مكتبة الدراسات الأدبية) .

(٢) الفهرست (ط مصر) ص ٣٩ .

وشائعة لفترة طويلة . فقد ذكر المسعودي ترجمات للتوراة منها ترجمة كان قد قام بها اثنان وسبعون خبيراً بالإسكندرية من بلاد مصر من اللغة العبرانية إلى اليونانية ، ترجمت إلى ملك من ملوك اليونان . ويبدو أنّ هذه النسخة هي نفس النسخة التي ذكرها البيروني ووصفها مفصّلاً — كما سبق — ثم يقول المسعودي :

« وقد ترجم هذه النسخة إلى العربيّ عدّة ممّن تقدم وتأخر ، منهم حنين بن إسحق ، وهي أصحّ نسخ التوراة عند كثير من الناس .. » (١)

وحنين بن إسحق كان من فصحاء التراجمة في كلّ من العربيّة والسريانية واليونانية . وكانت وفاته سنة ٢٦٠ هـ . ومعنى هذا أن هـذه الترجمة قد توفرت في العربيّة قبل نهاية القرن الثالث الهجري . وربما رجع ابن قتيبة إلى هذه الترجمة بالذات حينما نقل نصوصه الكثيرة عن التـوراة ، لاسيما النصوص التي ينقلها عن سفر التكوين في خلق العالم ، وهي تمتاز بالدّقـة في النقل ، ويقول ابن قتيبة فيها بصراحة :

« قرأتُ في التوراة في أوّل سفر من أسفارها ... » (٢)

ومن الطريف أن ابن قتيبة وإن كان لايتردد عن النقل الشفوي للروايات المنقولة عن وهب بن منبه أو كعب الأحبار وأمثالها إلاّ أنه إذا كان يتوخى الدّقة في النقل والتأريخ كان يقوم بمقارنات بين ما ينقله شفاهاً وما يجـده في التوراة مباشرة ، فيقول مثلاً في نسب إبراهيم الخليل (ع) :

« هو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن اسرغ بن أرغوا بن فالغ بن عابر ابن سالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ...

(١) المسعودي : التنبيه والإشراف (ط ١٩٣٨) ص ٩٨ .
(٢) ابن قتيبة : المعارف (ط عكاشة) : ص ٩ .

ثم يردف قائلاً : « هكذا قال وهب ، وقابلت بهذه النسبة مافي التوراة فوجدتها موافقة إلاّ أني وجدت مكان اشرغ ساروع »(١)

وليس من دليل على أنّ ابن قتيبة كان عارفاً بالعبرانيّة أو السريانيّة وإن كنّا لاننفي معرفته بالفارسيّة ، لأنّه قضى أعواماً طوالاً في الدينور قاضياً . وابن قتيبة يشير إلى أنه قد قرأ في الإنجيل أيضاً ونقل تواريخ عنه كذلك ...(٢)

وليس بمستبعد أن يكون ابن قتيبة قد شاهد هذه الترجمة إذا تذكرنا أنّ المسعودي يقول إنها كانت من أدق وأكثر الترجمات شيوعاً حتى عصره ـ وهو القرن الرابع الهجري ـ وأنه نقل عنها واستعان بها حينما كان في صدد البحث في التأريخ القديم ، وقرنها بترجمات أخرى للتوراة عن العبرانية ، وأشار إلى الاختلاف بين هذه النسخ الكثيرة للتوراة التي عرفت في أيدي اليهود على اختلاف مذاهبهم . وفيما يلي نصّ ما يقوله المسعودي :

« وجملة السنين من هبوط آدم عليه السلام من الجنّة إلى هجرة النبي ﷺ على ما توجبه التوراة التي نقلها لأبطليموس الملك إلى اللغة اليونانية إثنان وسبعون حبراً من أحبار اليهود بالإسكندرية من أرض مصر ، وأجمعوا على صحّتها على ما قدمنا فيما سلف من أخبار هذا الكتاب في أخبار ملوك اليونانيين ، ستة آلاف سنة ومائتان وستّ عشرة سنة . وبين هذه السنين وما يوجبه حساب التوراة العبرانيّة تفاوت كثير ، وكذلك نسخة التوراة التي بأيدي السامرة وهم الكوشان والدوستان من اليهود بأرض فلسطين والأردن بينها وبين هاتين أيضاً تفاوت بعيد ... »(٣)

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٠ .
(٢) المصدر نفسه ص ٥٧ .
(٣) التنبيه والإشراف ص ١٨٢ .

كما يستعين بها المسعودي في معرفة تأريخ البابليين والأمم الأخرى (١).

أمّا الترجمات الأخرى المتأخرة للتوراة ، فقد اشتهرت بينها ترجمة سعيد ابن يعقوب الفيومي اليهودي المعروف في القرن الهجري الرابع وكان قد قرأ على يحيى بن زكريا الكاتب الطبراني الذي قام هو أيضاً بنقل التوراة إلى العبرانيّة ، لكنّ كثيراً يفضلون ترجمة الفيومي ـ على مايقول المسعودي ـ (٢).

وهناك ترجمات أخرى للتوراة قام بها داود القومسي وإبراهيم البغدادي من القرن الرابع أيضاً ، لايشير إليها ابن النديم ، رغم معاصرته للمسعودي وقرب عهده بهذه الترجمات ، وقد أشار إليها المسعودي (٣). وعدم إشارة كثير من المصادر الإسلاميّة إلى هذه الترجمات صراحة ، يجعل أمر تحديد الترجمة الأولى في الإسلام لهذه الكتب مسألة صعبة التقرير .

* * *

ويقال في الإنجيل ما يقال في التوراة تقريباً ، من حيث توافرها للمسلمين . فلا بدّ أنّ الإنجيل قد عرف بواسطة نصارى الجزيرة ـ نجران والحيرة بصورة خاصّة ـ . ولقد نقل المسلمون شيئاً من الإنجيل بعد الإسلام بواسطة التراجمة السريان . ورجّح المستشرق ماركليوث أن هذه الكتب ربّما وصلت إلى العرب بواسطة الحيرة خاصّة ، وأنّ ترجمة لهذه الكتب إلى اللهجتين المتآخيتين ـ السريانيّة والأثيوبيّة ـ ربّما عُرفت هنالك ، وأفاد منها المتكلمون باللغة العربيّة أيضاً (٤) .

---

(١) التنبيه والإشراف ص ٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٩٨ . وقد ذكر ابن النديم للفيومي تفاسير لكتب الشرائع اليهودية والزبور .. الخ ـ الفهرست (ط مصر) ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٣) المصدر نفسه للمسعودي .

(٤) Margoliouth : old 4 New Testament .: Ency. of Religion — Ethics

أما بعد الإسلام فيبدو أنّ السريانية كانت أكثر اللغات شيوعاً عند المترجمين إلى اللغة العربيّة ، وقد انتقلت بواسطتها أكثر العلوم القديمة إلى المسلمين . ولقد نقل ابن إسحق في السيرة النبويّة عبارات عن إنجيل يوحنا وقام بشرحها ، وأشار إلى بعض المفردات السريانية [١] . والمعروف أن الإنجيل قد عرف ــ لا بالسريانية ــ فحسب ، بل بالحبشيّة . عند نصارى الحبشة . وقد ذكر ابن هشام المصاحف المسيحيّة عند أساقفة الحبشة ، رآها المهاجرون من أصحاب النبي ﷺ حينما بقوا في الحبشة . وبهذه الواسطة نجد بعض المفردات من اللغة الحبشيّة تنتقل إلى المسلمين كما يدل على ذلك حديث ابن هشام [٢] . والمعروف أن ألفاظاً اثيوبيّة قد تسرّبت إلى العربية . لاسيّما المتصل منها بالنصرانيّة التي كان الأحباش يدينون بها [٣] .

أما كتب الأنبياء الأخرى ، فقد تهيأت للمسلمين بأشكال مختلفة رواية شفوية ونقلاً مكتوباً ، ودخلت في التفسير القرآني والقصص الإسلامي بنطاق واسع . والجاحظ يميّز بين كتب الأنبياء والتوراة ، وقد رأيناه ــ في الحديث عن كعب الأحبار ــ يرفض الروايات المنسوبة إلى التوراة من قبل هؤلاء الرواة ، ويجعلها محتملة النسبة إلى كتب الأنبياء . ولعلّ في هـذا دليلاً على كثرتها وعلى التزيد في محتواها . ويبدو أنّ بعضها اختلط بالأساطير الفارسيّة القديمة ، نقلها الرواة جيلاً عن جيل كما ينقلون القَصَص الشعبيّ . وقد عدّ ابن النديم جملة من كتب الأنبياء اليهوديّة والنصرانية [٤] . وقـد

(١) سيرة ابن هشام (ط السقا وجماعة ١٩٥٥) مجلد ١ ص ٢٣٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٣٥ ــ ٣٣٨ .
(٣) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة ج ١ ص ٤٥ .
(٤) جاء في جملة هذه الكتب كتاب (سير سيرين) ــ ابن النديم ص ٤٠ ص ٤١ . ولست أدري ما المقصود بهذه التسمية . وقد ذكره حمزة الأصفهاني أيضاً بين أسفار التوراة وسماه (كتاب سيرين) ، وإن كان الأصفهاني يعدّ أسفار التوراة بأسمائها المشهورة ــ الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض (ط دار الحياة) ص ٧٦ .

لا نكون بعيدين عن الصواب إذا رأينا علاقة شبه ظاهرة بين بعض قصص الأنبياء التي يحتوي عليها العهد القديم ، وقصّة ألف ليلة وليلة . كما يتجلّى في قصّة (استير) مع الملك (احشويروش) ، وهي قريبة من قصّة شهرزاد مع الملك شهريار (١) .

والروايات الإسلاميّة قد تختلف في نسبة ترجمات هذه الكتب . وقد أدّت شهرة بعض الشخصيّات بصلتها بالديانات الأخرى إلى اختلاقٍ في النسبة ، إذ نسبت إليهم أمور عارية من الصواب ، شكّ فيها المؤرخون المسلمون المحققون . فقد نسبت نسخة من الإنجيل إلى « سلاّم بن عبد الله بن سلاّم » وجاء في صدر النسخة أنه « قد كتبه من لسان سلمان الفارسي ـ كذا ـ ويقول فيه البيروني : « ومن نظر فيه لم يخف عليه افتعاله » (٢) .

ولا ندري من المقصود بسلاّم بن عبد الله بن سلاّم ، فالمشهور هو عبد الله بن سلاّم وكان من أحبار المدينة الذين أسلموا في زمن النبي ﷺ أمّا الآخر فهو أحمد بن سلاّم الذي يذكره ابن النديم فيمن قامَ بتراجم للكتب المقدّسة من لغاتها ـ كما مرّ سابقاً ـ . ولا ندري إن كان سلاّم ابن عبد الله منسوباً إلى الحبر اليهودي المعروف ؟! . ولماذا يترجم الإنجيل من لسان سلمان الفارسي ؟

هذه أمور يصعب الإجابة عنها حينما نأخذ بعين الاعتبار الخلط الذي يظهر في الروايات الإسلامية الكثيرة في هذا المجال .

(الكويت) الدكتورة وديعة طه النجم

***

(١) العهد القديم : ك استير . الأصحاح الثاني .
(٢) البيروني : الآثار الباقية (ط ليبزك) ، ص ٢٣ .

التعريف والنقد

عروبة لبنان

تطورها في القديم والحديث

وضعه الأستاذ محمد جميل بيهم

في هذا الكتاب من البحوث التاريخية الدقيقة ، والتتبعات الرصينة الوثيقة ، ما اعتاد المؤلف أن يتحفنا به في ما يخرجه من مؤلفات .

يشمل هذا الكتاب ثمانية فصول :

الفصل الأول : عروبة لبنان قبل الإسلام .

الفصل الثاني : لبنان في عهد آل عثمان .

الفصل الثالث : لبنان والشام صنوان في التاريخ .

الفصل الرابع : الأمير فخر الدين المعني .

الفصل الخامس والفصل السادس : الأمير بشير شهاب المعروف بالكبير .

الفصل السابع : كيف اصطبغ لبنان بصبغته الحاضرة .

الفصل الثامن : مجموعة فهارس .

ففي الفصل الأول : أثبت المؤلف عروبة هذا البلد إثباتاً عززه بأقوال الثقات من المؤرخين المتقدمين والمتأخرين ، من شرقيين وغربيين . وأشار إلى الموجات المتتابعة التي جاءت إلى لبنان قبل الإسلام وبعده (موجات كانت كافية لتعريبه على الرغم مما بقي فيـه من عناصر غير عربية من حيث الدم) [1] .

---

(١) نقول : هذا إذا كان بقي في لبنان عناصر غير عربية ، ولها من حيث العدد والقيمة ما يميزها عن السواد الأعظم من سكانه العرب .

وفي الفصل الثاني : تكلم عن التقسيمات الإدارية ماراً مروراً عاجلاً بين تولّي الحكم العام ، والحكم الإقطاعي . وفي هذا الفصل مستندات ووثائق ، كما أن فيه ذكراً للحوادث الثلاث الدامية التي قال إنها وقعت (خلال السنوات ١٨٤٣ — ١٨٤٤ - ١٨٦٠)[١] وينهي هذا الفصل بقوله : « وبعد فهذا مجمل تاريخ الوطن في عهد آل عثمان . ويبدو جلياً أن لبنان كان طوال ذلك العهد جزءاً من بلاد الشام كما كان من قبل . وأنه كان مقسماً إلى إقطاعات خاضعة في جملتها لسلطة الدولة الحاكمة . وذلك على الرغم من أن الحكم المباشر كان فيها يعود إلى أهلها أسوة بغيره في عالم الاقطاع . ويبدو أيضاً أن لبنان لم يتمتع بنظام دولي ممتاز إلا في عهد المتصرفين » .

ثم يقول : « وحتى في هذا العهد لم يعرف الاستقلال ، بل أصبح خاضعاً لسلطات أجنبية متعددة بدلاً من سلطة واحدة . فضلاً عن أن المتصرفين الذين تعاقبوا عليه كانوا من عمّال السلطنة »[٢] .

وفي الفصل الثالث : يخطّئ الذين ذهب بهم الوهم إلى : « إن لبنان استقل قبل بلاد العالم أي منذ أربعة عشر قرناً حينما لجأ إليه الموارنة هرباً من الروم في سورية) . وهو قول نسبه إلى المطران مبارك[٣] .

---

(١) قد يكون من سبق القلم قول المؤلف أن الحادثتين الأوليين كانتا سنتي ٤٣ و ٤٤ . والصواب أنهما كانتا سنة ١٨٤١ وسنة ١٨٤٥ . وكذلك قوله إن إيطاليـة اشتركت في وضع نظام سنة ١٨٦٤ على حين أن اشتراكها كان بعد عشر سنوات من هذا التاريخ وبعد أن تمت وحدتها .

(٢) نقول : نعم ! إن متصرف لبنان كان عاملاً من عمّال الدولة العثمانية ، أما علاقته بالسلطات الأجنبية ، فنحصرة كانت في الموافقة على توليته ابتداء ، وعلى تجديد من كان يجدّد له .

(٣) المطران مبارك من رجال السياسة والحماسة فلا يؤخذ قوله في التاريخ ورجل التاريخ في الاكليروس هو المطران الدبس ، وهو لم يقل هذا.

ومن ذلك ما نقله عن بعضهم : (كذب من قال ان لبنان عربي ، وكفر من قال إنه غير ابناني) وهذا كلام سخيف لا يجوز أن يُعبأ به ، وان يُناقش في كتاب رصين ككتاب المؤلف .

وفي الفصل الثالث يؤخذ على المؤلف قوله (لبنان والشام صنوان) وهو ما لا يتفق وما جاء في الكتاب . فلبنان كان في ذلك الحين على ما قاله المؤلف مراراً ، جزءاً من الشام ، لا صنواً له . وإنما اليوم يقال ، إن لبنان وسورية صنوان .

وفي هذا الفصل يقول المؤلف : (فلما توفي الأمير أحمد المعني دون عقب ، اختار أصحاب الاقطاعات ابن أخته الأمير بشير حسن الشهابي خلفاً له ... ولكن حكومة اسطنبول رأت أن الحقّ في الإمارة يعود إلى الأمير حيدر ... وهو أيضاً ابن أخت الأمير أحمد .).

فكيف يكون الاثنان في درجة واحدة من القرابه ، ويفضل أحدهما على الآخر وهو أصغر سناً ؟ والحقيقة : إن بشيراً كان ابن أخته ، على ما قاله المؤلف ، أما حيدر فكان ابن بنته . وكان ذلك سبب اختيـاره للإمارة باشارة من حسين بك قفيَّة بني معن الذي عاش في اسطنبول . وهو صاحب التاريخ العثماني المشهور .

ومن الأمور التي وقفت عندها في هذا الفصل قول المؤلف : (إن الحزب القيسي كان علمه أخضر ، وإن اليمنيين كان علمهم أبيض) أما إن شعار هؤلاء كان أبيض ، فأحسب أنه الواقع . أمّا أن شعار القيسيين كان الأخضر ، فهذا ما يحتاج إلى شيء من التثبت . فالذي نعرفه أن علم القيسيين كان أحمر لا أخضر .

كما وقفت عند قوله في الصفحة الـ ٣٨ ، « أمراء آل نحاش » والمعروف أن في مديرية القويطع السابقة من قضاء الكورة ، قرية اسمها رأس نحاش

يقيم بها أمراء ، يعرفون بـ (الأيوبيين) أو أمراء (رأس نحاش) وأنهم هم (آل نحاش) .

وفي الفصل الرابع ينفي عن الأمير فخر الدين المعني الكبير أنه أراد أن يقيم دولة لبنانية بل أثبت أن مطامعه السياسية كانت ترمي إلى أبعد من لبنان ، كان يريد دولة عربية تشمل ما يعرف بـ (عربستان) وهو قول حق ، مستمدّ من واقع التاريخ ومنطق الأحداث .

وقد عزز المؤلف ما قاله عن مطامع فخر الدين ، بما كان من سياسته الداخلية وسياسته الخارجية . أمّا ما يتعلق بدين الأمير فخر الدين فلقد كان مسلماً ، هذا ما لا شك فيه . وهو ما قاله المؤلف . أمّا ما فيه كل الشك ، فمذهبه . أكان سنياً ، أم كان موحّداً (درزياً) ؟ هذا ما لا سبيل إلى الترجيح فيه ، لاختلاف الأقوال ، ولقيام الأدلة على كل منها .

أما الفصلان الخامس والسادس اللذان يتكلم فيهما عن الأمير بشير ، فقد يستغرب ما فيهما مَن نشأوا في عهد الانتداب ، وتربّوا في مدارسه ، وتثقفوا بأساتذته ، فانطبعت في أذهانهم صورة كاذبة لهذا الأمـــير الذي زعموا له أنه :

(منح المغارم ، وضبط الضرائب ، ونشر لواء العدل ، ونظم الجيش ، وأجرى ماء نبع الفوار من قرية زحلتا إلى بيت الدين ..[1] وبنى جسر نهر الكلب ... وساهم في الأحداث السياسية المعاصرة ، وأنه باعث أمجاد

---

(١) نقول : هي عين زحلتا لا زحلتا . وهو نبع القاعة لا نبع الفوار . قيل إنه أطلق عليه هذا الاسم لفجوة إلى جانب النبع ، كان يجلس فيها الأمير بشير ويشرب نرجيلته وقد وهم الشاعر كرامة إذ يقول : « صاح قد وافى الصفا يُروي الظما » والمجرور إلى بتدين هو نبع القاعة لا نبع الصفا . إلاّ أن تكون ضرورة الوزن وعذوبةُ اللفظة جعلت (القاعة) (الصفا) .

لبنان ....) إن المؤلف بعد أن يشير إلى هذا يقول : (وهذه الأعمال لو صحت لما كانت شيئاً مذكوراً بالنسبة للمدة الطويلة التي قضاها في الحكم) .

ثم يذهب في بيان مظالمه ومساوئه ، فيخلع عنه الرداء الفضفاض الكاذب الذي ألقته عليه السياسة والتعصب ، ويضعه في حيث وضع هو نفسه ، عاملاً مطواعاً خاضعاً لكل قوي ، تابعاً لكل والٍ ، مقيداً نفسه بكل ما يؤمر به .

ويعود المؤلف فيذكر له توطيده الأمن ، وإنصافه المظلومين ، وهذا ينفيه ما ذكره المؤلف من قبل ومن بعد مما كان عليه الأمير بشير من ظلم وقتل وسلب ونهب ، الأوصاف التي وصفه بها وختمها بقوله :

(وهكذا قضى الأمير بشير وقته ولا سيما طوال عهد الاستقرار الذي تمتع به خلال ولاية سليمان باشا على عكا ، يقتل زعماء البلاد ، ويمعن بمصادرة أموالهم . بينما كان يتقاضى من الشعب الضرائب المرهقة ، ويتقاضاها أحياناً أضعافاً مضاعفة . ويمعن في أعمال السخرة) .

ثم يعود فيقول عنه مرة أخرى : (وهكذا قضى الأمير بشير طوال حياته السياسية ، عبوديّة ، وبذل كرامة ، ليس في محاولة تحرير بلاده ، وليس في سبيل حياة مهددة بالقتل ، وإنما بغية التربع على كرسي دير القمر التي لم تكن مهمتها في الواقع سوى جباية الأموال لأولياء أمره المتربعين على كرسي ايالة صيدا ، وإنما موقفه بين الولاة والشعب موقف تحصيل دار .. فهل هو بعد ذلك جدير بأن يلقب بالكبير ! !) .

ويقول عنه في موضع آخر : (على أنه وإن نقلنا عن المؤرخين ما خدم الكثيرة عن الأمير بشير الكبير (كذا) فإننا لا نستطيع أن ننسى شخصية أخرى مشكورة كانت له في نطاق توطيد الأمن وإنصاف المظلومين .....) .

وفي الحق يصعب علينا أن نوفق توفيقاً مقبولاً بين رأيي المؤلف في الأمير بشير من حيث نعته بالظلم ، ومن قوله فيه بانصاف المظلومين ، ثم إنه

لا يذكره مرة إلاّ وينعته (بالكبير) على الرغم من أنه ينكر عليه أن يستحق هذا اللقب .

ومما قاله الأستاذ مؤاخذاً الأمير : (ولمّا صارت الإمارة للأمير بشير الثاني الموصوف بالمالطي ثم الكبير .. ، أتيح له أن يحكم حكماً متقطعاً خلال نحو نصف قرن . وفي غضون هذه المدة الطويلة ، التي قلما يدركها حاكم ، بدرت له أكثر من فرصة لتحرير وطنه من سلطة آل عثمان ، ولبناء عرش له ولأسرته من بعده ، أسوة بغيره من المعاصرين .)

فيا عجباً للأستاذ وهو الذي لم يزد : أن جعل الأمير بشيراً (تحصيل دارا للجزار مقيماً بدير القمر) يجمع له الضرائب ، كيف يريده على استقلال وإنشاء دولة . والاستقلال مطلب صعب ، وطريق وعر ، ما كان بشير بصاحبه ، ولا كان بالذي خُلق له ، فتحدثه نفسه به ، فيطمع فيه . هذه واحدة وهي عليه (١) .

---

(١) جاء في مجلة المقتطف الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين الصادر في مارس (آذار) سنة ١٩٠٤ الصفحة الـ ٢٤٣ :

« إن الأمير بشيراً لم يكن مستقلاً في ولاية لبنان ، بل كان لوالي عكاء السلطة المطلقة عليه . يوليه ويعزله كيف شاء ... أما هو فكان على رفعة قدره وعلو همته ... يقف أمام الدولة كأصغر الصعاليك . ويخاطبهم مخاطبة العبد لمولاه ، وهم يخاطبونه مخاطبة السيد لعبده . إلاّ إذا أرادوا أن يتملقوه للاستعانة به على قتال ، أو لاستخدامه في ابتزاز أموال الرعية ، فانهم يخاطبونه حينئذ بشيء من التبجيل ويكرمونه إذا أقبل إليهم .

وكان حين دخوله على محمد علي باشا يقبل « الأتك » الذي يقال له أيضاً « اليتك » أي طرف الرداء » اهـ .

وهكذا كان يفعل مع أسعد باشا العظم ينحني أمام الباشا إلى الأرض ليقبل ذيل ردائه » . (تُراجع مجلة الميثاق الصفحة الـ ١٨٠ سنة ١٩٦٦) .

فكيف يطمع في استقلال رجل هذه نفسه ؟

وأما الثانية وهي له ، فمن هم أولئك الأمراء والولاة والرؤساء الذين كانت إماراتهم أو ولاياتهم في قلب الدولة العثمانية كما كان لبنان ، وفي مثل وضع الأمير بشير ، واستطاعوا أن يؤسسوا دولة ؟

هؤلاء بنو العظم ـ ومكانتهم مكانتهم ، وثروتهم ثروتهم ، وسلطانهم سلطانهم ، امتدّ من أداني الشام إلى أقاصيه ، وتعددت وزاراتهم ، وتوالّوا الأحكام أفراداً وجماعاتٍ ، الأخ وأخوه ، والأب وابنه . وبشير الشهابي كان في فترات من الزمان عاملاً من عمّالهم فمن منهم عمل لاستقلال أو طمع فيه ؟

وثالثة ، إن الاستقلال يتطلب نفوساً تتطلع إليه ، ووحدة تجمع عليه ، وما كان اللبنانيون في يومهم ذاك على شيء من هذا . كان الأمير بشير مديناً في إمارته للخلافات والاتفاقات التي كانت في أكثر الأحيان من عمله وسياسته (١) ولو أنهم اجتمعت لهم كلمة لكانت اجتمعت عليه . فكيف يتم له مع هذا استقلال ؟

ثم كان ما وقع للأمير فخر الدين ولم يكن عهده ببعيد ـ وما انتهى إليه من تشرد وأسر وقتل ـ كان كل ذلك العبرة والعظة الماثلة أمام عينيه فمنعه عقله ، وتجربته وحكمته ، أن يقع في ما وقع فيه سلفه ، وما لم يجرؤ عليه غيره .

إن الذين أسّسوا دولة ، أو مهّدوا لاستقلال ، هم أولئك الذين كانت لهم إمارات ساعدت مواقعها الجغرافية ، والسياسة الخارجية الغربية على استقلالهم ، أو على ما أشبه الاستقلال . ولبنان لم يكن وضعه هذا الوضع ، ولا كانت السياسة الخارجية الأجنبية مجمعة في ذلك الحين على استقلاله ،

---

(١) كان يحرش زعماء الاقطاع ، ويفسد ما بينهم من صلات ، وينحاز إلى فريق على فريق ، حتى إذا بلغ من الفريق المغلوب ما يريد ، عاد يناصره على الفريق الغالب . جمع الزعماء الجنبلاطيين واليزبكيين على النكديين ، فكانت المذبحة الكبرى التي لم يبق معها من بني نكد إلاّ طفلان . ثم كان يوم بقعاثة فاستنصر بهذين النكديين وكانا قد بلغا أشدّهما فنصراه على اليزبكيين والجنبلاطيين فكانت الهزيمة التي قتل فيها الشيخ علي عماد وشنق أثرها الشيخ بشير جنبلاط والشيخ أمين عماد .

هذا إلى جانب ما كان من سياسته الداخلية التي أشرنا إليها . ومن خلافات وتحزبات ، لم تزل بقاياها ـ مع الأسف ـ إلى اليوم .

وما ذكره المؤلف من أن الخوري نقولا (الذي كان يرافق الأمير أعلم سيده البطريرك بما كاد يتم من تعيين الأمير أمين ابن الأمير بشير حاكماً على الجبل ، وما كان من اعتراض البطريرك على ذلك ، وهو ما جعله المؤلف دليلاً على نقمة اللبنانيين على الأمير بشير نقمة جنت على الابن .

ولست أرى في هذا رأي المؤلف . فان الموارنة كانوا مع الأمير بشير ومع الشهابيين إلى آخر عهدهم ، وما نقموا عليه ولا عليهم سياسة ولا إدارة ، وإن نالهم أحياناً شيء من ظلمه وظلمهم . وإنما خافوا أن يتولى الحكم الأمير أمين لا لمظالم أبيه ، ولكن لأنه عاد إلى الإسلام[١] . فكان ذلك سبب خوف البطريرك منه ، تحت ستار مظالم أبيه ، إذا صح هذا وقد يكون المؤلف أحسن الظن ببعض من نقل عنهم ، وبشيء مما سمعه من أفواه رواة كان ينقصها شيء من التثبت فيها .

من ذلك ما نقله عن الدكتور مخايل مشاقة في كتابه (مشهد العيان عن حوادث مصر ولبنان) وهو قوله :

« وبعد قتل البازيين وبني نكد ضعفت شوكة اليمانيين (أي الحزب اليمني) فجند عليهم الأمير حملة طاردتهم إلى خارج البلاد فلجأوا إلى مصر ولجأ بعضهم إلى غيرها ... » .

نقول : إن الحزبية القيسية واليمنية انتهت في لبنان سنة ١٧١١ في عهد الأمير حيدر يوم عين داره وبالقضاء على اليمنية ، ولجوء فلولها إلى جبال حوران ، ومن بقي منها في لبنان ، كانت فئة قليلة مستضعفة .

(١) دائرة المعارف للبستاني (مادة شهاب) مذكرات رستم باز .

فلم يكن لهـــا شأن ولا ذكر في عهد الأمير بشير ، ولا كان بنو نكد ولا بنو باز منهـا .

هذا ، ومن خير ما اختتم به المؤلف كلامه في إثبات عروبة لبنان خطاب للدكتور شارل مالك في (عربية الوجود اللبناني) .

أقام فيه هذا الوجود على سبع دعائم بل على ثماني دعائم كل واحدة منها كفيلة بجعل هـذا الوجود اللبناني عربياً ، واستشهاد المؤلف بكلمة الدكتور مالك في هذا الموضوع استشهاد موفق جداً ... ودقيق جداً ...

عارف النكدي

شخصية المسلم كما يصوّرها القرآن

تأليف الأستاذ مصطفى عبد الواحد

طبع على نفقة سموّ الشيخ فهد بن علي آل ثاني ، جزاه الله خيراً

الطبعة الثانية ـ معدّلة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م

مطبعة دار التأليف بالمالية بمصر

إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، وقد نزل بلغة العرب ، وهم فرسان الكلام ، وأرباب النظام ، وقد خصّوا من البلاغة والحِكَم ، بما لم يخصّ به غيرهم من الأمم ، فهم الملزمون بنشره في العالم حتى تعرفه الأمم معرفة صحيحة ، ويعود سيرته الأولى . وإن أول شيء فعله النبي ﷺ هو أن دعا الناس إلى الإيمان بما تلا عليهم من آيات الله تعالى ودلائل توحيده ، وإلى الاعتقاد بإعادة الناس ليوم لاريب فيه ، تُحاسب فيه كلُّ نفس بما تسعى . فتزكية النفس بالقرآن ، والتربية بالتأسي به عليه الصلاة والسلام ، كانتـا مقدمتين على تلقي الشرائع والتفقه في الأحكام ، وقد بلغت الأمة بتعليمه وإرشاده

مبلغاً فاقوا فيه العالم ، وامتاز وحيه سبحانه بإنشاء أمة مستقلة نامية ، وشريعة إسلامية عظيمة باقية .

وهذا الكتاب - يَعرِض الدين الحنيف بأسلوب عملي في حلقات ثلاث : الشخصية المسلمة - الأسرة المسلمة - المجتمع المسلم ، وهو يرسم صورة صادقة لعناصر الشخصية الإسلامية في مجالاتها الثلاث : العقيدة والعبادة والخُلُق ، مستقاة من منابعها الأصيلة من كتاب الله وسنة رسوله كما قال الأستاذ المؤلف .

عَرضَ هذا الكاتب السلفي كتابه في ثلاثة أبواب ، الباب الأول : أساس البناء العقيدة . الباب الثاني : صلة المسلم بربه . الباب الثالث : صلة المسلم بالناس والحياة .

وقد عقد فصولاً لهذه الأبواب الثلاثة ، فمن مباحث الباب الأول : إيمان المسلم بالله تعالى ، وبالآخرة وحقائقها ، وتصديقه بالقضاء والقدر ، واعتقاده بملائكة الرحمن ، وإيمانه برسل الله جميعاً مَن قصّهم سبحانه علينا ومَن لم يقصُص .

الباب الثاني : صلة المسلم بربه ، فمن أوصافه أنه عابد لربه ، محب له يرجو رحمته ويخشى عذابه ، ذاكر له ، واقف بأبواب رحمته ، صاحب للقرآن ، صائم عن الدنايا ، مولٍّ وجهه شطر المسجد الحرام ، في ماله حقٌّ معلوم ، للسائل والمحروم .

الباب الثالث : صلة المسلم بالناس والحياة . ومن أوصافه أنه صادق في قوله وعمله ، حافظ لأمانته ، متسامح مع الخلق ، صبور على الشدائد ، عفيف قنوع ، مستزيد من المعرفة ، قويٌّ صحيح ، أبيٌّ كريم ، باذل لماعونه ، بعيد عن الحرام ، خاتمة .

امتاز هذا الكتاب بالاستشهاد بالآيات الكريمة مع بيان سُوَرها ورقم كل آية منها ، وبإسناد الأحاديث إلى مخرّجيها من أصحاب الكتب الستة -

صحيحي البخاري ومسلم ، وسُنَن الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه ، وغيرها من كتب الحديث الشريف . وبإيراد الشواهد من آي الذكر الحكيم ، وهَدْي النبي الكريم ، يكون القارىء على بصيرة من دينه ، وإيمان صادق في عمله ، بخلاف الكتب التي تأتي بالأحكام ، من حلال وحرام ، من غير إشعار بالمستند الذي يدعو إلى الفعل أو الترك ، فيكون الأمر على المكلف مُبهماً ، أما الأول فيكون واقفاً على جلية الأمر ، عالماً بما يأتي منه وما يذر .

وهذا مثال مما أورده الأستاذ المستقلّ المستدلّ مصطفى عبد الواحد في شخصية المسلم كما يصوّرها القرآن » .

قويّ صحيح : « يا أبت استأجره ، إن خيرَ من استأجرتَ القويّ الأمين » .

قال المؤلف : هكذا يكون المسلم . . مَثَلاً للإنسان الصحيح في فطرته وتكوينه ، وفي قوته واكتماله ، فهو الصورة الصادقة للطاقة البشرية التي تنهض بالعبء ، وتعمر الأرض ، وتحمل أمانة الحياة » .

أقول : ومن القوة أن يأتي المسلم بالأعمال التي عدّها الإسلام من الفروض على أكمل الوجوه وأفضلها ، كالصناعة والزراعة والتجارة ، وكالطب والهندسة والحقوق ، بل وخطب المنابر ، والتدريس في المساجد والمعاهد ، وأداء العبادات في أوقاتها ، وبهذا كلّه تعيد الأمة لدينها ودنياها العهد الأول ، الأغر المحجّل .

أثاب الله تعالى المؤلف الأستاذ مصطفى عبد الواحد النبيل ، وسموّ الشيخ فهد بن علي آل ثاني الجليل ـ إذْ تفضل بطبع الكتاب ـ أجزل الثواب ، ووفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه .

هذا وقد وقعت أغلاط بطبع الكتاب ، غير ما ذكر في جدول الصواب ، ونحن ندل عليها رجاء المشاركة في الثواب :

الصفحة	السطر	الصواب
٦٢	١٣	« لَيُسَمُّونَ »
١٠٨	١١	رمضان
١٤٤	٧	حذف (كانت)
١١١	٩	« يأتوك »
١١٤	١٥	فإنها
١١٨	١٢	ويجعل
١٢٣	١٠	« شَراً »
١٣١	٦	« تعملون »
١٣٥	٤	لكل فردٍ
١٤١	٨	« وَلَمَنْ »
١٥٠	٨	« أرَأَيْتُمْ »
١٥١	١٥	« سود »
١٥٢	٤	سامية
١٥٧	١١	« ويُحرِّمُ »
١٥٧	١٢	معروفاً
١٦٠	٣	حبّ الدنيا
١٨٠	١٨	« لَنَنْصُرُ »

محمد بهجة البيطار

كتاب : لماذا أسلمنا

مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر في مختلف الأقطار ، عن سبب اعتناقهم الإسلام . تُرجم إلى العربية وطُبع بأمر الشيخ قاسم ابن حمد الثاني ، وزير المعارف في حكومة قَطَر .

ترجمة مصطفى جبر ، مراجعة السيد أبو يوسف

دين الله واحدٌ في كتبه وعلى ألسنة رسله .

باسمه تعالى وبحمده

وبعد فإن دين الأنبياء والمرسلين دين واحد ، فإنهم صلوات الله عليهم وسلامه ، مهما تباعدت أزمانهم ، وتنوّعت لغاتهم ، فدعوتهم واحدة ، وهي التوحيد الخالص ، والعمل الصالح ، والإيمان باليوم الآخر ، وقد قال سبحانه : « شَرَعَ لكم من الدين ما وَصَّى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك ، وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أنْ أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وفي حديث أبي هريرة المتفق على صحته عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم : إنَّا معاشر الأنبياء ديننا واحد ، وأنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي .

ألا وإنّ التعارض بين كتبه تعالى أو بين أنبيائه ورسله لا يمكن أن يكون ، لأنّ مصدر الجميع كتباً ورسلاً واحد ، وهو الله تعالى ، وإنّ الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يختلفون ، لأنّ دعوتهم واحدة ، وهي الإيمان بوجود الله عز وجل ، والقيام بالعمل الصالح ، والاستعداد لليوم الآخر .

أكتب هذه الكلمة وأمامي الآن كتاب « لماذا أسلمنا » وهو مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر في مختلف الأقطار عن سبب اعتناقهم الإسلام .

صفحاته مائتان وقد ترجم إلى العربية عن الإنكليزية ، وطبع بأمر الشيخ قاسم بن حمد الثاني وزير المعارف في حكومة قَطَر ، ترجمةُ الأستاذ مصطفى جبر ، ومراجعةُ الأستاذ السيد أبو يوسف .

اشتمل هذا الكتاب على بيان من دخلوا في الإسلام ، فكانوا خمسة أقسام :

القسم الأول : رجال دولة ورجال سياسة .

القسم الثاني : العلماء ورجال الفكر والكتّاب .

القسم الثالث : نساء اعتنقن الإسلام .

القسم الرابع : المصلحون والوعّاظ ورجال الاجتماع .

القسم الخامس : طوائف أخرى تبحث عن الحق .

والذين أسلموا هم من مشاهير بلاد الانكليز والولايات المتحدة ، وألمانيا ، وفرنسا ، والنمسا ، والمجر ، وأستراليا ، واليابان ، وبولندا ، وكندا ، وهولندة ، وإيران ، وإيرلندة ، وسيلان ، والملايو ، والسويد ، وغيرها . وفي طليعة الكتاب مقدّمات ذات فوائد في موضوعه ، وهي : مقدمة الترجمة العربية ، ومقدّمة المترجم ، وتقديم للأستاذ ابراهيم أحمد باواني ، ومقدمة بقلم الأستاذ خورشيد أحمد ، وقد بلغت هذه الأخيرة عشرين صفحة ، ولا غنى عن هذه المقدمات ومباحثها في الموضوع .

وإني أنقل كلمات من أقوال هؤلاء الذين أسلموا لله ربّ العالمين تدلّ على معرفة وصدق وإخلاص :

يقول برناردشو (ص ٢٦) : لقد درست حياة هذا الرجل العجيب (يعني النبي محمداً عليه الصلاة والسلام) وفي رأيي أنه يجب أن يُسَمَّى منقذ البشرية ، دون أن يكون في ذلك عداء للمسيح » .

ويقول الحاج اللورد هدلي الفاروق (ص ٤٥) أعتقد ـ كما سبق لي أن ذكرت مراراً ـ أنّ الاسلام والمسيحية التي دعا إليها المسيح نفسه

دينان شقيقان ، وإنما نصلت بينهما بعض النظرات والمصطلحات التي يمكن الاستغناء عنها . ويقول محمد أسد من (النمسا) :

درست القرآن وسنة الرسول ﷺ ولغة الإسلام وتاريخه ، وقدراً كبيراً مما كتب عنه وما كتب ضدّه ، وقضيت أكثر من خمس سنوات في الحجاز ونجد ، وأكثرها في المدينة ، والحجاز ملتقى المسلمين من مختلف الأقطار ، فكان هذا مما يسّر لي مقارنة وجهات النظر الدينية والاجتماعية السائدة في العالم الإسلامي في عهدنا الحاضر ، ثم قال الأستاذ محمد أسد : هذه الدراسات والمقارنات رَكَّزت في نفسي الاقتناع بأنّ الإسلام بشطريه الروحي والاجتماعي ما يزال أعظم قوة دافعة عرفتها البشرية على الإطلاق » . وقال علي سلمان ما موجزُه : أنا دكتور في الطب ، وأنتمي إلى أسرة فرنسية كاثوليكية ، وعلى ذلك فقد كان شعوري الفطري بوحدانية الله يحول بيني وبين التثليث ، وبالتالي تأليه بني الإنسان .

كنت قبل أن أعرف الإسلام مؤمناً بالقِسْم الأول من الشهادتين « لا إله إلا الله » وبهذه الآيات « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كُفُواً أحد » سورة الإخلاص ، لهذا فاني أعتبر أنّ الإيمان بعالم الغيب وما وراء المادّة هو الذي جعلني أدين بالإسلام :

حسين رووف (انكلترا) مصلح اجتماعي (ص ١٤٢) .

يكفي أن أقول : إنني بعد تفكير وتدبّر رأيتني أهتدي إلى الإيمان بهذا الدين بعد دراستي لجميع الأديان الأخرى المعروفة في العالم دون أن أقتنع بأي واحد منها ... درست الحضارة الإسلامية في جامعة إنكليزية ، وأدركت لأول مرة وبكل تأكيد أنها هي التي أخرجت أوربا من العصور المظلمة ،

واستقرأتُ التاريخ فرأيت أن كثيراً من أعظم الإمبراطوريات كانت إسلامية ، وأن كثيراً من العلوم الحديثة يعود الفضل فيها إلى الاسلام ...

حسبنا أن نعلم أن أعظمها وأكثرها تقدّماً في جميع العصور كانت كلها تنظر بكل تقدير إلى الثقافة الإسلامية التي ما تزال أكثر لآلئها مكنوزة لم يتوصل الغرب بعدُ إليها » .

ومن فضليات النساء : إيفيلين زينب كوبولد (إنكلترا) :

كثيراً ما سئلت : متى ولماذا أسلمت ؟ وأستطيع الإجابة بأنني لا يمكنني تحديد اللحظة الحاسمة التي أشرق فيها نور هذا اليقين على قلبي ، ويبدو أنني كنت مسلمة منذ البداية ، ولا عجب في هذا إذا علمنا أنّ الإسلام دين الفطرة ، يَشبّ عليه الطفل إذا تُرك على فطرته ، وكلما زادت دراساتي وقراءتي عن الإسلام زاد يقيني في تميّزه عن الأديان الأخرى بأنه أكثرها ملاءمة للحياة العملية ، وأقدرها على حل مشكلات العالم العديدة والمعضلة ، وعلى أن يسلك بالبشرية سبل السعادة والسلام ، لهذا لم أتردد في الإيمان بأن الله واحد ، وبأن موسى وعيسى ومحمداً عليهم صلوات الله ، ومن سبقهم كانوا أنبياء أوحي إليهم من ربهم ، لكل أمة رسول ، وبأننا لم نولد في الخطيئة ، وبأن نجاتنا هي وقف على سلوكنا وأعمالنا . شكرَ اللهُ لجميع الذين تعاونوا على هذه الخدمة الجلّى للعروبة والإسلام ، والحمد لله ربّ العالمين .

❋❋❋

م . ب .

شيخ الباحثين آغا بزرك الطهراني حياته وآثاره

(١٢٩٣ — ١٣٨٩ هـ = ١٨٧٥ — ١٩٧٠ م)

تأليف : عبد الرحيم محمد علي عضو رابطة الأدب الحديث في القاهرة

لايخفى أن هذه الأمة العربية والإسلامية جميعاً أمة دين وعرفان ، ومدنية وعمران ، وعزة وثروة وقوة . وعلوم وفنون وصناعات ، وقد قال سبحانه « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » يونس (١٠١) ، وهذا أمر إلهي ، بالنظر في أسرار الملك والملكوت بعين البصر والبصيرة ، وبالعقل والعلم والقدرة ، وقال : « وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الجاثية (١٣) ، وقال أيضاً : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض » لقمان (٢٠) ، والمعنى أنه تعالى سخّر لخلقه جميع ما تتعلق به مصالحهم ، وترتبط به معايشهم ، وهو تسخير إبداع وانتفاع ، وكما قال بعض الأئمة :

« إن العالم كله كأنه جسم واحد ، يحتاج كل جزء منه إلى الأجزاء الباقية ، فلا يستقيم مطر بلا حرارة شمس ، ولا تسير سفن إلا بهواء أو فحم أو كهرباء ، وما شاكل ذلك ، فالعالم كله كساعة منتظمة لا يستقيم سيرها إلا إذا استكملت آلاتها وعُددها » .

هذا وقد كان من أساطين العلم في النجف الأشرف شيخ الباحثين آغا بُزرك الطهراني ، الذي عمّر مايقرب من مائة عام (رحمه الله) ، قضى مراحلها بالعلم والعمل وتقوى الله عزّ وجلّ ، وهذه حياته وآثاره التي جمعها وألف بينها الأديب الأستاذ عبد الرحيم محمد علي صاحب المؤلفات النافعة ، وعضو رابطة الأدب الحديث في القاهرة ، وكتابه هذا قد اشتمل ـ بعد القدمة ـ

على تاريخ حياة الراحل وآثاره ، والذكرى الألفية للنجف ، وأوصاف الفقيد الكبير وصفاته وأخلاقه ، ثم وفاته ومصادر ترجمته ، والخاتمة ، وفهارس موضوعات الكتاب والرموز والأعلام والكتب والبقاع ، والكتب والمجلات والجرائد ، والألواح والصُّوَر ، وفي آخره (ص ١٠٣) استدراكات ، وفي الصفحة التي تليها الفهارس الجامعة للجميع .

شذرات من محتويات الكتاب :

مما يدعو إلى علوّ الهمة وصدق العزيمة في حياة المؤلف رحمه الله تعالى أنه لمّا اعتزم تأليف كتابه « الذريعة » الذي يضمّ مؤلفات الشيعة من أول عهدهم بالتأليف إلى هذا العصر ، أحصى مجموع ما وصل إليه أو اطلع عليه من المكتبات ، فبلغ اثنتين وستين مكتبة عامة وخاصة ، رسمية وغير رسمية ، عدا المكتبات التي هي أقل منها أهمية .

وقد كان من توفيقه تعالى له أن وقف مكتبته بتاريخ ٢٥ ذي الحجة عام ١٣٧٥ هـ ، وكان قد أسسها عام ١٣٥٤ هـ بعد استقراره في النجف ورجوعه من سامراء ، وفي الصفحة الثالثة والخمسين صورة الوقفية وهي بخطه ، وصدّقها رسمياً بدائرة عدل النجف في ١٩٦١/٢/١٩ م ومنذ ذلك الحين أصبح يؤمها طلبة العلم وروّاد المعرفة من مختلف الطبقات ، وكان الشيخ الإمام يرعاهم بنفسه ويساعدهم بتوجيهاته حتى قبل وفاته بشهرين . وتحتوي هذه المكتبة على أكثر من خمسة آلاف مجلد مطبوع ، مع عدد قيّم من نفائس المخطوطات تبلغ مائتي كتاب ، من ضمنها مستنسخاته (ص ٥٥ — ٥٧) ، وفي هذه الصفحات تنفيذ وصيته على الوجه الأكمل الذي أراده ، ثم شذرات من تاريخ النجف ومؤسسها الشيخ الطوسي ، ووصف لجامعة النجف وعدد طلابها وبلدانهم ونفقاتهم ، والذكرى الألفية للنجف والطوسي ومن موادّ منهج الذكرى : معجم رجال الفكر والأدب

في النجف خلال ألف عام بقلم الأستاذ الشيخ الأميني وقد احتوى على (٢٠٩٦) ترجمة مع مصادرها (إلى ص : ٦٥) .

ومن أوصاف الفقيد الجميلة وأخلاقه الجليلة أنه كان رحمه الله فاتحاً أبواب مكتبته في أكثر ساعات النهار حتى منتصف الليل أحياناً ، ولا يتخلف عن إجابة أيّ إنسان حتى في أوقات راحته . وكم كان يؤكد باستعمال التاريخ الهجري ، أو الهجري مع الميلادي على الأقل ، لأن في استعمال التاريخ الهجري اعتزازاً بالتاريخ العربي واعترافاً بالحضارة الإنسانية التي هي نتيجة حتمية لتلك الهجرة المقدسة (ص ٧١) .

وقد استمر الفقيد الكبير على جدّه واجتهاده ، وهمته ونشاطه ، إلى آخر ساعات حياته ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، والشكر الجزيل والثناء الجميل للأستاذ الكاتب المؤرخ عبد الرحيم محمد علي على هذا المؤلف القيّم .

تصويب غلط الطبع :

ص	س	الصواب
٣١	٩	حجّاباً لا يفسحون
٣٢	١٣	الواردة
٦٢	١	وأعددنا
٨٦	٤	سبعة وتسعين عاما

أدباء حلب ذوو الأثر

في القرن التاسع عشر

تأليف قسطاكي الحمصي — تقديم أسعد الكوراني

الطبعة الثانية ص ٣١٤ من القطع المتوسط – مطبعة الضاد . حلب سنة ١٩٦٩

إذا كان الأستاذ الرئيس محمد كرد علي قد أثنى على فقيد حلب والعربية قسطاكي الحمصي يوم أصدر كتابه « أدباء حلب في القرن التاسع عشر » قائلاً إنه : « .. قد سد بهذا الكتاب ثلمة في تاريخ الرجال ببلده[1] » فلا يسعني ، وقد مضى على ثناء الأستاذ الرئيس ما يقرب من نصف قرن ، إلا أن أقول ، وقد قرأت الكتاب نفسه في طبعته الجديدة : إنما بمثل هذه للقدمة الرائعة تسدّ الفجوات في تاريخ رجالنا الأعلام .

وإذا كان من وفاء فقيد حلب الكبير الأستاذ قسطاكي الحمصي لمدينته الخالدة ، أن ترجم لبعض أدبائها المغمورين ، فسجل بتراجمه فضلاً على الباحثين في تاريخها وتاريخ الحركة الأدبية فيها ، فان مقدمة الكتاب نفسه في طبعته الجديدة ، في الترجمة لمؤلفه ودراسة أدبه ، تعدّ بحق من أوفى الدراسات التي تكتب عن علَم كبير مثل الفقيد قسطاكي الحمصي ، ومن أدقها تحليلاً ، وأعمقها غوراً وقد وقف بها صاحبها على القمة من الوفاء لمدينة حلب الشهباء .

إن الثلمة التي رآها قسطاكي الحمصي من نصف قرن ، في تاريخ بلده فأحب سدّها ، حدثت بعدها فجوات لا يستطيع حمل عبء ملئها إلا أولو العزم والبيان من الرجال ، ولقد حمَّل الأستاذ أسعد الكوراني نفسه هذا العبء فكان رائداً وكان معلماً لمن يحب بلده ويقدر أصحاب الفضل فيه .

ولكم كنت أودّ ، وأنا أمتع نفسي بقراءة الكتاب في طبعته الجديدة ، لو أن ناشره زاد من فضله فألحق بها هوامش محققة عن معلومات أبدى المؤلف عذره لعدم تدارك بعضها ، وأدركته المنية قبل معرفة بعضها الآخر ، وهل كان باستطاعته ، مثلاً ، أن يثبت ، وقد ترجم لنفسه ، موعده مع دار الخلود !

عدنان الخطيب

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ص ١٩٧ المجلد ٥ نيسان سنة ١٩٢٥ .

أدبنا الضاحك

تأليف عبد الغني العطري

كتاب في /٣٧١/صفحة من القطع الصغير

من مطبوعات « دار النهار » في بيروت عام ١٩٧٠

أدبنا الضاحك ميدان فسيح للكلام فإنّ العرب قد أحبوا النكتة وأعجبوا بها واخترعوا لها أنواعاً ما زالت تروى فتطرب السامعين والقارئين . ولا ننسى النكات الشعرية التي كانت تدور بين الفرزدق وجرير والحطيئة والأخطل ، كما لا ننسى النكات التي اشتهر بها بشّار وأبو نواس ومطيع بن اياس ثم ابن الرومي ومن لفّ لفّهم من الشعراء الضاحكين الملهمين ، وهل ينسى أبو دلامة وأبو العيناء ، ثم هل ننسى في عالم النثر الجاحظ أم هل ننسى كتب : الظراف والماجنين ، ونوادر الحمقى والمغفّلين والفلاكه والمفلوكين والبخلاء وغير هذه المجاميع الطافحة بالبسمات والأفاكيه .

ولعل الأستاذ عبد الغني العطري قد استطاع بما له من ولع بالنكتة ، وميل إلى الضحك الأدبي البريء أن يستخلص من هذا التراث أضخم مجموعة طريفة من النكات الأدبية المستملحة والقصص الصغيرة الفرحة ليملأ دفتي هذا الكتاب النفيس الذي أخرجه إلى الناس مؤخراً .

ولقد حاول المؤلف أن يتناول في كتابه هذا كل ما يخطر على البال من دوافع الضحك وأحواله ومسبباته ودواعيه وأنواعه وصوره ، فجعل الكتاب في اثنى عشر فصلاً بدءاً من فن الضحك وفلسفته ؛ وانتهاءً بالأدب الحديث وما فيه من إضحاك ، كما أضاف في آخر الكتاب ملحقاً يشتمل على مختارات من تراثنا الضاحك . وجعل في أول الكتاب مقدمة تنبيء عن سبب تأليف هذا الأثر القيم والدافع إليه . والأستاذ العطري كاتب رشيق العبارة بحكم

عمله القديم في الصحافة فإن للصحفيين لغة تمتاز بالسهولة والوضوح وإن كانت هذه السهولة قد تؤدي عند بعضهم إلى اضطراب الجملة واختلال النغم اللفظي بسبب السرعة التي يلجأ إليها الصحفي في كتابته أحياناً أو لسبب الاعتياد على اختيار أقصر الطرق إلى أداء الفكرة المطلوبة ، وهذه السرعة وهـذا الاختيار قد لا يوافق الأدب المحض عليها ، لأن الأديب صانع قبل كل شيء ، وعلى كل صانع أن يتقن وأن يتأنّى في عمله حتى يستطيع الاتقان ، والأستاذ المطري بحمد الله أميل إلى الروح الأدبية منه إلى الصحافة التي ألجأته إليها ظروف الحياة .

والكتاب خفيف الظل ، لولا ما فيه من أخطاء مطبعية ، وهو ما نرجو أن يلاحظه المؤلف إذا عنّ له أن يعيد طبع الكتاب وذلك ما نرجو ونأمل .

إن الكتاب قد سدّ ثغرة كان ينبغي أن تسد في بناء المكتبة العربية ، وحبذا لو كثرت هذه الكتب التي تبعث البسمة في النفس والفرحة في القلب ، فإن ذلك مما ينشط الروح ويدفع بها إلى الإثمار والإنتاج .

إنه كتاب نافع ومسلٍ وجدير بالاقتناء .

أحمد الجندي

خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

للإمام النسائي ومن تحقيق وتصحيح محمد هادي الأميني

والكتاب من القطع المتوسط في /١٧٢/ صفحة

ومن منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف عام ١٩٦٩

هذا كتاب يبحث في خصائص وصفات رجل أجمع الناس في مختلف العصور على علمه وفضله وقرابته وسابقته في الإسلام ، إنه عليّ بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه .

وقد ألّف الكتاب رجل مشهود له بالفضل والعلم ورهافة الذوق والفطنة في اختيار الأحاديث اختياراً أقرب إلى الحقيقة والمنطق والتاريخ وهو الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الشافي المولود في عام ٢١٥ والمتوفى عام ٣٠٣ للهجرة .

وقد وضع المحقق الأستاذ هادي الأميني للكتاب مقدمة ضافية تحدث فيها عن الجهد الذي تبذله المطبعة الحيدرية في النجف من أجل إحياء التراث العلمي والأدبي . ثم تحدث عن النسائي ، مؤلف الكتاب فبين مفصّلاً رأي العلماء فيه ، وبين مشاهير شيوخه ومصنفاته ثم مصادر دراسته ، كما بحث فيما نسب إليه من تشيع ، ثم بكتابه الخصائص ووفاته .

أمّا الكتاب ذاته فقد صنف خصائص الإمام (ع) مبتدئاً بصلاة أمير المؤمنين وعبادته ومنزلته إلى آخر هذه الميزات التي امتاز بها سيدنا عليّ ، مستنداً في كل ذلك إلى الأحاديث النبوية الشريفة والقصص التاريخية الموثوقة في نظر المؤلف ، مؤيداً ذلك بأخبار رجال عاصروه وأخذوا عنه . فالكتاب من حيث دراسته لشخصية الإمام الكبيرة موفٍ على الغاية بالغ القصد .

وقد وضع المحقق الناشر في نهاية المطاف عدداً من الفهارس المفيدة في مثل هذه الأبحاث تناولت : الآيات القرآنية ، والأحاديث والتراجم الواردة في الهامش ، وفهرس الأمكنة والبلدان ، وفهرس المراجع ، ثم فهرس الموضوعات .

إن الكتاب مفيد في موضوعه ، وهو مرجع نافع لمن أراد تتبع سيرة الإمام علي (ع) والتوسّع في موضوعه .

أ. ج.

ديوان طلائع بن رُزّيك، الملك الصالح

جمع وتبويب وتقديم محمد هادي الأميني

عدد الصفحات / ١٩١ / من القطع المتوسط

من مطبوعات النجف الأشرف ومنشورات المكتبة الأهلية عام ١٩٦٤

هذا ديوان لشاعر عرف في ميدان السياسة كما عرف في ميدان الشعر والأدب وإن كان اللون الأول هو الغالب .

خصص جامع الديوان صفحة في أول الكتاب لضبط اسم الشاعر الأجنبي الأرمني الأصل وحسناً ما فعل ، ثم جمل مضمون الكتاب قسمين ، الأول في ترجمة الشاعر الذي أسماه : وزير الأدباء وأديب الوزراء وهو اسم ينطبق على حياة الشاعر والثاني في قصائد الديوان وفي المقدمة بحث تاريخي مفصّل أخذ قسماً كبيراً من الكتاب وخاصة الوثيقة الفاطمية التي أثبتها الجامع حين بحث عن مقتل الخليفة الفاطمي وعلاقة الشاعر بذلك ، ثم ينتقل إلى بحث الشعر والشعراء في ذلك العصر فيعدد الشعراء ويشير إلى كل واحد منهم بتعريف مختصر ، مؤكداً اهتمام العرش الفاطمي بالشعر والشعراء رغم مشاغله ثم يورد الجامع رأي المؤرخين والأدباء في شعر « طلائع » ، وهو رأي يهمنا من وجهة الاطلاع على ما قيل لا من وجهة تعيين قيمته الشعرية والأدبية لاسيما وأن الزمان قد اختلف والآراء قد تغيرت كثيراً أو قليلاً ، ثم يذكر في آخر المقدمة مصادر هذه الترجمة الضافية المسهبة .

والذي يبدو أن ابن رزيك شيعي إمامي متطرف في عقيدته فإن الكثير من شعره قاصر على مديح الأئمة بـدءاً من علي بن أبي طالب (ع) إلى آخر السلسلة التي عاصرته .

أما شعر الشاعر ، فتلوح عليه الهلهلة والضعف ، وهما يؤكدان لك أصله غير العربي يضاف إلى ذلك تقليد ظاهر للأساليب البلاغية التي كانت

معروفة في زمنه ، ثم ينتهي إلى المبالغة والاشتطاط في حب آل البيت جرياً على عادة ابن معتوق وغيره من شعراء الشيعة البارزين ، ولعل القارئ يرى في الأبيات الآتية من أول قصيدة للشاعر تأكيداً لما أشرت إليه من سطحية وتقليد ، وبعد عن الشعر الفني الذي يعبق بالصور والأحاسيس والأخيلة المطربة ـ قال الشاعر يصف غرامه بآل البيت (ع) :

دعوت بجاههم في كل بلوى   فماد ممزقاً ثوب البـــلاء

فلست أبيع ودهم بدنيـــا   تسح عليَّ أنواع العطـــاء

ولو بعت اليقين بهم بشكٍ   لكان حقيقة الداء العياء

فلي نسبان من « رزّيك » بدءٌ   وثانٍ بانتسابي للـــولاء

وغير خاف أن ما مرّ بك ليس شعراً بمعناه الحقيقي وإنما هو كلام عامي منظوم نظماً بعيداً عن الموسيقى المعروفة في شعر الشعراء الأفذاذ ، وخاصة الشطر الأول من البيت الثالث وهاتان الباءان المتعاقبتان مما يصك الأذن ويؤذي السماع .

ولكن جامع الديوان مشكور على كل حال لأنه أحيا هـــذا الأثر فعمله فيه خدمة للأدب وللتاريخ .

أ . ج .

***

مختارات الكنعاني

كتاب وضعه نعمان ماهر الكنعاني

من القطع الكبير عدد صفحاته / ٥٢٧ /

طبع عام ١٩٦٦ بمطبعة المعارف في بغداد

فن الاختيار فن قديم عند العرب ، وخاصة في الشعر ، فنحن نعلم الشيء الكثير عن كتب : ابن سلاّم والمفضليات وحماسة أبي تمام والبحتري وابن الشجري والحماسة البصرية ، كما نعلم في العصر الحديث كتباً المختارات

الشعرية ، وكلها تدور حول فكرة واحدة هي التعريف بذوق من قام بالاختيار كما تنبئ عن هواه الشعري فيما يختار ، وقد قيل قديماً : الاختيار يدل على المختار .

على أن هناك فكرة لا بد من الإشارة إليها وهي أن من يختار الشعر يحسن أن يكون شاعراً ، أو لديه قريحة حساسة تدرك جمال الشعر وتعرف خفايا هذا الجمال . فلكل مهنة أصحابها ولكل ملكة أهلها وقد يلتفت العالم في اختياره إلى شعر يعجبه فيه الفكر أو العلم ، على حين أن القصد من الشعر هو الإحساس الذي يحسن الشاعر التعبير عنه ، وهذا لا يعرفه إلا من ذاق طعم الشعر وتعب في حفظه وقرضه وتجويده .

سئل البحتري : أيهما أشعر ، أبو نواس أم مسلم ؟ فقال : أبو نواس ، فقيل له : إن الأصمعي وجد مسلماً أشعر فقال البحتري : ومن أين للأصمعي أن يعرف مواطن الشعر وهو صاحب لغة . لذلك رأينا أن مختارات الكنماني قد احتوت على ألوان من الشعر الطريف وأنواع من المنظومات الغنية بالإحساس والشعور ، لأن الأستاذ الكنماني شاعر وصاحب ديوان كما أذكر .

ولسنا ندعي أن كل شاعر يحسن الاختيار فإن مثل هذا الأمر لا يمكن أن يقاس بالقواعد وإنما نبين الأرجح في الأمر والأقرب إلى الحقيقة .

أمّا الشعراء الذين وردوا في الكتاب فجلّهم معروف مشهور ، وكنا نرجح لو أن صاحب الكتاب قد صرف جهده إلى الأغفال والمجهولين من الشعراء لأن أصحاب الشهرة في غنىً عمّن يدل عليهم ما دامت هنالك مراجع كثيرة تشير إليهم .

وقد بلغ عدد الشعراء في هذه المختارات (١٨٩) شاعراً بدءاً من من الأفوه الأودي وانتهاءً بمعتوق الموسوي .

وكما لاحظنا أن في الكتاب نقصاً كان ينبغي أن يكمل وهو وضع فهرس للقوافي ولمطالع الأبيات لتسهل المطالعة والرجوع إلى ما يريد القارئ . وهذا لا يمنع أن يكون الكتاب وافياً بالقصد نافعاً وجديراً بالاقتناء .

أ . ج .

***

شرح قصيدة الصاحب بن عباد

تأليف القاضي جعفر بن أحمد البهلولي اليماني المعتزلي

تحقيق الشيخ محمد حسن آل يسين

نشرته المكتبة الأهلية في بغداد وطبع بمطبعة المعارف عام ١٩٦٧
والكتاب من القطع المتوسط وعدد صفحاته / ١٣٢ /

الصاحب إسماعيل بن عبّاد من الأدباء البارزين في أواخر القرن الرابع للهجرة ، فقد زامل الأديب الكبير والوزير الخطير ابن العميد وعاصر المتنبي الشاعر وجابهه وكان من خصومه كما يروي المؤرخون ، لأن المتنبي مدح ابن العميد وأبى أن يمدح الصاحب ، بل لعلّ هذا الصاحب ، قد أثار الغبار حول الشاعر العظيم وحرّك ضده الشعراء والنقاد من مثل الحاتمي وابن لنكك وابن حجاج وغيرهم ، ويزيد بعض المؤرخين من أصحاب الخيـــال : ان مقتل المتنبي قد كان نتيجة عمل مشترك بين عضد الدولة والصاحب وابن العميد وغير هؤلاء من أصحاب النعرة الفارسية أو الشعوبية كما كان ينعتها أهل ذلك العصر .

والقصيدة المشروحة في هذا الكتاب هي القصيدة اللامية التي « أودع فيها الصاحب خلاصة آرائه في أصول الدين الإسلامي » كما يقول محقق الشرح في مقدمته .

أما الشارح فهو القاضي جعفر البهلولي من علماء المعتزلة في اليمن . وقد أقدم على شرحها لأنه اعتبرها نصاً معتزلياً لا يجوز إهماله .

وتقع القصيدة في (٦٤) بيتاً من البحر البسيط ، وهي كما أسلفنا دفاع ديني عن العقيدة قد نظمت نظماً في شكل حوار بين فتاة أو امرأة تسأل الشاعر في كل شطر أول من الأبيات ويجيبها الناظم في كل شطر ثان ومطلعها :

قالت : أبا القاسم استخففت بالغزل   فقلت : ما ذاك من همي ولا شغلي

قالت : . . . . . الخ

ولكن الصاحب ، لا يدافع عن الدين عامة بل عن عقيــــدته الخاصة بدليل ما ورد في جوابه بهذا البيت :

قالت : فما اخترت من دين تفوز به فقلت : إنيَ شيعيّ ومعتزلي

ثم يتعرض لنظريات « المعتزلة » والشيعة مؤيداً وداعياً لها .

ولكن أين الشعر من هذا ؟ إننا لو قلّبنا هذه القصيدة من فرعها إلى قدمها لما عثرنا فيها على صورة واحدة تنبئ بالشعر ، وإنما هو كلام أراد الكاتب أن يقوله نثراً ، فلجأ إلى زيادة التكلف ، الذي عرف به الصاحب في كتابته ، ومثل هذا النظم ـ يعتبر في رأينا ـ أبعد عن الشعر من النثر العادي ، لأن النثر قد يكون معبراً طبيعياً بعيداً عن الكلفة إذا أحسن الكاتب الترسل فيه على سجيته كما فعل ابن المقفع والجاحظ . وغير خاف أيضاً ، أن الموضوعات الشعرية معروفة ، وهي لا تعتمد على الجدل والمنطق ، ولقد قال البحتري فيما سبق وهو سيد الناطقين بالشعر :

ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ما نوعــــه وما سببُهْ

والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طوّلت خطبُهْ

وهذا كلام صحيح ما في صحته ريب ، فالشعر لمح وإحساس وتعبير يعتمد على الحدس الفطري الموهوب وليس خطباً محبَّرة أو رسائل مفصلة .

فإذا صرفنا النظر عن الشعر في هذا الأثر فإننا لا نعدم الفائدة الفكرية حين نستجلي رأي الصاحب المفكر العاقل في الأمور التي تعرض لها في منظومته ، كما لا نفقد الفائدة الكبيرة في الشرح الذي أقدم عليه القاضي البهلولي من توضيح لآراء الصاحب وألفاظه .

والكتاب مفيد في كل حال فيما تضمنه من تاريخ وعلم .

أ . ج .

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية

الطب والصيدلة

وضع : سامي خلف حمارنة ، مراجعة : أسماء الحمصي

عدد صفحاته ٦٠٠ × ٥٢

من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

واضع هذا الفهرس أردني المولد ، قدم إلى دمشق في خريف عام ١٩٤٣ م ، ودخل كلية الصيدلة بجامعة دمشق ، وبعد أن حصل على الاجازة منها ، قصد عمّان وعمل صيدلياً في صيدلية افتتحها بها . وفي مطلع عام ١٩٥٢ م نزح إلى الولايات المتحدة الأميركية للتحصيل العالي ، فنال في سنة ١٩٥٦ م شهادة الماجستراة في الكيمياء الصيدلانية من جامعة مقاطعة نورث داكوتا ، ثم قدم أطروحة للدكتوراة ، موضوعها حياة وآثار خلف بن عباس الزهراوي المتوفى بعد الأربعمائة للهجرة ، مع دراسة تحليلية لمقالته الخامسة والعشرين في الأدهان ، ونشرت الأطروحة في مطبعة بريل بليدن — هولندة .

ثم انصرف لدراسة مخطوطات دار الكتب الظاهرية الطبية وعمل فهرس لها فوضع الفهرس المذكور أعلاه ، فقدم لذلك مقدمات ودراسات طويلة ، فذكر المكتبة الظاهرية وعدداً من مخطوطاتها .

ثم أورد في الفصل الثاني من الفهرس تاريخ الطب العربي وأثر كتب اليونان والاسكندرانيين في العرب ، ثم ذكر في الفصل الثالث نبذة عن التراث الطبي اليوناني ، كما شرحته المصادر العربية ، وقد توسع في هذا الفصل ، ثم ذكر في الفصل الرابع حنين بن اسحاق وتأسيس الطب العربي . وما ترجمه وألفه ، وسابور بن سهل وعلي بن سهل الطبري .

ثم أورد في الفصل الخامس عصر أبي بكر الرازي والتأليف في علوم المهن الصحية باللغة العربية ، وخصص الفصل السادس لعصر البيروني وابن سينا .

ثم ذكر في الفصل السابع الطب في المغرب ، فذكر ابن عمران الطبيب المصري وإسحاق بن سليمان الاسرائيلي وابن الجزار . وخص الفصل الثامن للطب في الأندلس فذكر أبا القاسم الزهراوي وسلمان بن حسان بن جلجل وأحمد بن محمد الغافقي وأمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت وعبد الملك بن أبي العلاء بن زهر ، وأبا الوليد محمد بن أحمد بن رشد .

وذكر في الفصل التاسع أطباء العراق والشام ومصر من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلاد ، فذكر المختار بن عبدون بن سعدون ابن بطلان وابن رضوان وأسعد بن الياس بن مطران الدمشقي .

وخص الفصل العاشر لعصر الترجمة من العربية وأثر ذلك في تطور الطب وملحقاته وذكر بعض من قام بترجمة تلك الآثار العربيـة فذكر المطران رعون وجيرارد ومخائيل سكوت وهرمان الألماني وألفرد الانكليزي وقسطنطين الافريقي ، وروجر بيكون وألبرتوس الكبير الاسباني وغيرهم .

وقد قسم واضع الفهرس عمله إلى ثلاثة أقسام : ذكر في القسم الأول المخطوطات الكاملة التي تعرف عناوينها وأسماء مؤلفيها والزمن الذي عاشوا أو اشتهروا فيه ، فذكر شيئاً من ترجمة حياتهم وأهم ما خلدوه من آثار حسب قدم مؤلفيها . وذكر في القسم الثاني المجاميع الحاوية لأكثر من مقالة مستقلة أو كتاب واحد ، وخص القسم الثالث للمخطوطات المجهولة المؤلف أو العنوان أو الزمن الذي كتبت فيه .

هذا مجمل ما في هذا الفهرس من موضوعات ومباحث ، منها ما يتعلق بلب الموضوع ، ومنها ما هي خارجة عن مقصد الفهرس وما وضع من أجله . ولا بد لنا هنا من أن نذكّر واضع الفهرس إلى أمور كان يجدر به مراعاتها وهي :

إن واضع الفهرس قد وقع في بعض الأخطاء في بحثه عن دار الكتب الظاهرية ، وقد أشير إلى بعضها في آخر الكتاب ، كما أنه توسع في هذا البحث ، فذكر عدداً من مخطوطات الدار التي لا تمت بصلة إلى بحثه كنهاية الأرب في معرفة قبائل العرب للقلقشندي ، وتعليم المتعلم للزرنوجي ، والقاموس المحيط للفيروزابادي ، والمقامات للحريري ، وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون الخ ...

أما من حيث تنسيق فهرسه ، فكان يجدر بالواضع الكريم أن يعتمد في تصنيفه على التنسيق العشري ، فيذكر الموسوعات الطبية أولاً ، فكتب التشريح ، فكتب حفظ الصحة ، فكتب الصيدلة الخ ... فيبدأ بالكتب العامة فالخاصة على حسب ما يغلب عليها وإن كان من الصعوبة تبيان ذلك بسهولة ، ثم يعتمد في كل نوع من هذه الكتب على قدم وفاة مصنفيها .

وأما المباحث الطبية التي جعلها مقدمة لهذا الفهرس والتي تستحق أن تكون مصنفاً خاصاً لا مقدمة لفهرس ، فهي تحتاج أيضاً إلى تنسيق وترتيب موضوعاتها وتقسيمها ، فقد عقد المؤلف فصلاً خاصاً في تاريخ الطب العربي وأثره ، وجعله الفصل الثاني من الكتاب ، ثم أورد في الفصل الثالث نبذة عن التراث الطبي اليوناني كما شرحته المصادر العربية ، فكان يجدر به أن يعكس الموضوع فيجعل الفصل الثاني محل الفصل الثالث وبالعكس .

وأما الكتب التي فهرسها في فهرسه فإن عدداً منها ليس له علاقة بالطب وملحقاته ككتاب عمدة الصناعة في علم الزراعة لعبد الغني النابلسي ، وقطر السيل في أمر الخيل لسراج الدين عمر بن رسلان البلقيني ، ونهاية الطلب في شرح المكتسب وزراعـــة الذهب لايدمر بن علي بن أيدمر الجلدكي ، والبرهان في أسرار علم الميزان للجلدكي المذكور ، والمفصل في الأحجار والصناعة لشريك البغدادي ، وعلم الفراسة لأجل السياسة لشمس الدين محمد

ابن أبي طالب الأنصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة ، وفضل الخيل لشرف الدين عبد المنعم بن خلف الدمياطي ، ونزهة الأنظار في جواهر الأحجار لأحمد بن يوسف التيفاشي ، وكتاب الخيل لعبد الملك بن قريب الأصمعي الخ ....

وأما المصادر والمراجع العربية التي اعتمد عليها ، وقد رتبها على حروف المعجم حسب لقب المؤلف الذي عرف به لا باسمه الأول ، فقد حشر في هذا الباب عدداً كبيراً من المصادر التي كثير منها لا يمت بصلة لموضوعه مباشرة ، هذا بعد أن اعتذر عن ذكر كثير منها ، فقد ذكر منها تاريخ غزوات العرب في فرنسة وسويسرة وإيطالية وجزائر البحر الأبيض المتوسط لشكيب أرسلان ، وقصة عنترة بن شداد العبسي للأصمعي ، وآثار المدينة المنورة لعبد القدوس الأنصاري ، والتربية في الإسلام والتعليم في رأي القابسي لأحمد فؤاد الأهواني ، وكتاب الأضداد لمحمد بن القاسم ابن الأنباري ، والتبصر بالتجارة للجاحظ ، والصين وفنون الإسلام لزكي محمد حسن ، وصورة الأرض لابن حوقل ، ومصطلح التاريخ لأسد رستم ، والملل والنحل للشهرستاني ، والنقود العربية وعلم النميّات لأنستاس ماري الكرملي الخ ....

وأما فهارسه العامة التي وضعها لفهرسه ، فكان يجدر به أن يفصلها ويقسمها إلى أقسام ، فيجعل فهرساً للموضوعات وأجزائها ، وفهرساً للأمكنة ، وفهرساً للأعلام وفهرساً للكتب والمجلات التي وردت في هذا الفهرس ، مما يعين الباحث والمطالع على استخراج مطلبه بسهولة وبدون عناء ونصب .

وبالختام نشكر الدكتور واضع هذا الفهرس على ما بذل من جهد في جمع هذه المعلومات القيمة في فهرسه ، ولا سيما قد علمنا أنه سينقل ذلك إلى اللغة الانكليزية مما سيكون خير شاهد وداعية لفضل الحضارة العربية وأثرها في الحضارة العالمية الحاضرة ، كما نشكر الأستاذة أسماء الحمصي على عنايتها بمراجعة لغة الكتاب .

دمشق : عمر رضا كحالة

كتاب المقالات والفرق

تصنيف : سعد الأشعري

صححه وقدم له وعلق عليه

محمد جواد مشكور

عدد صفحاته ٢٨٠

طبع بمطبعة حيدري بطهران ١٩٦٣ م

مؤلف هذا الكتاب هو سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي ، من كبار محدثي الشيعة ومن شيوخ رواية محمد بن جعفر قولويه ، وكان جليل القدر ، ثقة ، واسع الأخبار ، كثير التصانيف ، وتوفي سنة ٣١١ هـ ، وقيل : سنة ٢٩٩ هـ .

وقد جاء اسم هذا الكتاب في المصادر التي ذكرته بأسماء مختلفة ، فجاء اسمه في رجال النجاشي باسم فرق الشيعة ، وفي فهرست الطوسي ، ومعالم العلماء لابن شهرآشوب بمقالات الامامية ، وسماه المجلسي الذي كان عنده هذا الكتاب بكتاب المقالات والفرق وأسماؤها وصنوفها .

وأما محقق الكتاب فهو الدكتور محمد جواد مشكور الأستاذ في دار المعلمين العليا بطهران ، فقد اعتنى أجل عناية في التحقيق والتعليق والفهرسة ، فذكر حياة المصنف ومصنفاته ، والكتب التي ألفت في فرق الشيعة وكتاب فرق الشيعة لأبي خلف الأشعري ، وقارن بين كتابي فرق الشيعة للنوبختي والمقالات للأشعري .

وعلق المحقق الفاضل في صلب الكتاب تعليقات كثيرة ومفيدة مع ذكر مصادرها ، ثم ألحق بالكتاب تعليقات قيمة استغرقت أكثر من نصف صفحات الكتاب ، أبان فيها ما غمض من أبحاث .

وأخيراً ذيل الكتاب بالفهارس التالية : فهرس الآيات القرآنية ، فهرس الأحاديث ، فهرس بعض الاصطلاحات والكلمات ، فهرس القوافي ، فهرس الملل والفرق والمذاهب وأهلها ، فهرس أسماء الرجال والنساء ، فهرس الكنى ، وفهرس البلدان والمدن والأمكنة مما سهل على الباحث والمصنف والمطالع قراءته للكتاب والاستفادة منه فجزاه الله خير جزاء .

ع . ك

❋❋❋

مشاركة العراق في نشر التراث العربي

تأليف : كوركيس عواد

عدد صفحاتها ٩١

طبعت بمطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م

تبحث هذه الرسالة عن المخطوطات العربية المنشورة في العراق ، وذلك منذ بدء أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، وكان أقدم ما نشر فيـــه مطبوعاً على الحجر ، ثم اتخذت فيه مطابع الحروف في نشر الكتب ، فطغت هذه الطريقة الأخيرة على سالفتها حتى كادت المطابع الحجرية تندثر فيه .

وبلغت مؤلفات التراث المنشورة في العراق منذ بدء الطباعة فيه حتى سنة ١٩٦٩ م ، زهاء سبعمائة مؤلف ، وتناول فيها أصحابها مباحث في الأدب المنظوم والمنثور وعلوم اللغة وعلوم الدين والتاريخ والتراجم والبلدان والفلسفة والطب والفلك والجواهر والنقود والصيد والفروسية والموسيقى والطبيخ والفتوة والفراسة وغير ذلك من الموضوعات .

ويمكن القول إن معظم هذه المطبوعات وأجلها شأناً ظهر في مدينتي بغداد والنجف ، وهما من أوفر المدن العراقية حظاً من الطباعة ، وتليها الموصل والبصرة .

ورتب المؤلف هذه المطبوعات ، ونسقها بحسب أسماء مؤلفيها على حروف المعجم ، وذلك بعد أن ذكر عقب اسم المؤلف سنة وفاته بالتاريخين الهجري والميلادي .

ولاحظ المؤلف أن عدد المحققين المراقيين ازداد في السنوات الأخيرة ، وكان مرجع ذلك يعود إلى انتشار الثقافة واتساع مداها في أرجاء العراق ، وتكاثر خزائن الكتب ، وسهولة الوقوف على المخطوطات والحصول على نسخ منقولة عنها بالميكروفلم أو بالفوتستات أو بوسائل حديثة أخرى ، حتى بلغ ما نشر في العراق من كتب التراث العربي القديم منذ سنة ١٩٥٠ م حتى سنة ١٩٦٩ م أزيد عما نشر فيه منذ فجر الطباعة العربية .

وجعل المؤلف لكل مؤلف رقماً متسلسلاً عاماً ، أورد بعد اسمه عناوين مؤلفاته المطبوعة مرتبة على حروف المعجم ، ووضع ازاء كل منها رقماً خاصاً به .

واتخذ المؤلف الرموز الآتية (ت) لتوفي و (ج) للجزء أو المجلد و (د) للدكتور و (د ت) للذي طبع دون تاريخ ، و (ط) للطبعة و (ق . هـ) لقبل الهجرة و (م) للسنة الميلادية و (هـ) للسنة الهجرية ، كما ألحق بكتابه هذا فهرساً بأسماء المحققين والناشرين والمقدمين ، مما يسهل على الباحث والمطالع عملها فجزاه الله كل خير .

ع . ك

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية

علم الهيئة وملحقاته ، عدد صفحاته ٣٧٤

وضعه إبراهيم خوري

من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م

هذا فهرس بلغ عدد مخطوطاته التي فهرست ٤٠٣ مخطوطة ، أكثرها باللغة العربية وعددها ٣٨٢ ، ثم التركية وعددها ١٦ ، ثم الفارسية وعددها ٥ .

وتتضمن هذه المخطوطات مؤلفات في موضوعات فلكية مختلفة ، كعلم الهيئة والأزياج والجداول الفلكية والميقات والتقاويم وأحكام النجوم . وذيل هذه الموضوعات بمخطوطات تبحث في الرمل والطلاسم والسحر والروحاني وغير ذلك .

وقد رتب واضع هذا الفهرس أسماء الكتب بعناوينها الكاملة على حروف المعجم ، بعد أن أهمل كلمة كتاب ، ثم عرف الكتاب تعريفاً موجزاً ، ثم ذكر مؤلفه وسنة وفاته بالتاريخين الهجري والميلادي ، إن كانت معروفة ، وإلا اقتصر على ذكر عصره . ثم أثبت جملة تامة من أول المخطوط وآخره ، أو من أول كل جزء منه وآخره متى تعددت الأجزاء ، ثم بين نوع الخط واسم الناسخ وتاريخ النسخ إن ذكرا ، ثم وصف المخطوط بحالته الراهنة ، ثم ذكر عدد أوراقه وعدد السطور في كل صفحة منه وطول وعرض الصفحة بالسنتمتر ، ثم رقم المخطوط المتسلسل العام في دار الكتب الظاهرية مع الرقم الخاص الذي يحمله بين قوسين .

وألحق المصنف بهذا الفهرس ثلاثة أنواع من الفهارس ، مرتبة على حروف المعجم ، وهي فهرس الأعلام ، ويتضمن أسماء المؤلفين مع ذكر سني وفاتهم بالتاريخين الهجري والميلادي بين قوسين ، وفهرس المخطوطات التي ذكرت

في هذا الفهرس ، وفهرس المؤلفين والمخطوطات مرتب على الترتيب الزمني ، كما رجع في تحقيق أسماء الكتب والمؤلفين إلى عدة مصادر ذكرها في أول فهرسه .

واتخذ منسق هذا الفهرس بعض الرموز والمصطلحات للاختصار ، فاستعمل الرموز الآتية : ق لورقة ، و ص لصفحة و س لسطر و و لوجه الورقة ، و ظ لظهر الورقة ، و سم لسنتمتر ، و هـ لهجري ، و م لميلادي .

وبالختام نشكر واضع هذا الفهرس الفاضل على مابذل من جهد راجين له التوفيق والنجاح .

ع . ك

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية

(المنتخب من مخطوطات الحديث)

وضعه محمد ناصر الدين الألباني عدد صفحاته ٥١٥

من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٠ هـ = ١٩٧ م

هذا فهرس منتخب من مخطوطات كتب الحديث ، المحفوظة بدار الكتب الظاهرية ، ويعد هذا القسم من أغنى أقسام المخطوطات بهذه الدار حيث حوى عدداً كبيراً من نفائس هذا العلم ، سواء أكان ذلك بالقدم أو نفاسة الخط وجودة التصحيح .

وضعه في بادىء الأمر لنفسه ، ولم يكن يدور في خلده أنه سيطبع وينشر على الناس بصورته الحاضرة ، غير أنه وعد بالاستدراك عليه في المستقبل ولذلك اقتصر على ذكر اسم الكتاب والمؤلف وعدد أوراقه ورقمه الخاص به في المكتبة الظاهرية .

وأورد واضع الفهرس كثيراً من الكتب التي ليس لها علاقة مباشرة بعلم الحديث ككتب التاريخ والسيرة النبوية والقراءات والتفسير وغيرها ، واعتذر

على تصنيفها في فهرسه ، لأنه كان يرجع إليها كثيراً في بحثه في علوم الحديث ، فسجلها فيه تيسيراً لعمله وتوفيراً لوقته .

وصنف فهرسه هذا على المؤلفين ، ولم يتبع في ذلك طريقة خاصة ، فأحياناً يذكر لقب المؤلف ، ويورد آثاره ، مثل الآجري أبو بكر محمد ابن الحسين البغدادي فيذكره في مادة الآجري ، وأحياناً يذكر المؤلف حسب اسمه الأول ، مثل آدم بن أبي أياس العسقلاني ، مما يجعل الباحث في حيرة من مطالعة هذا الفهرس ، فكان الأولى بالواضع الكريم أن يعتمد طريقة معينة في تصنيف هؤلاء المؤلفين .

وبلغ عدد المؤلفين الذين ذكروا في هذا الفهرس ٧٣٨ مؤلفاً . وعدد الكتب أو الرسائل التي ذكرت فيه ١٥٧٨ مؤلفاً . وذيل فهرسه بفهرس للمؤلفات مرتبة على حروف المعجم ، فسهل بذلك على الباحث عمله فجزاه الله كل خير .

ع . ك

القمر في حياتنا وتراثنا

تأليف عبد القادر عياش

عدد صفحاتها ٥٦

طبعت بدير الزور ــ سورية ١٩٧٠ م

هذه رسالة قدمها مؤلفها لقراء العربية ، وفيها مباحث شيقة وطريفة عن القمر في حياة أبناء وادي الفرات وتراثهم ومعتقداتهم وعاداتهم ، منها : أهازيج في التخويف من القمر ، والقمر في أمثال أبناء الفرات ، والقمر في غناء أبناء وادي الفرات ، والقمر في مناجاة أطفال بلدة دير الزور وترانيمهم ، وألعاب أبناء وادي الفرات في ضوء القمر ، والقمر في اللغة

والأدب ، والقمر في الأمثال العربية القديمة ، والقمر في الشعر العربي القديم والقمر في آيات القرآن ، والقمر في الحديث النبوي ، والقمر في الألغاز الشعرية ، والقمر في شعر الشعراء العرب المحدثين ، والقمر في الأغاني العربية الحديثة ، والقمر في نثر الكتّاب العرب المعاصرين ، والقمر في شعر الشعراء الأجانب ، وتأثير القمر في الأرض وساكنيها ، وطبيعة القمر ، والقمر في معتقدات الشعوب وعاداتها ، والقمر في أساطير الشعوب ، وعبادة القمر ، والإنسان وقصة القمر والرحلات الخيالية والحقيقية إليه ، والقمر في حكايات الشعوب ، والقمر في أسماء الأعلام والأشياء والأماكن ، ونشيد القمر ، والقمر في ترانيم الصبيان المصريين .

هذه مجمل أبحاث هذه الرسالة الطريفة ، القليلة الصفحات ، والمتعددة المباحث والموضوعات . مما لا يستطيع الباحث أن يعثر عليها إلا بنصب وعناء ، وبعد قضاء وقت طويل في التنقيب عنها في بطون الكتب المخطوطة والمطبوعة .

وبالختام نتقدم بالشكر للمؤلف الفاضل على ما بذل من جهد في جمع هذه الرسالة وتنسيقها ، وتقديمها إلى جمهرة المطالعين والباحثين ، لتكون خير معين لهم في مطالعاتهم وأبحاثهم فجزاه الله كل خير وقوّاه على متابعة العمل في هذا المضمار .

ع . ك

فهرس المخطوطات العربية

بدار الكتب الشعبية في صوفية ، الجزء الأول عدد صفحاته ٢٩٢

القرآن وعلومه — الحديث وعلومه

وضعه عدنان الدرويش

من منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي دمشق — ١٩٦٩ م

أوفد واضع هذا الفهرس إلى صوفية في أول ايلول عام ١٩٦٣ م ، من قبل الجمهورية العربية السورية ، فلازم القسم الشرقي في دار الكتب الشعبية

ستة أشهر ، طالع فيها ثلاثة آلاف مخطوطة عربية ، أكثرها يبحث في الفقه على مذهب أبي حنيفة ، ويتلو ذلك في كثرة العدد كتب اللغة العربية وعلومها ، فكتب الحديث وعلومه ، فالقرآن وعلومه ، ثم عدد غير قليل من كتب الأدب ودواوين الشعر والفلسفة الإسلامية ، وكتب التاريخ والجغرافية والطب والصيدلة والهندسة والهيئة وغير ذلك من الرسائل التي تبحث في علوم مختلفة موزعة في بعض المجاميع .

وقد اتخذ واضع الفهرس لنفسه منهجاً في تنسيق هذه المخطوطات ، فذكر اسم الكتاب مرتباً على حروف المعجم ، فرقم الجزء من الكتاب إذا كان مجزءاً ، مع ذكر الموضع الذي يقف عنده المؤلف في آخر الجزء ، والموضع الذي يبتدئ به الجزء الذي يليه ، فاسم المؤلف ونسبه وتاريخ ولادته ووفاته بالتأريخين الهجري والميلادي ، هذا إن تيسر له ذلك ، وإلا اكتفى بذكر الزمن الذي عاش فيه ، فمضمون الكتاب وما يشتمل عليه من أبواب وفصول إن كان مرتباً عليها ، ففقرة يسيرة من بداية نص الكتاب ، ففقرة قصيرة من آخر الكتاب . ثم وصف النسخة فذكر نوع خطها وتزيينها ، والناسخ وتاريخ النسخ ، فعدد أوراقها ، وقياس طولها وعرضها .

وأخيراً فقد ذيل هذا الفهرس بفهارس للموضوعات ، وللكتب والرسائل والمؤلفين مما سهل على الباحث عمله ، فيستطيع أن يهتدي إلى ضالته المنشودة بدون عناء ونصب ، فجزاه الله أحسن جزاء .

ع . ك

عيون البصائر

بقلم : محمد البشير الإبراهيمي

عدد صفحاته ٦٩٣

طبع بمطابع دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣ م

يضم هذا الكتاب مجموع المقالات التي كتبها المرحوم الأستاذ محمد البشير الابراهيمي ، وقد كتبها كافتتاحيات لجريدة البصائر خاصة ، ويمكن حصر الموضوعات التي عالجها في المباحث الآتية : التعليم العربي ، والصحافة العربية ، والنوادي والمساجد وأوقافها ، وأعمال ومواقف جمعية العلماء بالجزائر وموقفها من السياسة والساسة ، وقضية فصل الدين عن الحكومة ، ومعهد عبد الحميد ابن باديس ، ومدارس جمعية العلماء بالجزائر ، والشبان والزواج ، والطلاق ، وجمعية العلماء والسياسة الفرنسية بالجزائر ، وجمعية العلماء وفلسطين ، وجمعية العلماء والإسلام ، وواجبات فلسطين على العرب ، وأثر الصوم في النفوس ، وحكمته في الإسلام .

كما ترجم المرحوم لبعض الأعلام كعبد الحميد بن باديس ، ومحمد بهجة البيطار ، والفضيل الورتلاني ، وعبد الحي الكتاني ، والمودودي ، والسلطان محمد بن يوسف ، ومحمد خطاب ، ومبارك الميلي وغيرهم .

وجملة القول إن مقالات المرحوم الأستاذ الإبراهيمي التي جمعت في هذا الكتاب لتدل دلالة واضحة على اتساع أفق الكاتب في كثير من الموضوعات . هذا بالإضافة إلى أسلوبه الرصين وفكره الصائب المنير ، سواء أكان ذلك في الدين أو السياسة ، أو التاريخ ، مما يدل على أنه كان مجدداً ومحافظاً في وقت واحد ، وستبقى هذه المجموعة من المقالات خالدة ، ومرجعاً يرجع إليه الباحثون ، تغمد الله الكاتب برحمته وغفرانه ، وأثابه أجزل ثواب على ما قدم لأمته من خدمات جلّى .

ع . ك

ديوان الخالديّين

أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدي

جمعه وحققه الدكتور سامي الدهان

٧٨٠ صفحة من القطع الكبير من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٩

ليس هذا ديواناً كاملاً لشعر الشاعرين الشقيقين اللذين يمثلان المشاركة في الشعر على أتم ما يكون الاجتماع في المشرب والاتفاق في الغاية، ولكنه (مختار) من شعر الخالديين، جمعه لهما الدكتور سامي الدهان كما كانا يختاران من شعر البحتري، ومسلم بن الوليد، وأبي تمام، وابن الرومي، وابن المعتز، والخباز البلدي، وبشّار بن برد.

ومن عجب أن ديوان الخالديين قد ضاع، ولكن الزمان لم يكن قاسياً عليهما بضياع ديوانهما، فأبقى لهما مختارات حفظها لنا الثعالبي صاحب «يتيمة الدهر» وابن فضل الله العمري صاحب «مسالك الأبصار»، ثم جاء الدكتور سامي الدهان، فأضاف إلى ما دونه الثعالبي والعمري ما وقع عليه من شعر لكل واحد من الأخوين، أو شعر منسوب إليهما جميعاً، فكان هذا الكتاب الجديد الذي نعرّف به اليوم، والذي نقف عليه مع محققه وقفة قصيرة، نعتقد أن أخانا القديم الدكتور سامي الدهان سيرحب بها، ويتهلل لها، كعادته تماماً منذ أن عرفناه من قرابة ربع قرن يفرح بالحق حين يهتدي إليه، وبالصواب حين يقع عليه.

ولقد صنع الدكتور سامي الدهان لديوان الخالديين مقدمة تلتقي في كثير من المسائل مع المقدمة التي صنعها لكتابهما «التحف والهدايا» الذي أخرجته دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦، وتفترق عنها في موضوعات من صميم الديوان

والشعر ، كطريقة الجمع ، وخصائص الديوان ، وطريقة التحقيق التي وافق فيها الدهان طريقتي الثعالبي وابن فضل الله العمري ، ثم زاد عليها ما أوجبه المنهج الحديث من ترتيب لشعر كل منها وتعليقٍ في الحواشي على جو القصيدة وتخريجها ، وذكر المصادر التي روت الأبيات بأجزائها وصفحاتها ، مخطوطة أو مطبوعة ، وتقييد صور الخلاف بين الروايات في مختلف المصادر . ولقد بلغ عدد المصادر التي نقل عنها المحقق خمسة وثلاثين مصدراً ما بين مخطوط ومطبوع ، وهذا فوق المصدرين الأصليين الذي كان عليهما المعوَّل ، وهما « يتيمة الدهر » و « مسالك الأبصار » .

واستخراج الشعر المتناثر لشاعر أو شاعرين من مصادر قديمة غير مبوَّبة ولا مفهرسة هو عمـل شاقّ يقتضي تقليب أوراق المصادر ورقة ورقة ، وصفحة صفحة . ولو أن هذه الكتب كانت تشتمل على فهارس بالشعر والقوافي وأسماء الشعراء ، كما يفعل المحققون المحدثون ، لهانت عملية الاستخراج من بطون الكتب . ومن هنا كانت صعوبة العمل الذي تصدّى له الدكتور سامي الدهان ، ويتصدى له دائماً كل باحث أو نابش في المصادر القديمة . ومن هنا أيضاً يظهر فضل المحقق بأجلى معانيه ...

ونكتفي بهذا التقديم لندخل إلى موضوع ملاحظاتنا ومراجعاتنا على تحقيق هذا الديوان الثمين ...

جاء في صفحة ١٠ ، السطر الثاني ، هذا البيت مرسوماً هكذا :

فاسقنيها حتى ترى الشمس في الـ غرب عليها غلالة صفـــراء

والدكتور سامي الدهان حريص دائماً على كتابة الشعر وَفْقَ أوزان العَروض . ومن هنا نُلزمه بما ألزم به نفسه دائماً في كل تحقيقاته الشعرية ،

حتى يرسم البيت السابق هكذا :

فاسقنيها حتى ترى الشمس في الغر ب عليهـــا غلالة صفـــراء

والبيت رقم ٧ في الصفحة العاشرة أيضاً ونصّه :

عجبـــاً ما رأيت من أعجب الأشـ ياء تقدير من له الأشـــياء

علّق عليه المحقق في هامش الكتاب بقوله : (هذا البيت ركيك في معناه ومبناه) . والحق أن البيت ليس ركيكاً على الإطلاق ، وامل الركاكة المزعومة دخلت إليه من طريقة الترقيم فيه ، فلو أننا فصلنا بين جمـــلة « عجبا ما رأيت » بفاصلة ، وبين الجملة التالية لها ، لظهر البيت قوي النسج ، صادق المعنى ، سليم الأسلوب . والجملة الثانية هي جملة اسمية ، ونصها : (مِن أعجب الأشياء ، تقديرُ مَن له الأشياء) . ومعناها أن تقدير الله العزيز الحكيم الذي له الأشياء كلّها وإليه أمرها هو تقديرٌ من أعجب التقادير .

في البيت رقم ٥ من صفحة ٤٣ ورد هذا البيت :

وبكت أسى فانهلّ نور ذائب وتبسمت فأضاء ظل حامـــد

وليس (للظل الحامد) هنا أي معنى . ولكن الصواب أنها (طل جامد) — أي طل (بالطاء المهملة) ، وهو المطر الخفيف ، وجامد بالجيم المعجمة ، من الجمود وعدم السيولة . والخالدي هنا يشبه أسنان موصوفته بحبّات المطر المتجمدة . وليس هذا التشبيه غريباً في الشعر العربي ، فالشاعر يقول :

كأنمـــا تبسم عن لؤلؤ منضد أو بَرَدٍ أو أقاح

والشاعر الآخر يقول :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت وردا ، وعضت على العنّاب بالبَرَد

والمشبه في الحالين هو الأسنان والمشبه به هو البرد ، الذي عبر عنه الخالدي بالطل الجامد .

في البيت الرابع من صفحة ٥٥ جاء هكذا :

ومسودّ صدغ فوق محمرّ وجنة ترى ذاك من مسك وهايتك[1] من خمر

(بتقديم الياء على التاء) في كلمة وهاتيك ، والصواب : وهاتيك ، وهي اسم إشارة .

في البيت الثاني من صفحة ٥٧ جاء هكذا :

ذي سمـــاء كخزام ونجوم مشرقات كنرجس وبهـــار

والبيت هكذا مكسور الوزن ، وصوابه :

ذي سمـــاء كخرّم ونجوم مشرقات كنرجس وبهـــار

والخرّم (بضم الخاء المعجمة الفوقية ، وفتح الواو المشددة) نَبْتٌ من فصيلة القرنفليات بنفسجي اللون ، وقد شبه به الشاعر لون السماء . ومن العجيب أن رواية « مسالك الأبصار » هي الصحيحة ، فعدل عنها المحقق إلى رواية « عيون التواريخ » وهي مكسورة ولا معنى لها .

البيت رقم ٣ من صفحة ٥٩ جاء مضبوطاً بالشكل هكذا .

لا يومَ كاليومِ أبرزته لنـــا رياضه في مُشْهَر الحِبَر

بإسكان الشين وفتح الهاء المخففة من لفظة (مشهر) والصواب بالتشديد على صيغة التفعيل لا الأفعال ، منعاً لانكسار الوزن على الضبط الذي ضبطه المحقق ، فالبيت من بحر المنسرح ، ولا يستقيم إلا بالتشديد .

البيت رقم ٢ من صفحة ٦١ جاء مضبوطاً هكذا :

عجبـــاً أنني أنافس في عِمْـ ـران أيامها ، وتخرب عمري

بوضع كسرة تحت عين (عمران) ، والصواب ضمها . لأن العمران بالضم

(١) نرجح أنه خطأ مطبعي لا يد للمحقق فيه . (المجلة) .

ضد الخراب وهو المقصود هنا ، أمّا عمران بكسر العين فهو اسم علم ولا محل له هنا .

البيت رقم ٢ من صفحة ٦٥ ، شكلت لفظة (ود) بكسر الواو ، والصواب ضمها ، أو فتحها ، أما الكسر فلا أعرفه ولم أجده في المعاجم[1] .

البيتان رقم ١ ، ٢ من صفحة ٦٧ ، رسما هكذا :

له قلم كقضـــاء الإلـ ه فبالسعد طوراً وبالنحس ماض

وما فارق الأسد في حالتيـ ه يبيسا وذا ورقات غضاض

والأصح والأسلم أن يرسما على الوزن العروضي هكذا :

له قلم كقضـــاء الإله فبالسعد طوراً وبالنحس ماض

وما فارق الأسد في حالتيه يبيسا وذا ورقات غضاض

البيت رقم ٣ من صفحة ٧٨ رسم هكذا :

وهياج له من البيض والرايا ت تحت العجاج شمس وظل

والصواب : أن يرسم وفقاً للوزن العروضيّ هكذا :

وهياج له من البيض والرا يات تحت العجاج شمس وظل

البيت رقم ٢٢ من صفحة ٨٩ ورد هكذا :

فتردّى في رداء لهـ و إلى الليـــل شامل

وفي البيت زيادة جعلته مكسوراً نابياً في الأذن ، فلفظة (في) زائدة ، وصوابه هكذا :

فـــتردّى رداءَ لهْـ وِ إلى الليل شامل

وهو من مجزوء الخفيف كما لا يخفى على المحقق .

(١) جاء في محيط المحيط للبستاني صفحة / ٢٢٣٢ / طبعة بيروت : الوُدّ : مثلثة . (المجلة)

البيت رقم ٢٣ من صفحة ٩٠ ورد هكذا :

ثم انثنى جـــذلان بيـ ن القنـــا والقنـــابل

وهو مكسور مضطرب الوزن ولم أهتد إلى تصويبه أو العثور على صوابه .

وفي المقطوعة رقم ٧٨ من صفحة ٩٤ ، أتى المحقق ببيتين لأبي بكر الخالدي ، مصدراً لهما بقوله : (وقال في معناه) أي في معنى المقطوعة السابقة لها . ولكنّ هنا لنا ملحظاً دقيقاً ، فالمقطوعتان حقيقةٌ في تغيير الأشياء وتحولها من حال إلى حال مغايرة . ولكن المقطوعة الأولى في التغيير من حسن إلى سيء ، والمقطوعة الثانية في التغيير من سيء إلى حسن . فالمقطوعتان ـ على وجه الدقة ـ ليستا في معنى واحد . ولا بأس من إيراد المقطوعتين حتى يستطيع القارىء الكريم أن يدرك ما نقول :

ونص المقطوعة الأولى :

وأخٍ جفا ظلماً وملّ ، وطالما فُقْنا الأنام مودة وندامى
فسلوتُ عنه وقلتُ : ليس بمنكر الدهر أن جعل الكرام لئاما
فالخمر ، وهي الراح ، ربَّما غدت خلاًّ : وكانت قبل ذاك مداما

ونص المقطوعة الثانية :

وكم من عدو صار بعد عداوة صديقاً مجلا في المجالس معظما
ولا غرو، فالعنقود من عود كرمة يُرى عنباً من بعد ما كان حصرما

والبيت رقم ١ من المقطوعة رقم ٨٧ صفحة ١٠١ ورد هكذا :

وجاهل بالغـــرام قلت له إذ قال : ما الهوى وما فتنه ؟

وهو مكسور مضطرب الوزن ، وقد سبب له هذا الكسرَ نقصٌ في بعض ألفاظه ، فهنا كلمة ناقصة يستقيم بها الوزن ، وصوابه هكذا :

وجاهل بالغـــرام قلت له إذ قال لي ما الهوى وما فتنه

فلفظة (لي) في الشطر الثاني ضرورية ليستقيم بها الوزن.

البيت رقم ٨ من صفحة ١١١ ورد مضبوطاً بالشكل هكذا :

من كف راضٍ عن الصدود وقد غضبتْ في حبه على الغضب

بتسكين التاء من الفعل (غضبت)، والصواب ضمها لأنها ضمير المتكلم[١].

البيت رقم ٢ من صفحة ١٥٧ ورد هكذا :

زعـــم الزهر أنه كسجايا ك شبيه في حسن حال وطيب

ولا يقال : هو شبيه كسجاياك ، ولكن يقال : هو شبيه لسجاياك ، والكاف هنا لا محل لها ، ولكن اللام هي الأجدر بأن تقع موقعها ، وتحل محلّها ،

هذه ملاحظات وقفتها عند قراءتي لهذا الكتاب الثمين في موضوعه ، الجيد في تحقيقه . ولله العصمة والكمال .

(القاهرة) محمد عبد الغني حسن

(١) نرجح أنه خطأ مطبعي . (المجلة)

COMPENDIUM (*)
OF
FATIMID LAW

حكم الفاطميون مصر وشمال افريقيا فترة دامت قروناً ثلاثة ، امتدت من القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر للميلاد . وكانت فترة هامة في تاريخ الفكر الإسلامي نشأت فيها نظم جديدة للحكم وأساليب مستحدثة في الرأي والحياة ، اختلطت فيها العناصر الإسلامية التي قامت عليها الدولة الفاطمية بعناصر فلسفية أجنبية من يونانية وفارسية ، تركت أثرها الواضح في تاريخ تلك الدولة واتجاهاتها .

وقد أراد الأستاذ الفاضل آصف فيضي في كتابه عن الفقه الفاطمي أن يعطينا لمحة محدّدة عن جانب من جوانب هذا التطور الفكري من خلال عرض موضوعي لمباحث مختارة من الفقه الفاطمي ، وإبراز الخصائص التي تميز هذا الفقه عن غيره من المذاهب الإسلامية .

على أن هناك صعوبتين أساسيتين اعترضتا سبيل بحث الأستاذ المؤلف : أولاهما النقص الكبير في تواريخ نشوء الحركة الفاطمية والتناقضات الواضحة بين الروايات ذات الصلة بها ، وثانيتهما ضآلة المصادر الفقهية التي يمكن الوثوق بها ، أو الاعتماد عليها عند تحديد القواعد الفقهية التي انبثقت عن المذهب الفاطمي .

ومن الواضح أن المؤلف الكريم لم يقصد إلى كتابة بحث في أصل العقيدة الفاطمية أو تاريخها ، ولكنه قصد إلى عرض بعض المواضيع الفقهية التي يمكن أن يكون لها فائدة لدى المحاكم التي تحكم بين أتباع تلك العقيدة في دولة الهند . ولذا اقتصر على مباحث تتعلق بمجملها بالأحوال الشخصية

(*) الموجز في الفقه الفاطمي تأليف الأستاذ آصف فيضي . طبع في الهند عام ١٩٦٩ بعناية المعهد الهندي للدراسات العالية .

في حين أنه استبعد القوانين الجزائية التي لا يمكن تطبيقها في ظل الأنظمة الحقوقية القائمة في الدولة . أما الالتزامات الروحية والمنوية كالصلاة والصيام وإقامة الشعائر الدينية فقد أغفل المؤلف عرضها لكونها مباحث عبادة لا دخل للقوانين الوضعية فيها .

وقد رجع المؤلف إلى مصادر عدة ، بعضها ما يزال مخطوطاً . ولكن ضآلة مصادر الفقه الفاطمي بالقياس إلى مصادر فقه أبي حنيفة والشافعي والمالكي وابن حنبل والاثني عشرية جعلت المؤلف يعتمد على كتاب عظيم الأثر في الفقه الفاطمي هو كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان .

وقد أراد المؤلف في مقدمة موجزة ولكنها متوازنة دقيقة أن يمهد للمباحث الفقهية التي اختارها ، فأشار إلى خصائص العقيدة الفاطمية ، وإلى انقسامها إلى ظاهر وباطن . كما أشار إلى انقسام الباطن إلى تأويل وحقيقة . ولكن المؤلف الذي لم يقصد في هذا الكتاب إلا إلى عرض بعض مباحث الفقه الفاطمي كما قلنا ، لم يشأ أن يتورط في مباحث إيمانية باطنية لا مكان لها في هذا الكتاب ، لأن الباطن كما يقول المؤلف ، معقد ، صعب ، ويقبل تأويلات متباينة . كما أن العقيدة نفسها تتطلب أن يكون ذلك الباطن سرياً ، يحافظ عليه من يكون على علم به . ولما كان مثل هذا الباطن لا علاقة له بالقوانين التي تنتظم سلوك الفرد في المجتمع ، فإنّ البحث فيه أمر لا جدوى منه في هذا الصدد .

أما المباحث الفقهية التي اختار المؤلف أن يعرض أحكامها فهي : الزواج ، انتهاء الزواج ، الأوقاف ، الوديعة ، وغيرها ، الوصايا ، الإرث ، القضاة . كما أن هناك ملاحق تتعلق بالأطعمة والأشربة والملابس والزينة والطيب .

وبديهي أن مثل هذه المواضيع تدفع إلى مقارنات فقهية بين ما ورد حولها من أحكام في المذاهب الأخرى ، وما ورد في كتب الفقه الفاطمي . والأستاذ المؤلف لا يغفل عن هذه المقارنات ، ولذا نراه في أكثر من موضع واحد

يحاول أن يبين اختلاف الفقه الفاطمي عن مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة في أكثر المواضع وعن مذهب الطائفة الأثني عشرية في مواضع أخرى .

على أن المسألة الهامة التي لا يستطيع القارئ أن يفهم مباحث الفقه الفاطمي إن لم يقف عليها هي مسألة الإمامة نفسها . ذلك أن العقيدة الفاطمية ـ كغيرها من مذاهب الشيعة ـ ترفض ما اتفق عليه أهل السنة من إمكان الوصول إلى أحكام جديدة بواسطة الرأي والقياس والإجماع . وينقل المؤلف عن القاضي النعمان انتقاده لأهل السنة لأخذهم بهذه الطرائق واعتبار عملهم هذا من قبيل الظن والهوى ، فالتشريع في المذهب الفاطمي لا يمكن أن يترك لعامة الناس مهما تكن كفاءتهم الفقهية والخلقية ، لأن الإمامة وحدها تملك الحق في استنباط الأحكام وفرضها ، والإمامة سلطة مطلقة تسلمها الإمام علي (رض) من الرسول ﷺ ، ثم تسلمها منه الحسن فالحسين ، فالأئمة الآخرون من ظاهرين ومستورين . ومثل هذه السلطة لا يمكن أن تخضع لأصوات جماعة المسلمين الذين لا يملكون منحها أو حجبها عن الإمام كما يقول بذلك أهل السنة . وهي بالتالي تفترض طاعة كاملة للإمام والعمل بظاهر الكتاب الكريم والسنة وقول الأئمة .

ومن الإنصاف للمؤلف الفاضل أن نذكر له عنايته بشرح هذا الموضوع شرحاً ضافياً ، وأن نذكر له أيضاً إشارته إلى المشكلات التي يمكن أن تجابه هذه النظرية إذا ما أريد تطبيقها في الأزمنة الحديثة ، وإلى التناقضات الكبيرة التي يمكن أن تثيرها والتي لا أمل في حلها .

على أن الكتاب يظل مرجعاً مفيداً للذين يحرصون على الاطلاع على نماذج من الفقه الفاطمي . ولا شك في أن الباحثين الذين يُعْنَوْنَ بدراسة المذاهب الإسلامية سيجدون فيه زاداً غزيراً للتأمل والمقارنة .

الدكتور عمر النص

آراء وأنباء

تقرير

عن اشتراك ممثلي مجمع اللغة العربية بدمشق في لجنة وضع نظام اتحاد المجامع العلمية اللغوية العربية

وجه الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة إلى كل من الرئيس الدكتور حسني سبح وعضو اللجنة الإدارية الدكتور عدنان الخطيب، دعوة إلى الاشتراك في لجنة تتولى وضع نظام لاتحاد المجامع العلميـة اللغوية القائمة في مختلف الدول العربية، وذلك استجابة للقرار الذي أصدره مؤتمر المجمع المنعقد في القاهرة بجلسته الختامية في ٢/٢/١٩٧٠، بعد أن قام مجمع دمشق ببعث فكرة الدعوة إلى هذا الاتحاد خلال الاحتفال بعيده الخمسيني في نهاية عام ١٩٦٩، وحدد الأمين العام في دعوته موعد اجتماع ممثلي المجامع اللغوية الثلاثة في القاهرة بتاريخ ٢٨/٤/ إلى ٣٠/٤/١٩٧٠، مرفقاً بها مشروع نظام أساسي لاتحاد مماثل كان مجلس جامعة الدول العربية دعا إلى إقراره عام ١٩٥٧.

وغادرنا دمشق تلبيـة للدعوة المذكورة مساء السبت الواقع في ٢٥ من نيسان (ابريل) / ١٩٧٠ / لتعذر وجود أي طائرة عربية تغادر دمشق إلى القاهرة في اليومين السابقين لموعد الاجتماع.

وزرنا مجمع اللغة العربية في القـاهرة ضحى يوم الأحد، فلقينا بعض الزملاء المجمعيين مجتمعين في جلسة رسمية للجنـة الأصول، فرحب بقدمنا الأستاذ زكي المهندس نائب رئيس مجمع اللغة العربية ورئيس اللجنة المذكورة، وبعد أن تبـادلنا الأحاديث الودّية مع الرصفاء أعضاء اللجنـة أطلعنا على البحوث المعروضة عليها وعلى بعض مقرراتها، ثم أبلغنا أن موعد الجلسة

الأولى للجنة المدعوة لوضع نظام لاتحاد المجامع العلمية اللغوية ، قد حدّد في الساعة الحادية عشرة من يوم الثلاثاء الواقع في ١٩٧٠/٤/٢٨ ، وعلى أن يكون في دار الأستاذ الرئيس الدكتور طـٰه حسين نظراً لحالته الصحية .

وافتتح الأستاذ الدكتور طـٰه حسين الجلسة الأولى في الموعد المحدد وقد حضرها عن مجمع القاهرة كلّ من الأستاذ زكي المهندس نائب الرئيس ، والدكتور إبراهيم مدكور الأمين العام ، وعن المجمع العلمي العراقي الأستاذ عبد الرزاق محي الدين رئيس المجمع ، وعن مجمع دمشق كل من الدكتور حسني سبح رئيس المجمع والدكتور عدنان الخطيب عضو اللجنة الإدارية ، وبعد أن رحب الأستاذ الرئيس بقدوم الزملاء إلى مصر متمنياً لهم طيب الإقامة ، تلا الدكتور إبراهيم مدكور البرقية التي أرسلها الدكتور أحمد عبد الستار الجواري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي في بغداد وعضو اللجنة معتذراً فيها عن تخلفه بسبب مشاغله الحكومية ، فاقترح الدكتور عبد الرزاق محي الدين رئيس المجمع العراقي دعوة الأستاذ محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمي العراقي الموجود في القاهرة يومئذ ، إلى الاشتراك في أعمال اللجنة ممثلاً عن مجمع بغداد معه ، فوافقت اللجنة على دعوته إلى الجلسة التالية .

وتكلم الدكتور إبراهيم مدكور عن موضوع اتحاد المجامع العربية ذاكراً أن للفكرة تاريخاً قديماً ، إذ كانت أثيرت أول مرة في دمشق سنة ١٩٥٦ في مؤتمر دعت إليه اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية ، وحضره ممثلو كل من مجمعي القاهرة وبغداد إضافة إلى مجمع دمشق ، وانتهى الأمر بتوصية قدمت إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، من أجل العمل على إنشاء اتحاد للمجامع المذكورة .

ووقف أمر هذا الاتحاد عند هذا الحد عدة سنوات ، ثم أثير الموضوع مرة أخرى سنة ١٩٥٨ ، وقامت جامعة الدول العربية دون مشاركة من المجامع العربية بإعداد المشروع الذي وزع على أعضاء اللجنة ، وبما أن هذه

المشروع لم يوضع من قبل ممثلي المجامع نفسها ، فقد ظل مهملاً ولم يأخذ طريقه إلى التنفيذ .

ولما رأت الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية أن موضوع اتحاد المجامع قد أثير في مؤتمر مجمع اللغة العربية الأخير المنعقد في القاهرة ، أرسلت خطاباً مع نسخ من المشروع القديم إلى مجمع القاهرة للتذكرة ، ثم تابع الدكتور مدكور كلامه قائلاً : إن المفروض بالاتحاد المتفق على إنشائه أن يقوم ممثلو المجامع نفسها بوضع نظامه الأساسي ، إلاّ أني حرصت على أن يكون المشروع الذي أعدته الجامعة بين أيدي الزملاء ، للاستئناس . كذلك استأنس المجتمعون بنظام اتحاد الجامعات العربية وبنظام الاتحاد العلمي العربي ، وهذان الاتحادان تشرف عليها جامعة الدول العربية ، وهي تسهم في نفقاتها إذ أنها خصصت إعانة قدرها / ٢٠٠٠ / جنيه إلى الاتحاد الأول ومبلغ / ١٠٠٠ / جنيه إلى الاتحاد الآخر ، وهذا هو أقصى ما يمكن لميزانية الجامعة أن تسهم به لدعم أمثال هذه الاتحادات . أما الجانب الأكبر من أموال الاتحادات فتكون من اشتراكات الهيئات المشتركة فيها .

واقترح الدكتور إبراهيم مدكور أن يؤخذ مشروع الجامعة أساساً للمناقشة ، فتستعرض اللجنة المبادىء التي تضمنها آخذة منها ما كان متفقاً مع المصلحة العامة . وبدأت اللجنة بدراسة مواد المشروع مادة مادة ، وكان يجري حول كل مادة نقاش بين الأعضاء إلى أن يتم اتفاقهم على الصيغة الأفضل ، وقد تم في الاجتماع الأول إقرار صيغة عشر مواد من النظام المراد وضعه ، ثم رفعت الجلسة قبيل الساعة الواحدة ظهراً .

وعقد أعضاء اللجنة الجلسة الثانية في مبنى مجمع اللغة العربية برياسة الأستاذ زكي المهندس ، وذلك في الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء الواقع في ٢٨ نيسان (ابريل) ، وقاموا بإتمام دراسة مواد النظام ، وانتهى الاجتماع بوضع صيغة بقية المواد ثم رفعت الجلسة في الساعة الثامنة مساء .

وكان انعقاد الجلسة الثالثة في الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح اليوم التالي الواقع في ٢٩ نيسان (ابريل) برياسة الأستاذ الدكتور طـه حسين ، وفي هذا الاجتماع أعيدت قراءة مواد النظام التي سبق إقرارها ، وبعد مناقشات عديدة تم الاتفاق على الصيغة النهائية للنظام الأساسي لاتحاد المجامع العربية اللغوية ، على أن يتم وضعه موضع التنفيذ بعد إقراره من قبل المجامع الثلاثة ، وعرضه على الحكومات المختصة ، ورفعت الجلسة في الساعة الثانية والنصف .

واتفق الجميع على الحضور إلى مبنى مجمع اللغة العربية ضحى يوم الخميس الواقع في ٣٠ نيسان (إبريل) ١٩٧٠ للتوقيع على محاضر الجلسات وعلى النسخ الأصلية للنظام بصيغته النهائية ، وتم ذلك قبيل الظهر .

وبعد ظهر اليوم نفسه غادر الرئيس الدكتور حسني سبح القاهرة عائداً إلى دمشق ، بينما تأخر الدكتور عدنان الخطيب حتى ظهر يوم الأربعاء الواقع في ١٩٧٠/٥/٦ لإنجاز بعض الأعمال المجمعية التي كلف بها .

ونقدم في طيه إلى الزملاء المحترمين أعضاء مجمع دمشق نسخة من « نظام اتحاد مجامع اللغة العربيـة اللغوية » كما أقرته اللجنة في الاجتماع الأخير ليروا رأيهم فيه .

دمشق في ٢ ربيع الأول ١٣٩٠ هـ

٧ نيسـان ١٩٧٠ م

عضو اللجنة الادارية — الرئيس

الدكتور عدنان الخطيب — الدكتور حسني سبح

* * *

مشروع النظام الأساسي
لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

المادة الأولى : ينشأ لمجامع اللغوية العلمية العربية اتحاد له شخصية معنوية مستقلة ، ويكون مقره مدينة القاهرة .

المادة الثانية : يتألف الاتحاد من :

أ — مجمع اللغة العربية في دمشق .

ب — المجمع العلمي العراقي في بغداد .

ج — مجمع اللغة العربية في القاهرة .

د — كل مجمع لغوي علمي تنشئه دولة عربية مستقلة ، ويوافق مجلس الاتحاد على قبوله .

المادة الثالثة : أهداف الاتحاد :

أ — تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها في الأمور المتصلة باللغة العربية وبتراثها اللغوي والعلمي .

ب — العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها .

المادة الرابعة : يدير أعمال الاتحاد مجلس يسمى (مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية) ويؤلف على الصورة الآتية :

أ — عضوان من كل مجمع لغوي يختارهما المجمع العضو ، أربع سنوات قابلة للتجديد .

ب — رئيس اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية .

المادة الخامسة : ينتخب أعضاء مجلس الاتحـاد من بينهم رئيساً وأميناً عاماً وأمينين مساعدين ، لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد .

المادة السادسة : يجتمع مجلس الاتحاد مرة على الأقل كل سنة في دورة عادية ، ويحدد مكان الاجتماع وزمانه بقرار من المجلس ، ويجوز أن يجتمع بدعوة من أمين عام الاتحـاد بناء على طلب مجمعين على الأقـل في دورة غير عادية عند الضرورة .

المادة السابعة : تعتبر اجتماعات مجلس الاتحاد صحيحة بحضور الأغلبية المطلقة للأعضاء . وتصدر القرارات بالأغلبية المطلقة للحاضرين ، وفي حالة تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي يضم إليه الرئيس .

المادة الثامنة : اختصاص المجلس :

أ — النظر في الأعمال السنوية لمكتب الاتحاد وإقرارها .

ب — النظر في ميزانية مجلس الاتحاد السنوية وإقرارها .

ج — تنظيم وسائل الاتصال بين المجـامع اللغوية العلمية العربيـة وتنسيق جهودها .

٤ — العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التي تقرها المجامع المختلفة واتخاذ الوسائل اللازمة لذلك .

٥ — وضع المشروعات التي تحقق أهدافه ، والإشراف على أعمال مكتب الاتحاد .

٦ — النظر في الاقتراحات المتصلة بأهداف الاتحاد التي تقدمها الهيئات اللغوية والعلمية ، والمشتغلون بدراسة اللغة والمصطلح العلمي في العالم العربي أو خارجه .

٧ — تنظيم عقد مؤتمرات وندوات للدراسات التي تحقق أهداف الاتحاد ، تشترك فيها المجامع الأعضاء ومن يرى الاتحاد دعوتهم من العلماء المتخصصين .

٨ — وضع الأنظمة الداخلية اللازمة لسير العمل .

المادة التاسعة : يعقد مجلس الاتحاد جلساته في مقره الرسمي أو في بلد من بلاد المجامع الأعضاء .

المادة العاشرة : مكتب الأمانة العامة في المقر الرسمي للاتحاد ، وللأمين العام أن يستعين بمن تدعو الحاجة إليهم من الموظفين .

المادة الحادية عشرة : اختصاصات الأمانة العامة :

أ — تنفيذ قرارات مجلس الاتحاد ومتابعتها وتصريف الأمور الإدارية والمالية .

ب — تقديم تقرير سنوي عن أعماله إلى مجلس الاتحاد .

ج — إعداد جدول الأعمال لاجتماعات المجلس مع تحديد مدة انعقاده .

د — تحضير ميزانية المجلس وعرضها عليه ، وتسلم الإيرادات وإصدار أوامر الصرف في حدود الميزانية المقررة .

هـ — ينوب الأمينان العامان المساعدان عن الأمين العام في تنفيذ قرارات الاتحاد ، كل في مجمعه .

المادة الثانية عشرة : تتكون مالية الاتحاد من :

أ — اشتراكات المجامع الأعضاء التي يحددها مجلس الاتحاد .

ب — الاعانة المالية السنوية التي تقدمها الأمانة العامة للدول العربية .

ج — الهبات والإعانات التي يقبلها مجلس الاتحاد .

المادة الثالثة عشرة : تودع أموال الاتحاد في مصارف عربية يعينها مجلس الاتحاد ويرسم المجلس طريقة الإيداع والسحب .

المادة الرابعة عشرة : تحدد اللائحة الداخلية إجراءات تنفيذ النظام الأساسي للاتحاد . ولمجلس الاتحاد أن يعدل هذا النظام بموافقة ثلثي أعضائه على أن يدرج مشروع التعديل في الدعوة الموجهة للاجتماع .

المادة الخامسة عشرة : يصبح النظـام الأساسي للاتحاد نافذاً بمجرد موافقـة المجامع الأعضاء عليه .

القاهرة في ٣٠ أبريل (نيسان) ١٩٧٠

التواقيع :

المجمع العلمي العراقي
الدكتور عبد الرزاق محي الدين
اللواء محمود شيت خطاب

مجمع اللغة العربية في القاهرة
الدكتور طه حسين الأستاذ زكي المهندس
الدكتور ابراهيم مدكور

مجمع اللغة العربية في دمشق
الدكتور حسني سبح الدكتور عدنان الخطيب

* * *

هذا ، وأقر مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق المشروع المذكور في جلسته التي عقدها في ١٩٧٠/٥/٧ ، ثم تلقى المجمع من القاهرة أن مجمع اللغة العربية قد عرض عليه في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٧٠/٥/١١ مشروع النظام الأساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ، فأقر المشروع جميعه مع تعديلين يتصلان بالمادتين الرابعة والتاسعة من المشروع ، فأصبحت المادة الرابعة كما يلي :

« يدير أعمال الاتحاد مجلس يسمى مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ويؤلف من عضوين عن كل مجمع لغوي أو علمي يختارهما المجمع العضو لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد » .

وأصبحت المادة التاسعة كما يلي :

« يعقد مجلس الاتحاد جلساته في مقره الرسمي أو في بلد من بلاد المجامع الأعضاء . وتدعى الجامعة العربية لإرسال مندوب يحضر اجتماعات المجلس » .

وعرض هذان التعديلان على مجلس مجمع اللغة العربيـة بدمشق في جلسته المنعقدة في ٢٨/٥/١٩٧٠ فأقرها ، وأبلغ مجمع اللغة العربية في القاهرة ذلك .

وتلقى مجمعنا من المجمع العلمي العراقي رسالة بتاريخ ١٧/٦/١٩٧٠ جواباً عن كتابنا إليه ، يعلمنا فيه أن مشروع النظام الأساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية عُرض على مجلس المجمع العلمي العراقي في جلسته السادسة العشرة المنعقدة بتاريخ ٥/٥/١٩٧٠ فأُقر بما فيه التعديلان للمادتين الرابعة والتاسعة الجاريان من قبـل مجمع القاهرة ، مع الإيصاء بإضافة الفقرة التالية إلى آخر المادة الرابعة (ويختار كل مجمع عضوين آخرين ينتخبها في كل دورة للمشاركة فيها) .

وجاء في تعليل هذه الإضافة : أن العضوين الممثلين ربما لا يتوفران توفراً وفياً على القضايا المعروضة على مجلس الاتحاد ولهذا فإن إضافة عضوين من ذوي الاختصاص يعين على الوفاء بحاجته .

* * *

وسينظر مجلس اتحاد المجامع في التعديل الجديد المقترح .

حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديرة بالدراسة

[مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفها]

- ٧ -

ن خ ب النَّخْبُ ، الشَّرْبَةُ العظيمةُ ، عن أبي زيد ونصُّه : النُّخْبَةُ بالضَّمّ مع الهاء .

النَّخِب : واد بالطائف ، قيل : نَجْلُ نَخْبٍ : ماء ذلك الوادي ، وقال ياقوت : النَّجْلُ النَّزّ .

ن د ب نَدَبَ المَيِّتَ : بكاه .

نَدِبَ الجُرْحُ : حلبت ندبته . والنَّدَبَةُ : أثر الجُرْح الباقي على الجلد .

أنْدَبَه : ضَرَبَه فأدماه .

باب المَنْدَب : مرسىً ببحر اليمن ، قال ياقوت ، هو من نَدَبْتُ الإنسانَ لأمرٍ : إذا دعوتَه إليه .

ن ر ب النَّيْرَب ، وبلفظ التثنية : موضع قرب دمشق وسط البساتين كثير الماء .

نيرَبي : قريةٌ كبيرة شرقيّ الموصل ذات بساتين .

ن س ب النَّيْسَب : طريق حمير الوحش إلى مواردها .

ن ص ب النَّصِيب : الحَوْض .

النَّصائبُ : ما نُصب حَوْلَ الحوض من الأحجار ، أي : ليكونَ علامةً لما يُرْوِي الإبل من الماء ، واحدتها نصيبة .

نَصِيبُونَ ونَصِيبِينَ : بلدة عامرة من بلاد الجزيرة كثيرة المياه .

ن ض ب نَضَب الشَّيء : سال وجرى

نَضَبَ الماء ، ينضُب وينضِب كنَضَّب : إذا ذهب في الأرض وغار ، نضَّبت الناقة : قَلَّ لبنُها .

غديرٌ ناضِبٌ وعينٍ مُنْضِبَّةٌ ، غار ماؤها .

نَضَب ماء وجهه : إذا لم يَسْتَحْيِ .

التَّنْضُبُ : شجرٌ حجازيٌّ لاتراه إلا كأنَّه يابسٌ مُغْبَر .

قال ابنُ سِيدهْ ، وعندي أنَّه سُمِّي بذلك لقلة مائه .

تَنْضُب : بلدة قرب مكَّة ، كأنها سُمِّيت لقلَّة مائها .

ن ط ب النَّاطبةُ واحدة النَّواطِب وهي خُرُوقٌ تجعل في مِبْزَل الشراب ، أو في أي شيء يُتَصَفَّى منه ، وخُرُوقُ المِصْفاة تُدعى النَّواطِب .

ن غ ب نَغَبَ الرِّيقَ : ابتلعه ، ونغب الطائرُ : حسا من الماء ، ولا يقال شرب .

نغبَ الإنسانُ في الشُّرْب : جرِع . والنَّغْبَةُ من اللبن : الجَرْعةُ منه .

وفي الصحاح النُّغْبَةُ : الجُرْعَة . قال ابن السِّكِّيت : والفتحُ للمرة الواحدة .

وكذلك يُفرَّق بين الجَرعة والجُرعة وسائر أخواتها بمثل هذا .

ن ق ب نَقَبْتُ الماءَ : هجمتُ عليه أو وَردتُ عليه من غير طلب .

نَقَب البيطار سُرَّة الدابة : فتحها ليخرج منها ماءً .

النَّقَب : قَرْحة تخرج بالجنب كالنَّاقِبة .

النَّقْبُ : الجَرَب كالنُّقْبة .
المِنْقَب : حديدة تُنْقَبُ بها القرحة ليخرج ماؤها .
النَّقيبة : العظيمة الضَّرع من النُّوقِ .
نَقْبُ العين : هو القَدْح بلسان الأطباء يعالجون به الماءَ الأسود يحدث في العين .
نَقَبانة : ماءَةٌ بأجإٍ .

ن ك ب نَكَبَ الإناءَ : هَراقَ ما فيه .
النَّكْباء كلُّ ريح مِعْجاجٌ تحْبِس القَطْر أو لا مطرَ فيها ولا خيرَ عندها .

ن و ب النَّوْبَةُ : الورودُ على الماء المرةَ بعد الأولى .
النَّوْبُ : أن يطرُد الإبل إلى الماء ، فيُمْسِي على الماءِ ينتابُه .
تناوبَ القومُ النَّوْبَةَ : تقاسموا الماءَ على حصاة القَسْم .
ناوَبه : عاقبَه . والمنابُ الطَّريقُ إلى الماء ، لأنَّ الناسَ يتناوبون الماءَ عليها .
المُنيبُ : المطرُ الجَوْد .
مُنيبُ ، ماءٌ لضَبَّةَ .

ن ي ب ناب : نهرٌ قُرْب أوَانَى .

و أ ب الوَأْبُ الضَّخْم والواسِعُ من القِداح . يقال : إناءٌ وأب ، وبئرٌ أو قِدْرٌ وأْبَةٌ ووَئِيبةٌ ، أي : قَعيرَة .
الوَأْبَةُ : النُّقْرة في الصَّخْرَة تمسك الماءَ . ومن الآبار : الواسعةُ أو البعيدةُ القَعْر .

و ث ب المِيثَبُ : الجَدْول .
المِيثَبُ : ماءٌ لعُبادةَ بالحجاز ، وماءٌ لعُقَيل بنجد .

مِيثَبٌ : وادٍ من أوديةِ الأعراض التي تسيل من الحجاز في نجد .
المِيثَبُ ، موضع بمكةَ عند بئر خُمٍّ ، وقيل : عند غدير خُمٍّ .

و ج ب الوِجابُ مناقِعُ الماء ، مفرده وَجْبٌ وهو : مايبقى فيه الماء ، أو هو سِقاءٌ عظيم من الجلد .
الوَجْبُ : النَّاقة التي ينعقدُ اللِّبأُ (١) في ضرعها ، كالمُوَجِّب من التوجيب .
يقال وَجَّبَتْ الإبلُ : إذا أيبست ،
وَجَّبَ النَّاقةَ : إذا لم يحلُبْها في اليوم واللَّيلة إلا مرةً واحدة .
قال اللِّحياني : وَجَّبَ فلانٌ نفسَه وعياله وفرسَه : عوَّدَهم أُكلةً واحدةً في النهار ، أيّ جعل قُوتَهم كلَّ يوم وجبةً .
وَجَبَتْ العين : غارت ، ومنه وجبتْ الشمسُ : غابت .

و ذ ب الوذاب: الأكراش والأمعاء يجعل فيها اللَّبَنُ ثم تُقَطَّعُ .

و ر ب الوَرِبُ : المُسْترخي الواهي من السَّحاب .

و ز ب وَزَبَ الماء : سال ، ومنه الميزابُ ، أو هو فارسيٌّ معرَّب .
قال السيد عاصم على هامش التاج : ما دام الوزب بمعنى الجريان ، فما الموجب لجعل أصل الميزاب فارسياً مع التكلف في تعريبه ؟
أوزَبَ في الأرض : ذهب فيها كما ذهبَ الماء .
الوزَّابُ : اللِّص الحاذِقُ لسرعة سيلانه كالماء الجاري .

و س ب وَسِبَتْ الأرض : كَثُر عشبها فأوسبت أو يقال لنباتها : الوِسْبُ .
الوَسْبُ : خشبٌ يوضع في أسفل البئر لئلا تنهال .
كبشٌ موسِبٌ : كثيرُ الصُّوف على التشبيه بالأرض الكثيرةالعُشْب .
وَسْبَيَ : ماءٌ لبني سُلَيْم .

---

(١) اللبأ : أول اللبن عند الولادة قبل أن يرقّ .

و ص ب وَصَبَ لبن الناقة ، دام . وأوصبَت الناقة دام لبنها وثبت ، فهي مُوصِبَةٌ ومواصِبَة .

و ط ب الوَطْبُ : سِقَاءُ اللَّبن ، أو هو الزِّقّ الذي يكون فيه السمن واللبن .

الوَطْبُ : الثَّديُ العظيم . الوَطْبَاء : العظيمة الثَّدْي .

يقال للرَّجُل ، صَفِرت وِطابُه أي : مات أو قُتِلَ . وقيل إنهم يَعنون بذلك خروج دمه من جسده . وقيل ، معنى صَفِرَ الوِطابُ : خلا أساقيه من الألبان التي تُحقن بها ، لأن نِعَمَه أغير عليها ، فلم يبقَ له حَلُوبة .

و ظ ب وَظَب : دام ولزم . ووَظَب عليه : دَوامه .

أرضٌ مَوْظُوبَةٌ : تُدُووِلت بالرَّعي فلم يَبْقَ فيها كلأٌ .

و ع ب الوَعيبُ : الواسع . يقال وعاءٌ وعيبٌ : يستوعب كلَّ ما جُعل فيه .

و ق ب الوَقْبُ : نُقْرَة في الصخرة يجتمع فيها الماء .

الوَقْبَةُ : كالوَقْب ، وأماكن يستنقع فيها ماء السماء .

الميقابُ : الرَّجُل الكثيرُ الشُّرب للماء .

الوَقْباءُ : ماءَةٌ قريبة من الينسوعة .

الوَقْبَى : ماءٌ بني مازن .

رَكِيَّةٌ وقباء : غائرة الماء .

(يتبع) عدنان الخطيب

عود إلى « عصَّر » من العصر

قرأت في الجزء الأول من المجلد الخامس والأربعين من مجلة « المجمع » الموقر الجوابين الواردين من عضوي مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ الدكتور صلاح الدين الكواكبي والأستاذ عبد الهادي هاشم المتضمنين اقتراحاتهما حول صيغة « عصَّر » من العصر « الزمن » وإمكان استعمالها كما تستعمل صيغة مدَّن وهوَّد وثقَّف . والقصد من صيغة عصَّر هذه : جعل الشيء عصرياً : Moderniser . وقد بدا لي أن أشارك في هذا الموضوع فأقول :

إنّ « عصَّر » لم ترد في معجمات اللغة متصلة بكلمة « العصر » بمعنى الزمن ، وقد أشار الأستاذان الفاضلان إلى ذلك . وليس من صلة بين « عصّر الزرع » نبتت أكمام سنبله ، وعصّرت الفتاة بلغت شبابها وأدركت .... و « عصَّر » في كلا المثالين لازمة لا متعدية وهي على هذا مختلفةٌ عن « عصَّر » التي أخذت تشيع في لغة الصحف العربية ، والتي يراد بها جعل الشيء عصرياً كأنها المقابل للكلمة الفرنسية المشار إليها .

وقد أبدى الأستاذ الدكتور صلاح الدين الكواكبي رأيه فوقف عند ما ورد في معجمات العربية ، ولما وجد أن لا صلة بين المعنى الجديد والمعاني المستفادة من الاستعمالات القديمة أنكر الجديد ، ولم يبد له مايعين على أخذه وقبوله ، ثم بدا له أن يلجأ إلى التوليد فيبني على « فَعلَن » من مادة « عصَّر » فيأتي بـ « عصرَنَ » للدلالة على المعنى الجديد جرياً على أن في العربية شيئاً من هذا البناء للدلالة على معانٍ جديدة ذات صلة بالمواد الأولى نحو :

حَلقَنَ ، البُسرُ : بلغ الإرطاب ثلثيه فهو محلقن .

ثم أضاف إلى هذه المادة أسماء ذيلت بالنون للإفادة منها في توليد المعاني الجديدة نحو : رَعْشَن للمرتعش ، وشابن للشاب الناعم التار ، وضَيفَن للذي يجيء مع الضيف تطفلاً .

أقول : إذا جاز لنا أن نولد بناءً جديداً لمادة من المواد فنبني « عصرَنَ » لأداء المعنى الجديد ، فلِمَ لا نتسامح قليلاً ونبقي البناء الذي صاغه المعرّبون فنقول « عصَّر » لأداء المعنى ! فليس الكلام على زيادات النون لإفادة معانٍ جديدة مما يحلّ هذه المشكلة .

وأنا أشايع الأستاذ الكريم السيد عبد الهادي هاشم في قبول « عصَّر » بهذا المعنى المراد .

والذي يدفعني إلى هذا قبول العربية لكثير من نظائر هذا الفعل ، مع أن المعجمات قد خلت منها ، ألا ترى أنهم استعملوا « مدّن » اشتقاقاً لهذا الفعل المضعّف من مادة « مدنية » وقد خلا المعجم القديم من هذا الفعل . لقد اقتصر المعجم القديم على الثلاثي اللازم وهو « مَدَنَ » بالمكان [1] : أقام به ، وقد قالوا أنه فعل ممات .

وقد قالوا « مدّن » حين جدت الحاجة إلى هذا الفعل الذي يتصل بـ « المدنية » كما قالوا « هوَّد » و « نصّر » لإفادة التحويل والصيرورة .

والحاجة هي التي تقرر التوسع في الاشتقاق ، ألا ترى أنهم صاغوا « طوَّر » و « تطور » من الاسم « طور » مع خلو المعجم القديم من هذين الفعلين .

وليس لنا أن نقول الآن بعد شيوع « التطوير » و « التطور » أنهما ليسا من العربية المعجمية في الأقل ، ومثل هذا « دوّل » و « التدويل » من مادة « دولة » إذ لم يأت شيء من ذلك في استعمال الأقدمين .

---

(١) جاء هذا الفعل في فصل الميم حرف النون وكان حقه أن يكون من مادة « دين » فقد توهمت أصالة الميم في « مدنية » وهي مفولة لا َفعيلة .

وإذا كنا قد قبلنا « دوّرَ » و « تدوير » لأنها وردا في العربية القديمة فلِمَ لا نملك شيئاً من الاتساع فنقبل « دوّل » و « تدويل » ويكاد يكون الواحد مثل الآخر ، فالمعروف المشهور أن « دار » و « دال » من أصل واحد .

ولا بد من كلمة أخيرة فأقول : إذا اتسعت العربية ل « صبَّح » و « مسَّى » وهما فعلان أخذا من مادتي « الصباح » و « المساء » لأداء معنى من المعاني فلم لا نجري على سنن العربية السمحة فنتوسع شيئاً ما فنقبل مقالة أهل عصرنا في الفعل « عصَّرَ » !

هذا مابدا لي أن أقوله فأشرك نفسي في شيء يتصل بالعربية وخدمتها ، والله الموفق للصواب .

الدكتور ابراهيم السامرائي

تصويب ألفاظ

وردت في كلمتي (مراجعات)

المنشورة في م ٤٥ من هـذه المجلة

ص ٥١ س ٧ : لا يتجاوزه .

ص ٥٣ س ٤ : مبهمة .

ص ٥٩ س ١٤ : المتصوَّر .

ص ٥٦ (الحاشية) وغيرها : « مسالك الأبصار » بدل « المسالك والممالك » .

محمد بهجة الأثري

وإذا كنا قد قبلنا « دوّرَ » و « تدوير » لأنها وردا في العربية القديمة فلِمَ لا نملك شيئاً من الاتساع فنقبل « دوّل » و « تدويل » ويكاد يكون الواحد مثل الآخر ، فالمعروف المشهور أن « دار » و « دال » من أصل واحد .

ولا بد من كلمة أخيرة فأقول : إذا اتسعت العربية لـ « صبَّح » و « مسَّى » وهما فعلان أخذا من مادتي « الصباح » و « المساء » لأداء معنى من المعاني فلم لا نجري على سنن العربية السمحة فنتوسع شيئاً ما فنقبل مقالة أهل عصرنا في الفعل « عصَّرَ » !

هذا مابدا لي أن أقوله فأشرك نفسي في شيء يتصل بالعربية وخدمتها ، والله الموفق للصواب .

الدكتور ابراهيم السامرائي

تصويب ألفاظ

وردت في كلمتي (مراجعات)

المنشورة في م ٤٥ من هـذه المجلة

ص ٥١ س ٧ : لا يتجاوزه .

ص ٥٣ س ٤ : مبهمة .

ص ٥٩ س ١٤ : المتصوّر .

ص ٥٦ (الحاشية) وغيرها : « مسالك الأبصار » بدل « المسالك والممالك » .

محمد بهجة الاثري

الكتب المهداة إلى مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق

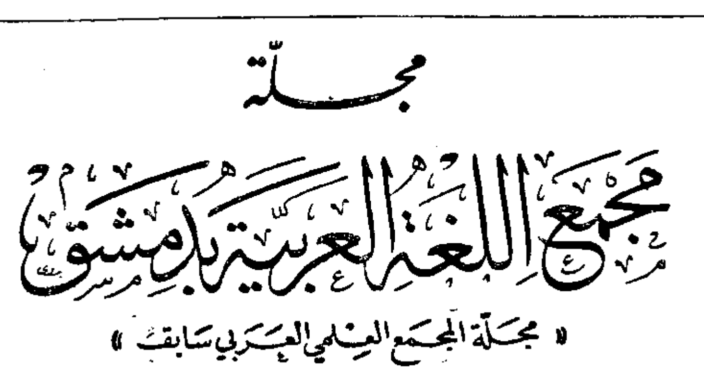
خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٠

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	عدد الأجزاء
١	الأدب والقومية في سورية	الأستاذ سامي الكيالي	
٢	وظيفة الأدب	الدكتور محمد النويهي	
٣	قيم جديدة للأدب العربي	الدكتورة عائشة عبد الرحمن	٢
٤	لغتنا والحياة	« « «	
٥	الزهاوي وثورته في الجحيم	الدكتور جميل سعيد	
٦	تراث الشعر السوداني	عز الدين الأمين	
٧	تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث	عبد العزيز بن عبد الله	
٨	الأب أنستاس الكرملي وآراؤه اللغوية	الدكتور ابراهيم السامرائي	
٩	اللغة والتطور	الدكتور عبد الرحمن أيوب	
١٠	نحو الوحدة العربية	« نور الدين حاطوم	
١١	الاتجاه الروحي في شعر شوقي	« أحمد محمد الحوفي	
١٢	دراسات في اللغة والنحو العربي	حسن عوني	
١٣	النقد الأدبي المعاصر في الربع الأول من القرن العشرين	الدكتور اسحق موسى الحسيني	
١٤	اللهجات العربية الحديثة في اليمن	الدكتور مراد كامل	
١٥	الاشتراكية والقومية وأثرهما في الأدب الحديث	« يوسف عز الدين	
١٦	جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر	« محمد طه الحاجري	
١٧	فن الترجمة	« محمد عوض محمد	

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	عدد الأجزاء
١٨	القصة القصيرة في مصـــر	الدكتور شكري محمد عياد	
١٩	اتجاهات النقد الحديث في سورية	〃 جميل صليبا	
٢٠	التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق	〃 ابراهيم السامرائي	
٢١	النقد الأدبي الحديث في العراق	〃 أحمد مطلوب	
٢٢	الخيال في مذهب محي الدين بن عربي	〃 محمود قاسم	
٢٣	عبد الوهاب عزام في حياته وآثاره الأدبية	〃 محمد زكي المحاسني	
٢٤	القصة القصيرة في فلسطين والأردن	〃 هاشم ياغي	
٢٥	شعراء من الجزائر (الحلقة الأولى)	الأستاذ صالح الخرفي	
٢٦	معجم المؤلفين العراقيين	〃 كوركيس عواد	الجزء الأول والثاني
٢٧	لماذا أسلمنا	الشيخ قاسم بن محمد الثاني	
٢٨	تاريخ الآداب والحضارة العربية (باللغة الأرمنية)	الدكتور استارجيان	
٢٩	دائرة المعارف	الأستاذ فؤاد افرام البستاني	الجزء الثاني
٣٠	بابل والضوء الجديد	منذر لطفي	
٣١	رسالة العلم (مجلة)	الدكتور عبد الحليم منتصر	من ١٩٦١-١٩٦٩
٣٢	الموسوعة الفقهية (الأطعمة)	الكويت	
٣٣	ديوان عمرو بن قميئة	تحقيق حسن كامل الصيرفي	
٣٤	شيخ الباحثين آغا بزرك الطهراني	عبد الرحيم محمد علي	
٣٥	الإنسان والفضاء	ترجمة ماجد المفتي حلمي	
٣٦	اسرائيل والمشكلة الفلسطينية	ترجمة محمد جديد	
٣٧	الأحاجي في جهاد القديس المنبجي	أغناطيوس يعقوب الثالث	
٣٨	حكايا مهاجرة	ترجمة نجاة أبو سمرة	

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	عدد الأجزاء
٣٩	الإنسان	ترجمة الدكتور عدنان تكريتي	
٤٠	بناة العالم	ترجمة محمد جديد	
٤١	رندة	ميخائيل عقدة	
٤٢	الحرب الفدائية	المقيد محمد الشاعر	
٤٣	أدبنــــا الضاحك	الأستاذ عبد الغني العطري	
٤٤	أبو تمام	الدكتور جميل سلطان	
٤٥	مسلم بن الوليد	〃 〃 〃	
٤٦	الحطيئة	〃 〃 〃	
٤٧	جرير	〃 〃 〃	
٤٨	فن القصة والمقامة	〃 〃 〃	
٤٩	أغنية ثلج	أحمد يوسف داوود	
٥٠	فلسفة الثورة الفرنسية	ترجمة عيسى عصفور	
٥١	عاشها كلها	الدكتور كاظم الداغستاني	
٥٢	شعر الأحوص الأنصاري	الدكتور ابراهيم السامرائي	
٥٣	خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	محمد هادي الأميني	
٥٤	مختارات الكنعاني	نعمان ماهر الكنعاني	
٥٥	شرح قصيدة الصاحب بن عباد	الشيخ محمد حسن آل يسين	
٥٦	الإنسان والفضاء	ماجدة المفتي حلمي آرثر كلارك	
٥٧	حكايا مهاجرة	أدب الأطفال ترجمة نجاة أبو سمرة	
٥٨	الذريعة إلى تصانيف الشيعة الجزء التاسع عشر	آغا بزرك الطهراني	
٥٩	فهرس مجلة الأبحاث ١٩٥٨ — ١٩٦٧	نوال مكداشي	

الجزء الرابع ٣٥٨ المجلد الخامس والاربعون



تشرين الأول « اكتوبر » سنة ١٩٧٠ م شعبان سنة ١٣٩٠ هـ

تطور النثر (١)

في العصر العبّاسي

إذا حاولنا الكلام على تطوّر النثر في عصر بني العبّاس فلا نجد لنا مناصاً عن الرجوع إلى صدر الإسلام وعصر بني أميّة حتّى نأنس ولو في خُلسة نظر بقليل من خصائص النثر في السنين التي جاءت قبل بني العبّاس ، فإذا وقفنا ولو بعض الوقوف على شيء من هذه الخصائص استطعنا حينئذٍ أن نصل بين أفقها وبين أفق الخصائص في العصر العبّاسي ، إلاّ أنّنا لا نستطيع الإحاطة بجوهر النثر في صدر الإسلام وعصر بني أميّة من مجامع النواحي ، فإنّ مثل هذه الإحاطة تستلزم بحثاً طويلاً يضيق عنه وقتنا ،

(١) من المحاضرات التي ألقاها في جامعة الكويت في السنة الماضية الأستاذ شفيق جبري عضو مجمع اللغة العربية بدمشق .

ولكنّا سنكتفي بيسير من الاستشهاد ، ولعلّ اللغة التي تمهّد لنا سبيلاً إلى الإلمام بهذا النثر إنما هي لغة طائفةٍ من الخطب في أيّام الخلفاء الراشدين وفي الأيّام التي جاءت بعدهم ، وهي زمن الأمويين واذا كنت أهتمّ بهذه الخطب فالسبب في هذا الاهتمام تأثير الخطابة في النفوس ، فمن رجع إلى تاريخ الفتوحات الإسلامية أدرك ما كان للخطباء من الآثار البالغة في الحضّ على الجهاد والاعتصام بالصبر في مواطن الشدة ، والتبشير بالجنّة والتخويف من النار ، وغير ذلك من الأمور التي كانت تدور عليها الخطب ، وقد لخّص لنا الجاحظ في عبارة وجيزة روح هذه الخطب لمّا قال : ولم أجد في خطب السلف الطيّب والأعراب الأقحاح ألفاظاً مسخوطة ولا معاني مدخولة ، ولا طبعاً رديّاً ولا قولاً مستكرهاً ، وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولّدين البلديين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدبين .

من بدائه الأمور أن أبدأ بخطب الرسول ﷺ ، ولكن الجاحظ كفانا مؤونة وصفها لمّا قال في كلام الرسول : وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه ، وجلّ عن الصنعة ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد وما أنا من المتكلفين ، فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التقعير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلاّ عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلاّ بكلام قد حُفّ بالعصمة وشُيّد بالتأييد ويُسّر بالتوفيق ، إلى آخر ما جاء في هذا الوصف البليغ الذي لا يقدر عليه إلاّ إمام من طبقة الجاحظ .

وإشارة الجاحظ إلى عيب الرسول للتشديق والتقعير والصنعة والتكلف والغريب الوحشي والهجين السوقي تدلّ على أن هذه الأمور كانت في زمن الرسول ، وربّما كانت في أحاديث بعض العرب ، أمّا الخطب التي سنمرّ بها فلا نجد فيها شيئاً من هذا كله .

وقبل أن أمرّ بقليلٍ من هذه الخطب لا أرى بأساً بأن أذكر ما وجدته في الأدب الفرنسي ، فقد وجدت في هذا الأدب أن « ڤولتير » لم يكن مبدعاً من المبدعين ، أي لم يأت بشيء جديد من الأفكار والمعاني ، فقد كان لا يستطيع أن يسلك مسلكاً إلاّ إذا كان هذا المسلك ممهّداً له ، فقد اغتصب أفكار غيره وجعلها أفكاره الخاصّة ، جعلها ملكه الخاصّ ، فقد قالوا إنه لم يكتب بالفرنسية كاتب أحسنُ من « ڤولتير » إن جمله قصيرة ، سريعة ، وعبارته واضحة ، وأوضح صفات أسلوبه البساطة ، إنه يستخدم لغة كل الناس في أسلوب لا يفوقه أسلوب من حيث الطبع والسهولة .

إذا كنت قد استشهدت في هذا المقام بقطع من الأدب الفرنسي فلم أستشهد به عبثاً ، فقد أحببت قبل الإشارة إلى بعض الخطباء الراشدين أن أستخلص صفات الكاتب الحسن وهي : قصر الجملة وسرعتها ، ووضوح العبارة وبساطتها ، وطبع الكلام وسهولته .

فلنبحث عن هذه الصفات في بعض النثر الإسلامي والأموي قبل أن نصل إلى تطوّر النثر العباسي .

من كلام أبي بكر يوم السقيفة رضي الله عنه : نحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء وأنصارنا على العدوّ ، آويتم وواسيتم فجزاكم الله خيراً فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تدين العرب إلاّ لهذا الحيّ من قريش فلا تنفَسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

ومن كلامه في خطبة ثانية :

أيها الناس إني قد ولّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إنّ أقواكم عندي الضعيف حتّى

آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتّى آخذ الحق منه ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

فهل نعرف أقصر من هذه الجمل وأسرع من هذا الكلام وأوضح من هذه العبارات وأبسط من هذا الأسلوب ؟ وسوآء أكانت خطبه قصيرة أم كانت خطبه طويلة هذه هي صفاتها ، فالصدق غالب عليها والطبع متمكن منها ، ولذلك كان الكلام مناسباً لهذا الصدق ولهذا الطبع ببساطته ووضوحه وقصره وسرعته ، فأكثر خطب صدر الإسلام هذه هي خصائصها ، إنها أشبه شيء بأوامر قوّاد الجيش ، لا زيادة ولا نقصان ، فكأن سرعتها مطابقة لسرعة الفتوحات التي تمَّت في ذلك العصر ، إنها غنيَّة عن كل تزوير وكل تنميق ، فهي صادقة صدق تلك الفتوحات ، سريعة سرعتها ، بسيطة بساطتها ، واضحة وضوحها .

وإذا كان لا بدّ من الزيادة فإنني ألجأ إلى بعض كلام الإمام علي كرَّم الله وجهه . لمَّا أغار في خلافته سفيان بن عوف الأسدي على الأنبار وعليها حسّان البكري فقتله وأزال الخيل عن مسارحها ، فخرج عليّ رضي الله عنه حتى جلس على باب السُّدَّة ، فمن كلامه في خطبته : ألا وإني دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم قط في عُقْر دارهم إلاّ ذلّوا ، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي فاتخذتموه ورآءكم ظِهْرياً ، حتّى شنَّت عليكم الغارات إلى آخر الخطبة .

أفرأينا وضوح هذا الكلام وبساطته ، كيف يعبّر أصدق تعبير عمَّا كان يعانيه عليّ رضي الله تعالى عنه من جماعته ، فالتناسق مستحكم بين هذه المعاناة الشديدة وبين الكلام المفصح عنها .

ولا حاجة بنا إلى الانتقال إلى الخطب الطوال ، فإن الروح واحدة في القصار منها والطوال ، وإذا كانت قد طالت فإن المقام اقتضى تطويلها ، ولكنّا لا نستغني عن ذكر خطبة قيلت في حدث جليل ، فكانت المثل الأعلى في الصدق والطبع والسهولة والوضوح ، وأريد بها خطبة ابن الزبير في فتح افريقية .

إننا نعلم أنّ فتح افريقيةَ ليس بالأمر القليل في تاريخ المسلمين ، لقد كان هذا الفتح مقدّمة لفتح الأندلس ، وفي الأندلس حضارة العرب وما اشتملت عليه هذه الحضارة من أدب وعلم وفلسفة وعمران ، فمها يحتفل الخطيب بالكلام ويزوّقه وينمّقه ، ويجمع فيه أساليب البلغاء على اختلاف بلاغتهم ، مها يفعل من ذلك كلّه فإن كلامه يقصّر عن تصوير هذا الحدث الجليل ، إلاّ أن ابن الزبير لم يلجأ إلى كل هذه الأمور ، فلست أعلم صدقاً في الوصف وبساطة في هذا الوصف ، ووضوحاً في العبارة وإيجازاً في اللفظ وتواضعاً في الإفصاح عن النصر يشبه صدق ابن الزبير وبساطته ووضوحه وإيجازه وتواضعه ، وما علينا بعد هذا إلاّ التمتع من بعض خطبته فلسنا في حاجة إلى ذكرها بأجمعها .

لمّا قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفّان بفتح افريقية أخبره مشافهة وقصّ عليه كيف كانت الوقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه فقال له : يا بنيّ ! أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أهيب لك مني لهم ، فقام عثمان خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن الله قد فتح عليكم افريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيباً وكان أوّل من خطب إلى جانب المنبر ، وهذا بعض كلامه بعد المقدمة المألوفة في خطب الأولين :

أيّها الناس رحمكم الله ، إنّا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكنّا مع والٍ حافظٍ حفظ وصيّة أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردين ويخفض بنا في الظهائر ، ويتخذ الليل جملاً ، يعجّل الرحلة من المنزل الجَدْب ، ويطيل اللبْث في المنزل الخِصْب ، فلم نزل على أحسن حالةٍ نعرفها من ربّنا حتّى انتهينا إلى افريقية ، فنزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ورغاء الإبل وقعقعة السلاح ، فأقمنا أياماً نُجِمُّ كراعنا ونصلح سلاحنا ، ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صغار أو الصلح ، فكانت هذه أبعد ، فأقمنا عليهم ثلاث عشرة ليلة نتأنّاهم وتختلف رسلنا إليهم ، فلما يئس منهم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر فضل الجهاد وما لصاحبه إذا صبر واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدوّنا وقاتلناهم أشدّ القتال يومنا ذلك ، وصبر فيه الفريقان ، فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم رجالاً من المسلمين ، فبتنا وباتوا ، وللمسلمين دويّ بالقرآن كدويّ النحل ، وبات المشركون في خمورهم وملاعبهم ، فلما أصبحنا أخذنا مصفّنا الذي كنّا عليه بالأمس ، فزحف بعضنا على بعض فأفرغ الله علينا صبره ، وأنزل علينا نصره ، ففتحناها من آخر النهار ...

أبرز شيء في هذه الخطبة البساطة والصدق ، والبلاغة بنت الصدق ، فلا تطبيل ولا تزمير ، ولسنا نجد بلاغة في كلام تظهر عليه آثار الكلفة والصنعة أو التنميق والتزويق ، ومن تأثير هذه الخطبة أن صاحبها لمّا فرغ منها نهض إليه أبوه فقبّل بين عينيه وقال : ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، يا بني ! ما زلت تنطق بلسان أبي بكر حتى صمت .

وستجد الفرق بين هذه الخطبة في فتح افريقية وبين كتاب كتبه القاضي الفاضل عبد الرحمن البيساني إلى الخليفة الناصر لدين الله على لسان صلاح الدين الأيوبي بفتح بيت المقدس ، وذلك في أواخر العصر العبّاسي ، وإذا كنّا

لا نرى محذوراً في تقديم الكلام على هذا الكتاب قبل بلوغنا إلى عصر بني العبّاس ، فلنقدّمه قبل حينه .

الكتاب طويل لا سبيل إلى الإتيان عليه بحذافيره ، فلنذكر بعض مقاطع منه :

هذه هي فاتحة الكتاب :

أدام الله أيّام الديوان العزيز النبويّ الناصري ، ولا زال مظفّر الجدّ بكل جاحد ، غنيّ التوفيق عن كل رائد ، موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد ، مستيقظ النصر والسيفُ في جفنه راقد ..

وبعد هذه الفاتحة دخل الكاتب في الموضوع ، وهذا مقطع من هذا الدخول وفيه إشارة إلى نعمة النصر ، فإن هذه النعمة :

بحر للأقلام فيه سبح طويل ، ولطفُ الحق للشكر فيه عبء ثقيل ، وبشرى للخواطر في شرحها مآرب ، ويُسرى للأسرار في إظهارها مسارب ...

أمّا المقطع التالي فإنه يعرب عن الظفر :

وكتاب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدوّ الذي تشظّت قناته شَفقاً ، وطارت فِرقه فرقاً ، وفلّ سيفه فصار عصا ، وصُدعت حصاته وكان الأكثر عَدداً وحصى ، ونام جفن سيفه وكانت يقظته تُريق نُطف الكرى من الجفون ، وجُدعت أنوف رماحه وطالما كانت شامخةً بالمنى أو راعفة بالمنون .

ولم يكتف الكاتب بهذا الكتاب الطويل الذي لم أذكر منه إلاّ القليل وأقلّ من القليل ، فإن بشائر النصر لا بدّ من إرسال رسولٍ يعرضها على الخليفة مشافهةً :

وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخّص ، ولا بما سوى المشافهة تتلخّص ، فلذلك نفّذنا لساناً شارحاً ، ومبشّراً صادحاً ، ينشر الخبر على سياقته ، ويعرض جيش المَسَرة من طليعته إلى ساقته .

الكتاب كله على هذا النمط من التأليف ، وهو الأسلوب الذي استفاض في عصر القاضي الفاضل في أواخر العصر العبّاسي ، ومن الموازنة بين أسلوب ابن الزبير في خطبتـــه وأسلوب القاضي الفاضل في كتابه ندرك الفرق بين البساطة والكلفة ، وبين السهولة والتقعير ، وبين الوضوح والغموض ، وبين الإيجاز والإسهاب ، والخلاصة بين البلاغة الصادقة والبلاغة الكاذبة . لا ريب في أن فتح بيت المقدس ليس بالأمر اليسير في تاريخنا ، وكذلك فتح افريقية ، ولكن هل رأينا كيف كان التعبير عن وصف الفتحين ، وقد أخرج عن موضوعنا ، ولا أرى بأساً بهذا الخروج إذا قلت إن أسلوب ابن الزبير هو الأسلوب الذي يعيش في كل عصرٍ ، وإنّ أسلوب القاضي الفاضل هو أسلوب عصر واحدٍ ، إذا ذهب هذا العصر ذهب الأسلوب معه . ولكن هكذا كانت خصائص التطوّر ، هكذا انتقل النثر من الطبع إلى الصنعة .

فلنرجع الآن بعد هذا الاستطراد السريع إلى عصر بني أميّة بعد عصر الخلفاء الراشدين ، ولكنّا لا نطيل الوقوف في ذلك العصر ، فإنّا نقف على خطبة واحدةٍ أو على خطبتين إذا اتّسع المجال ، ونعني بالخطبة الواحدة خطبة زياد البتراء ، وسنجد أن أسلوبها يختلف بعض الاختلاف عن أسلوب الخطب المتقدمة ، وليس هذا الاختلاف في اللغة والألفاظ ، فإنّ أكثر الخطب القديمـة كانت متقاربة في هذين الأمرين ، فالزمن بين عصر الخلفاء الراشدين وبين عصر بني أميّة ليس ببعيد ، وإنما الاختلاف في دخول عنصر جديد وأعني به العنصر النفسي ، وسنتكلّم على هذا العنصر .

قدم زياد البصرة والياً عليها لمعاوية بن أبي سفيان ، فكيف كانت حالة البصرة لمّا قدمها زياد ، يقول رجال التاريخ كان الفسق فيها فاشياً ظاهراً ، فكيف عالج زياد هذه الحالة ، وبأي طراز من الكلام لقي جماهير من طبقات

شتّى ، فيهم أهل البيوتات والأنساب والآداب وفيهم العامّة ، ولا شك في أن اختلاف هذه الطبقات قد خلق نوعاً من المصاعب لزياد ، فكيف يخاطب جماهير تختلف طبقاتهم وتفكيرهم وشعورهم ، فلننظـــر كيف ذلّل زياد هذه العقبة .

افتتح خطبته بهذا الكلام :

أمّا بعد فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغيّ الموفي بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ...

جهالة جهلاء ، وضلالة عمياء وغَيّ موفٍ بأهله على النار ، هذه هي المقدمة التي لقي بها زياد أهل البصرة ، سفهاءها وحلماءها ، صغارها وكبارها .

لا يقعن في خلد أحدٍ أنّا نخرج عن موضوعنا وهو تطوّر النثر إذا دخلنا في تفاصيل هذه الخطبة ، فهمّنا الأكبر إنما هو التنبيه على التناسب بين العنصر النفسي وبين الأسلوب في هذه الخطبة ، لا شك في أن كلاماً مثل كلام زياد ليس من شأنه أن يكون له وقع حسن فى قلوب الذين سمعوه ، فليس من الهيّن أن ينسُب الوالي أهل البصرة إلى الجهالة والضلالة والغيّ ، وأن يرضوا عنه ، فكيف حاول زياد أن يصدر عن هذا المورد المكر الذي ورده ، وهنا يظهر لنا الوجه الأوّل من تطوّر أسلوب زياد النفسي ، فبعد أن عاب أهل البصرة بما عابهم به ، بعد أن ظهرت الشدّة على كلامه ، أحبّ أن يستعمل اللين فقال :

كأنّكم لم تقرؤا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعتـه ، والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول ...

فلم يجد زياد أبلغ من كتاب الله للاستعانة به على السفهاء والحلماء ، فبعد أن آلمهم بما آلمهم به ، تحصَّن بكتاب الله وهو الحصن الحصين في مثل هذه الحال ، فذكَّر أهل الجهالة والضلالة والغيّ بكريم الثواب وأليم العذاب ، وكأنّ زياداً قد علم بأن الاستعانة بكتاب الله تمهّد له السلطان على النفوس ، فتبسط في هذا الضرب من الكلام فقال :

أتكونون كمن طرَفت عينيه الدنيا وسدّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ...

لقد استعمل زياد طفيفاً من الحكمة في تنبيه أهل البصرة على أعمالهم ، مثل إيثارهم الدنيا وسدّ الشهوات لمسامعهم ، فكان كلامه عاماً ليس فيه شيء من التخصيص ، فلم يفاجئ الناس مفاجأة بذكر الأمور التي خالفوا فيها كتاب الله ، ولكنه لم يرد أن يختم عبارته دون ذكر واحدٍ من هذه الأمور ، وهو ترك الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ، وفي هذا الكلام شيء من إلقاء العداوة بين الضعفاء والأقوياء ، ولا شك في أن في جملة من سمع خطبته كثيراً من هؤلاء الضعفاء .

فلمّا تمكَّن بعض التمكن من قلوب الناس ، سواء أ كان هذا التمكن بالتذكير بكتاب الله أم كان باللجوء إلى يسير من الوعظ ، أم كان بالإغراء بين الأقوياء والضعفاء ، خلا له الجوّ فاستطاع أن يكاشف أهل البصرة ، سفهاءها وحلماءها بأنواع جهالاتهم وضلالاتهم وغيّهم فقال :

ما هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة المسلوبة ، في النهار المبصر والعدد غير قليل ، ألم تكن منكم نُهاة تمنع الغُواة عن دلج الليل وغارة النهار ، قرّبتم القرابة وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتغضون على المختلس ، كلّ امرئ منكم يذُبّ عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو

معاداً ، ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حُرَم الإسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوساً في مكانس الرِيَب !

والخطبة كلها على هذا النحو من الجمع بين الشدّة واللين ، وهي سياسة زياد ، ولولا خوفي أن تنقلب هذه المحاضرة إلى درس تحليلٍ لتوسعت في الشرح حتى أصل إلى النهاية ، فنرى كيف تفنَّن زياد أكمل تفنن ، كيف يخرج من وعدٍ إلى وعيد ومن وعيد إلى وعدٍ ، لقد تصرَّف في خطبته تصرّفه في سياسته النفسية ، رفق مرَّة وغلظة مرَّة ، وإذا لم تكن غايتنا تحليل خطبة زياد فإن غايتنا التنبيه على تطوّر الأسلوب في هذه الخطبة ، وأعني بهذا التطور المزج بين نعومة الكلام وخشونته ، بين اللين والشدة ، المزج بين العنصر النفسي والعنصر البياني حتى يكون العنصران متناسقين ، لا نرى من ناحية اللغة فرقاً كبيراً بين خطبة زياد وخطب الخلفاء الراشدين من قبله ، قد تكون الأساليب متقاربة ولكن المواقف متباينة ، فلماذا تبسّط زياد هذا التبسط في خطبته ، لماذا تفنَّن هذا التفنن ، إنه والٍ لمعاوية على العراق ، فأقلّ هبَّة من الهبّات تذهب بسلطانه وسلطان معاوية ، وشدَّة أهل العراق معروفة ، فكان لا بدَّ من نمطٍ من الكلام يثبّت الهيبة في القلوب دون شيء من الوحشة ، وزيادٌ فارس هذا الميدان .

وإذا كنَّا نتكلم على أسلوب زياد في خطبته ، فلا ينبغي لنا أن نغفل عن الكلام على أسلوب الحجّاج في خطبته ، ولكنَّا نشير إلى هذا الأسلوب إشارة دون شيء من الإسهاب .

خطب أهل العراق بعد دير الجماجم فقال :

يا أهل العراق ! إن الشيطان قد استبطنكم ، فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشّغاف ، ثم أفضى إلى المخاخ والصماخ ، ثم ارتفع فعشَّش ، ثم باض وفرَّخ ، فحشاكم نفاقاً وشقاقاً ، وأشعركم

خلافاً ، اتخذتموه دليلاً تتبعونه ، وقائداً تطيعونه ، ومؤمراً تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة أو يحجزكم إسلام أو ينفعكم بيان ، ألستم أصحابي بالأهواز حيث رمتم المكر ، وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر ، وظننتم أن الله يخذُل دينه وخلافته ، وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لِواذاً وتنهزمون سراعاً ، ثم يوم الزاوية ، وما يوم الزاوية ، بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبرآءة الله منكم ونكوص وليّكم عنكم ، إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها ، لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يلوي الشيخ على بنيه ، حتى عضَّكم السلاح وقصمتكم الرماح ، ثم يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم ، بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله ...

والتفت إلى أهل الشام فقال :

يا أهل الشام ! إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ، ينفي عنها المدر ويباعد عنها الحجر ، ويكنّها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب ، يا أهل الشام أنتم الجُنّة والرداء ، وأنتم المدّة والحذاء !

لا ريب في أنّا نرى خطبة تختلف عن نمط الخطب التي مررنا بها ، سوآء أكانت خطب الخلفاء الراشدين أم كانت خطبة زياد ، أمّا من ناحية طبيعة الكلام فلا رفق ولا لين ولا نعومة إنها صورة قائلها في سياسته ، في شدته وعنفه ، فالشدّة فيها متسلسلة من أوّلها إلى آخرها ، وأمّا من ناحية الفن فإنّ صاحبها يريد أن يؤثر بالسجع مرّة وإن كان السجع فيها قليلاً وابن الطبع ، وبالصور والمجاز مرّة ، تكاد الخطبة تكون من غير أسلوب العصر الذي عاش فيه الحجّاج ، الإيجاز فيها قليل ، والتفاصيل فيها كثيرة : فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف .

فكأن الحجّاج يمرض تبحّره في اللغة ، ويرمي من ورآء هذا التبحر إلى الزيادة في التأثير ، فهو لم يرسل كلامه في بعض المواطن إرسالاً وإنما قطّعه ونغّمه ولا أنغام الموسيقى ! ولست أدري أيجوز لي أن أقول إن هذا النوع من الكلام خلق لبعض عصور العبّاسيين ، فهو بهذه العصور أشبه .

* * *

هذا آخر ما أحببت أن أستشهد به من النثر ، قبل الوصول إلى النثر في أيّام بني العبّاس ، ولست أدّعي أني أحطت بخصائص النثر في زمن الخلفاء الراشدين وبعض زمن الأمويين ، فهذا ما يحتاج إلى بحث أطول ، وتدقيق أشق واستقصاء أكمل ، فبعض خطب الخوارج ، وبعض خطب الخلفاء الراشدين ، وخلفاء بني أميّة ، قد تخرج عن الإيجاز في اللفظ والسهولة في التعبير ، فيسترسل أصحابها في الكلام حيناً ، ويقطّعونه حيناً ، حتّى يخيّل إلينا أنّا في عصر العبّاسيين ، على أنّا لا نزال في العصر الأموي .

فمن خطبة أبي حمزة الخارجي قوله : قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم !

فهذا النمط شبيه بنمط الحجّاج : فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف ...

فإذا مررنا بهذه الأساليب ونظرائها فإنّا نشعر بأنّا لا نزال في العصور التي سبقت عصر بني العبّاس ، فلنبادر إلى الانتقـــال من تلك العصور إلى عصر العبّاسيين .

شفيق جبري

في شعر الصنوبري

العقل والقلب والخيال مصادر هذا الشعر العربيّ منذ بداية نشأته إلى يومنا هذا ، والحياة والجمال والكون وسحره وفتونه مجالاته ومجاليه .. جرى فيها الشعراء أشواطاً بعيدة ، وذهبوا فيها مذاهب عزيزة من التنويع والافتنان الرائع والتصرف البارع ، وقُلْ ما شاء لك الحق والصدق في عرائس القصائد والمقاطع التي جلوها على منصّات الفن والإبداع صوراً أخّاذة تستولي على مجامع الأفئدة ، فلن تجد منكراً عليك إلا شعوبياً دَغِلَ القلب ، مبدياً صفحته البغيضة للعرب : يحاربهم في العلن أو الخفاء بحسب الأحوال ، ويحاول النيل بلسانه من جملة خصائصهم ولغتهم ودينهم وأدبهم وعلمهم وفنهم وحضارتهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً ؛ وإلا تابعاً إمَّعَة يسمع من مثله ، وتحبله حبائله فيردّد صداه ، ويقول ما قال له كما تقول الببغاء من غير وعي سليم .

وأنت قد تسمع من هؤلاء اتهاماً لبلاغة العرب بالقصور والتخلف عن مذاهب بلاغات الأمم في الآداب عامةً ، والشعرِ خاصةً ، ولا سيما أوصاف الطبيعة في هذا الشعر . ومؤدّى هذا اتهام العرب عامةً بالعي والعجز في أسمى ما عُرفوا به من بلاغة اللسان وجمال الوصف ، وبضعف الإحساس بجمال الكون والحياة . وتلك شنشنة قديمة عرفناها من (أخزم) ، ولا مفرّ لنا من مقاومتها بالعمل الدائب على إبراز محاسن أدبنا ، شعره ونثره ، على اختلاف الفنون وتنوع الألوان .

ولو أن هؤلاء تقصَّوا دواوين العرب ـ وأنَّى للمعجزة أن يقتحموا هذا اليَمَّ الزخّار ؟ ـ وكانوا طلاب حق ، لقام لهم بها الدليل كفلق الصبح الساطع وعموده المستطيل على بطلان رأيهم الفائل المدخول ، وإنما يفعل مثل هذا من يلتمس الحق وكانت النَّصَفَةُ سبيله إليه .

ومن هنا حمدت الباحث الفاضل الأديب (فواز أحمد طوقان) على توفره على دراسته « وصفَ الطبيعة في شعر الصنوبري » ، وإتباعه لها بجملة صالحة من نماذجه [١] في ذلك .. يلوح على أسِرَّتها رُواء الجمال ، ويتراقص على أعطافها السحر والفتون .

والصنوبري [٢] هو واحد من كبار المَعْنيِّين من شعراء العربية بأوصاف الطبيعة خاصةً . جعل وُكْدَه في أكثر شعره ، والجمالُ يحتضنه في بيأته الشامية أنّى توجه ، التغنّيَ بالكون وفتونه : أرضه وسمائه ، صحوه وغيمه ، أنهاره وعيونه ، ربيعه ورياحينه ، رياضه وحدائقه ، أزهاره وثماره ؛ وأمدّه حسٌّ مرهف . وحظ من اللغة موفور ، وذوق بالغ الدقة في اختيار الأوزان الرشيقة ، وانتقاء الألفاظ الحضارية المترفة الرقيقة ، وما أغزرَ فيضَها في لغة القرآن ! فاحتوى الفن الرفيع من أقطاره ، وداوم بين الشكل والمضمون في أشعاره ، مواءَمةً طبيعية غير متكلّفة ، وكان في إلباسه معانيه وأحاسيسه أثوابها الموشّية الأنيقة أشبه بمن يصطفي لشرابه العذب الصافي أشفَّ الآنية وآنقَها في العيون شحذاً لحاسّتي النظر والذوق . ولذلك كله كانت أشعاره في أوصاف الطبيعة مستطابة ، وسائغة مستمرأة ، تأنس إليها النفس ، وتعتلقها الحافظة : تنفذ إليها نفاذ السحر والجمال في الأرواح ، فإذا هي جزء من جملة أجزائها .

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م ٤٥/١٢٧ ـ ١٤٢ .
(٢) أبو بكر أحمد بن محمد بن مرار الضَّبّيّ الحلبي (ت ٣٣٤ هـ) .

ومثل هذه الأشعار إذْ يحسن الإكثار من عرضها على النَّشَأ الصاعد ، من الذين يتذوقون الأدب الرفيع ويسمون له ، يحسن كذلك الاحتفال بتحقيقها وضبطها كما تضبط الموازين المُتْرَصَة ، وتفسير ما يستدعي التفسير منها بإيجاز دقيق ، تقريباً لها من الأفهام ، ولا سيما أفهام أوساط المتعلمين ، وإبقاءً على صحة اللغة والأداء ، وإذاعةً للفُصُح ، وإشاعةً لسلامة البيان .

ولقد أصبت في هذه الطائفة التي تَسَنّى للباحث الفاضل جمعها مما تهدَّى إليه من كتب الأدب هنات وانحرافات ، تسرَّبت إليها من جهلة النُّسَّاخ على تتابع الأيام ، وقَلَّ عند المحققين نصيبها المفروض من التمحيص والتصحيح ... وإنه للزام على أمثالي أن يشاركوا في الاجتهاد بوضع مثل هذا التراث الأدبي الفنّيّ الأصيل في نصابه الحق ، ضماناً للغرض النبيل الذي دعا إلى جمعه ونشره ، ونحن أحرياء بأن نصونه ، ونتعاون على رعايته وتحقيق سلامته . فأقول :

١ — في (ص ١٢٨) ورد قول الصنوبري في صفة ما ينشره « قويق » حوله من وشي الربيع المتجدد :

أما ترى البيعتين أفردتا بمفرد الأقحوان والمزوجْ

والبيعة ، بالكسر : كنيسة النصارى ، وقيل : كنيسة اليهود ، ولا موضع لها في هذا السياق الذي يصف المروج وما يلوّنها من ألوان العقيق والفيروزج ، والأشجار وما يزينها من الأقحوان والنوّار . فلا جرم أن اللفظ المناسب ها هنا إنما هو « النبعتين »(١) ، والنبعة واحدة النبع ، وهو كما قال أهل اللغة : شجر أصفر العود ، رزينُه ، ثقيلُه في اليد ، وإذا تقادم احمرَّ . وقد كانت العرب تتخذ منه القِسِيّ والسهام ، لشدّته ولدونته .

(١) نصبه على حكاية سياق البيت .

٢ — وفي (ص ١٢٨ أيضاً) قوله :

والثلج يهطل كالنثار ، فقم بنا   نلهو بِرَبَّةِ كرمة لم تمزجِ

وقد ضبطت « ربّة » فيه بفتح الراء ، ومقتضى هذا أن الصنوبري يدعو صاحبه ، إذِ الثلج يهطل ، إلى اللهو معه بامرأة « صاحبة كرمة لم تمزج » ! وهـذا كلام فاسد ، وتعبير سقيم غير صحيح ولا مستقيم . والصحيح أن الصنوبري إنما يدعو صاحبه إلى اللهو بمعاقرة الشراب ، فذلك هو وحده المألوف من دعوات الشعراء في مثل هذه الحال ، وهـو يستدعي ضبط « رُبَّة » بضم الراء ، وقد استعملها الصنوبري مؤنثة ، والمعروف في اللغة « الرُّب » وهو الطِلاء الخاثر ، والطلاء هو ما طبخ من عصير العنب ، والخاثر الثخين الغليظ ، وكأن الصنوبري قاسه على الخمر والخمرة فأنّثه .

٣ — وفي (ص ١٢٨ أيضاً) ورد هذا البيت على الصورة التي أُثبتها :

فتناولت منه صادقة الريح   تسمى صديقـــة الأرواح

والقانون العروضي يفرض فصل حاء « الريح » ، ووضعها في الشطر الثاني من البيت .

٤ — وفي (ص ١٣٤) :

شقيّقه شقّ على الورد ما   قد لبست من كثرة الصبغِ

وقد شددت ياء « شقيقة » ، فاختل وزن البيت .

٥ — وفي (ص ١٣٥) قول الصنوبريّ يصف « شقائق النعمان » ، ويقابل حمرة وجوهه بحمرة خدود البيض الحسان :

وجوه شقائق تبدو وتخفَى   على قضب تميس بهنّ ضَعفا

تَراها كالعذارى مسبلات   عليها من عميم النبت سُجفا

تنازعت الخدود الحُمْرُ حسناً   فما إن أخطأت منهنّ حرفا

وتعليق (المجلة) على « عميم » في البيت الثاني بأنه : « في رواية أخرى (جميم) ، وهو النبت الكثير ، وهو الأرجح » .

ولي ها هنا ملاحظتان : أولاهما على تعليق المجلة ، والأخرى على البيت الثالث .

أ — إن ذهاب (المجلة) إلى ترجيح « جميم » على « عميم » ، لا بُدَّ له من قيام مرجّح من سياق بيت الشاعر . ولننظر في باديء الأمر ما تفسيرهما عند أهل اللغة ، ثم نعود إلى سياق البيت .

فأما « العميم » في (لسان العرب) هو الطويل من النبات ، قال : « ومنه حديث الرؤيا — : « فأتينا على روضة مُعْتَمَّة » ، أي : وافية النبات ، طويلتُه . وكل ما اجتمع وكثر ، عميمٌ . واعتمَّ النبت : اكتهل ، ويقال للنبت ، إذا طال : قد اعتمّ . وقالوا : نبت يعموم ، طويل » .

وأما « الجميم » فليس هو بالنبت الكثير كما قالت (المجلة) ، وإنما هو —كما في (لسان العرب) أيضاً — : « النبت الذي طال بعض الطول ولم يتمّ » . قال : « ويقـــال : في الأرض جميم حسن النبت ، قد غطى الأرض ، ولم يتمّ بعدُ » .

وإذا عدنا بعد هذا إلى البيت ، ألفيناه يذكر العذارى وشعورهن الطوال المسبلات ، ويذكر السُّجُف .. فلا جرم أن « العميم » الذي وفى وطال واكتهل ، أولى بالسياق من « الجميم » الذي لم يتمّ طوله ، ولم يكتهل .

ب — رواية صدر البيت الثالث ، وضبطه على هذا النحو : « تنازعت الخدودُ الحُمْرُ حسناً » تفصمه عما قبله وعما بعده ، وتجعل التنازع قائماً بين هذه الخدود وحدها ، لا بينها وبين غيرها . وهذا يجوز لو كان الشطر مستقلاً منقطعاً بنفسه غير ذي علاقة بما قبله وبما بعده . بَيْدَ أن الشاعر أراد غير هذا ، ووصل كلامه بعضه ببعض ، فذكر « وجوه الشقائق » ، ثم التمس لها شَبَهاً ، فوقع عليه في الخدود الحمر في وجوه البيض الحسان ، ورأى المطابقة بين طرفَيِ التشبيه تامة كل التمام ، وذلك إذ يقـــول : « فما إن أخطأت منهن حرفاً » ، أي : ما أخطأت وجوه الشقائق شيئاً من هذه الخدود الحمر في الحسن » .

وعلى هذا يكون الشعر : « فنازعتِ الخدودَ الحُمْرَ حسناً ... » ، أعني يكون الفعل « نازعت » لا « تنازعت » ، ويكون فاعله ضمير « وجوه شقائق » في البيت الأول ، وتنصب « الخدود » ونعتها على المفعولية .

و ـ وفي (ص ١٣٥) هذان البيتان :

أضعف قلبي النرجس المضعَّفُ ولا عجب إن صبا مُدْنَفُ

كأنه بـــين رياحيننـــا عشاريٌّ ضَمَّها مُصْحَفُ

وتعليق (المجلة) على عجز البيت الثاني ، وهو قولها : « يلاحظ اضطراب الوزن في هذا الشطر ، ونرجح أن يكون العجز : عشاريْ (قد) ضمَّها مصحف ، بزيادةِ (قد) . » .

وهذان البيتان ، من البحر التاسع (السريع) . وقد مُنِيَ عجزاهما ـ لا عجز البيت الثاني وحده ـ بالتحريف والزيادة والنقص ، فاختل وزنها ، واختل من الثاني وزنه ومعناه .

ويصح عجز البيت الأول بحذف الواو من « ولا » ، وإقامة « إذا » مقامَ « إنْ » . على أنني ألاحظ عليه ضعف علاقته المنوية بما قبله ، فلعل في البيت سقطاً ، أو هكذا يخيَّلُ إليَّ .

أما عجز البيت الثاني ، فإن « قد » الذي زادته (المجلة) ليستقيم وزنه ، لم يقم صلبه المنآد ، فظلَّ وليس به قوة على اعتدال . وعلّة ذلك في « عشاريّ » و « ضمّها » . كلاهما أخل بوزنه وبمعناه . فما « المشاريْ » في لغة العرب ؟ نجد دواوين اللغة تقول : إن الثوب إذا بلغ طوله عشر أذرع ، والغلام إذا بلغ عشر سنين ، فيقال : ثوب عشاريّ ، وغلام عشاريّ ، وتزاد للأنثى الهاء . وليس شيء من هذا بصالح في هذا السياق ، فضلاً عن إخلاله بالوزن . ويلزمنا التحقيق أن نصير في أول الأمر إلى مادة هذا اللفظ (ع / ش / ر) نلتمس فيها اللفظ الذي يقوم به الوزن والمعنى . وفي هذه

المادة لفظة « عشارة » ، وتفسيرها القطعة من كل شيء ، وهي تقيم الوزن ، ولكنها لا تقيم المعنى في سياق البيت .

وإذْ عجزت هذه المادة أن تمدّنا باللفظ المواثم ، فلا مفرّ لنا من الصيرورة إلى غيرها ، والتفكير في اللفظ الذي يقيم وزن البيت ومعناه . وقد انقدح في ذهني أنه « نُثَارة » ، ولست أراها شيئاً آخر ، وقد حرفها الناسخ هذا التحريف الشنيع ، فصيرها « عشاريّ » ، وما أكثر أمثال هذا التحريف في المخطوطات ! والنثارة هي ما ينثر من شيء ، كالدراهم والورد ونحوه من المشمومات الطيبة . والمعروف من عادة الناس أنهم يضعون طاقات الورد في ثنايا المصاحف الشريفة ، لتطيب رائحتها . وما أزال أذكر أننا كنا نفعل ذلك ، في طفولتنا أيام كنا نتعلم القراءة في « الكُتَّاب » فنضمّن مصاحفنا الورد والريحان ، وقد نضمنها ريش الطواويس أيضاً ، وما كان أحد منا يحيد عن ذلك . فبهذا اللفظ ، وبجعل ‹ضمَّنها› : « ضُمِّنَها » ، يستقيم وزناً ومعنى ، وينسجم مع صاحبه . أما « قد » فلا مقامَ لها في هذا البيت . ولما كانت عادات المسلمين على اختلاف البقاع والأزمان تتشابه أوضاعها على نحوٍ مّا من وجوه التشابه ، فلا ريب أن هذه العادة من تضمين المصاحف نثارات الورد ، كانت معروفة على عهد الشاعر في بلاد الشام إبان القرن الرابع الهجري ، وربما سبقت هذا العهد ، فأوحت إليه هذا التشبيه :

كأنه بين رياحيننـــا نُثَارةٌ ضُمِّنَها مُصْحَفُ

ثم شرقت العادة وغربت ، ولم أتحقق من أين بدأ ظهورها ، وفي أي زمان كان ذلك .

٧ — وفي (ص ١٣٦) :

وإلى الرقْتَيْن أطوي قِرى البيـ ـد بمطويّة القرا مذعانِ

وقد كتبت فيه ألف « قَرا » الأولى بهيأة الياء ، وضبط أولها بالكسر ، ذهاباً إلى معنى الضيافة والإحسان إلى الضيف ، وكتبت الثانية بالألف وأهمل

ضبطهـــا . فما مناسبة قِرى الضيف في البيت ؟ وما معنى أنه يطوي إلى (الرَّقْتَيْن) ضيافةَ البيد ؟

وصواب اللفظة : « قَرا » بفتح أولها وبهيأة الألف في الوضعين ، ومعناه الظهر ، وقيل : وسط الظهر . ذلك أن الشاعر يخبر أنه يطوي ظهور البيد إلى (الرقتين) ـ وعنى الرَّقَّة والرافقة ـ بناقة مطوية الظهر ، مذعان لراكبها ، ومطواعة له سُرًى وتأويبا .

٨ ــ وفي (ص ١٣٦ أيضاً) :

ألبستها يد الربيع من الألوان بردا كالأتحميّ السـيماني

وفي كتابة البيت على هذا النحو خروج عن قانون العروض ، والصواب كتابته بنقل (وان) من (الألوان) إلى الشطر الثاني كما لا يخفى .

٩ ــ وفي (ص ١٣٦ أيضاً) :

يا خليـليَّ هاتُما علّلاني عاطياني الصهباء لا تَدْرَ آني

و (هاتُما) هذه ، كتبت مع ضبط تائها بالضم ، وليس في كلام العرب « هاتُما » ، إنما فيـه « هاتيا » مثنَّى « هاتِ » . وفي (لسان العرب) : « تقول : هاتِ يا رجل ، بكسر التاء ، أي : أعطني ، وللاثنين : هاتيا ، مثل : آتيا ، وللجمع : هاتُوا ، وللمرأة : هاتي ، بالياء ، وللمرأتين : هاتيا ، وللنساء : هاتِينَ ، مثل : عاطِينَ .. » .

١٠ ــ وفي (ص ١٣٧) :

سقّياني من كل لون من الراح على كل هـــذه الألوان

أخضر اللون كالزمرّد في أحمـ ـر صافي الأديم كالأرجوان

وأقاح كاللؤلؤ الرطب قـــد فصّل بين العقيق بالمرجان

وبهار مثل الدنانير محفوفُ بزهر الخـــيري والحوذان

وصواب كتابتها على حسب قانون العروض :

سقّياني من كل لون من الر ح على كل هـــذه الألوان

أخضر اللون كالزمرد ، في أحـ مَرَ صافي الأديم كالأرجوان

وأقاح كاللؤلؤ الرطب ، قد فُصـ صِلَ بين العقيـق بالمرجان

وبهـار مثل الدنانير ، محفو فٌ بزهر الخيريّ والحَوْذان

١١ — وفي (ص ١٣٧ أيضاً) :

وكأن النعمان حلّ عليها حُلَلاً من شقائق النعمانِ

وحلّ معناه نزل ، تقول : حللت القوم ، وحللت بهم ، وحللت عليهم ، وليس لهـــذا المعنى صلةٌ ما بسياق البيت إطلاقاً ، ولست أشك في أنه تحريف (حاكَ) ، أي : نسَجَ ، وهذا الفعل يستعمل في نسج الثوب حقيقة ، ويستعمـــل في غيره مجازاً ، فتقول : حاك النساج الثوب ، وحاك الشاعر شعره ، وحاك المطر الرياض . وبهذا يتجلى معنى البيت .

١٢ — وفي (ص ١٣٧ أيضاً) وردت قصيدة في التشوّق إلى (الرقتين) ، لم يُراعَ القانون العروضي في كتابة معظم أبياتها ، أكتفي بالإشارة إليها تجنباً للإطالة .

١٣ — وفي (ص ١٣٨) :

تتلاقى المياه : ماء من المُزْ ن ، دماءٌ تجري، وماءٌ مَعِينُ

وصواب « دماء » : « وماء » ، وهو واضح .

١٤ — وفي (ص ١٣٨ أيضاً) :

بلد مشـــرق الأزاهر موعِ وسحاب جمّ العَزالي هتونُ

ومن الواضح أن صيغة اللفظة هي صيغة اسم للفعول من « أوعى » ، واستعمالاته

في اللغة هي : أوعى الحديثَ ، مثل : وعاه ؛ ومعناه : حفظه وفهمه وقبله . وأوعى فلان جدع أنفه : استوعبه . وأوعى الزاد والمتاع في الوعاء : جمله فيه . ومنه : «والشر أخبث ما أوعيت من زادِ» . فهل في هذه الاستعمالات ومعانيها ما يعين على إقرار «موعِ» هذه في هذا الموضع ؟ بشيء يسير من التأمل في البيت ، يهدينا سياقه إلى الكلمة اللائقة به ، ولا نراها إلا كلمة «بِدْع» أي بديع ، وبها ينسجم البيت ، ويشرق معناه لإشراق البلد الموصوف فيه بأزاهره .

١٥ — وفي (ص ١٣٨ أيضاً) :

يضاحكها الفرات بكل فجّ فيضحك من نضار أو لُجَيْنِ

ويضحك من الشيء ، معناه : يسخر منه ، ولا موضع ها هنا للسخر ، وليس مراداً للشاعر ، وإنما مراده معنى الإبداء مجازاً ، وهو يستلزم حرف الجر (عن) ، وقد وردت صحيحة في : (مسالك الأبصار) ، و (معجم البلدان) و (الديارات) . قال الزمخشري في (أساس البلاغة) : «ومن المجاز : ضحكت الأرض عن النبات ، وضحكت الرياض عن الزهر . » . ومنه بيت الصنوبري هذا ، وبيت آخر له وهو قوله :

وبنفسي المرج الذي ابتسمت جَنَبَاته عن عسجد ولُجَيْنِ

وهو في (كتاب الديارات) ، لكن زيدت فيه : [لنا] بعد «ابتسمت» ، فاختلّ وزنه .

١٦ — وفي (ص ١٣٩) :

تُرانا واصليك كما عهدنا وصالاً لا تنغّصه بِبَيْنِ

وقد ضبطت فيه تاء «ترانا» بالضم ، والصواب فتحها كما في (مسالك الأبصار) .

وجعلت فيه نون المتكلم ومن معه في : « ننغّصه » تاءً ، والتنغيص أمر لا يمكن إسناده إلى السفن المذكورة في بيت سابق . وقد ورد ذلك على الصحة في (مسالك الأبصار) و (معجم البلدان) ... وفي (كتاب الديارات) أيضاً !

١٧ — وفي (ص ١٣٩ أيضاً) :

وكان اللهو عندي كابن أمي فصرنا بعد ذاك كملتَّيْنِ

وتعليق (المجلة) عليه : « في (الديارات) : لملتين ، ونرجح أن يكون العجز : فصرنا بعد ذلك علَّتَين . » .

وهو إعادة لما سبق لها أن أوردَتْه من قبل . وقد أوضحت رأيي فيه بما لا مزيد عليه (١) .

١٨ — وفي (ص ١٣٩ أيضاً) :

وكم ثنايا تَسبي بنكهتهـا وكم عيونٌ تُصبي بلحظتها

كذا برفع « عيون » بعد « كم الخبرية » ، والمشهور في تمييزها الجر ، وقد يجرّ بمن نحو قوله تعالى : ﴿ كم من فئةٍ قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ . وهي لغة جميع العرب ، ما عدا « تميماً » ، فقد روي أنها ترفع ما بعدها ، وذكر الرفع والنصب أيضاً في قول (الفرزدق) ، وهو تميمي :

كم عمة لك ، يا (جريرُ) وخالة فدعاء ، قد حلبت عليَّ عِشاري

وللنحاة في تخريج ذلك تكلف شديد ، وليس مثل هذا بناقض للمشهور من لغة العرب ، وباب الشذوذ باب واسع ، لو ولجناه لأخللنا بالمقاييس العامّة .

١٩ — وفي (ص ١٤٠) :

والسحب ينظمن فوقها سُبَحاً نظامَ معنيَّة بسبحتهـا
فواقعٌ عُدَّت بياذق شطرنج صفوفاً وَسْطَ رقعتهـا

(١) مجلة مجمع اللغة العربية م ٤٤ ص ٥٨ ـ ٥٩ .

وقد ذكر الناقل الفاضل أن هذين البيتين من (الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني ، وأن البيت الثاني «كان فيه اضطراب شديد فصُلّح .»

وقالت (المجلة) معلقة عليه : «يلاحظ اختلال الوزن والمعنى في البيت ، ولم نتوفق إلى تصحيحها (كذا) فيما لدينا من مراجع .»

وأقول : إن رواية البيت في (الجماهر)[1] هي :

فواقع قد غدت بياذق الشطرنـ ج صفوفاً في وسطِ رقعتها

وهو من البحر العاشر (المنسرح) ، وقد اضطرب اضطراباً شديداً في هذا الأصل المنقول منه ، وفي تصحيحه ، وليس شيء منها خيراً من الآخر . ويستقيم لنا إذا صنناه على هذا النحو ، ولا أحسب (الصنوبري) عداه :

فواقع قد عدت بيـاذق شط رنج صفوفاً بوَسْط رقعتهـا

هذا من حيث وزنُه . أما لغته ، فـ «فواقع» ليست إلا تحريفـاً لِـ «فقاقع» جمع فُقّاعة ، وهي - كما يقول أهل اللغة - هنات كأمثال القوارير الصغار مستديرة ، تتفقّع على الماء أو الشرابِ عند مزجه بالماء . وأصلها «فقاقيع» ، كما جاءت في بيت عديّ بن زيد ، يصف الخمر صُفِّقت بالماء :

وطفـا فوقها فقاقيع كاليا قوت ، حُمرٌ ، يثيرها التصفيق

وحذف الياء من مثلها أجازه قوم من النحاة ، واعتدَّه آخرون ضرورة . قال (الأشموني) في شرح (ألفية ابن مالك) - ٤/٩٨ - «أجاز (الكوفيون) زيادة الياء في مُماثل «مَفاعِل» ، وحذفها من مُماثل «مَفاعيل» ، فيجيزون في جعافر : جعافير ، وفي عصافير : عصافر . وهذا عندهم جائز في الكلام ، وجعلوا من الأول : ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ ، ومن الثاني : ﴿وعنده مَفاتِحُ الغيب﴾ ، ووافقهم في (التسهيل) على جواز الأمرين ،

(١) ص ١٨٦ .

واستثنى « فواعل » فلا يقال فيـــه « فواعيل » إلاَّ شذوذاً ، كقوله : « سوابيغ بيض لا يخرّقها النبل » . ومذهب (البصريين) : أن زيادة الياء في مثل « مَفاعل » ، وحذفها في مثل « مفاعل » لا يجوز إلا للضرورة . » .

وعلى حد فعل (الصنوبريّ) بياء « فقاقيع » جاءت « المراجِن » في موضع « المراجين » في شعرٍ لِ (ابن الجباس) يصف الموز :

كأنما الموز في عراجنـه وقد بدا يانعاً على ثمرِهْ
فروعُ شعرٍ برأس غانية عقِّيص من بعد ضَمّ منتشرِهْ (١)

فحذف ياء « المراجين » ، وهي المشاكيل ، كما حذف (الصنوبري) ياء « الفقاقيع » .

وبقي في بيته الفعل « عَدَت » ، فقد يجوز أن تقرأ « غدت » ، ولعلها هي الأصل . وبهذا التصحيح يكون البيت قد استقام وزنه ومعناه ، وانتفى عنه الاضطراب والغموض .

٢٠ — وفي (ص ١٤١) :

أما الرياض فقد بدت ألوانها صاغت فنون حليلها ألوانها

و « ألوانها » الثانية ، صوابها : « أفنانها » كما في الأصل المنقول منه ، وهو كتاب (الديارات) .

٢١ — وفي (ص ١٤١ أيضاً) :

هذا خزُاماها وذا قيصومها هذا شقائقها وذا حُوذانها

وقد ضبط فيه حاء « حوذانها » بالضم ، وصوابه الفتح كما ضبط في (الديارات) . وقد تقدم هذا اللفظ في (ص ١٣٧) في بيت آخر للصنوبري منقول من (الديارات) أيضاً ، ولم يضبطه الناقل الفاضل ، وضبطه محقق

---

(١) ضم : في الأصل المروي عنه « ختم » ، وليست بشيء .

(الديارات) ولكن بضم حائه في هذه المرة ، فجانب الصواب هنا من حيث أصاب هناك ! وكذلك ضبطه محقق (مسالك الأبصار) ١/٢٦٧ فأخطأ .

٢٢ — وفي (ص ١٤١ أيضاً) :

حِثّ الكؤوس فإن هذا وقتها وصِلْ الرياض فإنّ ذا إبّانُها

وصواب « حِثّ » : « حُثَّ » ، بضم الحاء ، لأن مضارعه « يَحُثُّ » بضم الحاء . وحق تحريك لام « صِلْ » الكسر ، لالتقائه بساكن . وكلاهما من البديهيات ، ولكن التحقيق الدقيق لا يأذن بإغفال التنبيه على مثلها .

أما بعد ، فإن العصمة والكمال لله تعالى وحده . وهذه الملاحظ ، هي على مصادر منقولات الباحث الفاضل ، في الغالب ، وليست عليه . أردت بها التسديد ، لا العيب والتهجين ، ولا التعالي والتعليم . وقد اجتهدت فيها برأيي ، وما كل اجتهاد ببالغٍ غايته من السداد . فمن أصاب فيها حقاً أخذه ، ومن أصاب فيها خلافه فرضت عليه أمانة العلم التي في عنقه الجهرَ بما رآه بدليله إن شاء الله .

(بغداد) محمد بهجة الأثري

الغزالي وعلم الكلام

١ — مقدمة عامة

في تاريخ الفكر الإسلامي فرق تقدم النقل على العقل ، وفِرَق تقدم العقل على النقل ، وفِرَق تجمع بين العقل والنقل في وزن واحد من الإتساق .

أما الفِرَق الأولى فهي التي تتمسك بحرفية النص لاعتقادها أن العقل لا يستطيع أن يحيط بحقائق الأمور الإلهية ، وإذا رأى بعض أفراد هذه الطائفة أن يرجع إلى العقل رجع إليه لاستخدامه في الدفاع عن الشرع ضد المخالفين له في العقيدة .

وأما الفِرَق الثانية فهي التي لا تعرف إماماً سوى العقل ، ولا تصدق إلاّ بما هو عقلي محض ، بل العقل عندها حاكم مطلق في الأمور الدنيوية والأمور الدينية معاً ، فإذا سأل الإنسان نفسه عن سبب إيمانه بالشرع أجابته هذه الطائفة بأن العقل يقضي بضرورة الشرع والحاجة إليه في تنظيم سلوك الإنسان ، لأن الإنسان ليس قادراً على سلوك طريق الحق والخير بفطرته ، ولكن الإنسان الذي يبلغ درجة النضج العقلي يستطيع أن يدرك الحق بنفسه ، وإذا كلف نفسه القيام ببعض الواجبات الدينية فمردّ ذلك إلى حكم عقله بضرورتها لا إلى تسليمه بها تسليم مؤمن بها من الشرع ، ومعنى ذلك أنّ العاقل في نظر هؤلاء يستطيع أن يصل بعقله إلى كل شيء من غير أن يكون محتاجاً في ذلك إلى الإيمان والوحي .

وأما الفِرَق الثالثة فهي التي تحاول شق طريق وسط بين الطريقين السابقين جاهدة في تحديد الميدان الخاص بالعقل والميدان الخاص بالنقل .

وإذا كان من الصواب أن نقول مع هذه الطائفة : إن إدراك كل حقيقة روحية يتم بطريق العقل والنقل معاً وجب علينا أن نضيف إلى ذلك ان لـكل من هذين الطريقين نوعاً من الإدراك يخصه ، فلا يجوز أن نخلطها معاً ، ولا أن نقيم واحداً منها بدلاً من الآخر ، ولا أن نثبت أحدها وننفي الآخر .

والمثال من الفِرَق الأولى الخوارج والمرجئة .

والمثال من الفِرَق الثانية المعتزلة والفلاسفة .

والمثال من الفِرَق الثالثة الأشعرية وعلماء الـكلام .

وإلى جانب هذه الفرق الثلاث فرقة الصوفية التي جعلت الوصول إلى الحقيقة مبنياً على الكشف الباطني .

ولسنا نريد الآن أن نتكلم على موقف الغزالي إزاء كلّ من هذه الطوائف فإن الـكلام على ذلك يحتاج إلى مجالٍ أوسع من المجال الذي رسمناه لأنفسنا في هذا المقال ، ولـكننا نريد أن نتكلم على موقفه إزاء طائفة واحدة منها ، وهي طائفة علماء الـكلام .

٢ ـــ معنى علم الكلام

الـكلام في اللغة هو اللفظ المركّب الدالّ على معنى بالوضع والاصطلاح لا بالطبع . وأول استعمال لهذه الكلمة بغير معناها اللغوي كان للدلالة على صفة من صفات الله ، وهي صفة الـكلام . وقد اشتمل القرآن على ذكر كلام الله ، فأخذ الكثيرون قوله على معناه الحرفي ، وقصدوا به المشافهة بالـكلام ، كما ذكر الأشعري ذلك في كتاب « الإبانة عن أصول الديانة » وعدّه غيرهم صفة من صفات الله تعالى ، ثم أصبح الـكلام بعد ذلك علماً يبحث في ذات الله وصفاته وفي أحوال الممكنات من المبـــدأ والمعاد على قانون الإسلام .

وقيل أيضاً إن لهذه التسمية وجوهاً أخرى .

الأول إن الكلام ضد السكوت ، وإن أهل البدع يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، فلا يجوز السكوت عنهم ، بل ينبغي الرد عليهم بكلام مرتب منظوم .

والثاني أن علم الكلام إنما سمي بهذا الاسم لأنه ينشئ الجدل والحجاج في الشرعيات .

والثالث أن مسألة الكلام أشهر أجزاء هذا العلم .

والرابع أن الكلام مقابل للفعل ، والمتكلمون قوم يتكلمون على أمور ليس تحتها عمل ، فكلامهم نظري لا يتعلق به فعل ، بخلاف الفقهاء الباحثين في الأحكام الشرعية العملية .

ويسمى علم الكلام أيضاً بعلم التوحيد ، نسبة إلى أحد أجزائه . والمشتغلون بهذا العلم يسمون تارة بالمتكلّمين وتارة بعلماء التوحيد .

ونحن نطلق اليوم اسم هذا العلم على الإلهيات الإسلامية . وهي تبحث في ذات الله وصفاته وأفعاله في الدنيا والآخرة كحدوث العالم والحشر وبعث الرسل وأحكام نصب الأئمة والثواب والعقاب .

ولما اختلط موضوع علم الكلام بموضوع الفلسفة قيل : إن موضوعه هو الموجود بما هو موجود ، إلا أن الفرق بينهما واضح ، وهو أن الفلسفة تبحث في الموجود بما هو موجود بحثاً عقلياً خالصاً ، على حين أن علم الكلام يبحث فيه بحثاً مبنياً على صريح العقل وصحيح النقل ، بحيث تكون عقائد الدين بمنجاة من شبه المبطلين .

٣ ــ موقف الغزالي إزاء هذا العلم

نستطيع تسهيلاً للبحث أن نقسم موقف الغزالي إزاء هذا العلم قسمين : أحدهما موقفه العام ، والآخر موقفه الخاص إزاء بعض المشكلات الكلامية .

١ — الموقف العام

يقول الغزالي في تحديد موقفه العام إزاء علم الكلام : « ثم إني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته ، وعقلته ، وطالعت كتب المحققين منهم ، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف ، فصادفته علماً وافياً بمقصوده غير واف بمقصودي . إنما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة ، فقد ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله عقيدة أهل الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار ، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أموراً مخالفة للسنة فلهجوا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة على خلاف السنة المأثورة ، فمنه نشأ علم الكلام وأهله . ولقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله إليه ، فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة ، والتغيير في وجه ما حدث من البدعة ، ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم ، واضطرهم إلى تسليمها إما التقليد أو إجماع الأمة ، أو مجرد القبول من القرآن والاخبار ، وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلّماتهم ، وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً ، فلم يكن الكلام فى حقي كافياً ، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً ، نعم لما نشأت صنْعة الكلام وكثر الخوض فيه ، وطالت المدة تشوق المتكلمون إلى محاولة الذبّ عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور ، وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى ، فلم يحصل منه ما يمحق بالكلية ظلمات الحيرة في اختلاف الخلق ، ولا أبعد أن يكون قد حصل ذلك لغيري ، بل لست أشك في

حصول ذلك لطائفة ، ولكن حصولاً مشوباً بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات . والغرض الآن حكاية حالي ، لا لإنكار على من استشفى به ، فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء ، وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر » (المنقذ من الضلال ، ص ٧١ — ٧٣ من طبعتنا السابعة ، بيروت ١٩٦٧) .

فالغرض من علم الكلام إذن الذود عن حياض الإسلام بالرد على المبتدعة ، وهذا قريب من قول الفارابي إن الكلام « صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملّة ، وتزييف كل ما خالفها من الأقاويل » (إحصاء العلوم ، ص ٧١ — ٧٧) .

وقد عبر ابن خلدون عن ذلك بقوله : إن الكلام علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة » (المقدمة ، ص ٨٢١ من طبعة دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٦٧) .

ومعنى ذلك كلّه أن علم الكلام يعتمد على النظر العقلي في إثبات العقائد الإيمانية المسلمة من الشرع . وليس هذا النظر العقلي عند المتكلمين غاية بذاته ، وإنما هو وسيلة لتفهم العقيدة والدفاع عنها . ويشمل اصطلاح علم الكلام جميع الفِرَق التي اعتمدت على العقل في الدفاع عن العقيدة الدينية .

لقد كان للشيعة علم كلام خاص بهم ، ولكن الأئمة كثيراً ما حذروا تلاميذهم من التشبث بمشكلات علم الكلام وطُرُقه . ويعدّ المعتزلة أشهر من زاول علم الكلام ، فأنشأوا مدرسة ذات طابع تأملي تعتمد على المعطيات الدينية الأساسية ، إلا أنهم ذهبوا إلى وجوب المعرفة بالعقل ، وزعموا أن الإنسان يستطيع بعقله قبل ورود السمع أن يعرف الحسن ويعتنقه ، ويدرك القبيح ويجتنبه ، وليس ورود التكاليف إلاّ ألطافٌ من الله أرسلها إلى

العباد بتوسط الأنبياء امتحاناً واختباراً . ولئن اتفق المعتزلة وغيرهم من علماء الكلام على أن الاعتماد على العقل واجب ، لقد اختلفوا في مصدر هذا الواجب ، فقالت المعتزلة إن هذا المصدر ذاتي محض ناجم عن طبيعة العقل نفسه ، وإن هذا العقل إذا بلغ كماله استطاع أن يصل إلى معرفة الله ، أمّا سائر المتكلمين فإنهم يثبتون تقدم النقل على العقل ، ويقولون لولا وجود الشرع لما تمكن العقل من معرفة الله .

وفي الحق أن هناك نوعين من البراهين ، أحدهما عقلي مبني على الأوليات والبديهيات ، والآخر سمعي مبني على القرآن والحديث والإجماع . فبينما تجد المعتزلة لا يعترفون إلا بقيمة البرهان الأول قائلين إن كل برهان سمعي لا يدعمه العقل فهو مردود ، تجد غيرهم من المتكلمين وعلى رأسهم الأشاعرة يذهبون إلى أن العقل لا قيمة له بذاته ، وإن براهينه لا تكون صادقة إلا إذا كانت مبنيّة على معطيات الشرع . وإذا تذكرنا أن الغزالي ، وهو تلميذ الجويني إمام الحرمين ، كان أشعري النزعة لم نعجب لوقوفه إزاء العقل موقفاً قريباً من مذهب الأشاعرة وإن كان مختلفاً عنهم في وسائله وغاياته ، ولعله لم يدعُ إلى إلجام العوام عن علم الكلام إلاّ لخوفه من تأثير هذا العلم في تشويش عقيدتهم . وسيتبيّن لنا ذلك بوضوح عند تحديد موقف الغزالي إزاء بعض مشكلات الكلام .

٢ — الموقف الخاص

سنقصر كلامنا في هذا الفصل على إبراز موقف الغزالي إزاء ثلاث مشكلات كلامية ، وهي مشكلة العقل والنقل ، ومشكلة الحرية الإنسانية ، ومشكلة رعاية الله للأصلح .

آ — العقل والنقل

رأي الغزالي في العقل مختلف عن رأي المعتزلة والفلاسفة ، لأنه لم يبن المعرفة على العقل وحده ، بل بناها على التجربة الروحية والكشف الباطني

(راجع كتابنا : الدراسات الفلسفية ، ص ١٦٩ – ٢١١) ، إن لليقين عنده ثلاث مراتب : المرتبة الأولى إيمان العوام ، والثانية إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع من الاستدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام ، والثالثة إيمان العارفين الذين يشهدون الحق دون حجاب .

ولنبين هذه المراتب الثلاث بمثال ، وهو حصول التصديق بوجود زيد في الدار . فإن لهذا التصديق ثلاث درجات : الأولى أن يقول لك من جربت صدقه وتعود قلبك أن يسكن إليه ويطمئن بخبره ، أن زيداً في الدار ، فأنت تصدق ما يخبرك به بمجرد السماع والتقليد ، وهذا الإيمان هو إيمان العوامّ ، فإنهم يصدقون ما سمعوه من آبائهم وأمهاتهم عن وجود الله وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته ، وعن بعثة الرسل ، يصدقونه كما سمعوا به ، ولا يخطر ببالهم خـــلاف ما قاله لهم آباؤهم ومعلموهم لحسن ظنهم بهم ، والثانية أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار ، فتستدل به على كونه في الدار ، فيكون تصديقك بالاستدلال أقوى من تصديقك بمجرد السماع ، فإنك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقيناً ، فإيمانك في هذه الحالة ممزوج بدليل ، وهو إيمان المتكلمين الذين يجمعون بين العقل والنقل . والثالثة ، أن تدخل الدار فتنظر إلى زيد بعينك وتشاهده ، وهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية ، وهي تشبه إيمان الصدّيقين والعارفين الذين يشاهدون الحق بأنفسهم . لا شك أن هذا الإيمان ينطوي على إيمان العوامّ والمتكلمين ، إلاّ أنه يتميز عنه بميزة بيّنة يستحيل معها إمكان الخطأ والوهم .

والغزالي يقسم العلوم قسمين : العلوم الشرعية أو الدينية والعلوم العقلية . أما العلوم الدينية فهي المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء وهي تحصل بتعلم كتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيها بعد السماع ، وبها كمال صفة القلب

وسلامته من الأدواء والأمراض . وأما العلوم العقلية فهي ما تقضي بها غريزة العقل ، ولا توجد بالتقليد والسماع ، وهي قسمان ضرورية ومكتسبة . فالضرورية هي المبادئ العقلية التي فطر الإنسان عليها ، ولا يدري كيف ومتى حصلت له كعلمه أن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في زمان واحد ، والشيء الواحد لا يكون موجوداً ومعدوماً معاً . والمكتسبة هي المستفادة بالتعلم والاستدلال .

والفرق الأساسي بين العلوم العقلية والعلوم الشرعية الدينية أن الأولى تعتمد على غريزة العقل والتعلم على حين أن الثانية لا تعتمد على العقل إلا بعد السماع . والغزالي يصرح بوجوب اتفاق العقل والنقل والباطن والظاهر ، ويرى أنه لا غنى بالعقل عن السماع ، ولا غنى بالسماع عن العقل . « فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل ، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور ، فإياك أن تكون من أحد الفريقين ، وكن جامعاً بين الأصلين ، فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية . والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء ، فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلاّ بالأدوية المستفادة من الشريعة ، وهي وظائف العبادات ، والأعمال التي رتبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب » (إحياء علوم الدين الجزء ٣ ص ١٦) . فمن ظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الدينية فظنه صادر عن عمى بصيرته . ومن ظن أن العلوم الشرعية متناقضة انسلّ من الدين انسلال الشعرة من العجين . (المصدر نفسه ، الجزء ٣ ، ص ١٧) . ولكن المعرفة التي يتوصل إليها العقل بنفسه لا تشمل جميع الحقائق . وهي تختلف باختلاف السالكين . فإذا كان طريق الإنسان طريق الاستدلال والنظر كانت معرفته مقصورة على أمور الحس والتجربة وما يتصل بها . وإذا كان طريقه طريق الوحي والإلهام أمكنه الوصول إلى معرفة الحقائق الإلهية .

وهذا النوع الأخير من المعرفة هو التعليم الذي جاءنا به الأنبياء ، فقد علمونا أشياء كثيرة بعضها داخل في نطاق الاستدلال العقلي وبعضها خارج عن نطاقه .

ويرى الغزالي أن الفلاسفة وغيرهم من أهل النظر اقتصروا في تحصيل المعرفة على طريق الاستدلال والتعلم ، وأهملوا العلم الحاصل في النفس بطريق السمع أو بطريق المشاهدة الباطنية ، فهم يفنون أنفسهم في تجريد المعاني الكلية من الكيفيات الجزئية جاهلين أن هذه المعاني أقل من أن تستنفد ما تشعر به نفوسنا . ولكن أحباب الله يبلغون بالرياضة والمجاهدة درجة يتلقون معها علماً لدنياً لا يطلع عليه العلماء إلاّ بالاستنباط العقلي ، ولا يرتقي إلى ذلك المقام إلاّ القليل من الناس .

ولكن ما هي قيمة هذه المعرفة العقلية وما هي حدودها ؟

لقد حدد الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال صفة المعرفة اليقينية فقال : إن مطلوبه هو العلم بحقائق الأمور « وإن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلاً من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكاً وإنكاراً » (المنقذ من الضلال ص ٦٤ من طبعتنا السابعة) . وفي سبيل الحصول على هذا العلم اليقيني شك الغزالي في العلوم المبنية على التقليد ، ثم شك في الحسيات ، ثم شك في العقليات ، ولم تعد نفسه إلى اليقين إلاّ بنور قذفه الله في صدره . وهذا النور كما يقول مفتاح أكثر العلوم ، فلولاه لم ينقذ الغزالي نفسه من غياهب الشك ، إلاّ أن هذا النور لم يكن سوى مفتاح لليقين ، لأنه لو لم يكن العقل مستعداً لقبوله لما خرج من الشك ، ولو لم تكن الحقيقة موجودة في نفسه لما طلبها . فالعقل جار إذن مجرى قوة البصر في العين ، وإذا وقع في الشك استطاع أن ينقذ نفسه منه بالتعرض للنفحات الإلهية .

ومعنى ذلك كلّه أن الغزالي قد حدد نطاق العقل المجرد عن الشرع وجعله قاصراً على إدراك أمور التجربة . أما الفلاسفة والمعتزلة فقد آمنوا بسلطان العقل وجعلوه قادراً على حلّ جميع المشكلات . وعدم وصول التعليم إليهم بطريق الأنبياء لم يمنعهم من مدّ أبصارهم إلى الحقائق الأبدية . وفي ذلك يقول الغزالي : إن محاولة معرفة الأمور الأبدية بطريق العقل وحده فضول وطمع في غير مطمع ، لأن هذه الأمور ليست مما تتسع له القوى البشرية ، وهي لا تنال بطريق النظر العقلي ، بل تنال بطريق آخر وهو طريق الكشف الباطني . ولا يشترط في الحق عند الغزالي أن يكون مؤيداً بالبرهان العقلي فحسب ، بل يشترط فيه أيضاً أن يكون موافقاً للكتاب والسنة ، وهكذا تنقسم المعرفة إلى قسمين : معرفة عقلية ومعرفة دينية ، وهذا كله يوضح لنا أسباب حملة الغزالي على الفلاسفة وإظهاره تناقض مذهبهم في استنباط الأمور الإلهية على طريقة العلماء . فهم لم يكتفوا بالخبر كما نقله إليهم الأنبياء ، ولا ارتقوا في المعارف اللدنية إلى المشاهدة والمكاشفة ، بل أرادوا أن يزنوا حقيقة الله بميزان العقل ، وأن يستنبطوا بهذا الميزان أحكاماً لا يمكن الوصول إليها إلا بطريق الوحي والإلهام ، فوقعوا فيما وقعوا فيه من التخبط .

أما الأصل الذي ترجع إليه مبادئ العقل فإن للغزالي فيه رأيين يبدوان متعارضين ، فهو يعترف أولاً بأنه لا يستطيع أن يشفي نفسه من الشك إلا بمعونة خارجية ، وهي النور الذي ينبجس في القلب من الجود الإلهي . وهو يقول ثانياً إن مبادئ العقل ضرورية يقرها حتماً وبغير برهان كل ذي فطرة سليمة لمجرد حضورها في الذهن ، فهي إذن تستمد وضوحها من صفتها الضرورية .

ولنبين هذا التعارض ببعض الأمثلة :

من النصوص التي تثبت حاجة العقل إلى معونة خارجية قول الغزالي في كتاب القسطاس المستقيم : إن الله علّم جبريل الموازين ، وجبريل بلغها

إلى الأنبياء ، وهؤلاء نقلوها إلينا بتعليمهم ، فالله هو المعلّم الأول ، والثاني جبريل ، والثالث الرسول ، والخلق كلهم يتعلمون من الرسل ما ليس لهم طريق إلى معرفته إلاّ بهم . (القسطاس المستقيم ص ٢٢) .

ومن قبيل ذلك أيضاً قوله في كتاب المنقذ من الضلال : إن جميع المعارف المنتشرة في البشر ترجع إلى مصدر إلهي أي إلى وحي قديم أنزله الله تعالى على أنبيائه وعلمهم به كل أنواع الحكمة ، فعلوم الطب ، والنجوم ، والرياضيات لم تنشأ عن اختبارات العلماء وتجاربهم واستنباطاتهم ، بل كانت ثمرة وحي أنزله الله على الأنبياء (المنقذ من الضلال ص ١١٢ من الطبعة السابعة) .

ومن النصوص التي تدل على أن المحك الأخير للمعرفة وضوح المعاني وبداهتها قول الغزالي : «خذ عبارة من العلوم الأولية الضرورية المستفادة إما من الحس أو التجربة أو غريزة العقل فانظر في الأوليات هل تتصور أن يثبت حكم على صفة إلاّ ويتعدى إلى الموصوف» (القسطاس المستقيم ص ٣٣) ، وقوله في كتاب المستظهري ان التلميذ إنما يقتنع بصحة ما يلقيه عليه معلمه من المعارف لا لإيمانه بقدرة معلمه وصدقه فحسب ، بل لإدراكه بنور عقله صواب تلك المعارف . .

فهذه النصوص كما ترون تدل على أمرين متعارضين الأول هو احتياج العقل في الوصول إلى اليقين إلى معونة خارجية ، والثاني هو القول أن المحكّ الأخير للمعرفة وضوح المبادئ العقلية .

ولكننا إذا علمنا أن المعونة الخارجية لا تنفي بداهة العقل بل تقتضيها ، وإن معرفة صدق الموازين بالتعليم من النبي لا ينفي تحقق العقل صدقها في أثناء أخذها كما يتحقق التلميذ صدق تعليم أستاذه لم نجد بين هذين الرأيين تعارضاً حقيقياً ، لأننا نستطيع أن نرفع هذا التعارض بقولنا إن الله أنزل

الموازين في كتبه ، ثم أتى طالبو العلم وأجالوا النظر فيها فتحققوا صدقها بنور عقولهم .

دع أن القوة العقلية عند الغزالي كالقوة البصرية ، فلو لم يكن في العين استعداد للإبصار لما رأت شيئاً بالرغم من إشراق النور عليها ، فحصول الإبصار تابع إذن لشرطين أحدهما داخلي ذاتي والآخر خارجي ، وكذلك حصول العلم فهو تابع لشرطين أيضاً أحدهما استعداد القوة العاقلة ، والآخر إشراق نور الملك عليها . ونستطيع أن نقول إن الحقائق قسمان : قسم يحتاج إدراكه إلى معرفة خارجية كالحقائق الإلهيــة ، وقسم لا يحتاج إلى ذلك كالأوليات المنطقية والرياضية ، وإذا كان العقل محتاجاً إلى معونة خارجية في بعض الأوقات لإدراك بعض الحقائق الرياضية ، فإن هذه المعونة لا تنفعه إلا على سبيل الدعم والتثبيت (كريم عزقول ، العقل في الإسلام ، بيروت ١٩٤٦ ص ١١) لأن العقل قادر على إدراك هذه الحقائق بنفسه ، وإذا استعان بالنور الإلهي أحياناً فإن استعانته به لا تكسبه زيادة وضوح أو انبلاج ، بل تنقذه من مداخل السفسطة ، وتصيره إلى الصحة والاعتدال . ولولا مداخل السفسطة لما احتاج العقل إلى هذا العون الخارجي . وإذا قيل إن للغزالي أقوالاً كثيرة تدل على عجز العقل عن إدراك الأسرار الإلهيـة كقوله : « إن حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظار العقل » (تهافت الفلاسفة ص ١٨٠ — ١٨١) وقوله : « فلتقبل مباديء هذه الأمور من الأنبياء ، وليصدقوا فيها ، فإن العقل لا يحيلها ، وليترك البحث عن الكيفية والكمية والماهية فليس ذلك مما تتسع له العقول البشرية ولذلك قال صاحب الشرع : تفكروا في خلق الله ، ولا تتفكروا في ذات الله » (المصــــدر نفسه ص ١٢١ — ١٢٢) وقوله : « إن العقل لا يهدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة » (الرسالة القدسية ، أصل ٩ ، ورقة ٣) قلنا إن هذه الأقوال

لا تنفي قدرة العقل على تفهم هذه المسائل بعد الاطلاع عليها من الشرع ، ولولا ذلك لما كان للتنزيل معنى ، فما بالك إذا كان الغزالي نفسه يستند في الكثير من أحكامه إلى الشواهد العقلية ، ويورد في كتاب إحياء علوم الدين وغيره كثيراً من الأحاديث التي تبين شرف العقل .

وإذا أردنا الآن أن نلخص موقف الغزالي ازاء العقل قلنا إن أحكام العقل عنده صادقة بالجملة وإن كانت عرضة للخطأ في بعض الأمور ، وهو لم يشك في حقائق العلوم إلا شكاً موقتاً ، فلما وجد نفسه على شفا جرف هار التجأ إلى الله تعالى فأنقذه من الشك . وهو بالرغم من شكه العام في التقليديات والحسيات والعقليات لم يضيع ثقته بالألطاف الإلهية . إن اعتماد العقل على الشرع يهديه سواء السبيل ، ويزيل عنه بالصقل والجلاء ما علق به من كدورة المادة حتى يصبح مرآة صقيلة يحاذي بها شطر الحق . وهذا النور الذي قذفه الله في الصدر لا نعرف له تأويلاً إلا قولنا إنه اقتناع داخلي بصدق أحكام العقل . فالعقل لا يحتاج إلى معونة خارجية إلا في حالتين : الأولى لشفائه من الشك إذا ماانتابته آفته ، والثانية لتنبيهه وإرشاده إلى الأمور الإلهية التي لا يمكنه الاطلاع عليها إلا بطريق الوحي أو الإلهام .

وهنا يظهر لنا أن موقف الغزالي مختلف عن موقف علماء الكلام والمعتزلة كل الاختلاف لأن الغزالي يرى أن العقل محتاج إلى الاهتداء بالشرع وإلى تحقيق معارفه بطريق الاتصال الوجداني بالله مصدر كل حق ومعرفة ، أما علماء الكلام فإنهم يعتمدون على البراهين العقلية المبنية على معطيات الشرع دون النظر إلى الكشف الباطني والاتصال الوجداني ، وأمّا المعتزلة فإنهم يعتقدون كالفلاسفة أن العقل قادر بذاته على معرفة الله وعلى التمييز بين الحسن والقبيح ، والخير والشر .

وهذا الموقف الذي وقفه الغزالي إزاء العقل شبيه بعض الشيء بموقف الأشعري الذي حفظ للعقل حقوقه وجعله قادراً على فهم ما ورد في الشريعة ،

وعلى تأويله إذا احتاج إلى التأويل ، غير أنه لم يقم وزناً للتجربة الروحية العميقة . وهذه التجربة الروحية هي التي تميز الغزالي من غيره من المتكلمين ، فقد استمدها من طريقة الصوفية ، وجعل الشك وسيلة للكشف عن الحقيقة كشفاً ذاتياً لا تقليدياً . والناس عنده متفاوتون في إدراك الحقائق . وما يستطيعه العلماء لا يستطيعه العوام ، ولذلك وجب إلجام العوام عن علم الكلام ، حتى لا يطلقوا أحكامهم جزافاً ، كما يجب صدهم عن الخوض في المسائل الفلسفية .

وخير ما يدل على علاقة العقل بالنقل عند الغزالي قوله : « إعلم أن العقل لن يهتدي إلاّ بالشرع ، والشرع لم يتبين إلا بالعقل ، فالعقل كالأسّ والشرع كالبناء ، ولن يغني أسّ ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أسّ » (معارج القدس ص ٥٩) وقوله : « فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضاً الأجفان ، فلا فرق بينه وبين العميان ، فالعقل مع الشرع نور على نور » (الاقتصاد في الاعتقاد ص ٣) .

ب — مشكلة الحرية الإنسانية :

بين فكرة الحرية الإنسانية وفكرة التوحيد علاقة وثيقة ، لأنك إذا قلت إن الله واحد لاشريك له ، وإنه قادر وعالم وخالق ولا فاعل سواه ، وإن كل ما في السماوات والأرض من الموجودات فهي مسخرات له ، لزم عن ذلك أن تكون أفعال الإنسان أيضاً مسخرة لإرادة الله . وإذا قلت إن الإنسان خالق لأفعاله ، حرّ في أن يفعل الشيء أو لايفعله فربما أدى هذا القول إلى تحديد قدرة الله المطلقة .

وليس الغزالي أول من تكلم على الحرية الإنسانية ، فقد سبقه إلى ذلك الجبرية والقدرية من المعتزلة .

فالجبرية : ينفون الفعل الحقيقي عن الإنسان ، ويضيفونه إلى الله ، حتى إن الجبرية الخالصة ومنهم الجهمية أصحاب جهم بن صفوان يزعمون أن الإنسان لايقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار . والله هو الذي يخلق الأفعال فيه على حسب ما يخلقها في سائر الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الأشياء ، كما يقال أثمرت الشجرة ، وجرى الماء ، وتحرك الحجر ، وطلعت الشمس إلى غير ذلك ، والثواب والعقاب جبر ، كما أن الأفعال جبر ، وإذا ثبت الجبر على هذا النحو كان التكليف أيضاً جبراً .

والقدرية : من المعتزلة وغيرهم يقولون إن الإنسان خالق لأفعاله خيرها وشرها وهو مستحق على ما يفعله ثواباً أو عقاباً في الدار الآخرة ، أما الله تعالى فهو حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً ، ولا يجوز أن يريد الله من العباد خلاف ما يأمرهم به ، ولا أن يحكم عليهم بشيء ثم يجازيهم عليه . وهو قد منح الإنسان عقلاً وإرادة ، وجعله قادراً على الفعل . وليس ورود التكاليف في الشرع سوى ألطاف من الله ، أرسلها إلى العباد بتوسط الأنبياء « ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيي عن بيّنة » حتى إن بعض المعتزلة يثبتون الفعل للإنسان خلقاً وإبداعاً ، ويضيفون إليه الخير والشر والطاعة استقلالاً واستبداداً ، ويجعلون الاستطاعة قبل الفعل ، وهي قدرة زائدة على سلامة النيّة وصحة الجوارح .

فما هو موقف الغزالي إزاء هذين الرأيين المتعارضين ؟

لابد في تحديد موقف الغزالي إزاء الحرية الإنسانية من البدء بتوضيح رأيه في أقسام الفعل ، فهو يقول إن الفعل في الإنسان يطلق على ثلاثة وجوه :

١ — الفعل الطبعي : ومثاله غرق الإنسان في الماء إذا وقف عليه .

٢ — الفعل الإرادي : ومثاله التنفس بالرئة والحنجرة .

٣ — الفعل الاختياري : ومثاله الكتابة بالأصابع .

فالجبر ظاهر في الفعل الطبعي والفعل الإرادي ، أما في الفعل الاختياري فهو مظنة الالتباس . وهو الذي يقال فيه إن الإنسان إن شاء فعل ، وإن شاء لم يفعل ، وتارة يشاء وتارة لا يشاء ، فظن قوم أن هذا الفعل راجع إلى الإنسان لا إلى غيره .

ولكننا إذا تعمقنا في تحليل الفعل الاختياري رأينا أن له وجهين . فإمّاأن يحكم العقل من غير تردد وتحير بأن الفعل موافق ، وإمّا أن يتردد في الحكم عليه . فالمثال من الأفعال التي يقطع بها العقل من غير تردد حركة اليد إلى رفع الإبرة التي يقصد بها العين ، فلا جرم أن الإرادة في مثل هذه الأفعال تنبعث بالعلم والقدرة بالإرادة ، ولكن من غير روية وفكر . والمثال من الأفعال التي يتوقف العقل فيها فلا يدري أنها موافقة أم لا سائر الأفعال التي تحتاج إلى روية وفكر كالخروج من الدار ، فان الإرادة إذا نهضت لفعل ما يحكم العقل بخيريته سمي فعلها اختياراً ، ولذلك قيل إن العقل يحتاج في مثل هذه الأفعال إلى التمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ، ولا يتصور هنا أن تنبعث الإرادة للفعل إلاّ بحكم الحس والخيال والعقل . فاذا ترجح عند عقل المرء أن البقاء في الدار أقل شراً لم يمكنه الخروج ، وإذا حكم بأن الخروج أقل شراً لم يمكنه البقاء . فالإرادة مسخرة إذن لحكم العقل ، والقدرة مسخرة للإرادة ، والحركة مسخرة للقدرة ، والكل مقدّر للإنسان بالضرورة من حيث لايدري ، إنما هو كما يقول الغزالي محل ومجرى لهذه الأمور لا خالق لها بجريته ، فاذن معنى كونه مجبوراً أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ، ومعنى كونه مختاراً أنه محل لإرادة حدثت فيه جبراً بعد حكم العقل بكون الفعل خيراً . وحدوث هذا الحكم جبر أيضاً .

فإذن هو مجبور على الاختيار . والفرق بين فعل الجماد وفعل الإنسان وفعل الله أن فعل الجماد جبر ، وفعل الله اختيار محض ، وفعل الإنسان على منزلة بين المنزلتين ، فإنه جبر على الاختيار . وهذا الجبر على الاختيار هو الذي سماه (الأشعري) كسباً وهو ليس مناقضاً للجبر ولا للاختيار وإنما هو جمع بينهما .

ومعنى ذلك أن الغزالي لم يجعل إرادة الإنسان حرة في اختيار الفعل الموافق ، بل جعلها مقيدة بالعلم . وهذا العلم لطف من الألطاف الإلهية ، أو نور يقذفه الله في الصدر ، فإذا صح ذلك كانت الأفعال المسماة اختيارية ناشئة عن أسباب زائدة على الذات ، وكان الإنسان في النهاية مجبوراً عليها .

ولعل أحسن مثال يوضح رأي الغزالي في الحرية الإنسانية قوله في كتاب التوحيد والتوكل (إحياء علوم الدين ، الجزء الرابع ، ص ٢٤٣) : [لنفرض أن أحد الذين غمرهم الله بألطافه نظر إلى الكاغد وقد رآه مسود الوجه بالحبر ، فقال له : ما بال وجهك كان أبيض مشرقاً ، والآن قد ظهر عليك السواد ، فقال الكاغد : إني ما سوّدت وجهي بنفسي ، ولكن الحبر الموجود في الدواة هو الذي خرج منها ونزل بساحة وجهي وسوّده ظلماً وعدواناً ، فسله عن سبب ذلك ، فسأل الحبر ، فقال : لقد اعتدى علي القلم بطمعه واختطفني من بيتي ، وفرق جمعي ، وبددني كما ترى على سطح الكاغد ، فالسؤال على القلم لا علي ، فسأل القلم عن سبب ظلمه وعدوانه ، فقال : لست مسؤولاً عن ذلك ، لقد كنت قصباً في الحديقة ، فجاءتني اليد بسكين مزقت بها ثيابي واقتلعتني من أصلي ، وفصلت بين أنابيبي ، ثم برتني وشقت رأسي ، ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته ، وسيرتني على قمة رأسي . فسل اليد والأصابع عن السبب في عدوانها علي ، فسأل اليد عن سبب عدوانها على القلم فقالت : ما أنا إلاّ لحم وعظم ، وهل رأيت لحماً يظلم ،

أو جسماً يتحرك بنفسه ، إنما أنا مسخرة للقدرة ، فسل القدرة عن شأني فإنها هي المسؤولة عن ذلك . فسأل القدرة ، فقالت : دع عنك لومي ومعاتبتي ، فإني لم أظلم اليد ، وما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءني موكّل أزعجني وأرهقني ، فلم تكن لي قوة على مخالفته ، وهذا الموكّل هو الإرادة ، فسأل الإرادة عن السبب الذي جرأها على تحريك القدرة ، فقالت : لا تعجل علي باللوم ، فإني ما نهضت بنفسي ، ولكني أنهضت ، وما انبعثت بنفسي ، ولكني بُعثت بحكم قاهر وأمر جازم ، وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ، ولكن ورد علي من القلب رسول العلم على لسان العقل بتحريك القدرة فحركتها مضطرة . فسل العلم عن ذلك ودع عني عتابك ، فأقبل على العلم والعقل والقلب يسألها عن السبب فقال العقل : أمّا أنا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني أشعلت ، وقال القلب : أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بُسطت ، وقال العلم : أما أنا فنقش في لوح القلب ، ما انتقشت بنفسي ولكن القلم هو الذي نقشني فسل القلم عن ذلك . فتحير الرجل في أمره ، ولم يفهم المعنى المقصود بلفظ القلم ، لأنه كان لا يعرف قلماً إلاّ من القصب ، ولا لوحاً إلاّ من الحديد أو الخشب ، ولا خطاً إلاّ بالحبر ، ولا سراجاً إلا من النار ، فقيل له إن المقصود بالقلم هنا هو القلم الإلهي الذي ينقش العلم على القلب بواسطة الإشراق ، فإن العوالم ثلاثة : عالم الملك وعالم الجبروت وعالم الملكوت . فالكاغد والحبر والقلم واليد من عالم الملك ، والقلم الإلهي واللوح المحفوظ من عالم الملكوت . فودع الرجل عالم الملك ، وسافر إلى عالم الملكوت ، وخاطب القلم الإلهي . فقال : ما بالك أيها القلم تخط في القلوب من العلوم ما تبعث به الإرادة إلى تحريك القدرة وصرفها إلى المقدورات ، فأجابه : أو قد نسيت ما رأيت في عالم الشهادة ، وسمعت من جواب القلم الأرضي فأحالك على اليد ، فأنا لست أفعل بنفسي وإنما أفعل بإرادة قاهر

سخرني وهو يمين الملك ، فسافر الرجل إلى يمين الملك وسأله عن السبب في تحريكه القلم الإلهي ، فقال : جوابي مثل جواب اليد التي رأيتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة ، فسافر الرجل إلى القدرة وسألها عن السبب في تحريك يمين الملك ، فقالت : إنما أنا صفة فاسأل القادر ، فلما تجرأ على السؤال نودي من وراء حجاب « لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون » فغشيته هيبة الحضرة الإلهية ، وخرّ صعقاً . فلما أفاق من غشيته اعتذر عن أسئلته وقال لليمين والقلم والعلم والإرادة وما بعدها : لقد صح عندي عذركم ، وانكشف لي أن المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار ، والفاعل المختار ، أما انتم فمسخرون ، وتحت قهره وقدرته ، وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن] .

وتأويل هذه القصة التي لخصناها من كتاب الإحياء أن أفعال الإنسان كلها جبرية ، وأن العلم إشراق من الله ، وأن الإرادة مقيـــدة بالعلم ، وما يجري في عالم الشهادة مقابل لما يجري في عالم الملكوت . فني عالم الشهادة ينبعث العلم من القلب ، فيحرك الإرادة ، ثم تحرك الإرادة القدرة ، ثم تولد القدرة الحركة ، أمّا في عالم الملكوت فإن إرادة الله وهي عين علمه تحرك قدرته ، وقدرته تحرك يمينه ، ويمينه تحرك قلمه ، فيخط هذا القلم الإلهي في قلب الإنسان علماً يحرك إرادته .

ولكن إذا كان الكل جبراً فما معنى الثواب والعقاب في الآخرة ؟ يجيب الغزالي عن هذا السؤال بقوله « لو خلق الله الإنسان كامل العقل والحكمة والعلم ، وكشف له عن عواقب الأمور ، وأطلعه على أسرار الملكوت ، وعرفه دقائق اللطف وخفايا العقوبات ، حتى اطلع على الخير والشر والنفع والضر ، ثم أمره أن يدبر الملك والملكوت بما أعطي من العلم والحكمة ، لما استطاع أن يزيد على ما دبَّره الله جناح بعوضة ، ولا أن ينتقص منه

جناح بعوضة ، ولا أن يرفع ذرّة ولا أن يخفض ذرة ، ولا أن يدفع مرضاً أو عيباً أو نقصاً أو فقراً عمن بلي به ، ولا أن يزيل صحة أو كمالاً أو غنى أو نفعاً عمن أنعم الله به عليه ، بل كل ما خلقه الله تعالى من السماوات والأرض ، وكل ما قسمه بين عباده من رزق ، وسرور وحزن وقدرة وإيمان وكفر ، وطاعة ومعصية ، فهو عدل محض لا جور فيه ، وحق صرف لا ظلم فيه ، بل هو على الترتيب الواجب على ما ينبغي ، وبالقدر الذي ينبغي ، وليس في الإمكان أحسن منه ، ولا أتم ولا أكمل . ولو لم يتفضل الله بفعله لكان ذلك بخلاً يناقض الجود ، وظلماً يناقض العدل ، بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة ، وكل نقص في الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نعيم بالإضافة إلى غيره . فتقديم الكامل على الناقص عين العدل ، وكذلك تفخيم النعيم على سكان الجنان بتعظيم الشقاء على أهل النيران عدل ، وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل . فالكمال والنقص إضافيان . وهذا بحر عميق غرق فيه الكثيرون ، ووراءه سر القدَر المتصل بقضاء الله . والحاصل أن الخير والشر أمر مقضي به ، وقد كان القضاء به واجباً بعد سبق المشيئة ، فلا رادّ لحكم الله ، ولا معقب لقضائه وأمره ، بل كل كبير وصغير مُسْتَطَر ، وحصوله بقدر معلوم منتظر ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك » (الإحياء ، الجزء الرابع ، ص ٢٥٢ — ٢٥٣) .

والنتيجة اللازمة عن ذلك كلّه أن الله لا يسأل عن أفعاله ، وان على الإنسان أن يتوكل عليه ويرضى بحكمه ، فإن لأحكام الله أسراراً لا يدرك العقل كنهها وهو « إذا كلف العباد فأطاعوه لم يجب عليه الثواب ، بل إن شاء أثابهم وإن شاء عاقبهم ، وإن شاء أعدمهم ولم يحشرهم ، ولا يبالي لو غفر لجميع الكاذبين وعاقب جميع المؤمنين » (الاقتصاد في الاعتقاد ، القطب الثالث ، الدعوى الخامسة ص ٨٢) .

ج — رعاية الله للأصلح

وها هنا سؤال لا بد من الإجابة عنه ، وهو : هل يجب على الله رعاية الأصلح لعباده ؟ لقد ذهبت المعتزلة في قولها بالعناية إلى أن الله لا يستطيع أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم وخيرهم ، وإن هذا الذى فعله هو نهاية طاقته وآخر قدرته . فالنظّام يقول مثلاً إن الله يقدر على فعل ما يعلم أن فيه صلاحاً لعباده في الدنيا ، ولا يقدر على فعل ما ليس فيه صلاحهم ، أما في الآخرة فإن الله لا يوصف بالقدرة على أن يزيد في عذاب أهل النار شيئاً ولا على أن ينقص منه شيئاً . وكذلك لا يستطيع أن ينقص من نعيم أهل الجنة ، ولا أن يخرج واحداً من الجنة فإن ذلك ليس مقدوراً له . وقد أخذ النظام هذه الفكرة من قدماء الفلاسفة الذين قضوا بأن الجواد لا يجوز له أن يدخر شيئاً لا يفعله ، فما أبدعه وأوجده هو المقدور له ، ولو كان في علمه ومقدوره ما هو أحسن وأكمل مما أبدعه نظاماً وترتيباً وصلاحاً لفعله لأنه جواد ، والجواد لا يبخل على المخلوقات بما فيه صلاحها .

أما الغزالي فإنه لم يأخذ بهذا الرأي الذي أخذت به المعتزلة ، لأنه لو أخذ به لجعل إرادة الله مقيدة بما فيه صلاح الإنسان وخيره ، وكيف يستطيع الغزالي أن يجعل رعاية الأصلح للعباد واجبة على الله وهو يقول بالقدرة الإلهية المطلقة . ولعلنا إذا اطلعنا على الأصول التي بنى عليها الغزالي أفعال الله نستطيع أن نبين حقيقة رأيه في مسألة رعاية الله للأصلح .

فالأصل الأول قوله إن كل حادث في العالم فهو فعل الله وخلقه واختراعه ، لا خالق له سواه ، خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته (إحياء علوم الدين، الجزء الأول ص ١١٦) .

والأصل الثاني قوله إن انفراد الله باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة لهم على سبيل الاكتساب ، فالله خلق القدرة والمقدور

جميعاً ، وخلق الاختيار والمختار جميعاً ، فأما القدرة فوصف للعبد ، وخلق للرب ، وليست بكسب له ، وأما الحركة المنبعثة عن القدرة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له .

والأصل الثالث قوله : إن فعل العبد وإن كان كسباً له فلا يخرج عن كونه مراداً لله ، فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ، ولا فلتة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته ومشيئته ، عنه يصدر الخير والشر ، والنفع والضر ، والإسلام والكفر ، والعرفان والنكر ، والفوز والخسران ، والغواية والرشد ، والطاعة والعصيان ، والشرك والإيمان (المصدر نفسه ص ١١٦) .

والأصل الرابع قوله : إن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ، ومتطول بتكليف العباد ، ولم يكن الخلق والتكليف واجباً عليه .

والأصل الخامس قوله : يجوز لله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه ، وليس من شرط التكليف أن يكون على قدر الاستطاعة .

والأصل السادس قوله : إن الله قادر على إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ، ومن غير ثواب لاحق ، وسبب ذلك أنه ملك مطلق التصرف في ملكه ، ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه ، أما الظلم فهو التصرف في ملك الآخرين بغير إذنهم ، وهذا محال على الله (المصدر نفسه ، ص ١١٧) .

والأصل السابع قوله : إن الله تعالى يفعل بعباده ما يشاء ، فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده ، لأنه لا يعقل في حقه الوجوب ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

والأصل الثامن قوله : إن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبتان بالشرع لا بالعقل .

والأصل التاسع قوله : إنه لا يستحيل أن يبعث الله الأنبياء لهداية الخلق خلافاً للبراهمة الذين زعموا أنه لا فائدة في بعثهم ، إذ في العقل مندوحة عنهم ، مع أن العقل لا يهدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة ، كما لا يهدي إلى الأدوية المفيدة للصحة ، فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء .

والأصل العاشر قوله : إن الله أرسل محمداً (ﷺ) خاتماً للنبيين وناسخاً لما قبله وأيده بالمعجزات الظاهرة ، والآيات الباهرة .

ولسنا نريد الآن أن نفصل القول في هذه الأصول ، ولكننا نريد أن نقول إن في الأصل الأول والثاني والثالث توكيداً لما ذكرناه آنفاً عن موقف الغزالي إزاء الحرية الإنسانية كما أن في الأصل الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن مخالفة صريحة لمبادئ المعتزلة ، لأن المعتزلة يقولون إن الخلق والتكليف واجبان على الله ، وإن الله لا يكلف الخلق إلاّ ما يطيقونه ، وإنه لا يعذب العبد من غير جرم سابق ، وإنه لا يفعل بعباده إلا ما يرى فيه مصلحة لهم ، وإن معرفته وطاعته واجبتان بالعقل .

والغزالي يفند آراء المعتزلة فيقول : كيف يجب التكليف على الله وهو الآمر الناهي ، لا بل كيف يمتنع عليه تعذيب من يشاء بغير جرم سابق وهو الملك المتصرف في ملكه ، والمتصرف في ملكه لا يُدعى ظالماً . ثم كيف يجب عليه رعاية الأصلح لعباده وهو مطلق الإرادة لا يسأل عما يفعل . قال الغزالي : « وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قوله برعاية الأصلح عن مسألة نعرضها عليه ، وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبالغ ماتا مسلمين ، فإن الله يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي ، لأنه تعب بالإيمان بعد البلوغ ، ويجب عليه ذلك عند المعتزلي . فلو قال الصبي : يا رب لم رفعت منزلته علي ، فيقول : لأنه بلغ واجتهد في الطاعات ، فيقول الصبي : أنت أمتّني في الصبا ، فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ

فأجتهد ، فقد عدلت عن العدل في التفضـــل عليه بطول العمر دوني ، فلم فضلته ، فيقول الله ، لأني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت ، فـكان الأصلح لك الموت في الصبا . هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجل . وعند هذا ينادي الـكفار من دركات لظى ويقولون : يا رب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا ، فهلا أمتنا في الصبا ، فإنا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم ، فبماذا يجاب عن ذلك ، وهل يجب عند هذا إلاّ القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحـكم الجـــلال ، عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال ؟ » (الإحياء ، الجزء الأول ، ص ١١٧ — ١١٨) .

فهذه المناظرة التي فرضها الغزالي هنا هي المناظرة الـكلامية التي جرت بين الأشعري وأستاذه أبي علي الجبائي رأس معتزلة البصرة ، وكانت أحد الأسباب التي حولت الأشعري عن مذهب الاعتزال ، إلاّ أن الغزالي يمعن في تحليل مغزاها ويقول : « فإن قيل مهما قدر (الله) رعاية الأصلح للعباد ، ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحاً بالحـكمة ، قلنا القبيح ما لا يوافق الغرض ، حتى إنه قد يـكون الشيء قبيحاً عند شخص حسناً عند غيره ، إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر ، حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه ويستحسنه أعداؤه . فإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري سبحانه فهو محال ، إذ لا غرض له ، فلا يتصور منه قبيح ، كما لا يتصور منه ظلم ... وإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير ، فلم قلتم إن ذلك عليه محال ، وهل هذا إلاّ مجرد تشهٍ يشهد بخلافه ما قد فرضناه من مخاصمة أهل النار » (المصدر نفسه الجزء الأول ص ١١٨) . ثم يضيف الغزالي إلى هذا التحليل قوله : « الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء ، القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته ، وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح ، وأما الحكيم منا فإنه يراعي الأصلح نظراً لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة

ثواباً ، أو يدفع به عن نفسه آفة ، وكل ذلك محال على الله » (المصدر نفسه ، الجزء الأول ، ص ١١٨) .

فأنتم ترون أن الغزالي يخالف المعتزلة ، ويوافق الأشاعرة في القول إنه لا يجب على الله رعاية الأصلح لعباده ، لأن الله في نظره حكيم مدبر ، قادر على كل شيء يفعل ما يشاء كما يريد ، ويحكم بما يريد ، وهو مطلق التصرف في ملكه . أما المعتزلة فإنهم قيدوا الله في أفعاله وأوجبوا عليه رعاية الأصلح ، وهذا كلام فاسد لأن الوجوب على الله تعالى باطـــل . (راجع الاقتصاد في الاعتقاد ، القطب الثالث الدعوى الرابعة ، ص ٨٣) .

* * *

وقصارى القول ان هذه المسائل الثلاث التي قدمناها وهي مسألة العقل والنقل ، ومسألة الحرية الإنسانية ، ومسألة رعاية الله للأصلح ، تدل على أن الغزالي لم يجد في علم الكلام ما ينقذه من ظلمات الحيرة . فلا غرو إذا فضل طريقة الصوفية على طريقة المتكلمين ، واعتمد على الذوق والقلب والوجدان في الوصول إلى الحقيقة . وفي كتاب عجائب القلوب من إحياء علوم الدين شواهد كثيرة على ذلك . لقد مرّ الجنيد ببعض المتكلمين فسأل من هؤلاء ؟ فقيل قوم ينزهون الله بالأدلة العقلية عن صفات الحدوث وسمات النقص . فقال : نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب . وما حاجة المرء إلى علم الكلام إذا كان قادراً على معرفة الله بقلبه . نعم إن لعلم الكلام فائدة من جهة ما يعرضه على طلبة العلم من الاستدلال على العقائد الإيمانية بالحجج العقلية . ولكن هذه الحجج لا تغمر القلب بنور الإيمان ، وإن كانت صالحة للردّ على الشكوك والشُبَه التي تخامر العقل . فما بالك إذا كان علم الكلام لا يبحث في العقائد الإيمانية إلا بعد فرضها صحيحة من الشرع ، فلو لم يكن الله موجوداً في قلوبنا لما حاولنا الاستدلال عليه بعقولنا .

جميل صليبا

بين السريانية والعربية

حرفا الحاء والعين

سبق لنا أن كتبنا في هذه المجلة الغراء[1] ، مقالين ضافيين عن تقارض هاتين اللغتين العريقتين ، ونوّهنا بحرفي الحاء والعين بنوع خاص ، وذكرنا بعض الألفاظ السريانية التي دخلت العربية عن طريقها .

إنّ هذين الحرفين ، يلفظان في السريانية الفصحى ـ بلهجتيها الشرقية والغربية ـ تماماً كما يلفظان في العربية . إلا انّهما ليسا كذلك في السريانية العامية الشرقية (البابلية) الدارجة في شمالي العراق . ذلك أن حرف الحاء ، فضلاً عن كونه فيها خاء غالباً ، فإنه يكون أحياناً هاء أو يذوب كلياً . أما حرف العين ، فلئن يكون فيها أحياناً همزة ، إلا أنه يذوب غالباً . وفي دراستنا للعربية ، عثرنا على عدة ألفاظ من هذا القبيل ، دخلتها عن طريق هذه اللهجة العامية ، وها اننا ننشر هنا بعضاً منها فضلاً عما نشرناه في ما سلف .

ففي ما يخص حرف الحاء نرى الألفاظ التالية :

١ ـ دَارَ . أصلها ܚܕܪ Hdar بالحاء ، ومنها ܚܕܘܪܐ Hadoura الدوّار (المتسوّل) و ܚܘܕܪܐ Houdra الدائرة والدورة . على أن اللفظة العامية أيضاً أي ܕܘܪ Dor اقتحمت المعاجم السريانية الفصحى ووقفت إلى جانب اللفظة الفصحى المشار إليها .

(١) مج ٤٠ ج ١ كانون الثاني ١٩٦٥ وعدد خاص كانون الثاني ١٩٦٩ ؛

٢ — سَالَ (الماء). أصلها ܫܚܠ Ch'hal بالحاء. وقد ظهرت الحاء في لفظة «سَحَلَت» العين.

٣ — مدَّ. أصلها ܡܬܚ Mtah بالحاء، ومنها ܡܬܚܐ Metha المدة.

٤ — فَهِمَ. أصلها ܦܚܡ Fahem بالحاء.

٥ — الفُهر. أصلها ܦܘܚܪܐ Fouhra بالحاء.

٦ — قَهقَهَ (اشتد ضحكه). أصلها ܩܚܩܚ Qahqah بالحاءين.

٧ — اللَّهث. أصلها ܠܚܬܐ Lahtha بالحاء.

٨ — نَكِهَ. أصلها ܢܟܚ Nkah بالحاء.

أما في ما يخص العين فنرى الألفاظ التالية:

١ — أثرى. أصلها ܥܬܪ E'thar بالعين. هذا وقد ذابت الهمزة في الاسم فأضحى ثراء.

٢ — أرَمَ. أصلها ܥܪܡ E'ram بالعين.

٣ — أزَّر. أصلها ܥܙܪ E'zar بالعين.

٤ — الأُمّة. أصلها ܥܡܐ A'amma بالعين (١).

٥ الأُمّي. أصلها ܥܡܡܝܐ A'ammaya بالعين.

٦ — الجَصّ والجِصّ (الشّيد). أصلها ܓܥܨܐ Gaa'sa بالعين (٢).

---

(١) في معاجم السريانية الفصحى وفي الأدب السرياني، لفظة ܐܘܡܬܐ Aumtha أيضاً بهذا المعنى. والأرجح أنها اللفظة العامية بالذات التي دخلت العربية.

(٢) لقد دخلت اللفظة العامية أيضاً معاجم السريانية الفصحى، فنقول ܓܨܐ Gassa و ܓܨܐ Gessa أيضاً.

٧ — رأيٌ . أصلها ܪܥܝܢܐ Rea'yana بالعين .

٨ — شَقٌ (صعْب) . أصلها ܥܣܩ E'saq بالعين [١] ، ومنهـا ܥܣܩܐ A'asqa الشاق .

٩ — صرَّف (الفعل) . أصلها ܨܪܥܦ Saréf بالعين ، والمصدر ܨܘܪܥܦܐ Sura'afa الصرف (والنحو) .

١٠ — فَقَأ (فدَّى العين) . أصلها ܦܩܥ Fqaa' بالعين .

١١ — قَنِيءَ (احمرّ) . أصلها ܩܢܥ Qnaa' بالعين .

١٢ — الميناء . أصلها ܡܢܥܐ Mana'a بالعين [٢] .

الألفاظ المحرّفة

لقد عثرنا على مئات من الألفاظ التي مسخها التحريف في هاتين اللغتين ، سواء أ كان ذلك بأيدي النساخ أم بلسان الشعوب المختلفة الناطقة بها . فلكي تتكوّن عنها فكرة لدى القارئ الكريم ، نثبت الجداول التالية :

١ — إبدال الراء بالدال وبالعكس :

ܚܪܥ Hraa' بالحاء [٣] ، خَدَع . ܚܪܫ Hrach بالحاء ، خَدَشَ .

---

(١) في العربية لفظة أخرى تتفق والسريانية معنى ومبنى ، وهي عَسِقَ .

(٢) في السريانية لفظـة أخرى بمعنى « الميناء » ، هي ܠܡܝܢܐ Lmina .

(٣) قلنا أعلاه إن حرف الحاء السرياني هو خاء غالباً في اللهجة العامية الشرقية ، وهو كذلك في العربية في الألفاظ المتشابهة في هاتين اللغتين .

ܣܝܪܐ Sira السَّدى (خيط السَّدَى . ܫܪܪ Charrar شدّد . ܕܡܨܐ Demsa بالصاد ، الرّمص (١) (وسخ العين) . أما ܓܪܡ Gram فجاءت راؤها ذالاً في «جذَم» (قطع) (٢) .

٢ — إبدال الباء بالميم وبالعكس :

ܒܚܢ Bhan بالحاء ، امتحن . ومنها ܒܘܚܢܐ Bouhana الامتحان .

ܙܒܢܐ Zabna (٣) الزمن . ܩܘܒܥܐ (٤) Quoba'a قمع الزهر . ܙܡܘܪܐ Zamoura الزّبور (٥) . أما في ܩܪܡܒܐ Qramba الكرنب و ܡܚܠ Mhel بالحاء ، نحل ، فقد جاءت الميم نوناً .

٣ — إبدال الميم بالدال وبالعكس :

ܚܣܡ Hsam بالحاء ، حسَدَ ، ومنها ܚܣܡܐ Hsama ، الحسَد .
ܚܡܬܐ Hemtha بالحاء ، الحِدّة . ܪܥܡ Rém رَعَد ، ومنها ܪܥܡܐ Raa'ma ، الرّعد . ܗܕܣ Hdas همَس .

(١) لا تزال اللفظة السريانية دارجة في العربية العاميـــة في الموصل ، فيقال «دَمَص» .

(٢) في السريانية لفظة أخرى ، بالدال ، بمعـــنى «جذَمَ» ، وهي ܓܕܡ Gdam .

(٣) صوابها ܙܡܢܐ Zamna كما في العربية .

(٤) تجد في السريانية لفظة ܩܘܡܥܐ Qouma'a أيضاً .

(٥) صوابها الزّمُّور ، جمعها الزّمَر وهي مزامير داود النبي .

٤ — إبدال اللام بالنون وبالعكس :

ܟܠܬܐ Kaltha الكنة . ܠܡܣܐ [1] Limsa ، النمس (حيوان في حجم القط الأهلي) . ܨܠܡܐ Salma بالصاد ، الصنم . ܐܙܕܠܙܠ Znzel زلزل ، ومنها ܙܘܢܙܠܐ Zounzala الزلزال .

٥ - إبدال القاف بالصاد :

ܩܘܚ [2] Qwah بالحاء ، صاح ، ومنها ܩܝܚܐ Qiha الصياح .
ܩܪܚ Qrah بالحاء ، صرُح ، ومنها ܩܪܝܚܐ Qriha ، الصريح .

٦ — إبدال الشين بالثاء وبالعكس :

ܒܚܫ Bhach بالحاء ، بحث [3] . ܠܫ Loch ، لاث (عجن) .
ܫܒܫ Chabbech ، شبث وتشبّث . ܥܬ A'ath ، غشّ [4] . أما ܦܫܪ Fchar ، فجاءت شينها تاء ، فتر (كان فاترا) [5] .

---

(١) تجد في السريانية لفظة ܢܡܣܐ Nemsa أيضاً .
(٢) تجد في السريانية لفظة ܨܚ Soh ، و ܨܘܚ Swah بالصاد أيضاً .
(٣) لا تزال اللفظة السريانية دارجة في العربية العامية في سورية ولبنان ، إذ يقال بَحّش .
(٤) إن حرف العين السرياني كثيراً ما يكون غيناً في العربية .
(٥) إننا نجزم في أن أصل هذه الألفاظ هو كما في السريانية ، وإن إبدال الشين بالثاء وبالعكس ، إنما جرى بواسطة نساخ العربيـة ، وذلك لتشابه الحرفين فيها .

٧ — المعنى بعكس المبنى :

من العجيب الغريب ، أن يأتي معنى بعض الألفاظ في اللغة الواحدة ، معاكساً تماماً لمعناه في الأخرى من حيث المبنى . فقد جاءت لفظة ܠܚܡܐ Lahma بمعنى الخبز ، على حين أن لفظة اللحم العربية تعني غير الخبز . ولفظة ܚܩܪ Hqar بالحاء ، بمعنى مَدَح ، ومنها ܡܚܩܪܢܐ Haqara المادح ، و ܚܩܝܪܐ Hqira الممدوح . على حين أن لفظة حقَّر العربيـــة تعني عـكس ذلك .

٨ — اختفاء الراء في بعض الألفاظ :

من المعلوم أن لغة أهل الموصل العربية العامية ، تلفظ الراء غيناً ، تماماً كما يلفظها أهل باريس في الفرنسية . فتقول مثلاً « صوغة » بدلاً من « صورة » . لذلك نرجّح أن تكون من هذا القبيل لفظة « صاغ » العربية ، أي ان أصلها « صار » أو « صوَّر » كما هي في السريانية ܨܪ Sor بالصاد . بيد أن هذه الغين تختفي أحياناً كثيرة ، فتقول مثلاً « البيحة » بدلاً من « البارحة » و « أوبعة » بدلاً من « أربعة » . وعلى هذا النمط عثرنا على الألفاظ التالية :

ܫܪܝܦܬܐ Saréfta ، السعفة (جريدة النخل) . ܫܪܚܬܐ Sharta بالحاء ، الساحة . ܦܪܟܟ Farkek ، فَكَّك . ܦܪܫܚ Farchah بالحاء فَشَحَ (فرَّج بين رجليه خاصة) . ܦܪܬܘܬܐ Fartoutha ، الفُتات . ܩܕܪ [1] Qdar : قَدَّ (قطع) . ܩܘܪܢܥܬܐ Qournaa'tha ، القناع (المنديل) .

---

(١) تجد في السريانية بهذا المعنى لفظة ܩܕ Qad أيضاً .

ܩܘܪܩܡܐ Qourqma ، القمقم . ܩܪܫܐ Qercha القش[١] .

٩ ــ حذف حروف من الألفاظ :

ܠܡܝܢܐ Lmina ، الميناء . ܠܚܘܕ Lhoud بالحاء ، الوَحـــد .

ܢܬܟ Ntak تكّ (داس) . ܢܨܦ Nsaf بالصاد ، صَفَا (راق) وصَفَا الصوت . ܨܠܨ Slas بالصادين ، لَصّ (سرق) . ܨܘܨܦ Sawsef بالصادين ، صفّى . ܫܪܒܘܩܬܐ Charbouqta الربقة (العروة) . ܟܗܬܐ Kahta ، النكهة . ܫܘܩ Soq ، نشق . ܦܪ Far ، نَفَرَ . ܨܬ Soth بالصاد ، نصت . ܩܢ Qan وكن (عشّش) .

ܙܪܢܦܐ Zarnafa الزرافة . ܨܕܩܐ Sedqa ، الشق . ܣܬܪܐ Setra ، السِّر . ܩܘܦܕܐ Qoufda القنفذ . ܩܘܩܡܐ[٢] Qouqma ، القمقم . ܩܪܕܥ Qardaa' قرع (جَلَدَ) ، ومنها ܩܘܪܕܥܐ Qourda'a القرعـــة .

ܐܠܙ Élaz ، أَزَمَ . ܚܡܣܢ[٣] Hamsen بالحاء ، حَمَسَ . ܡܪܒܒܐ Marbaba الباب . ܥܢܕܐ E'nda بالعين ، المنديل . ܨܪ Sor بالصاد ، صَرَعَ . ܪܓ Ragh ، رغب . ܪܦܬ Rfath ، رَفّ (خَفَقَ) .

(١) لقد دخلت المعاجم السريانية بهذا المعنى لفظة ܩܫܫܐ Qechcha أيضاً .

(٢) تجد في السريانية لفظة ܩܘܡܩܡܐ Qoumqema أيضاً وهي الأصل .

(٣) تجد في السريانية لفظة ܚܡܣ Hmas أيضاً وهي الأصل .

هذا وقد أُدغمت التاء والدال السريانيتان في لفظة ܥܘܬܕܐ A'utada وفقاً لقواعد اللغة ، فجاءت اللفظة في العربية « العُدَّة » (الأُهبة) .

أما لفظة « الشلْو » العربية التي تعني « العضو » من أعضاء الإنسان بعد البلى والتفرّق ، فنرجّح أن تكون تحريف لفظة ܫܠܕܐ Chlada السريانية التي تعني جثة الميت أو الجيفة ، وقد تصحّفت في العربية بأيدي النساخ لتشابه الدال والواو فيها .

وأما لفظة « الأفرم » (المتحطّم الأسنان) فهي سريانية بحتة ܦܪܡܐ Farma ، ولها من معناها في السريانية ، فعل متصرف هو ܦܪܡ Fram ومعناه : َثرَم ، قطع ، ثغر ، دق ، حطّم الأسنان الخ ، وليس كذلك في العربية . وكذلك لفظة « المطهّم » (الأصيل) ، فهي ܡܛܗܡܐ Mtahma بالطاء ، السريانية .

قداسة مار اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

نظرة عيان وتبيان
في مقالة
(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

- ١١ -

٢٥٩) النّمامة

ف ، ز . . . .

في الأصل . — خط في أسفل القدم ج نَمام .

في (ق) . — ... ومن الفرس دماغه أو فمه . والنفس . والفرح والسرور . والإكرام . وعظم الساق . [قلت : لا إشارة إلى خط في أسفل القدم] .

في متن اللغة . — (بعد ما يسرد خمسة معانٍ للكلمة ، على المجاز) يقول : ومن الفرس دماغه أو فمه . ونعامة الرِجْل : باطن القدم مجازاً ، أو عرق في الرجل أو صدر القدم أو ما تحت القدم . وخط في باطن الرجل أو الساق . أو عظم الساق .

قلت : فتأمل ما أكثر ما تُطلق (النعامة) عليه !

★ ★ ★

٢٦٠) إنسي (القدَم)

ف Interne

ز Internal

في الأصل . — (النسي القدم) : ما أقبل منها .

ملاحظتي . — (النسي) خطأ من النسخ والصحيح (إنسي) لتصحّ الإضافة . أما (النَّسيّ كغني) فمَنْ لا يُعدّ في القوم والكثير النسيان كالنَّسْيان بالفتح . فلا صلةَ إذن للنسيّ بالقدم وما هو إلا من ذهول الناسخ بزيادته اللام بعد (أليف ، إنسي) إكمالاً منه (أل) التعريف بزعمه . فوضعتها في (الرقم ٢٦٠) مصححةً بدليل (وحشي القدم) التالية في (الرقم ٢٦١) ولم ينتبه إليها المحقق . ووضعت ما يقابلها باللغتين دون إضافة إلى القدم وذلك لتستعمل صفةً على وجه عام . انظر الملاحظة في (الرقم ٢٥٤) .

★ ★ ★

٢٦١) وَحْشي (القَدَم)

ف Externe

ز External

في الأصل . — ما خالف الإنسي [حسب تصحيحي] .

قلت : ولا يخفى أن (الوحشي والإنسي) توأمان ، أحدهما يخالف الآخر — جهةً — وهذا مما يدعم استنباطي الآنف الذكر .

★ ★ ★

٢٦٢) العَوْف

ف Verge ; penis

ز Penis

في الأصل . — عضو الرَّجُل وما دون الخصيتين .

في (ق) . — العوف : الحال . والشان . والذَّكر ، والجَدّ والحظّ . وطائر . والديك . وصنم . وجبل . والأسد ، والذئب ... الخ .

قلت : يرادفه (القضيب) وهو ما خصصته لجنة المصطلحات الطبية مقابلاً للكلمة الإفرنجية . وهو الشائع الاستعمال في البيئات العلمية .

ما أضفته :

آ) إحليل (*)

ف Urètre
ز Urethra

ب) إحليلي

ف Urétral
ز Urethral , urethro -

ج) خزع الإحليل

ف Urétrotomie
ز Urethrotomy

د) منظار الإحليل

ف Urétroscope
ز Urethroscope ; urethral speculum

هـ) حَشَفَة

ف Gland
ز Glans , penis

و) حَشَفي

ف Balanique
ز Balanic

ز) قُلْفة

ف Prépuce
ز Prepuce ; foreskin

ح) قُلْفي

ف Prépucial
ز Prepucial

★ ★ ★

(*) القسم الخلفي من الإحليل محاط بغدّة هي (المُوثة Prostate ومما تتعرض له في الشيخوخة الضخامة الغدية (Adénome) . انظر (الرقم ٢٢١ للثانة ـ ج ، د) .

٢٦٣) الصَّفَن

ف Scrotum (m.); bourses (f.)

ز Scrotum

في الأصل . — وعاء الخصيتين .

في (ق) . — الصَّفْن وعاء الخصيتين ويحرَّك .

في (ل) . — كُيَيس يحتوي الخصيتين .

★ ★ ★

٢٦٤) الخُصيتان (المفرد : خُصية)

ف Testicule

ز Testicle

في الأصل . — ليس لها تعريف .

في (ق) . — الخُصْي والخُصْية بضمها وكسرها : من أعضاء التناسل . وهاتان خصيتان وخصيان ج خُصًى . وخصاه خَصاً سلَّ خصييه فهو خَصِيٌّ ومَخْصِيٌّ . والخَصي مخففةً المشتكي خُصاه ،

في لاروس ذي المجلدين . — الخصية : غدة الذكور التناسلية . في الحالة الطبيعية عددها اثنان . شكلها بيضي مفلطح وبحجم بيضة الحمام . مغلَّفة بغشاءين : غشاء ليفي لاصق يسمى الغشاء الأبيض أو القميص الأبيض (١) ، وغشاء متحرك هو القميص المهبلي أو الغشاء المهبلي (٢) . هذا وقد تكون الخصيتان في بعض الحالات مختفيتين (٣) أو تنزل إحداهما فقط (٤) . وقد تكونان مفقودتين ألبتة (أي لا توجدان أصلاً) (٥) . ففقدانهما أو ضمورهما سواء ترافق باختفاء أو لم يترافق ، وكذا الخِصاء (= الوَهْص (٦)) يُفضي إلى المقامة (٧) .

وفيما يلي ما يقابل الأرقام ، من المصطلحات بالافرنجيتين :

١) Tunique albuginée [white fibrous membrane]

٢) Tunique vaginale , élytroïde [tunica vaginalis]

٣) Cryptorchidie [cryptorchism ; cryptorchidism]

٤) Monorchidie [monorchidism]

٥) Anorchidie [anorchidism]

٦) Castration ; émasculation [castration ; emasculation ; eviration]

٧) Stérilité [sterility ; barrenness]

ما أضفته :

١ً — خصية جانبية

ف Paradidyme ; corps innominé de Giraldès

ز Paradidymis ; organ of Giraldès

٢ً — خصية حساسة

ف Testicule irritable

ز Cooper ' s irritable testicle

٣ً — خصية عِجانية

ف Testicule périnéal

ز Perineal testicle

٤ً — خصية في القناة الإربية

ف Testicule se trouvant dans le canal inguinal

ز Undescended , retained testicle

٥ً — ألم الخصية

ف ، ز Orchialgie

يرادفها :

وجع الخصية

ف Nevralgie testiculaire

ز Orchidalgia

٦ — ذات الخصية (التهاب الخصية)

ف Orchite

ز Orchitis

٧ — أسهر

ف Canal déférent

ز Spermatic duct

٨ — حُوَيْصل منوي

ف Vésicule séminale

ز Seminal vesicle

٩ — قناة دافقة

ف Canal éjaculateur

ز Ejaculatory duct

١٠ — مَنِي ، نُطْفة

ف Sperme ; semence

ز Sperm ; semen

١١ — مُنَيْوانات

(حُيَيْوانات منوية)

ف Spermatozoïde ; spermatozoaires

ز Spermatozoa (spermatozoon) ; spermatosoides ; spermatic cells , sperm cells

١٢ – خِصاء

Castration ; stérilisation d'un homme

Castration ; sterilization of a man

يرادفها :

وَهْص = جَبّ

ف Émasculation

ز Emasculation ; eviration

١٣ – خَصِيّ ، مَخْصِيّ

ف Eunuque ; castrat

ز Eunuch

وفيما يتعلق بالمني ، أضفت :

١ – أعراس ذكور (مُنَيْوانات)

ف Gamètes mâles (spermatozoaires)

ز Spermatozoa ; sperm cells ; spermatic cells

أقسامها :

(١) جُسَيْم متطرف (بعيد عن الخط المتوسط)

Corpuscule distal

Distal centriole

(٢) جُسيم مركزي مجاور

Corpuscule central proximal

Proximal centriole

(٣) خُيَيْط حلزوني

Filament spiral

Spiral filament

(٤) ُخييط محوري

ف Filament axial
ز Axial filament

(٥) ذَنَب (سَوْط)

ف Queue ; flagelle
ز Flagellum ; tail

(٦) قِطعة أصلية

ف Pièce principale
ز Head

(٧) قِطعة انتهائية

ف Pièce terminale
ز End piece

(٨) قِطعة وسطى

ف Pièce intermédiaire
ز Middle piece

(٩) قَلَنْسُوة رأسية (= عَمارة)

ف Capuchon céphalique ; coiffe
ز Head - cap

٢ — تكوّن المني

ف Spermatogénèse ; spermatogénie
ز Spermatogenesis

٣ — تكوّنِ المني (أدوار)

ف Spermogénèse (périodes de la)
ز Periods of spermatogenesis

(١) دور النموّ

ف Période d'accroissement
ز Period of growth

(٢) دور النضوج

ف Période de maturation ou réduction
ز Period of maturation

(٣) دور التكاثر

ف Période de multiplication
ز Period of proliferation

(٤) دور التحوُّل

ف Période de transformation
ز Period of transformation

٤ — حاملات المني

ف Spermatophores
ز Trephocytes

يرادفها : خلايا سَرْتُولي

ف Cellules de Sertoli
ز Sertoli's, sustentacular, foot, nurce cells

٥ — خلايا المنيوانات

ف Spermatogonies
ز Spermatogonia ; primitive sperme · cells

٦ — خلية منوية

ف ، ز Spermatocyte

وعلى وجه عام :

١ — بيلة منوية

ف Spermaturie

ز Spermaturia

٢ — سيلان المني

ف Spermatorrhée

ز Spermatorrhœa

يرادف الفرنسية : ضياع المني

Perte séminale

Discharge of semen

ب) إمناء

Pollution

Pollution

٣ — قاتل المنيوانات

ف Spermicide

ز Spermicidal

٤ — مَنَوي

ف Spermatique

ز Spermatic

يرادف الفرنسية نُطَفي

Séminal

وبالانكليزية

Spermatic

٥ — نُطَيْفَة

ف Spermatide

ز Spermatid

★ ★ ★

٢٦٥) الفَرْج = الجهاز

ف Vulve (f.)

ز Vulva

في الأصل . — ما يكون للمرأة دون الرجل .

في (ق) . — الفرج : العورة وما بين رجلي الفرس وأما الجهاز بالكسر والفتح : للميت والعروس والمسافر ما يحتاجون إليه ج أجهزة . جج أجهزات . والجَهاز بالفتح : ما على الراحلة ، وحياء المرأة .

في متن اللغة . — الفرج : ... والعورة لجميع سَوْآت الناس من ذكر وأنثى وما حواليها ، وأكثر استعماله في القُبُل .

في (ل) . — مجموع الأجزاء التناسلية الخارجية في المرأة وفي اناث الحيوانات العليا .

ما أضفت (تشريحياً) :

١ — إسْكَتان ، شُفَيْرات (عُرْوتان)

ف Petites lèvres (nymphes · pl. ·)

ز Nymphae

٢ — أشْعران ، شُفْران

ف Grandes lèvres

ز Labia majora pudendi

٣ — بَصَلة المَهْبِل

ف Bulbe du vagin

ز Vestibulo · vaginal bulb

٤ — بَظْر

ف ، ز Clitoris

٥َ — دِهْلِيزُ المَهْبِل ، دهليز الفرج

ف Vestibule du vagin ; vest. de la vulve
ز Vestibul of vagina

٦َ — كِظَامة (*) (صماخ بولي)

ف Méat urinaire
ز Urinary meatus

٧َ — غشاء البَكارة

ف ، ز Hymen

٨َ — فُوَّهة المَهْبِل

ف Orifice du vagin
ز Vaginal orifice ; entrance of the vagina

٩َ — ما بين الشُّفْرَيْن

ف Epsace interlabial
ز Rima pudendi

وأضفت على وجه عام :

آ — التهاب الفرج

ف Vulvite
ز Vulvitis

ب — التهاب الفرج والمهبل

ف Vulvo - vainite
ز Vulvo - vaginitis

وأضفت زيادة :

(*) قلت : الكِظامة ، مخرج البول من المرأة (ق) .

١ — (العِجان)

ف Périnée

ز Perineum

في الأصل . — ليس له ذكر

في (ق) . — العجان ككتاب : العنق . والإست . وتحت الذقن . والقضيب الممدود من الخصية إلى الدبر .

في متن اللغة . — العجان : الدبر أو القضيب الممدود من الخصية إلى الدبر . ومن المرأة : الورة التي بين قُبُلها وثَعْلَبَتها .

(الثعلبة : العُصعص والاست) . وكذا العنق (بلغة أهـل اليمن) أو أصل العنق من الرأس ، أو تحت الذقن .

في (ل) . — العجان : الجزء السفلي أو هو قاع الحويضة . في الرجل يَعْبُرُه الإحليل والمستقيم . وفي المرأة تعبره الكظامة والمهبل والمستقيم .

(عجاني)

ف ، ز Périnéal

٢ — (الخُنْثى)

ف ، ز Hermaphrodite

في الأصل . — لم يأت لها ذكر .

في (ق) . — الخنثى من له ما للرجال والنساء جميعاً . ج خُناثى وخِناث . وامرأة مخناث : متكسرة . ويقال لها يا خَنَاثِ . وله يا خُنَث .

في (ل) . — من به غدة تناسل الذكر وغدّة تناسل الأنثى .

في معجم لاروس ذي المجلدين . — بعد شرح الخنوثة في النباتات والحيوانات الدنيا يقول : لم يعرف الطب حتى الآن خنوثة حقيقية في البشر .

خنثوثة

ف Hermaphrodisme

ز Hermaphrodism ; hermaphroditism

٣ — (الشرّج)

ف ، ز Anus

في الأصل . — لم يأتِ له ذكر .

في (ق) . — الشرج محركةً ، .... وفرج المرأة ج شِراج وشُروج .

في (ل) — فُوّهَة المستقيم .

ملاحظـة . — لجنة المصطلحات الطبية خصصت الشرج لما يقابل الكلمة (Anus) بالفرنسية والانكليزية .

قلت : وكذا (السّهُ) مخففةً ويضم ، حلقة الدُّبُر . والدبر يضم وبضمتين ، نقيض القُبُل .... والإست ... الخ . والإست ، (السَّتَهُ) ويحرّك ، وهذه أخص .

★ ★ ★

٢٦٦) شَبَح (الإنسان)

ملاحظـة . — في الأصل : شبح الإنسان شخصه وظله وسواده .

في (ق) . — الشبَح محركةً ويسكّن : الشخص ج أشباح وشُبُوح .

قلت : والشخص : سواد الإنسانِ وغيرِه تراه من بُعدٍ ج أشخص وشُخُوص وأشخاص .

وإليك ما يقابل هذه المعاني :

١ — الشخص

ف Personne ; individu

ز Person ; body

۲ ــ الظل ، الخيال

ف Ombre ; spectre
ز Ghost ; spectre

۳ ــ السواد

ف Fantôme
ز Shadow ; phantom

★ ★ ★

بعد هذا عدّد المؤلف أسماء ما يصير إليه ابن آدم منذ طفولته رضيعاً إلى دافه دون أن يشرح حدود كل مرحلة من مراحل الحياة هذه ، فعملتُ على سدّ هذه الثغرة اتّباعاً للمنهاج الذي رسمته لهذه النظرة ، فيما يلي :

٢٦٧) الطفل

آ) وليداً ــ هو الوليد

ف Nouveau - né
ز Child ; infant

ب) رضيعاً (هو الرضيع)
(لا يزال يرضع (*))

ف Nourrisson
ز Nursling , foster child

في (ق) ــ الطفل بالكسر : الصغير من كل شـــيء أو المولود . وولد كل وحشية أيضاً بيّن الطّفل وهو الرّخص الناعم من كل شيء .

(*) قلت : البابوس كذلك والصبي الرضيع أو الولد عامة . (والعامــة تقول : بؤبؤ تحريفاً) .

في (ن) ٠ — آ — الوليد : الطفل الذي وُلد حديثاً (من أول يوم من الولادة حتى ٢١ يوماً يسمى وليداً) .

ب — الرضيع : الولد في أدنى عمره من ٢١ يوماً إلى السنتين . وبعد السنتين ومتى بدت أسنان اللبن جميعها يطلق عليه اسم (طفل صغير) .

ما أضفته :

١َ — طفل مغذّى بالثدي

ف Enfant élevé au sein

ز (Breast - fed) infant ; suckling (baby)

٢َ — طفل مغذى بالرّضّاعة

ف Enfant élevé au biberon

ز Bottel - fed infant or child

٣َ — طِفْلي ، طُفولي

ف Infantile

ز Infantile ; childish

٤َ — طُفولة ، صِبا

ف Enfance

ز Childhood ; infancy

٥َ — طَفالة ، قَصاعة

ف Infantilisme ; juvénilisme

ز Infantilism

٦َ — مُرْضِع (الأُمّ نفسها)

ف Nourrice

ز Nurse

٧َ — مُرْضِعة (غير الأُمّ)

ف Nourrice

ز Wet - nurse

٨ً — مَليص

ف Enfant mort - né

ز Still - born child

٩ً — أولاد أعيان

ف Enfants de mêmes parents (frères et sœurs)

ز Siblings (brothers and sisters)

قلت : وفي العربية : (أولادُ عَلاّت) لمن هم من أمّهات مختلفات

(Enfants de parents distincts) [distincts , brothers and sisters]

١٠ً — أطفال أو أولاد في الطفولة الأولى

ف Enfants du premier âge

ز Very young children ; first childhood

★ ★ ★

٢٦٨) الفَطيم

ف Ablacté

ز . . . . . .

في (ق) . — فطمَ الصبيَّ يفطمه فصلَه عن الرّضاع فهو مفطوم وفطيم .

في (ل) . — الفِطام فصلُ الطفل عن رضاع الحليب من أمه أو مرضعته لتغذيته بطعام خاص يلائم سِنّه .

ما أضفته :

فِطام

ف Ablactation ; sévrage

ز Ablactation ; weaning

★ ★ ★

٢٦٩) اليافع

Adolescent

في (ق) — غلام يافع أي مرتفع . من (اليَفَع واليَفاع : التل) . وتيفّع : صَعِده . وأمكنة يَفُوع : مرتفعة . وغلام يافع ج يَفَعَة كطلبة .

في (ل) — عمر من الحياة بين البلوغ (سن الرشد) والرجولة من (١٥ — ٢٠ سنة) .

٢٧٠) الحالم

Nubile ; pubert

Nubile ; mariageable ; pubescent

في (ق) — من الحُلْم بالضم وبضمتين : الرؤيا . وحلَم في نومه واحتلم وتحلّم وانحلم .

في (ل) — من بلغ السن التي يصلح معها ليتزوج أو هو في حال من الشروط اللائمة للزواج . وهو العمر الذي يخرج به من بلغه ، عن الطفولة وهو دور بدء نشاط الغدد المنتجة وظهور بعض أوصاف الجنسية الثانوية (في الإنسان : الشعر ، وتغير الصوت وظهور الحرقدة أي تفاحة آدم) . وحقوقياً : هو السن التي يسمح فيها القانون بالزواج (في فرنسة سن البلوغ هو ١٥ للفتاة ، و ١٨ للفتى) .

قلت : الحالم يرادفه (البالغ) من ، بلغ الغلام بمتأدرك .

فائدة . — القانون المدني السوري يحدد سن الرشد (ثماني عشرة) سنة ميلادية كاملة [البند الثاني من المادة ٤٦ في ١٨/٥/١٩٤٩] وذلك لمباشرة حقوقه المدنية على أن يكون متمتعاً بقواه العقلية ولم يحجر عليه .

أما قانون الأحوال الشخصية فقد لاحظ أهلية الزواج فجعل هذه الأهلية

في الفتى تمام الثامنة عشرة ، وفي الفتاة تمام السابعة عشرة من العمر — [المادة ١٦] . وجعل حق الإذن للقاضي بزواج المراهق الذي أكمل الخامسة عشرة أو المراهقة إذا أكملت الثالثة عشرة (إذا ادعى أحدهما البلوغ) وإذا تبين للقاضي صدق دعواهما واحتمال جسميهما [المادة ١٨ من المرسوم التشريعي رقم ٥٩ المؤرخ ١٧/٩/١٩٥٣ (*)] .

ملاحظتي . — لم يفرّق القانون المدني السوري بين بلوغ الذكر والأنثى سن الرشد . أما قانون الأحوال الشخصية فقد ميّز بين السنّين، من حيث أهلية الزواج .

ما أضفته :

١ — الحُلُم

ف Puberté ; periode pubérale ou pubertaire

ز Puberty ; puberal or pubertal period

٢ — فتى ، شاب

ف Jeune

ز Young ; youthful

* * *

٣ — فتوة ، شباب

ف Jeunesse

ز Youth ; youthfulness

٤ — سِنُّ الرُّشْد

ف Âge de puberté

ز Majority ; full - age

(*) أطلعني على المادتين بسؤالي منه الزميل الفاضل الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع ورئيس مجلس الدولة فله الشكر الجزيل .

٥ — سن الصغر (في)

ف Bas âge (en)

ز Infancy

★ ★ ★

٢٧١) الطَّارّ

ف ، ز .....

في الأصل . — إذا (طار) شاربه .

ملاحظتي . — قوله (طار) خطأ عن النسخ لأن (طار شاربه) من الثلاثي لا تدل على من بدا شاربه بل على من ليس له شارب وهو غير المقصود . والصحيح (إذا طَرَّ شاربه) بدون ألف بين الطاء والراء (من : طَرَّ) الثلاثي . وغلام طارّ وطرير . ولا تذكر المعاجم العربية (طارّ يطارّ) من الرباعي . ولم يصححها المحقق .

قلت : هذا العمر يوافق أيضـــاً ما ذكر عن الحالم (= البالغ) في (الرقم ٢٧٠) .

★ ★ ★

٢٧٢) المجتمِع

ف Adulte

ز Adult , grown up

في (ق) . — اجتمع ضد تفرّق كتجمَّع واستجمع . والرجُل بلغ أشُدَّه واستوت لحيته .

في (ل) . — مَن أتمَّ سن البلوغ ووصل إلى حد نموه فبلغ أشُدَّه .

قلت : يرادفها (الكهل) وهو من جاوز الثلاثين أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين ج كُهول وكِهال وكُهْلان وكُهَّل (كما في ق) .

أضفت :

كُهولة ، كُهوليّة

ف Adolescene

ز Adolescence ; maturity of age



٢٧٣) الشَّيْخ

ف Vieillard

ز Elderly

في (ق) . — الشيخ والشيخون : من استبانت فيه السنّ ، أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره ، أو إلى الثمانين . ج شُيُوخ بالضم . وشِيوخ بالكسر . وأشياخ ، وشيَخَة بفتح الياء . وشِيخة وشيخان . وتصغيره : شُيَيْخ وشِيَيْخ ، وشُوَيْخ (وهذه قليلة) .

قلت : إذا كان هذا (إلى آخر العمر) ، فما بقي للهرَم ليصبح ابن آدم هَرِماً هِمّاً أي شيخاً فانياً (لكي لا يعلم من بعد علم شيئا) ؟

في (ل) . — هو من تقدم في العمر . والشيخوخة هي آخر مرحلة من العمر .

وفي لاروس ذي المجلدين ما يلي : [الشيخوخة : ذلك الدور من الحياة تبطؤ في خلاله جميع الوظائف الحيوية تدريجاً ثم تقف أخيراً . ليست الشيخوخة بمرض . إنما هي حاله تحدث على الأقل في الأشخاص على اختلافهم ، من شروط أولية أساسية حيوية في الأصل كان منها أن الخلايا النابعة من البيضة ـ بدلاً من أن تنفصل بعضها عن بعض ولتعيش مستقلات ـ بقَيْن ملتحمات يقمن بتماملات فيا بينهن .... وفي الحقيقة إن حثالات الأعمال الحيوية على نوعين : نوع ذواب ويطّرح عن طريق الكلية والجلدوالرئتين الخ .

ونوع غير ذواب ويتوضع على الخلايا . على هذا فالنسُّج بعد مدة من الزمن ، تغشاها طبقة قشرية من هذه الحثالات أو الأنقاض غير الذوابة ، فلا تعود تقوم بالتبادلات مع البيئة الخارجية إلا بصعوبة . ومن هنا تنجم ظواهر الشيخوخة : تغضّنات ، فقدان اللدانة المفصلية ، صلابة العضلات ، عَطوبية العظام (أي هشاشتها) ، ضعف السمع والرؤية ، ضعف الملكات العقلية الخ . اهـ] .

ما أضفته :

١ً — شيخوخة ، عُتُق

ف Senescence ; senilité ; vieillesse

ز Senility ; dotage ; beginning of age

٢ً — شيخوخي

ف ، ز Senile

★ ★ ★

٢٧٤) الدَّالف

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — إذا قارب الخطو .

في (ق) . — دَلَفَ الشيخُ يدلِف دَلْفاً ويحرك ، ودَلَفاناً : مشى مشيَ المقيّد وفوق الدبيب .

ما أضفته :

١ — الهَرِم (١)

ف Caduc

ز Decayng ; falling

(١) قلت الهرِم : الذي بلغ أقصى الكِبَر .

٢ — الهَرَم (١)

ف Âge caduc

ز Declining age

٣ — القَحْم (٢)

ف ، ز Decrépit

٤ — قُحُومة ، قَحامة

ف ، ز Decrepitude

٥ — خَرَف

ف Radotage

ز Foolish talk

٦ — خَرِفٌ

ف Radoteur

ز Dotard ; driveller (fogey (٣))

٧ — خَرِفَ

ف Radoter

ز To dote

٨ — طَفَس (٤)

ف Gâtisme

ز Gatism ; dotage ; senil decay ; incontinence of urine or feces

(١) قلت : الهرَم ، أقصى الكِبَر .
(٢) قلت : القحْم ، الكبير السن جداً .
(٣) بالعامية ، عندم .
(٤) قلت : هو قذَر الإنسان إذا لم يتعهد نفسه وهو طفِس ككتف قذرٌ نجسٌ (ق) .

٩ — طَفِسٌ

ف Gâteux

ز Dotard (having lost control over his excretory organs)

١٠ — طَفِسَ

ف Gâtisme (tomber dans le)

ز To fall into one's dotage

ملاحظة . — في فقه اللغة للثعالبي ترتيب أحوال الغلام وتنقّل السن به ، إلى أن يتناهى شبابه ، أذكره فيما يلي إتماماً للفائدة :

ما دام في الرحم فهو : جَنين .

فإذا ولد ، فهو : وَليد .

وما دام لم يستتم سبعة أيام فهو : صديغ (لأنه لا يشتد صدغه إلى تمام السبعة) .

ثم إذا قطع عنه اللبن فهو : فطيم .

ثم إذا غلُظ وذهبت عنه تَرارة الرضاع (البضاضة) فهو جَحْوَش .

ثم إذا دبّ ونما : دارج .

فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو : خُماسيّ .

فإذا سقطت رواضعه فهو : مَثْغور .

فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو : مثّغر (بالتاء والثاء) .

فإذا كاد يجاوز العشرين أو جاوزها ، فهو : مترعرع ، وناشئ .

فإذا كاد يبلغ الحلُم أو بلغه فهو : يافع ، ومُراهِق .

فإذا احتلم واجتمعت قوته فهو : حَزَوَّر .

واسمه في جميع هذه الأحوال المذكورة : غُلام .

فإذا اخضرَّ شاربه وأخذ عِذارُه يسيل قيل : بَقَلَ وجهُه .

فإذا صار ذا ذُبَاء فهو : فتىً ، وشارخ .

فإذا اجتمعت لِحيتُه وبلغ غايةَ شبابه فهو : مجتمِع .

ثم ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو : شابٌّ .

ثم هو : كَهْل إلى أن يستوفي الستين .

يقال : شابَ الرجُل / ثم شَمِط / ثم شاخ / ثم كَبِر / ثم توجَّه / ثم دَلَف / ثم دَبَّ / ثم مَجَّ / ثم هَدَج / ثم ثلَّب ... ثم الموت .

يقال : عتَا الشيخ وعسا / ثم تَسَعْسَع ، وتقوَّس / ثم هرِمَ وخَرِف / ثم أَفْنَدَ وأهْتَرَ /ثم لَعِق اصبَعَه / وضَحَا ظلُّه : إذا مات .

إذا شاخ الرجل وعلَت سنه فهو قَحْر / فإذا ولَّى وساء عليه أثر الكِبَر فهو يَفَن ، ودِرْدِح .

فإذا زاد ضعفُه ، ونقَص عقله فهو : جِلْحاب ومُهْتَر .

ترتيب سن المرأة

هي طفلة ما دامت صغيرة .

ثم وَليدة إذا تحرَّكت .

" كاعب إذا كعب ثَدْيُها .

" ناهد إذا زاد .

" مُعْصِر إذا أدركت .

" عانس إذا ارتفعت عن حدّ الإعصار .

ثم خَوْد إذا توسَّطت الشباب .
〃 مُسْلِف إذا جاوزت الأربعين .
〃 نَصَف إذا كانت بين الشباب والتعجيز .
〃 شَهْلَة كَهْلَة إذا وَجَدَتْ مسَّ الكبر وفيها بقيةٌ وجلَد .
〃 شَهْبَرَة إذا عجَّزت وفيها تماسك .
〃 حَيْزَبون إذا صارت عالية السن ناقصة القوة .
〃 قَلْعَم ولِطْلِط إذا انحنى قدُّها وسقطت أسنانها .

★ ★ ★



مصنف (مقالة أسماء أعضاء الإنسان) هو أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا بن حبيب الرازي القزويني الهمذاني المتوفى في شهر صفر سنة ٣٩٥ هـ . وهو من علماء العرب الذين ضربوا من كل علم وفن بسهم وافر بدليل ما تركه للأجيال من المؤلفات الثمينة التي أناف عددها على الأربعين في مختلف الموضوعات العلمية والفنية في عصره في (الفقه ، واللغة صرفها ونحوها ، والتاريخ ، ودارات العرب ، وتفسير القرآن الكريم ، والسيرة النبوية ، والقصص . الخ .

هذه المقالة المخطوطة النادرة موجودة في المجموعة رقم (١٥٢) تحت رقم (٥) في المدرسة الأحمدية في الموصل . قام بتحقيقها الدكتور الشاب النشيط فيصل دبدوب ونشر تحقيقه هذا في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (م ٤٢ — ج ٢ — ص ٢٣٥ سنة ١٩٦٧) .

وفي نسخة المقالة المطبوعة (٢٧٤) كلمة ونيّف (مع المكرر) بدأ بها المؤلف من (الرأس) وانتهى بـ (القَدَم) وذكر - إضافةً - ما يصير إليه ابن آدم منذ (الطفولة) حتى يصبح (دالفاً) مقارب الخطو .

رغبتُ مختاراً في إضافة المصطلحات الطبيـة الحديثة باللغتين الفرنسية والإنـكليزية ، على أسماء أعضاء الإنسان الوارد ذكرها في (المقـالة) . وكنتُ أحسب أن الأمر هيّن لن يستدعي أكثر من أن أضع مقابل الاسم العربي ، اسماً فرنسياً وآخر انكليزياً .

وما باشرت العمل حتى وجدتُني أمام ساحة شاسعة شائكة ، وتبين لي أني ركبتُ مركباً صعباً وأن العمل شاق ليس باليسير إنجازه بالسهولة التي كنت أحسبها . فلقد رأيت - بعد التدقيق في بضع كلمات - أنه يتحتم عليّ التأكد لأأول من صحة اسم العضو أو الوصف ، ثم التحقق من سلامة الشرح من التحريف أو التصحيف الكثير الوقوع في نَسْخ المخطوطات ، ثم مقارنته بما في المعجمات العربية ليتم وضعُ النصل في نصابه ولو كان لي في ذلك نَصَب ، ليصحّ بعد هذا الجهد الأول ، وضعُ الكلمات الأفرنجية الملائمة ، موضعَها بما لا اعتراض عليه ، بأمان واطمئنان .

وإذْ قد وطدتُ العزم على القيام بهذا العمل ، على مايكلفني من التعب خدمةً للغة العربية العلميـــة تذرّعتُ بالصبر واستعنت الله تعالى وأتممت العمل بفضل منه .

ولا بد لي في هذا الصدد من أن أتوجّه بالشكر الجزيل إلى رئيس مجمعنا العلامة الأمير مصطفى الشهابي ، وإلى أمين المجمع العام الرصيف الحصيف الأمير جعفر الحسني لما كان منها من التحبيذ والتشجيع - حين اطّلعا على ما فكرتُ فيه - لتحقيق الفكرة والبدء بالعمل . فكان لي من هذا - والحقَّ أقول - ماشدّ من عزمي وهوّن عليّ احتمال ما تعرّضت إليه في

أثناء البحث والتحقيق من المشقة التي لا يعرف مبلغها إلاّ من عاناها في تحقيق مخطوط قديم .

وأشكر الدكتور دبدوب بوجه خاص لنشرته المطبوعة التي أتاحت لي هذا العمل الشاق والشائق ، أداءً لقسطي في خدمة لغتنا العربية الحبيبة ، من الناحية العلمية والفنية . وأقدّر ما لقيه من الصعوبات وما بذله من الجهد في إخراجه المخطوطة بحلّتها المطبوعة . وألفتُ نظره إلى ما على المحقق - إطلاقاً - أن يوليه من المبالغة في التدقيق والتنقيب اهتداءً للصواب وتصحيحاً لما أصاب أوراق (المخطوطة) من انتكال وتشويه من طوارىء الحدثان ، وما اعترى الكلمات أو العبارات من مسخ وتصحيف وتحريف وهي تنتقل من يد إلى يد .

هذا وفي ختام المرحلة الأخيرة من عملي وجدتُ (المقالة) خاليةً من شرح ما يتعلق بكثير من أعضاء الإنسان [ولم أدر لماذا أغفل المؤلف شرحها (*)] كالكبد والخلايا ، وأنواع العضلات ؛ ومن الأعصاب والشرايين والأوردة ؛ ومن الغُدد . كما أني لم أجد ذكراً أصلاً لبعض الأعضاء كالرحم (والجنين) والرئة ، والطحال ، والكلية الخ . ولا ذكرَ لأسماء ما يصيب الإنسان في أعضائه هذه من الأمراض والأدواء والآفات أو العلل مما هو على وزن (فُعال) أو (فَعَل) مع أنه ذَكر كثيراً من الأوصاف لبعض الأعضاء .

فكان عليّ - وقد رأيتُ ذلك - أن أفيَ بما قررته في نفسي حين بدأت العمل ، بإصلاح ما أجده من خطأ في النسْخ ، واضطراب في الشرح ،

(*) قلت : لعله استدركها فيما بعد في مقالة أخرى ، ولم تصل إلينا مخطوطتُها لفقدانها عبر السنين .

وأن أكمل ما لم يُذكر في (المقالة) مما هو ذو علاقة وثيقة بأعضاء الإنسان وحالاته وما يطرأ عليها .

فاستدركتُ كل هذا فيما أسميتُه :

(استدراك النقصان — في مقالة أسماء أعضاء الإنسان)

وهو حصيلةُ جهدٍ مستطاع أرجو أن يكون وافياً بالغرض مستهدفاً الغاية التي أرادها المؤلف رحمه الله .

والاستدراك هذا ، في ثلاثة أبواب ، على النهج الذي عليه في (المقالة) :

الباب الأول . — الجنين ، الخلايا ، الرحم ، العضلات ، العظام ، الغدد ، الكبد ، الطحال ، الكلية الرئة .

الباب الثاني . — الأوردة ، الشرايين ، الأعصاب .

الباب الثالث . — الأمراض ، الأدواء ، الآفات .

الكواكبي

دمشق ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م

كتاب الفهرست لابن النديم

المخطوطات

من المصادر الهامة لمن يريد الوقوف على ثقافة حقبة القرون الأربعة الأولى للإسلام كتاب « الفهرست » الذي وضعه محمد بن اسحق ابن النديم في خلال سنتي ٣٧٧ و ٣٧٨ هـ . (٩٨٧ / ٩٨٨ م .) ومن الغريب جداً أن تمر السنون والقرون حتى تصل بنا إلى أواخر القرن التاسع عشر دون أن يكون أحد قد عثر على مخطوطة منه تفي بالمرام . ولما نشر غوستاف فلوغل نصّه العربي سنة ١٨٧١ راح هو نفسه يتشكى من عدم وجود مخطوطة يعتمدها لعمله . ولهذا فقد خلت نشرته من أهم أقسام الكتاب واعتورتها شوائب تترى .

على أنه من دواعي سرورنا أن نعرف أن العلماء قد وقفوا في المدة الأخيرة على عدد من مخطوطات « الفهرست » يمكن الاعتماد عليها لأنها منقولة عن النسخة الأصلية التي كتبها ابن النديم نفسه .

من هذه المخطوطات اثنتان هامتان :

مخطوطة « بيتي » Beatty ومخطوطة « ١٩٣٤ » .

فالأولى تحتوي على النصف الأول من الكتاب مع بعض النواقص .

أما الثانية فتحتوي على النصف الثاني منه .

لمخطوطة « بيتي » أهمية كبرى لأنها مخطوطة الفهرست الوحيدة التي تزوّدنا بمعلومات وافية عن المعتزلة وعن الجاحظ وعن غيرهما من العلماء الخارجين على المألوف ، وتنتهي المخطوطة بفقرة عن الناشي الكبير في الفن الأول من المقالة الخامسة.

مخطوطة بيتي :

لقد كتبت مخطوطة بيتي بخط نسخي قديم على أجود نوع من الورق وهي تقع في ١١٩ ورقة مكتوبة من صفحتيها بوسعها أن تملأ ٢٣٤ صفحة . أما حجم الورقة فهو ٢٢ على ١٦٫٥ سنتمتراً بمعدل ٢٥ سطراً في الصفحة . وقد كتبت بحبر أسود تزينها عناوين أكبر شكلاً من الفقرات التي تليها . ولسوء الحظ أن هذه المخطوطة قد فقدت الورقات العشر الأخيرة وعابها بعض الاهمالات الطفيفة كما شابها بعض النواقص في صفحاتها الأخيرة .

هذه المخطوطة هي الآن في « مكتبة تشيستر بيتي » في دبلن .

ومما يلفت النظر عنوانها . فهي تحمل هذه الكتابة في مطلعها : « كتاب الفهرست للنديم » بحجم مستطيل وأحرف بيضاء على أرضية مذهبة يمازجها الكثير من الزخرفة ويلاصق العنوان المستطيل سطران قصيران مكتوبان بخط ناعم لا يمكن أن نقرأ السطر الأول منها لعفائه . ومع ذلك فقد قرأه بعضهم بعد الدعاء لمؤلفه وقال « لقد تم بعونه تعالى » بينما بعضهم الآخر أشار إلى كيفية اقتناء الكتاب .

أما السطر الثاني التحتاني فيعطينا الاسم والتاريخ كما يلي : « أحمد بن علي المقريزي ٨٢٤ » .

في أسفل العنوان ملاحظتان بخط ناعم هما : « من كتب أحمد بن علي » و « بدمشق ٨٢٥ »

وهنالك عدة كتابات أخرى صغيرة يظهر أنها ليست من خط يد المقريزي ولا تقرأ بوضوح .

إننا نعلم أن المؤرخ أحمد بن علي المقريزي كان موظفاً في حكومة دمشق حوالي سنة ٨١٠ وزاول عمله فيها قرابة عشر سنوات . فقد يمكن أنه

كتبها أعني هذه اللاحظات بعد عودته إلى القاهرة أو من المحتمل أنه كتبها في ظروف أخرى حين عاد إلى زيارة دمشق .

وهنالك كتابة أخرى أطول من غيرها لاشك في أن المقريزي كتبها بخط يده على الهامش الأيمن من صفحة العنوان هي كما يلي : « مؤلف هـــذا الكتاب أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق بن محمد بن إسحق الورّاق المعروف بالنديم روى عن أبي سعيد السيرافي وأبي الفرج الاصفهاني وأبي عبد الله المرزباني وآخرين ولم يرو عنه أحد . وتوفي في يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ثمانين وثلثماية ببغداد وقد اتهم بالتشيع عفا الله عنه » .

تحت العنوان الرئيسي توجد كتابة حديثة العهد بخط كبير تمتزج وملاحظات المقريزي وهي تشير إلى أن المخطوطة هي وقف أراده أحمد باشا الجزار المتوفّى سنة ١٢١٩ هـ . (١٨٠٤ م) .

في ما يلي شكل هذه الكتابة الخشنة :

« وقف لله تعالى

وقف وحبس وتصدق بهذا الكتاب . . . .
أحمد باشا الجزار في جامعه المبارك بعكا المسعودة
الأحمدية على طالب العلم وأن . . . .
يحله وقف صحيحاً شرعياً لا . . . .
ولا يبدله . . . . على الله
والله سميع عليم » .

وفي أسفل هذه الكتابة وهذا الامتزاج من السطرين الأخيرين نجد نقشاً لختم كبير مستدير . ولسوء الحظ أن الكلمات التي لم تكتب في وقف أحمد باشا هي مطموسة وبالتالي لايمكن قراءتها ولا الوقوف على مضمونها .

وعلى رغم معرفتنا الضئيلة بتاريخ « مخطوطة بيتي » فهي ولا ريب

منسوخة عن الأصل المكتوب بيد ابن النديم نفسه قبيل موته ومن المحتمل أنها بيعت إلى رجل كان يسكن بعيداً عن بغداد لإنقاذها من الإبادة خلال الغارة المغولية . ثم انتقلت إلى ملكية المقريزي . وبعد مضي مدة طويلة عليها وضعها أحمد باشا في جامع عكا . ومن المحتمل أيضاً أن تكون هذه المخطوطة المذكورة ذاتها قد سرقت من الجامع عندما هدم إبراهيم باشا المدينة سنة ١٢٤٨ هـ = ١٨٣٢ م . ولعلّ القسم الأول من المخطوطة انفصل عن القسم الآخر في تلك الآونة بالذات . فوقع القسم الأول بعدئذ في حوزة تاجر باعه بدوره من « جستر بيتي » فضمه إلى مكتبته الكبيرة في « دبلن » .

إن صفحة العنوان في المقالة الأولى هي بالحقيقة شاذة لأنها تقوم أيضاً مقام صفحة عنوان الكتاب كله . إلاّ أنه قبل صفحة عنوان كلٍّ من المقالات الأخرى يوجد نصف ورقة عليها رقم المقالة التالية وعنوانها الرئيسي .

وتحت كلٍّ من تلك العناوين قد كتبت لفظة « تأليف » ثم يليها اسم المؤلف وعبارة : « المنقول من دستوره وبخطه » وفي أسفل الصفحة من جهة اليد اليسرى نقرأ هذه العبارة :

« حكاية خط المصنف

عبده محمد ابن اسحق »

فيتضح إذن من هذه الكتابات أن الناسخ قد نقل « مخطوطة بيتي » عن مواد المخطوطة الأصلية المكتوبة بخط يد ابن النديم نفسه ، وان الناسخ لم يكتف باستنساخ الكلمات فقط بل حملته غيرته على تقليد خط ابن النديم .

وإذا ماعمّقنا النظر وتطلعنا إلى أسفل كل من العناوين وقفنا على رقم المقالة وفي أماكن عديدة على بيان مقتصر للموضوع . وبعدئذ يتكرر العنوان ويليه نص المقالة في الصفحة التابعة .

وفي مطالع قفا الورقة التاسعة وعند نهاية الورقة العاشرة نجد كلمة « عورض » مكتوبة في أسفل الحاشية . وهذه الملاحظة تشمل الورقات ١٩ – ٤٩ – ٦٩ ويمتد طولها على الصفحة الـ ٩٩ كما يلي . « عورض بالدستور الذي بخط المصنف المنقول منه وصحّ والحمد لله رب العالمين » .

فما لا شك فيه أن هذه التأكيدات تدل بوضوح على أن مخطوطة « بيتي » قد أخذت من النسخة التي كان ابن النديم قد كتبها وبناء عليه فهي النسخة القديمة التي يجب الاعتماد عليها .

المخطوطة ١٩٣٤ :

هذه المخطوطة تتضمن النصف الأخير من الكتاب وتشكل قسماً من مجموعة « شديد علي باشا » . وقد كانت أولاً موجودة في مكتبة « كوبربلي » لكنها اليومَ هي في مكتبة صغيرة ملاصقة لجامع السليمانية في استنبول « في جامع سليمان في استنبول » ورقمها في المكتبة هو ١٩٣٤ .

تبدأ المخطوطة هكذا :

« أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي
في الفن الأول من المقالة الخامسة » .

ويتواصل نصها إلى نهاية الكتاب . في هذه المخطوطة أرقام عربية وأوروبية من المحتمل أنها أضيفت بعدئذ . وعدد ورقاتها هو مائة وثمان وثمانون مكتوبة من الجانبين فيكون إذن مجموع صفحاتها ثلاثمائة وخمساً وستين فقط .

ليس ثمّة صفحة خاصة بالعناوين . والصفحة الأولى لا تتضمن إلا ختماً عثمانياً مع ملاحظة كتبت حديثاً تشير إلى اسم الكتاب ومؤلفه وبعض ألفاظ مضافة غير واضحة كفاية تصعب قراءتها .

إن هذه المخطوطة تشبه بمجموع تفاصيلها المخطوطة الموجودة في مكتبة بيتي ، ولهذا السبب يظهر أنها نصف مخطوطة بيتي المفقود . ومن جهة أخرى إن العالم الفارسي الشهير قد وقف على مخطوطة بيتي قبل تصحيحها وتأكد من كونها أقدم من مخطوطة ١٩٣٤ بعدّة سنين . فان صح قوله ـ وهذا ليس أكيداً ـ فتكون مخطوطة ١٩٣٤ مستنسخة عن أصل مماثل تماماً انصف مخطوطة بيتي المفقود . قبل ست سنوات زرتُ « دبلن واستنبول » واستطعت رؤية كلتا هاتين المخطوطتين ومقارنتها الواحدة مع الأخرى . فقرّ رأيي على أن كلتا المخطوطتين إن هما إلا قسما المخطوطة الأصلية ذاتها ، ومن المحتمل أنها نُسِختا في أواخر أيام ابن النديم .

مخطوطة تونك :

هذه المخطوطة موجودة اليوم في المكتبة السعيدية في مدينة « تونك » الواقعة في رجستان في الهند وكانت هذه المكتبة من ممتلكات حاكم تلك المنطقة . وهي تبدأ بسطرين من الشعر في أسفل الصفحة ١٤٥ حسب طبعة فلوغل Flügel « في الفن الثالث من المقالة الثالثة » . وعند آخر الفقرة الباحثة عن « أبو الحسن أحمد بن جعفر جحظة » تنتهي هكذا » :

« في الفن الأول من المقالة السابعة » . وفي الصفحة ٢٥٤ من طبعة فلوغل Flügel فقرة تبحث عن « فلوطرخس آخر » .

هنالك أربع وأربعون ورقة مكتوبة من جانبيها . والصفحة الأولى فارغة لولا حشد بعض الختوم فيها لايمكن قراءتها لتفهمها بسبب عدم وضوحها . على أن فيها عنواناً مكتوباً دون اعتناء هو كما يلي : « فهرست أخبار العلماء وأسماء تصانيفهم » .

تحت هذا العنوان يجيء اسم المؤلف وقد غشيته كمية من الحبر جعلت قراءته محالاً . في نهاية المخطوطة نجد الذيل التالي :

« تم الجزء الثاني في كتاب الفهرست بعون الله ولطفه ويتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء الثالث أخبار يحيى النحوي وكتبه حنين بن عبد الله سبط يحيى الجوهري والحمد لله رب العالمين » .

إن خط هذه المخطوطة هو بحجم صغير وفي الغالب مكتوب برداءة بصورة لا يطمئن القلب معهـا إلى صحة كلماته فمثلاً إن كلمة « بعون » في المنقول أعلاه هي غير مؤكدة .

في نسخ الفهرست الأخرى لا يرد ذكر « يحيى النحوي إلى حيث تنتهي إليه مخطوطة « تونك » إلا أن قسماً جديداً لا يبدأ عندها . وفي الحقيقة إن القسم الباقي في النسخ الأخرى هو « الفن الثالث من المقالة السابعة » .

إن مخطوطة « تونك » تتضمن على الأقل بعض الورقات التي ضاعت من آخر مخطوطة بيتي . وهكذا تكون المخطوطة المبحوث عنهـــا بين مخطوطة بيتي ومخطوطة ١٩٣٤ . وهي تتضمن أيضاً قائمة بعناوين كتب ابن المعلم « أبو عبد الله محمد بن المعلم » الناقصـة في نسخ الفهرست الأخرى وكذلك في فهرس التراجم للطوسي . ومما يجدر ذكره هو أن : « أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي وأبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني » قد نقلا عبارات شبيهة بعبارات موجودة في مخطوطة « تونك » وهي غير مذكورة في نسخ الفهرست الأخرى .

إن عدة صفحات في مخطوطة « تونك » قد فقدت ولهذا فقد يمكن أن إحدى تلك الصفحات المفقودة كانت تحتوي شيئاً عن « أبو علي محمد بن عبد الله الجبّائي » طالما الصفحات الباقية تتضمن بعض الإشارات إليه دون أن تعطينا شرحاً كافياً وافياً عنه . ولما كان عالماً فذاً يصعب علينا التصديق بأن ابن النديم قد غفل عن ذكره ولم يخصه بفقرة ما .

هنالك أيضاً عدد من النصوص غير الكاملة وهي أقلّ أهمية من المخطوطات

الثلاث الموصوفة أعلاه . منها مخطوطتان اثنتان موجودتان في مكتبة « كوبريلي » في استنبول وهما مسجلتان تحت رقم ١١٣٤ و ١١٣٥ . كوبريلي لفظة تركية عصرية [١] .

المخطوطة ١١٣٥

هذه المخطوطة قد أعطوها تاريخ « ربيع الثاني ٦٠٠ »
إن صفحة عنوانها تتضمن الكتابة التالية :
« كتاب الفهرست
تأليف أبي الفرج محمد بن اسحق الورّاق
المعروف بابن أبي يعقوب النديم »

على صفحة العنوان هذه طباعات لعدة ختوم تستحيل قراءتها وأكبر الختوم يتضمن اسم كوبريلي . أما العنوان الرئيسي فلم يكتب بالحبر الأحمر بينما كل العناوين الأخرى مع أسماء المؤلفين قد كتبت كلّها بالأحمر .

هذه المخطوطة تحتوي على القسم الأول من المقالة الأولى التي تؤلف من المقالة السابعة القسم الأول من الكتاب .

ثم إن القسم الثاني والثالث والرابع من هذه المخطوطة يطابق المقالة الثامنة والتاسعة والعاشرة الموجودة في نسخ الفهرست الأصلية .

إن مخطوطة ١٩٣٥ تحتوي على ١١٨ ورقة مكتوبة من جانبيها وقد طبعت عليها أرقام عصرية ليس فيها فراغ للملء . ومساحة كلّ صفحة هي ٢٥٫٥ × ١٨٫٥ سنتيمتراً . ويتضمن النص عناوين لبعض الكتب لا وجود

(١) كوپريلي في الأصل مركز قضاء من أقضية سلانيك ، أما صاحب هذه المكتبة فهو (محمد باشا) أحد وزراء الدولة العثمانية زمن السلطان محمد الرابع . وقد ولد محمد باشا في كوپريلي وتوفي في استانبول ودفن في مكتبته هذه عام ١٠٧٢ [عن قاموس الأعلام لشمس الدين سامي ص ٣٩٠٦ ـ ٣٩٠٧] . (المجلة)

لها في النسخ الأخرى . فمن الواضح أنها نسخة متأخرة العهد وبالتالي ليست كاملة وموثوقاً بها كمخطوطتي بيتي و ١٩٣٤ .

المخطوطة ١١٣٤

هذه المخطوطة تحتوي على المواد الموجودة في القسم الأول من المقالة الأولى في مخطوطة ١١٣٥ . وقد كتبت على ورق جيد . ومساحة كل ورقة هي ٢٠٫٣ × ١٥ سنتيمتراً . إن بعض العناوين – وليس كلّها – قد كتب بالحبر الأحمر . ويظهر أن القسم الأول من المقالة الأولى قد نسخ من المخطوطة ١١٣٥ . في هذه المخطوطة ينقطع التسلسل ثم يأتي القسم الثاني من المخطوطة ويتضمن المواد المأخوذة من الواسطي حتى آخر الكتاب . فقد تكون هذه المخطوطة نسخة سقيمة عن مخطوطة ١٩٣٤ .

مخطوطة باريس

في مكتبة باريس الوطنية مخطوطتان مسجلتان في كاتالوج سنة ١٩٥٣ باسم مصادر عربية الصفحة ٣٤٢ رقم ٥٨٨٩ – الاضبارة ١٢٨ – الجلد ١٣٠ برقم ٤٤٥٧ و ٤٤٥٨ وقد تسنت لي الفرصة ففحصتها كلتيهما .

(١) – المخطوطة ٤٤٥٧

هذه النسخة تتضمن القسم الأول من الكتاب وهي مؤرخة ٦٢٧ (١٢٢٩ / ٣٠ ميلادي) . فمن المحتمل أن تكون هذه النسخة هي التي كان فلوغل قد أطلق عليها اسم « مخطوطة باريس القديمة » وهي تحتوي على المقالات الأربع الأولى .

(٢) – المخطوطة ٤٤٥٨

تبدأ هذه المخطوطة هكذا : « الفن الخامس من المقالة الخامسة » وتتواصل حتى آخر الكتاب . وثمة ملاحظة تشير إلى أنها قد نسخت سنة ١٨٦٤ عن مخطوطة في مكتبة كوبريلي في استنبول تحت إشراف المستشرق دي سلين وصدّق عليها الناسخ أحمد المصري . فمن الأكيد أنها قد نسخت عن المخطوطة ١٩٣٤ أو المخطوطة ١١٣٤ .

مخطوطة فيينا

(١) — مخطوطة ٣٣

لا تتضمن هذه النسخة شيئاً عن المنزلة لكنها تتضمن في المقالة الخامسة مادة أخرى . وتواصل الموضوع حتى آخر الكتاب .

(٢) — مخطوطة ٣٤

تتضمن هذه النسخة المقالة الأولى وقسماً من المقالة السابعة وكل المقالة الثامنة والتاسعة والعاشرة .

مخطوطات متنوعة

مخطوطة ليدن — هذه المخطوطة تتضمن المقالات الأربع الأخيرة فقط . ورقمها في مكتبة ليدن هو ٢٠ .

مخطوطة طنجة — هذه المخطوطة مستنسخة حديثاً . وبالنسبة إلى غيرها ليست ذات أهمية . على أن ذكرها قد جاء في الجلد ١ ـ القسم ٢ ـ الصفحة ١٧٩ من مجلة معهد الخطوط العربية .

غوستاف فلوغل ونصّه العربي :

نشر غوستاف فلوغل نصه العربي في ليبزيك سنة ١٨٧١ . وهو يتضمن مقدمة هامة « Vor wort » . وقد طبعه بالألمانية مع عدد كبير من الملاحظات أعقبها بفهرست . إن فلوجل نفسه كان يشكو قلة المخطوطات الموجودة لديه للاستنساخ منها ، ولهذا فالنصّ الذي استعمله احتوى ليس على أخطاء صغيرة كثيرة بل نقصه كلّ المقالة الخامسة من الورقة ١٠٦ إلى قفا الورقة ١١٦ من مخطوطة بيتي . وهذا القسم الناقص هو موضوع هام لتعلقه بالمنزلة . أما الفهرس في طبعة فلوغل فهو على الطراز القديم وصعب الاستعمال . ومع هذا فقـــد أعاد « خياط » طبع نسخة فلوغل في بيروت سنة ١٩٦٤ .

وفي سنة ١٩٢٩ كانت المطبعة الرحمانية في القاهرة قد نشرت الفهرست طبعة رخيصة لنسخة فلوغل وكانت تحتوي على ملحق قصير مأخوذ عن أحمد تيمور الذي كان قد كتب مقالاً نشر له في مجلة « دي كندثديس مورغن لاندس » .

والوزير المغربي المتوفى عام ٤١٨ (١٠٢٧ م .) ـ وهو من الشبان المعاصرين لابن النديم كان قد نسق نسخة مصححة للفهرست لكن هذا التأليف لم يكن على ما يظهر في متناول الناس عامّة .

بعد موت ابن النديم ملأ النسّاخ بعض الفضوات التي كان قد تركها بعناوين كتب إضافية . ففي مخطوطة بيتي مثلاً قد كتب على هامش الورقة ٧٧ « من ها هنا إلى آخر أخبار المرزباني بغير خط المصنّف » . ثم يعقب ذلك قائمة طويلة بعناوين كتب لم يكن ابن النديم نفسه قد أدخلها في مخطوطته الأصلية . ثم أضيفت إلى مخطوطة ١٩٣٤ عناوين كتب : كتبها « أحمد بن حنبل وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري » .

فهذه الحشوات هي في « الفن السادس من المقالة السادسة » وهي عبارة عن مثالين فقط من الإضافات المماثلة التي أدخلت في أقسام أخرى من الكتاب .

إنّ نص فلوغل الذي كان قد استنسخ عن مخطوطات أقل ثقة بها وحديثة العهد لا تتضمن الأخطاء وحدها بل تحتوي عناوين كتب وسنوات وفيات لا وجود لها في مخطوطة بيتي ومخطوطة ١٩٣٤ . أضف إلى هذا أن عدداً من مؤلفي القرون الوسطى كان قد كتب بعد موت ابن النديم عن عمله وأشار إلى حياته .

المؤلّفون العرب الذين أشاروا إلى ابن النديم :

ابن حجر في كتاب لسان الميزان .

الذهبي في كتاب تأريخ الإسلام .

الحاج خليفة في كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .

ابن أبي أصيبعة في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء .

ياقوت في كتاب إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .

خليل ابن أيبك في كتاب الوافي بالوفيات

القفطي في كتاب تأريخ الحكماء .

إسهام العلماء المعاصرين :

لقد نشرت مقالات عديدة في : Zeitschrift der Morganländischen Gasellschaft (Z D M G) ;

وفي عام ١٨٥٩ كتب غوستاف فلوغل مقالاً بعنوان :

« Über Muhammad ibn Ishak's Fihrist al - 'Ūlum »

للمجلد ١٣ (الصفحات ٥٥٩ — ٦٥٠) وساهم أيضاً في كتابة عدة مقالات في مواضيع فرادية تتعلق بكتاب « الفهرست » .

وفي عام ١٨٨٢ كتب ايغناك غولدزيهر Ignac Goldziher مقالاً لمجلد ٣٦ (الصفحات ٢٧٨ — ٢٨٤) بالعنوان التالي : « Beiträge zur Erklärung des kitab al - Fihrist » .

في المجلد ١٥ رقم ٢ (١٩٣٦) في الصفحات ٢٩٨ ، ٣٢٢ يوجد مقال يبحث عن مخطوطة تونك بالعنوان التالي : Neue materialian Zum Fihrist كتبه جوهان دبليو . فوك Johann W. Fück .

ونشر هلموت ريتر Hellmut Ritter مقالاً بالعنوان التالي :

Philologika, überlie ferung des Fihrist » in Der Islâm

المجلد ١٧ رقم ١ (شباط ١٩٢٨) في الصفحات ١٥ — ٢٣ .

وكتب آربري Arberry من كمبردج عن مخطوطة بيتي في :

Islamic Research Association Miscellany

في المجلد الأول (١٨٤٨) في الصفحات ١٩ — ٤٥ .

وظهر في المدة الأخيرة مقال شائق بالعنوان التالي « الفهرست لابن النديم بقلم ابراهيم الأبياري في تراث الإنسانية المجلد الثالث (١٩٦٥) ١٩٣ — ٢١٠ . القاهرة بجامعة الدول العربية .

وقد ترجمت عبارات مختصرة متنوعة من الفهرست إلى لغات أخرى . إن عدداً من العبارات الأكثر طولاً من هذه قد ترجمت أيضاً مع ملاحظات علمية وإيضاحات وافرة .

وفي عام ١٨٥٦ نشر دي . آ . شولسوهن D. A. Chwolsohn كتاباً بمجلدين في مدينة سانت بيترسبرغ تحت رعاية : Kaiserlichen Akademie de Wissenschaften مع ترجمة وملاحظات غزيرة عن الصابة Ṣābians بالعنوان التالي :

« Die Ssabier und der Ssabismus »

ونشر فلوغل ترجمة ألمانية مع ملاحظات عنوانها « ماني Mani » وذلك سنة ١٨٦٢ أصدرته مطابع بروكهاوس في ليبزيك Brockhaus , Leipzig .

إن بحوث « هنريخ سوتير Hienrich Suter » في الرياضيات وعلم الفلك في الفهرست تملأ أقساماً كبيرة من كتاب : Abhandlungen Zur Geschichte der Mathematik الذي نشره توبنير Tuebner في ليبزيك المجلد السادس (١٨٩٢) الصفحات ٣ — ٨٧ والمجلد العاشر (١٩٠٠) الصفحات ٣ — ٢٧٧ فهو يعطي الترجمات إلى الألمانية مع الملاحظات عليها .

وقد قام مارسلان برثلوت Marcelin Berthelot واوكتاف هوداس Octave Houdas في : La Chimie au Moyen Age. 3 بترجمة فرنسية من المقالة العاشرة عن الكيمياء نشرتها لهما المطبعة الوطنية في باريس عام ١٨٩٣ (المجلد الثالث) فأعيد طبع هذا المجلد عام ١٩٦٧ في مطابع فيلو في امستردام Philo Ambix Amesterdam .

ونشر جوهان دبليو . فوك ترجمة المقالة ذاتها إلى الانكليزية هي « امبيكس» المجلد الرابع ـ العدد ٣ و ٤ (شباط ١٩٥١) الصفحات ٨٢ — ١٤٤ .

ونشر م . رضا تجدد من طهران طبعتين من كتاب الفهرست المترجم إلى الفارسية واستند إلى مخطوطة بيتي ومخطوطة ١٩٣٤ وقد نشرت هاتان الطبعتان عام ١٣٨٤ و ١٣٨٦ (١٩٦٥ و ١٩٦٧ م .) مطابع « كتبخانة ابن سينا وعند بانك بازركاني إيران في طهران » .

وتتوقع جامعة كولومبيا أن تنشر عام ١٩٧٠ ترجمة الكتاب برمته إلى الانكليزية فسألتني القيام بهذا العمل لنشرات الجامعة الدورية المدعوة : « Records of Civilization » .

من مثل هذه المصادر الرئيسية نستقي معلوماتنا عن كتاب الفهرست ولعل العلماء يكتشفون يوماً ما مخطوطة كاملة لتحتل مكان المخطوطات الناقصة التي في حوزتنا الآن . ومع هذا فالواجب يتطلب منا أن نعطي التكريم والتقدير كلها لابن النديم الذي ألّف هذا الكتاب وصنّفه في مدينة بغداد القديمة . لقد مرّ حوالي ألف سنة على عهد حكم فيه آل بويه آسيا الغربية بينما الفاطميون كانوا في خلاله يسعون في تقوية حكمهم في بلاد مصر .

بيارد ددج

ترجمة الدكتور ا . ج . شوريز

❋❋❋

كتاب العين

(الجزء الأول)

للخليل بن أحمد الفراهيدي[1] ١٠٠ ــ ١٧٥ هـ

تحقيق الدكتور عبد الله درويش ط . بغداد ١٩٦٧

كان لنشر « العين » أهمية كبرى وفائدة جليلة ، وذلك للقيمة العلمية التاريخية لهذا المعجم . هو أول معجم في العربية ، ومن أجل هذا فهو عمل جليل في التأليف المعجمي القديم ، وهو المعجم الذي كشف عن حقيقة أن العرب من أقدم الأمم في المشاركة في « علم الأصوات » . وكأن « العين » كتاب في « علم الأصوات » قبل أن يفطن أحد من الأقدمين إلى « مصطلح » هذا العلم .

شغل الخليل مكاناً واسعاً في العلوم اللغوية القديمة فكان رأساً في النحو واللغة وما يتطلب هذان العلمان من أدوات وآلات ، فقد اهتدى إلى ما نسميه في عصرنا بـ « علم الأصوات » . وكان من ثمرة ذلك « كتاب العين » . وقد ألف في « النغم » وله في ذلك أثر ذو قيمـــة من الناحيتين الفنية والتأريخية . ولعـل من نتائج ذلك ابتداعه موازين الشعر العربي أي علم العروض . ومن أجل ذلك كان الخليل بين علماء العربية علماً بارزاً .

---

(١) انظر ترجمته في « أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٣٨ ــ ٤٠ وفي « نزهة الألباء » لابن الأنباري ص ٢٩ ــ ٣١ ، وفي « طبقات النحويين للزبيدي ص ٢٢ ــ ٢٥ وفي جمهرة أخرى من المصادر .

أخذ عن شيوخه ولم يقتصر على أخذه في النحو واللغة ، بل كان مبدعاً مستنبطاً لكثير من المسائل في الأصول والفروع .

وإذا كان القدماء قد فطنوا إلى الجد العاثر الذي رافق الخليل ، فإن حظه لم يكن سعيداً بنشر « العين » بعد أكثر من اثني عشر قرناً ، فقد نشر « العين » فجاء مفتقراً إلى كثير من الضبط والتحقيق ، فلقد قال النضر ابن شميل « أكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه وهو في خص لا يشعر به » [١] .

نشر الدكتور عبد الله درويش « العين » وساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه ، وقد لفت الدكتور مصطفى جواد نظر طلابه إلى المآخذ الكثيرة مما يدخل في باب التصحيف والتحريف من هذا الكتاب .

وجاء الدكتور رمضان عبد التواب فنشر مقالة طويلة في مجلة « الأقلام » (الجزء الثاني في تشرين الأول سنة ١٩٦٨) تناول فيها ما أخذه على الكتاب من أصول نشر المخطوطات [٢] ثم تجاوز ذلك إلى سائر مقدمة الناشر حتى وصل إلى نص الكتاب . وقد أخذ على الدكتور عبد الله درويش مآخذ كثيرة تناولت طائفة منها التصحيف والتحريف في نص الكتاب ، كما تناولت طائفة أخرى الحواشي التي اتبعها الناشر ليفيد منها القارئ .

وقد وجدت أن الدكتور رمضان عبد التواب لم يشر إلى كل ما في الكتاب من أخطاء كان على المحقق أن يتجنبها . ومن أجل ذلك عمدت

---

(١) نزهة الألباء ص ٣١ .

(٢) كان كلام الدكتور عبد الله درويش غير محقق لفائدة كبيرة فلم يقارن بين النسخ المخطوطة ويوازن بينها ، بحيث يتوصل من ذلك إلى معرفة أقدم النسخ . ثم إنه لم يشر إلى الأصل الذى اعتمده الأب أنستاس ماري الكرملي في نشره للكتاب ، فقد جرّب الكرملي نشر « العين » إبان الحرب العالمية الأولى وبسببها توقف عن المضي في نشره وكان من السهل على الدكتور عبد الله درويش معرفة ذلك . والذي غاب عن الدكتور عبد الله درويش أن النسخ الثلاث تكاد تكون صورة واحدة للأصل المخطوط المحفوظ في الكاظمية من مدن العراق وتاريخه سنة ١٠٥٤ هـ .

إلى تدوين ما بدا لي من نقص نشره الدكتور درويش لهذا المعجم الجليل متتبعاً الكتاب من مقدمته إلى آخره ذاكراً النقاط التي أشار إليها الدكتور رمضان عبد التواب ، مشيراً إلى ذلك حفظاً للأمانة العلمية التي تقتضيني الإقرار بفضل السبق مضيفاً إليها العدد الكبير من المآخذ والملاحظات الأخرى .

وإلى القارئ الكريم ما سجّلته على هذه النشرة التي قدمها الدكتور عبد الله درويش :

١ ــ جاء في الصفحة ٧/٧ قوله : « فاننا نجد في المصور الوسطى السيوطي في المزهر » وأرى أن من الخطأ التاريخي أن يستعمل مصطلح « العصور الوسطى » في الكلام على نصّ لغوي تاريخي إسلامي ، ذلك أن هذا المصطلح من مصطلحات الأوربيين وهو يتصل بالتاريخ الأوربي المسيحي ، ثم إن هذا المصطلح لا يمكن أن يمتد فيشمل القرن العاشر الهجري فالمعروف أن السيوطي قد توفي سنة ٩١١ هـ .

وفي حاشية هذه الصفحة ذكر المحقق « مجلة المجمع العلمي (كذا) سنة ١٩٤١ وهو يريد مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق الذي تحول إلى مجمع اللغة العربية .

٢ ــ وجاء في الصفحة ٢١/٧ : « فأحب الليث أن يتفق كتابه كله فسمى لسانه الخليل » والصواب : « أن يتسق الكتاب كلّه فسمى لسان نفسه الخليل » انظر « شرح ما يقع فيه التصحيف » للعسكري ص ٥٩ .

٣ ــ وفي الصفحة ٢/١٥ « الخزرنجي » والصحيح « الخارزنجي » بالراء ثم الزاي ، وقد أشار الدكتور رمضان عبد التواب إلى هذا . وهو أحمد ابن محمد أبو حامد الخارزنجي انظر إنباه الرواة ١/١٠٧ .

وفي الصفحة نفسها س/١٨ قوله : « . . . . لا تؤثر مطلقاً على مقام الخليل » والفعل أثر يتمدى بـ « في » وقد نبّه على هذا التجاوز منذ مطلع هذا القرن .

٤ — وفي الصفحة ١١/١٦ قوله « صحيح أننا لا نخلي يد الليث من عمل شيء بالنسبة للكتاب » وما أظن ان بهذه اللغة من « إخلاء اليد » يكون الكلام على « العين » .

وفي الصفحة نفسها س ٢٠ قوله : « وقد ذكرت القواميس . . . . » يريد « المعجمات » و « القواميس » التي استعملها من استعمالنا العامي المألوف ودلالة « القاموس » معروفة في التاريخ اللغوي فهي تنصرف إلى « المحيط » ليس غير .

٥ — وفي الصفحة ٢٠/٢ قوله : « والأكثر من هذا . . . » وصوابه وأكثر من هذا .

٦ — وفي الصفحة ٢٢/٩ قوله : « وقال كراع في المنضدة » والصواب « المنضّد » وهو عنوان الكتاب المشار إليه .

٧ — وفي الصفحة ٣٤/٥ قوله : « ومن أقدم الكتب التي ورد فيها ذكر الخليل كراوٍ . . . . » وقوله : « فكأن الكتاب كان في عهدة بعض المؤلفين كقاموس . . . . » وقوله : « وقد تصدى قديماً من دافع عن « العين » كإنتاج بصري . . . . » ألا ترى أن هذه اللغة واستعمال الكاف على هذا النحو ليس من العربيـــة الفصيحة ولا يليق أن يثبت في مقدمة لمعجم لغوي قديم .

وفي الصفحة نفسها س ١٧ أورد المحقق كلاماً نقلاً عن « المزهـر » للسيوطي جاء فيه : « ويكاد لا يوجد لأبي اسحاق الزجاجي حكاية في اللغة إلا منه » والصواب : « لأبي إسحاق الزجاج » وهو إبراهيم بن سهل بن السري الزجاج وهو غير أبي القاسم عبد الرحمان الزجاجي تلميذه » .

٨ — وجاء في الصفحة ١٢/٥٢ : « أراد أن يعرف به العرب في أشعارها » وفي تهذيب اللغة ٥٢/١ « أراد أن يعرف بذلك ما تكلمت به العرب . . . » وقد أشار الى هذا التصحيح الدكتور رمضان عبد التواب .

٩ — وجاء في الصفحة نفسها : « ذواقة ايها » والصواب « ذواقه إيّاها » وانظر تهذيب اللغة ٤١/١ .

١٠ — وجاء في حاشية الصفحة ٥٣ قول الدكتور درويش محقق الكتاب : « ولعله يقصد بالزجر أسماء الأفعال مثل صه » . وليس هذا بصحيح فالمعروف الثابت ان « الزجر » في ألفاظ مشهورة للحيوان إذا سيق أو حمل على السير .

١١ وورد في الصفحة ٥٦/٤ : « جاءت سواكن وخلفها السكون ، مثل بأيدٍ وبأدم في آخر الكلمة » والتصحيف من غير شك ظاهر والصواب كما جاء في التهذيب ٤٢/١ نقلاً عن العين : « جاءت سواكن وخلفتها السكون ، مثل ياء يدي وياء دمي في آخر الكلمة » .

١٢ — وورد في الصفحة ٨/٥٧ « الذَّلَق » بفتح الذال واللام والصحيح الذُّلْق بضم الذال وإسكان اللام ، وقد تكرر الخطأ غير مرة .

١٣ — وورد في الصفحة ١/٦٠ « عَرَين » بفتح العين والراء والصواب « عَرِين » بكسر الراء .

١٤ - وورد في الصفحة ٦/٦١ « فكأنهم ضموا إلى « د ه ، د ق » والصواب « فكأنهم ضموا « د ه » إلى « د ق » وكذا في التهذيب ٤٦/١ . وقد أشار الدكتور رمضان عبد التواب إلى هذا التصحيح .

١٥ — وجاء في الصفحة ٣/٦٢ : « وأما الحكايةَ المضاعفةَ فإنها بمنزلة الصلصلة » والصواب وأما الحكايةُ المضاعفة (بالضم) لأنهما مرفوعتان .

١٦ — وجاء في الصفحة ٩/٦٣ : « يقولون : صل اللجامَ يصلْ صليلا » والصواب صل اللجامُ . . . . (بالضم)

١٧ - وجاء في الصفحة ١٠/٦٤ : « لها أحياز ومخارج » والصواب كما في تهذيب اللغة ٤٨/١ : « ومدارج » .

١٨ — وجاء في الصفحة ١٢/٦٥ : « لأن مبدأها من ذلك اللسان » والصواب من « ذَلَق اللسان » .

١٩ — وجاء في الصفحة ٨/٦٨ البيت :

ألا ربَّ يوم بات منك معانيقى . . . . .

والصواب « معانقي » كما يقتضي الوزن . والبيت في اللسان ١٥٦/١١ .

٢٠ — وفي الصفحة ٧٠ البيت :

أذلك أم أقبُّ البطـــن جأب عليـه من عقيقته عَفاء

والصواب عِفاء بكسر العين وهو الشعر والوبر .

وجاء في الحاشية : والرواية فيه « أذلك أم شئيم الوجه » .

والوجه فيه « أم شتيم » بالتاء وهو الكريه . (انظر شعراء النصرانية ص ٥٥٩) .

٢١ — وفي الصفحة نفسها البيت :

« يا هند لا تنكحي بُوهـــةً » والبيت يستقيم إذا قلنا :

« أيا هند . . . . » وكذلك في اللسان ٢٥٧/١٠ .

٢٢ — وجاء في الصفحة ٧١ البيت :

فوسوس يدعو مخلصاً رب الفلقْ سراً وقد أوَّن تأوين العُقَقْ

والصواب : وسوس يدعو . . . . وبذلك يتم الرجز ويستقيم .

كما جاء في الصحاح « ا و ن » . وضبط الفعل « اونَّ » بتشديد النون في اللسان وهو خطأ .

٢٣ — وجاء في الصفحة نفسها البيت الثاني :

كالهروي انجاب عن ليل البَرَقْ طيَّر عنها النسء حوليْ العِقَقْ

والصواب كما في اللسان ٢٥٧/١٠ .

« طيّر عنها النسر حولي العِقَقْ »

٢٤ — وجاء في الصفحة نفسها البيت :

« صَخْبُ التمشير نوّام الضحى ويقتضي الوزن« صَخِب»بكسر الخاء وهو كذلك في ديوان عدي بن زيد ص ٤٤ .

٢٥ — وجاء في الصفحة ٧٢/٧ : « يقال : عق ثوبَةُ إذا شقه » والصواب ثوبه بالهاء .

٢٦ — وفي الصفحة نفسها البيت :

واصْبحتْما منها على . . . .

والضبط الصحيح : واصبَحتْما . . . .

٢٧ — وفي الصفحة نفسها البيت :

أحلام عاد وأجسام مطهرة من المعقة والآفات والإثمِ

والذي في اللسان ١٠/٢٥٦ : وأجساد ، والإثَمِ .

٢٨ — وجاء في الصفحة ٧٣/٦ : « أي بُعْد العقيق » والصواب : أي بَعْد العقيق .

٢٩ — وجاء في الصفحة ٧٤/٢ : « ورجل قَمقماني » والصواب قُمقماني بالضم .

٣٠ — وجاء في الصفحة ٧٤/١٢ : يُرمَى بها النخل لتنشر من ثمرها والصواب من تمرها بالتاء فهو التمر وليس الثمر .

٣١ — وجاء في الصفحة نفسها س ١٢ : « والقمقمان ضرب من التَمر » والصواب : والقَمقاع ضرب من التمر . انظر اللسان ٨/٢٨٧ قال : وتمر قعقاع أي يابس . قال الأزهري : سمعت البحرانيين يقولون للقسب إذا يبس وتقمقع « تمر مسح وتمر قعقاع » .

٣٢— وجاء في الصفحة نفسها (في الحاشية) : « وهي الأتانة » والصواب : الأتان .

٣٣ ــ وفي الصفحة نفسها س ١٦ : « وقُمَيقمان : اسم جبل بالحجاز ..... »
وجاء في الحاشية في التعليق عليه : في نسخة س« بالأهواز » وفي « اللسان »
ذكر اللفظين « جبل بمكة والأهواز » ثم قال المحقق الفاضل : ولعلها مكانان .
أقول : إن قول المحقق « ولعلها مكانان » يشعرنا أنه لم يتحقق من الأمر ،
والحقيقة كما في معجم البلدان ٤/٣٧٩ « قُمَيقِمان بلفظ التصغير وحواسم
جبل بمكة .... ثم قال : وبالأهواز جبل .... »

٣٤ ــ وفي الصفحة نفسها س ٨ : « والعُكّة : رملة حيث طلعت عليها
الشمس » والصواب كما في « مقاييس اللغة » ٤/١٠ « رملة حميت عليها الشمس »
وقد أشار إلى هذا التصحيح الدكتور عبد التواب

٣٥ ــ وفي الصفحة نفسها س ١٧ « يذكر إمرةً وزوجها » والصواب :
امرأة وزوجها .

٣٦ ــ وفي الصفحة٧٦/٥«وأكَمَة الفَرَق» والصواب : وأكَمَّه الفَرَقُ.

٣٧ ــ وفي الصفحة نفسها س ٩ « قال : كمكمته بالرجم والبجة »
والصواب « والتنجّهِ » . ولا معنى للبجة ، والتعليق في الحاشية لا فائدة فيه ،
وهو شطر من بيت لرؤبة انظر الديوان ص ١٦٦ . وقد أشار إلى هـذا
الدكتور رمضان عبد التواب .

٣٨ ــ وفي الصفحة نفسها البيت :

يا حبذا الكمك بلحم مثرودْ وخُشكَنانٍ معْ سويقٍ معقودْ

وذكر المحقق في الحاشية قال : والبيت في اللسان « كمك » .
وكان على المحقق أن يستفيد من اللسان فيرويه كما ورد وهو :

يا حبذا الكمك بلحم مثرودْ وخُشكَنانٍ بسويقٍ مقنود

وجاء في اللسان أيضاً (قند) : وسويق مقنود أو مقنّد معمول بالقند
وهو عصارة السكر إذا جمد .

٣٩ — وجاء في الصفحة ٧٧ البيت :

ولو جافي الذي كرهت قريش وان عَجَّت بمكتها عجيجا

والصواب ما هو مثبت في الأصل المخطوط المحفوظ في خزانة المجمع العلمي العراقي :

ولوجاً في الذي كرهت قريش . . . . .

وقد أشار الدكتور رمضان عبد التواب إلى هذا .

٤٠ — وجاء في الصفحة ٧٨ (الحاشية) البيت :

أمن المنون وريبها نتوجع . . . . .

والصواب : « تتوجع » بالتاء .

٤١ — وفي الصفحـــة ١٨/٨٠ : البيت في اللسان مادة « عسّ » والصواب « عشش »

٤٢ — وفي الصفحة ١٧/٨١ : ويقال للزبدة الزلقاء : شعشعتها بالزيت إذا سغبتها به .

والصواب أن يقال : ويقال للثريدة الزُّرَيقاء إذا سغبلتها به . انظر اللسان (سغبل) و (شعع) والزريقاء ثريدة تدسم بلبن وزيت .

٤٣ — وفي الصفحة نفسها س ١٩ : قال العجاج « تحت حجاجي شذقم مضبور » والصواب : شدقم بالدال .

٤٤ — وفي الصفحة ١/٨٢ البيت : « يعطون عن شماع غير مودن » والصواب كما في الأصل المخطوط « يعطون من شمشاع غير مودَن » .

٤٥ — وفي الصفحة نفسها س ٧ : « قال سليمان . . . . . » ولم يحقق الناشر في سليمان هذا ولم يعلّق على البيت .

٤٦ — وفي الصفحة نفسها س ٩ : « شَعاعاً تفرّقَ اديانها » والصواب أن يقال : تَفَرَّقُ اديانها (بضم القاف) .

٤٧ — وجاء في الصفحة ٩/٨٣ « وبنو فلان مُعِضُّون أي يرعون المض » والضبط الصحيح مُمِضُّون . . . . .

٤٨ — وجاء في الصفحة ١٢/٨٤ : « قال رؤبة » والصواب كما في المخطوط : قال ذو الرمة . وقد علق الدكتور رمضان عبد التواب على تعليق الأستاذ المحقق بما فيه الكفاية .

٤٩ — وجاء في الصفحة نفسها س ١٧ « وصَمصَمة بن صَوحان » بفتح الصاد والذي في « الإصابة » صُوحان بضم الصاد المهملة .

٥٠ — وجاء في الصفحة ١٢/٨٥ : « والمس : المطلب » والصواب والمَمَس .

٥١ — وجاء في الصفحة ٢/٨٦ : « والمسوس هي التي إذا أثيرت للحلب مشَتْ ساعة ثم طوفت حلبت درت » والعبارة لا توصل إلى معنى إلا بقولنا « . . . . ثم طوفت فإذا حلبت درت » . وسقوط « إذا » أحال المعنى .

٥٢ — وفي الصفحة ٥/٨٧ : « عزّ الشيء جاء عز مع كل شيء إذا قلّ » والصواب كما في الأصل المخطوط « عز الشيء — جامع في كل شيء — إذا قل » .

٥٣ — وفي الصفحة نفسها س ١٢ « لا تدِرّ » بكسر الدال والفصيح ضمها وهو أشهر من الكسر .

٥٤ — وفي الصفحة ٨/٨٨ : قال العجاج :

من الصفا القاسي ويدعن النُدُر عزازه ويهمرنَ ما انهمَرْ

ولكي يستقيم الوزن ينبغي أن يكون صوابه « ويهتمرنَ ما انهمرْ » وانظر اللسان (عزز) وفي اللسان أيضاً مادة (همر) « وينهمرن ما انهمرْ » .

٥٥ — وفي الصفحة نفسها س ٧ : « يَروي المزاز » والصواب « يُروى » بضم حرف المضارعة لأن الرباعي هو المقصود .

٥٦ — وفي الصفحة ١١/٨٩ :

بضرب في القوانس ذي قروع وطعن مثلَ تعطيط الرهاط

والذي في ديوان الهذليين ٢/٢٤ « بضرب في القوانس ذي فروغ » وفي اللسان (عطط) « بضرب في القوانس ذي فروغ » وكلها بالغين المعجمة ، ثم إن المحقق أخطأ في ضبط « مثل » بالفتح والصواب الكسر لأنها صفة « طعن » .

٥٧ — وجاء في الصفحة ٩١/١ :

دعت ميةُ الأعداد واستبدلت بها خناطلَ آجال من العيش خُذَّل

ورواية البيت في اللسان (عدد) :

دعت ميةَ الأعدادُ واستبدلت بها خناطيل آجال من العين خُذَّلُ

٥٨ — وفي الصفحة نفسها س ١٣ : « ما زالت أكلة خيبر تعاودني » والصواب « تعادّني » بتشديد الدال كما في الصحاح وكتب الحديث وكذا في اللسان ، وكذا في الجزء الذي نشره الأب الكرملي .

٥٩ — وفي الصفحة نفسها س ٦ : « ولا على عدّانِ ملك محتضَرْ » ، ورواية الشطر في اللسان « ولي على عدّان ملك محتضَرْ » .

٦٠ — وفي الصفحة نفسها (الحاشية) :

ما إن علمنا وافياً من البشر من أهل أمصار ولا أهل بَرْ

والصواب « أهل وَبَرْ » وبذلك يستقيم الوزن .

٦١ — وفي الصفحة ٩/٩٢ : « والدعدعة تحريكك جُوالقاً أو مكيالاً لتكثره » ، والصواب « أو مكيالاً ليكتنز » ، وفي نسخة المتحف العراقي الخطية « لتكثر » ، وكذا في مختصر العين (مصور المكتبة المركزية ببغداد) . وفي اللسان (دع ع) : « ودعدع الشيء حرّكه حتى اكتنز » .

٦٢ — وفي الصفحة نفسها س ١٤ :

وإن هوى العاثر قلنا دعدعا له وعالينا بتنعشٍ لمـــا

وعجز البيت غير مستقيم وزناً ويجب أن يكون « له وعالينا بتنعيش لعا » وكذا في اللسان (د ع ع) .

٦٣ — وفي الصفحة ٩٣/٥ : « والدعدعة حبة سوداء تأكلها بنو فزارة » وقد علق المحقق في الحاشية : وتجمع الدعادع ، ساقطة من س ولكنه زاد بعد « فزارة » قوله « وكذلك فقراء البادية . والصواب : الدُعاعة ، جاء في اللسان (د ع ع) : وقال الليث : الدعاعة حبة سوداء يأكلها فقراء البادية إذا أجدبوا . وفي اللسان أيضاً : والدعاعة عشبة تطحن وتخبز وهي ذات قضب وورق متسطحة النبتة ومنبتها الصحاري والسهل وجناتها حبة سوداء والجمع دعاع .

٦٤ — وجاء في الصفحة ٩٥/٦ :

لما رأونا عَظمظتْ عِظماظـا نبالُهم وصدَّقوا الوُعّاظـا

والصواب « عَظْمَظَتْ » بتاء التأنيث الساكنة وبذلك يستقيم الوزن ، والبيت في اللسان وفيه « نَبلُهُمْ » .

٦٥ — وفي الصفحة نفسها س ٨ : ويقال في أمثال العرب : لا تمظي وتمظمظ » ، أقول وفي اللسان « ومن أمثال العرب السائرة : لاتمظيني وتمظمِظي » .

٦٦ — وفي الصفحة نفسها س ١٣ : بصبر في الكريهة والعظاظ » ، والصواب مافي اللسان « بصير في الكريهة والعظام » بالياء في « بصير » وزان فعيل وبه يستقيم المعنى .

٦٧ — وفي الصفحة نفسها س ١٦ : « وعظمظ الجبان والزِنّيْ » كذا وقد صحف « الزِنيّ » في اللسان إلى « الزِتي » بالتاء بدلاً من النون ولم يلتفت المحقق إلى هذا فيشير إلى التصحيف في اللسان ويحققه .

٦٨ — وفي الصفحة ٩٦/١٢ : « عشت العثة » والصواب : عثت بالثاء .

٦٩ — وفي الصفحة نفسها س ١٦ :

كأنها بيضة َعزّاء خُدّ لهــا   في عثمث ينبت الجوذان والعذما

وعلق المحقق في الحاشية بقوله : ديوان القطامي ص ٦٩ ط بربل تحقيق بيرت والرواية فيه :

كأنها بيضة غراء . . . . . .   والغذوا

والصواب : أن يكون البيت على النحو الآتي :

كأنها بيضة غرّاء خُدّ لهــا   في َعثمث ينبت الحوذان والعَذَما

كما في اللسان (مادة عثث) ، ورواية أبي حنيفة « خُط لها » .

فهي غرّاء بالراء وليست عزّاء بالزاي وهي الحوذان بالحــاء المهملة وليست الجوذان بالجيم كما جاء في نص المحقق ، وهي العذما » وليست الغذوا في حاشية المحقق .

وجاء في اللسان أيضاً مادة (عذم) : قال والعذم نبت قال القطامي : البيت وحكاه أبو عبيد بالغين أي الغذم وهو تصحيف .

٧٠ — وجاء في حاشية الصفحة نفسها :

نأت بسماد عنك نوى شطون   فبات والفؤاد بهــا رهين

والصواب : فبانت بالنون .

٧١ — وجاء في الصفحة ١٢/٩٧ : « فنحيا كراماً أو نموتُ فنعذرا » والصواب : أو نموتَ لأنه منصوب بـ « أن» مضمرة على رأي جمهور النحاة .

٧٢ — وجاء في الصفحــة ٩٨ / ١ : « بينها » والصواب : بينهــا لاستقامة الوزن .

٧٣ - وجاء في الصفحة نفسها س ١٠ : « والعَرْ والعَرَّةُ » والصواب : والعُرُّ بالضم .

٧٤ – وجاء في الصفحة نفسها ١٠ : «والمرار والمرارة المجلان عن الطعام» ، والذي في اللسان : « والمرار والمرارة المجّلان عن وقت الفطام . وكذلك في تهذيب اللغة ١/١٠٣ .

٧٥ – وجاء في الصفحة نفسها س ١٤ : «قال الأخل» والصواب : «قال الأخطل» .

٧٦ – وجاء في الصفحة ٩٩/٩ : «وشجر العرا : الذي لا يبقى على الجذب» والصواب كما جاء في اللسان : «شجر العرا الذي يبقى على الجدب» (بالدال المهملة) وزيادة لا النافية في نص العين غلط من زيادات النساخ .

٧٧ – وجاء في الصفحة نفسها س ١٣ : قال لبيد :

تَبْكي على أثر الشبـــاب ولكن أخدان الشباب الرعارع

أقول : وجاء في أساس البلاغة (مادة رعع) : «وتبكي» أي بزيادة الواو في أوله . وجاء في اللسان : قال لبيد ، وقال ابن برّي : وقيل هو للبعيث :

تُبَكّي على اثر الشباب الذي مضى ألا إن أخدان الشباب الرعارع

وجاء في حاشية اللسان : قوله «تبكّي» كذا ضبط في بعض نسخ الجوهري ، وفي الأساس وتبكي بالواو .

أقول : وجاء في اللسان عجز البيت برواية «أخدان» وقد جاء في اللسان (مادة شيع) البيت برواية اخوان بدل أخدان .

٧٨ – وجاء في الصفحة نفسها س ١٧ : «قال معاوية لرجل : «إني أخشى عليك رَعاع الناس» أي فراغهم .

أقول : والذي في أساس البلاغة : قال : وفي الحديث «إني أخاف عليكم رعاع الناس» . ولم يشر المحقق إلى هذه المسألة في الخلاف .

٧٩ – وجاء في الصفحة ١٠٠/٨ : «والأمُّ تعلّلَ الصبي ...» والصواب «تعلّلُ» بضم اللام لوجوب الرفع .

٨٠ – وجاء في الصفحة ٥/١٠١ : « والمَلّ : التيسِ » والصواب : التيسُ بالضم .

٨١ – وجاء في الصفحة نفسها س ٦ : « وعلهباً من التِّيوس علا » والصواب : التُّيوس بالضم .

٨٢ – وجاء في الصفحة ١٦/١٠٣ : « ويجمع على أعنّة وعُنّ » والصواب وعُنُن كَسُبُل .

٨٣ – وجاء في الصفحة نفسها (الحاشية) :

ان لنا مكنه معنة مفنة

كالريح حول القنه

والصواب : ان لنا مكنه معنة مفنه

كالريح حول القنه

والرجز في اللسان (عنن) والمفنة التي تفتن عن الشيء فهي بالفاء وليس بالغين .

٨٤ – وجاء في الصفحة ٨/١٠٤ : « قد كدا » بكسر الميم والصواب فتحها .

٨٥ – وجاء في الصفحة نفسها س ١٠ : « وربيعة تجعل مكان الفاء شيناً » والصواب : « وربيعة تجعل مكان الكاف شيناً » وفي المخطوط : « وربيعة تقول في موضع الكاف المكسورة شيناً » . وكان على المحقق اللغوي أن يفطن إلى موقع الخطأ في النص الذي أثبته فليس في اللغات القديمة للقبائل العربية إبدال الشين بالفاء .

٨٦ – وفي الصفحة نفسها (في الحاشية) : « قال ازئدة » والصواب : « قال زائدة » ، وأظنه من خطأ الطبع .

٨٧ – وجاء في الصفحة ٥/١٠٥ : « وقوم عَفَّون » والصواب : « عَفَّون » فهو جمع مذكر سالم لـ « عفّ » وكان على المحقق أن يشير إلى جمعي التكسير للكلمة أي أعفّاء وأعفّة .

٨٨ — وجاء في الصفحة نفسها س ٦ : « عفٌ فلا لاصٍ ولا ملْصيّ » والصواب عَفٌ بالضم فهو نعت على وزن فَعْل وليس فعلاً ماضياً كما أثبته المحقق .

٨٩ — وجاء في الصفحة نفسها س ٩ : « والعَفافة » بفتح العين والصواب ضمها فهي على فُعالة مصدراً في بقايا الأشياء .

٩٠ — وجاء في الصفحة نفسها س ٩ : « والعفف : ثمر الطلح » والصواب : « والعَفعف ثمر الطلح » كذا ورد في اللسان وفي مختصر العين .

٩١ — وجاء في الصفحة نفسها س ١٣ : « وهذيل تقول للقصاب الفعفعانيّ » كذا بالجر والصواب : « الفعفعانيُّ » بالضم .

٩٢ — وجاء في الصفحة نفسها (الحاشية) : « إليه اجتزاز الفعفعي » والرواية من ديوان الهذليين .

أقول : والذي في ديوان الهذليين « اجتزار » بالراء وفي الحاشية : « ويروى احتزاز » .

٩٣ — وجاء في الصفحة ١٠٦/٥ : « يَعُبّ عباً » بفتح الباء من الفعل ، والصواب ضمها .

٩٤ — وجاء في الصفحة نفسها س ٦ : « الفرسُ الكثيرَ العدو » والصواب : « الكثيرُ » .

٩٥ — وجاء في الصفحة نفسها س ٧ : « الشديدُ الجَريةَ » والصواب : الجِريةِ بالكسر لأنها مضاف إليه وبكسر الجيم لدلالته على الهيأة .

(يتبع) الدكتور ابراهيم السامرائي

مخطوطات حلب

... قد يطول الحديث عن المكتبات القديمة في حلب ـ عن الخزائن المنتشرة في أروقة الجوامع والمدارس الدينية .. إنها كثيرة .. تضمّ مئات الكتب المخطوطة بل الآلاف ... وهنالك .. امتدّت إليها أيدي العابثين فانتقلت من مقرّها إلى شتى مكتبات العالم .. ولم يبق من هـذا العدد الوفير غير خمسة أو ستة آلاف مخطوط قامت « دار الكتب الوطنية » بجمع ما تفرق منها في المدارس والجوامع ، وكتاب فهارسها .. ثم سلمتها إلى مكتبة الأوقاف الإسلامية في قصة وظروف ليس هنا مجال سردها ..

وعناية حلب بدور الكتب جدّ قديمة ..

فمنذ عهد سيف الدولة أو قبله إلى يومنا هذا ، وهذه العناية لم تنقطع .. توارثها الأبناء عن الأجداد حتى كان البعض يعتبرها حلية من حلى البيوت والقصور .. وكان يفاخر الرجل إذا وقف طائفة من الكتب على مدرسة ما ليفيد منها طلاب العلم ـ فيعتبرها من أمتع وأثمن هداياه ..

يقول الحافظ الذهبي في تاريخه :

« ... إنه كان في خزانة الكتب بحلب عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة بن حمدان وغيره .. » .

وكرّت الأيام وتعاقبت العصور وخزائن الجوامع والمدارس وبيوت العلماء تزداد أو تنقص حين تنقضّ عليها الأيدي العابثة .. إذ لم تكن المكتبات تخضع في الماضي لهذه الأنظمة التي نعرفها اليوم ..

كانت مفتحة الأبواب يغرف منها الطالب ما يريد . والمفروض أن يعيد الكتاب بعد أن يفرغ من مطالعته والإفادة منه إلى مكانه كما توجبه الأمانة العلمية . . ولكنه يهمل ذلك .. أو يعيره لصديق له كأنه ملكه . أو ـ وهذا الأرجح ـ يضنّ أن يخرج من حوزته فيضمّه إلى مكتبته ، ولا يتورع بعض هواة الكتب أن يستبيحوا ما طاب لهم من ثمرات تلك المكتبات الزاخرة بفنون المعرفة بدعوى أنهم أحق بها من غيرهم . . .

في تاريخ ابن خلّكان . في ترجمة أبي السعادات المعروف بالمسعودي :

انه لما دخل السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى حلب سنة ٥٧٩ هـ نزل المسعودي إلى جامع حلب ، وقعد في خزانة كتبها الموقوفة ، واختار منها جملة ، لم يمنعه منها مانع ..

ولقد رأيته ـ والكلام هنا لأبي بركات الهاشمي ـ قال : لقد رأيته وهو يحشوها في عيدل ... ! (١)

ويعقّب المؤرخون على هذه الحادثة بأن السلطان صلاح الدين مؤاخذ لعدم ردعه للمسعودي عن أخذه هذه الكتب ! ..

وبعد المسعودي جاء كثيرون إلى حلب ولا سيما المستشرقون الذين ابتاعوا من المتولّين الكثير من النفائس التي نقلت بالسرّ أو بالعلن ، إلى شتى مكتبات الغرب .. ولهذا حديث فيما بعد ..

* * *

لقد عرفت حلب ، بين المدن الإسلامية الكبرى ، بوفرة مكتباتها المليئة بنفائس المخطوطات ، وسببه حرص الأجداد على اقتناء ذخائر الكتب حرصاً يدعو إلى العجب . . .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص (٥٢٠) المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ .

فمن الحكايات اللطيفة التي ترينا مدى هذا الحرص القصة التي يرويها الصلاح الصفدي عن الوزير جمال الدين القفطي قال :

« انه وقع له نسخة من كتاب الأنساب لابن السمعاني بخطه ، ينقصها مجلد من أصل خمسة ، فلم يزل يبحث عنه ، ويطلبه من مظانّه دون أن يظفر به .

« ثم جاءه أحد أخصّائه وأخبره أنه اجتاز سوق القلانسين الذين يعملون القلانس ، فوجد أوراقاً منه ، وأحضرها إليه ، وذكر القصة فأحضر الصانع وسأله عنه فقال :

اشتريته في جملة أوراق .. وعملت قوالب للقلانس . !

فحدث عنده من الهم والغم والوجوم ما لا يمكن التعبير عنه ، حتى إنه بقي أياماً لا يركب إلى القلعة ، وقطع جلوسه ـ أي استقبال الناس ـ وأحضر من ندب على الكتاب كما يندب على الميت المفقود المؤيس منه .. وحضر عنده الأعيان يسلّونه كما يسلّى من فقد له عزيز . ! . .

ولا غرابة أن يحزن هذا القاضي العالم الذي كانت له مكانته السامية أيام الملك الظاهر . والذي تولى الوزارة فلقب بالوزير الأكرم في أيام الملك العزيز ـ لا غرابة أن يحزن على فقد كتاب هذا الحزن الأليم ، فقد كان من أوفى الناس للكتاب ، جمع من الكتب ما لا يوصف ، وقصد بها من الآفاق ، إذ كان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم يكن له دار ولا زوجة . وأشار المؤرخون إلى مكتبته التي اعتبروها من أندر المكتبات التي تساوي خمسين ألف دينار ـ أوصى بها بعد مماته ، للناصر صاحب حلب .

ويعلم القراء أن جمال الدين القفطي « ٥٦٨ — ٦٤٦ هـ » قد صنف عدة كتب أشهرها « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » و « إنباه الرواة على أنباه النحاة » و « الدر الثمين في أخبار المتيّمين » و « أخبار مصر » في ستة أجزاء و « بقية تاريخ السلجوقية » .. وغير ذلك من المصنفات النفيسة ..

فمكتبة عالم واحد قدّرت قيمتها بخمسين ألف دينار .. فما ثمن مكتبات جهابذة العلماء الذين عاشوا في حلب وتركوا آلاف المخطوطات. وأكثرها بخطوطهم!

* * *

ويروي الشيخ كامل الغزي مؤلف كتاب « نهر الذهب في تاريخ حلب » عدة قصص في ولع الحلبيين بالكتب ، وعن اللصوص الذين امتدت أيديهم إلى هذه الذخائر فيقول :

« .. إن ولع الحلبيين باقتناء الكتب كان ولم يزل غريزة فيهم ، فقد أدركنا الكثيرين من علماء حلب وأغنيائها من هو شديد العناية باقتناء الكتب المخطوطة النادرة حتى انهم كانوا يتسابقون إلى اقتنائها ويبذلون الأموال الطائلة في استنساخها ..

« أدركنا منهم من استكتب كتاب « تاج العروس » للزبيدي شرح قاموس الفيروزابادي فصرف عليه نحواً من مائتي ذهب عثماني ، إلى غير ذلك من الكتب الكبيرة التي كان أغنياء الحلبيين يتسابقون إلى اقتنائها » .

ثم يقول :

« أدركنا في مدينة حلب عدة مكتبات غنية بالكتب المخطوطة النادرة قد تسلط عليها لصوص الكتب فسلبوها كل ما حوته من الطرف والتحف . واننا منذ زمن الصبا حتى الآن ـ نرى تجار الكتب المخطوطة يترددون إلى حلب ويملأون من مكتباتها الصناديق الكثيرة عدا ما نراه من سواح الغرب وسماسرة المستشرقين الذين يختطفون الكتب النفيسة الخطية من أيدي طائفة من البسطاء لا يفرقون بين الطين والعجين ، فيشترونها منهم بأبخس الأثمان .

« وإني على يقين من أن مدينة حلب ما زال يوجد فيها العدد العظيم من الكتب الخطية النادرة التي إذا بحثت عنها وجدتها في زوايا الإهمال والنسيان

في بيوت جماعة من جهلة العامة قد هبطوا من أصلاب رجال كانوا يعدّون من نبغاء العلم والأدب فخلف من بعدهم خلف أهملوا العلم وركبوا متن الجهل وباعوا ما كان في خزائن أسلافهم من الكتب والأسفار ، وبقي عندهم منها بقية عدّوها من سقط المتاع حتى إذا لفتتهم إليها الصدف حملها واحد من أطفالهم أو واحدة من عجائزهم وقصد بها باعة الكتب أو السوق العامة المعروفة بسوق الجمعة حيث تباع السلع الرخيصة فيبيعون منها ما قيمته بألف قرش مثلاً بنصف قرش .

« من الصدف الغريبة التي صادفتها أنني بقيت مدة طويلة أبحث عن كتاب « كنوز الذهب » فلم أظفر به ، ومضى على ذلك أعوام ، وقد يئست من الظفر به . إلى أن كنت يوماً من الأيام مارّاً في سوق من أسواق حلب إذ أبصرت بامرأة عجوز يدل إزارها على فقرها وفي يدها كتاب يلوح عليه القدم ، فاستوقفتها وقلت لها ما هذا الكتاب ؟ أجابتني بقولها « قصة حلب » فتناولته من يدها وسرعان ما فتحته وقرأت من خطبته سطوراً ، فإذا هو ضالتي المنشودة « هو كتاب كنوز الذهب » بخط مؤلفه . فقلت لها : بكم تبيعينه ؟ قالت : دفع إلي به بايع الكتب خمسة قروش وأنا لا أبيعه إلا بعشرة قروش ، فنقدتها عشرة قروش ، وأخذت منها الكتاب ، ولو أنها طلبت مني ثمنه ألف قرش لما استكثرتها .

ثم يتحدث عن المكتبات التي فقدت فيقول :

« أما المكتبات المفقودة في حلب ، وكانت على جانب عظيم من الغنى فهي مكتبة بني الشحنة ، ومكتبة بني العديم ، ومكتبة بني الخشاب ، وغيرهم من الأسر العلمية التي كانت تعدّ من أجلّ بيوتات العلم في حلب . ومن تلك المكتبات مكتبة الجامع الكبير ، ومكتبات المدارس الكبرى ، كالمدرسة السلطانية والعصرونية والحلوية والشرقية والرواجية ، فإن جميع هذه المكتبات

فقدت برمتها في حادثة تيمورلنك . فمنها ما استأثر به تيمورلنك واتباعه ، ومنها ما انتهبته العامة أثناء تلك الحادثة وطرحوه في زوايا بيوتهم ثم باعوه بأبخس الأثمان (١) .

* * *

شهرة مخطوطات حلب دفعت بعض المستشرقين أن يؤموا المدينة للبحث عن هذه الذخائر . ولعل أول مستشرق قصد حلب وغرف الكثير الكثير من مخطوطاتها قسّ انكليزي جاء مع الوكالة التجـــارية الانكليزية The English Factory قبل نيّف وثلاثمائة سنة (٢) .

لقد أحب هذا القسيس الشاب الشرق بعد أن اطلع ، وهو تلميذ ، على بعض الكتب الدينية وغيرها التي تتحدث عن الشرق ، وكان مدرساً للتوراة في « كورب كريستي كوبليج ـ مدرسة جسد المسيح » حيث حصل سنة ١٦٢٤ على شهادة الماجستر ، وأخذ مبادىء العربية على البروفسور ماتياس باسورا الألماني ، ثم اتصل بوليم بيدويل ، أكبر علماء الانكليز بالعربية آنئذ ، وهو الذي أصدر أول ترجمة انكليزية للقرآن الكريم ، والذي كان يصف اللغة العربية بأنها اللغة الوحيدة للدين . واللغة الرئيسية للسياسة والعمل من الجزائر السعيدة إلى بحار الصين .

حين وصل هذا القس إلى حلب أخذ يبحث عن أستاذ ضليع في اللغة العربية ليتتلمذ عليه .. ولم يطل بحثه ، فسرعان ما وقع اختياره على عالم من كبار العلماء ومن أئمة البيان وهو الشيخ فتح الله البيلوني .. فتتلمذ عليه ، وبدأ يلازمه صبح مساء ، وظلّ يقرأ عليه ويأخذ عنه مدة خمس

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب ج ١ ص ١٦٩ ـ ١٧١ .
(٢) كانت الوكالة الانكليزية مؤلفة من قنصل وأربعة تجار وقسيس وطبيب وحاجب ، وهي أول بعثة أجنبية تؤسس في حلب في بداية سنة « ١٥٨١ م = ٩٨٩ هـ » .

سنوات كامله إلى أن استطاع أن يحذق الفصحى بد أن حذق « العامية » من أفواه الحلبيين .

وكان لابد له من مراجع للاستزادة من علوم العربية ، وكانت خزانات الكتب مفتوحة لكل طارق ، فكان يؤمها بصحبة أستاذه أو وحده بعد أن يؤذن له بدخول الجوامع والمدارس ، وقد هاله أن يرى علوم الشرق مبثوثة في هذه الكتب . . وازداد تردداه ، وكثيراً ما كان يقضي النهار كلّه في القراءة والنسخ . .

إنه إزاء ثروة لا تقدر بثمن . . فتحلّب ريقه . . فلم يكد يهمّ بالعودة إلى وطنه حتى امتدت يده إلى ما يقرب من ألفي مخطوط !

لم يكن هذا القسيس الذي أخذ ثقافته العربية عن مخطوطات حلب سوى المستشرق الانكليزي الشهير ادوار پوكوك .

يقول الدكتور ج . أ . أربري مؤلف كتاب « المستشرقون البريطانيون » في صدد كلامه عن پوكوك أنه في أثناء السنوات الخمس التي عاشها في حلب جمع مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية تكوّن الآن قسماً من أثمن محتويات المكتبة البودلية — نسبة إلى أستاذه وليم بيدويل مترجم القرآن الذي أهدى مكتبته إلى جامعة اكسفورد .

ويقول برتر لويس في كتابه « مساهمة البريطانيين في الدراسات العربية » وهو يعرض إلى مخطوطات حلب التي نقلها أدوار پوكوك :

« . . قد اقتنى مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية عاد بها إلى اكسفورد ، فأنقذها من الدمار الذي كان من المحتمل أن يحل بها » !

أنقذها من الدمار الذي كان من المحتمل أن يحل بها . .

لقد استوقفتني هذه الجملة كثيراً . . « ففيها تنطوي كل هذه الفوارق بين الشرق والغرب . . بين حرصه على مثل هذه الكنوز وبين تهاوننا في الحفاظ عليها ! .

وهذه المخطوطات التي تحمل بين صفحاتها علوم الأولين من فلسفة ومنطق وفلك وتاريخ وشعر وأدب — لم تكن في نظر بعض شيوخنا الأجلاء إلا تخرصات أولى بها القمامات أو ألسنة اللهب ! فالجهالة الطاغية من روح العصر في تلك الفترات السود لم تكن لتعطي أهمية بالغة لمثل هذه الكنوز التي كانت مبعثرة هنا وهناك ، غير معتنى بها ، كما قلت ، لا يلتفت إليها إلا بعض كبـــار المدرسين الذين كانوا لا يهتمون أيضاً إلا بكتب الفقه والتفاسير .. أما بقية كتب الأدب والحكمة والشعر والرياضة والفلسفة والمنطق ، فكانت في نظرهم أضاليل وتخرصات وهي اليوم لا تقدر بثمن ، ومرجع وثيق لفطاحل مؤلفي الغرب والشرق .

* * *

حين رجع ادوار پوكوك إلى وطنه رجع مزهواً بعمله وبما حمله من كنوز . وقد استقبلته لندن كرجل مغامر ، والسفر إلى الشرق في تلك الظروف لون من المغامرة ، فما كاد يستقرّ به المقام وينفض عنه أعباء السفر ، ويعرض هذه الكنوز التي حملها معه على زملائه وأساتذته حتى أخذت شهرته تستفيض ، وإذ كان من خريجي اكسفورد ومن حملة شهادة الماجستر فقد أسند إليه في ١٠ آب سنة ١٦٣٦ المنبر الجديد لأستاذية اللغة العربيـة ، فحاضر في الأدب والنحو ، وكانت أولى محاضراته عن بلاغة الإمام علي وكلماته ، وقد طبعت هذه المحاضرة سنة ١٦٦١ م ، وأقبل على محاضراته لا طلاب الجامعة فقط بل أكثر المتخرجين من الجامعة ، وبالأخص زملاؤه في التدريس .

وفي ختام السنة الدراسية قام برحلة ثانية إلى الشرق مع وليم جريفستر المستشرق البريطـاني المختصّ بشؤون الفلك والذي كان يجيـد العربيـة والفارسية معاً .

وقد سافرا إلى تركيا وأقاما في استانبول حتى سنة ١٦٤٠ م ، وكان لابد لادوار بوكوك وقد وصل إلى الشرق من زيارة حلب التي كان لها أثر غير قليل في تكوين شخصيته الأدبية ، وربما كانت حلب ، هي قصده من هذه الرحلة ، و « مخطوطاتها » هي السبيل ! واستطاع في هذه الرحلة أيضاً ، أن يجمع أنفس المخطوطات وأندرها ، ويعود إلى وطنه لينصرف إلى البحث العلمي ونشر المخطوطات ، فنشر كتاب « الحضارة العربية » وهو مقتبس من كتاب « مختصر الدول » لأبي الفرج ابن العبري وقد صدر سنة ١٦٤٩ م ، وكتاب « المختار من تاريخ العرب » الذي يعتبر أول نص عربي طبع في اكسفورد ، وقد عرض في هذا الكتاب إلى نشأة العرب وعاداتهم وآدابهم ودياناتهم ، وكتاب « مختصر التاريخ العام » لابن البطريق سنة ١٦٥٨ م ، وترجمة « معجم الأمثال الميداني » ولامية العجم وهي دراسة نقدية لقصيدة الطغرائي ، تصحبها ترجمة وتفاسير وافية وقد طبعت سنة ١٦٦١ م ، ومقالة عن مزايا القهوة من كتاب طب عربي نشرت سنة ١٦٥٩ م [١] .

وغير ادوار بوكوك كثيرون . ولا شك أن رحلة بوكوك أثارت الكثير من المستشرقين منذ تلك الفترة إلى بداية القرن العشرين فكانت حلب من المدن التي غزوها وامتدت أيديهم إلى مخطوطاتها ..

* * *

كتب إليّ المرحوم الأمير مصطفى الشهابي قبل بضع سنوات أن أبحث له عن كتاب « النبات » لأبي حنيفة الدينوري ـ وهو من مخطوطات المكتبة

(١) من قصص الصلات بين الشرق والغرب : بحث لسامي الكيالي في كتابه « من خيوط الحياة .. » ، المستشرقون البريطانيون للدكتور ا . ج . اربري ، المستشرقون لنجيب عقيقي .

الأحمدية ـ وأقوم بهذه المهمة بكثير من الارتياح . وأراجع فهرس المكتبة فأجد الكتاب مدوّناً . . وأطلبه فلا أجده . . وأفهم من الثقات أن أحد المتولين على وقف الجلبي قد باعه إلى مستشرق هولندي بثمن بخس ، بليرة عثمانية ، ويقدر الخبراء ثمنه بأكثر من أربعمائة ليرة عثمانية ذهبـــاً . لأن الكتاب بخط المؤلف ، ومصوّر ، فما من زهرة أو نبتةٍ إلاّ وقد رسمت بلونها الطبيعي .

والدينوري « ... — ٢٨٢ هـ » كما يقول ياقوت عنه ـ من نوادر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقـــدم ، ورواء وحكم . أما كتابه في « النبات فكلامه فيه ، في عروض كلام آبدي بدوي ، وعلى طباع أفصح عربي » .

* * *

هذا ، وقبيل الحرب العالمية الأولى وفي سنة ١٩١١ م على الأرجح امتدّت يد الشيخ . . . . . إلى مخطوطات حلب فجمع عدة صناديق ، وبعد أن أصبحت في حوزته خلال أعوام اتصل بكتبي شهير في القاهرة يتاجر بالمخطوطات . وهو حلبي الأصل — فعرض عليه الفهرس وبعد أن اطلع عليها اتفقا على السعر وتمت الصفقة بمئة ألف قرش ذهباً ـ ألف ليرة افرنسية ـ دفع منها خمسمائة ليرة سلفاً وكتب بالباقي سفاتج ـ كمبيالات . . .

وشحنت الكتب إلى القاهرة ، وعرضها الكتبي على « الكتبخانة المصرية ـ دار الكتب اليوم » ، وبعد أن اطلعت الهيئة المكلفة بفحص المخطوطات ـ على الفهرس قرّرت ابتياعها بأي ثمن بالنظر لندرتها ولقيمتها العلمية . .

وخلال فتح الصناديق والمباشرة بعملية الاستلام لوحظ أن أوراقاً سميكة ـ من الورق المبيدي ـ ملصقة على الصفحات الأولى . . ويُسأل الشيخ صاحب الكتب عن الأمر فيحير جواباً ثم يقول إنها ملصقة لحفظ الكتاب

من التلف ! . . وتلاحظ الهيئة أن أكثر من مخطوط بهذا الشكل مما أثار ريبتها وشكوكها ! وجاء أحد المختصين باسفنجة مبلولة وأزال الورقة بحذق . . وظهر اسم الكتاب ومؤلفه ، وأنه وقف ، مع تحذير شديد من سرقته أو بيعه ! . .

ويفتح كتاب ثان وثالث ورابع وإذا كلّها من الكتب الموقوفة . . وهنا توقفت دار الكتب عن الشراء ، وقررت أن تخبر السفير التركي بالأمر ، باعتبار أن السرقة من حلب ، وحلب من الممالك العثمانية — فهلع البائع والكتبي الذي دفع نصف ثمنها سلفاً ، وهو مبلغ غير قليل ، فما كان منه إلا أن لجأ إلى صديقه أحمد زكي باشا — شيخ العروبة — وهو سكرتير مجلس النظار ، فتدخل في الأمر ، وأفهمهم أن الكتبي لا ذنب له ، وأن حجز الكتب خراب بيته ، وبعد مفاوضات طويلة سلمت إليه . . وما هي فترات ، وبعد أن خمدت الضجة نقلها الكتبي إلى الاسكندرية حيث عرضها على القومسيون البلدي الذي ابتاعها لمكتبة الاسكندرية بألف ليرة افرنسية ذهباً . . ولا تزال هذه المخطوطات الحلبية في مكتبة بلدية الاسكندرية .

* * *

وقد ظلت قصة هذه السرقة تردد ، منذ نيف ونصف قرن ، في البيوتات الحلبية العريقة ، ويتداولها الشيوخ والعلماء الذين لا يزالون يلعنون ذلك الشيخ الذي أقدم على هذه الفعلة الشنعاء ، وقد كان من أمره ، بعد هذه الفضيحة ، وبعد أن أصبح مضغة الأفواه — أن هجر المدينة وعاش بقية أيامه في الأرياف ! .

وأقف عند هذا الحد من روايات المؤرخين والثقات عن مخطوطات حلب التي لا يمكن إحصاء عددها الوفير . . فمنذ عهد الأمير الحمداني الذي قدرت مكتبته التي وقفها بعشرة آلاف مخطوط . . إلى كتب جهابذة اللغة والأدب

والشعر وأساطين العلماء والفلاسفة وغيرهم من رجال الفكر الذين عاشوا في ظلاله . . إلى المخطوطات التي عدا عليها تيمورلنك . . إلى مكتبة الوزير جمال الدين القفطي التي قدرت بخمسين ألف دينار ، إلى مكتبات ابن الشحنة وابن العديم وابن الخشاب وغيرهم وغيرهم من أصحاب المواهب الذين دونوا وألفوا وكانت لهم مكتباتهم الخاصة ، والذين عاشوا في مملكة حلب على مر العصور . . إلى المخطوطات التي امتدت إليها الأيدي العابثة من المستشرقين ومن غير المستشرقين ـ نعم ، لا يمكن إحصاء عددها الوفير ، ولا علينا أن نفترض ـ ولا مجال للمبالغة ، أن عددها قد جاوز المائة ألف مخطوط ولم يبق منها غير بضعة آلاف ذهب أنفسها وأندرها إلى مكتبات لندن وليون وباريس وبرلين وغيرها من مدن الشرق والغرب .

* * *

وبعد فأشعر أن الحديث لم ينته ، وسأعقبه بحديث آخر عن المخطوطات الباقية ، والتي هي الآن في حوزة مكتبة الأوقاف الإسلامية وتضمّ على قلتها الكثير من النفائس . .

سامي الكيالي

التعريف والنقد

فتاوي الإمام محمد رشيد رضا

في مجـــلدين

جمعها وحققها : الدكتور صلاح الدين المنجد

دار الكتاب الجديد بيروت ـ لبنان

لايخفى أنّ واجب العلماء هو مواجهة الحقائق التي ظهرت في هـذا العصر ، وبيان الأحكام في استعمال جميع ما استحدث من المخترعات إلى اليوم على قاعدة جلب المصالح للأمة ودرء المفاسد عنها ، أي أن تكون فتـاوي العلماء ـ الواقفين على أسرار التشريع ، وكنه الزمن وحاجة الأمة ـ هادية إلى حفظ وحدتها ، وتنمية ثروتها ، وحماية حوزتها ، ودفع عوادي الشرّ عنها ، مع إثبات أن ذلك هو الذي يقتضيه هَدْي الإسلام ، وترشد إليه آيات القرآن ، وأن المسلمين هم أولى بالمسابقة والسبق في هـذا المضمار ، فاستثارة دفائن الأرض ، واستخراج كنوزها ومعادنها ، وعلم الزراعة وفنّ الريّ ، وإقامة الجسور والمداخل ، وتشييد الدور والقصور ، وإنشاء السكك الحديدية والحصون والقلاع ، هو عين ما يذكره الفقهـاء في أبواب الرّكاز والمعادن وإحياء الموات ، ومطـابق لنصوص الآيات والأحاديث الواردة في ذلك ، وصنـع المصفحات والدّبابات والمناطيد والطيـارات ، والمدرّعات والغوّاصات ، والكهرباء وسائر ما ظهر في الوجود من المخترعات والمكتشفات النافعة ، هو مما أرشد الإسلام إليه ، ودلّ عليه مثل قوله تعالى « وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه » .

وهذا هو الفقه العامّ في الإسلام ، وفقه الفروع والأحكام منبثق عنه ، أو هو جزء منه ، والفقه باطلاقه سداد في العلم ، ودقة في الفهم ، وإصابة في الحكم ، وهو الذي دعا به الرسول ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس بقوله : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ، فكان فقيه الأمة وترجمان القرآن .

كان السيد الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى ورضي عنه عالماً مستقلاً مستدلاً ظاهر الحجة ، قويّ العارضة ، لا يقبل منقولاً لم يثبت دليله ، ولا معقولاً لم تستبن سبيله ، أما فتاويه فقد أوتي فيها من نور البصيرة ، وسعة العلم ، وشجاعة القلب ، وظهور الحجة ، وقوة اللّسَن ما لم يؤته إلاّ الأقلّون في كل عصر .

وقد يسّر الله تعالى لجمعها وطبعها الدكتور صلاح الدين المنجد ، فصدّر المجلد الأول منها (البالغ أربعمائة صفحة بالقطع المتوسط) ـ بترجمة لصاحب المنار وتفسيره ، راجع لها عشرات المراجع ، وحرّرها نقلا عنها واستنباطاً منها ، ومصادرها حتى الأجنبية مذكورة في أولها ، وهي (أي الترجمة) مع الفتاوي مُقدّرة بمجلدات ، وهذا الجهد العظيم ، والعمل المتواصل ، لايقوى على مثله إلا أولو الهمم العالية ، والأخلاق السامية ، وعاشقو نشر العلم الصحيح ، فجزى المولى تعالى الدكتور صلاح الدين أفضل ما يجازي عباده الصالحين وزاده إحساناً وتوفيقاً .

من أهم ما يراه الناظر في فهرس فتاوي الإمام المترجَم (ج ١) : كروية الأرض ، حكم التداوي بالمحرّم ، تعليم النساء الكتابة ، دعوة المنار لتعميم العربية ، شبهة على الوحي ، الصور الشمسية ، كيفية الاعتقاد بالوحي ، التلفيق بالتقليد ، عبادات الجاهل ، صندوق التوفير في إدارة البريد ، البعث الجثماني ، الدليل على وجود الله تعالى ، البيع في الذّمة والسَّلَم والمضاربة المصرية ،

قصص القرآن ، المذاهب الإسلاميـة في الأصول وطريقة النـار ، تعدد الزوجات ، الأعطار الإفرنجية والكحول ، حضور عبادة النصارى ، التوارث مع اختلاف الدين ، خلود المشرك في النار ، الحكمة في اختلاف الناس في الدين ، مطالعة كتب الملل غير الإسلامية ، حروف الكتابة — احترامها ، الطلاق – اشتراط القصد منه ، الأسئلة الباريسية ، مسافة القصر في سكك الحديد ، اشتراط الولي في النكاح ، زواج الشيعي بالسنّية .

وأما المجلد الثاني من فتاوي السيد الإمام محمد رشيد رضا (رحمه الله ورضي عنه) فهو كسابقه في القدرة على حلّ ما استعصى من مشكلات العصر وحوادث الزمن ، بالأدلة الجامعة بين المعقول والمنقول ، المثبتة أن الإسلام هو دين الفطرة والعقل والعلم ، الصالح للأزمنة والأمكنة والأقوام وقد تقدمت أمثلة كثيرة لذلك كلّه فيما كتبناه عن الجزء الأول ، ومن أمثلة فتاوي هذا المجلد الثاني (البالغ كسابقه أربعمائة صفحة بالقطع المتوسط) ضمان البضاعة وسلع التجارة والسيكارتو ، صلاة النساء في المساجد ، بيع الدَّين بالنقد والأوراق المالية ، تمثيل القصص في المسارح العامَّة ، يانصيب ، قيام الدين بالدعوة ، وحديث أمرت أن أقاتل النـــاس . مسأله أمانات البنك ، مسألة مخالفي القرآن في الميراث ، أسئلة من القاهرة عن الربا ، الجنة والنار ، القطب والأبدال والأنجاب ، والخضر ، وسند أهل الطريق ، ترجمة القرآن ، سدّ يأجوج ومأجوج ، حكم صور اليد والصور الشمسية ، وجه المرأة الحرّة ، احترام المسلم لشعائر غـيره الوطنية والدينية ، الزكاة في القراطيس المالية « الأنواط » ، مسألة خلق القرآن وقِدمه ، جعل الدية على العاقلة وحكمة ذلك ، القضاء والقدر ، زواج المسلم بغير المسلمة ، هل الأوربيون نصارى ؟ إعلان الموت على المنارة ، لعب الشطرنج ، خطبة جمعة في سوء حال المسلمين في هذا الزمان .

هذه شذرات من عناوين فتاويه ، وكلّها أجوبة لمسائل وحوادث وقعت للمستفتين وغيرهم ، مما يجب السؤال عنه ومعرفة حكمه الشرعي جوازاً أو منعاً ، ليكون السائل وغيره على بصيرة من دينهم وأمرهم ، وتطبع هذه الأجزاء أو المجلدات تباعاً الواحد تلو الآخر ، وهي فتاوى المنار ، التي اشتهرت في الأقطار ، فرحم الله السيد الإمام الرشيد وأثابه أجزل الثواب ، وأحسن إلى الطابع الدكتور صلاح الدين المنجد ، كما أحسن بطبعها كل الإحسان .

محمد بهجة البيطار

ولاية الله ، والطريق إليها

صفحاته (٥٥٠)

دراسة وتحقيق لكتاب :

قطر الولي ، على حديث الولي ، للإمام الشوكاني

بقلم : إبراهيم إبراهيم هلال

تقديم : ابن الخطيب

ما أشدَّ حاجة الأمة في كل زمان ومكان إلى هذه الولاية الإلهية ، وإلى الدلالة عليها ، ومعرفة الطريق الموصلة إليها . والناظر في آي القرآن الكريم بتدبر وإمعان ، يراها مجتمعةً في ثلاث آيات كريمة ، وهي قوله سبحانه : « ألا إنَّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البُشرَى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم »[1] . فقد وصفهم تعالى بالإيمان والعمل ، ونفى عنهم الخوف والحزن ، وبشّرهم بالسيادة في الدنيا ، والسعادة في الآخرة .

---

(١) سورة يونس / ٦٢ ـ ٦٤ .

والولاية الإلهية كما لا يخفى هي زهد في الدنيا ، وعَرَضها الأدنى ، وإيثار لمرضاة الله عليها ، وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان فصاروا بهدي الله ، أمة دين وعرفان ، ومدنية وعمران ، وعزة وثروة وقوة ، وعلوم وفنون وصناعات .

وهذا الكتاب (١) : (ولاية الله والطريق إليها) للإمام الشوكاني الشهير ، ولمحققه الكاتب الكبير ابراهيم ابراهيم هلال ، هو شرح لحديث الولي ، ونصّه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه ، إلى آخر هذا الحديث الشريف ، ومبنى الكتاب عليه . وفي طليعته تقديم للكتاب بقلم العلاّمة الجليل (ابن الخطيب) صاحب أوضح التفاسير . ثم مقدّمة المؤلف الإمام الشوكاني ، ومقدّمة الأستاذ الهلال ، بيَّن فيها أنّ دراسته لهذا الكتاب تشتمل على ثلاث فقرات : الأولى تعريف بالإمام الشوكاني ، والثانية : الدراسة على هذا الكتاب ، وفيها بيان مدى موافقة ما جاء فيه القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة ، والثالثة : تحقيق الكتاب : (قَطر الولي ، على حديث الولي) .

قال الأستاذ (الهلال) المحقق : وهذا الكتاب يعتبر في عمومه ردًّا على آراء الباطنية . . . في الولاية والأولياء ، وتبييناً للصورة الحقيقيــة للولي كما يريده الله سبحانه ، حسبما ورد في القرآن الكريم ، وفي السنة الصحيحة .

هذا ومَن أراد استيفاء المباحث ، فعليه بمراجعة الفهارس في آخر الكتاب ، ففي أولها محتويات الكتاب ، فالإهداء والتقديم والمقدمة ، ثم عَقَد فصولاً خمسة : (١) مَن هو الولي (٢) شخصيات الأولياء وأصنافهم (٣) الطريق إلى ولاية الله (٤) الإنسان بين مظاهر حبّ الله (٥) أفضل الأولياء .

(١) تفضل بإهدائه إلى المجمع فضيلة الأستاذ الشهير الشيخ محمد نصيف حفظه الله .

وهذه الفصول الخمسة مقدّمات تبلغ مائتي صفحة ، وهي دراسة للمحقق (الهلال) وفيها بيان أنّ الصحابة الكرام ومَن تبعهم بإحسان ، هم الذين تصدق عليهم هذه الولاية الإلهية ، وهي علم وعمل واعتقاد وجهاد ، ثم سرى في الأمة اسم الولاية على التصوف وهو الانعزال عن الناس ، مع صفاء القلب والسريرة (صافَى وصوفيَ حتى سُمّيَ الصوفي) . ثم بَعُد عن الأصل ، وصار علماً اصطلاحيّاً ، تذكر فيه المقابلات بين الحق والخلق ، والوجود والشهود ، والبقاء والفناء) ، وشواهد ذلك كلّه موجودة ومعروفة في الفتوحات وفصوص الحِكم للشيخ ابن عربي ، وغيرهما ككتب الشيخ الجيلي ، ثم ضعف وانقلب عند بعض العامة إلى شعبذة وشعوذة ، ولكنّ مؤلف الكتاب ومحققه ردّا أبلغ ردّ على الفِرَق المنحرفة عن ولاية الله تعالى الظاهرة في الكتاب والسنة ، وما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة ، ويدعون الدعوة الصادقة إلى إعادة الولاية إلى ما كانت عليه في الصدر الأول للإسلام .

وبعد ذلك كله ذكر المحقّق النُّسَخ التي رجع إليها في التحقيق (ص ٢٠٣ – ٢٠٧) وصوراً منها (ص : ٢٠٩ وما بعدها) ، ويبدأ من (ص : ٢١٧) تقديم المؤلف لكتابه . وبعده فصوله الأربعة : (١) مَن هو الولي . (٢) الطريق إلى ولاية الله . (٣) أثر محبة الله في حياة الولي . (٤) قيمة هذا الحديث في السلوك والأخلاق .

وتحت هذه الفصول حقائق مقنعة ، ومباحث ممتعة ، وأبواب كثيرة ، وفوائدها غزيرة ، وتجد في صفحاتها تراجم للأعلام التي يذكرها المؤلّف ، بقلم المحقق ، وما تختلف فيه النُّسَخ الخطية من الكلمات ، إلى آخر الكتاب (ص ٥٢٤) . ثم أهمّ المراجع العربية (إلى ص ٥٣٤) ويشار فيها إلى الطبعات (وفي صفحة ٤٣٥) المراجع الإفرنجية . ثم محتويات الكتاب كلّه ، ففصول المؤلف الأربعة (إلى ص ٥٤٣) وخُتم بفهرس أعلام الأشخاص التي وردت في الأصل ، وبالنصّ المحقّق ، برقم صفحاتها منها تعدد اسم صاحبها ، مرتبة على حروف الهجاء ، وآخرها : (يعقوب) وفي الصفحة

الأخيرة تصويب الخطأ ، وفاته كلمات نصوّبها مع رقم صفحاتها ، وهي :

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
عليها	ل	زهدًا	١٤٩
هذه	ع	الكريم	١٥٣
النضيد	٢٢	منكرًا	١٥٧
ليس متأثرًا	٢٥	أو والدان	١٥٩
نيكولسون	٦٨	واحدٌ	١٧٧
والتشيع	٦٨	واحد	١٧٨
إمام	٧٠	نفسا	١٨٣
مشكاة	٩٢	وداخلي	١٩٢
وبنيه	١٠٦	عادى	٢١٧
طبقة	١١٠	المؤذن	٢٨٤
عادى	١١٢	الافتا	٣٣٣
الوَلي	١٣٤	لمشاء	٣٣٤ من الشيّمْر
شرطا	١٣٤	الظالما	٣٣٤ من الشيّمْر
عن الرياء	١٣٦	تسلّت	٣٣٤ من الشيّمْر
		ما عملتُ	٣٧٠

م . ب .

لسان العرب المحيط

طبعة جديدة لمعجم « لسان العرب لابن منظور الأنصاري »

ألحق بها معجم المصطلحات العلمية الحديثة

إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي

وهي في ثلاثة أجزاء بحجم موسوعي ضخم وتحتوي على ما يقرب من ٥٠٠٠ صفحة
طبعت على مطابع « أوفست تكنوبرس » الحديثة ـ بيروت سنة ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م

ما زالت رؤية معجم عربي حديث ، يسعف طالب العلم المعاصر ويشفي غليل الظمىء إلى المعرفة ، أمنية كل عربي أو محب للعربية ، يرى الواحد منها المعاجم الحديثة لدى الأمم المتمدينة ، والمعجم العربي الذي بين يديه ما زال دونها في محتواه وفي مظهره وطباعته .

وكلما اشتد النقد الموجّه إلى « المعجم العربي » الذي يتداوله الناس ، لتخلفه عن مثيله الأجنبي في العلوم المتقدمة ، وقصوره عنه في الفنون المتجددة ، قام نفر من الغُيُر على العربية يُهيب بالمجامع اللغوية وبجامعات الأقطار العربية ، أن تحمل العبء وتدعو المختصين من العلماء بالعربية وبمختلف العلوم الأخرى ، إلى صنع المعجم المنشود ، ليتمكن العرب من اللحاق بالركب الحضاري ، ومواكبة الأمم التي تفوقت عليهم في العصر الحديث بالتقنية والمخترعات الجديدة .

وما تعالت صيحات الغيارى على العربية أو سمعت أنّات المتألمين من واقع المعجم العربي ، إلا هُرع رجال من أولي العزم إلى الإسهام في تطويره وتجديده أو فيما يفيد هذا التطوير والتجديد ، وما زال نفر من هؤلاء الرجال يتلو نفراً حتى بات كثير من الناس يعتقدون بأن أمنيتهم الغالية وشيكة التحقق ، والمطر إنما ينبئ عنه أريجه إذا فاح .

وأحدث مساهمة في صنع المعجم العربي المرتقب ، قام بها أديبان كبيران اقتحما الميدان مزوّدين بما يمكّنهما من الإسهام الفعلي بهذا الصنيع ، يشدهما إليه حبٌّ للعربية كبير ، ويدفعهما إلى الإقدام والتضحية بالمال ، غَيرة قومية تملأ جوانحهما وإيمان بالمستقبل يعمُر قلبيهما .

نظر السيدان يوسف خياط ونديم مرعشلي في تراثنا من المعاجم ، فوجدا معجم ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري المتوفى سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) ، وهو أجل موسوعة في اللغة والأدب ، قد التزم مؤلفه في ترتيب مواده آخر حروفها ، مما يعيق الإفادة منه عند فئات كثيرة من طلبة العلم ، فقاما إليه وأعادا ترتيبه وفق الحرف الأول من كل مادة فيه دون أي مساس بمحتواه ، ولكي يكون عملهما مفيداً للعلماء والباحثين ، ألحقا به معجماً ضخماً للمصطلحات العلمية ، جمعا فيه كل ما أقرّته مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد من مصطلحات ، وكل ما هو متداول منها في الجامعات العربية ، أو ضمّنته معاجم علمية أخرى كمعجم الأمير مصطفى الشهابي ومعاجم غيره من العلماء المعاصرين ، وقد رتّباها بترتيب حروف الهجاء العربية مثبتَيْن ما يقابلها بالفرنسية أو الانكليزية ، وباللاتينية في أحيان كثيرة . وبلغت صفحات المعجم العلمي هذا ما يقرب من ٧٥٠ صفحة من القطع الكبير ، وقد زينت بالرسوم والأشكال التوضيحية ، وألحقت بها مجموعة من الخرائط الملونة عن مختلف أقطار العالم العربي .

إن ما صنعه السيدان يوسف خياط ونديم مرعشلي صورة صادقة لما يعتلج في صدريهما من أمل في رؤية « المعجم العربي » يحاكي معاجم الأمم الحيّة ، إذ بلغ جهدهما في إعادة ترتيب لسان العرب ، كما بلغ توخيهما الكمال في إخراجه للناس ، حداً يثير الإعجاب الشديد بجلدهما والتقدير الخالص لتضحيتهما ، ويدل على ما بلغه فن إخراج المعاجم في هذا العصر من إتقان

وجمال ، ويجعل من عملها مساهمة قيمة في صنع « المعجم العربي الحديث » .

وخير ما نختم به هذه الكلمة ، إعادة ما سبق أن أكدناه في دراستنا عن المعجم العربي من « أن معاجم اللغات الحية ، اجتازت اليوم ، مرحلة الفنون ، وأصبحت « صناعة » تحشد للعمل فيها طوائف عديدة من العلماء الأعلام ، ومن رجال الفن الجهابذة ، كل واحد منهم يعمل في نطاق اختصاص معلوم . والمعجم اللغوي أو العلمي الذي نريده للعربية ، لا يكفيه تأليف لجنة من كبار علماء اللغة للإشراف على إخراجه ، بل لا بدّ له من علماء في اللغة إلى جانب مختصين بمختلف العلوم الأخرى ، يتوازعون موادّه ويسهمون في الإشراف على مختلف أقسامه ، كما لا بد له من رجال يتقن الواحد منهم فناً من الفنون اللازمـــة لإخراج معجم حديث ، يعملون جميعاً في تنسيقه وتبويبه وتزيينه وطباعته ، حتى يخرج للناس المعجم العربي المنشود » .

عدنان الخطيب

ــ تاريخ شعراء سامرآء من تأسيسها حتى اليوم ــ

كتاب من تأليف يونس الشيخ ابراهيم السامرائي

يقع في / ٢٤٢ / صفحة من القطع المتوسط ، طبع في مطبعة دار البصري ببغداد
وبمساعدة وزارة التربية العراقية عام ١٩٧٠ م

هذا كتاب يرمي إلى غاية أدبية وتاريخية تدل على التعاطف بين هذه البلدة القديمة « سامراء » أو « سُرَّ مَن رأى » ومؤلف الكتاب الأستاذ يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ، ونحن نحمد المؤلف ما تجشمه من مشقة في جمع هذا الشعر الكثير الذي ورد في الكتاب ، والذي يعطينا فكرة واضحة عن الحركة الأدبية في البلدة منذ نشأتها الأولى إلى يومنا هذا ، أي منذ البحتري وابن المعتز إلى رعد الكنعاني أو عبد الرزاق البدوي والشيخ عبد الرحيم المزاوي من أبناء الجيل الحاضر .

ولكن الكتاب ، مع الأسف لا يخلو من مآخذ هامة لا يصح إهمالها ونحن في معرض الإشارة إليه ، وفيه مواضع للنقد لا يجوز السكوت عليها خدمة للأدب والعلم والتاريخ .

وأول ما يجب ذكره ؛ في رأينا ؛ من هذا النقد ، أن الكتاب لم يعن به العناية الكافية من ناحية الطباعة ، فإن الأغلاط المطبعية المبثوثة فيه تجعل قراءته من الأمور الصعبة نظراً إلى ما يعترض القارئ من عقبات لا يمكن تذليلها ، وأخطاء يضيع معها المعنى ، ولا يمكن التوصل اليه إلاّ بالعودة إلى المصادر الأصلية ، وكتاب كهذا ، فيما نعتقد ، لا يجد له من القراء إلاّ ما ندر ؛ لأن العصر الحاضر قد طبع أبناء هذا الجيل بطابع الميل الى السهولة ، هذا الميل الذي يريد أن يجد لقمته سائغة حاضرة لا تتطلب جهداً ولا تستلزم تعباً .

ولعل هذه الأخطاء الطبعية تكون محتملة في النثر فيتمكن القارىء من فهم العبارة عن طريق التخمين والتقدير ، ولكن الخطأ المطبعي في الشعر غير جائز إطلاقاً لأنه يغير من وزن البيت ، فيضيع النغم كما يضيع المعنى ويختل الأصل الذي يحرص القارىء على معرفته بوضوح ؛ فكان على المؤلف أو الجامع ، أن يحرص على ضبط الأبيات ضبطاً لا يقبل التردد أو الشك في حقيقة الأصل ، ولا آتي بشواهد على قولي هذا لأن الشواهد كثيرة جداً ، ولكل قارىء أن يرجع فيتصفح الكتاب ليتحقق مما نقول .

إن طبع الكتب العربية يتطلب إعادة النظر في النص المطبوع أكثر من مرة ، كما يتطلب أن لا يعتمد المؤلف على تصحيح الطابع ، فإن أكثر الطابعين في بلادنا محدودو الثقافة قصيرو الباع في اللغة ، وخاصة في وزن الشعر واطمئنان القافية ، ومن الخير للمشرف على طبع كتاب عربي أن يتسم بطول البال والأناة والجلد على المراجعة مرات ومرات حتى يخرج الكتاب أقرب إلى السلامة ، لأن السلامة المطلقة غير ممكنة في الطباعة العربية مع الأسف الشديد . وهذا تقصير واضح ظاهر نسجله على أصحاب هذه المهنة بالقياس إلى زملائهم من الطابعين باللغات الأجنبية التي تكاد الكتب فيها تخلو خلواً تاماً من كل شائبة أو عيب مطبعي .

نضيف إلى هذا أن الأستاذ المؤلف في جمعه لهذا الشعر ، أو النظم ، لم يسع الى الاختيار ، أو هو لم يحاول اختيار الأفضل من بين هذه المنظومات الكثيرة التي جمعها للشعراء ، فقد وجدت في أثناء الكتاب قصائد لا تمت إلى الشعر بصلة لا من حيث الشكل العروضي ولا المضمون الشعري ، وأستميح القارىء عذراً إذا أنا لم أكثر من الشواهد على قولي لأن الشاهد يعين الشاعر المقصود ولا أجد بداً من القول إن الكثير من الشعر المختار للشعراء الحديثين في سامرا تنقصه شرائط الشعر الصحيح ، ومن الظلم حقاً أن نضع هذا الشعر الى جوار شعر شاعر عبقري كالبحتري وابن المعتز . وغيرهما من أفذاذ الأدباء والشعراء العرب .

فكيف يمكن أن تقرأ مثلاً هذا البيت للشبلي :

أحب قلبي وما أدرى بدني ولو دري ما قام في السمن (١)

أو كيف يمكن أن تقرأ البيت :

وصيفات القيان أولها الغدر عليـــه في وصلهن للتراض (٢)

هذا من حيث اضطراب الأبيات نتيجة للخطأ المطبعي . أما من جهة « الشعر » فأرجو أن تقرأ هذين البيتين :

نحن في ساح الوغى لا ننثني كم شربنا الكأس في سوح الردى
قد روى التاريخ أنا أمـــة نضع الخير وفينـــا يقتدى (٣)

أو هذين البيتين :

وكم جاوب الشعر الرقيق صوادحاً فغنى مع القيثار لحناً فاصغت
ومستنطق الليل النجوم مسائلاً لقد أزهقت بالأمس روحي ففاضت (٤)

وكيف أمكن للشاعر أن يجمع بين هاتين القافيتين .

إن أهم شيء لدينا في الحياة الأدبية أن نفرق بين الشعر وغير الشعر ، وأن نكون أقرب إلى الصراحة في آرائنا الأدبية ، فان ذلك أعود على الأدب بالفائدة المرجوة .

لقد قام الاستاذ السامرائي بواجبه باعتباره مواطناً من سامراء ، وكان من حقنا عليه أن يكون أكثر دقة في الاختيار ، وأشد تدقيقاً في مراقبة الطابعين ، ومع ذلك فإن الكتاب يطلعك على الحياة الأدبية في بلدٍ غنيٍّ بالذكريات العربية ، وهذا في رأينا ليس بالشيء القليل .

وإني لأرجو أن يحمل هذا التعريف على أنه بحث عن الحقيقة التي هي القصد .

أحمد الجندي

(١) الصفحة (٥١) سطر (١٦) .
(٢) الصفحة (٥٤) سطر (٤) .
(٣) الصفحة (٦٨) سطر (١٧ و ١٨) .
(٤) الصفحة (٧١) سطر (١١ و ١٢) .

ـ مسلم بن الوليد صريع الغواني ـ

كتاب من القطع الصغير تأليف الدكتور جميل سلطان

من مطبوعات دار الأنوار في بيروت عام ١٩٦٧ ، عدد صفحاته (٢٥٥)

لهذا الشاعر ـ مسلم بن الوليد ـ مكانة خاصة في الشعر العربي فهو أول من اهتم اهتماماً مقصوداً في استعمال المحسنات اللفظية من جناس وكناية واستعارة وما شاكل ذلك ، وكانت قبله ترد عفواً أو غير متكلفة . ولقد نفع مسلم الشعر في اتجاهه هذا ولكن ضرره كان أكبر من نفعه ، لأنه فتح للشعراء من بعده باباً وسّعوه أكثر مما يجب ، فانصرفوا إلى المحسنات تاركين لُباب الشعر وروحه وإحساساته ، بل لقد أصبح هذا الاتجاه المتكلف ديدن أكثر الشعراء في عصر الانحطاط إن لم يكن ديدنهم كلهم ، فبدا بذلك شعرهم خالي الوفاض بادي الانفاض من كل فكرة أو صورة أو خيال .

والكتاب هو الطبعة الثانية ، ولم يذكر المؤلف في مقدمة هذه الطبعة إلا ما خطر على باله من تعظيم موهبة الشعر وما يعترضها من جهد وألم ، ومر باسم الشاعر عرضاً دون أن يلمع إلى شيء من شخصيته . ثم انتقل إلى موضوع الكتاب فقسمه إلى ستة عشر موضوعاً ، بدءاً بـ د وطن الشاعر ، وانتهاءاً بـ (لغته) ، ثم ختم الكتاب بنماذج من شعر الشاعر وبقائمة لمصادر بحثه .

والطريقة التي جرى عليها الدكتور سلطان في عرض الموضوع هي الطريقة المدرسية التقليدية المعروفة ، فالوطن ثم العصر ثم الشخصية ثم الشعر الذي يقسمه كالعادة إلى غزل وخمريات . . . الخ مما عرفناه في قاعات الدرس يوم كنا نشدو الأدب . وقد لجأ الدكتور سلطان إلى طريقة الاستطراد المفصل

الذي ينسيك أحياناً الشاعر الذي كتب الكتاب من أجله ، ففي بحث (شعر الشاعر) نجد القسم الأكبر منه يتناول نشأة الشعر وتطوره وما إلى ذلك من أمور تكاد تكون بديهية ، ثم يلتفت بعدها إلى الشاعر ذاته ليتحدث عنه حديثاً مقتضباً في صفحات معدودة .

ولقد رفع المؤلف من قدر مسلم بن الوليد بحيث ساواه وغيره من عباقرة الشعر ، وهو ما لا نوافقه عليه ، فإن زملاءه من مثل أبي نواس والبحتري وأبي تمام أعلى منه كعباً ، وأرفع رتبة ، ولقد أنصفه البحتري — وهو المفنّ الكبير — حين فضل عليه أبا نواس ، لأن أبا نواس كان يغرف من بحر ، في حين أن مسلماً كان يكتفي بالوشل من الماء . ومن الخير ، إنصافاً لمسلم ، أن نصفه بالشاعر الحسن دليلاً على توسط مقامه ووقوفه بين المقدمة والمؤخرة فهو على حد تعبير الناقد البليغ : شاعر يضرب وسط المممة . وهذا لا يمنعنا من القول أن مسلماً قد يُعجب أمثال الأصمعي من أصحاب اللغة ، لأن هؤلاء يلتفتون إلى بضاعتهم عند الشاعر وهي اللغة وما يتبعها من متانة وشدة أسر في النظم ، وهذا ما علق به البحتري على رأي الأصمعي حين جوبه به ، فقال ما معناه : إن الأصمعي صاحب لغة ، وليس بصاحب شعر .

على أن الإنصاف يقتضينا القول بأن ابن الوليد قد كان رائد لون من الصناعة الشعرية ، وكان رجلاً صناعاً في النظم وحسن الحبك ، كما كانت له صور موفقة أعظم التوفيق على قلتها كوصفه الصحراء ، أو وصفه شارب الخمر حين يقيده الشراب .

والدكتور سلطان قد وفق إلى تصوير هذا كله أحسن تصوير وأدقه .

أ . ج .

***

أبو تمـــام

كتاب من القطع الصغير يقع في /١٧٦/ صفحة
من تأليف الدكتور جميل سلطان
ومن مطبوعات دار الأنوار - بيروت -
الطبعة الثالثة عام ١٩٧٠ - دمشق -

النسخة التى بين أيدينا من هذا الكتاب هي الطبعة الثالثة ، وهـذا دليل على أن الكتاب قد عرف ، وقد تناولته أيدي القراء من زمن بعيد ، والكتاب الذي يطبع أكثر من مرة في بلدنا هو كتاب رائج مقبول .

وموضوع الكتاب - أبو تمام - موضوع يستحق العناية والاهتمام ، من أديب معروف بارز كالدكتور سلطان ، ومن الخير أن يكتب عن الشاعر : أديب شاعر يدرك خفايا البيان ويعرف أسرار الفن . بل لعل البحث في أبي تمام أحب من البحث في غيره من الشعراء البسطاء الذين لم يخلفوا أثراً باقياً في الأذهان . يضاف إلى ذلك أن هذا الشاعر شخصية معقدة ، تشبه إلى حد كبير التعقيد الذي نراه في الكثير من شعره ، والذي يلوح على معانيه الجديدة التي يقتسرها على الظهور اقتساراً أو ينتزعها انتزاعاً . فهذا الشاعر مشكوك في نسبه ، فهو عربي وغير عربي - تبعاً لاختلاف المؤرخين - وهو شاعر كبير وشاعر غير كبير ، تبعاً للآراء المتضاربة ، ولكن الذي لا ريب فيه أنه أستاذ ، وأنه صاحب طريقة ، أو مدرسة كما يقولون اليوم - بل هو أستاذ كل الشعراء الكبار الذين أتوا من بعده ، من البحتري إلى ابن الرومي ثم المتنبي ومن لف لفهم من الشعراء ، لأنه زعيم المدرسة الفكرية في الشعر ، وأستاذ الصنعة في فن النظم .

لقد وضع أبو تمام القواعد لنظم الشعر ، كما فعل في نصيحته للبحتري ، ولو أن النظم لا يخضع لقواعد أو دساتير ، لأن الشعر الصحيح هو الذي

ينبجس انبجاساً من النفس أو يفيض فيضاً لا رأي للشاعر فيه ، إنه أشبه بالتنفس عند الكائن الحي ، على أن نصيحة أبي تمام أعانت البحتري على هموم الشعر ولعلها أفادته وإن كان هذا الشاعر على طرفي نقيض مع أبي تمام في أسلوبه ومعانيه ، لقد فكر أبو تمام وتفلسف أحياناً ، على حين أن البحتري قد غنى فأطرب ، كما قال ابن الأثير في كلمته الصادقة .

أبو تمام إذن شاعر كبير لا ينتهي القول فيه ، والأستاذ جميل سلطان أجدر الناس بدراسة هذا الشاعر دراسة تعين القارئين على فهم هذه الشخصية الأدبية النادرة .

والكتاب ، مكتوب بأسلوب سمح رصين ، وعبارة رشيقة مضبوطة ، وهو جدير بالعناية والإفادة .

أ . ج .

فن القصة والمقامة

كتاب من القطع الصغير في /٢٠٨/ صفحات

تأليف الدكتور جميل سلطان

طبع دار الأنوار في بيروت عام ١٩٦٧

هو كتـاب صغير يبحث في فنين أولهما جديد والثاني قديم ، فكلمة « القصة » لم تكن معروفة أدبياً فيما مضى من عصور الأدب العربي ، وقد عرفنا المقامة قبلها إن صح أن تسمى هذه المقامة فناً مستقلاً ، والكتـاب الذي بين أيدينا مطبوع طبعته الثانية ، كما في التوطئة التي كتبها المؤلف في أوله ، ولكن الصفحة الثانية تشير إلى أنها الطبعة الأولى (شباط سنة ١٩٦٧) كما أن النماذج التي اختيرت من أقلام الكتاب في الصفحة الأخيرة

من الغلاف تدل على أن هذه الأبحاث قد كتبت في عام ١٩٤٣ كما يدل على ذلك تاريخ المقالات المنشورة حول ذلك في مجلة الأديب والفقرة التي كتبها من القاهرة الأستاذ محمود تيمور .

وأشار الأستاذ في توطئته إلى أن هذه المقالات منذ كانت محاضرات ألقيت ثم جمعت بين دفتي كتاب ، على طريقة بعض المؤلفين في هذا العصر . فالكتاب إذن لم يُصنع ليكون كتاباً .

ويشتمل الكتاب على عدد من البحوث النافعة حول القصة والمقامة بادئاً بـ (فن القصة) ومنتهياً بنماذج من المقامات مع ذكر بعض المصادر في آخر صحيفة من الكتاب .

والبحث وإن كان مختصراً إلا أنه مفيد نافع لأنه يفتح الباب أمام الباحث ليتتبع هذا الموضوع فيستوفيه ويصل منه إلى الغاية المنشودة .

وكنا نود لو حصر الأستاذ الدكتور بحثه في هذين الفنين ـ القصة والمقامة ـ عند العرب ، واقتصر في استشهاداته على المؤلفين والأدباء العرب ، لأن أدباء الفرنجة قد شبعوا تنويهاً واتخموا تقديراً وإعجاباً .

كما نشير إشارة خفيفة إلى أن القصة لم يعرفها العرب فناً مقصوداً لذاته إلا في العصور الأخيرة أي بعد العهد الفاطمي ، وما روي من القصص التي عرفت قبل هذا الزمن قد كان أقرب إلى الحكايات والأساطير التي ينقصها الكثير من عناصر القصة المعروفة في يومنا هذا .

بل ربما زدنا فقلنا إن هذا الفن لم يأخذ شكله الأصيل حتى يومنا هذا عند الكتّاب العرب ، وما زلنا نعتبر هذه القصص التي تطلع المطابع علينا بها محاولات أكثرها فاشل لتفاهة الموضوعات وظهور التقاليد عليها ظهوراً يدعو الى التعجب لا الإعجاب .

إن فن القصة يحتاج إلى مقومات لا يعنى بها كتابنا العناية الكافية وهم يستسهلون الكتابة في هذا الفن ، الأمر الذي يجعلهم متأخرين عن غيرهم من قصاصي الأمم الأخرى ، ولولا بعض القصص التي تنبئ بأصالة فنية لقلنا إن هذا الفن لم يولد عندنا بعد .

أما المقامة ففن عربي خالص ، وقد يكون عند الفرس والأمم الشرقية الأخرى منه شيء ، ولكن العنصر الفني في هذا اللون الأدبي أضعف بكثير من العنصر التعليمي واللغوي ، فالمقامات وخاصة مقامات الحريري إنما قصد بها إلى جمع الألفاظ اللغوية والتعابير النادرة بطريقة خاصة تغري بالقراءة ،

وهذا لا يمنع من أن يكون في هذه المقامات بعض الأبيات الشعرية الموفقة كما في مقامات البديع التي هي أقرب إلى الفن الخالص من المقامات الأخرى .

على أن هذا الكتاب قد كتب بلغة سهلة صحيحة مأمونة وبأسلوب جميل أخاذ ، ولا بدع في ذلك فالدكتور جميل سلطان أديب وشاعر وصاحب فن ، وكتابه هذا يستحق كل عناية واهتمام .

أ . ج .

تاريخ واسط

تأليف : أسلم بن سهل الرزاز الواسطي

تحقيق : كوركيس عواد

عدد صفحاته ٣٩٧ ، طبع بمطبعة المعارف ببغداد ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م

يعد هذا الكتاب من أقدم ما كتب عن تاريخ مدينة واسط ، ومن المراجع الرئيسية للمؤرخ والمحدث وغيرهما ، حيث ذكر مؤلفه المتوفى سنة ٢٩٢ هـ في هذا السفر أشهر محدثي مدينة واسط الذين نشأوا فيها ، أو الذين قدموا إليها حتى أواخر القرن الثالث للهجرة ، وما كان لكل منهم من علم برواية الحديث .

واعتمد المحقق لنشر هذا الكتاب وتحقيقه ، نسخة قديمة محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب في القاهرة برقم ١٤٨٣ ، ونسخة منقولة عن هذه النسخة كتبت بخط نسخي واضح ، وانتفع المحقق كثيراً بهذه النسخة الأخيرة .

وتناول المؤلف في كتابه نبذة في بناء مدينة واسط ، وذكر خططها وشيء من أخبارها ، ثم ذكر أسماء من اشتهر من أبنائها في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، وتخلل ذلك إشارات إلى أسماء بعض المواضع والقرى الواسطية ، ومن ثم ذكر رواة الحديث من أهل واسط أو ممن قدم إليها ، فأورد في الغالب بعض ما روى كل منهم من أحاديث نبوية .

ودوّن المؤلف عن كل مترجم أخباراً مقتضبة جداً ، واقتصر غالباً على ذكر الراوية وأحاديثه ، ومن روى عنه وحديثهم ، ورواية المنسوب إلى ذلك الراوي للتعريف بمركز كل شخصية في العلم ودرجة توثيقه .

ورجع المحقق في تحقيقه هذا الكتاب إلى مراجع عربية قديمة وحديثة ، ومراجع افرنجية . وأتبع ذلك فهارس للكتاب وهي : فهرس مراجع البحث والتحقيق ، فهرس أسماء الأشخاص ، فهرس أسماء الأمكنة والبقاع ، فهرس الآيات القرآنية ، فهرس الأحاديث النبوية ، وفهرس فيه الألفاظ الدخيلة والمعربة والمولدة والمصطلحات ولغة الحضارة والحيوان والنبات والأحجار والمأكل والملبس والمسكن وغير ذلك مما لم يدخل في الفهارس الخمسة السابقة ، وفهرس موضوعات الكتاب .

وبالختام نقدم الشكر الأستاذ المحقق على ما بذل من عناية وجهد في تحقيق هذا السفر ، راجين له متابعة العمل على إتحاف المكتبة العربية بتحقيق ونشر أمهات المخطوطات العربية ونفائسها .

عمر رضا كحالة

***

٣٢٠٠ مجلة وجريدة عربية

وضع : عبد الغني أحمد بيوض

بالإشتراك مع حسني حنفي والحبيب الفقي

عدد صفحاته ٢٥٢ × ١٠

من منشورات المكتبة الوطنية بباريس ١٩٦٩ م

هذا فهرس عام للدوريات العربية منذ عام ١٨٠٠ حتى عام ١٩٦٥ م ، من مجلات وصحف ، التي هي محفوظة حالياً في عشرين مكتبة تقريباً وهي : المكتبة الوطنية بالجزائر ، المكتبة الوطنية ببغداد ، مكتبة بودلين باكسفورد ، المكتبة الوطنية بالقاهرة ، المكتبة الوطنية بكالكوتة ، مكتبة جامعة درهيم ،

مكتبة جامعـــة هارفرد ، مكتبة الجامعة بالقدس ، مكتبة معهد الشعوب الآسيوية ، مكتبة المتحف البريطاني بلندن ، مكتبة المدرسة الشرقية للدراسات الافريقية ، مكتبة الشرق الأوسط بلندن ، مكتبة معهد آسيا بمدريد ، مكتبة المعهد الشرقي باكسفورد ، المكتبة الوطنية بباريس ، مكتبة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية بباريس ، مكتبة جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأميركية ، المكتبة العامة بتطوان ، مكتبة توبنجن ، والمكتبة الوطنية بتونس .

وقد قدم لهذا الفهرس جاك برك الأستاذ بالكوليج ده فرنس ، وجان برينه المحافظ الرئيسي لقسم الدوريات بالمكتبة الوطنية بباريس ، وعبد الغني أحمد بيوض من أمناء المكتبة الوطنية بباريس .

وقد وضع منسقو هذا الفهرس عناوين المجلات والصحف باللغة العربية ، ثم نقلوها الى الحروف اللاتينية ليستفيد منها غير العربي ، كما حاولوا تعيين المكان الذي توجد فيه تلك المجموعات ، ثم ذيلوه بذكر ٢٣٠ مجلة وصحيفة تونسية ، كما أضافوا أسماء بعض الفهارس للنشرات الدورية التي نشرتهـا المكتبة الوطنية بباريس .

ولا بد لنا قبل ختم كلمتنا من توجيه الشكر لواضعي ومنسقي هذا الفهرس القيم ، الذي يساعد الباحث والعالم على دراسة النهضة العربية الحديثة على اختلاف نواحيها وموضوعاتها ، وربما كانت المصدر الوحيد لبعض تلك الدراسات ، آملين من المشتغلين بتصنيف الفهارس أن ينحوا هذا المنحى المفيد ، فيقدمون بذلك خدمة عظمى لأمتهم وللباحثين والمؤلفين .

ع . ك .

أمالي الشيخ الطوسي

تأليف : محمد بن الحسن الطوسي

جزآن في مجلدين ، عدد صفحاتها ٧٤٨

طبعت بمطبعة النعمان بالنجف الأشرف ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م

ولد الشيخ الطوسي بطوس في شهر رمضان ٣٨٥ هـ ، وهاجر إلى العراق ـ فنزل بغداد ـ وتتلمذ على محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد ، وبابن المعلم ، المتوفى سنة ٤١٣ هـ ، ثم لازم السيد المرتضى علي بن الحسين الموسوي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، ومن ثم أصبح الشيخ الطوسي علماً من أعلام الشيعة ، وزعيماً لهم ، وقد كثر الآخذون عنه ، حتى بلغ عدد تلاميذه أكثر من ثلاثمائة عالم ، ثم هاجر إلى النجف الأشرف ، فشدّت إليه الرحال واستفاد من علمه الغزير عدد كبير من العلماء والباحثين ، وتوفي سنة ٤٦٠ هـ .

وأما كتابه الأمالي ، فهو جملة ما أملى على تلامذته ، والأمالي هي جمع الإملاء ، وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم ، ويكتبه التلامذة ، فيصير كتاباً ، وأمالي الشيخ الطوسي مرتبة على ثمانية عشر جزءاً ، يرويها عنه ولده الشيخ أبو علي المتوفى بعد سنة ٥١٥ هـ .

وقدم لهذه الأمالي السيد محمد صادق بحر العلوم ، فتوسع في ترجمة صاحب الأمالي ، فذكر نسبه ، فولادته ، ونشأته ، وهجرته الى النجف الأشرف ، فمجالسه العلمية ، وإطراء العلماء له ، فتلامذته ، فمؤلفاته . ثم عرّف بكتاب الأمالي ، ثم ختم المقدمة بذكر وفاته وأولاده وأحفاده .

وكنا نتمنى ممن وقف على طبع هذه الأمالي ونشرها وتحقيقها ، أن يضعوا لهذه الأمالي المختلفة المواضيع والأبحاث ، فهرساً عاماً لهذه البحوث المذكورة في تضاعيف الأمالي ، فيكشفون به عما تضمنه من موضوعات متداخلة بعضها ببعض ، فيستفيد به الباحثون والمطالعون بدون عناء ونصب ، ولعلهم يتداركون ذلك في الطبعة القادمة .

ولا بد لنا قبل أن نختم كلتنا إلا أن نتقدم بالشكر عمن ساهم في تحقيق ونشر هذه الأمالي ، على ما بذل من جهد في سبيل نشرها فجزاهم الله خير جزاء .

ع . ك

***

تاريخ المشهد الكاظمي

تأليف : محمد حسن آل ياسين

عدد صفحاته ٣٠٠ ، طبع بمطبعة المعارف ببغداد ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م

مدينة الكاظمية أو ما كان يسمى مقابر قريش ، ثم المشهد الكاظمي ، بلدة قديمة ، ذات ماض عريق ، وهي جزء من بغداد قديماً وحديثاً . ولقد حظيت المنطقة التي تدعى بعض أجزائها اليوم بالكاظمية ، باهتمام خاص من الحكومات المتعاقبة من عشرات القرون . وبالنظر إلى سعة جوانب البحث في تاريخ الكاظمية ، وتمدد أطرافه ، فقد جعل المؤلف هذا الكتاب خاصاً بالحديث عن الروضة المقدسة ، والحرم المطهر ، حيث تناول فيه تاريخ المشهد منذ دفن الإمامين موسى بن جعفر ، وحفيده محمد بن علي الجواد إلى يومنا الحاضر ، متدرجاً فيه حسب تسلسل العصور والعهود التاريخية .

وقد حاول المؤلف جهده لأن يشرح مفصلاً تطور عماراته ، وتجديد بناياته ، وتوسع مرافقه وشؤونه ، وما قيل في كل ذلك من منظوم ومنثور ، وما يوضح كل ذلك من مخطوطات وصور .

ثم أردف المؤلف بحثه بأربعة ملاحق تحدث في أولها عن أولاد الإمام الكاظم المدفونين في مقابر قريش . وفي ثانيهـــا عن مشاهير المدفونين بالمشهد من علماء وأدباء وزعماء بارزين . وفي ثالثها عن نقباء المشهد وسدنته ، منذ أيامه الأولى حتى يومنا هذا . وفي رابعها عن نفائس خزانة المشهد .

ويمكن تلخيص مباحث الكتاب بما يأتي : المشهد الكاظمي في العصر العباسي ، والمشهد الكاظمي من بدء الاحتلال المغولي إلى نهاية الاحتلال العثماني ، والمشهد الكاظمي في وضعه الحاضر .

وألحق المؤلف بكتابه فهارس للصور ، وللأعلام ، وللأماكن والبلدان ، وللقوافي ، وللمراجع التي رجع إليها في بحثه ، مما يسهل على الباحث عمله ، فجزاه الله خير جزاء .

ع . ك .

✲✲✲

مكتبة الأوقاف العامة (ببغداد)

تاريخها ، ونوادر مخطوطاتها

تأليف عبد الله الجبوري

من منشورات مجلة الرسالة الاسلامية ببغداد ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

يبحث هذا الكتاب في تاريخ مكتبة الأوقاف ببغداد ، منذ بدء الفكرة في تأسيسها حتى سنة ١٩٦٩ م . وكانت نواة تأسيسها ، الكتب التي جمعت من مساجد بغداد ، ثم فتحت ابوابهـا في ١١ صفر ١٣٤٧ = ٢٧ تموز

١٩٢٨ م ، ووضع لها نظام داخلي تألف من مقدمة وثلاثة فصول : الأول في ترتيب الكتب ، والثاني في المحافظة على الكتب ، والثالث في المطالعة .

ثم ترجم المؤلف في كتابه الأشخاص الذين كان لهم أثر ظاهر في إنشاء المكتبة وتطويرها ، فذكر عبد اللطيف المنديل ، ومحمد أمين باش أعيان ، وأحمد الداود ، وعبد اللطيف ثنيان .

ثم عرّف بالمساجد والخزائن التي جمعت منها كتب المكتبة ، فترجم لأصحاب الخزائن الذين أهدوا خزائنهم اليها ، فذكر خزائن محمد عاصم الجلبي ، ومحمد سعيد الطبقجهلي ، وعلي حيدر الباجهجي ، وعبد الحليم الحافاتي ، وحسن الانكرلي ، وخير الدين الآلوسي ، وخزائن جامع الكهيا ، ومسجد الجنيد البغدادي ، ومسجد الرواس ، وجامع المصرف ، وجامع الحيدر خانة ، وجامع الاحسائي ، ومسجد نائلة خاتون ، وجامع القبلانية ، وجامع الآصفية .

ثم ذكر أمناء هذه المكتبة ، ومساعديهم أحياناً منذ تأسيسها سنة ١٩٢٨ م ، منهم محمد شفيق الذي كان أول أمين للمكتبة ، فعبد الفتاح القصاب ، فمحمد الجبوري ، فعيسى الآلوسي ، فخليل المولوي ، فعبد الرزاق الحصان ، فابراهيم صالح شكر ، فعبد الله الجبوري أمين المكتبة الحالي .

ثم أورد المؤلف فهارس المكتبة وما طبع منها ، فذكر الكشاف الذي وضعه المرحوم محمد أسعد طلس ، والمستدرك على الكشاف لمؤلف هذا الكتاب عبد الله الجبوري ، وفهرس مخطوطات حسن الانكرلي .

وقامت إدارة المكتبة فصورت عدداً من المخطوطات المحفوظة في المكتبات العامة .

ثم ذكر بعض نفائس المخطوطات المحفوظة في مكتبة الأوقاف ، كتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، وبلاد العرب للكدة الأصفهاني ، ومختار الصحاح

لمحمد بن أبي بكر الرازي ، وسر الصناعة لابن جني ، وحاشية على مقامات الحريري لعلي بن محمد السمناني ، وشرح كليات القانون لابن سينا ، ورسالة في فنون الحرب ، وأطعمة المرضى لنجيب الدين السمرقندي ، والقربة في أحكام الحسبة لابن الاخوة القرشي ، ومنهاج البيان في ما يستعمله الانسان من الأدوية لابن جزلة ، والمنتقى من المعجم المختصر لابن قاضي شهبة ، والمقرب في النحو لعلي بن مؤمن ابن عصفور ، وديوان الأدب للفارابي .

ثم ألحق المؤلف بكتابه ثلاثة فهارس وهي : للأعـــلام ، والكتب والجرائد والمجلات والأمكنة والمدن والبقاع ، مما سهَّل على الباحث والمطالع عمله فجزاه الله كل خير .

ع . ك .

الحماسة في حياتنا وتراثنا

تأليف : عبد القادر عياش

عدد صفحاتها ٥٨ ، من منشورات دير الزور – ١٩٧٠ م

هذه رسالة تبحث في تعريف الحماسة ومنشئها ، ووسائل إثارتها ، وما ورد من شعر الحماسة في الأدب العربي القديم ، والرجز ودوره في الحرب والحداء ، وخطب الحماسة ، والقصص الحماسي ودور المرأة الحماسي ، ودور الراية في إثارة الحماسة ، وألفاظ الإغاثة والنخوة ، وتعريف النخوة ، والنخوات في الشعر العربي القديم ، ودور النخوات في التاريخ ، ونداءات النخوات ، وعبارات الانتخاء ، ونخوات السكان في وادي الفرات ، وقصص النخوات ، والنخوات في أمثال أبناء الفرات ، والنخوة في الشعر الفراتي ، وتعريف الهوشة ، ومقطوعات من الهوشة ، والحماسة في قصيد البدو ، والعُطفة ، والهوشة لفظة محلية قاموسية .

هذا مجمل ما جاء في هذه الرسالة القليلة الصفحات ، الضافية بالمعلومات والأبحاث المنوعة ، التي يستدل فيها على الحياة الاجتماعية والتطور الاجتماعي الذي طرأ على هذا البلد ، فأبان مؤلف هذه الرسالة كثيراً من العادات والأخلاق ، فجزاه الله خير جزاء ، وقوّاه على متابعة العمل في هذا المضمار .

ع . ك .

❊❊❊

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية

(الجغرافية وملحقاتها)

عدد صفحاته ١٩٢ ، وضعه ابراهيم خوري

من مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ بدمشق

١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

يبلغ مجموع عدد المخطوطات التي فهرست في هذا الفهرس ٢٠٠ مخطوط ، كلها تقريباً باللغة العربية ، واثنان فقط باللغة التركية .

وضمت هذه المخطوطات مؤلفات في كثير من فروع الجغرافية ، فقسم واضع الفهرس أنواعها إلى مخطوطات في الجغرافية التاريخية ، والجغرافية اللغوية ، والجغرافية الملاحية ، والرحلات ، والفضائل والمحاسن والمناسك والمسالك والممالك والموسوعات ، كما أضاف إليها ملحقاً في الأحجار والحيوان والمساحة .

وأما خطته في هذا الفهرس فهي توزيع تلك المخطوطات حسب مواضيعها ، فرتب أسماء الكتب على حروف المعجم ، مهملاً كلمة كتاب ، مع ذكر عنوانه كاملاً ، بالإضافة إلى تعريف موجز به ، ثم ذكر اسم مؤلفه وسنة وفاته بالتاريخين الهجري والميلادي ، إن كانت معروفة ، وإلا ذكر عصره ، ثم أثبت جملة تامة من أوله وآخره ، أو من أول كل جزء منه وآخره

متى تعددت الأجزاء ، ثم بين نوع الخط واسم الناسخ وتاريخ النسخ إن ذكرا ، ثم وصف حالة المخطوط الراهنة ، ثم ذكر عدد أوراق المخطوطة ، وعدد السطور في كل صفحة منها ، وطولها وعرضها بالسنتمتر ، ثم رقم المخطوط المتسلسل العام في دار الكتب الظاهرية ، مع الرقم الخاص الذي يحمله بين قوسين .

وألحق بهذا الفهرس ثلاثة أنواع من الفهارس مرتبة على حروف المعجم ، وهي : فهرس للأعلام ، ويتضمن أسماء المؤلفين مع ذكر سني وفاتهم بالتاريخين الهجري والميلادي بين قوسين ، وفهرس للمخطوطات التي ذكرت في هذا الفهرس ، وفهرس للمؤلفين والمخطوطات على الترتيب الزمني أي على العصور . كما رجع في تحقيق أسماء الكتب والمؤلفين إلى عدة مصادر ، منها فهارس المخطوطات المختلفة ، وبعض المعاجم التي تبحث في تراجم المؤلفين والكتب المطبوعة والمخطوطة ، وقد ذكرها المصنف في أول فهرسه مما سهل على الباحث مطالعة هذه المخطوطات والاستفادة منها راجين له التوفيق في عمله .

ع . ك .

❋❋❋

القاضي التنوخي وكتاب النشوار

تأليف : بدري محمد فهد

عدد صفحاته ٢٣١

من منشورات المكتبة الأهلية ببغداد ١٩٦٦ م

تتضمن هذا الكتاب ثلاثة أقسام رئيسية : أحدها عن حياة المؤلف المتوفى سنة ٣٨٤ هـ الاجتماعية والفكرية ، وما خلفه من آثار ، وقد حاول المؤلف في هذا القسم ان يبين مدى تأثير البيئة التي عاش فيها ، وأثرت في نشأته وتفكيره واتجاهاته ، وعلى علاقته برجال الحكم ، ثم ما ألفه من

كتب أو دواوين ، وثانيها عن كتاب نشوار المحاضرة ، كما حاول المؤلف أن يتعرف على مصادر التنوخي التي استفاد منها في كتابه ، وعن منهجه الذي سلك فيه وهو طريق غير مألوف ، فكان أقرب إلى الرواة والأخباريين منه إلى الأدباء والمؤرخين والمحدثين .

ثم ألحق المؤلف بهذه الدراسة فهارس قيمة لنشوار المحاضرة بأجزائه الثلاثة : الأول ، والثاني ، والثامن ، حيث حوت أسماء الخلفاء والأمراء والقواد والوزراء والقضاة ، وقد ترجم لكل من هؤلاء بشيء من الإيجاز مع بيان فترة حكمهم أو ولايتهم وسني وفياتهم ، مُنْبِئاً كل ترجمة المصدر الذي أخذ عنه .

ثم أتبع ذلك بفهارس للأمم والقبائل والملل والنحل ، والأماكن والبلدان ، ثم بفهرس للحضارة يشمل الألفاظ الدخيلة والمعربة والمصطلحات الحضارية ، وأسماء النبات والحيوان والأحجار الكريمة والطيب والطعام واللباس والآلات ، وقد وضعت بصيغة المفرد ، وأمامها بين قوسين حالة الجمع ، كما شرح بإيجاز الكلمات الأعجمية أو الغامضة ، ووضع فهرساً للأشعار مرتباً على القوافي ، ثم على أوائل الأبيات . وختم ذلك بذكر المصادر التي اعتمد عليها في هذه الدراسة ، مما سهل على المطالع والباحث مطالعة هذا الكتاب الفريد ، الذي يصور الحالة الاجتماعية ، التي عاش فيها المؤلف ، أحسن تصوير ، فاستحق بذلك ثناء جمهرة الباحثين وتقديرهم .

ع . ك .

حماسة ابن الشجري

٥٥٤ صفحة ، قطع كبير ، صدرت عن وزارة الثقافة بدمشق

بتحقيق الأستاذين عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي

كثيرون أولئك الذين نحوا منحى الشاعر الطائي في حماسته ، ممن أتى بعده ؛ وقد ذكر لنا المحققان الفاضلان في مقدمتها لحماسة ابن الشجري أسماء طائفة صالحة من المؤلفين ، تزيد أسماؤهم على اثني عشر اسماً نذكر منهم على سبيل المثال لا على الحصر : البحتري ، والعجـــلي ، والشنتمري ، والشاطبي ، والحلي .

والمؤلفون في هذا الضرب من الأدب على كثرة عددهم ، فإن المجود منهم قليـــل ، ومرد ذلك ما يتطلب الاختيار والجمع من سلامة ذوق وكفاءة أدبية .

قد يحسب المرء باديء بدء أن باب الجمع والاختيار ، سهل لين ، وأنه ميسور كل أديب أنْ يلج هذا الباب ، على أنّ الواقع ينفي ذلك ؛ إذْ ليس الجمع والاختيار بحركة آلية ، كما يظنه كثير من الناس ، وإنما هو جهد فكري ، يتطلب كثيراً من المقومات العلمية ، والكفاءة الشخصية ؛ وبهذا الاعتبار عُدّ الجمع والاختيار إبداعاً ، وباستكمال هذه المقومات نجح الشاعر الطائي في حماسته ؛ وأخفق كثيرون غيره .

إن حماسة ابن الشجري من أجلّ كتب الحماسة بعد حماسة الطائي ، وهي شاهد عدل على ذوق صاحبها الأدبي الأصيل ، وطول باعه ، وقد ذكر لنا ياقوت الحموي في معجم الأدباء حين ترجم لابن الشجري : انه فرد زمانه في علم العربية ، ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها ؛ كما شهد له بالتفوق الكثيرون من أئمــة الأدب ، كابن تغري بردي ، وابن كثير وابن النجار ، وغيرهم .

ضمَّن ابن الشجري حماسته مختارات شعرية ، لشعراء فحول من العصر الجاهلي والعصر الإسلامي ، والعصرين الأموي والعباسي . والمختارات الشعرية بمجموعها من حر الشعر وجيده .

اعتمد المحققان في منهجها العلمي على مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق مستعينين بصور فوتوغرافية لمخطوطة في خزائن المتحف البريطاني بالإضافة إلى نسخة مطبوعة قام بتحقيقها المستشرق كرنكو . وقد أنجز المحققان عملها بعد أربع سنوات من العمل المتواصل كانت ثمرته ميلاد حماسة ابن الشجري في لون مشرق ونهج طريف من مقوماته الدقة البالغة والأمانة العلميـة . وإن المطالع للقسم الأول من حماسة ابن الشجري لا يسعه وقد لمس جلياً ذلك الجهد العلمي المرتكز على الذوق السليم والأصالة الأدبية إلا أن يسطر الشكر للأستاذين عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي .

عدنان مردم بك

❋❋❋

ديوان عمرو بن قَميئة

تحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفي

عدد صفحاته ٤٢٤ ، من منشورات معهد المخطوطات العربية بالقاهرة

عمرو بن قميئة شاعر جاهلي ، مقدم في طبقته ، صنَّفه نقدة الشعر ، وأئمة رجال الأدب القدامى في عداد فحول الشعراء ؛ ولم يخل كتاب أدبي قديم من ذكر هذا الشاعر ، والاستشهاد بأبيات من شعره ، مما يشير إلى علو منزلته في نفوس الأدباء .

ظلت نسخة ديوان عمرو بن قميئة الخطية ، « وهي كل ما تبقَّى لنا من شعره » مجهولة من الناس ، مطروحة مع غيرها من نفائس المخطوطات العربية في زوايا مكتبة الفاتح بالآستانة ، حتى قام المستشرق الإنكليزي تشارلس لايل

بتحقيق الديوان وطبعه عام ١٩١٩ في مطبعة كمبردج ؛ وقد نوّه الأستاذ نجيب العقيقي في موسوعته بفضل المستشرق لايل ، حينما تكلم عن المستشرقين ، وذكر : أنه رفع لواء الدراسات الشرقية في وطنه خمسين عاماً .

إن ديوان عمرو بن قميئة الذي حققه المستشرق لايل ، أصبح بحكم المفقود لندرة نسخه ، مما أهاب بالقائمين على معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، أن يكلفوا الأستاذ حسن كامل الصيرفي بتحقيق ديوان عمرو مجدداً ؛ وقد اعتمد الأستاذ الصيرفي في تحقيقه الديوان على صور النسخة الوحيدة المخطوطة ، والمحفوظة في مكتبة الفاتح بالآستانة ، والتي كان اعتمدها من قبله المستشرق الإنكليزي لايل .

سلك الأستاذ الصيرفي في تحقيقه نهجاً لم يتأت لكثير غيره ، من حيث الدقة البالغة ، والعمق في الدراسة ، والأمانة العلمية .

وأتى في مقدمته بدراسة تقع في ثلاث وخمسين صفحة ، تكلم بها المحقق على أسرة الشاعر ، وحياته ، وصفته الخلقية : في أسرته وفي الغربة ، وتكلم على شعره ، ومنزلته بين الشعراء ، والبحور الشعرية التي استعملها ، ثم ذكر الأستاذ الصيرفي منهجه في التحقيق ، ولم يغفل عن شكر المستشرق لايل باعتباره أول من عني بتحقيق ديوان عمرو بن قميئة ، ولفت الأنظار إليه .

إن الشرح الذي قدمه المحقق لنا ، شرح مسهب ، فيه علم غزير ، وجهد مشكور ؛ يضاف إلى ذلك تعليقات شخصية مفيدة ، فقد استشهد المحقق مدللاً على استعمال الشاعر عمرو لصورة معينة بشبيهاتها عند آخرين معاصرين له ، كما أنه أشار إلى عصرية الكلمة وتداولها عند ابن قميئة وانفراده بذكر بعض الألفاظ مثل : مشمر وضائر .

وقد ذيل الأستاذ الصيرفي الديوان بمعجم لألفاظ الشاعر ، يضم الكلمات

والحروف التي استعملها ، وأشار إلى سطو الشاعر الحطيئة على قصيدتين من قصائد عمرو بن قميئة ، وأخذه ألفاظها ، ومعانيها ، وقافيتها ، وبحرها ،والقصيدتان : الأولى :

نأتك أمامة إلاّ سؤالا وإلاّ خيالاً يوافي خيالا
يوافي مع الليل ميعادها ويأبى مع الصبح إلا زيالا

والثانية :

نأتك أمامة إلاّ سؤالا وأعقبك الهجر منها الوصالا
وحادت بهـا نية غربة تبدل أهل الصفاء الزيالا

أما الفهارس العامة التي قدمها المحقق فهي تقع في مائتي صفحة ونيف ، وتتضمن فهرس القصائد الواردة في متن الديوان ، والمقطوعات المنسوبة إليه ، وفهرس أشعار الشواهد ، وأنصاف الأبيات ، والأرجاز ، والأعلام ، والبلدان ، والوقائع ، والأيام والشهور ، وفهرس المعارف العامة ؛ ثم استدراكات ، وتصويبات ، وإشارات إلى مراجع التحقيق .

إن المطالع لديوان الشاعر عمرو بن قميئة ، لا يسعه إلاّ الإقرار بالجهد الكبير الذي قام به الأستاذ حسن كامل الصيرفي وتزجية الشكر له .

ع ٠ م

آراء وأنباء



الأستاذ الأمير جعفر الحسني

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

(١٨٩٥ — ١٩٧٠)

وفاة

الأمير جعفر الحسني

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

ولد الأمير جعفر بن الأمير طاهر بن الأمير أحمد بن الأمير عبد القادر الحسني الجزائري في دمشق عام ١٨٩٥ للميلاد وفي حيّ العمارة ، وقد بدأ حياته الدراسية في معهد الآباء العازاريين في دمشق ثم في المعهد العلماني في بيروت ثم عين أميناً للمتحف العربي عام ١٩٢٠ بعهد الحكومة الفيصلية ثم اختير عضواً في بعثة التخصص التي أوفدت إلى فرنسا فذهب وتخصص بدراسة الآثار والمتاحف وحصل على شهادة معهد اللوفر ، ثم عاد إلى دمشق ليكون محافظاً لمتحفها . وفي أثناء عمله بالمتحف انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) وذلك عام ١٩٤٢ وفي الجلسة (٢٦) ثم أحيل على التقاعد عام ١٩٥١ ، وفي السنة ذاتها عين محافظاً للسويداء (جبل العرب) ولم يمكث إلا قليلاً حتى تقدم باستقالته فقبلت .

وبتاريخ ١٩٥٦/٨/٢٥ انتخب أميناً عاماً لمجمع اللغة العربية بدمشق ولمدة أربع سنوات عملاً بنظام المجمع وجدّد تعيينه حتى الثامن والعشرين من شهر أيار من هذا العام ١٩٧٠ حين اتخذ مجلس المجمع بالإجماع قراراً يقضي بانتخابه نائباً لرئيس المجمع ، على أن يستمر في القيام بأمانة السر ريثما تستكمل معاملة تعيينه . ولكن القدر وافاه قبل أن تتم المعاملة .

وقد توفاه الله إلى رحمته صباح يوم الثلاثاء الواقع في ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٩٠ الموافق ٧ تموز سنة ١٩٧٠ وشيع جثمانه إلى مثواه الأخير يوم الأربعاء في ٨ تموز سنة ١٩٧٠ .

من آثاره العلمية رحمه الله تحقيق كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ، ووضع معجم جغرافي تاريخي للجمهورية العربية السورية وهو قيد الطبع ، كما شارك في تحرير مجلة المجمع والإشراف عليها طوال مدة عمله في المجمع إذ كان عضواً في لجنة المجلة والمطبوعات واللجنة الإدارية إلى حين وفاته .

كان الفقيد الكبير رحمه الله مثلاً رائعاً للموظف الكفء النشيط ، فلم يفتر عن العمل سواء في مكتبه أو داره مع ما انتابه من علل وأسقام ، كما عرف بسجاحة الخلق ولين العريكة فكان أخاً للرؤساء وأباً للمرؤوسين .

تغمد الله الفقيد الكبير برحمته وأسكنه فسيح جنانه وعوّض الأمة عنه خير العوض .

حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديرة بالدراسة

[مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر
موادّ المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفها]

— ٨ —

و ه ب المَوْهِبَة : السَّحابةُ تقع حيث وقعت ، يقال : كَثُرت المواهبُ في الأرض : أي الأمطار .
والمَوْهِبَةُ : غدير ماءٍ صغير ، وقيل : نُقْرَةٌ في الجبل يستنقِعُ فيها الماءُ ، والجمع مَواهِبُ .

ه ب ب هَبْهَبَ السَّرابُ : تَرَقرق . والهبهابُ : اسمٌ من أسماء السَّراب .
وفي المحكم : الهبهابُ : السَّراب .
الهَبْهَبَةُ : لمانُ السَّراب .

ه د ب هَدَبَ الناقةَ : احتلبها ، رواه الأزهري ، وفي بعض النُّسخ : هَدَبَ الناقةَ : حلَبها . وفي تهذيب ابن القَطَّاع : هَدَبَ الحلوبةَ . حلبها بأطراف الأصابع .
الهَيْدَبُ : السَّحابُ المُتَدلّي . وهَيْدَبُ السَّحاب : ذيلُه ، يَنْصَبُّ كأنّه خيوطٌ مُتّصلةٌ . وفي الصَّحاح : هَيْدَبُ السَّحابِ : ماتهدَّبَ منه إذا أراد الوَدْقَ ، كأنَّه خيوط .
ومن المجاز : الهَيْدَبُ : المتسلسلُ المُنْصَبُّ من الدموع كأنّه خيوطٌ مُتّصلةٌ .

ويقال : رَجُلٌ هَيْدَبِيُّ الكلام أي كثيره ، كأنه مأخوذ من هيدب السَّحاب .

الهُدَبِيَّةُ : ماءَةٌ قرب الشوارقيَّة .

هـ ذ ب هَذَبَ الشَّيْءُ : سالَ . قال الأزهري : يقال : أهذبت السَّحابةُ ماءَها إذا أسالته بسرعة .

هَذَبَ الفرسُ والطائرُ : أسْرَعَ كأهْذَبَ وهَذَّبَ .

هاذبَ الطيرُ في طيرانه : مَرَّ مروراً سريعاً .

الإهذابُ والتهذيبُ : الإسراع في الطيران والعَدْوِ والكلام .

الهَيْذَبَى : ضَرْبٌ من مَشْيِ الخيل إذا أسرع . وإبلٌ مهاذيب : سِراعٌ .

المُهْذِبُ : السَّريع ، وهو من أسماء الشَّيطان .

الهَذْرَبَةُ : كثرةُ الكلام في سرعة .

الهُذْرُبان : الرَّجُل الخفيفُ في كلامه وخِدمتِه ، والسريعُ فيها .

الهَذْلَبَةُ : الخفَّةُ والسُّرعة .

هـ ر ب هَرَبَ في الأرض : غاب . وأهرَبَ فلانٌ : أغرَقَ في الأمر . أو أبعَدَ في الأرض أو ساحَ أو هَرَب فيها .

قال الأصمعيّ في نفي المال : مالَه هـاربٌ ، ولا قاربٌ ، أي : ماله شيْءٌ .

وعن ابن الأعرابي : الهاربُ : الذي صدر عن الماء ، والقارب : الذي يطلب الماء . وفي الحديث : قال له رجلٌ : « مالي وعيالي هاربٌ ولا قارب غيرُها » أي : مالي صادرٌ عن الماءِ ولا واردٌ سواها ، يعني ناقتَه .

الهَارِيَّةُ : سُوَيقةٌ لبني هاربة بن ذبيان .

هضب هَضَبَت السَّماء : مَطَرَت ، أو دام مطرها أياماً لا يقلع . يقال : هَضَبَتْهم أي بَلَّتْهم بلاً شديداً .

الهَضْبَةُ : المطرة الدائمة العظيمة القَطْر . وقيل : الدُّفعة منه . قال أبو الهيثم . الهَضْبَةُ : دفعةٌ واحدةٌ من مطر ثم تسكُن ، وكذلك جَرْيَةٌ واحدة .

وفي الصّحاح عن أبي زيد : الأهاضِبُ : واحدها هِضابٌ ، وواحد الهِضَاب : هَضْبٌ ، وهي : حَلَبات القَطر بعد القَطْر .

ويقال : أصابتْهم أُهْضُوبة من المطر .

الهِضَبُّ : الفرسُ الكثير العَرَق . وغنمٌ هضِبٌ : قليلة اللَّبَن ، كأنّه مأخوذٌ من الهَضْب ، وهو حَلَبةُ القطرُ .

ومن المجاز : هَضَبَ في الحديث : أفاض واندفع فيه فأكثر ، كأهْتَضَب .

وفي الأساس : يهضِبُ بالشعر وبالخطب أي يَسحُّ سحّاً .

هلب هَلَبَت السَّماءُ القومَ إذا بَلَّتْهُم بالنَّدى أو مَطَرَتهم مطراً مُتتابعاً .

الهَلْبُ . تتابع القَطْر . ومنه يقال : هَلَبَ الفرسُ إذا تابع الجَرْي ، كأهلب .

الهَلاَّبُ : الرّيح الباردة مع مطر ، كالهلاّبة . والهَلاّبُ من الأعوام : الكثيرُ المطر ، كالأهْلَب .

يقال : شهر كانون الثاني : هَلاَّبٌ ومُهلِّب وهليب ، أي أيامه باردة جداً . وعن تلك الأيام يقال : هُلْبةُ الشّتاء .

وليلةٌ هالبةٌ : مطيرة باردة .

ومن المجاز : هَلَبَهم بلسانه : هجاهم وشتمهم ، كهَلَّبَهُم ، ومن هذا اسم المُهَلَّب .

هـ ي ب الهَيَّبانُ : زبدُ أفواه الإبل . وفي سفر السّعادة : الزّبد الذي يخرج من فم البعير ، ويسمّى اللّغام .

بئر الهاب : بالحَرّة ظاهر المدينة المنوّرة .

ي ب ب حوضٌ يَبَابٌ ، لا ماءَ فيه .

قال شَمِرٌ : اليَبَاب : الخالي لا شيء به . يقال : خرابٌ يبابٌ ، وخَرَبُوه ويبُّوه .

ي ط ب ياطِبٌ : مياهٌ في أجإ .

★ ★ ★

خاتمة القول في هذه الظاهرة المعجمية

هذا أهم ما كنت وقفت عليه في « المعجم العربي » من كلمات يدخل « الماء » عنصراً في مدلولها وجوداً أو عدماً ، على سبيل الحقيقة غالباً ومن قبيل المجاز أحياناً ، كما سبق أن ذكرت في مقدمة هذا البحث ، وذلك كله في مادة « الباء » بترتيب « الصّحاح للجوهري » أي عندما تكون الباء « لام » فعل الكلمة الثلاثي ، أما الكلمات المعجمية الأخرى التي يدخل الماء عنصراً في مدلولها وحرف الباء « فاؤها » أو « عينها » فهي كثيرة قد تستعصي على الحصر . على أن جزءاً كبيراً من هذه الكلمات غني المعجم العربي به عن طريق القلب أو الإبدال ، وفيما يلي نماذج عن أمثال هذه الكلمات :

عَصَبَ الرّيقُ ، بَصَعَ الماءُ ، صَبَعَ الإناءَ .

نَضَبَ الماءُ ، نَبَضَ الماءُ ، ضَبِنَ الماءُ .

قَرَبَ الإبلَ ، بَقَرَ الأرضَ ، أبرق السحابَ .

كَرَبَ البئرَ ، بَرَّكَ السحابُ ، رَبَكَ اللبنَ .

وإذا كان بعض علماء اللغة أصحاب نظرية « الثنائية التاريخية » يفسرون نشأة اللغة بمحاكاة أصوات الطبيعة ، على حد تعبير الأب أنستاس الكرملي ، بمقطع مؤلف من صوتين بسيطين ثم فئم الصوت بزيادة حرف أو أكثر في الصدر أو في القلب أو الطرف بمعنى خاص أو فكرة دون أختها ، ثم أقرها الاستعمال مع الزمن ، فإن أمثلة عديدة من مفردات الظاهرة المعجمية التي نتحدث عنها تؤيد نظريتهم هذه .

وإذا كان علماء آخرون نادوا بالثنائية المعجمية أو « الثنائية الألسنية » ردّوا المضاعف إلى هجاء واحد معتبرين كل مضاعف في العربية ثنائياً على ما هو الأمر عليه في اللغات السامية الأخري ، على حد تعبير الأب مرمرجي الدومنيكي ، فإنّا واجدون في كثير من الكلمات التي سبق أن أثبتناها ، مما نقلناه عن المعجم العربي ، أمثلة كثيرة تؤيد هذه النظرية أيضاً .

وهذه بعض أمثلة المضاعف ومقلوبه :

جَبّ — بَجّ ، صَبّ — بَصّ ،

ضَبّ — بضّ ، عَبّ — بعّ ،

غَبّ — بَغّ ، قَبّ — بَقّ .

★ ★ ★

وأخيراً ، ونحن نتحدث عن ظاهرة معجمية تتصل بالقيمة التاريخية لحرف « الباء » في الكلمة العربية ، يجدر بنا أن نعيد ما سبق لنا نقله عن الأستاذ عبد الحق فاضل الذي دفعنا إلى نشر هذا البحث وهو قوله : « إذا وجدت كلمة (آ ب) في معجم عربي ، فلن يخطر لك أن معناها

(الماء) لأنها بهـذا المعنى من اختصـــاص المعجم الفارسي (١) . . . »
وإذا كانت كلمة « آب » فارسية حقيقة ، فإن كلمة « أبّ » عربية النجار بلا شك .
إذ يقول ابن فارس في « مقاييس اللغة » : (إنّ الهمزة والباء في المضاعف أصلين ، أحدهما المَرْعَى ، والآخر القصد والتهيؤ ، فأمّا الأول فقول الله عز وجلّ « وفاكهةً وأبّاً » .. قال أبو إسحاق الزجّاج : الأبّ : جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية ، كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه . .) (٢) .

وفي لسان العرب : الأَبُّ : الكَلأ ، وعبَّر بعضهم عنـه بأنَّه : المَرْعَى . وقال الزجّاج : الأَبّ : جميع الكلإ الذي تعتلفـه الماشية . وفي التنزيل العزيز : وفاكهةً وأبّاً . قال أبو حنيفة : سمَّى الله تعالى المرعَى

(١) نشر الأستاذ عبد الحق فاضل في العدد الخامس من مجلة « اللسان العربي » بحثاً جديداً عنونه بـ « علم الترسيس » قال فيه : [كنا ارتأينا في كلمة سالفة أن نستعمل كلمة « التأثيل » اصطلاحاً مقابل كلمة Etymology الأوربية هـذه بمعنى « التأصيل » لأن لكلمة « الأصل » ومشتقاتها معاني عامة نستعملها في مختلف الأغراض من حياتنا اليومية . . .] ثم اقترح كلمة « الترسيس » مقابل كلمـة Radixation الانكليزية باعتبار أن كلمة radix تعني « الرّس » بالانكليزية وأثلها من اللاتينية باللفظ والمعنى نفسه ، ثم شرح غايته قائلاً : [والذي نعنيه بالترسيس هو إرجاع اللفظة العربية أو الأعجمية إلى رسها ، أي بدايتها فإن « الرّس » في المعجم : ابتداء الشيء . وابتداء الكلمة هو بذرتها ، أي الصوت الطبيعي الذي حاكاه الإنسان الأقدم بحروف نطقية عبر بها عن ذلك الصوت ، أو عن الحادثة التي سببت ذلك الصوت ، أو الشيء الذي أنتجه ، وما إلى ذلك من أمور تتصل به ..] .

(٢) المقاييس ج ١ ص ٦ .

كلّه أبّاً . قال الفرّاء : الأبّ : ما تأكله الأنعام . وقال مجاهد : الفاكهة ما أكله النّاس ، والأبّ ما أكلت الأنعام ...

قال ثعلبُ : الأبّ : كلّ ما أخرجت الأرض من النبات . وقال عطاء : كل شيء ينبت على وجه الأرض فهو أبّ ..

والأبّ : المَرْعَى المتهيء للرّعي والقطع . ومنه حديث قُسّ بن ساعدة : فجعل يرتعُ أبّاً وأصيد ضبّاً .

★ ★ ★

وهل « المَرعَى » عند ساكني الصحراء ، إلاّ حيث يُرْبِعون ، وهل يُربِع أحدهم إلا حيث ترتبع مواشيه ، وهل تَرْبع المواشي غير الربيع ، وهل ينبت الربيع إلاّ في المرابع حيث يوجد الماء ويغاث الناس بالمطر فيربَع الزمان ويربَعون !

عدنان الخطيب

حول المقصورة الدريدية

تناولت اليوم عدد نيسان من المجلد الخامس والأربعين للمجمع . وبشوق ولذّة طالعت معظم ما حواه من بحوث ممتعة . على أني لما راجعت مقالي (المقصورة الدريدية) وجدت بعض تمليقات عليه لقلم التحرير . وإني أستميحكم عذراً في الملاحظات التالية :

(١) على الصفحة ٢٥٧ ورد خطأ مطبعي من مصحح الطبع غيَّر معنى الكلام إذ أضاف أو ألحق في السطر ٧ الضمير بلفظ عُزلا فأصبح عزلاهُ بدل عُزلا . فجعل العزل للشاعر وليس هذا المُراد بل المُراد أن الأميرين هما اللذان عُزلا . وذلك ما أخطر الشاعر إلى ترك فارس .

(٢) لا أدري هل الخطأ على ص ٢٥٩ في البيت: إن الجديدين إذا ما استوليا الخ هو سبق قلم من مخطوطتي أو بالأحرى من الناسخ على الآلة الكاتبة . وعلى كل حال فالأمر واضح لا يحتاج إلى تعليق .

(٣) لا أدري على أية رواية اعتمدتم في ص ٢٦٠ فقلتم الرواية صلا الحرب بدلاً من صلا الموت . أما أنا فقد اعتمدت شرح التبريزي المطبوع في دمشق سنة ١٩٦١ . وفي الشرح المذكور تجدون صلا الموت لا صلا الحرب .

وكذلك ص ٢٦٤ حيث قلتم في الحاشية رقم ٢ الرواية لا يرفع مع أنها في التبريزي لا ينفع كما وردت في المقال . وص ٢٦٥ علّقتم على لفظة مذّري في الحاشية ٣ فجعلتموها مزدرى وفي التبريزي مذّرى لا مُزدرى ولو رجعتم إلى شرح التبريزي لرأيتموه يبيّن أصلها وكيف حدث فيها الإدغام .

وعلى كل حال فأنا شاكر لكم جداً ما تفضلتم به من شروح وملاحظات .

أنيس المقدسي

« تصحيح وفاة »

قرأت في الجزء الثاني من المجلد الخامس والأربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، نبذةً تتعلق بكتاب « المغانم المُطابة في معالم طابة » ، تأليف العلامة مجد الدين الفيروزابادي ، وتلك النبـــذة هي بقلم الأستاذ عمر رضا كحالة ، وفيها ترجمة وجيزة لصاحب المغانم المُطابة ، ذكر فيها الأستاذ عمر رضا كحالة أن وفاة مجد الدين الفيروزابادي كانت في ٢٠ شوال سنة ٨١٠ هـ [1] ، وهذا غير صحيح لأن الفيروزابادي توفي في سنة ٨١٧ هـ ، كما ذكره السيد محمد مرتضى الزبيدي في شرحه على القاموس وغيره من العلماء الذين أرخوا لرجال القرن التاسع الهجري ، ولأجل وضع الأمور في نصابها وحفاظاً على تاريخ الوفيات كتبت هذه الكلمة الوجيزة .

علي الفقيه حسن

(١) هكذا ورد في ترجمة الفيروزابادي بقلم الأستاذ حمد الجاسر في مقدمة كتاب المغانم المطابة في معالم طابة ، عازياً ذلك إلى العقد ج ٢ ص ٤٠٠ ، وقد رجعنا إلى معجم المؤلفين لكاتب هذه السطور ، والأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي فوجدنا وفاته في سنة ٨١٧ هـ ، كما ذكر الأستاذ علي الفقيه حسن .

عمر رضا كحالة

ملاحظات مطالع

تشرفتُ بمطالعة الجزء الرابع من المجلد الثاني والأربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق « تشرين الأول ١٩٦٧) وقد نعمتُ بما فيه وبما كتبه الأستاذ الدكتور صلاح الدين الكواكبي ، وراقني الجهد الرائع الذي يبذله في سبيل رفع مستوى الترجمة والتعريب في بلادنا ، إلا أني وجدت في ما قرأته التباساً أحب أن أنبه عليه .

في الصفحة ٨٦٧ من الجزء المذكور ورد ما يلي :

« أليست المكرشة ، ما تسميه العامة (قبوات) ؟ ويبدو لي أن (القبوات) فصيحة من : (قباه ، جمعه بأصابعه ، والقبوة انضمام ما بين الشفتين . ومنه القباء من الثياب . وقبَّاه تقبيةً عبَّاه ، والثوبَ جعل منه قباء . والشيء صار كالقبة) . ففي كل هذه الكلمات معنى الجمع والضم والتقبيب ، والحلبيون يقولون (قُبيوات ، مصغر قبوة) . »

انتهى كلام الدكتور الكواكبي وليسمح لي أن أقول : نعم إن أصل (القبوات) فصيح ، ولكنه ليس من قباه جمعه بأصابعه المذكور في القاموس المحيط في (فصل القاف ، باب الواو والياء) ولكنه من فصل (القاف ، باب الباء) في مادة قب حيث يقول الفيرزآبادي : وقِبَّةُ الشاة بالكسر وتخفف ، الحفث» (اه) .

وقد وردت هذه القبة بضم الأول في مادة جوث في القاموس المحيط [المطبعة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٥ م] حيث يقول : والجوثاء القُبّة (اه) .

وهذا خطأ والصواب بكسر القاف . ويقول الفيروزآبادي في مادة الحفث : الحفث ككتف القِبَّةُ كالحفثة والحفث (ا ه) .

وفي مادة حفث ورد الفحث ككتف الحفت (ا ه) وصوابه الحفث بالثاء فلنصحح قاموسنا . وقد جاء في كتاب الأعلام بمثلث الكلام وهو لمحمد بن عبد الله بن مالك النحوي الأندلسي (صفحة ١٤٩) [الطبعة الأولى ١٣٢٩ ه المطبعة الجمالية بمصر] :

(والحِيفِثُ القبَّةُ وهو القِبَّهْ)

والصواب (والحَفِثُ القِبَةُ وهو القِبَّهْ) . (ا ه)

وقال المرحوم أحمد رضا في معجمه متن اللغة : الجوث والجوثاء : القِبَةُ وهي من الشاة هنة متصلة بالكرش ذات أطباق (١) (انتهى) وقال في الحاشية : (١) أحسب أنها المسماة عند العامة أم الأوراق وهي في الفصيح الشحف والحفث . وتطلق العامة لفظ القبوات على الكرش كلها وما يتصل بها وهي جمع قبة . (انتهى) ولنصحح الآن ما ورد من تصحيف وتحريف في هذه الحاشية ونجمل الجملة : وهي في الفصيح الثحف والحفث . فقد ورد معجم لسان العرب في مادة حفث : الحفثة والحفث والفحث والفثح والثحف. (ا ه)

ونضيف إلى القبوات : ومثلها (الأشّة) في عامية دمشق . ومثلها (الفمة) في عامية القامشلي وضواحيها وفي لبنان أيضاً . ونضيف إلى (أم الأوراق) العامية (أم الورق) و (أم سبع طبايق) و (الرمانة) وفي بعض قرى لبنان (أم جليط) .

وورد في اللغة : العُبيدَة ذات الطرائق في الكرش .

وفي مادة (حفث) في تاج العروس ، قال أبو عمرو : الفحث ذات الطريق (؟) والقبة الأخرى إلى جنبه وليس فيها طرائق . وفي

تاج العروس في مادة جوث : الجوث والجوثاء القبة .... وقيل الحوثاء . وورد في لسان العرب : الحوثاء الكبد وقيل الكبد وما يليها . وفي القاموس المحيط الحوث عرق الحوثاء للكبد وما يليها .

وفي الصفحة ٨٥٤ في الجزء نفسه قال الدكتور Dodo (Chanter le) همهم ، من الهمهمة وهي تنويم المرأة الطفل بصوتها . (اه) .

والصواب : هممت ، ولقد لفت المرحوم أحمد رضا النظر إلى ذلك ، فقال هممت المرأة : نومت طفلاً بصوت « أو صوابه همَّمت » . (اه)

وفي الصفحة نفسها يقول الدكتور (التناجش) وهو التزايد في البيع وغيره . بدلاً من (المزايدة العلنية) . اه . وهذا خطأ . ولننظر المادة في النهاية لابن الأثير نجد « أنه نهى عن النجش في البيع » هو أن يمدح السلعة لينفقها ويروجها أو يزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها ، ليقع غيره فيها .

وفي الصفحة ٨٦٨ قال Semoir دُجْر ، شيء تلقى فيـه الحنطة إذا زرعوا (اه) وإنني أحب أن أذكّر بكلمة ثانية لهذا المسمى ألا وهي الجُرَّة وهي قصبة من حديد مثقوبة الأسفل يجعل فيها بذر الحنطة ويمشي بها الفدان وهي تبذر الحب . قال حسن قويدر في مثلثاته :

لفدة البعير أما الجُـــرَّة فهي إناء الحب وقت البـــذر

وقال Silo كندوج شبه المخزن معرب كندو . ومثلها المطمورة وهي المغيرة تحت الأرض ، قلت لعلها : كالقبو . خصصتها للأمكنه التي تحفظ فيها الحبوب والبقول ونحوها (اه) أقول في العربية : الأنبار أكداس الطعام وأهراؤه ج أنابير (والعامة تقول عنابر) ويوجد الهُرْي بيت كبير يجمع

فيه طعام السلطان و ج أهراء ، ومن المعلوم أن من معاني الطعام البرَّ خاصة ، قال الخليل : العالي (أو الغالب) من كلام العرب أن الطعام هو البر .

وقال في الصفحة ٨٦٩ Torturants شُرَّاز وهم معذبو الناس . (ا ه) هنا أحب أن أذكّر بهذه الكلمة ألا وهي المسحل ومن معانيها الجلاد الذي يقيم الحدود بين يدي السلطان .

وفي الصفحة ٨٦٥ قال (العامة تسميها الصَّوَّانة ، حجر الخفان) (ا ه) فان الصوانه ليس فيها تخاريب ، وأما حجر (الخفان) في اللغة فهو الرخفة وتعريفها في متن اللغة حجارة رخوة خفاف كأنها جُوفٌ .

وأما النسيفة التي تحدث عنها فهي أيضاً النسفة والنشفة فهي مما يقال بالسين والشين .

ووجدت مرة للدكتور الكواكبي كلمة في الجزء الثالث من المجلد الأربعين وفي الصفحة ٦٢٠ يقول فيها « الجوس هو الجود وأكثر ما يستعمل في الماء » (انتهى) .

وهذا خطأ على ما أظن وسببه سرعة القراءة فقد أخذ النص من القاموس المحيط ولم يتمم قراءته . فقد قال الفيروزآبادي (وجوس الودك جموده أو أكثر ما يستعمل في الماء جمد ، وفي السمن وغيره جمس .) . (انتهى) وهذا هو الصواب فقد قال الفرزدق :

نعجل للضيفان في المحل بالقِرى	قدوراً بمبوط تُمد وتُغرفُ
تفزّع في شيزى كأن جفانها	حياض جبي منها ملاءٌ ونُصّفُ
ترى حولهن المتقين كأنهم	على صنم في الجاهلية عُكّفُ
قعوداً وخلف القاعدين سطورهم	جنوح وأيديهم جموس ونُطّفُ

وهيب دباب

تصحيح أخطاء

وردت في الجزء الثالث من المجلد الخامس والأربعين
في مقال الاصطلاحات الفلسفية رقم (٣٥)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٦٢	٦	تصميمه	تممیمه
٤٦٤	٢٢	احوال القدر	أحوال النفس
٤٦٦	١٩	والعقل	والفعل
٤٦٧	٢٣	الطبقات	الصفات
٤٧٣	١٣	وفكر اخرى	وفكراً أخرى
٤٨١	٢٠	للقصور	للتصور

الكتب المهداة إلى مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق

خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٠

عنوان الكتاب	المؤلف	مكان	وتاريخ الطبع	العدد
الفهرسة الوطنية المغربية	ادارة الخزانات والوثائق	الرباط	١٩٦٨	٣
تاريخ الفلسفة العربية	الدكتور جميل صليبا	بيروت	١٩٧٠	١
دراسة عن التعليم وتطور المناهج في لبنان	عبد الحميد فايد	بيروت	١٩٧٠	١
دراسات في الإحصاء	الدكتور عبد العزيز فهمي هيكل	«	١٩٧٠	١
مهنة الرقابة الخارجية على حسابات الشركات والمؤسسات في لبنان	الدكتور عبد المنعم محمود عبد المنعم	«	١٩٧٠	١
مناسك العمرة المفردة	الشيخ محمد حسن آل ياسين	بغداد	١٩٧٠	١
العدل الإلـهي بين الجبر والاختيار	« « « «	«	١٩٧٠	١
في رحاب القرآن	« « « «	«	١٩٦٩	١
أعلام الصناع المواصلة	سعيد الديوهجي	«	١٩٧٠	١
أبو عمرو الداني الأندلسي ورسالته	الدكتور محسن جمال الدين	«	١٩٧٠	١
حمزة بن الحسن الأصفهاني	الدكتور حسين علي محفوظ	«		١
آراء حمزة بن الحسن الأصفهاني في اللغة والتاريخ	« « « « «	«	١٩٦٤	١
الصحيفة السجادية	« « « «	«	١٩٦٧	١
الألفاظ التركية في اللهجة العراقية	« « « «		١٩٦٤	١
شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي	« « « « «	«	١٩٦٨	١

عنوان الكتاب	المؤلف	مكان وتاريخ الطبع	العدد	
أثر اللغة العربية في اللغة التاجكية	الدكتور حسين علي محفوظ	بغداد ١٩٦٤-١٩٦٥	٢	مطبوعات المجمع العلمي العراقي
تاريخ الامارة الأفراسيابية	محمد الخال	بغداد ١٩٦١	١	
مصطلحات القانون الدستوري	المجمع العلمي العراقي	〃 ١٩٦٢	١	
مصطلحات في هندسة السكك الحديدية والري	〃 〃 〃 〃	〃 ١٩٦٢	١	
مصطلحات في السكك الحديدية	〃 〃 〃 〃	〃 ١٩٦٢	١	
مصطلحات لمصلحة نقل الركاب	〃 〃 〃 〃	〃 ١٩٦٢	١	
مصطلحات صناعة النفط	〃 〃 〃 〃	〃 ١٩٦٥	١	
مصطلحات في علم التربة	〃 〃 〃 〃	〃 ١٩٦٠	١	
مصطلحات في علوم الفضاء	〃 〃 〃 〃	〃 ١٩٥٩	١	
مصطلحات علم الجراحة والتشريح	〃 〃 〃 〃	〃 ١٩٦٨	١	
مصطلحات مقاومة المواد وهندسة إسالة الماء وعمال الغزل والنسيج	〃 〃 〃 〃	〃 ١٩٦٧	١	
دراسة في سيرة النبي (ﷺ) ومؤلفها ابن اسحاق	عبد العزيز الدوري	〃 ١٩٦٥	١	
النصوص العقارية (١ — ٣)	جمع المحامي داود التكريتي	دمشق ١٩٦٧	٣	
قانون أصول المحاكمات (المرسوم التشريعي ٨٤)	المحامي داود التكريتي	〃 ١٩٦٧	١	
دراسات في الواقعية	جورج لوكاتش	دمشق ١٩٧٠	١	مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد بدمشق
ايميه سيزير	ليليان كيستلوت	〃 ١٩٧٠	١	
الاشتراكية الصعبة	اندريه غورز	〃 ١٩٧٠	١	
ثورات النمو الثلاث	پول بوريل	〃 ١٩٧٠	١	
الحماسة الشجرية	ابن الشجري	〃 ١٩٧٠	١	
الكتابة في درجة الصفر	رولان بارت	〃 ١٩٧٠	١	
التنين (مسرحية)	يفيجيني شفارتس	〃 ١٩٦٩	١	
اسرائيل المتدينة	فرانتز شايدل	〃 ١٩٧٠	١	
مأساة الملك كريستوف	أزيك بونا ڤانتورا	〃 ١٩٧٠	١	

عنوان الكتاب	المؤلف	مكان وتاريخ الطبع		عدد
تطور المحاماة وأوضاع المحامين في البلاد العربية	داود التكريتي	القاهرة	١٩٦٧	١
القدس مدينة الله أم مدينة داود	الدكتور حسن ظاظا	الاسكندرية	١٩٧٠	١
ديوان عمرو بن قميئة (مجلة معهد المخطوطات العربية) المجلد الحادي عشر		القاهرة	١٩٦٥	١
مجلة معهد المخطوطات العربية ١ و ٢ المجلد العاشر		〃	١٩٦٤	٢
ثلاث رسائل في إعجاز القرآن	الرماني والخطابي والجرجاني	〃	١٩٦٨	١
الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة	محمد خلف الله	〃	١٩٦٢	١
معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها	〃 〃	〃	١٩٦١	١
بحوث ودراسات في العروبة وآدابها (١)	〃 〃	〃	١٩٧٠	١
محاضرات عن حفني ناصف كاتباً وباحثاً (٢)	〃 〃	〃	١٩٦١	١

***

(١) و (٢) من مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية .

فهرس المجلد الخامس والأربعين

الجزء الأول

التعريف والنقد

الجزء الثاني

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الجزء الثالث

التعريف والنقد